معالم التاريخ اليونانى القديم

الجزء الأول

دكتور

إبراهيم عبد العزيز جندى

الطبعة الثانية

طبعة مزيدة ومنقحة

القاهرة

٢٠٠٤ - ٢٠٠٥

رقم الايداع ١٩١١٩ / ٢٠٠٤

إهداء

إلى رفيقة حياتى ، إلى من كانت لى دافعاً
للنجاح . . . إلى زوجتى الغالية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية

حظي تاريخ اليونان و حضارتهم باهتمام المفكرين و الكتاب الغربيين منذ عصر النهضة الأوربية الحديثة ، فشمروا سواعدهم و شحذوا أقلامهم لكتابة فصوله المختلفة ، ومن أوجه مختلفة : سياسية واقتصادية و اجتماعية و حضارية ، و قدموا لنا أسفاراً ضخمة في ضوء ما أتيح لهم من معلومات ، ولكن بفضل الجهود المستمرة لعلماء الآثار والنقوش و البردي و النوميات كرس المؤرخون جهودهم لإعادة كتابة تاريخ اليونان في أوجهه المختلفة ، و نتيجة لتلك الجهود الدائبة أن عجت المكتبات ببحوث ودراسات جادة رصينة بلغات العالم الشتى حول تاريخ اليونان و حضارتهم بيد أن المكتبة العربية تعاني من نقص الدراسات و البحوث بأقلام عربية رصينة مقارنة بما كتبه العلماء الأجانب و أن قدم لنا البعض من باحثينا دراسات جادة توازي بل تتفوق في فهم ما يخص تاريخنا وعلاقته باليونان و حضارتهم .

و عموماً فإن نقص ما يصدر بالعربية عن تاريخ اليونان يعود إلي الحاجة إلي تعلم اللغة اليونانية القديمة هذا فضلاً عن لغات قديمة أخرى بالإضافة إلي اللغات الأوربية الحديثة و قدمت هذه المحاولة و هذه المساهمة الى المكتبه العربيه و صدرت الطبعة الأولى منها و لكن اعتراها عيوب الأخطاء المطبعية فقمت بتصويبها في هذه الطبعة هذا فضلاً عن تنقيح بعض الفصول بمادة جديدة في ضوء الدراسات الحديثة بالإضافة إلي إضافة جانب من فصل عن تاريخ أثينا منذ نشأتها الباكرة و حتى إصلاحات و تشريعات دراكون و آمل في الطبعة التالية إكمال هذا الفصل هذا فضلاً عن موضوعات أخرى .

و الله ولي التوفيق ،،،،،

٢٠٠٤ المـــــؤلـــــف

د.إبراهيم الجندي

تمهيد

عندما ندرس التاريخ اليوناني فإننا لاندرس تاريخ دولة واحدة تشمل كل بلاد اليونان وإنما ندرس تاريخ دويلات أو مدن دول عديدة في العالم اليوناني ، قد عرف بعضها الوحدة المؤقتة في القرن الثالث عشر ق.م ولكنها كانت وحدة مفككة وهشة تحت قيادة الملك أجا ممنون ، وأنه لأدق أن نقول أنه حلف بين ممالك العالم الموكيني نشأ لظروف معينة سنذكرها فيما بعد . وإذا كانت بعض المدن الدول قد بذلت محاولات لتحقيق الوحدة بين اليونان فإن محاولاتها قد باءت بالفشل الذريع ، ولم يتيسر لليونانيين الاتحاد مرة أخرى حتى نجح فيليب المقدوني في توحيدهم وضمهم عنوة لمملكة مقدونيا ثم قادهم ابنه الإسكندر الأكبر في القضاء على الإمبراطورية الفارسية ، وإن كانت بلاد اليونان قد تفككت عرى وحدتها بعد موت الإسكندر ، وتكونت بها أحلاف يصارع بعضها بعضا حتى نجحت روما في توحيدها وضمها للجمهورية الرومانية سنة ١٤٦ ق.م.

ويتبادر إلى ذهن الدارس السؤال التالي : لماذا لم تعرف بلاد اليونان الوحدة السياسية بين أقاليمها لفترة طويلة من الزمن ؟

نقول إن الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان ولظروف تاريخية بعينها قد فرضت على المناطق المختلفة من بلاد اليونان الانعزالية والانفصالية عن بعضها البعض ، فقد اقتضت تلك الطبيعة أن يعيش الناس في وديان يفصلها عن بعضها البعض الجبال من جهة والبحار من جهة أخرى ، أو نجاد لها قليل من المنافذ على العالم الخارجي أو في جزيرة كانت تتمتع بالاستقلال ، ولما كانت تلك الأصقاع منفصلة بعضها عن بعض ، متكاملة بذاتها ومحصنة ضد أية سيطرة خارجية فإن كل منطقة منها طورت لها حياة وعادات خاصة بها واعتداد بالنفس له طابعه المحلي وأمام هذه الأمور التى صارت متأصلة في حياة الناس والجماعات ، فقد تكونت مئات المدن الدول ، لكل منها قانونها الخاص بها ودستورها الخاص وحكومتها الخاصة وشخصيتها المحلية المستقلة وقد كان هذا كافيا دون اندماج دويلة في دويلة أخرى، ولعل هذه الدويلات كانت بين الفينة والفينة تقع تحت سلطان جيران ذوي

بأس شديد أو ترغم على الاتحاد قسرا مع بعضها البعض ، ولكنها كانت تبقى على قدر من استقلالها وكثير من مؤسساتها السياسية والتنفيذية ، وفي ضوء هذا فإننا سندرس السمات العامـــة والمشـــتركة بين المدن الدول ، وإن كنا سنركز حديثنا على مدينتين اعترفت الدول المـــدن اليونانـــية المعاصرة لهما بأهميتهما في العصر الكلاسيكي وهما مدينة أثينا ومدينة اســـبرطة . فعندما يتكلم أغلب الناس هذه الأيام عن بلاد اليونان فإنهم يخصـــــون بالعناية أثيـــنا وربمــــا اســـبرطة لأننا نعرف الكثير عنهما ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فكل من المدينتيـــن قد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية تختلف عن تلك التى مرت بها الأخـــرى كـــل وفق ظروفها الخاصة . لقد مرت أثينا بتطورات متتالية في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابتداءً من العصر العتيق انتهاءً بالعصر الكلاسيكي ، إذ نجدها قد مرت بكل أشكال نظم الحكم من ملكية إلي أوليجرخية إلى أرستقراطية إلى تيموقراطية ، إلي حكم الطغاة ، إلي ديمقراطية وأخيراً إلي ديماجوجية .

أمـــا عـــن اســـبرطة فقـــد ظلت تحت الحكم الملكي المحافظ مع تعديلات في هياكلها التنفيذية والدستورية بما يتلاءم مع ظروفها وأحوالها ، بحيث نجد أنفسنا أمام نظم متداخلة مع بعضها البعض – ملكية ، أوليجرخية ، أرستقراطية ، ديمقراطية – من هنا تأتي أهمية دراسة المدينتين . وجدير بالتنويه أن المدن الدول اليونانية الأخرى قد طبقت كل منها النظم الـــتى تلائمهـــا فكانت تغيرها وتعدلها وتطورها وفقا لظروفها ، وإذا ما نظر المرء لخريطة بلاد اليونان السياسية سيجد كل النظم السالفة الذكر متعاصرة مع بعضها البعض فبينما نجد دولـــة حكومـــتها ملكـــية نجد أخرى أوليجرخية أو أرستقراطية أو تيموقراطية ...إلخ وإذا وجدت نظم الحكم واحدة في أكثر من مدينة دولة فإننا نجد اختلافات في الدساتير والسلطات التنفيذية وقوانينها ... إلخ .

يُعـــرف المؤرخون المحدثون تاريخ هذا الشعب بتعريفات هى تاريخ اليونان وتاريخ الإغـــريق والـــتاريخ الهليـــنى ، فـــأى التعريفات أقرب إلى الدقة والحقيقة ؟ أهو (التاريخ اليونانـــى) أم (الـــتاريخ الإغريقي) أم (التاريخ الهليني) ؟ وما التسمية التى سمى بها اهل البلاد أنفسهم ؟

لـــم تُعرف بلاد اليونان بأى تسمية من هذه التسميات في عصورها السحيقة ، وأول مصـــدر أدبي يطالعنا بأسماء لهذا الشعب هو الشاعر الملحمي هوميروس ، والذي قدم لنا خمس تسميات لشعبه ، و نلاحظ أن ثلاثاً منها لا تشمل كل بلاد اليونان بل تشمل على إقليم منها فقط و هذه التسميات على النحو التالي :-

أولا:- الآخيون (Achaeoi) نسبة إلى منطقة في إقليم تساليا عرفت باسم آخيا (Achaia) أو إفثيا (Phthia) أو آخيايا إفثيوتيس (Achaia Phthiotes) ، وهذه التسمية أكثر تســميات الأربعــة شيوعاً إذ ترينا النصوص الوثائقية أنها عرفت طريقها للشعوب المجــاورة مـــع تحويـــرها وفقـــا للسان كل أمة ، إذ أسماهم الحيثيون الأحياوين أو الأهياويـــن (Ahhawoi) ، وقـــد ورد ذكر هذه التسمية في عشرين لوحا تم العثور عليها في بوغاز كوي (Boghaz Kaui)، ويرى العلماء أن هذه التسمية هي طريقة الحيثييـــن فـــي كتابة (الآخيين) (Akhaiwoi) الذين كانوا شعبا له السيادة في بلاد الـــيونان . كمـــا نجـــد أن المصريين في نصوصهم قد أطلقوا عليهم تسمية الأكيوشا (Akawosha) أو الأكـــوش (Ekwesh) وقد حاول بعض العلماء مساواتهم بالآخيين الســـالفي الذكـــر في الألواح الحيثية ، وفي الواقع فإن تاريخ هذه التسميات أقدم من رواية هوميروس .

ثانـــيا :- الأرجـــيون نسبة إلى مدينة أرجوس ، وهي إحدى مدن إقليم أرجوليس في شبه جزيرة البلوبونيز ، وإن كان يطلق عليهم أحيانا الداناتيين نسبة إلى شخص دناؤس ، وقـــد وردت هـــذه التســـمية مع تحوير في النصوص المصرية وهي (Denyen) وسوف نتحدث عنهم فيما بعد .

ثالـــثا :- يطلـــق إسم هيلاس (Hellas) على المنطقة الواقعة حول خليج ماليا عند الحدود الفاصلة بين وسط بلاد اليونان وشمالها .

رابعا :- يذكر مرة واحدة الباتهلينيين (Panhellenes) وهذا المصطلح يعني اتحاد الهلينيين ، ومنذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد فقد أطلقت تسمية الهلينيين على كل شعب تلك

البلاد ، وقد استخدم هذه التسمية الشاعران أرخيلوخوس وهيسيود ، ومنذ هذا التاريخ وربما قبله أصبح أهل تلك البلاد يطلقون على أنفسهم هلينيين ويفخرون بأنهم هيلينيون . ويشير بعض الكتاب القدامى إلى أن تسمية (Hellenes) مأخوذة من اسم شخص هو هيلين بن ديوكالون، جد اليونان الأكبر جميعا في روايتهم الأسطورية ، بيد أن البعض الآخر يرى أن هذا تأويل اجتهادي يهدف إلى تأكيد أن اليونان أمة واحدة منحدرة من عرق واحد ، وأن أصل الاشتقاق من اسم قبيلة هيلوس التى كانت تشرف على أقدم معابد زيوس في دودانا ، ولاندري لماذا فضل كتاب اليونان القدامى استخدام اسم الهلنيين على استخدام الآخيين (Achaeoi) .

خامساً : أورد هوميروس تعبير الياؤنيين مرة واحدة وإن كان البعض يظن أن هذا الاسم مقحم على البيت الوارد فيه ، ولكن فى ضوء ذكره فى رقم المجموعة الخطية الثانية ، فمن الراجح أنه من النص الأصلى في البيت وليس مقحماً عليه .

أما عن اسم الإغريق (Graeci) فهو اسم أضفاه الرومان والشعوب الإيطالية عليهم واشتهروا به بعد ذلك في كل أوربا ، وهذا الاسم يعد نسبة إلى جماعة (Graioi) وكانت تقطن في إقليم بويوتيا ببلاد اليونان الأم ، وهذه الجماعة كانت قد شاركت في تأسيس مدينة كيمي (Kume) على الساحل الغربي لإيطاليا ، وهى من أقدم المستعمرات اليونانية هناك (٧٥٠ – ٧٢٥ ق.م) ، ولم يلبث الرومان أن أطلقوا على جميع سكان تلك المستوطنة والمستوطنات الأخرى بجنوب إيطاليا وصقلية اسم بلاد اليونان العظمى (Magnma Graecia) ومن اللفظة اللاتينية جاءت تسميات اليونان في اللغة الأوربية الحديثة مثل (Greeks) في الانجليزية و(Grecs) في الفرنسية و (Griechisch) في الألمانية ...إلخ .

أما عن لفظة يونان فهي تحوير للفظ (أيونيين) (Iones) وكان الأيونيون يعرفون في اللغة اليونانية العتيقة باسم ياؤنيين (Iaones) فقد وردت في ألواح المجموعة الخطية الثانية (linear B) (Ia-wo-ne) و كما سبق أن ذكرنا فإنه قد ورد هذا الاسم عند هوميروس.

وكـــان الأيونـــيون أول هلينيـــن احتكت بهم الممالك الشرقية المجاورة ، فقد أطلقت شعوب هذه الممالك اسم ياونيين مع تحوير يتفق وطبيعة لسان ولغة كل أمة من هذه الأمم ، وصار ينطق تارة يفاني (Yavani) كما ورد ذكرهم في التوراة وأسماهم الأشوريين ياوان (Yawan) و يامان (Yamán) وأسماهم الفرس يافانا (Yavana) والمصريون قد أسموهم ، فـــي الخــط الديموطـــي ، وين (Wynn) ، ولعل الاسم المحور (يونان) قد ظهر أولا في قـــبرص صاحبة الصلات الوثيقة مع أوجاريت (رأس شمرة) على الساحل السوري ، وكانت أسبق من مدن أيونيا ذاتها في إقامة صلات مع هذه المنطقة .

ممـــا سبق عرضه نجد أن أكثر من تسمية أطلقت على هذا الشعب بفروعه ومناطقه الجغرافية ، وأدق هذه التسميات هي الهلينيون لأن كتاب هذا الشعب ومفكريه قد استعملوها للدلالة على الشعب كله ، اما تسمية يونان ، وإغريق فقد أطلقتها أمم أخرى على فروع هذا الشـــعب وعممت التسمية على كل الشعب اليوناني . وعلى الرغم من الأصالة الظاهرة في لفـــظ هلينـــي فإنه الأقل شيوعا في لغتنا العربية ، أما لفظ يوناني فهو الاسم المستخدم عند الأكثرية من العرب وبه نأخذ في هذه الدراسة .

التأثيرات المتبادلة بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية القديمة

أن التاريخ والحضارة اليونانية لهما أهمية قصوى للدارسين والمفكرين العرب نظرا للتأثير والتأثر بين حضارتنا القديمة والحضارة اليونانية ، إذ كانت هناك علاقات مباشرة بين بعض مواطن الحضارة في الوطن العربي وبين حضارة العالم اليوناني، ومن هذه المواطن نذكر مراكز الحضارة على الساحل السوري ، ومراكز الحضارة في بلاد الرافدين ، وحضارة وادى النيل ، وأخيرا العلاقات اليونانية القرطاجية في غرب البحر المتوسط .

وقد بدأت العلاقات اليونانية المباشرة مع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي في العصر الهلينستي وإن كانت قد وجدت قبل ذلك على نطاق ضيق وبصورة غير مباشرة ، كما نجد أن اليونان أقاموا علاقات مباشرة مع الدولة الفارسية ، وهذه الحضارات المختلفة أثرت في الحضارة اليونانية وتأثرت بها واستمر الانصهار الحضاري بين تلك الحضارات بل زادت قوته في العصر الهلينستي والعصر الروماني إلى أن أتى الفتح العربي وانتشر الإسلام الذى رفع لواء وراية الحضارة عاليا خفاقا بعد أن استوعبها وهضمها وأضاف إليها ، وصارت معارفنا وعلومنا العربية هدف طالبي العلم من بقاع شتى . وقد دار جدل بين الباحثين من الأسبق في التأثير في الآخر ؟

يرى نفر من الباحثين (مؤرخين ، فلاسفة ، أدباء) أصحاب نظرية المركزية الغربية قدماء و محدثين ، ان الحضارة اليونانية كانت فريدة في ذاتها أصيلة في نشأتها ، بل نطلقوا عليها المعجزة اليونانية التى يتضاءل إلى جانبها ما قدمته حضارات الشرق القديم جميعها ، إذ يقول المؤرخ كتيو : بينما كانت حضارات الشرق التى سبقت حضارة اليونان ذات كفاية بالغة في الأمور العملية ، وكانت أحيانا لا تقل في فنها عن اليونان إلا أنها كانت جدباء من الناحية العقلية ، لقد مارس ملايين الناس الحياة وخبروها قبل اليونان فماذا فعلوا بها ؟ لا شئ لقد ماتت خبرة كل جيل بانتهائه . إن اليونان هم الذين ابتكروا الأدب بكل صوره – ما عدا القصة – وأوصلوه إلى حد الكمال ، إن شعر الملاحم والتاريخ

والمســرحية والفلســفة بكــل فروعها بما في ذلك ما بعد الطبيعة ، والاقتصاد والرياضيات وكثير من العلوم الطبيعية كلها تبدأ باليونان [1] .

ويقــول برتراند راسل "إنه لمن المدهش حقا ذلك الظهور المفاجئ للحضارة في بلاد الــيونان ، فكثير من مقومات هذه الحضارة كان قائما منذ آلاف السنين في مصر ، أو بلاد الرافديــن ، ثــم تنتشر في البلاد المجاورة ، لكن عناصر ظلت تنقص تلك الحضارات حتى زودها بها اليونان ، إن ما ابتكروه في الفن والأدب يعد شيئا عاديا ، أما في المجال العقلي فشــئ غير عادي ، لقد ابتكروا الرياضيات والعلم والفلسفة ،وهم أول من كتبوا التاريخ لا كمجــرد حولــيات . بــل تأملوا بحرية فكر في طبيعة العالم ونهاية الحياة دون أن يتقيدوا بســلطة موروثة ، فما حدث كان مثيرا للدهشة وحتى العصر الحديث لازال هناك من يتحدث عن العبقرية اليونانية كما لو كانت معجزة"[2].

وينكــر الشــاعر شيلي أن الفترة الواقعة بين مولد بيركليس وموت أرسطو تعد بلا شــك اهم فترة في تاريخ العالم كله ، سواء نظرنا إليها من حيث هي في ذاتها أم من حيث أثرها في مصائر الإنسان المتحضر [3].

ويضيف ول ديورنت قائلا ومؤكدا على فضل اليونان على الحضارة الغربية المعاصرة : "إنــنا لا نكاد نجد شيئا في ثقافتنا الدنيوية – اللهم إلا آلاتنا – لسنا مدينين به لليونان ، فالألفــاظ الإنجليزية الدالة على المدارس والملاعب والحساب والهندسة والتاريخ والبلاغة وعلــوم الطبــيعة والأحــياء والتشريح والفلسفة والدين كل هذه الألفاظ يونانية لصور من الــثقافة لــم ننشــئها نحن إنشاء بل نضجت وترعرعت – خيرا كان ذلك أم شرا – بفضل الحضارة اليونانية العظيمة "[4].

---

(١) كيتو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرازق يسري ، القاهرة ، ص ٣-٤ .

(٢) I.B Russell , History of western phliosophy , p 21 .

(٣) ول . ديورنت ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، ص٦ .

(٤) نفسة ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١-٢ .

ويســأل تومــاس هيث نفسه قائلا : ما هو الاستعداد الخاص الذى توفر عند اليونان للرياضيات ؟ ويبادر دون تردد في الإجابة على سؤاله قائلا : إن عبقريتهم في الرياضيات ، لم تكن سوى جانب من عبقريتهم في الفلسفة ، فقد فاق اليونان كافة الأمم القديمة في شدة حبهم للمعرفة من أجل المعرفة ذاتها ، يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى أكثر أهمية من شغفهم بالمعرفة وهي أن اليونان كانوا قوما مفكرين[1].

ويقــرر المؤرخ أرنول ريمون (Arinold Rymod) : إذا ما قورن العلم اليوناني بالمعــرفة التجريبــية والجزئــية التى جمعها أقوام الشرق قاطبة بعد جهود شاقة استغرقت قــرون طويلة ، فإنه يعد معجزة حقة . هنا أدرك العقل البشري لأول مرة إمكان وضع عدد محــدود من القواعد التى يمكن أن يستخلص منها عدد من الحقائق التى تعتبر نتائج قاطعة لها [2].

نكــتفى بهذا القدر من الآراء التى تعبر عن نماذج للمبالغة الكبيرة في تعظيم وإعلاء شــأن الحضارة اليونانية مع غيرها من حضارات ، ولعل السبب في ذلك أنها الحضارة الأم بالنســبة للحضــارة الغربــية الحديثة ، ولكن مع ذلك فإن الكثيرين ممن تعصبوا للحضارة اليونانــية في مقارنتهم لها بالحضارة الشرقية قد أقروا بما قدمه الشرق من فكر وحضارة للإنســانية . إذا كان هناك نفر من الباحثين قد بالغ في قيمة الحضارة اليونانية ، فإن لدينا نفــرا آخر من الباحثين المحدثين نظر بموضوعية لتلك الحضارة وأرجع الكثير من أصولها إلى أصحاب الفضل من أمم وحضارات الشرق القديم وهؤلاء على حق فيما فعلوه ، وينبغي أن نــنوه إلــى أن هــذا الــنفر قد اعتمد على كتابات كتاب العصور اليونانية و الهلنيسنية والرومانــية الذيــن شــهدوا بما نقله اليونان من تراث وحضارة الشرق وأقروا بفضل تلك الحضــارات ، وســنحاول في عرضنا الآتي أن نبين ما أثبته الكتاب المفكرون القدامى من فضــل الشرق وما نهله اليونان الأقدمون من علومها ومعارفها . إذ تذكر لنا الروايات عن الزيارات التى قام بها كبار المفكرين اليونانيين لمراكز الحضارة في الشرق ومن بين هؤلاء

(1) T. Heath , Greek Mathemirics . Oxford . 1921 , vol , pp. 3-6 .

(2) بنيامين فارنين : العلم الإغريقي . ترجمة أحمد شكري سالم ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٧ .

طالـــيس ، و فيـــثاغورس ، و صـــولون ، و أفلاطون ، و ديموقريطس ، وهيرودوت ، و يودكسوس ، و لوكورجوس ..إلخ .

فقـــد رحل طاليس إلى مصر حيث اجتذب اهتمامه الآراء الفلكية والرياضة بها فتعلم هناك دورة الكسوف المتعاقبة وتعلم أيضا طائفة من الحقائق الهندسية التى اعتمد عليها في صـــياغة فكره الهندسي وكما يقال فقد استفاد من النظرية المصرية عن أصل الوجود وهي الماء في صياغة نظريته عن أن الماء هو أصل كل شئ .

وقـــد روى كل من أرستوكسينوس التارنتي ويامبليخوس أن فيثاغورس قد رحل إلى ملطية حيث عرفه طاليس وأدرك عبقريته وعلمه كل ما يعرفه ثم زار بعد ذلك فينيقيا ، حيث مكـــث بها زمنا يكفي لأن يتعلم طقوس السوريين وهناك قويت رغبته في الرحيل إلى مصر التى كانت تعد حينذاك مهد التعاليم المضنون بها ، فانتقل إليها ومكث بها مالا يقل عن اثني عشر عاما يدرس الهندسة والفلك والأسرار الكهنوتية ، وبعد أن غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م رحـــل ومعـــه فيثاغورس إلى بابل وأنفق هناك اثني عشر عاما أخرى يدرس الحساب والموســـيقى وتعالـــيم أخرى للمجوس ثم عاد إلى ساموس وهو في الخامسة والستين من العمر.

ويقـــول بلوتارخ وبعد أن سن صولون تشريعاته واعتزل العمل السياسي ورحل إلى الشـــرق فاتجـــه إلى مصر حيث أقام كما يقال زمنا طويلا على ناحية من النيل بالقرب من شاطئ كانوب وكان يكثر في المحادثات الفلسفية مع تساتوفينس من عين شمس وسونيس الصـــاوي أكـــبر علمـــاء الكهـــنة ، كما نجد في رواية افلاطون والتى أوردها في محاورته تيمايوس حديثا دار بين صولون وكاهن مصري أدركته السن العالية ، قال كاهن صا الحجر (sais) : يا صولون أنتم معشر اليونان لاتزالون أبد الدهر أطفالا ، لا وجود لشيخ يوناني ، فلمـــا ســـمع صولون هذا قال ماذا تعني بقولك هذا ؟ فأجاب الكاهن أن روح كل منكم روح شـــابة ، إذ ليس في قلوبكم معتقد واحد قديم أو مستمر من تقليد قديم ، بل ليس لديكم علم

ولحد عريق القدم . ولخذ يشرح له بلطف ووداعة ما يتحلى به المجتمع المصري من مزايا جميلة ، ويفسر له تشعب المجتمع المصري إلى طوائف ونحو ذلك ، فدهش صولون [١].

أمـــا عـــن أفلاطون فقد ارتحل إلى مصر على شكل تاجر معه شحنة من الزيت الذى اســتخرجه من زيتون ضيعته . وهنا في مصر باع ما كان معه في مدينة نقراطيس ، وقد ورد فـــي معـــرض محاوراته ذكر مصر وما كان يكنه لها من تقدير واحترام ، ففي محاورة فـــيدروس يقـــول ســـقراط : سمعت أنه كان في نوقراطيس من أرض مصر إله من الآلهة القدمـــاء في تلك البلاد ، وهو الذى كان طائره المقدس يسمى أيبس واسم ذلك الإله نفسه تحوت هو الذى اخترع الأعداد والحساب والهندسة والفلك والرسم واللعب بفصوص النرد ، واهم من ذلك كله أنه هو الذى اخترع رموز الكتابة ويذكر أن الإله تحوت قال لملك مصر : إن هذا الإختراع ، أيها الملك سيؤتي المصريون من الحكمة فوق ما لهم ، وسيجعل ذاكرتهم خـــيرا ممـــا هـــي عليه ، لأن الذى اخترعته أكسير الذاكرة والحكمة ولكن لم يقتنع بذلك ، وخشي أن يؤدي اختراع الكتابة إلى إفساد الذاكرة بدلا من أن يؤدي إلى تقدمها ، كما أشفق مـــن أن يقـــرأ الـــناس مـــن غـــير أن يعقلوا ما يقرأون [٢] ، كما أنه قد ذكرها في محاورة تـــيمايوس التى سبق أن ذكرناها عند الحديث عن صولون ، ويذكر هنا فيها أيضا أن أثينا أسســـها كـــيكروبس[٣] المصري من سايس في غرب الدلتا ويقر أن نيت إلهة المدينة هي نفسها أثينا [٤]. وفي مكان آخر نجده يمتدح الفن المصري والموسيقى ويذكر أن الإغريق قد تبـــنوا هذه الفنون [٥]. وفي الإبينيموس نجده يقول : للعدد أهمية بالغة ، وأبلغ ما تكون في الحركات المنتظمة للأجرام السماوية من نجوم وشمس وقمر وكواكب والمجسمات المنتظمة

---

(١) Timaios ; 55-56 .

(٢) Phaidras iv 274 D .

(٣) انظر عبد المعطى شعراوى ، ص٢٠ .

(٤) Herd . II 21, 62 ,Temaios 21 E , Bernal , Plack , Athena , 1987 , pp . 78-90 .

(٥) Davis , plrto in Egypt , JEA , 1979, pp. 121-127 .

أعـدال العناصر الخمسة ، والعنصر الخامس هو الأثير ، والروح أقدم من الجسد وأكثر منه قدسـية ، والـنظام عدل العقل، والفوضى عدل اللاعقل والنظام الأعظم للحركات السماوية يمثل العقل الأسمى ، والكواكب أرباب لا محالة ، لقد عرف هذا المصريون والسريان (يعني البابليين) مـن آلاف السـنين ، وعلينا أن نتقبل معلوماتهم وديانتهم بعد تهذيبها ، مع الإبقـاء على ما يليق بالأرباب الأقدمين من الحرمة تمشيا مع التقاليد وجلالها . ويجب أن تكون عبادة الأجرام السماوية وهي الأرباب المرئية ديانة الدولة وهذه الديانة تمد الإغريق بفكرة الوحدانية فضلا عن إمدادهم برابطة شاملة غير مادية[1].

وفـي الواقـع فقـد تأثـر أفلاطون بالفكر الشرقي في محاوراته فقد شكك معاصرو أفلاطـون فـي أن جمهوريـته تستند إلى أصل مصري وأنه ليس مؤلفها وإنما نسخها من الدسـاتير المصرية وسار على هذا الرأي نفر من الباحثين المحدثين إذ يقول كارل ماركس إن جمهورية أفلاطون فيما يخص تقسيم العمل كمكون أساسي للدولة هو فقط نموذج أثيني للنظام المصري.

والمطـالع للجمهوريـة سيجد أن أفلاطون تأثر واستعار أفكاراً شرقية ، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تلامذته ومحبيه المجوس والكلدانيين فذكره للأسطورة إر Er البامفيلية ترجع إلى أصل كلداني إيراني [2].

وأسـطورة ولادة الأرض للناس تعد في النص نوع من القصص الفينيقي وشأنها في ذلـك شـأن رواية كرلوس[3] . كما أن آراءه المثنوية وهي (المثل الكامنة) في محاوراته الأخـيرة قد تكون مستقاه من الديانة الإيرانية فقد ورد اسم زرادشت المجوسي في محاورة

(١) سارتون ، نفسه ، ج٣ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٢) Republic , x 616 .

(٣) Republic , III , 4 .

الكبــيادبس[١] ، ويرى البعض أن هناك وجوه شبه كثيرة بين الفلسفة الأفلاطونية من ناحية وفلسفة السامكايا (Samakhya) وفيدانتا (Vedanta) الهندية[٢] .

ويقــول ديموقراتيس الأبادري لقد طفت معظم أرض كل ملك من الملوك في زماني ، باحــثا أقصــى الأنحاء ، ورأيت معظم الأجواء والبلاد ، وسمعت من العلماء الكثيرين ، ولم يفقن أحد فيما كتبت ، ولم يفقن في بيان البراهين أحد حتى المصريون الذين يسمون مادي الحــبال وهــم الذيــن عشت معهم جميعا غريبا حتى بلغت الثمانين[٣]. و نستخلص من هذا القول أنه يقر بسمو الفكر و الحضارة الشرقية .

وممــن رحلوا أيضا إلى مصر والشرق هيرودوت الذي أفرد لها كتابا من مؤلفه عن الحــروب الفارسية إذ نجده يشرح فيه انتقال العلوم والمعارف المصرية إلى بلاد اليونان ، فعــندما يتحدث عن اختراع علم الهندسة وانتقاله إلى بلاد اليونان نجده يقــول : ثم إن هذا الملــك (علــى مــا قيل) قسم البلاد بين المصريين جميعا بأن أعطى كل واحد منهم قطعة مربعة من الأرض تساوي ما أعطاه للآخر ، وجعل ذلك مصدر دخله ، بأن حدد ضريبة تدفع كــل علم وكان إذا طغى فيضان النهر وغمر جزءً من أرض أحدهم ذهب إلى سيزوستريس وأخــبره بمــا أصابه ، فيبعث الملك رجالاً ليروا الأرض ويقسموا المساحة التي نقصت كي

---

(١) Alcibiades , I , 121A-122A .

(٢) R. Reilzenstien H.H schaeder , studien zum antiken synkretismus aus Ilan , lips 1926 p 235 , Jaseph Bidez & Franz Cumont , les mages hellenises , Paris , 1938 , Simon Petrement , le dualisme chez Platon , les Gnvoltques et les Manicheens , Paris , 1947 . pp. 354 , Franz Cumont , dux Perpetua , Paris , 1949 , pp. 558 .

(٣) T. Heath , Op. cit , p. 122 .

فــي الواقع أنه كان من أسرة ميسورة الحال فبعد وفاة والده قرر أن ينفق تركته الضخمة على البحث والدراســة فــي الخارج . ولم يكن هذا بدعا في اليونان ، فقد سبقه في هذا فلاسفة وشعراء وأطباء ، فمــنهم من طاف في بلاد اليونان والمناطق الناطقة باليونانية ، ومنهم من جذبه سحر الشرق وأسراره فقــرروا السـفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة فيه ، ومن بين هؤلاء كان ديموكريتس الذى سافر إلى مصــر واستقر بها خمس سنوات يدرس الرياضيات وبلغ مروى ، ثم بعد ذلك سافر إلى بلاد الكلدان ووصــل إلى بابل ومنها إلى فارس ولعله وصل إلى الهند ولم يكن في ترحاله وتجواله سائحا متفرجا ولا تاجرا ، إنما كان طالب علم وفيلسوف باحث عن الحكمة والمعرفة .

تدفع الضريبة المحددة على قدر ما أصاب صاحب الأرض من خسارة .. ومن هنا أرى أن اليونان تعلموا فن تقدير مساحة الأرض ، أما الساعة الشمسية والمزولة وقسمة النهار إلى اثنى عشر قسما فجاءت اليونان من بابل لا من مصر[1].

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبابل في مجال الهندسة والفلك فإنه فيما يضيف ما قدمته مصر من فضل لليونان في مجال الديانة ، فيذكر أن بنات دناوس قد قمن بتأسيس معبد للآلهة أثينا في لندوس بجزيرة رودس وكان ذلك أثناء هروبهن من أبناء عمهن أيجبتوس[2]. وفي موضع آخر يقرر أن بنات دناوس قد أدخلن الاحتفالات والشعائر السرية للإلهة ديميتر ، وهذه الشعائر قد جلبنها من مصر ، وعلمن نساء البلاسجين إياها[3]، ويضيف في مقام آخر أنه لدينا فكرة عن أن ميلامبوس (Melampous) قد أدخل عبادة ديونيسوس إلى بلاد اليونان مع الأضاحى لتكريمه ، وهذا من ضمن أشياء كان قد تعلمها في مصر . ويضيف قائلا إن أسماء الآلهة كلها أتت من مصر وتم اقتباسها من قبل اليونانيين فيقول : أنه تم إخباري في دودنا أن البلاسيجيين قد قدموا القرابين من كل نوع وابتهلوا للآلهة ولكن دون تمييز للاسم أو اللقب لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بمثل هذه الأمور . فقد سموا الآلهة (Theoi) (المخلصين) وبعد فترة طويلة فقد أتت أسماء الآلهة إلى بلاد اليونان من مصر . وأن البلاسيجيين قد تعلموها ، ثم بمرور الوقت أرسلوا إلى دودنا يسألون النصيحة حول ملائمة تبني الأسماء التى أتت إلى الوطن من الخارج وكانت إجابة النبوءة أنه من المناسب استخدامها . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا فقد استخدم البلاسيجيون أسماء الآلهة عند تقديمهم للأضاحي ، ومن البلاسيجيين انتقلت أسماء الآلهة إلى الإغريق[4]. وفي موضع آخر يذكر أن هناك أصولا مصرية وليبية لنبوءة دودنا في

---

(1) Herd , II , 109 .

(2) Herd , II , 182 .

(3) Herd , II , 171 .

(4) Herd , II , 49-52 .

إيــبروس Iperus، ويعتمد في هذا على تقارير الكاهنات هناك والكهنة المصريين في طيبة المدينة المصرية [١].

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبلاد الرافدين فإنه يذكر فضل الفينيقيين على اليونان إذ يقــرر أن كــادموس بن إجينور قد نزل فيها (ثيرا) عندما كان يبحث عن أوربا [٢]، وأن الفينيقيين الذين أتوا مع كادموس أدخلوا إلى بلاد اليونان بعد استقرارهم في هذا البلد عدداً من الأمور أهمها الأبجدية الفينيقية ، وهذا الفن الذى لم يكن معروفاً حتى هذا الزمان [٣].

وممــن زاروا مصــر أيضا يودكسوس الكندي وهو من تلامذة أفلاطون ، مع الطبيب خريسبوس الكندي حاملا خطاب توصية من الملك أجسيلاوس إلى الفرعون نتحتانابيس (نحــت-حار-حبي) أول ملوك الأسرة السمنودية (٣٧٨-٣٥٠) وأوصى هذا الفرعون الكهــنة بــه (وهم أرباب العلم في مصر) وبقي في مصر ستة عشر شهرا تعود فيها على عــادات المصريين مضيفيه فحلق لحيته وحاجبيه ، ويذكر فافورنيوس (من عهد هادريان ١١٧-١١٨) أنه حينما كان يودكسوس في مصر مع خونوفيس وهو من عين شمس لحس العجــل أبــيس عــباءته فتنبأ له الكهنة ببعد الصيت وبأنه لن يعمر طويلا ، وكان قد درس الفلك الفيثاغوري والأفلاطوني والمصري ويقال أنه أقام مرصدا في مصر بين هليوبوليس وكركيسورا على النيل وظل مرصده هذا حتى عهد الإمبراطور أغسطس[٤] .

ومــن بيــن مــن ذكــروا فضل مصر الخطيب أيسوكرتيس إذ نجده يقول في الزمن الماضي كثير من الأجانب سيئو الحظ في بلادهم ، يفترض أنهم حكموا المدن اليونانية ومن هؤلاء دناؤس ، المنفي من مصر ، تولى ملك أرجوس ، وكادموس قد صار ملكا على طيبة [٥]. ويســوق في عمل آخر مدحا عظيما لمصر في شخص ملكها كمشرع ويثني على كمال

---

(١) Herd , II , 55-58 .

(٢) Herd , IV , 147 .

(٣) Herd , V, 50-55 , Diod , III , 61 , I .

(٤) جورج سارتون ، نفسه ، ج٣ ، ص٩٩-١٠٠ .

(٥) Helen , x , 68 .

دستور بوزيريس (Bousiris) ، ويقول إن أرض مصر وشعبها أكثر الأرض مباركة في العالم [١]، ويضيف قائلا إن الفلسفة هي نتاج المصريين ويقرر أن فيثاغورس ، الذى صار تلميذا لديانة هذا الشعب هو أول من أحضر الفلسفة للإغريق [٢]. ويذكر حسب رواية هيردوت أن الإسبرطيين مدينين بدستورهم لمصر ، ويقرر أن الإسبرطيين فشلوا في أن يتموا مبدأ تقسيم العمل ، وأن دستورهم كان يعتريه النقص والقصور ، مقارنة بالدستور المصري ، وأن الفلاسفة الذين ناقشوا الدساتير فضلوا الدستور والنظام المصري [٣].

أما عن أرسطو الذى لم يدرس مع أفلاطون فحسب ، بل درس أيضا مع يودكسوس الكندي السالف الذكر وتأثر كثيرا بهيرودوت ووصفه لمصر ، ومن الواضح أنه قد انبهر بمصر وحضارتها ، وإن كنا نجده في بعض الأحيان قد ركز على قدم وعراقة بلاد الرافدين والحضارة الإيرانية ، إلا أنه في رأيه أن المصريين كانوا أقدم الشعوب [٤].

ويذكر في موضع آخر أن مصر كانت مهد الرياضيات وأن الكهنة اخترعوا فنون الرياضيات (Mathematikai Technai) وعلوم المساحة والحساب والفلك التى كان الإغريق قد بدءوا في معرفتها[٥]. وفي الواقع فإن إعجابه بمصر قد فاق إعجاب هيرودوت في هذا المجال فبينما يعتقد هيردوت أن المصريين قد طوروا علم المساحة مفتاح العلوم لأسباب عملية أى قياس الأرض بعد أن تطمس علامات الحدود بمياه الفيضان السنوية ، فإن أرسطو يؤيد أنها قد نمت وتطورت بشكل نظري عقلي بحت من قبل الكهان[٦].

كما تذكر المصادر أن الشرقيين قد استقروا وأقاموا في بلاد اليونان والجزر ويقرر ثيوكيديديس أن الكاريين والفينيقيين قد استوطنوا أغلب الجزر وأشار إلى الداناثيين

---

(١) Bousiris , 30 .

(٢) Bousiris , 28 .

(٣) Bousiris , 18 .

(٤) Arst , Mebrologika , I 14 , 351b , 28 .

(٥) De caelo , II , 14 , 298a .

(٦) Froidefond , le mirage egyptien dons la litterature grecques d'Homere a Aristote , Paris , 1971 , pp. 347-350 , motc. 61 .

والكادموسيين كاسم قديم لبويوتيا ، ويضيف أن ملوك أرجوس المنحدرين من برسيوس الذى يذكره هيرودوت إما كمصري أو آشوري .

ولدينا أخبار عن زيارة رواد ومفكرين يونان زاروا مصر والشرق ونهلوا من علوم أهل تلك المناطق ومن هؤلاء فركيدس وهيراكليتوس وأناكساجوراس ولوكورجوس واناكسماندر .

بعد أن عرضنا لبعض الأقوال المأثورة للمفكرين والكتاب اليونان حول فضل الشرق على حضاراتهم ننتقل الآن لمناقشة قضية أثارها اليهود حول استفادة اليونان من التراث اليهودي في العصور العتيقة والكلاسيكية .

ونطرح السؤال التالي : هل اقتبس اليونان حضارتهم من الحضارة اليهودية حسب زعم اليهود ومن شايعهم من رجالات الكنيسة ؟

لدينا سلسلة من المزاعم التى ترى أن الحضارة اليهودية هي الأصل والينبوع الذى استمدت منه الحضارة اليونانية ، إذ يزعم أريستو بوليس اليهودي (كان معاصرا للملك بطليموس السادس) في تعليقه باللغة اليونانية على أسفار التوراة الخمسة أن هوميروس ، و هيسيود ، و فيثاغورس ، و أفلاطون و أرسطو قد اقتبسوا الكثير من التراث العبري ، ويزعم لوكيوس كورنيليوس الإسكندر اليهودي بأن الحضارة اليهودية هي أقدم حضارة في العالم وأن أفضل المعارف والعلوم التى كان اليونان يعرفونها مقتبسة عن مصادر يهودية ، ومن مزاعمهم أيضا أن اللغة العبرية هي لغة الإنسان الأولى[1].

وقدساير وعضد آباء الكنيسة هذه الفرية إذ نجد جوستين يحاول ان يقرن أفلاطون بالنبي موسى ، وحاول كلمنت أن يؤكد ويثبت أن العهد القديم أقدم بكثير من نشوء الفلسفة عند اليونان ، وأن فلاسفة اليونان يجب أن يكونوا قد نهلوا من المعين اليهودي ، وفي

---

(١) Sarton , Introduction , vol. 3 , pp.363 , Holger Pedersen , Lingwstic science in nineteenth century , cambridge , 1931, pp. 7-9 ,sleo.
وانظر ايضا سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٥٨.

موضع آخر يقول : (إن أصالة التعليم الخلقي وسموه في العهد القديم أرفع وأنبل مما هي عـند اليونان[١] وتستمر هذه الادعاءات والمزاعم بأصالة الفكر اليهودى وقدمه عند كل من كتاب العصور الوسطى والنهضة الحديثة، ففي الرسالة الحادية والعشرين من رسائل إخوان الصـفا والـتى يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن العاشر نجد أحدهم يسأل خطيبا يونانـيا شديد الزهو والإعجاب بالفلسفة والعلوم اليونانية من أين كل هذه العلوم والحكمة الـتى ذكرتها وافتخرت بها لولا أنكم أخذتم بعضها من بني إسرائيل أيام بطليموس وبعضها مـن علماء أهل مصر[٢]، ونادى بهذا الرأي كاتب عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وهو روجر بايكون إذ يقول إن الحضارة العبرية هي الحضارة الأولى الأصيلة والتى نقل عنها اليونان ، وتزعم روايات يهودية بأن أرسطو قد اقتبس علمه وفلسفته من مصادر يهودية وأن أرسطو حسب هذه الروايات والمزاعم يهودى بالسلالة أو ممن ارتدوا واعتنقوا الدين اليهودى[٣].

وفـي النصف الثاني من القرن الرابع عشر نجد كاتبين يهوديين ، أولهما: منير بن سـليمان الطليطلـي وقـد زعـم بأن العلوم اليونانية عبرية في أصلها ، والثاني: منير بن سليمان القاضي وزعم بأن أرسطو قد حاول في كتابه الأخلاق لنيكوماخوس إيضاح التعاليم الدينية كما وردت في التوراة ، أي أنه اقتبس أفكاره من التوراة [٤].

وإبـان عصـر النهضة استمرت هذه الادعاءات والمزاعم فنجد أحد رجالات الكنيسة يقـول للملك هنري الثامن : (أنا لا أعارض ما جاء في هذه الكتب اليونانية ولا أقف منها موقف العداء مادامت هي مستمدة من العبرية [٥].

---

(١) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٥٩-٦٠ .

(٢) رسائل إخوان الصفا ، تحقيق خير الدين الزركلي ، ج٢ ، ص٢٤٢ .

(٣) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٦٠ . أنظر حاشية ٢٦ .

(٤) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٦٠ .

(٥) Frances Hactet , Henry the VIII (Garden city) , 1931, p.105 .

وحـــاول أتين جيشار في مطلع القرن السابع عشر أن يثبت أن جميع اللغات بما فيها الفرنســية تم اشتقاقها من اللغة العبرية [١]. وفي النصف الثاني من نفس القرن نجد كاتبا يهوديــا هــو زحـــازي بوجـــان (Z. Bogan) قــد ألف كتابا بعنوان "الأمور العبرية عند هومـــيروس" (Homerus Hebraizon) وقــد حاول أن يدلل فيه على أن العلوم والمعارف اليونانية مصدرها الأم هو الحضارة العبرية [٢]، وسار على نفس النهج جايمس ديبورت في كتابه العلوم والمعارف الهومرية ؛ إذ نجده يحاول أن يثبت ويتقصى أوجه الشبه بين الشعر الهومرى والتوراة [٣].

ثم نجد الكاتب جوشوا بارنز (Joshua Barnes) يذهب أبعد من ذلك عندما حاول أن يثبت أن الإلياذة والأوديسة هما من تأليف الملك سليمان [٤] .

وفـــي النصـــف الأول من القرن الثامن عشر نجد باحثا يحاول أن يؤكد في كتابه أن الحضارة العبرية وأن اليهود ، لا المصريين القدماء ، هم بناة الحضارة الأصليين [٥]، وسار على نفس النهج كاتب آخر حاول أن يبرهن على أصالة الحضارة العبرية وعلى أنها مصدر اســتقى منه اليونان ، وقد استخدم الحجج التى كان قد استخدمها من قبله كلمنت السكندري [٦].

وهكــذا نجــد أنفســنا أمام فرية أو زعم تم ترديده لحقبة طويلة من الزمن تمتد من العصــور القديمة (الهلينسنية) حتى العصر الحديث وهذه المزاعم -بأن العلوم والفلسفة

---

(١) E. Guichard , Harmonie etymologique des langues , Paris , 1606 ; louis petit de julleville . Hestoire de la longue Francaise , paris (1896) vol. 5 , p.III .

(٢) Z. Bogan , Homerus Hebraizon , Oxford , 1658

(٣) Gnomologca Homerica , Cambridge , 1660 .

(٤) Martin Lowther Clarke , Greek studies in England , 1700-1830 , Cambridge Univ. , press. 1945 , Isis 57 (1947) p.2 }.

(٥) C. Noblot , L`origine et le progres des arts et sciences , Paris , 1740 , pp.428 .

(٦) S. Spinner, Herkuaft , Entstelung und antihe Umwelt des hebraischen volkes : ein neuer Beitrag zar Geschichte der voulker vorderasiens , Vinna , 1933 , pp. 548; (Isis 24 , 1935 , p. 262) .

اليونانـية عبرية الأصل - تشويه للحقيقة لما يأتي : ١-إن الذين سبقوا اليونان في العلوم والحكمـة والفـنون لم يكونوا يهوداً ، وإنما كانوا من المصريين القدماء وبلاد الرافدين ، وبـلاد الشام . ٢-إذا كان آباء الكنيسة قد عضدوا وناصروا عراقة الحضارة اليهودية فإن ذلك كان بهدف إعلاء شأن المسيحية والحط في نفس الوقت من مكانة الوثنية ما استطاعوا إلـى ذلـك سـبيلا . ٣-إن في هذه المزاعم غلواً وتمادياً إذ تدعي أن التوراة قديمة للغاية وأنها نُقلت قبل هوميروس إلى اللغة اليونانية ومن ثم استطاع الشعراء والفلاسفة والعلماء أن يقـرأوها وهذا شئ في رأينا لم يحدث ويكفي أن ندلل على أن البطالمة استقدموا سبعين مـترجما لـترجمة الـتوراة في عهد بطليموس الثاني، وهذا جهد لم يكن متاحا للحضارات القديمـة في بلاد اليونان قبل هوميروس وحتى بعده بقرون هذا من جهة ومن جهة أخرى فـإن المفكريـن اليونان كانوا يتفاخرون بأنهم درسوا في مصر وبابل ولم يذكروا شيئاً عن الحضـارة اليهودية فلم يكن يعيبهم أن يذكروا فضل اليهود بجوار فضل الشعوب الأخرى . كمـا أنـه فى الوقت الذى كان اليونانى القديم ينسب الفضل لأهله ، فالواقع أن الحضارات الشـرقية كانـت ضـاربة في القدم مقارنة بالحضارة اليهودية . ٤-إن القول بأن الإلياذة والأوديسة من تأليف الملك سليمان مردود عليه فالملك سليمان النبي كان لا يقبل أن يروج للفكر الوثني وأن يعرض لآلهة من الذكور والإناث وصراعها وتآمرها ضد بعضها البعض ! بينما كان هو يدعو للإيمان بالإله الواحد الأحد والبعد عن الآلهة الوثنية .

وفي ضوء ما سبق عرضه نخرج بعدد من الحقائق وهي :-

١- أن الصـلات بين بلاد اليونان وحضارات الشرق القديمة كانت على قدم وساق منذ أقدم الفترات .

٢- أن حضارات الشرق كانت متقدمة في فروع العلم العديدة لدرجة أنها جذبت كبار علماء و مفكري اليونان للسفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة ونقل ما تعلموه واستفادوا منه .

٣- أن الأفكـار الشرقية قد انتقلت إلى بلاد اليونان من خلال رحلات التجارة ، وربما كانت هـناك هجـرات انتقلـت من الشرق واستقرت في بلاد اليونان ولعل أسطورة كادموس

الفينيقـي ، ودنـاؤس وبناته أكبر دليل على ذلك فلم ينكرها الكتاب اليونان (مؤرخون وفلاسفة) بل أكدوها .

٤- أن علوم الشرق لم تكن علوما تجريبية فحسب بل كانت علوما تجريدية أيضا ولعل قول أرسطو خير دليل على ذلك .

قصـارى القول يمكننا أن نقرر أن جل مفكري اليونان القدامى كانوا يعترفون بفضل أمـم الشـرق عليهم ومعرفة حقيقة أنفسهم ، وأن المفكرين المحدثين المتعصبين للحضارة اليونانية لم يروا سواها ، و أنكروا كل فضل للشرق وحضارته عليها ومن ثم فقد شككوا في أقـوال المفكريـن القدماء السالفة الذكر إلا أننا نجد العديد من الدارسين المحدثين أصحاب الـنظرة الموضـوعية والذيـن نسبوا الفضل لأهله فأقروا باستفادة الحضارة اليونانية من حضارات الشرق ومن أمثال هؤلاء هيجل الذى يقول : إن الأصول الأولى للحضارة اليونانية كانت مرتبطة بقدوم الأجانب وكان الإغريق يشعرون تجاههم بشيء من الامتنان فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد ، وصناعة الغزل والنسيج واستئناس الخيل ، بل إن كثـيراً مـن مدنهـم الهامـة قد أسسها أجانب ، فأثينا وهى لفظ غير يوناني قد أسسها مصـري يدعـى كيكروبس (Kekrops) وطيبة أسسها كادموس وهو أمير فينيقي ، ويقول سـارتون : إن أصولاً شرقية كانت منهل الإغريق ولولاها لما كان نبوغهم فيما نبغوا فيه ، وأنه من السذاجة بمكان أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، ذلك أن معجزة الإغريق سـبقتها آلاف الجهـود العلمـية في مصر وبلاد الرافدين وغيرها من الأقاليم ، وأن العلم الإغريقـي كـان إحـياء أكـثر منه اختراعا ، وأن التقدم الإغريقي ما كان مستطاعا بدون الأصول الشرقية .

كمـا يقدم لنا مارتن برنال وجهة نظر شاملة وموثقة في سفره الرائع أثينا السوداء (Black Athens) حول استفادة اليونان من التراث الحضاري الشرقي المصري الفينيقي ، وهـو بذلك يناقض الرأي القائل بأصالة حضارة التراث اليوناني وأن الاستفادة من الشرق وهـم بـاطل ، وأنه يتعين محو نظرة القدماء القائلة أن الأفارقة وسكان الشرق الأدنى هم الذين أدخلوا الحضارة إلى اليونان ، وأن الهوس بالمصريات (Egyptomania) والأجانب

أدى إلـــى وهم وضلال . وقد أثر هذا في اليونانيين العقلاء وغرس فيهم اعتقادا بأن مصر هـــي ركيزة ومحور ثقافتهم . ويعزو الباحث هذا الرأي إلى عنجهية التعصب والفكر القومي والكراهـــية العرقية ضد اليهود ، وأن سبب دراسته هو دحض وتفنيد عزلة أوربا عن بقية العالم وتفوقها عليه ، وهو زعم خاطئ ومضلل تاريخيا وضار وخبيث سياسيا . وقد استخدم بـــرنال كل ما أتيح له من مصادر وثائقية وأدبية ولغوية لدحض هذه المزاعم، وقد بدأ تفنيد مزاعم هذا التيار الفكري الذى يقلل من شأن وأصالة وصدق روايات كتاب اليونان القدامى الذيـــن زاروا الشـــرق بـــأنهم لـــم يكونوا على دراية بلغاته، وانهم لم يستفيدوا من علومه وثقافاتـــه ومعارفه الاستفادة الكاملة . ويرد على هذا الأمر قائلا : حقا إن علماء المصريات المحدثيـــن عليهم أن يقرأوا اللغة المصرية القديمة أفضل من اليونانيين الذين قصدوا مصر إلا أنهم لا يستطيعون أن يقرأوها شأن الرواة المصريين القدماء والمتحدثين بلغة يونانية ، كمـــا أن المؤرخين المحدثين على خلاف اليونان الأقدمين لا يمكنهم أن يستشعروا المجتمع المصـــري القديـــم بصـــورة واقعية وأن يسألوا ويتعاملوا مع المصريين القدماء مباشرة ، يضاف إلى هذا أن هؤلاء الكتاب القدماء قد عاشوا في الفترة من عام ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ م ، وكانوا أقرب للحقبة التى اقتبس فيها اليونان من حضارات الشرق هذا من جهة ، ومن جهـــة أخرى فقد كان متاحا لهم مصادر مادية وهي السجلات التى كتبها مواطنون محليون وأكملتها الوثائق المصرية والفينيقية، وتراث شفاهي تم تناقله عبر الأجيال وبقايا ومخلفات أثـــرية وآثار معمارية قدمت جميعها للمؤرخين اليونان بعد القرن الخامس – معلومات التى تعـــد معلومـــات مهمـــة وكافية عن ماضيهم ، كما أن زيارتهم لمصر وفينيقيا كانت تعطيهم المعلومات التى كانوا تواقين لمعرفتها ، ويقول إن هؤلاء الكتاب قد سروا عندما اهتدوا إلى الجـــذور التاريخـــية العمـــيقة لثقافتهم عبر الحضارتين المصرية والفينيقية على الرغم من نزعتهم العرقية والعنصرية .

وبعـــد هذا التفنيد من قبل برنال في عرض وجهة نظره بصحة ما قاله الأقدمون من مفكـــرى اليونان بشأن الحضارة الشرقية وأثرها في حضارتهم وأن هذا الأثر قد كشفت عنه المصادر الوثائقية والتى تكشف عن عمق وقدم العلاقات بين مصر وحوض بحر إيجه ابتداء

من القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد أي من العصر البرنزي القديم (٣٠٠٠-٢١٠٠ ق.م) وأن المصـــريين كـــانوا على دراية ومعرفة بمنطقة بحر إيجه وبلاد اليونان ، وأن هناك علاقـــات قامت في عهد الدولة الوسطى واستمرت ، وأنه في عصر الهكسوس حدث تحالف بيـــن المصريين وحكام هاو-نبو "Haw-Nbw" (منطقة بحر إيجه) ، ثم توافدت البعثات مـــن تلـــك المنطقة إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما حاول الربط بين ما ذكره ديـــوبوروس بـــأن كـــيكروبس هـــو مؤسس أثينا وأنه قد وفد من مصر وربط بينه وبين سنوسرت الأول إذ أنّ اسمه الأول هو خبر كارع (Kheper-Kare) .

كمـــا نجـــده أيضـــا يحاول الربط بين الروايات المتواترة الخاصة بخروج الهكسوس الســـاميين وبيـــن هجرة الدنائيين إلى اليونان كما يوردها التراث اليوناني، ويقول إن وراء الأسطورة جانباً من الحقيقة أو أنها تحتوي على بذور للحقيقة .

ولم تكن العلاقات اليونانية قاصرة على مصر بل نجد هناك علاقات وثيقة بين الساحل الســـوري وبـــلاد الـــيونان وخاصة أوجاريت وصور ، وأن هذه المناطق كانت على معرفة بـــأحوال مـــنطقة بحـــر إيجه واليونان وهذا ما تكشف عنه الألواح الطينية من المجموعة الخطـــية الثانـــية (Linear B) ، من فترة القرنين الرابع عشر والثالث قبل الميلاد ، التى كتبـــت بلغة يونانية عتيقة والتى تحتوي على الكثير من الكلمات السامية والمصرية ، ومن هـــذه الأسماء إيكو-بيتيجو (Aikupitijo) وميزاريجو (Misarijo) ، كما ورد بها ذكر اسم مديـــنة صـــور (توريجو) (Turijo) وتوريان بمعنى صوري أو من بلدة صور . كما تكشف هـــذه الألـــواح عن تشابه وتماثل مذهل مع الألواح المكتشفة ببلاد الرافدين من حيث نظم الأوزان والعبارات الإدارية التى تعالج كل منها اقتصاداً قصرياً .

ونستخلص مما سبق ذكره أن هناك شعباً وفد من هذه المناطق خلال العصر البرنزي إلـــى منطقة بحر إيجه ، وإن كان لا توجد قرينة تشهد على وجود مستوطنات أو غزو لها ، ويحـــاول أن يستخدم الأدلة والقرائن الأثرية لتوكيد رأيه حول وجود حركة هجرة واستيطان وغـــزو قـــبل الهكسوس في كريت ، وأن المقابر الموكينية كانت مقابر مصريين وفينيقين . واســـتخدم أيضـــا الدليل اللغوي لتأكيد عمق العلاقات بين بلاد اليونان والشرق فيقول : ان

خمسين في المائة من الكلمات الدالة على السلع الترفيهية والمداولات السياسية ليست هندوأوربية ؛ ويرى أن اللغة اليونانية هي أحد الأشكال الناتجة عن احتلال مصري فينيقي ، وأن أغلب الكلمات والعناصر غير الهندوأوربية في اليونانية يمكن تفسيرها أيضا على أساس مصري سامي غربي ، فنجد عدداً من الكلمات الدالة على الترف مثل العاج (Ibony) من الكلمة المصرية (Hbny) وكلمة سمسم (Sesama) من الكلمة السامية ومنها جلباب (Khiton) وذهب (Khryses) ، وفي مجال الدين اقتبست منبح أو مكان مرتفع (Bomas) مقتبسة من (Bamah) السامية ، والشراب أو الرحيق الإلهي (niktar) من (niqtor) وتعني نبيذ مقطر أو متبخر ، والمجد الإلهي Kudos مقتبسة من (Kds) والفعل (Kudazo) وكلمة حياة (haima) مأخوذة من (hayim) الكنعانية وقدس الأقداس (Naio) أو (Naos) مأخوذة من (Vnwh) (Nwti) ويضحي (Sphag) من سبك (Spk) وصادق (Makarios) مأخوذة من ماكرو (Makhrw) .

وفي مجال القانون اقتبست كلمات منها الشاهد (Martyros) من (Mtrw) والشرف (Tima) من (Dema) . وفي مجال السياسة يرى أن كلمتي الملك (Wanax) و (Basileus) لا يوجد لهما أصل في اللغة اليونانية ولا اللغات الهندوأوربية ويرجع أن الكلمتين تم اقتباسهما واشتقاقهما من المصرية ويربط بين الأولى والكلمة المصرية عنخ جت (Nh dt) وتعني عاش للأبد ، الثانية يربطها بالكلمة (P3sr) وتعني تابع الملك أو الوزير .

وفي مجال الحكمة (Sophia) يرى أن هذه الكلمة لا يوجد لها أصول هندوأوربية مقبولة ويرى أنه من الأوفق أنها مشتقة من الكلمة المصرية سبا (Sba) بمعنى يعلم أو تعليم، ولما كان حرف b يكتب في اليونانية (ph) ويستنتج هذا من اسم الربة المصرية (Nbt-ht) نجدها بعد نقلها لليونانية (naphthys) وقياسا على ذلك فقد اقتبست كلمة (Sophia) من مصر .

وفي مجال الأسلحة فقد اقتبست كلمة سيف إكسيفوس (Xiphos) من المصرية (Sft) ومـرادفها (Phisganos) مـن السامية بسج (Psg) بمعنى قطع أو شق وكلمة (Harma) مأخوذة من الجذر (HRM) في المصرية والسامية .

ويسـتخدم أسـماء المـدن أيضا للدلالة على التأثير الشرقي فنجده يربط مدينة أثينـ وربـتها أثينا بمدينة سايس والربة نيت ويستخدم ما قاله الأقدمون بشأن ربطهما ويقول أ هـناك تطابق في وظائف واختصاصات الربتين كما أن صورهما متطابقة ، ويربط إسبرط بالأصـل المصرى وهي مأخوذة من سباط (Spat) بمعنى ولاية أو عاصمة ، كما يربط بيـ عقـيدة إسبرطة وعبادتها لهرميس والكلاب وعبادة أنوبيس ، كما نجده قد حاول الربط بيـ كلمة لاكديمون وكاتوب وكلاهما يعني بوابة العالم السفلى والروح الهائمة ؛ ثم يورد التر والـروايات التى تذكر أن ليكورجوس قد زار الشرق ومصر ودرس مؤسستها . ويقول إ الأثـر المصري يظهر واضحاً في الفن الإسبرطي ، كما يحاول ربطهم بالهكسوس وأسطو عودة الهيرقليين ؛ ويذكر رسالة لأحد ملوك إسبرطة إلى الحبر الأعظم في القدس يذكر فيـ أن الملـك يقـول للحبر إننا أقارب ، ويذكر مثال آخر أن طيبة مأخوذة عن الأصل المصر (db3 db3t). وأن أسماء الأماكن المنتهية (sos) أو (nthas) ليست يونانية وأن الكلمـ ذات النـهايات السابقة قد وفدت من مصر والشام إلى منطقة الأناضول وبلاد اليونان و هـذه الكلمـات أبـيدوس (Abydos) وسينوب (Sinopo) على الساحل الشمالي في تر الحديـثة ، وكلمـة (Pontos) بمعنى المحيط البعيد والأرض التى وراءه مأخوذة من بو (Pwnt) وتعني أيضا الأرض البعيدة التى يتم الوصول إليها بحرا .

كما يورد أسماء جبال في بلاد اليونان ذات أصل مصري وسامي ومنها جبل بيلـ (Pelion) ومقتبسـة من (P3rw) بمعنى الأسد ، وجبل سايتا (Saita) في إركاديا المقـ مـن اسم مدينة سايس (Sais) ، وأسماء الجبال البادئة (Sam) هي سامية ومنها سامـ (Samos) وسـاميكون (Samikon) وسـاموثراكيا (Samothrace) مشتقة من كلمة (Sam) بمعنى سلم أو سماء وأسماء المدن المرتفعة مثل هرميون (Hermione) مـ من حرمن السامية (Hermn) بمعنى الجبل المقدس .

وأطلقت أسماء أنهار مصرية وسامية على أنهار في كريت والبلوبونيز ومنها نهر يـاردانوس (Jardanos) في كل من كريت و البلوبونيز وهو مشتق من ياردان (Jardan) وكذلك الأسم (Anigros) مشتق من جذر سامي (ن) جر GR (N) بمعنى واحة أو نهر في الصحراء وكلمة فينوس (Pheneus) من بانوي (panwy) بمعنى ماء أو فيضان وأكثر أسماء الأنهار اليونانية شيوعا وهو كيفيسوس (Kephisos) وهو مأخوذ من اسم مكان مصري كبح (Kbh) أو بمعنى رقبة أو نبع عذب بارد أو نبع النهر مع إضافة النهاية (Sos) .

وإذا كنا قد ذكرنا من قبل بعض أسماء الآلهة والالهات فنضيف بعض الآلهة التى ذكرها ومنها : هيكات وهي هكت المصرية ، والإله ابويس كان يسمى في المجموعة الثانية (Lin ar B) وأيضا عند هوميروس إينالـيوس (Inyalios) أو إينو وهو مأخوذ من أونوريـ ں إلـه الحـرب عـند المصريين ، كما يعتقد فى كل ما ذهب إليه هيردوت بشأن التشـابو ات العقائديـة الكثيرة بين النظام الدينى المصرى والنظام الدينى اليوناني ، ويقرر صراحة ں الرابطة بينهما وثيقة وأن النظام الديني المصري أقدم كثيرا ولهذا فإن مصر هي منشـأ ا ـنظم الدينـية ، ويسـتطرد قائلا: إن هناك تماثلاً وتشابهاً بين منظومة الأساطير المصـرية والكنعانـية واليونانية مثال ذلك أسماء أشهر أبطال اليونان إذ تفتقر إلى جذور هندوأوربية ولكنها جذور سامية مصرية ومنها بلليروفون Bellerophn مأخوذة من الأصل السـامي بعل لارافون ، وأجاممنون مأخوذة من الأصل المصري ممنون (أمنمحات) والبادئة أجا تعني العظيم أي ممنون العظيم وهذا ينطبق على أخيلليوس فهو اسم يصعب تفسيره في ضوء لغة هندوأوربية وأصله سامي حيث نجد تكراراً كثيراً للبادئة (Ahi) أهي بمعنى أخي يكون ، ونجدها في أخرام (Aheram) ، ويلاحظ أيضا أن الاسمين الآخرين له وهما بليوس (Peleus) وبلياديس (Peliades) مشتقان من الاسم المصري بارو (P3rw) بمعنى الأسد .

ويسـتمر فـي عرض قرائنه للتدليل على الأصل الشرقي للحضارة اليونانية بالحديث عن التأثيرات الدينية الشرقية على الديانة اليونانية ويعقد مقارنة بين العبادات المصرية في عهـد الدولـة الوسـطى والحديثة وبين عبادات كريت واليونان ويقول إن هناك تطابقاً في

العبادات ، كما يقول إن مراكز النبوءات المصرية قد انتشرت في نفس الوقت في المنطقة الإيجية أي في القرن العشرين قبل الميلاد كما يقرر أيضا أن هناك صلات بين الأورفية وكتاب الموتى ويقول إنه في العصور الكلاسيكية كان هناك اعتقاد بأن أورفوس تراقي الأصل ، ولكنه تعلم الأسرار الملغزة في مصر ، كما يقول إن علاقة فيثاغورث يعرفها الجميع ويقول إن هناك تشابهاً كبيراً في العبادة المصرية وبين الأورفية والفيثاغورثية .

** جملة القول إن مارتن برنال قد عرض لنظرية فحواها أن حضارة اليونان استقت علومها ومعارفها من الشرق ومن الساميين والمصريين على وجه الخصوص وقد استخدم كل ما أتيح له من مصادر أثرية ووثائقية وأدبية لإثبات أن الحضارة الشرقية كان لها الفضل على اليونان وحضارتهم ، وإن كان قد أغفل أثر بلاد الرافدين إغفالا شبه تام كما أنه أراد أن يثبت ويؤكد أن وراء اسطورتي كادموس ودناؤوس جانباً من الحقيقة وأن هناك هجرات خرجت من مصر وبلاد الشام واستقرت في كريت واليونان مستخدما الأدلة الأدبية والوثائقية واللغوية [١].

وفي ضوء ما سبق يمكننا القول أن اليونان أقدموا على أصول الحضارة السابقة عليهم ينهلون منها ما وسعهم أن ينهلوا إذ لم ينشئوا كل عناصر حضارتهم إنشاءً ، بل إن هذه الحضارة هي وليدة أفكار سابقة مرت بمراحل متعددة من التلاحم والتفاعل والتطور فتناولتها أيادٍ حاذقة ماهرة حللتها وصقلتها بالتأمل والدراسة وأخرجت منها ما قدمه اليونان للتراث الإنساني ويصدق هنا قول ول ديورنت : إن ماورثه اليونان من الحضارات القديمة أكبر مما ابتدعوه ، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنيين وجاءت مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب ، فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمنا شأنه فإننا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوربية والأمريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدى منذ زمن بعيد [٢].

---

(١) M. Bernal , Op. Cit , pp. 22 - .

(٢) ديورنت ، نفسه ، مج ٢ ، ج١ ، ص١٠ .

ولنحاول الآن أن نوضح في عجالة ما اقتبسه اليونان من الشرق في المصادر المتاحة ، فقد كان تأثير الشرق جلياً في كافة مناحي العلم والمعرفة وهي على النحو الآتي :

١-مجال العلوم : فقد كان الشرق متقدما بآلاف السنين في مجال الطب أي في الألف الثالث قبل الميلاد سواء أكانت في بلاد الرافدين أم كانت في مصر ، فقد أخذ اليونانيون مبادئ الطب والتشريح المصري والتي دونها المصري القديم وتركها لنا لحسن الحظ مدونة على أوراق البردي ومنها بردية إيبرس وبردية هيرست وأودوين سميث وبردية برلين ويظهر أثر هذه البرديات في كتابات ديوسكوريديس ، وجالينوس ، وهيبوكراتيس (أبقراط) .

٢-مجال علم الأحياء والحيوان : فقد استخدموا المعارف الشرقية في هذا المجال وخاصة أرسطو ، فقد ذكر لنا معلومات تدل على أنها قديمة للغاية وبعضها قد وصلته بطريقة خاطئة دون أن يقوم بتصحيحها ، ويقول العلامة تومسون إن أرسطو أخطأ خطأ فاحشاً في معلوماته عن بعض الحيوانات ويقول إن هذه المعلومات أتت من الشرق الأقصى عبر فارس ، وأن بعضها نصادفه عند حورأبولو الكاهن المصري ، ومن المعلومات الخاطئة ما رواه عن القنفذ البحري الذى ينمو نمواً كبيراً عندما يكون القمر بدراً وقد قام أحد العلماء بدراسة قنافذ البحر المتوسط ، فوجد أن هذه المعلومة غير دقيقة ، ولكن دراسته للقنافذ بالبحر الأحمر أثبتت أنها تبيض على نحو مطرد عند كل بدر ، كما أن ترويض وتدريب الخيول أخذه اليونان عن الحيثيين .

كما نجد أن الكثير من المعارف الزراعية وأسماء الحاصلات قد انتقلت إلى اليونان من بلاد الرافدين ومصر والفينيقيين ومنها القاسيا ، والكمون ، والكركم ، والناردين ، واللبان . وإذا كان لدينا آثار عن تأثير الشرق في الحضارة اليونانية فإن اليونان قد ساروا بهذه العلوم إلى أبعد ما وصلوا به من تطور في مجال الطب، وعلم الحيوان وعلم النبات ولهم إضافاتهم التى لا ينكرها أحد .

٣-التراث الرياضي : استفاد اليونان من علوم ومعارف الشرق الرياضية المتقدمة ، فقد نهلوا من منابع الفكر الرياضي في بلاد الرافدين ومصر والذين كانوا قد وصلوا إلى مرحلة التنظير ووضع النظريات ، ومن أمثلة ذلك أن نظرية فيثاغورث الرياضية قد سبقه

إليها أهل بلاد الرافدين بعدة آلاف من السنين وهذا ما كشف عنه لوح من الطين المحروق محفـوظ بمـتحف بغداد للآثار ، كما نجد أن كلاً من : هيرودوت وديموكريتس وأرسطو قد مدحـوا الرياضـيات المصـرية وبيّنوا مدى ما استفاده الإغريق منها كما نجد أن مفكرى الإغريق بعد أن استوعبوا تجارب ومعلومات الشرق في المجال الرياضي أضافوا الكثير إلى جهود الحضارات السـابقة .

٤-مجـال الهندسـة : كـان التأثـير المصـري عظيماً في علم الهندسة ، إذ شرح هـيرودوت اختـراع علم الهندسة وانتقاله لبلاد اليونان والذى سبق أن ذكرناه ، كما ذكره سـقراط إذ يشير إلى رقي وسمو علم الهندسة والرياضيات ، وتعد مصر عند كتاب اليونان الأوائـل مهـد العلوم ومن ثم فقد قام كل منهم بالترحال وتلقي العلم بها على يد سدنته من الكهان . وفي هذا الحقل نقلوا الكثير من العلوم المصرية وأيضا البابلية وأضافوا إليه الكثير . ونفـس الشـئ فقد نهلوا من علوم الفلك المصرية والبابليـة ، فقد وردت عندهم أفكاراً مصرية قديمة لا تعي قدمها ذاكرة التاريخ أما ما تلقوه من التراث البابلي فكان عظيماً ، إذ نقلـوا طـريقة الرصـد الفلكي من الشرق والساعة الشمسية وغيرها وسنجد أنهم أضافوا الكثير لهذا العلم .

٥-مجال علم التنجيم : فقد نقل اليونان هذا العلم من مصر ومن بلاد الرافدين إذ زار الإغـريق مصـر وبلاد الرافدين وفارس ونقلوا معارف تلك الأمم في هذا المجال ، بل نجد بعـض منجمـي بـلاد الرافدين قد زاروا بلاد اليونان ويروى أن أحد المجوس تنبأ بموت سقراط ، وعن كلداني قرأ طالع يوريبيدس ، ونجد أن هناك أفكارا بابلية ضمنها أفلاطون في الجمهورية [(١)] و أيضاً في محاورة تيماوس عن العقيدة القائلة بأن كل روح تنتمي إلى نجم معين ، ومـمـا هـو جديـر بالقول بأن هذا التأثير العميق لعلم التنجيم الشرقي على الفكر اليـوناني والاعـتقاد في التنجيم يرجع على وجه الخصوص إلى عام ٢٨٠ ق.م عندما أسس الكاهن والفلكي البابلي بيروسس مدرسة في جزيرة كوس وكتب كتابه بابلونيكا فقد انتبع

---

(١) Republ., x, 616.

الـيونان بعد ذلك، كما يقول ديودوروس [١] بأنه من طبيعة الكواكب أساساً ودراستها يمكن التعرف على ما يخفيه القدر للإنسان، وأنهم قد قاموا بنبوءات لا للعديد من الملوك فحسب ، ومـن المعـتقد أنهم أصابوا كبد الحقيقة في كل نبوءاتهم ، بل أنهم تنبأوا للناس بما سيحل بهم في حياتهم الخاصة .

٦-مجال الأدب : نجد أن التأثير الشرقي يكون واضحا في الآداب والفنون اليونانية، فـنجد شعر الملاحم قد ظهر عند السومريين والبابليين في عدد من الملاحم الشعرية أبرزها ملحمة جلجاميش وملحمة إيومايليس (Eumaelish) .

ويرى نفر من الباحثين أن الأفكار والآداب البابلية قد أعطت للفكر اليوناني زادا قويا وهـذا مـا ظهر جليا فى بعض الأعمال الشعرية والمسرحية المتأثرة بالملحمتين السالفتي الذكـر لكـل من هوميروس و هيسيودوس و إسخيلوس وسوفوكليس ، و يرفع أحد الكتاب مـنزلة ملحمة جلجاميش وأثرها بقوله : إن ملحمة جلجاميش لهي ملحمة رائعة وينبغي أن يتم دراستها لمن نذروا أنفسهم لدراسة الثقافة اليونانية [٢].

ويـرى الـبعض أن ملحمـة جلجاميش قد أثرت في هوميروس وهذا يظهر جليا في الإلياذة والأوديسة ويبدو التشابه – فى رأيهم – بين ملحمة جلجاميش وأسطورة ثيسيوس ، وبيـن جلجامـيش وأخيلليوس إذ عندما نقارن التشابه في قصة جلجاميش والأم نينسون (Ninsun) وصـديقه أنكـيدو (Enkidu) في الملحمة السومرية وهي ملحمة جلجاميش ، وبين أخيلليوس وأمه الآلهة ثيتس (Thetis) وصديقه باتروكلوس في الإلياذة ، نجد أنه قد تم قتل الصديق بدلا من البطل بقرار من الآلهة ، وأن الموت أعقبه حزناً عميقاً للبطل على صديقه .

وكذلـك التشـابه بيـن جلجامـيش وهيركليس ، ووفقا لجوزيف شيبان (Joseph Sheban) فـإن لفظة هيركليس هي لفظة مركبة من كلمة (Herk) والتى قد تكون مشتقة

---

(١) Diod , II , 30 .

(٢) G.S. Kirk , Myth , Cambridge unv. press , 1970 , p. 133 .

مـــن (Uruk) مديـــنة جلجامـــيش وكلمـــة (Les) والتى تعني أسد في اللغة اليونانية ، وبتركيـــب الكلمتين يكون لدينا مدينة الأسد ، وهو الاسم الذى كان يوصف به هيركليس [١]
ويرى والكوت (Walcot) أن ملحمة أيومايليس كان لها تأثير عظيم على فكر هيسيودوس ويظهـــر هـــذا في قصيدته عن أصل الآلهة (Theogena) ، إذ نجد أن قضية الخلق تطابق بيـــن ما فعله الإله ماردوخ في ملحمة أيومايليس وبين ما فعله زيوس في قصيدة الثيوجينا لهيسيودوس [٢] .

ويـــرى باحثون آخرون أن كلاً من الشاعرين المسرحيين أسخيلوس وسوفوكليس قد تأثـــرا بملحمتـــي أيومايلـــيس وجلجامـــيش فقـــد تأثر أسخيلوس بملحمة أيومايليس في مســـرحيته أورســـتيا وبرموثـــيوس فـــي الأغـــلال في معالجته لكل من (Theogony) و (Theosnachy) أمـــا ســـوفوكليس فقـــد تأثر بأسخيلوس في هذا المجال ثم نجده قد تأثر بملحمة جلجاميش في مسرحيته أوديب [٣] .

كمـــا توضح دراسات علماء المصريات أن هوميروس قد اقتبس الكثير من الأدب المصـــري ، ويرى هؤلاء العلماء أن دار النعيم في الأوديسة كانت هي نفسها دارا مصرية وتـــم تـــبرير هذا الرأي بأن مصر هي الأرض التى ينطبق عليها هذا القول بأنها لاثلج فيها ولامطـــر وبـــردها غير قارس ، بينما اليونان معروفة بكثرة ثلوجها وغزارة أمطارها ، هذا فضـــلا عـــن أن ريح الشمال التى يقول عنها هوميروس كانت تهب على دار النعيم لا تدع مجـــالاً للشك في أن هذه الدار كانت مصرية وليست يونانية لأن الريح التى تهب على مصر مـــن جهـــة الشمال تكون عليلة تستريح لها النفس أما في اليونان فهذه الريح نفسها كانت تهـــب مصـــحوبة بعواصف وأمطار وثلوج . ولذا فإن المصريين يحبون هذه الريح ، بينما

---

(١) Joseph Sheban , Following the Gods , New York , 1963, p. 51.

(٢) Walcot , Op cit , p. 27-54 .

(٣) Munzer Mohammed . Babylonian Dimensions in Greek Mythology ; A compartive study of Eumaelish , The Oresteia , Gilgamesh and Oedepal Saga , Damascus , 1996 , p. 111 .

الإغـريق يخشونها ، أما الإله دارلمنتوس الذى قاد منيلاوس زوج هليني إلى دار النعيم ، فهو إله مصري أى أوزيريس .

ويقــال أيضــا أن هوميروس أخذ قصة مصرية وأدخلها في الأوديسة بعد أن غلفها بــثوب يونانــي لكــنه ثــوب شفاف ظهر منه ملامح القصة المصرية المنقولة بموضوعها وســياقها وأيضا نصوصها ، وقد درس العالم الروسي جولنيستيف ملفا من أوراق البردي الذى يحتوي على قصة مصرية مكتوبة بالخط الهيراطيقي ومن عصر الأسرة الثانية عشرة ، وفحــوى هذه القصة أن سائحا مصريا ركب البحر وغرقت سفينته وقذفت به الأمواج إلى جزيــرة خرافــية ، أما القصة اليونانية الواردة في الأوديسة فهي تحكي لنا موضوع غرق سفينة أوديسيوس وإقامته في جزيرة ، وهذا يعني أن هوميروس نقل القصة المصرية بكل ما فيها من الأوصاف والعبارات ولبيان ذلك سنورد هنا بعض الفقرات من القصة المصرية والمنقولة إلى الأوديسة:-

١- موضوع القصة واحد - كل من القصة المصرية واليونانية - وهو غرق سفينة الملاح في القصة المصرية وغرق سفينة أوديسيوس في القصة اليونانية .
٢- تعرض سفينة كل من المصري واليوناني للعاصفة .
٣- تعلق الملاح وكذلك أوديسيوس بقطعة من خشب السفينة .
٤- الأمــواج قذفــت بالملاح المصري إلى جزيرة خرافية مثلما قذفت بأوديسيوس ودفعته الأمواج إلى شاطئ جزيرة.
٥- عبر مؤلف القصة المصري عن وحدة بطلها في الجزيرة ، ولم يكن معه رفيق غير قلبه ، وهوميروس يقول أن أوديسيوس عندما كان على قطعة الخشب كان يتحدث إلى قلبه .
٦- البطل المصري ظل ثلاثة أيام في الجزيرة وحيدا ، وأديسيوس هو الآخر بقى على قطعة الخشب ثلاثة أيام بلياليها .
٧- لجــوء الملاح المصري إلى غابة الجزيرة التى تشبه المخبأ وأديسيوس لجأ إلى غابة الجزيرة وصنع لنفسه مخبأ بين شجرتين .

٨- الملاح المصري نام في الغابة التي التجأ إليها وأن ظلها كان يحيط به ، وأديسيوس نام في المأوى الذى صنعه لنفسه وأوراق الشجر كانت تحميه .

٩- الملاح بحث عما حوله ، فوجد أنواعا كثيرة من النباتات والفاكهة والبذور ، وأديسيوس وجد حوله الكثير من أشجار الفاكهة .

١٠- شكر الملاح الآلهة بإشعاله النيران وألقى فيها قربانا لها ، بينما أوديسيوس ورفاقه قد أشعلوا نارا وألقوا فيها قربانا شكرا وعرفانا للآلهة .

١١- يذكر الملاح المصري أنه نام ، ولم يشعر بشيء ولكنه استيقظ فجأة فور سماعه دويا كدوي الرعد فكشف عن وجهه فرأى ثعبانا بالقرب منه وسأله هذا الثعبان عدة أسئلة وأجاب عليها ، بينما نجد رفاق أوديسيوس قد كشفوا عن وجوههم عندما ناداهم أوديسيوس .

١٢- يرد في القصة المصرية أن الملاح يجلس متربعا أمام النار التى أشعلها لتقديم القربان ، وأن الثعبان يطلب منه الجلوس بالقرب منه ، وأوديسيوس يجلس متربعا بالقرب من موقد ملك الجزيرة الذى كان قد دعاه للجلوس على عرش براق وكل من الثعبان والملك يسألان نفس الأسئلة سواء للملاح أو لأوديسيوس والأسئلة من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ فيجيب كلاهما بنفس الطريقة.

١٣- الرواية المصرية تقص عطف الثعبان على الملاح المصري ويتمنى له مستقبلا باهرا ، وفي الأوديسة نجد حديث ناوسيكا ابنة ملك الجزيرة إلى أوديسيوس وتطمئنه على مستقبله وتتمنى عودا حميدا إلى وطنه .

١٤- يملأ الفرح قلب الملاح فور سماعه بأنه سيعود إلى وطنه آمنا ، وأيضا أوديسيوس يطير فرحا ويشكر ناوسيكا على دعواتها وتمنياتها له والعودة .

١٥- في القصة و يسأل الثعبان من قبل الملاح ويجيبه أنه سيد بلاد بونت وأنه يتمنى الرحيل عن الجزيرة البعيدة التى لم يعرفها الناس ، بينما في الأوديسة تتكلم ناوسيكا عن جزيرتها فتقول أنها في أطراف الأرض البعيدة عن الناس .

١٦- في الرواية المصرية نجد أن هذه الجزيرة ستختفي بين الأمواج بعد رحيل الملاح المصرى ، وفي الأوديسة نجد أن هذه الجزيرة ستدمر بعد سفر أوديسيوس عنها .

١٧- في الرواية المصرية نجد أن الثعبان يخبر الملاح المصري بمصير الجزيرة بعد رحيله عنها ، وهذا أيضا في الأوديسة إذ نجد أن ملكها يخبر أوديسيوس بمصيرها بعد رحيله عنها .

١٨- يـودع الثعـبان المـلاح المصري ويدعو له بدوام الصحة ويعطيه الهدايا ، ويشكره الملاح على حسن معاملته ، بينما في الأوديسة نجد أن ملك الجزيرة وأسرته يتمنون له ولأسرته الصحة والسعادة ويمنحونه الهدايا ويشكرهم أوديسيوس.

١٩- فـي الرواية المصرية تتحطم سفينة الملاح أثناء عودته إلى وطنه ، ونفس الأمر في الأوديسة حيث تحطمت سفينة أوديسيوس.

٢٠- دخـل المـلاح المصـري على الفرعون في شكل رجل مجهول ومجهد حيث رأى في رحلـته الكثـير مـن المحـن أثـناء محاربته للرجال والأمواج ، وفي الأوديسة يعود أوديسـيوس إلـى وطنه وهوغير معروف الهوية ، ويقول أنا الذى مررت بالكثير من المحن أثناء محاربتي للرجال والأمواج .

ولديـنا مـثال آخر على تأثر هوميروس بالأدب والأساطير المصرية ، فروايته عن أسطورة الآلهة ديميتر تكاد تكون متطابقة مع كثير من أحداث أسطورة إيزيس وأوزيريس ؛ فكلـتا الأسطورتين تتشابه في البحث عن عزيز لختفى ، فديميتر تبحث عن ابنتها المختطفة فـي كل الأنحاء والبلاد ، وإيزيس تبحث عن جثمان أوزيريس في كل مكان ، وتعلم إيزيس بمكـان الأخ والـزوج وتسافر إلى ببيلوس على الساحل السوري حيث يوجد جثمان أخيها الموضـوع فـي الصـندوق الذى ابتلعته شجرة في جوفها وقطع هذه الشجرة ملك المدينة لاسـتخدامها كعمـود في قصره ، وتستمر الأسطورة في سرد الأحداث بوصول إيزيس إلى المديـنة وجلوسها بجوار نبع تبكي أخاها وزوجها أوزيريس ، وأثناء جلوسها مرت عليها خادمة الملكة ورفقتها وعرضت إيزيس خدماتها عليها ومن كن معها ، وعندما علمت الملكة بهـذا الأمـر دعـت إيزيس لتكون مربية لابنها ، وتبدأ المهمة الموكلة إليها وكانت عارفة بالجمـيل ورغبت أن تمنح الطفل نعمة الخلود فكلما أرادت إيزيس إرضاع الطفل وضعت له إصبعه في فمه ، وإذا جاء الليل أشعلت النار فيما يحتويه جسمه من عناصر الفناء ، ويقال إن إيـزيس كانـت تـتخذ أشكالا مختلفة مثل الفراشة وأخذت تحوم حول العمود الذى فيه

الصندوق ، وذات مرة شاهدت الملكة تلك الأمر وإلقاء ابنها في النار فأسرعت لإنقاذه ومن ثـم فقـد حرمـت وليدها من نعمة السرمدية ، وهنا كشفت إيزيس عن نفسها وطلبت أخذ العمود وبالفعل انتزعته بنفسها وغطت أشلاء أخيها بالكتان وطيبته بروائح زكيه .. الخ .

وهـنا أخذ هوميروس هذه القصة – على ما يبدو – ودبجها بالنسبة للآلهة ديميتر فيقول : إن الآلهة بمجرد أن علمت باختطاف ابنتها اعتصر الألم قلبها ولبست السواد حزنا علـيها ومزقـت بيدها شرائط شعرها وهو نفس المشهد في الأسطورة المصرية إذ نجد أن إيـزيس بمجرد أن علمت بقتل أخيها قطعت خصلة من شعرها ولبست ثوب الحداد وتجولت فـي كـل مكان معلنة حزنها . ويصف هوميروس أن الآلهة ديميتر بحثت عن ابنتها في كل صـوب وحـدب وأخيراً استقر بها المطاف قرب قصر للراحة من عناء البحث ، واستدعتها الملكـة لتربـية ابنها ، ونما الطفل وكأنه إله بدون رضاعة أو طعام بين يدي هذه الآلهة ، وكانت ديميتر تدهن جسم الطفل بالعطر وتنفخ عليه بأنفاسها برفق وعندما يأتي الليل تضعه فـي الـنار ، وشهدت الملكة هذا المشهد وذعرت فأنقذته وبذلك حرمته أمه من غير قصد نعمة الخلود لأن النار كانت تطهره من عناصر الفناء . وفي ضوء ما سبق يتضح الاقتباس من الأسطورة المصرية .

و عموماً فأنـنا نجد أن أساطير اليونان قد تأثرت بأساطير الشرق و ظواهر الكون المحيط به ، مثل ظواهر الخلق و الحياة و الموت و الخصوبة و الإجداب وغيرها ، ومن ثم يحدد علاقته بها و موقفه منها و هنا نجد الكثير من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة و تفصيلاً مع الأساطير التي سبقتها في وادي الرافدين مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان و قصة خلق الإنسان من طين و ماء و روح إلهية ، و أسطورة أنانا و دوموزي البابلية و نظيرتها أسطورة أفروديتي وأدونيس اليونانية التي وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين (١)

٧-تأثـر اليونان بعقيدة البعث و الخلود و الحساب المصري و الشرقية: تكشف لنا المصادر الأربعة عن مدى تأثر مفكري اليونان بعقيدة البعث و الحساب المصرية ، إذ نجد

(١)R. Graves, Greek Myths , Pelican , 1962 , p. 34 .

سارتون نفسه ، ج١ ، ص ٢٦٧ و ما بعدها .

هذه العقيدة جلية عند مطالعة أوديسة هوميروس* . إذ أثرت قصة الأمير ساتني الذى تلقى تعليماً وبلغ درجة عظيمة من الحكمة . وتزوج هذا الأمير بيد أنه لم يرزق الولد ، واتجهت زوجته إلى المعبد مبتهلة إلى الإله كى يهبها الولد . ونامت ليلتها في المعبد فرأت رؤيا بأن ابتهالها سيجاب وأتاها هاتف يخبرها بأنها ستحمل ابنا مباركا صاحب معجزات وطلب منها أن تسـميه سـينوزيرس وبالفعل ولدت طفلا تعلم الحكمة والسحر وهو في عمر الزهور ، وتسـتمر القصـة فـي القـول بأنه لما بلغ رشده كان هو ووالده يسيران ذات يوم وأثناء سيرهما شاهدا جنازة رجل غني يصاحبها موكب حافل وخلفه النادبات والكثير من المشيعين ، ثـم شـاهدا في الوقت نفسه جنازة رجل فقير مدرج في الحصير لا موكب له ولا مشيعين وراءه ، فـنظر الأب إلى ابنه وتمنى أن يكون مصيره مثل مصير الغني لا كمصير الفقير ، فرد الابن متمنيا لأبيه مصير الفقير مما أغضب والده ، لكن الابن أراد أن يبرهن لوالده أنه على حق ثم أخذه – بعد أن قرأ بعض التمائم والأدعية الدينية – ونزلا معاً إلى الدار الآخرة . فوجداهـا عـبارة عن سبع قاعات مملوءة أناساً من جميع الطبقات ثم وصلا إلى القاعة الـرابعة فإذا هما يجدان أناساً يذهبون ويجيئون بينما حمير تأكل من خلفهم ثم شاهدا أناساً غـيرهم يحاولون الوثوب نحو الطعام المعلق فوق رؤوسهم فلا يمكنهم إدراكه ، فمن تحتهم كان هناك حفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا بعد المسافة بينهم وبين الطعام . ثم شاهدا رجـلا مـنطرحا تحت الباب على ظهره ومحور الباب في عينه اليمنى يدور عليها كلما فتح الباب أو أغلق ، ولا يستطيع الرجل الخروج ويصرخ من شدة الألم، ثم دخلا القاعة السابعة فوجـدا آلهـة الحسـاب جالسـين والحجاب ينادون قضايا الموتى قضية بعد أخرى والإله أوزيريس جالس على عرشه الذهبي بينما الإله أنوبيس واقفا على يساره والإله تحوت على يميـنه والآلهـة الأخرى الذين يتألف منهم مجلس دار الحساب والميزان منصوب أمامه . فنظر الابن إلى والده وقال له هل تعرف من الذى يجلس بجانب أوزيريس ؟ إنه الفقير الذى شاهدته مدرجا في الحصير بلا أهل ولا مشيعين ولقد جئ به إلى هنا لرجحان كفة حسناته

* انظر فيما بعد الديانة عند هوميروس .

، أما الرجل الذى سبق إلى دار الحساب وتمنيت أن يكون مصيرك كمصيره هو نفسه الذى رأيته يصيح من الألم .

وبعد أن عرضنا لهذه القصة فنجد تشابهاً بين ما قصه هوميروس عند نزول أوديسيوس إلى العالم السفلى ، حيث وجد الملك مينوس يقضى بين الأموات وبجانبه الإله هاديس وهو الواقف أمام داره ذات الأبواب الواسعة *.

ونجد في هذه الرواية قاسماً مشتركاً مع الرواية المصرية وذلك كما يلي :-

١) الابن يصحب والده إلى الدار الآخرة وأيضا نزول أوديسيوس إلى الدار الآخرة.

٢) جلس أوزيريس على عرشه وقبض بيده على صولجانه ، وفي الأوديسة تجد مينوس في يده الصولجان الذهبي .

٣) الحجاب في الرواية المصرية نجدهم ينادون الموتى لعرض أعمالهم في حضرة أوزيريس وفي الأوديسة نجد مينوس تعرض عليه هذه القضايا .

في الرواية المصرية نجد الموتى بين واقفين وجالسين في سبع قاعات ، وفي الأوديسة نجد الموتى بين واقفين وجالسين في دار هاديس الواسعة الأبواب .

في ضوء ما سبق عرضه يتضح التشابه بين القصة المصرية ورواية هوميروس عن تصور الحياة في الدار الآخرة .

وفي الإلياذة نجد الأخذ والتأثر بالتراث المصري إذ نجد هوميروس يحدثنا أن الإله زيوس يريد أن يقضي في مصير إحدى المعارك بين الآخيين الطرواديين فيضع حظ الأولين في كفة ميزان وحظ الآخرين في الكفة الأخرى ، فترجح كفة الإغريق ويكون هذا إيذانا بالنصر . وبنفس الطريقة يحكم زيوس بين أخيليوس وهيكتور فترجح كفة إخيليوس وينتصر ويصرع خصمه . وأوجه التشابه هنا أن زيوس يمارس نفس الدور الذى يمارسه أوزيريس المصرى .

---

* عن هذا الموضوع أنظر بالتفصيل ما كتبناه عن الديانة في ضوء الإلياذة و الأوديسة .

كمـا نجـد أن فكـرة الحساب قد وردت في كتابات مفكرين تالين لهوميروس ومنهم بـنداروس ، إذ يقـول فـي إحدى قصائده : سيجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم ، والذيـن ارتكـبوا أعمـالاً محـرمة فستحاكمهم الآلهة ، بينما نجد أفلاطون يذكر في مدحه لسـقراط أن فـي الجحـيم قضاة يحكمون بالعدل وهم مينوس ورادامنتوس ، وفي محاورة جورجياس يستمر في القول حينما كان الحكم للإله ساتيرنوس في السنتين الأوليين من حكم زيوس كانت محاكمة الناس تجرى وهم أحياء على أيدي قضاة أحياء .

وفـي ضـوء ما سبق أيضاً يتضح لنا أن أفلاطون صور عقيدة الحساب بعد الموت ولعـل المطالع لمحاوراته يجد أنه ذكر الآلهة الثلاثة الذين ورد ذكرهم عند هوميروس وهم مينوس ورادامنتوس وإيباكوس ، ولكن هؤلاء كانوا عند هيرودوت يقضون بين الأموات ، وصـاروا يحاسـبون الأموات على أعمالهم في الحياة – كما تقوم الآلهة المصرية بذلك . وهي أوزيريس ، ونوت ، وأنوبيس ، ولهذا فإن للحساب عند أفلاطون ثلاث نتائج

١) إثابة الصالحين من الأموات بإرسالهم إلى الجزر السعيدة .
٢) معاقبة الطالحين في قاع الجحيم إلى الأبد إذا كانت ذنوبهم لا تغتفر .
٣) يعذب المذنب على قدر الذنب الذى اقترفه .

ومـن يستعرض الخطوات التى تنتج عن عقيدة الحساب عند المصريين سيجدها هي نفـس الخطـوات التي أوردها أفلاطون ، ولهذا فإن العقيدة نجدها متطابقة، ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطون قد روج لعبادة النجوم وهي عبادة مصرية سبق أن ذكرناها عند الحديث عن أفلاطون .

ويـرى فريق من الباحثين أن هيسيودوس في كتابته لمؤلفه الثيوجينا (أصل الآلهة) قد تأثر بالأفكار الشرقية الخاصة بالعائلات الإلهية وحضارات الشرق القديم وشجرة الأنساب الإلهـية قـبل الـيونان بـآلاف السنين ، ويرجح أن بلاد اليونان قد عرفتها إما عن طريق

مســتعمرة الميــنا على الساحل السوري أو عن طريق فينيقيا وإن كان الطريق الثاني هو الأرجح ، وكان ذلك بعد سنة ٨٠٠ ق.م وتأثر بها هيسيود عند إنشاده لقصيدته [١].

٨-التأثــير الديني للشرق في ديانة اليونان :تشير المصادر اليونانية إلي أن الديانة الشرقية قد أثرت بشكل جلي في ديانة الإغريق فكثير من الأفكار اليونانية الدينية قد اقتبسها الــيونان من الشرق ، و لعل روايات هيرودوت وما ذكره بعض الكتاب القدامى عن الآلهة المصــرية وعقيدة الحساب تشير بجلاء إلى اقتباس اليونان ، لأفكار شرقية ومنها الأسرار السرية في اليوسيس التى كانت ذائعة الصيت في بلاد اليونان فقد نقلت من عبادة إيزيس و أوزيــريس كمــا سبق أن ذكرنا عند الحديث عن كل من هيرودوت وهوميروس ، كما تعلم الــيونان عــن طــريق المصــريين عملية التنبؤ من الحيوانات المضحاة ، و كذلك إنشاء الجمعيات الدينية والمواكب والصلوات ، وأن مجمع الآلهة الأوليمبية مأخوذ من مصر . كما أن عقــيدة خلــود الروح وتقمصها واعتقاد أن الروح تظهر على شكل طائر برأس إنسان كانــت مصرية . كما أن لفظة الجحيم اليونانية أخذ أصلها من الكلمة المصرية ، وكما ذكرنا فإن أسماء الآلهة اليونانية قد ساواها هيردوت بالآلهة المصرية إذ ربط بين زيوس وآمون وبين وحي دودنا اليونانية ووحي كل من سيوة وطيبة بمصر ، ومن الجدير بالذكر أن وحي الإله آمون في سيوة قد ذاعت شهرته بين اليونانيين وتجشموا عناء السفر لاستشارته، فقد استشــاره كــل مــن الملك فيليب وابنه الإسكندر الأكبر . وقد ساواه اليونان بالإله زيوس ويقــول بلوتارخوس أن لفظة زيوس كبير الآلهة في اليونانية تعني من يخلق نفسه ، وهذا المعــنى كــان تــرجمة للمعــنى المصري لاسم آمون كبير الآلهة المصرية . وربط الكتاب الإغــريق بيــن أنســاب آلهة هليوبوليس وبين آلهة هيرودوت ومن هؤلاء كرونوس الذى شــبهه هؤلاء الإغريق بالإله المصري جب على اعتبار أن وظائف واختصاصات كل منهما

---

(١) W.G.G Forrest , Central Greece and Thessaly , CAH ,rnd , ed . vol. , 3p3 , The expansion of the Greek world , Eighth to Sixth centuries B.C. , pp. 286-290 ; P. Walcot , Hesiod and the Near East , Cardiff , 1960 , p. 16 , pp. 22-30 , Bernal , Op.Cit , pp. 87-88 .
أنظــر أيضــا خان بيار فرنان ، أصول الفكر اليوناني ، ترجمة سليم حداد ، بيروت ، ١٩٨٧، ص٩٦ وما بعدها .

الدينـــية واحدة وتخص السماء والأرض وقد شابه هيرودوت أيضا بين حورس المصري و أبوللـــو وأن عملـــية التشـــبيه جاءت على أساس أن كلا منهما كان إلها للشمس ، والآلهة أرتيمـــيس شبهت بالآلهة باستت، ويروي الكتاب اليونان أن الربة أثينا مصرية الأصل وأن ســـايس كانت مسقط رأسها وأن اسمها اشتق من الآلهة المصريةكما كانت نيت فكانت أثينا ربـــة الحرب ونيت أيضا ، والإله إيريس اليوناني شبه بالإله المصري أنوبيس إله الحرب ، وأفروديتي شبهت بالآلهة حتحور فكلتاهما آلهة الحب ، والإله بان شبيه بالإله من المصري ، وأوزيـــريس شـــبيه بالإلـــه ديونيســـوس ، وإســـكليبوس شبيه للإله بتاح وإيمحوتب ، وهيراقليس شبيه بخنو ، وهرميس شبيه تحوت ، وهيفايستوس شبيه بتاح [١].

كمـــا نجـــد هناك تأثراً بفكر الشرق الأدنى في المجال الديني سواء من هوميروس ، وهيســـيود وأفلاطـــون وقد سبق أن ذكرنا ذلك . وإذا كان الكتاب والمفكرون يشيرون إلى اقتـــباس وتأثر اليونان بالديانة المصرية والشرقية ، فإن التنقيبات الأثرية أماطت اللثام عن تماثـــيل لآلهـــة مصرية في كريت والجزر الإيجية ، وتماثيل الآلهة التى عثر عليها في بقية الأصقاع هي للإله آمون رع ، وباستت ، وسخمت ، وبس .

ووجود هذه الإلهة في منطقة الجزر وكريت في العصر العتيق والكلاسيكي يكشف لنا عـــن دراية اليونان بهذه الآلهة المصرية سواء عرفوها كتجار أو جنود مرتزقة خدموا في صفوف الجيش المصري .

٩-تأثـــر اللغـــة اليونانـــية باللغات الشرقية : أن الدارسات الحديثة تشير إلى دخول الكثـــير مـــن المفـــردات اللغوية لحضارات الشرق في اللغة اليونانية فأسماء بعض الجبال وبعـــض الأنهار وبعض المدن اليونانية والكثير من المفردات قد انتقلت من اللغات الشرقية

(١) Herd II, 42, 156; F. Dunand & C. ziviecoche, Dieux et Hommes en Egypte 3000 B.C, 395 apr. J.C. Paris, 1991, p. 238, M. Bernal, op. cit, p. 81; Bernal, op.cit, pp. 63-73.

إلى اليونانية التى تبنتها واستوعبتها كما هي أو بعد تحويرها سواء من المصرية ، أو من الكنعانية الفينيقية والعبرية ، أو من بلاد الرافدين (١).

١٠-تأثر اليونان بالفلسفة الشرقية : تشير المصادر القديمة إلى تأثر اليونان بالفكر الفلسفي الشرقي ، وكما سبق أن ذكرنا فإن إيسوكراتيس يذكر أن الفلسفة هى نتاج المصريين وأن فيثاغورث هو أول من أحضرها للإغريق (٢)، ويقول ديوجينس اللاتريسي أن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين (٣). كما نجد أفلاطون في محاورته فيدروس يذكر على لسان سقراط أن الإله تحوت قال لملك مصر أن اختراع الكتابة سيأتي المصريين من الحكمة فوق مالهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليه ، لأن الذى اخترعته إكسير الذاكرة والحكمة (٤).

كما نجد في ملحمة الخلق البابلية "أيوماإيليس" تشابه مع ما قال به طاليس، إذ تقول الملحمة أنه قبل أن يكون للماء اسم ، وقبل أن يكون للأرض اسم، كانت الأشياء كلها مختلطة في الماء وهذا يكون مشابهاً لكلام طاليس ، والجدير بالقول أيضا أن أساطير الخلق المصرية قد ناقشت نفس الفكر الطاليسي ، ولما كان طاليس على دراية بالفكر الشرقي فيظن أنه أخذ نظرية الخلق عن الشرق ، ويكون بهذا أرسطو على حق عندما يقول أن طاليس هو أول من تفلسف ليس بالنسبة للعالم وإنما بالنسبة لليونانية . وإذا كان اليونان قد تأثروا بالفلسفة الشرقية فقد ساروا أشواطا نحو السمو العقلي بها وكانت إسهاماتهم من أهم ما أضفاه اليونان للحضارة والإنسانية .

١١-سبق الشرق في مجال المسرح : نجد أن بدايات المسرح اليوناني قد بدأت بالاحتفالات الدينية المقامة في مناطق بلاد اليونان المختلفة وهذه الاحتفالات كانت تدور حول عقيدة الإله ديونيسوس ، وكان الغرض من الاحتفالات إظهار الابتهاج والشكر للقوى

---

(١) Bernal , Op. cit , pp. 46 ~ .

(٢) Bousiris , 28 .

(٣) عبد الرحمن بدوى ، ربيع الفكر اليوناني ، ص٨ .

(٤) Phaidras , II 274 D .

الإلهـية التى تتحكم في الطبيعة إذا ما كان المحصول وافرا أو كنوع من الابتهال والتضرع لهذه القوى الإلهية إذا ما كان المحصول قليلا ، ولم تكن هذه الاحتفالات بدعة اقتصرت على بـلاد الـيونان ، وإنما عرفتها المجتمعات الشرقية (مصر وسوريا) قبل اليونان بأمد بعيد ، ففـي مصـر كـان يقـام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول، تدور حول الإله أوزيـريس تمجـد عودته للحياة بعد أن قتله أخوه الإله الشرير ست ، وفي هذه الاحتفالات كانـت تمثل القصة في شكل ديني شعبي تبين كيف قتل ست أخاه أوزيريس ، ثم كيف سعت الآلهـة إيـزيس بكافـة الطرق حتى استعادت جثة زوجها وأعادت إليه الحياة ، وكيف تم الانـتقام من ست ، وفي بلاد الشام كانت تقام احتفالات مماثلة مؤداها أن الإله بعل قد قتله خـنزير بـري ، حاولـت زوجته الربة عشتار إعادته للحياة حتى تعود الحياة للطبيعة التى ماتـت في الشتاء وإذا كانت احتفالات الشرق لم تتعد هذا الأمر ، نجد أن اليونان قد طوروا فـي المسرح بما يتفق مع طبيعتهم وجعلوا فنهم المسرحي يدور حول الإنسان وأفعاله ولكن وصـلوا إلـى هـذا المفهوم بعد أن مر الفن المسرحي بسلسلة من التطورات وساعد على ازدهـار الفـنون المسرحية وتطورها عندهم ظروف بلادهم الطبيعية والسياسية والاستعداد الفطري عندهم .

١٢-التأثير الشرقي في كل من النحت والعمارة اليونانية : تشير المكتشفات و اللقى الأثرية إلي أن تأثير الشرق كان جليا على بلاد اليونان والحضارة اليونانية، إذ أخذ اليونان المـبادئ الأولـى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية في عصرها المبكر نسخة من النمط المصـري حيـث الوقفة المتصلبة والنظرة المتجهمة إلى الأمام والذراعان الملتصقتان إلى الجانبيـن والـيدان المقبوضـتان ، و القدم اليسرى المتقدمة قليلا على القدم اليمنى وهذه التماثـيل أطلـق عليها (الكورى) . وإن اختلفت عن التماثيل المصرية والأولى كانت عارية بيـنما المصرية كانت مستورة العورة ولعل السبب في ذلك هو الطبيعة والعادات والتقاليد في كل من البلدين .

أمـا فـي مجـال العمارة فقد اقتبس اليونان عمارة الأعمدة والأبهاء خاصة الأعمدة الأيونـية والدوريـة ، وقـد صارت النمط السائد ابتداء من عصر الطغاة وهذا ما توضحه

مقارنـــة معبد الكرنك أو بقايا معبد سقارة في مصر بمعبد البارثيون في أثينا أو بقايا معبد أبوللــون في أوليمبيا ، وقد اقتبس اليونان أيضا نظام القوائم التى تحل محل الجدران لحمل الســقف في بعض أجزاء المبنى ونظام العارضات ، والعارضة هي الحجر المستعرض فوق فتحة الباب لتحمل ثقل البناء الذى يقوم فوق هذه الفتحة وكلا النسقين امتاز به فن العمارة المصري منذ عصر بناة الأهرام في الألف الثالثة قبل الميلاد ، ثم كرسوا هذا الاقتباس حين اتخذت القوائم عندهم شكل الأعمدة كعنصر أساسي في المبنى ولكن سنجد أنهم صبغوا هذا المجال أيضا بصبغتهم الشخصية .

١٣-تأثر اليونانية بالشرقية الصناعات : تكشف لنا المصادر عن أن التأثير الشرقي كـــان جلـــيا في مجال المنسوجات ؛ فقد تم اختراع الأنوال الأفقية والرأسية ، واخترعت في سوريا وبلاد الرافدين فنون جديدة للنسيج والصباغة وانتقلت بعد ذلك هذه الفنون إلى بلاد اليونان .

وفـــي مجـــال صناعة الزجاج فقد بدأت في الشرق إذ عرفه الأشوريون والمصريون ومنهم تعلمت الأمم الأخرى هذه الصناعة .

* * * *

التأثير و التأثر بين الشرق و اليونان و الرومان إبان العصرين الهلينستي و الروماني

وبعـــد هـــذا العـــرض الموجـــز يتضح أن اليونان قد استفادوا في كافة فروع العلوم والمعـــرفة والفنون والصناعات الحرفية المختلفة ، وقد زادوا على ما اقتبسوه أو نقلوه من أمـــم الشـــرق بعدما هضموه ونجحوا في صبغه بصبغة جديدة تتوائم مع فكرهم وطبيعتهم ، وبجهودهـــم الحثيثة وصلوا بعلومهم وفنونهم إلى مكانة عالية . وقد بلغوا قمة نضجهم في القرنيـــن الخامس والرابع قبل الميلاد ، وشهد القرن الرابع فتوحات الإسكندر الأكبر للشرق مهـــد الحضارات إذ نجح في ضم مصر وبلاد الشام والرافدين وفارس ووصل بفتوحاته إلى الهند وكان من نتيجة هذه الفتوحات هو فتح أبواب الشرق وحضاراته على مصراعيها أمام

اليونان ، فتقاطرت هجراتهم إليها ؛ إما للاستقرار أو الاتجار أو كسب لقمة العيش وإما للتعلم أو النهل من منابع العلم الشرقي . لقد نُقل الكثير من العلوم والمعارف والفنون الشرقية إلى اللغة اليونانية ، وساهم هذا النقل في دفع عجلة التقدم العلمي والفني في العصر الجديد الذى كان لليونان اليد الطولى فيه ، وبدأت دورة حضارية جديدة بدأ فيها التأثير والتأثر بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية وانصهرت الحضارتان وكان من ثمارها هو ميلاد حضارة شرقية يونانية اصطلح الباحثون على تسميتها بالحضارة الهلينسنية ، وكانت عوامل تقدم ورقي العلوم والفنون في هذه الفترة كلها متوافرة بفضل التشجيع من قبل حكام هذا العصر ، إذ تأسست مراكز علمية في الممالك الهلينسنية ويأتي على رأس هذه المراكز الإسكندرية عروس البحر المتوسط وعاصمة الفكر والثقافة والفنون لعدة قرون ، وكان هذا بفضل التشجيع الذى نالته جامعتها ومكتبتها من رعاية وعناية الملوك البطالمة الذين أجزلوا العطاء لعلمائها و مفكريها وشجعوا هجرة مشاهير العلماء والمفكرين من بقاع العالم اليوناني المختلفة إليها ، فصارت كعبة العلماء وواحة أمان لهم وكعبة لطلاب العلم والمعرفة الذين تقاطروا إليها من كافة الأصقاع للنهل من العلوم والفنون التى طورتها عقول نذرت نفسها للعلم والمعرفة . ومن ثم فقد صارت الإسكندرية مركزاً للإشعاع الفكري والثقافي لقرون عديدة ولعبت المراكز الثقافية في سوريا دوراً في دفع وتطور العلوم والفنون بفضل تشجيع الملوك السلوقيين وظلت حركة التطور والدفع والانصهار العلمي والفكري والفني على قدم وساق في هذه المراكز العلمية مما أثمر لنا حضارة لها سمات شرقية ويونانية استمر فيها التأثير والتأثر بين الحضارات وإن كان تأثير الحضارة اليونانية أعمق وأكبر في الحضارات الشرقية ، وعلى كل حال فقد استمر الانصهار الحضاري بين الحضارات المختلفة.

واستمر الأخذ والعطاء بينها إبان العصر الروماني الذى استمر فيه الانصهار الحضاري على قدم وساق في مراكز الحضارة الشرقية والتى انتقل تأثيرها إلى الغرب الروماني الأقل حضارة وبفضل السلام الروماني وبفضل التشجيع الذى استمر للمدارس والمعاهد الشرقية على يد الرومان ، وإذا كانت روما مدينة بحضارتها للشرق فإنها في فترة

سـيادتها علـى المـناطق الشرقية قد كان لها إسهاماتها العظيمة في مجالات فكرية بعينها وأهمهـا على وجه الخصوص القانون الروماني الذى بدأ تأثيره على القوانين الشرقية وإن كـان تأثـير الأخير ظاهراً في بعض المجالات القانونية ، ثم استمر الانصهار بين القوانين وبلـغ أوجه بعد منح الجنسية الرومانية لكل سكان الإمبراطورية عدا المستسلمين في عهد الإمبراطور كاركلا .

ولم يكن التأثير في مجال القانون فحسب ، بل نجد من آثار التأثير ، التأثيرات الفنية للفن اليوناني مباشرة أو عن طريق الفن الروماني المتأثر بدوره بالفن اليوناني تأثرا كبيراً وفي بعض الأحيان تأثرا يصل إلى حد التطابق ، ويظهر جلياً في البتراء بالأردن ، حيث نجد المقابـر المـنحوتة في الصخر بواجهاتها وأفريزاتها وأعمدتها التى تتبع الطراز المعماري اليونانـي بشكل كامل ، وهذا نجده يتكرر في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية عند مديـنة العلا ومغائر شعيب ومدائن صالح ، ونجد الفن اليوناني يصل إلى اليمن حيث يظهر الطـراز الفنـي اليوناني واضحاً في عدد من التماثيل التى عثر عليها هناك وتخص الآلهة العربـية القديمـة و كمـا نجـد أيضاً أن قطع العملة اليمنية قد قلدت قطع العملة اليونانية وبخاصة العملة الأثينية تقليداً كاملاً في الرسوم والرموز وحتى الحروف اليونانية المنقوشة عليها طوال فترة غير قصيرة من التاريخ اليمني القديم [١].

ونجد أيضاً أن التأثيرات اليونانية امتدت إلى منطقة الخليج العربي ، إذ نجد بجزيرة فـيلكة الكويتية معبدين ، رؤوس أعمدة إحداهما أيونية الطراز والآخر دورية الطراز ، كما نجد أن خطة المعبدين كانت يونانية الطابع كما وجدت تماثيل يونانية الطراز [٢].

وسـنجد أن الفن اليوناني كان له تأثيره الجلى على الفنون اليهودية وهذا ما كشفت عنه الرسوم والصور على معبد يهودي في دورايوربوس [٣]، ولم يكن التأثير اليوناني على

---

(١) لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص١٣٧ ، ١٤١-١٤٣ ، ١٥ أ ، ب.

(٢) D.T. Potts , The Arabian Gulf in Antiquty , Vol. II , 1990

ـــ اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلينستية - الساسانية ، القاهرة، ١٩٩١ ، ص

الـيهود في مجال الفن فحسب ، بل نجد ذلك في مجال الفلسفة ولعل فلسفة فيلون هي خير شاهد على ذلك ، فقد كان يؤمن بما قاله الفلاسفة اليونانيون ، وخصوصا ما قاله أفلاطون ، بـل لا يـنكر أى فضل وقيمة للدين الشعبي اليوناني ، وتأثر كثيرا بالمعتقدات الشعبية عند اليونان (1).

ولـم يقتصـر تأثـير فلسفات العصور اليونانية الرومانية على اليهودية بل نجد هذا التأثـير يمـتد إلى آباء وبطارق وفلاسفة الكنيسة الأولى ومن بين هؤلاء أورجين وكلمنت وغيرهما (2).

جملـة القول لقد حدث انصهار بين الحضارة الشرقية و اليونانية الرومانية فقد أثر الشـرق فـي كـل مـن اليونان و الرومان و تأثر الشرق على نطاق واسع إبان العصرين الهلنيستي و الروماني .

و هكذا فإن الثقافة والعلوم والفنون اليونانية قد انتشرت في ربوع الشرق في العصر الهلينسـتي والعصر الروماني وأصبحت عنصراً هاماً ساهم في تشكيل شخصيته الحضارية ونمط حياة أممه واستمر هذا العطاء بعد الفتح الإسلامي .

تأثر العرب المسلمون بالحضارة الشرقية و اليونانية الرومانية

تبـنى المسـلمون الكثير من مظاهر النظم الإدارية والمالية السائدة في البلدان التى فـتحوها ، واستمرت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في الكثير من المناطق التى كانت قد دخلـت فـي حوزة الخلافة الإسلامية ، مصر بجانب القبطية ، وبلاد الشام بجانب الآرامية

---

٤٥ وما بعدها .

(١) عبد الرحمن بدوى ، خريف الفكر اليوناني ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٩١ وما يليها.

(٢) هـ . أ . بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص١٣٥ ، ١٦٩ ،

J.M. Creed , The Egyptian Contribution to Christianty legacy of Egypt ,ed. by Glanville , 1942 , pp. 300--316.

والسـريانية ، مـع إضافة اللغة العربية التى ستصبح اللغة الرسمية لدولة الخلافة في عهد الخلـيفة الوليد بن عبد الملك الذى أمر بتعريب الدواوين والإدارات الحكومية وكانت حركة الترجمة قد بدأت على نطاق ضيق في عهد الخلافة الأموية .

واستقى العـرب الكثـير مـن الفكر والعلوم اليونانية من بعض مراكز الحضارة ومنها:-

١) جـند نيسابور في جنوب إيران والتى اشتهرت بمدرستها الطبية وكان أسرى الروم قد أسسـوها فـي عهـد سابور الأول وظلت العلوم اليونانية تدرس بها بعد ترجمتها إلى الآرامية حتى العصر العباسي الأول.

٢) مدينة حران في منطقة الجزيرة وكانت تسمى هيلينوبوليس وقام نفر من أبنائها بترجمة الكثير من المؤلفات اليونانية إلى العربية من هؤلاء ثبت بن قرة ، وابن سنان ، وعائلة هلال الصابئ.

٣) الإسـكندرية حيـث وجـد بها واحدة من أقدم الجامعات وحافظت على التراث اليوناني والهلينسـتي ، وكـان العرب في العصر الأموي يقدرونها حق قدرها ، إذ نجد أسطافن السكندري قد ترجم بعض كتب الكيمياء ، وكان الخلفاء يستعينون بأطبائها .

وقـد بـدأت نهضـة علمـية حقيقية إسلامية في العصر العباسي الأول بعد أن تبنى الخلفـاء العباسـيون حـركة الـترجمة وكفلوها بالرعاية والعناية ، فتم ترجمة كتب الطب اليونانـية ، والطبـيعة ، والرياضيات ، والمنطق والفلسفة ، بينما أعرض المسلمون عن ترجمة الآداب والأعمال الفنية وكتب التاريخ والخطباء اليونان .

ولعـل السـبب فـي ذلـك هو الروح الوثنية في الأدب والفن اليوناني وذكر آلهتهم المـتعددة وعـبادة الأبطال وهذه الأمور لم يستسيغها العقل الإسلامي . إذ يقول المستشرق بـيكر: (لقـد كانت هناك عوامل تاريخية وعرقية ونفسية جعلت العرب لا يعنيهم من كتب الـيونان إلا ما كان معترفا به من الجميع ، وما كان في الوقت نفسه يلائم طبيعتهم وأعني بذلـك الـنزعة العقلـية المنطقية . ولذلك فإن كل شئ كان من نصيب الروح اليونانية في صـدوره أكثر من نصيب العقل اليوناني مثل الشعر الغنائي والأدب الروائي وما كان يونانيا

بحــتا كآلهة (هوميروس) ومؤلفات المؤرخين اليونان - إن كل هذه الأشياء ظلت أبوابها موصـــدة أمـــام الشـــرق ، وقد اقتصرت حاجة الشرق الفنية من تراث اليونان على هندسة البـــناء وما يشبهها من الفنون غير الشخصية . وقد ظل الشرق الإسلامي ينظر إلى النحت نظرة عار وحمق لمخالفة الشرع ، وبينما أصبح جمال عالم الصور القديم وصورة الإنسان الكامل العاري نموذجا حسيا حيا لصورة الإنسان الجديد عند الأوربيين ، ويرى عالم الحس الحي في الشرق قد اختفى وراء التجريدات العقلية أو في العلاقات الغرامية الفردية.

ولكـــن لســـوء الحـــظ فـــإن العلماء المسلمين لم يطلعوا على جانب مهم من التراث اليونانـــي وهـــو كـــتابات المؤرخيـــن ولاسيما هيرودوت وثوكوديديس وبوليبيوس ؛ كما لم يستفيدوا كثيرا من الفلسفة السياسية والفكر السياسي.

فـــي ضوء ما سبق فقد نقل العرب من التراث اليوناني علوماً معينة شعروا بحاجتهم إلـــيها وانها تتلاءم مع طبيعتهم وتتفق مع نظريتهم في الحياة ، فقد كان اهتمامهم بترجمة كتـــب المنطق والفلسفة نتيجة لما شعر به علماء الإسلام من الحاجة إلى مجادلة خصومهم المســـيحيين والـــيهود والمجـــوس بالحجج والبراهين ذاتها ، وكان أكثر علماء المسلمين يجمعـــون بين هذه العلوم المختلفة ، فقد كان الكندي وهو أول مشاهير الفلاسفة المسلمين فـــي الوقت نفسه عالما بالفلك والكيمياء والطبيعة والرياضيات وكان أيضا كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد من كبار الفلاسفة وممن اشتغلوا بالطب والطبيعة والرياضيات.

وقد أقر مفكرو المسلمين بفضـــل الحضارة اليونانية في بعض الوجـــوه ، ومن بين هؤلاء الجـــــاحظ إذ يقول : (لولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونـــت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعـــنا إلـــى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن لندركه إلا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ولَضَعُفَ سبيلنا إلى المعرفة)

ويقــول الفارابــي فــي كتابه (الجمع بين رأي الحكمين) : (لولا ما أنقذ الله أهل العقــول والأذهــان بهذيــن الحكيمين - أي أفلاطون وأرسطو - ومن سلك سبيلهما ممن أوضحوا أمر الإبداع بحجج واضحة مقنعة لكان الناس في حيرة لبس) .

ويضــيف أبــو حــيان التوحــيدي خلاصة مذهب اخوان الصفا بقوله : (وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا الشــريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيــل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حص الكمال ... وصنفوا خمسين رسالة في أجزاء الفلسفة علميها وعمليها)

فصــارى القــول أن الشرق الإسلامي وعلماء المسلمين قد حملوا راية ولواء الفكر الحضــارة وأضافوا إلى علومه في كافة الأفرع الكثير والكثير وبدورهم قد نقلوه إلى العالم الأوربــي الحديث عبر الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وما نقله الأوربيون أنفسهم من بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية.

واندفع العالم الأوربي إلى إحياء التراث اليوناني بكافة علومه ومعارفه وفنونه وآدابه في عصر النهضة بغرض فهم منابع حضارتهم وجذورها ، فإذا كان الأوربيون المحدثون قد نقبوا في التراث اليوناني لتأصيل حضارتهم الحديثة، فالأجدر بنا نحن العرب اليوم أن نعود إلــى هــذا الــتراث الضخم الذى أسهم في تكوين الشخصية العربية الإسلامية في عصور ازدهارها .

جغرافية بلاد اليونان و موقعها وأثرها على الشعب اليوناني وحضارته

الإنســان ولــيد البيئة يتأثر بها ويؤثر فيها ، فهي تدفع الإنسان إلى العمل والنشاط تحفزه إلى استغلال الموارد المتاحة في ضوء إمكاناته وقدراته. وتعد دراسة البيئة الطبيعية فــي العصور القديمة ضرورة للباحث لأن العوامل الطبيعية في تلك العصور كانت تؤثر في توجيه النشاط الإنساني وجهوده وجهة محددة وذلك لأنه لم يكن قد بلغ درجة التقدم والرقي الــتى تمكنه من السيطرة عليها ، ولذا وجب علينا أن نلقي نظرة سريعة على بيئة اليونان الطبيعــية حــتى نتمكــن من تفهم خصائص الشعب اليوناني وحضارته ، وفهم العلاقة بين اليونان بعضهم ببعض في بلادهم وعلاقاتهم بالعالم الخارجي.

تقع بلاد اليونان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من القارة الأوربية والمطلة على البحر المتوسط ، وتكاد تلامس شبه جزيرة الأناضول عبر مئات الجزر المنتشرة في المنطقة الفاصلة بينهما ، وهذا ما جعل اليوناني يولي وجهه شطر الشرق دائماً في فترات حضارته الأولى.

أمــا عــن طبــيعة بلاد اليونان فهي طبيعة جبلية بحرية جزرية ، وسنحاول أولا أن نتحدث عن الطبيعة الجبلية وأثرها على الشعب اليوناني.

إن طبــيعة شبه جزيرة البلقان هي طبيعة جبلية بحرية فالجبال تغطي حوالي ٨٠% مــن مساحة اليونان ، وهي منتشرة في شكل سلاسل جبلية تمتد عبر بلاد اليونان ، وأشهر هذه الجبال هي جبال بندوس (Pendos) التى تمتد في شكل قوس ضخم من البلقان الغربية إلــى بــلاد اليونان وجزر البحر الإيجي وغرب آسيا ، ويتفرع من هذه السلسلة عدة شعاب جبلية تكتنف الجانب الشرقي من بلاد اليونان، هذه الطبيعة أدت إلى التمزق الشديد للسطح بالجــبال والمرتفعات والوديان والسهول، ومع أن هذه الجبال غير شاهقة الإرتفاع فمتوسط ارتفاعهــا لا يــزيد على ٨٠٠٠ قدم في أغلبها ، فإنها تعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون الاتصال بين الجماعات المختلفة ، وتجعل التنقل شاقا بين منطقة وأخرى .

ومن ثم فقد انقسمت بلاد اليونان إلى أقاليم تكاد تكون معزولة عن بعضها البعض إلا من ممر ضيق بين المرتفعات الجبلية أو شريط على ساحل البحر ، وحتى هذه الممرات لم تكن يسيرة العبور. ولنضرب بعض الأمثلة عن وعورة البعض منها فلدينا جبال جرانيا (Geranea) وجبال كراتيه (Karata) الفاصلة بين منطقتي كورينثا وأتيكا ويوجد ممر على الحافة الشرقية لهذه الجبال ويتراوح ارتفاعه بين ٦٠٠-٧٠٠ قدما مما يخلق صعوبة لعابريه من المسافرين بسبب الرياح الشديدة الاندفاع في أحيان كثيرة نحو البحر وليست هذه الرياح هي العقبة الوحيدة التى كان يواجهها عابرو هذا الممر فقد كان يضيق في بعض أجزائه حتى لا يكاد يكفي إلا لمرور عابر واحد وإن كان عبوره يتم بعد جهد ومشقة ، وجبل كيثاريون (Kithareon) الذى يمتد على حافته ممر يصل بين منطقتي كورينثا وبؤوتيا ، وكان المرور في هذا الممر يمثل مشقة كبيرة تواجه سالكيه إذ يذكر إكسنفون أن قوة اسبرطية قد اضطرت أمام خطر الرياح الشديدة أن تلقي بدروعها جانبا حتى يستطيع الجنود أن يعبروا على أيديهم وأقدامهم(١).

ويشكل عبور جبال هيلكون الواقعة بين بؤوتيا وفوكيس عقبة كأداء لسالكيه وينطبق هذا القول أيضا على عبور جبال بندوس الواقعة بين تساليا وإبيروس ، فدروب هذه الجبال كانت تتجه إلى الارتفاع الذى يصل في المتوسط إلى ٣٠٠٠ قدما فوق سطح البحر ، كما أن هذه الممرات والدروب كانت تغطيها الثلوج في فصل الشتاء مما يعوق حركة الانتقال بين الجماعات المختلفة.

وإذا كانت الجبال تمثل عنصر فصل لاوصل بين المناطق المختلفة وحتى ممراتها على الرغم من صعوبتها فإن السكان لم يهتموا بالعناية بها وتعبيدها وذلك حتى لا يتعرضوا لغزو عبرها من قبل الجماعات المجاورة ، فإن البحر هو الآخر كان له بصماته القوية على بلاد اليونان وشخصيتها ، فقد كانت لحركة الانكسارات الجيولوجية في هذه المنطقة أبعد الأثر عليها حيث غزا البحر العديد من الوديان وحولها إلى خلجان تمتد لمسافات بعيدة في اليابسة ، وفي المقابل فإن سلاسل الجبال أصبحت تمتد داخل البحر مكونة أشباه جزر بارزة

(١) Xenophon , Hellenica , V. 17-8 .

ثـم تستمر بعد ذلك في صورة جزر متناثرة وهكذا صار البحر يكتنف بلاد اليونان من أغلب جوانـبها ويتوغل في أراضيها توغلاً شديداً ويقطع سواحلها تقطيعا فلا نجد شاطئا آخر في أوربـا غريب التكوين مثل هذا الشاطئ ولا حتى شواطئ دالماتيا (Dalmatia) أو النرويج ذات الخلجـان الكثـيرة العدد والتى تقع كلها في نفس الاتجاه وليس فيها تنوع مثل التنوع الشديد في الشواطئ اليونانية. وأمام التداخل الشديد بين اليابسة والبحر فإن البحر لا يكون بعيدا أبدا عن أعين المسافر ويمكنه رؤيته أثناء رحلته إلى الداخل ، فكان البحر لا يبعد عن أي بقعة في بلاد اليونان إلا لمسافة بسيطة ، فلا يوجد مكان في بلاد اليونان الوسطى يبعد عـن الـبحر بأكثر من واحد وستين كيلومترا ، ولامكان في البلوبونيز يبعد عنه بأكثر من ثلاثة وخمسين كيلومترا.

وأمام هذه الظاهرة كان البحر أحيانا هو طريق المواصلات الوحيد بين مدينة وأخرى وبخاصة في الجزر وأشباه الجزر ، ولكن إذا كانت أرض اليونان مقطعة في كل مكان ، فإن الوصـف نفسـه ينطـبق أيضا على البحر المحيط بها حيث لا تكاد تغيب اليابسة عن عين المـلاح . فقـد أثمرت الانكسارات الجيولوجية عن غرق المناطق المنخفضة من السلاسل الجبلية وبقيت المناطق المرتفعة على هيئة جزر فكان يوجد في البحر الإيجي ٤٨٣ جزيرة ، وفـي غـرب بـلاد اليونان حوالي ١١٦ جزيرة ، و مع ذلك العدد الكبير من الجزر لم تكن الملاحـة والإبحار أمراً يسيراً في البداية في العصور القديمة ، ومن ثم فإن البحر هو الآخر سـيؤثر على اتجاه السكان نحو العزلة السياسية ، وإن وجب علينا أن ننوه أن كثرة الجزر فـي البحر الإيجي ستساعد و تشجع على الملاحة والإبحار نحو الشرق وهذا سيحكم توجه اليونان نحو الشرق وحضاراته في العصور السحيقة والعتيقة والكلاسيكية أولاً ، ثم الاتجاه نحو الغرب حيث الأراضي البكر ثانياً .

وإذا كانت الجبال والبحار تمنع تحقيق الوحدة فإن الأنهار هي الأخرى لم تكن تساعد علـى تحقـيقها ، فهي أنهار قصيرة المجرى قليلة الماء والكبير منها – مثل نهر بينيوس (Peneus) فـي تسـاليا ، ونهـر ألفـيوس (Alpheus) فـي البولونيز، و نهر أخيلوس (Achelous) عـند حدود إقليمي أكارنانيا و أيتوليا ، و نهر باميسوس في إقليم مسنيا – لا

يصلح للملاحة إلا في فترة قصيرة من العام وإبان فصل الشتاء ، أما بقية الأنهار الأخرى فهي لاتزيد عن أن تكون سيولاً لا تمتلئ بالماء إلا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء وتجف مجاريها بقية فصول السنة ، وإذا كانت هذه الأنهار غير صالحة للملاحة فإنه يتعذر عبورها واجتيازها عندما تفيض مياهها في فصل الشتاء ، وغالبا ما يجرى الانتقال البري على الطرق المحازية لمجاري الأنهار.

وأمام الأثر السلبي للغاية لهذه الطبيعة الجبلية البحرية الجزرية المعقدة ، فإننا نجد انقسام الشعب اليوناني إلى جماعات كثيرة صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، وكل واحدة منها حريصة على استقلالها التام والتى كان بإمكانها أن تدافع عنه بسهولة كما أنها تمسكت بسيادتها (Autonony) ولم تقبل أبدا نظام حكم مشترك أو حتى اتحادي فيما بينها كما سبق أن بينا . ولذلك فشلت كل المحاولات الرامية للوحدة أحيانا والتى اضطروا إليها اضطرارا تحت إلحاح الخطر ولكن سرعان ما تزول . كذلك كان ، مع هذه التضاريس الوعرة ، من الصعوبة بمكان انشاء نظام جيد للطرق وهو القاعدة الأولى والأساسية لتوحيد أي دولة ، ولم تكن الطرق البرية بين المدن إلا طرقا رديئة لا تساعد على الانتقال والاتصال .

وأمام هذه الظواهر فقد تأصلت النزعة الانفصالية السياسية عند الجماعات حتى ذهبت إلى أبعد مما كان تمليه الطبيعة ، وتكونت المدن الدول التى استمسكت بحياة الاستقلال ولا ترضى عنها بديلا وقد أشاد مفكرو اليونان بهذا النظام وعدوه النظام الوحيد الذى يستطيع العيش في ظله الإنسان الحر فقد عبر أرسطو عن قوة وفاعلية نظام المدينة الدولة في قوله :"لقد ظهر هذا النظام إلى حيز الوجود من أجل الحياة لاغير ، ثم بقي موجودا من أجل حياة خيرة" .

وكان لهذا تأثيره أيضا عند خروجهم من بلاد اليونان وتأسيسهم للمستعمرات في الأراضي السهلية الخصبة الفسيحة إذ أنهم أقاموا نظام المدن الدول بها التي اعتادوا العيش فيها . وهذا ما نلمسه في مستعمرات سواحل آسيا الصغرى ، وإيطاليا وصقلية ، بل

سنجد أن بعض الجزر كان بها أكثر من مدينة دولة وسنتناول هذا عند حديثنا عن حركة الهجرة الكبرى شرقا وغربا لليونان.

المناخ وأثره في اليونان :

كان للمناخ أثر بالغ فى حياة وشخصية اليونان ، فمناخ اليونان هو مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل ، فصيفها حار جاف وشتاؤها ممطر دافئ . ويرجع اعتدال المناخ في بلاد اليونان إلى اعتدال البحر المتوسط حيث تهب الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء مما يلطف من برودة الجو ، بينما يجذب في الصيف الرياح الشمالية الشرقية الجافة الباردة فيلطف من درجة حرارته ، وإن كان هناك اختلاف وتنوع في مناخ المناطق المختلفة من اليونان فكلما توغلنا في داخل بلاد اليونان وابتعدنا عن البحر فإننا نلمس وبصورة جلية اختلاف المناخ الذى يبعد عن تأثيرات البحر ويصبح أكثر شبها بمناخ قلب القارة الأوربية ، وفي الغالب الأعم فقد كان مناخ بلاد اليونان ثابتاً منتظماً نسبياً وهو مناخ ملائم لنشأة الحضارات وسيكون لهذا المناخ تأثير واضح على الحضارات الأولى وحدد قيامها على الأطراف وليس في الداخل وهذا ينطبق على حضارة الجزر (الكوكلاديس وكريت) وعلى الحضارة الموكينية ، وكذلك على انتشار المستعمرات اليونانية على السواحل الأسيوية وفي جنوب إيطاليا وصقلية.

كان لاعتدال المناخ و لكثرة سطوع الشمس لساعات طويلة صيفاً وشتاءً عظيم الأثر في حياة اليونان الجماعية ، فكان اليوناني يقضي ساعات طويلة من فراغه خارج المنزل ويلتقي ببقية الجماعة ، حيث يمكنه تبادل الأفكار وشحذ القدرات العقلية ونمو فكرة الحياة المشتركة ، وكان صهر وصقل الأفكار المشتركة موضعه ساحة المدينة العامة أو السوق (agora) فقد كانت ساحة متعددة الأغراض لتبادل السلع والمنافع ، وللتقاضي وتبادل الأفكار والحوار ، وكان ثمرة هذا كله النضج السياسي ، كما أدى سطوع ضوء الشمس لساعات طويلة سواء على الجبال أو البحار والأنهار والغابات والمراعي المروج والمزروعات ، وكلها غالبا ما تكون في مرمى البصر لليوناني ، إلى تباين وتقابل الألوان و هذا كان له الأثر البالغ في التأثير على حواس اليونان التى ظلت حية متوثبة ، وعندما

تكون الحواس نشطة مشحوذة في حماس فنتيجة ذلك أن العقل يكون متوقداً متأهباً لتفحص وتأمل كل شئ وتفسير ما حول الإنسان من أمور وأحوال ، فلا عجب إذاً من شغف اليونان بالتأمل الطويل ، فقد أثر عن سقراط أنه كان يظل واقفا ساعات طويلة ذاهلا عمن حوله من الناس ، وغير عابئ بمضي الوقت ، وكانت نتيجة هذا كله تشكيل الفكر اليوناني الفلسفي والسياسي وازدهار الفكر المسرحي بشقيه التراجيدي والكوميدي...إلخ

وإذا كان المناخ قد لعب دوراً حيوياً في حياة اليونان فعلينا أن ننتقل الآن لمناقشة موارد الثروة عند اليونان وعدم كفايتها وأثر ذلك عليهم.

موارد الدخل والثروة في بلاد اليونان :

لم تكن طبيعة بلاد اليونان سخية في عطائها من الناحية الاقتصادية ، إذ كانت نسبة الأرض السهلية حوالي ٢٠% من مساحة اليونان الكلية ، بينما المساحة الباقية عبارة عن ٨٠% أراضي جبلية ، وكان على اليونان أن يقيموا ويستغلوا المناطق السهلية المحدودة التي لم تكن درجة خصوبتها واحدة فقد تباينت بين منطقة وأخرى ، كما تباينت مساحة السهول في مناطق اليونان المختلفة. وأمام نقص المساحة الزراعية السهلية في بعض المناطق فقد لجأ اليونان القدماء إلى استغلال سفوح الجبال ذات التربة الضئيلة السمك وبذلوا جهودا كبيرة لاستزراعها بعد أن درجوها ، وهذا يظهر جليا في جزر الكوكلاديس.

وتتركز السهول الرئيسية في المناطق الآتية :-

١) منطقة تساليا حول لاريسا وشرق فارسالوس وسهول نهر إسبرخيوس شرق ماليس وفي فوكيس جنوب إلاتيا.
٢) سهول بوؤتيا.
٣) سهول أتيكا ومنها سهل اليوسيس وسهل ميسوجيا Mesogaea الواقع بين هيمتوس وجبال الساحل الشرقي والسهول حول ماراثون.
٤) سهول أرجوليس وهي موجودة حول أرجوس والسهل المتاخم لمانتينا وتجيا ، وسهل لاكونيا والسهل الساحلي الغربي بإقليم إيليس.
٥) سهول جزيرة يوبويا.

وقد انتشرت في هذه السهول المزارع والمناطق الرعوية وكلما زادت حاجة اليونان وزاد عددهم ، توسعوا في زراعة واستصلاح جانباً من أراضي المراعي، وإذا شحت الأرض في المناطق السهلية كان عليهم إما أن يقوموا بتدريج سفوح الجبال وزراعتها ، وإما أن يخرجوا من منطقتهم مهاجرين ساعين للانتقال إلى مناطق أكثر رخاءً وازدهاراً فيما وراء البحار . كما لجأ اليوناني للحفاظ على خصوبة التربة وذلك بتقسيمها إلى قسمين ، أحدهما : يزرع ، والآخر : يترك خلاء، على أن يزرع في العام التالي مع ترك الأول بغير زرع وهكذا كانت تتناوب العملية الزراعية .

ومن أهم الحاصلات الزراعية القمح والشعير ، وكانا يمثلان الغذاء الرئيسي عند اليونان وكانت كل مدينة دولة تحاول زراعة ما يكفي حاجتها من القمح ، وإذا قل العرض عن الطلب وعجزت المدينة الدولة عن تحقيق الاكتفاء الذاتي كانت مجبرة على استيراده .

كانت زراعات الأعناب تجود في اليونان التى عرفتها منذ فجر تاريخها ، وكانت زراعته من المحاصيل الرأسمالية ، فقد استخدموا المحصول لسد حاجة الاستهلاك المحلي ، إذ كان عصيره هو الشراب الشعبي عند اليونانيين ، وما يفيض عن حاجتهم كان يصدر إلى الخارج . كما أن زراعة الزيتون قد جادت في الأرض اليونانية ، وكان من المحاصيل الرأسمالية أيضاً في اليونان ، إذ كان يستخدم زيته في عدة أغراض حيوية فزيت العصرة الأولى للطعام ، وزيت العصرة الثانية للاستحمام والنظافة ، وزيت العصرة الثالثة للإضاءة ، أما بقية مخلفاته فكانت تستخدم كوقود وكان يتم إنتاجه بكميات كبيرة نظرا لملائمة التربة اليونانية والأحوال المناخية لزراعته ، وإن كانت أشجاره لا تبدأ في الإثمار إلا بعد ستة عشر عاما أو ثمانية عشر عاما ، ويزداد إنتاجها تباعا ، وتعطي أعلى إنتاج عندما يصل عمرها أربعين عاما أو ستين عاما ، وأمام طول فترة انتظار المحصول الوافر فقد كان من العسير زراعته إلا في ظل حكومة قوية وعند زراع يتسمون بالصبر ولديهم المال الكافي للاستثمار في الزراعة. وعرفت بلاد اليونان أيضاً زراعات التين والكمثرى والتفاح والبرتقال ، وفي الغالب الأعم فإن موارد بلاد اليونان في الحبوب لم تكن تكفي لسد حاجة

السكان وكان عليهم استيراده بينما كان يوجد عندهم فائض في النبيذ وزيت الزيتون وكان عليهم تصديره إلى الأسواق الخارجية.

ولم تكن الزراعة هي مصدر الثراء الوحيد فقد كانت حرفة الرعي تمثل مصدر الدخل الثاني لليونان وقد استغل اليونان أراضي المراعي في السهول وعلى سفوح الجبال وعلى الجبال نفسها ، فقد اعتنوا بتربية الحيوانات ، مثل : الأبقار والأغنام والماعز والخيول والبغال والخنازير.

كما استغل اليونان أخشاب الغابات المحلية لسد احتياجاتهم ولكن بمرور الوقت قلت مساحة الغابات إذ امتدت يد الإنسان اليوناني واجتثت جانبا منها وأحلت زراعة الحاصلات محلها كما كان للماعز دور كبير في إتلاف الكثير منها ، وأمام نقص الأخشاب فقد استوردوها من البلاد المجاورة.

أما عن ثروة بلاد اليونان من الأحجار والمعادن ، فهي متعددة الأنواع وإن كانت غير وفيرة ، فكان الرخام المتعدد الأنواع يتم قطعه من باروس بكميات كبيرة، كما كان يتم استخراج الذهب من مناجمه في تراقيا ومقدونيا وجزيرة ثاسوس (Thasos) ، والفضة من مناجمها في لوريوم (Laurium) في أتيكا ، والنحاس من مناجمه بالقرب من خالكيس بجزيرة يوبويا وقبرص ، والحديد من مناجمه في لاكونيا. وهذه المعادن كما نرى كانت تستخرج من بعض المدن الدول وتصدر إلى دول مدن أخرى وكان يسد النقص بالاستيراد من خارج المدن الدول اليونانية .

قصارى القول أنه في ضوء ما فرضته الظروف الجغرافية - التضاريسية والمناخية وفي ضوء نقص الموارد نجد أن اليونان قد كان عليهم العيش في جماعات صغيرة ، يعرف كل جماعة بعضهم بعضا ، وتعيش هذه الجماعة حياة منطلقة يتبادلون الرأي والمشورة في كافة القضايا التى تواجههم أو تعن لهم ، وأمام سياسة الاكتفاء الذاتي لكل جماعة ، فإن هذا سيؤدي إلى ترسيخ الروح الفردية الانعزالية لدى كل جماعة بمرور الوقت وصارت هذه الجماعات لاتقبل العيش إلا في جماعات صغيرة وهذا ما ستؤكده حركة

الاستعمار والهجرة عندما ضاقت عليهم الأرض وأصبحت لا تفي باحتياجاتهم الضرورية في أحايين كثيرة ، فهاجروا إلى مناطق جديدة نقلوا إليها نظمهم وأفكارهم التى اعتادوها في مواطنهم أو مساقط رأسهم ، وأقاموا تنظيمات وكيانات منفصلة بشكل تام عن مدنهم الأم المنحدرين منها ، وهذا ما سنشرحه في الفصول التالية .

• • • •

بداية التاريخ اليونانى

كــان الـــيونانى فى العصور القديمة يعتبر أن التاريخ محفوظ فى ملحمتى الاليـــاذة والأوديســـة ، وفـــى القصص والأساطير ، التى وصلت إليه من الماضى البعيــد ، الخاصة بـــبعض مراكـــز الحضارة التى مازالت بعض آثارها شاخصة للعيان أمامه وتذكره بمجدها الآفـــل ، مثل موكيناى و ترينس ، و لم يضع المفكرون القـــدماء حـــداً فاصلاً بين الماضى الأســـطورى والأحـــداث الواقعـــية الملموســـة فى تاريخهم ، فعلى سبيل المثال يقص علينا هيرودوت أن حرب طروادة قد اندلعت فى زمن الجيل الثالث بعد وفاة الملك مينوس . وكانت الحرب بالنسبة له حدثاً تاريخياً غير قابل للجدل ، كما كان الحال عليه بالنسبة لحملة ياسون إلى كولخيس لاحضار الفروة الذهبية ، وحتى المؤرخ الناقد والمدقق ثيوكيديديس قد افتتح روايته للتاريخ اليونانى بالإشارة إلى الملك مينوس ؛ إذ يقول " مينوس هو أول من اشتهر عندنا عن طريق الروايات المأثورة . بأنه أنشأ أسطولاً ، إذ جعل نفسه سيداً على جزء كبير مما يسمى الآن البحر الهلينى ، وصار سيد الكوكلاديس وهو أول من استعمر معظمها وذلك بـــأن طـــرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لها . وعمل مينوس طبعاً على تطهير البحر من القراصـــنة قـــدر استطاعته ، لكى يصل إليه خراج مملكته بسهولة ، مع ادراك ثيوكيديديس المـــؤرخ الـــناقد والمدقـــق أن اشعار هوميروس تؤرخ بفترة متأخرة عن الأحداث المحيطة والمفـــترض حدوثهـــا بســـقوط طـــروادة ، نجده لا يشك فى أصالة الشاعر قط ، أو فى أن أجاممنون كان ملكاً على موكيناى ، كما نجد المؤرخ الموسوعى أراتوسثنتيس القورينى قد بدأ مسحه للأحداث التاريخية فى بلاد اليونان بحرب طروادة والتى أرخها بعام ١١٨٤ ق.م " . ومـــن الكـــتّاب القدامـــى الذين خصوا كريت وحضارتها بالذكر والتقدير ، هوميروس ، وهـــيرودوت ، وثيوكـــيديديس وافلاطون وأرسطو ، وكانت معلوماتهم عنها مقتضبة ولكنها دقـــيقة فـــى تفاصيلها . فمن أقوال هوميروس فى الالياذة أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة وســـبع مـــنها أورد ذكـــرها فـــى قلـــب الجزيرة وهى كنوسوس ، وجورتين ، وليكتوس ، وميلـــتوس وفايستوس وريتيون (Rhytion) ، كما نجده يذكرها فى الأوديسة قائلاً :" فى

قلب البحر القاتي في لون النبيذ توجد أرض تسمى كريت ، وهي واسعة وخصبة ، ومحاطة بالـبحر ، ويستمر في القول أن أناس كثيرين يعيشون هناك ، وأن بها ٩٠ مدينة ولغات مختلطة ، وهؤلاء الناس كانوا من الآخيين ، والايتوكريتيين (Etocretans) والكيدونيين (Kydonians) والدوريين والبلاسجيين ، وأيضاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الإله الأكبر زيوس قد اعتاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات ، كما نجد أن الكتّاب اليونانيين ومنهم افلاطون يذكرون أن مينوس كان يذهب كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حتى يمكنه تجديد الرفقة والصحبة سواء مع زيوس أو مع الالهة الأم كي يتسلم سلطته منها . وقد أشاد أرسطو في كتاباته بنظم كريت وحضارتها . وهكذا نجد أن الشعراء والكتّاب والفلاسفة القدامى قد آمنوا إيماناً صادقاً بوجود هذه الحضارات ، فما هو موقف المفكرين والدارسين المحدثين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الحضارات السالفة الذكر ؟ لقد اتخذ هؤلاء المؤرخون المحدثون موقفاً ناقداً من الحقائق المأخوذة من الملاحم وكتب المؤرخين القدامى ومن الاساطير ، ورفضوا أن يقبلوا العصر البطولي كعصر تاريخي ، و اعتادوا أن يبدأوا كتبهم بقسم يخصصونه لدراسة الاساطير اليونانية التي كتبها الكتّاب القدامى ، وعمدة هذا الاتجاه هو المؤرخ الانجليزي جورج جورتي (G. Grote) الذي كتب في منتصف القرن التاسع عشر سفراً ضخماً عن التاريخ اليوناني ، وميز فيه بين الأسطورة والتاريخ الحقيقي ، ويعتقد فيه أن التاريخ اليوناني يبدأ بالهجرة الدورية ، وان كان قد بدأ تاريخه بأول دورة للألعاب الاوليمبية عام ٧٧٦ ق.م لكون تلك الالعاب تمثل نقطة انتقال من عالم الأسطورة والخرافة إلى التاريخ الحقيقي ، ولكن هذا الرأي سرعان ما انهار بفضل معاول الآثاريون في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر . وتأكدت حقائق كثيرة من أقوال القدماء ، فقد بدأ المنقبون في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تنقيباتهم الأثرية ، والتي ما تزال مستمرة ، وقد آتت أُكلها وما تزال تجود بالكشف عن جوانب من حضارات عتيقة " ابتداء من العصور الحجرية والبرونزية " غير مشكوك في صحة وجودها ، وهذه الحضارات قامت ووصلت ذروة مجدها في المنطقة الايجية وبلاد اليونان القارية ، كما كشفت لنا عن أن حضارات عصر البرونز قد عرفت الكتابة وتركت لنا رقماً مكتوبة ، ومن هذه الحضارات حضارة جزر الكوكلاديس ، والحضارة الهيلادية . وكان

مـــن نتيجة هذا كله أن أصبحت الفترة السابقة لعام ٧٧٦ ق.م من العصور التاريخية والتى يمكن توثيقها.

وقـــد بدأت الحفائر فى عالم بحر إيجه تميط اللثام عن حضارة رائعة على يد المنقب الألمـــانى هيـــنرش شـــليمان (Heinrich Schliemann) . إذ كشـــفت تنقيباته عن وجود حضـــارات ســـابقة بزمـــن طويل عن التاريخ المتعارف عليه عند المؤرخين المحدثين وهو ٧٧٦ ق.م . لقـــد قـــام هذا الرجل العظيم بعد جمعه ثروة طائلة من أعماله التجارية والتى مكنـــته من الانفاق على إجراء حفائر فى منطقة طروادة وفى مناطق أخرى من بلاد اليونان مسترشـــداً بالوصف المسجل فى الإلياذة والاوديسة ، وكان يؤمن بهما ايماناً عميقاً ويوقن أنهما يعكسان تاريخاً لحضارات قديمة ولاحداث تاريخية حقيقية ولا تمثلان أساطير ، وكان يؤمـــن أن حـــرب طروادة كانت واقعاً لا خيالاً . و من ثم فقد بدأ حفائره فى طيبة فى عام ١٨٧٠ م وفى موكيناى ١٨٧٤م ، وفى أورخومينوس (Orchomenenos) عام ١٨٨٠ م ، وفى ترينس عام ١٨٨٥ م . وكان من ثمار حفائره أنها كشفت عن دول قوية زاهرة لقرون قـــبل الـــتاريخ المقـــبول لـــبداية التاريخ اليونانى وأن بعض اللقى والمخلفات الأثرية كانت مـــتطابقة مع وصف هوميروس وأن حرب طروادة كانت حقيقية وواقعاً فى حياة اليونان ، وتحـــت تأثير الروايات المتواترة فى العصور القديمة لهوميروس والكتّاب الآخرين عن قوة الملـــك ميـــنوس Minos ملـــك كريت وأنه قد حكم وسيطر على البحر الإيجى ؛ فقد حاول هنـــيرش شليمان الكشف عن الحضارة المينوية ، ولكنه فشل فى شراء الأرض من مالكها والـــتى كـــان يـــرى أنها تخفى بقايا قصر كنوسوس وكان على حق فى اعتقاده ، وإذا كان شـــليمان قد فشل فى شراء هذه الأرض ، فإن محاولات وجهود العالم الانجليزى أرثر ايفانز قـــد نجحـــت وتوجـــت بشراء الأرض من مالكها ، وبدأ فى إجراء حفائره فى المنطقة عام ١٨٩٩ م. وكانـــت نـــتائجها رائعة إذ كشفت عن حضارة زاهرة فى كريت وأنها كانت أكثر رقياً وازدهاراً وروعة من تلك التى عرفتها بلاد اليونان الهيلادية ، وأنها كانت سابقة عليها وأن الحضـــارة الهـــيلادية قـــد تأثرت بها فى مجالى الفكر والدين ، وكان ذلك خلال الألف الثانية قبل الميلاد . وكان لهذه الكشوف الأثرية فى الدوائر العلمية صداها الكبير إذ حفزت

الجمعيات العلمية والجامعات على إجراء الحفائر فى كريت ومنطقة بحر إيجة وآسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان والمناطق المجاورة ، وكان ثمرة كل هذا نتائج رائعة غيرت لنا الكثير من الآراء ومازالت تغير مع كل نشر جديد وكل كشف جديد عن حضارة اليونان وأصولهم . وهكذا فقد نسخت نتائج الحفائر الأثرية آراء مؤرخى القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكان لابد من إعادة كتابة فصول تاريخ هذه الفترة فى ضوء اللقى الأثرية والآثار المعمارية . فتحركت الهمم والاقلام واثمر هذا عن كتب ومقالات بلغات شتى عن هذه الحقبة . وبعد أن عرضنا فى عجالة لبداية التاريخ اليونانى ننتقل الآن للحديث عن أصول الشعب اليونانى .

أصل الشعب اليوناني

من هم سكان بلاد اليونان والجزر وكريت الأول؟ وهل كانوا ينتمون لجنس واحد أم عدة أجناس ؟ وهل كانوا أجداداً لليونان ؟ وهل كانوا يتكلمون لغة هندواوربية أم لغة أو لغات أخرى ؟ وهل نزلوا المنطقة فى موجة واحدة من الهجرة أم فى موجات متتالية أم متقطعة من الهجرات ؟

كشفت لنا التنقيبات الأثرية أن بلاد اليونان والجزر قد شهدت سكنى الانسان من العصر الحجرى القديم ، إذ سكن الإنسان مناطق تساليا فى وادى نهر بنيوس (Peneus) ، و في مناطق شمال ووسط اليونان والجزر ، وزادت مستوطناته فى هذه المناطق فى العصر الحجرى الوسيط ، وفى الفترة الانتقالية بين العصر الحجرى الوسيط والعصر الحجرى الحديث زادت أعداده عندما عرف الزراعة واستأنس الحيوان وصار زارعاً مستقراً وراعياً لقطعان وأعداد كبيرة من الحيوانات ، وزادت محلات سكناه فى العصر الحجرى الحديث ، ويرى البعض أن هذه الزيادة فى عدد المستوطنات فى تلك المناطق ناتج عن موجات من الهجرة وفدت إلى تلك المناطق ، وبعد الاستقرار فقد طور الإنسان أدواته الحجرية وصنع فخاره ، وأطلق كتاب اليونان القدامى على أصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث البلاسجيين (Pelasgoi) أو الليلجيين (Leleges) ، و الكاريين ، ويرجح أن هؤلاء قد

وفــدوا من جنوب غرب آسيا الصغرى ، ودخلوا عبر الجزر اليونان من سواحلها الشرقية والجنوبية، ولعلهم كانوا يمتون بالصلة للسكان الأوائل فى كريت وجزر البحر الأيجى ، ولم تكن لغة البلاسيجيين تنتمى إلى العائلة الهندواوربية ، ويتضح ذلك من نهايات أسماء كثير مــن الأماكــن والنباتات والطيور والملاحة وصيد الأسماك ، ومن هذه النهايات ، النهاية (SOS) والـنهاية (ene) والـنهاية (thos) مثل كورنيثوس وموكينى ، برناسوس ... الخ .

ومما هو جدير بالذكر أن الكثير من مفرداتهم قد تبناها مهاجرون هندواوربيون جدد وفدوا أو توافــدوا علــى المنطقة – فى رأى بعض الباحثين – فى خواتيم الالف الثالثة أو فى بداية الالــف الثانــية بعد الميلاد ، ولكن لا نعرف من أين أتوا ، فلعلهم وفدوا من منطقة حوض الدانــوب أو شــمال أوربا الشرقى أو من منطقة أكثر بعداً من ذلك ، وأغلب الظن أنهم لم يدخلــوا فى هجرة واحدة ، وإنما دخلوها فى أفواج متعاقبة وأن هجرتهم قد استغرقت عدة قرون ، وكان ثمرة هذه الهجرة أن عناصرها قد طغت على السكان القدامى وأصبحوا الطبقة الحاكمــة بفضل تفوقهم العسكرى ، ولكنهم فى نفس الوقت قد امتزجوا بالسكان الأصليين ، وسنحاول أن نلقى الضوء على تاريخ وصولهم الدقيق قدر ما تمكننا به المصادر الوثائقية ، يــرى العــالم نلسون أن هذه الهجرات لم تتوافد على العالم اليونانى قبل عام ١٦٠٠ ق.م ولكــن جــل الآثاريين والمؤرخين يرون أنهم توافدوا على المنطقة مع فاتحة الالف الثانية، وأن هذه المرحلة تمثل مرحلة العصر الهيلادى الوسيط فى بلاد اليونان ويرى بول كرتشمر (P. Kertschmer) أن الهجــرات الهندواوربــية إلــى بــلاد اليونان كانت توافدت فى ثلاث موجات من الهجرة وهى الايونية والآخية والدورية ، والايونيون هم الذين توافدت هجرتهم فــى القرن العشرين ، بينما توافدت جموع الآخيين فى القرن السادس عشر والدوريون فى القــرن الثانى عشر(*) . فماذا عما تنبئــنا به المصادر الوثائقية ؟ تقدم لنا الألواح المكتوبة الــتى تــم العــثور عليها فى مناطق مختلفة من كريت وبلاد اليونان . معلومات عن وجود العنصــر اليونانى فى بلاد اليونان والجزر وكريت ولكن فى فترة متأخرة ، فقد وجدت أعداد وفيرة من المجموعة الخطية الثانية ، فقد عثر على ٣٠٠٠ لوح منها فى كنوسوس ويعود

(*) هذا الرأى يشوبه بعض الأخطاء والتى سنصححها فى الصفحات التالية .

تاريخهـــا إلى علم ١٤٠٠ ق.م ، وفى بيلوس تم العثور علم ١٩٣٩ م. على حوالى ١٢٥٠ لوحـــاً مـــنها ، وعثر على ٥٠ لوحاً فى موكيناى فى علم ١٩٥٢م. ويعود تارخها إلى علم ١٢٠٠ ق.م وعـــثر على ٢٠ لوحاً فى طيبة سنة ١٩٦٤ م ويعود تاريخها إلى حوالى علم ١٣٢٠ ق.م .

وفـــى ضوء هذه الألواح نعرف أن اليونان كانوا يعيشون فى بلاد اليونان فى القرن الـــرابع عشـــر ، فماذا عن الفترة السابقة ؟ لعل نقص المادة المكتوبة من نفس المجموعة للفـــترة السابقة راجع إلى أنّ أصحاب الحضارة اليونانية كانوا يستخدمون رقماً طينية غير محـــروقة وبعـــد الانـــتهاء من أغراضهم منها كانوا يعيدون استخدامها بعد نقعها فى الماء مرات ومرات ، وما وصلنا من رقمهم فقد وصلنا نتيجة لحرائق شبت فى العصور المختلفة ومـــن ثـــم حفظتها لنا . فقد شبت حرائق هائلة فى كينوسوس علم ١٤٠٠ وفى طيبة علم ١٣٢٠ ق.م وفى بيلوس علم ١٢٠٠ ق.م .

وإذا كـــان أقدم الرقم من المجموعة الخطية الثانية يعود تاريخه إلى علم ١٤٠٠ ق.م فهـــو لا يقـــدم لنا معلومات عن موعد وتاريخ وصول هؤلاء الناس إلى بلاد اليونان ، فإن لدينا المجموعة الخطية الأولى (Linear A) والتى يعود تاريخها إلى الفترة ما بين ١٧٥٠ – ١٤٠٠ ق.م ، و لكـــن هـــذه المجموعـــة ما تزال لسوء الحظ مُغلقة على العلماء فلم يتم قراءتها بعد ، ولم تفك طلاسمها الأمر الذى يدعونا إلى الأخذ بالدليل الاثرى واللقى الاثرية فى المواقع المختلفة التى عاش فيها هؤلاء القوم . لقد سبق أن ذكرنا أن اللقى الاثرية فى تلـــك المواقـــع يعـــود تاريخها إلى أن سكنى الإنسان فى بلاد اليونان قد حدث في العصور الحجـــرية ، ونضـــيف هـــنا أن فترة التحول من العصر الحجرى الحديث إلى عصر البرونز العتـــيق قـــد حدثـــت فى بداية الألف الثالثة ق.م . فى منطقة بحر إيجة ، ومن المرجح أن مهاجريـــن من وسط آسيا الصغرى ومن سكان منطقة البحر المتوسط قد حملوا معهم معدن الـــنحاس أولاً ثـــم الـــبرونز إلـــى بلاد اليونان الأم والكوكلاديس وكريت ، واستمر العصر البرونزى الباكر لمدة ألف علم تقريباً . وفى نهاية هذه الفترة أو بداية الألف الثانية وفقاً لأغلب العلماء كان أول ظهور لهجرة هنداوروبية فى المنطقة والمناطق المجاورة، فالالواح

المكـتوبة الـتى تم العثور عليها فى كانش (كولتيتى) فى قلب آسيا الصغرى و التي تكشف عـن أن عناصر هنداوربية عاشت فى القرن العشرين والقرن التاسع عشر ق.م وربما فى فـترة أسبق ، ربما فى أواخر الألف الثالثة، وأن هؤلاء الجائلين من العناصر الناطقة باللغة الهنداوربـية قـد بدأوا فى الهجرة ، لأسباب عديدة ، وفى أوقات مختلفة إلى الهند وهضبة إيـران وآسيا الصغرى والبلقان بما فيها اليونان وإيطاليا وأجزاء أخرى من أوربا . وبعد اسـتقرار تلـك الجماعـات بدأت تنفصل عن بعضها البعض وتطورت لغتها بشكل منفصل ومخـتلف عن الجماعات الأخرى ، وكان أول وصول لليونان فى عام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً . وفـى غضـون بضـعة قرون فقد انتشروا فى بلاد اليونان . ويكشف علم الآثار عن وجود العديـد من التجمعات السكانية فى هذه الفترة فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان وتساليـا . ونذكر مثالاً واحداً من موكيناى حيث كشف شليمان عن ست مقابر تحتوى على ست عشرة جـثة لـرجال ونسـاء وأطفال ودفن معهم لقى ذهبية وتحتوى على أقنعة ذهبية للرجال . ويـرجع تـاريخ هذه المقابر إلى القرن السابع عشر والسادس عشر ، ويكشف لنا هذا عن تواجدهـم فـى القـرن السابع عشر ومن المؤكد أنهم تواجدوا فى موكيناى من عدة أجيال سـابقة ومـن المـرجح أنها نزلت بأرض اليونان فى خواتيم الألف الثالثة – وفاتحة الألف الثانـية قبل الميلاد – وجملة القول أن العناصر الهنداوربية قد تواجدت فى بلاد اليونان ، و فـي ضـوء مـا لدينا من أدلة أثرية ، في الفترة السابقة على القرن السابع عشر. وهذه العناصر كانت تتكلم لغة يونانية عتيقة .

وإذا كـان مـن الثابـت أن بـلاد اليونان قد عرفت عنصر البحر الأبيض المتوسط والعنصر الهندوأوربى ، فإن البعض يفترض أنها قد عرفت هجرات سامية افريقية أو غزاة شرقيين ارفع حضارة وأعلى شأناً فى نهاية العصر الهيلادى العتيق أى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م ووفقـاً لهذا الرأى فقد غشت موكيناى وغيرها من مراكز الحضارة الهيلادية هجرة أو هجـرات سـامية وأقامـت أسر حاكمة بتلك المناطق . وهذا ما تعضده الروايات اليونانية المـتواترة ، فكـان من بين القصص الرائجة فى القرن الخامس عند الكتّاب القدامى قصة تقـول إن زعـيماً مـن زعماء عصر البطولة الباكر يُدعى دناوس جاء من مصر إلى بلاد

اليونان ونزل بمدينة أرجوس حيث أصبح ملكاً عليها فيما بعد ، وهناك قصة أخرى تقرن بين دناوس وكادموس وبيلوبس بوصفهم جميعاً أجانب . فالأول من مصر والثاني من فينيقيا والثالث من آسيا الصغرى ، ان مثل هذا القصص عن الغزو والهجرة الأجنبية لا يمكن أن يكون خيالاً ، إذ تذكر المصادر الأدبية أن دناوس كان جداً لدناءى (Danae) وهى والدة برسيوس مؤسس موكيناى وهو جد هيراكليس ويورستيوس (Euryotheus) ، وأنه عاش في القرن السادس عشر ونقش باروس يضع عام ١٥١١ كتاريخ لحكم دناوس . كما أن ابن عمه الأمير كادموس الفينيقى هو الآخر قد جاء إلى بؤوتيا واستقر فى طيبة - وأسس أسرة حاكمة بها - وأصبحت طيبة تعرف فى الأساطير القديمة باسم كادميا أى مدينة كادموس ويعرف أهلها بالكادميين . ويرى البعض أن هجرة كادموس قد خرجت من آسيا الصغرى ، و الجدير بالذكر أن الحفائر الاثرية قد كشفت منطقة سكنية تحمل الطابع المصرى ، فى عمارة مبانيها من أشكال هرمية وآبار وهمية سحيقة فى نفس منطقة كادميا ، وتؤرخ بنهايات الألف الثالثة قبل الميلاد كما أن القطع الاثرية من المزهريات تكشف لنا عن صور أوربا (Europa) فى لباس شرقى، وهناك صور للدانيين مشابهة لها . وهكذا على ما يبدو أن بلاد اليونان قد عرفت حركة هجرة شرقية سامية وربما يكون ذلك فى بداية الالف الثانية وربما تكون هجرة أخرى فى القرن السادس عشر ، ولعل ما ذكره الكتّاب اليونان بشأن هذا هو خير دليل على هذه الهجرة ، لأنهم عاشوا فترة كانت فترة نضج وتفاخر الكتّاب اليونان فيها بثقافتهم وحضارتهم ، وأنه كان الأجدر بهم أن يرفضوا التأثير الشرقى والاستيطان من الشرق ، ولكن نجدهم مع تعصبهم القومى يقررون أن هناك هجرات شرقية وفدت إلى بلاد اليونان ، وبعد اندماج هذه العناصر المختلفة واستقرارها لفترة طويلة علا أو سما نجم حضارتها وأصبحت هى السائدة فى بلاد اليونان وفى منطقة بحر إيجه وجزره . ولكن مع مطلع القرن الحادى عشر وجدنا موجة من الهجرات الجديدة من العناصر الهندواوربية - التسالية والأرنية والدورية - تغشى بلاد اليونان وتسيطر على مناطق واسعة منها ، من بلاد اليونان ومنطقة بحر إيجة ، وكان لقدومها وسيطرتها أن هاجرت عناصر آخية سواء من الأيوليين أو الأيونيين إلى منطقة الجزر وسواحل آسيا الصغرى ، كما أن هذه الفترة شهدت اندماج وامتزاج العناصر اليونانية المختلفة وكونت

الأمـــة اليونانـــية ، وصـــار لدينا ثلاث لهجات رئيسية هى الأيولية والايونية والدورية للغة اليونانية . و سنعرض لتلك الهجرات بالتفصيل عند الحديث عن العصر المظلم.

وبعــد أن عرضنا لأصل الاغريق وهجراتهم ابان العصور الحجرية والبرونزية ننتقل لدراسة حضارات عصر البرونز .

عالم بحر إيجه وحضارته في عصر البرونز

نعتمد في دراستنا لهذه الحضارة على المصادر الأدبية بمعلوماتها المتقصية والمصادر الوثائقية التى جاءت علينا التنقيبات الأثرية وما تزال تجود بها . لقد كانت ثمرتها اكداس من اللقى الأثرية وآلاف الألواح المكتوبة التى كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر العتيق الذى أسماه العلماء حضارة بحر ايجة لأنها نشأت وتطورت بشكل رئيسى فى كريت وجزر الكوكلاديس وطروادة على الساحل الآسيوى وموكيناى ومراكز أخرى فى بلاد اليونان .

ومعلوماتنا عن هذه الحضارة تبدأ من الألف الثالثة قبل الميلاد . إذ قامت أطوارها الأولى على أكتاف عناصر بشرية من جنس البحر المتوسط إلى أن بدأت موجات من الهجرات الهندوأوروبية ، ومن المرجح ايضاً هجرات سامية افريقية غشت المنطقة بشكل تدريجي من خواتيم الألف الثالثة وبداية الألف الثانية قبل الميلاد . وسنحاول أن نلقى الضوء على أهم مراكز هذه الحضارة . على النحو التالي :

١ - الحضارة الكريتية

أطلق السير أرثر إيفانز تسمية الحضارة المينوية نسبة إلى مينوس ، بينما يطلق عليها آخرون الحضارة الكريتية التى استمر ازدهارها قرابة ١٥٠٠ عام . وتقدم لنا المصادر الأدبية نتفاً من المعلومات عن الجزيرة ، إذ نجد أول ذكر لها عند هوميروس فى رائعتيه الإلياذة والأوديسة ، فنجده يذكرها تلميحا . لقد أورد فى الالياذة بعض الذكر عنها ومنه "أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة ويذكر سبعاً منها فى قلب الجزيرة وهى كنوسوس وجورتين وليكتوس وميلتوس وفايستوس وأخيراً ريتيون" ، ويذكر فى مكان آخر "أن كريت قدمت ٨٠ سفينة عسكرية فى الحملة الطروادية" ، و يتناولها بالذكر فى الأوديسة إذ يصف الجزيرة بما يلى "فى قلب البحر ذات اللون القانى فى لون النبيذ توجد أرض محاطة بالبحر

تســمى كريــت، فسيحة وخصبة ، ويسكنها أناس كثيرون مختلطى الأعراق ، وأن بها ٩٠ مديــنة ولغاتهــا مخــتلطة ، وســكانها مــن الآخين والايتوكرتيين والكيدنيين والدوريين والبلاســـجيين ، وأيضــاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الاله الأكبر زيوس ، الــذى اعتاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات " ، وهكذا نجد أن هوميروس يؤكد على كثافة وغنى وثراء وازدهار كريت فى نهاية عصر البرنز .

ويقــدم لنا كتاب العصر الكلاسيكى والهلنيستى – من شعراء ومؤرخين وفلاســفة – معلومـــات تكــون فى بعض الأحيــان دقيقـــة فى تفصيلاتها ولكنها مقتضبة عموماً اى أنهــا لا تقــدم لنا تفصيـــلات مسهبة لأوجه الحيــاة الكريتية المختلفة . فيذكر هيرودوت أن الحــرب الطــروادية قد اندلعت فى زمن الجيل الثالث بعد موت مينوس . كما يستهل ثيوكــيديديس روايتــه التاريخية لبداية التــاريخ اليونانى بالاشارة إلى مينوس ، إذ يقول "مينوس هو أول من اشتهر عندنا عن طريق الروايات المأثورة أنه أنشــأ أسطولاً ، إذ نجح فــى أن يجعــل نفســه ســيداً على جزء كبير مما يسمى الآن البحر الهلينى ، وصار سيد الكوكلاديس ، وهو أول من استعمر معظمها ، وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لهــا ، وعمــل مينوس طبعاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته لكى يصل إليه خراج مملكته بسهولة" . وهكذا نجد أن كلاً من هيردوت وثيوكيديديس يوافقان على أنه كان هناك ملك قوى يدعى مينوس كان لديه أسطول قوى وملك متين ويمتد نفوذه على المناطق المجــاورة ، ويخــبرنا أفلاطــون عن كيفية ذهاب الملك مينوس كل تسع سنوات إلى كهف زيــوس حيــث يمكنه تجديد الرفقة والصحبة مع الاله زيوس ومن بعده الآلهة الأم . ويرى الــبعض أن افلاطون قد وضع مؤسسات كريت فى قالب مثالى فى كثير من أعماله ، ويرى الكثير من الباحثين أن ما قدمه أيضاً من وصف لحضارة الجزيرة المفقودة "اطلنتيس" اعتمد فــيه على الأساطير حول كريت المينوية. وأن كتابه القوانين لحتوى على بعض المؤسسات الاجتماعــية الكريتية . كما يشير الفيلسوف أرسطو عن نظام الحكم الطبقى الذى كان يوجد فى كريت فى عصره والذى استقر لأول مرة بتشريعات مينوس .

وتقــدم لنا الاساطير معلومات قيمة عن كريت وتؤكد قوة ملكها وامتداد نفوذه، فنجد الملــك ميــنوس زوج الملكــة باســيفاى إبــنة إلــه الشمس ، ووالد كل من ديوكالون ، اندروجينوس، أريادنى وفايدرا . وتذكــر الروايات أن أندروجينوس تغلب على كل منافسيه فــى الألعــاب فى أثينا وتم قتله وفقاً لأمر الملك الأثينى إيجوس، وللانتقام من هذه الجريمة البشــعة ، فقــد اشعل الملك مينوس الحرب ضد الأثينيين ، و أجبرهم على أن يرسلوا إلى كريــت على فترات جزية مكونة من سبع فتيات وسبعة فتيان لتقديمها ضحية للمينتوروس (المخلوق النصف إنسانى النصف ثور) وهو ثمرة العلاقة الاثمة بين الملكة باسيفاى والثور الــذى وهبه الاله بوسيدون للملك مينوس كى يقدمه أضحية لتوكيد سلطانه الدينى ، ولكن الملــك حنــث وأخلف الوعد واحتفظ بالثور وكان الانتقام الالهى هو تلك العلاقة الآثمة التى كانــت ثمــرتها مخيفة مرعبة ، ووفقاً للأسطورة فقد تم بناء قصر التيه على يد المهندس ديدالــوس ليحفظ فيه هذا المخلوق والمسخ البشع ولم تتخلص أثينا من هذه الجزية الثقيلة إلا بعد أن رحل ثيسيوس ابن الملك إيجوس إلى كريت ونجح فى قتل المينتوروس بمساعدة أريادنى ابنة الملك التي أحبته حباً جما فأعطته لفافة من الخيط وسلاحاً ، ومن خلال الخيط الــذى اســتخدمه كــى يعرف طريقة خروجه بعد انجاز مهمته بالخلاص من المينوتوروس والخروج من القصر. وكان الأثينيون يحتفلون بذكرى خلاصهم من الجزية الثقيلة التى كان قــد فرضــها عليهم الملك مينوس بالحج إلى ديلوس ، كما أن الاساطير والقصص الشعبية حــول دايدالــوس المعمــارى والفــنان الداهية تكشف لنا عن مدى ما وصلت اليه الفنون التشكيلية والمعمارية فى عصره .

هــذا ما تقدمه المصادر الأدبية من أخبار ومعلومات عن كريت والتى نستشف منها معلومات قيمة عن كريت وقوتها ورخائها الاقتصادى وارتقاء فنونها . ولكنها معلومات غير كاملــة وســنحاول أن نســتخدم المصــادر الوثائقية لإكمال النقص فى معلوماتنا عن تلك الحضارة قدر ما نستطيع .

كان لعلم الآثار الفضل الأكبر فى توكيد بعض المعلومات الواردة عند مفكرى اليونان القدمــاء ، بــل نقضــت آراء العلماء المحدثين الذين كانوا قد شككوا فى الروايات القديمة

والأساطير . لقد كان ثمرة جهد الآثاريين وضربات معاولهم أن زاد كم المعلومات عن كريت وحضـــارتها التى بدونها لا يمكننا إلا أن نرى بعض الاشارات والمعلومات القليلة عن كريت فـــى عصـــر البرونز والعصور التاريخية التالية عندما بدأت المصادر المكتوبة فى الوفرة ، ومـــن ثـــم فـــإن أهمـــية الاكتشافات الأثرية ليس فقط للحضارة الكريتية بل ايضاً للحضارة الأوربية عموماً ، لقد كشفت أعمال الحفائر الاثرية إذا عن عالم حقيقي لا خيالي كما حسبه كتاب القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، و كانت الحفائر الأثرية قد بدأت في السبعينيات من القرن التاسع عشر فى كريت ، عندما زار العالم كالوكايرينوس (Kalokairinos) موقع قصر مينوس بكنوسوس ، وأتى هينرش شليمان من بعده إلى المنطقة وعاين منطقة القصر وســـاوم مـــالك الأرض علـــى شرائها ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وأتى أرثر إيفانز من بعـــده ، الـــذى كـــان قـــد زار الجزيرة لأول مرة ١٨٩٣ لبحث الاختام الحجرية ولفحص الكـــتابات علـــيها ، ونجح فى شراء الأرض من مالكها وبدأ فى إجراء حفائره والتى أثمرت عـــن كشف رائع وهو العثور على بقايا قصر كنوسوس واستمر العمل الرئيسى فى الحفائر فـــى الفـــترة مابين ١٩٠٠ –١٩٠٥م أى لمدة ستة مواسم وإن استمرت حفائره و تنقيباته ســـنوياً حـــتى عـــام ١٩١٤ ثـــم توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى ، وبعد توقف الحرب استأنف آرثر إيفانز من جديد تنقيباته فى الفترة ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٢ وقد أخرج لنا نـــتائج دراســـته الرائعة فى سفر مفصل من أربعة أجزاء وهو بعنوان قصر مينوس " The palace of Minos" وقد بدأ نشره فى الفترة ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٥م .

شـــارك آرثـــــر إيفانز علماء آخرون فى الريـــادة والكشف عن مواطن الحضارة الكريتـــية فـــى عصر البرونز في جزيرة كريت ومن بين هؤلاء العلماء جوزيف هتزيداكيس (Joseph Hazzidakis) مؤســـس جمعية الآثار الكريتية وسيللوجوس (Syllogos) والعالم الإيطالـــي فـــيدريجو هالبهير (Federigo Halbaheer) و كانت تنقيباتهم ملهمة و محفزة لغـــيرهم فتوالت البعثات الأثرية وأجرت تنقيباتها فى أنحاء الجزيرة المختلفة وأضافت نتائج حفائرها أبعاداً جديدة لمعلوماتنا عن عصر البرونز وسجلاته .

وقـد واجهت السير آرثر إيفانز معضلة تأريخ اللقى الأثرية الكثيرة العدد والتى عثر علـيها فـى حفائره ، ولجأ إلى منهج فريد فذ فى عصره وهو تقسيمها إلى مراحل وانتهج الأسلوب التالى :

أولاً : تـاريخ اللقـى الأثـرية وفقاً لطبقات الأرض (Strata) وذلك بترتيبها ترتيباً تاريخياً حسـب عمـق الطـبقات الأرضية التى عثر عليها فيها ، فالطبقة الأعمق هى الأقدم بطبـيعة الحـال، وحسـبما طـرأ على صناعة الفخار من تطور ، فمن أوانى بداية مصـنوعة بالـيد إلـى أوانى مصنوعة بعجلة الفاخورى ، إلى أوانى متقنة الصنع والزينة .

ثانـياً : لقـد ربـط بين مراحل الحضارة الكريتية المجهولة التاريخ وبين تواريخ معلومة ومدروسة لحضارات شعوب ثبت قيام علاقات بينها وبين كريت ، إذ لجأ إلى استخدام اللقـى المصـرية المعـروف تاريخهـا التي عثر عليها فى كريت، واللقى الكريتية المجهـول تاريخهـا الـتى عـثر عليها فى مواقع أثرية مصرية معروفة التاريخ .
ولنضـرب علـى هـذا مثاليـن متقابلين ؛ المثال الأول أنه عثر فى مقبرة الفرعون سيزوسـتريس الـثانى على آنية كريتية ملونة وهو واحد من فراعنة الأسرة الثانية عشر وقد مات فى عام ١٨٨٠ ق.م . وعندما نقارن هذه الآنية مع مثيلاتها في كريت مـن حيـث الغرض الذى تستخدم فيه ومن حيث الدقة فى الصنع والإتقان الفنى . و التـي تم الكشف عنها فى كنوسوس فيمكن أن نرجع الطبقة الأرضية التى عثر فيها عليها إلى عهد الفرعون سيزوستريس أى أوائل القرن التاسع عشر ق.م . وأما عن المـثال الآخـر المقـابل في كريت فقد تم العثور على ختم وجعران للملكة تي امرأة الفـرعون امنحتب الثالث الذى حكم فى الفترة ما بين (١٤١٢ – ١٣٧٦ ق.م) ومن ثم فإن الطبقة التى عثر فيها على الختم والجعران تعود إلى التاريخ المذكور تقريباً .

ووفقاً لهذا المنهج الذى اتبعه ايفانز ومقارناته ،والذى توصل إليه بعد ست سنوات (١٩٠٠ – ١٩٠٥) من تنقيباته المتواصلة . فقد وصل إلى تقسيم حضارة عصر البرونز في كريت إلى ثلاث فترات ونود أن نشير إلى أن تواريخ هذه المراحل والفترات تكون تقريبية .

والعصور المينوية فى عصر البرونز هي :

أولاً : العصر المينوى العتيق ٣٠٠٠ - ٢١٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوى العتيـــق الأول ٣٠٠٠ - ٢٨٠٠

العصر المينوى العتيق الثانى ٢٨٠٠ - ٢٤٠٠

العصر المينوى العتيق الثالث ٢٤٠٠ - ٢١٠٠

ثانياً: العصر المينوى الوسيط ٢١٠٠ - ١٥٨٠

وينقسم هذا العصر أيضاً ثلاث أقسام هى

العصر المينوى الوسيط الأول ٢١٠٠ - ١٩٠٠

العصر المينوى الوسيط الثانى ١٩٠٠ - ١٧٥٠

العصر المينوى الوسيط الثالث ١٧٥٠ - ١٥٨٠

ثالثاً : العصر المينوى الحديث ١٥٨٠ - ١٢٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوى الحديث الأول ١٥٨٠ - ١٤٥٠

العصر المينوى الحديث الثانى ١٤٥٠ - ١٤٠٠

العصر المينوى الحديث الثالث ١٤٠٠ - ١٢٠٠

ولكن التقسيمات التى توصل إليها اوثر إيفانز يعيبها أنه اعتمد على موقع واحد ومن شواهده أنه عمم نتائجه على الحضارة بالجزيرة .

وفـــى ضوء التقسيمات السالفة الذكر ، سنحاول أن نرسم صورة للحضارة الكريتية مـــن خـــلال هذه الفترة ، ولكننا لن نستطيع كتابة تاريخ كريت السياسى نظراً لأننا لا نملك وقائعـــه ،وأن كـــل مـــا لديـــنا من معلومات متوافرة مستقاة من خلال مصادر لا تقدم كلها معلومـــات متسلســـلة الأحداث بل أنها تستخدم لدراسة التطور الحضارى ومصادرنا هى : الجـــدران ، الرسوم ، الأوانى ، أو بعض النصوص التى لم تحل طلاسمها ، وتقسيم الفخار الذى تم تقسيمه بالفعل إلى مجموعات ، ولكن هذا التقسيم مفيد للغاية فى تصنيف وعرض

تلــك الاكتشـــافات إلا أنها اصطلاحية بطبيعة الحال كما لا يوجد ما يثبت تطابقها مع أحداث محـــددة ، ولذا سنحاول أن نرسم السمات الحضارية التى تميزت بها الحضارة الكريتية فى عصر البرونز بعصوره الثلاثة .

أولاً : السمات الحضارية لعصر البرونز العتيق هي :

١- أن هــذه الفــترة قــد شهدت التحول من العصر الحجرى الحديث إلى العصر الحجرى النحاسي ثم البرنز .

٢- لقــد اثبت نفر من العلماء أن هناك علاقات بين كريت والحضارة المصرية فى عصري الأســرات و الدولـــة القديمة ، ولم يكن الاتصال مباشراً بين الحضارتين وانما من خلال وســيط ، وهو الفينيقيون والمدن السورية الساحلية . فيرى كل من بترى و شارف إن ميــناء جبــيل ظلت واسطة لاتصال التجار المصريين ببحر إيجه و بالتجار الكريتيية في عصـــر الأســـرات الأولـــى ، فقد عثر بترى في جبانة أبيدوس على أوان تشبه زخارفها زخــارف الأواني الكريتية . و مع إقرار شارف بأن الفينيقيين كانوا وسطاء في التجارة بيــن مصــر و كريــت إلا أنه ينكر أن المصريين قد وصلوا إلي كريت إلا أنه ينكر أن المصريين قد وصلوا إلي كريت رأساً بوسائلهم البحرية الخاصة . ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا الرأي .

٣- أن الحضـــارة الكريتية تمثل الطرف المتلقى والمتأثر والمقتبس من الحضارة المصرية ومــن الحضـــارات الشـــرقية ، وكان من اقتباساتها المصنوعات من النحاس و البرونز والفخـــار . وقد بدأت العلاقات وفقاً لرأى آرثر ايفانز لفترة عصر ما قبل الاسرات حيث خرجـــت هجرة من غرب الدلتا حوالى ٣٠٠٠ ق.م أو قبل ذلك إلى كريت فراراً وتخوفاً من بطش الملك نارمر موحد القطرين وعقب سيطرته على الدلتـــا ، ويرى البعض أيضاً أن هجرة أخرى خرجت من فلسطين إلى كريت فراراً من غزو نارمر .

رابعاً : إن أهم مراكز الحضارة الكريتية فى هذا العصر يقع فى الطرف الشرقى للجزيرة .

ثانياً : أهم سمات عصر البرونز الوسيط

١- أن هذه الفترة تتزامن مع عصر الدولة الوسطى وفترة حكم الهكسوس فى مصر .

٢- نلاحـــظ أن مراكـــز الثقل الحضارى قد انتقلت رويداً رويداً من الطرف الشرقى للجزيرة إلـــى الوسط حيث بدأت كنوسوس وفايستوس وتيليسوس (Tylissos) وماليا (Mallia) وبدأت ظاهرة بناء القصور الضخمة فى مدن الجزيرة المختلفة .

٣- نلاحـــظ أن سلطة الملك مينوس بكنوسوس ، وهو صاحب قصر اللابرانث ، قد زادت إذ تكشف السجلات الاثرية الصامتة كما لو كان هناك نوع من الاتحاد الثقافى والسياسى قد شمل الجزيرة تحت زعامة مينوس .

٤- نلاحـــظ انتشـــار الـــرخاء والترف نتيجة لظهور طبقة من التجار والأغنياء ، إذ كشفت التنقيـــبات الأثرية فى المقابر الكريتية عن وجود صلات كثيرة لهم مع حضارات الشرق القديـــم ومنها مصر وسوريا والأناضول ، فعلى سبيل المثال فقد كشفت البعثة الفرنسية عن مدينة مارى " تل الحريرى " فى منطقة الفرات الوسطى ، ومن خلال نتائج تنقيباتها عرفنا أن هناك صلات بين مدينة مارى ومدينة الالاخ وكريت ، إذ كانت خطة القصر فى كـــل مـــن مـــارى والألاخ معقدة، فكانت الأقسام الملكية ضخمة للغاية ، وكانت المكاتب الاداريـــة والورش مشابهة بصورة مدهشة لقصر كنوسوس فى خطته العامة وفى الكثير من المظاهر المعمارية ، وعلاوة على ذلك ، فإن الأساليب والطرق المستعملة فى رسوم الفرســك المحفوظـــة فى قصر مارى كان قد اتبعها أو اقتبسها الفنان فى رسوم الفرسك بقصـــر كنوســـوس وهـــذا مؤكد لأن قصر مارى كان قد دمره الملك حمورابى فى عام ١٧٥٩ ق.م، بينما قصر كنوسوس وزخرفته الرائعة لم يتم بناؤه قبل القرن السابع عشر ، ومـــن هنا يبدو التأثير الشرقى واضحاً ، ولعل مدن شرقية أخرى قد تجود علينا بأدلة علمية جديدة ، وعلى ما يبدو فان هذا التأثير أتى عبر أوجاريت ، على الساحل السورى ، والتى كانت بمثابة همزة الوصل بين حضارات الشرق والحضارة الكريتية ، فقد كانت نقطة تلاقى لمنتجات وافكار المصريين والحيثيين والسوريين والكريتيين والموكينيين .

٥- فـــى عام ١٤٥٠ ق.م حدث زلزال مدمر أدى إلى تدمير قصور وبيوت كنوسوس تدميراً جزئـــياً والتى أعيد ترميمها ، ويرى البعض أن اضطرابات اجتماعية كانت سبباً فى هذا

التدمــير الــذى لحق ببيوت الطبقة الحاكمة ، ولكن العلماء أثبتوا أن الدمار كان بسبب كارثة طبيعية ولم يكن الدمار متعمداً وأنه لم يكن هناك مثل هذه الاضطرابات .

ثالثاً : أهم سمات وملامح عصر البرونز الحديث

١- يتزامن هذا العصر مع فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة - فى مصر .

٢- زيادة الاتصالات بين مصر من جهة والكريتيين من جهة أخرى والذين اسمتهم الوثائق المصــرية " حاو - نبوت " و " كيفتو " ويحل محلهم فيما بعد الآخايوشا "Akawsha" بعد أن غشى الموكينيون جزيرة كريت و سيطروا عليها .

٣- تــبرز الوثــائق والرسوم الجدارية الهيمنة المصرية وما فرضته من سلام على منطقة شــرق الــبحر المتوســط وجزره ؛ إذ اعترف الكريتيون بقوة مصر وسيطرتها فنجدهم يقدمون الهدايا للفرعون المصرى رمزاً للسلام وحفاظاً على تجارتهم سواء مع مصر أو مع مناطق النفوذ المصرى .

٤- سيطرة الملك مينوس على جزر بحر إيجة وموانى بلاد اليونان وذلك من خلال اسطوله القوى .

٥- تكشــف التقنيات الاثرية عن ان الحضارة الكريتية كانت قد بلغت ذروة رقيها ومجدها . وامــتد تأثــيرها إلى جزر الكوكلاديس والبلوبونيز وسط بلاد اليونان ، فهل هذا التأثير نــاتج عــن غــزو كريــتى كما يرى ايفانز أم انه يعود إلى رغبة سادة مملكة موكيناى والممــالك الأخــرى الأقويــاء فى تقليد الفن الكريتى الذى بهرهم فاستخدموا الفنانيين والحرفيين الكريتيين وجعلوهم يعلمون السكان المحليين .

٦- تعــرض الجزيــرة للدمار الشامل والمتعمد ويعزو بعض العلماء هذا الدمار والتخريب لهجوم شعب معاد من شعوب البحر ، ويرى البعض الآخر أن الموكينيين هم المسئولون عــن هذا الخراب والدمار الذى حل بكريت ، ولكن هذا الدمار والخراب قد ربطه علماء آخرون بكارثة الانفجار البركانى بجزيرة ثيرا عام ١٤٥٠ ق.م ، و هذا الرأي هو الأقرب للصــواب فمن الثابت أنه نتيجة للحمم البركانية العارمة ، وأيضاً نتيجة للرماد البركانى

فقد تحطمت السفن الكريتية فى المياه الضحلة فى الموانى الشمالية وقضت على الملاحة لعدد من السنين فيها . و هنا كانت فرصة الموكنيين للانقضاض على كريت و غزوها .

٧- لقد بدأت قوة الموكينيين فى التنامى ابتداء من القرن السادس عشر و لكن بشكل جلي إبـــان القرن الخامس عشر فى المناطق التى كانت تضعف فيها السيطرة الكريتية ؛ وهذا مـــا توضـــحه الكشـــوف الأثـــرية فـــى كـــل من ميلتوس على ساحل آسيا الصغرى ، والمســـتعمرات الكريتـــية فـــى رودس فى القرن السادس عشر قد صارت هذه المناطق محلات ومستوطنات موكينية فى القرن الخامس عشر ، فإبان هذا القرن حدث تحول فى مـــيزان القـــوى بين الكريتيين والموكينيين ، ولعل سبب ما حاق من ضعف بكريت هو نتـــيجة لكارثـــة الانفجـــار الـــبركانى المدمر فى جزيرة ثيرا والتى انتهزها الموكينيون للسيطرة على كريت نفسها . ومن السهل أن نناقش فى ضوئها اسطورة البطل ثيسيوس وانعـــتاق اليونان من سيطرة كريت وحتى فقدان كريت لسيطرتها البحرية . وهنا أنتهز الموكينيون هذه الظروف فغزوا الجزيرة بعد عام ١٤٥٠ ق.م ودمروا الكثير من المدن ، وأقـــاموا هم أنفسهم فى كنوسوس ولأسباب غير معروفة فقد دمرت كنوسوس كلية عام ١٤٠٠ ق.م أو بعـــد ذلـــك بقليل ، فالبعض يرى أن حريقاً ناتجاً عن هزة أرضية سبب دمارها ، والبعض الآخر يرى أن الحريق ناجم عن غزو مدمر .

٨- تكشـــف الحفائـــر عن أن مركز الثقل والتأثير فى عالم البحر الإيجى قد انتقل من أيدى الكريتيـــن إلـــى أيدى الموكينيين إبّان القرنين الرابع عشر والثالث عشر ، فقد انتشرت السلع الموكينية فى رودس وقبرص وأوجاريت وبيلوس بل وصلت سلعهم إلى مصر .

٩- شهدت نهاية الفترة الموكينية قدوم القبائل الدورية وسيطرتها على الجزيرة .

الأصل العرقى للكريتيين

يواجه الدارس مشكلة أصل هذا الشعب من أين أتى ؟ لقد كشفت الحفائر الاثرية عن سكنى الإنسان الكهوف الكريتية فى الفترة ما بين ٦٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م وكان يعيش إنسان

هـذا العصـر فـى أسر كبيرة العدد . وكانت مواطن سكناه فى الغالب فى شرق الجزيرة ، وينـتمى إنسان ذلك العصر إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط ، إذ وفدت هجراته للجزيرة مـن مـنطقة شرق البحر الابيض وجلبوا معهم الخنازير والأغنام والماشية وكانوا يدفنون موتاهم فى الكهوف وخارجها ، ومع نهاية العصر الحجرى الحديث فقد وفدت جماعة بشرية إلـى الجزيـرة لعلهـا تكون قد جاءت من شمال سوريا أو من آسيا الصغرى ودخلت إلى الجزيـرة فـى موجـات متتالية . ويرى البعض أن هناك هجرة خرجت من غرب دلتا النيل حوالى ٣٠٠٠ ق.م هرباً وخوفاً من بطش نارمر موحد القطرين عقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض الآخر أن هناك هجرة أخرى خرجت من فلسطين فى نفس الوقت وأبحرت إلى كريـت فراراً من غزو نارمر . ويرى باحث آخر أن هجرة من سوريا وفلسطين قد خرجت إلى كريت أمام غزو من آسيا الصغرى لبلادهم . ويرى باحثون آخرون أن هجرة جديدة قد خرجـت مـن ليبـيا حوالى ٢٣٠٠ ق.م أى فى عصر البرونز العتيق وأقام المهاجرون فى جـنوب الجزيـرة فى منطقة فالشيوس . وفى الفترة الأخيرة من عصر البرونز وفى عصر الحديـد وفدت هجرات هندواوربية إلى الجزيرة إذ توافدت هجرات الآخيين والموكينيين فى الفـترة ١٤٥٠ - ١٢٠٠ ق.م على الجزيرة ثم كانت موجة الهجرة الدورية التى اعقبتها . وسـيطرت العناصـر الهنداوربية على الجزيرة بعد أن زادت أعدادهم فيها وأصبح التكوين العـرقى فى الجزيرة مكوناً من عناصر من البحر الابيض المتوسط وعناصر هندوأوربية ، وربمـا عناصر سامية حامية . ولعل وصف هوميروس للتركيبة السكانية الكريتية هو خير عون لمعرفة اعراق سكان الجزيرة إذ يذكر أن هناك ٩٠ مدينة ولغاتها مختلفة وسكانها من الآخيين والايتوكريتيين والكيدنيونيين والدوريين والبلاسيجيين .

أما عن لغة أهل كريت الأولى فلا نعرف عنها شيئاً ، وهى ليست لغة هندوأوربية ولا سـامية ، ويـبدو أنهـا قريـبة من لغة الليكيين ومن جاورهم من الشعوب القديمة بآسيا الصغرى وتذكر الروايات ان قسماً كبيراً من سكان شرق كريت كانوا يتكلمون لغة فى العصر الكلاسـيكى غريبة ، وليس من المستبعد أن تكون لغة الكريتيين القدماء . ونحن فى انتظار فـك طلاسـم مجموعة الخطوط التى لم يتم قراءتها حتى اليوم من الالواح الكريتية ، فلعلها

تنــير الطريق وتكشف عن لغة هؤلاء القوم ، ومع قدوم الآخيين والدوريين من بعدهم فقد عرفت الجزيرة اللغة اليونانية وهذا ما كشفت عنه قراءة ألواح المجموعة الخطية الثانية .
وبعد أن عرضنا لأصل هذا الشعب ولغته ننتقل الآن للحديث عن المجتمع الكريتى .

المجتمع الكريتى :

لقــد رأيــنا أن المجتمع المينوى كان يتكون من أعراق شتى ، فكيف كانت حياة هذا المجتمع ؟ فى ضوء ما جادت به الحفائر الأثرية نلاحظ ما يأتى :

أولاً : أن المجــتمع الكريتى فى عصور ازدهاره كان مجتمعاً عرف الغنى والفقر ، فكان به أنــاس أغنــياء وآخــرون فقراء . الأول يعيشون فى بيوت أو قصور رحبة فسيحة زاخرة بكل ألوان الترف ووسائل اللهو ، وكانت هذه البيوت والقصور تحيط وتجاور قصــر الحاكم أى أنها منطقة يسكنها علية القوم وسراته ، بينما بيوت الآخرين هى بــيوت حضرية فقيرة مكدسة على جانبى الشوارع والأزقة وتكون مكتظة بالسكان .
أما عن البيوت الريفية فقد وجدت بعض القرى التى تحتوى على بضعة بيوت ، بينما قــرى أخرى تحتوى على بيوت كثيرة ، وعموماً فإن هذه البيوت الريفية كانت فقيرة وإن وجــدت فى الريف فيلات لكبار الملاك أصحاب الضياع وكانت هذه الضياع تضم بجــوار الفــيلات ورشاً ومصانع ، وقد وجد عدد من هذه الفيلات فى منطقة بالقرب ارخــانس (Arkhanes) ، كما وجدت قصور ريفية بالقرب من جورتين ، وكان هذا القصر يحتوى على مخازن وحجرة عبادة أو محراب .

ثانياً : عرف المجتمع الكريتى فى بواكير تاريخه العائلات الممتدة والأسر الكبيرة وكلما تقدم بنا الزمن وجدنا تضاؤل وصغر حجم هذه العائلات ، وهذا ما تؤكده الكشوف الأثرية بالنســبة للمــنازل والمقابــر ، أمــا عن المنازل فقد كشف الآثاريون عن بيت فى فاســيليكى يعود تاريخه إلى عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد مكون من عشرين غرفة ، ومن المؤكــد أنــه كان من طابقين ، وبعد مضى ثلاثمائة عام نجد بيوتاً أخرى تم الكشف عــنها كانــت أصغر مساحة وأقل غرفــاً ، وتتكون من حوالى اثنتى عشرة حجرة ،

وفـــى العصر المينوى الحديث نرى البيوت قد أعيد بناؤها على مساحة أقل وأصبح عدد الغرف لا يزيد على بضع غرف . اما عن المقابر كشفت لنا معاول المنقبين على أكثر من عشرين قبراً ، فى مدينة مسارا ، يبلغ قطر الواحد منها عشرة أمتار ونصف المـــتر ويضـــم عدداً كبيراً من الهياكل العظمية وأوانى ، بينما نجد أن مقابر العصر المينوى المتأخر فى رامز بابورا لا يضم الواحد منها أكثر من ثلاثة أشخاص .

ثالـــثاً : كانت الأسرة هى نواة المجتمع الكريتى وكان للأب والأم مكانة متميزة فى الأسرة ، فـــإذا كـــان للأب سلطة مطلقة فإن للأم مكانة اجتماعية سامية ، ولعل وجود حجرات خاصـــة فـــى المـــنازل التى تحتوى على عمدان قصيرة كان على رب الأسرة وربما الأســـرة هـــى الأخـــرى تقديم القرابين للآلهة والأرواح التى تسكن فى هذه الأعمدة حســـبما كـــان يعـــتقد الكريتيون القدماء . وهذا يسوقنا إلى دور ومكانة المرأة فى المجـــتمع الكريتى . ترينا اللقى الأثرية والآثار والرسوم الجدارية أن المرأة الكريتية من مختلف الطبقات احتلت مكانة عليا فى المجتمع الكريتى ، وأنها كانت تدانى مكانة الـــرجل إن لـــم تكـــن أفضل منها، فترينا الرسوم الجدارية أن النساء كن يقعدن فى المقـــاعد الأمامية فى المسارح وأنهن كن يشاركن الرجال فى رحلات الصيد والقنص ويركبن العجلات فى السباقات ، يقمن ببعض الألعاب الرياضية والبهلوانية ومصارعة الثـــيران ، كمـــا نجـــد المرأة التى تقوم بالمهام الأسرية من نسج الملابس ، وطحن الحـــبوب ، وعجن الدقيق وصنع الخبز ، بالإضافة إلى مشاركتها للرجال فى الأعمال الزراعية والصناعية مثل صناعة الفخار . ويتضح سمو مكانة المرأة الكريتية فى أن المعـــبود الرئيســـى للجزيرة كان الالهة الأم ، وكانت الكاهنات يقمن بالدور الأول فى إقامـــة الطقوس والشعائر الدينية وفى الاحتفالات وفى الرسوم الجدارية يمكننا القول أن المـــرأة الكريتـــية كانـــت تهـــتم بأناقتها ، إذ شاع بين النساء الكريتيات ارتداء التنورات ذات الاطار الواسع والقمصان التى تكشف عن العنق والكتفيـــن والنحور ، كمـــا كانـــت الأكمام فضفاضـــة ومنتفخة وتغطى ثلاثة أرباع الذراع ، وأحزمة أحكم شدها حول الوسط حتى يبدو الخصر نحيلاً بصورة كبيرة ، وتبدو النساء فى المناظر

مصـــففات الشعر تصفيفاً دقيقاً ويكثرن من لبس الحلى والزينة، وقد أطلق الآثاريون على صورة لإحدى السيدات الكريتيات اسم " الباريزية " لرشاقتها وأناقتها فى زينتها وزيها وكأنها إحدى بنات باريس المتأنقات .

رابعاً : كانت حياة المجتمع الكريتى حياة منطلقة سعيدة هانئة . يخالط فيها الرجال النساء ، فتريـــنا الرسوم الجدارية حفلات الرقص والألعاب البهلوانية ومصارعة الثيران بينما يجلس مئات المشاهدين والمتفرجين بين أشجار الزيتون يراقبون الألعاب والرقصات المخـــتلفة على أنغام الموسيقى . وبعد أن عرضنا لحياة المجتمع ننتقل الآن للحديث عن معتقداته وديانته التى آمن بها .

الديانة الكريتية :

تكشـــف لنا الآثار والرسوم الجدارية واللقى الأثرية عن جانب من ديانة المينويين . وقد تساعد الألواح المكتوبة والتى لم تفك طلاسمها بعد فى إضفاء المزيد من الوضوح على تلـــك الديانـــة وتعطيـــنا معلومات لتأكيد ما نعرف من الآثار والأساطير . ويتبادر إلى ذهننا الأســـئلة التالية : ما هى آلهتهم ؟ كيف حاولوا إرضاءها وجلب عطفها ، وما هى طقوسهم وشـــعائرهم ؟ فـــى ضوء ما لدينا من آثار يمكننا القول أن الكريتيين قد عبدوا آلهة عديدة مرتـــبطة بالطبـــيعة فـــنجدهم قـــد قدسوا الجبال والمغارات والاحجار ، والشمس والقمر ، والماعـــز والافـــاعى والثيران والحمام ، وقدسوا العدد ٣ واعتقدوا بوجود الأرواح فى كل شـــىء ومجدوا القوى الخفية وقسموا الأرواح إلى طيبة خيرة وشريرة خبيثة .واعتقدوا فى وجـــود الجـــن والعفاريـــت وعرائس البحر .وعندما صوروا آلهتهم فقد صوروها فى ثوب إنسانى ، فقد صوروا الآلهة الأم فى ثوب امرأة ذات ثديين بارزين تمسك بالأفاعى ومحاطة بأفـــاعى كثيرة تتلوى على ذراعيها وتتسلل إلى ثدييها وتختلط بشعرها وتتدلى من رأسها ، وكـــان الكريتـــيون يرون ربتهم أنها ربة شاملة فهى رمز الخصوبة حامية الحرب ، ملكة الأرض والســـماء ســـيدة الخلق ... الخ ، كانوا يرون فى الأمومة سر الطبيعة وقوة سحر المـــرأة فى قدرتها على الإنجاب مما جعلهم يقومون بتأليه هذه القوة التى هى ينبوع الحياة

فـــى النـــبات والحيوان والإنسان ، وقد صوروها وبين ذراعيها ابنها الالهى ، وفى البداية كـــانوا يعـــدون هـــذا الابن تابعاً لها ودونها فى المرتبة ، ولكنه بمرور الوقت زادت مكانته وأصبح رمزاً لقوة الخصب وهو يموت ويعود إلى الحياة ، وكانوا يصورونه أحياناً متجسداً فى الثور المقدس الذى يتجلى فيه الخصب، وقد لعب الثور دوراً كبيراً فى الديانة الكريتية ، إذ تظهـــر قـــرونه فى الرسومات ، كما وجدت فى العديد من مقاصير أو محاريب العبادة ، وكان حيواناً مقدساً ، ومؤلهاً أيضاً ورمزاً للخصوبة، وهو الذى استمد منه اليونان فيما بعد شخصـــية الملـــك مينوس وأيضاً وبالتأكيد المسخ البشع المينوتوروس . وقد أطلق اليونان فيما بعد على الالهة الأم " ريا " والابن " زيوس "

كما تكشف الآثار عن تقديس الكريتيين للأعمدة والأشجار وأن آلهة الطبيعة يعيشون فيها . وأن الإنسان فى وسعه أن يناديهم بواسطة الرقص والطقوس الدينية الأخرى .

وكانت البلطة المزدوجة (Labru) ترمز " كأداة فى ذبح القرابين المقدسة " إلى روح إله معين أو إلهة ويعتقد أنها ربة الأرض أو " الأرض الأم " وعبادتها منقولة من ليديا ، كما ســـاد الاعتقاد بينهم بأن البلطة المزدوجة تبسط على البيوت وغيرها من الأشكال نوعاً من الحماية . وكانت الأفعى في نظر الكريتى بمثابة حارسة البيت وجالبة الحظ .

ويرى البعض أن بعض الآلهة قد دخلت كريت " من ليديا والشرق " مثل عبادة الثور والـــبلطة وعـــبادة الأفاعى ، ويرى البعض الآخر أن بعض الآلهة والمعتقدات المصرية قد وصلت إلى كريت ، ومنها الربة باستت ويرى ايفانز أن الختم المنقوش عليه صورة القطة قـــد اتخذت كتميمة لحماية حاملها من الشرور وبالذات من لدغ العقارب . ويلاحظ أيضاً أنّ هـــناك تشـــابهاً فى طقوس الدفن ومنها تقديم القرابين للميت عند المصريين والكريتيين . فـــتقديم أضحية أمام الميت هى عادة شرقية ومصرية كذلك ، كما أن تقديم مركب للميت إذ ستساعده فى رحلة العالم السفلى هي عادة مصرية و تتعلق برحلة الميت ألى موكب الشمس . كما أن وقوف الميت فى شكل أوزيرى على هيئة مومياء هى عادة مصرية ، كما أننا نجد

الكهـنة المشرفين على اقامة واتمام طقوس الدفن وتقديم القرابين يلبسون جلود حيوانات ، كمـا أن التأثير الشرقى والمصرى نجده فى دفن الموتى فى توابيت خاصــة ، كما نجد أن عمارة المقابر تشبه عمارة المقابر المصرية .

وكــان الكريتى يلجأ لارضاء الآلهة من خلال الأدعية والطقوس والشعائر والتعاويذ ، و كــان الكرتــيون يقومــون بطقوس خاصة تحت إشراف الكاهنات ، كما كانوا يستخدمون الـبخور لطرد الأرواح الشريرة وكانوا يقيمون شعائرهم وطقوسهم فى محاريب أو مقاصير فــى كهوف على قمم الجبال وفى المغارات المقدسة ، وفى حجرات خاصة بمنازلهم الخاصة تحتوى على عمدان قصيرة ، وفى محاريب القصور . ويلاحظ أن محاريب المنازل الصغيرة يتوسـطها منضدة مستديرة مثلثة الأرجل توضع فوقها القرابين ، كما كان يوجد فى خلفها بجـوار الحائط مقعد ربما كان يوضع عليه تماثيل على هيئة الأجراس وبلطة مزدوجة بين قـرنى الـمقدس، وعـثر على محراب فى قصر مينوس بكنوسوس على صورة جميلة من القيشـانى تمثل " الربة الأفعى " وفيها تظهر الكاهنة وهى ممسكة فى يديها بثعابين وحولها صـور الملابـس المختلفة وأصداف ملونة وثلاث حمامات وصليب رخامى وحوض تطهير ولوحات من القيشانى على تصاوير عنزة وبقرة وصغارها .

وفى ضوء هذه الشواهد من رسوم الافرسك ومن المنظر الفريد المصور على تابوت ملـون تـم العـثور عليه فى هاجيا ترياداً نجد أن النساء كن يقمن بدور رئيسى فى إقامة الطقوس والشعائر الدينية الكريتية ، هذا فضلاً عن دور الكهنة ودور الملك الكاهن وما كان يجريه من طقوس وشعائر .

أمـا الأعـياد الدينـية فهى تظهر فى المراحل الكبرى من الحياة الزراعية ولاسيما الحصـاد وجـنى الثمار ، وتتخللها الرقصات الدينية العنيفة أحياناً على أنغام الموسيقى ، وكـان يـتخلل الأعـياد والاحتفالات الدينية الألعاب الشعبية مع ما يرافقها من مباريات فى الملاكمة والمصارعة وسباق الثيران .

وكـــان الكريـــتى يظهـــر عـــناية خاصة بموتاه ، فقد كان يدفن موتاه (ولا يحرقها) ويضـــعهم فـــى توابيـــت مـــن الفخار ويضعون معهم كميات من الأطعمة وبعض المتعلقات الشخصية التى كان الميت يستعملها ويحبها مثل لوحة الشطرنج أو آلة موسيقية أو تماثيل نسائية صغيرة أو تماثيل حيوانات . كما أن هناك مناظر تقديم القرابين للمتوفى ، ففى إحدى الصـــور نجـــد المـــتوفى منتصباً أمام قبره ناظراً إلى حاملى القرابين وهم يتقدمون نحوه ، ونـــرى أيضاً فى الصورة عربة قُطر بها أحصنة من جهة والعنقلوات من جهة أخرى . وفى ضوء ما سبق عرضه يمكننا القول أن الكريتى كان يؤمن باستمرار الحياة بعد الموت .

وكـــان الكريتى يقدم قرابين من السوائل والأضاحى من الحيوانات ، وعرف الكريتى أيضـــاً تقديـــم القرابيـــن البشرية فقد عثر الأثرى وارن (P. Warren) فى منطقة برايترا بجـــنوب كريت على آثار داخل مكان مقدس ، لتقديم قرابين بشرية ويعود تاريخ هذه الآثار إلـــى حوالـــى الألف الثانية قبل الميلاد ، كما عثر الآثارى ساكيللاراكيس على قرائن جديدة حـــول تقديـــم القرابيـــن البشـــرية فى منطقة أرخانيس فى كريت ، وهذا يؤكد ما ورد فى الأســـاطير القديمـــة مـــن تقديـــم قرابيـــن بشرية وأنه كان من عادة أهل كريت ما ورد فى الأســـاطير القديمة من تقديم قرابين من البشر ووفقاً لاسطورة المينتور وأرض الجزية على أثينا من قبل مينوس . فقد كانت تقدم سبع فتيات وسبع فتيان لتقديمهم للمسخ الخرافى كى يلتهمهم ، فلماذا كان يتم تقديم قرابين من البشر ؟ يرى العالم نيلسون أن القرابين البشرية هـــى أغلى أنواع القرابين ولا تدانيه أى صور لقرابين من الحيوانات ولجأ اليونانيون إليه عند الشدة أو عند اتخاذ القرارات المصيرية .

وبعـــد أن عرضـــنا لآلهـــة الكريتيين ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم وأفكارهم عن الموت . ننتقل الآن للحديث عن نظامهم السياسى فى ضوء ما يتاح لنا من مصادر .

النظام السياسى :

عُرفت كريت بكثرة مدنها وضخامتها وازدهارها ، ويظهر من النصوص الأدبية والحفائر الأثرية أن عددها كان يزيد على مائة مدينة وانها كانت مكتظة بالسكان الذين كانوا يتجمعون أو يسيرون فى الأسواق ، وكانت بيوتها مكدسة على جانبى الشوارع والأزقة لمسافات بعيدة وكانت شوارع تلك المدن ممهدة ومعبدة بالحجارة والحصى كما حفرت المجارى على جانبيها لتصريف المياه ، كما كانت الطرق بين المدن المختلفة معبدة وممهدة .

كانت السلطة الحاكمة فى هذه المدن سلطة ملكية ، وتعدد القصور فى النصف الأول من الألف الثانية يحدو بنا إلى الاعتقاد بتعدد الممالك ومع ذلك فليس من مدينة احيطت بالأسوار ، ولم تظهر القصور بمظهر الحصون إلا لفترة قصيرة، حيث كانت السلطة هناك بأيدى أمراء القصور الذين يحكمون البلاد حكماً اقطاعياً ، وتظهر رسوم العصر البرونزى الوسيط فى عصره الأول كيف كان أفراد طبقة الأشراف والأمراء لا يخرجون بين الناس إلا وهم يحملون الخناجر ، ولكن على ما يبدو فى العصر المينوى الحديث أننا نلاحظ أن مدينة كنوسوس كان لها اليد العليا فى شئون الجزيرة فقد امتد سلطان ملكها على بقية المدن الكريتية الأخرى ولم يعد للأمراء والاشراف إلا سيطرة اسمية ؛ ولم يمد ملك كنوسوس سيطرته وهيمنته على مدن الجزيرة فحسب بل أيضاً امتد نفوذه فى البحر الإيجى وسواحله وذلك من خلال اسطوله القوى .

وترينا المصادر الأدبية والروايات المأثورة أن اليونان قد أطلقوا على ملك كريت مينوس ، ولا ندرى ماذا تعنى تلك الكلمة فهل تعنى اسم ملك معين وسلالته أم لقباً مثل فرعون ؛ والأرجح أن تكون كلمة مينوس لقباً وليست اسماً ، وأن اللقب كان يحمله كل من يجلس على عرش كنوسوس كما هو الحال بالنسبة لكلمة فرعون، وفى ضوء المصادر الأدبية واللقى والاكتشافات الاثرية يمكننا القول أن سلطة مينوس كانت مستمدة من الاله فهو الكاهن الأعظم للاله الثور وشاراته هى : العصا وزهرة الزنبق والبلطة المزدوجة ، وتشير الاساطير إلى أنه ابن الاله زيوس ، ولما كان من نسل الاله فانه لا ينطق عن الهوى ، إنما تُوحى إليه القوانين من الاله ، كما أنه كان قاضياً على الجحيم . وكان عليه أن يجدد

سلطته الإلهية مرة كل تسع سنوات وذلك بأن يصعد إلى الجبل المقدس ويدخل مغارة الإله زيوس الثور ويتصل به ، وفى غضون هذه الفترة كانت جموع الشعب تجتمع عند مدخل المغارة يبتهلون ويقيمون الشعائر ويقدمون القرابين ، فإذا كان الملك قديراً وكريماً يخرج من المغارة إلى جموع الشعب وقد أصبح مقدساً لدورة جديدة ، وإذا ما كان العكس فإن أثره يزول ، ويتولى غيره العرش . ولا ندرى ما هى سلطته المدنية والعسكرية وذلك لنقص المعلومات وإنْ كان أرثر ايفانز يصف الملك بالحاكم المحسن وحامى الفنون ومؤسس القصور وواضع أسس الحضارة ومن جهة أخرى يصفه بالطاغية والمدمر ، ولا ندرى ما هو وضع الملكة وكيفية وراثة العرش .وتكشف لنا المصادر أن الملك كان يعاونه فى إدارة شئون قصره ومملكته عدد كبير من الموظفين والكتبة الذين يشرفون على مصانعه وورشه ومخازنه ، وكان عليهم أن يقوموا بتسجيل الأعمال اليومية وتصريف شئون المواطنين وينهون الأعمال الصغيرة والبت فيها دون الرجوع للملك وكان لكبار الموظفين أختامهم التى يستعملونها فى ختم تلك المعاملات ، بيد أن المشاكل والقضايا والمعاملات الهامة كان يرجع فيها للملك والتى كان يختمها بختمه . وتكشف لنا الآثار والألواح المكتوبة بالمجموعة الخطية الأولى والثانية عن معاملات مالية معقدة وأن الاقتصاد الكريتى كان اقتصاداً قصرياً .

الجيش و الأسطول :

وتكشف الرسوم عن أن للملك جيشاً دائماً يلبس أفراده الخوذات ، ويحمل بعضهم الحراب وبعضهم القسى ، كما كان يضم الجيش فرقة العجلات الحربية ، وكان له قوة بحرية لا يستهان بها إذ بدونها يصبح تحصين الموانى والمدن والقصور أمراً لا غنى عنه ، ويعد مينوس وفقاً للروايات المأثورة أول مؤسس لامبراطورية بحرية إيجية ، وأنه قد طهر البحر من القراصنة وبعد طرده للكاريين ولى أبناءه على الجزر ، ولعل أسطورة ثيسيوس والمينتور هى خير دليل على اتساع نفوذ كريت فى حوض بحر إيجة وسواحله . وهذا قد ساعد على انتشار السلع والمواد الكريتية فى جزر بحر ايجة وفى الساحل السورى ومصر

وفـــى بلاد اليونان القارية . وبعد أن عرضنا السلطة الملكية والنظام السياسى و الجيش و الأسطول ننتقل الآن للحديث عن الاقتصاد الكريتى .

الحياة الاقتصادية :

أ- الـــزراعة : كانت الزراعة هى الحرفة الأساسية فى كريت وازدهرت فى الأودية النهرية والمناطق السهلية ، بينما كانت نسبة كبيرة من مساحة كريت جبلية ويُغطى جانب منها بالغابـــات . وفـــى المـــناطق السهلية وأودية الأنهار فقد زرع الكريتى الحبوب وغرس الأعـــناب والزيـــتون والتيـــن وحدائق الأزهار ، وكان إنتاج كريت من الحبوب لا يكفى احتياجات السكان ، بينما إنتاجها من النبيذ وزيت الزيتون يفيض عن استهلاك السكان ، ولـــذا سنجد كريت تستورد الحبوب وتصدر فى المقابل زيت الزيتون والنبيذ إلى أسواق الاســـتهلاك فـــى المناطق المجاورة ، وكان لتصدير زيت الزيتون والنبيذ أعظم الأثر فى ازدهار صناعة الفخار .

ب- تربـــية الحيوان : فقد قام الكريتى بتربية الماشية والأغنام والماعز والخنازير والطيور الداجـــنة ، وعرف سكان الجزيرة الحمار منذ زمن بعيد ، كما عرف الكريـــتى الحصان قبيل الألف الثانية قبل الميلاد وإن كان استخدامه على نطاق ضيـــق .

جـــ- الصيد : تكشف لنا المصادر الوثائقية أن الكريتى كان يمارس حرفة الصيد والقنص، فتريـــنا الرســـوم الجداريـــة صـــور صائدى الاسماك بأنواعها العديدة ، والحصول على الأصداف ، ونجد الرسوم الجدارية تظهر صور القنص للارانب البرية والظباء والخنازير والطيور .

د- الصناعة : كما تكشف الحفائر واللقى الاثرية أن الورش كانت ملحقة بالقصور والفيلات وضـــياعها ، وأيضـــاً فـــى مدينة الحرفيين فى جورنيا الواقعة فى أقصى طرف الخليج الشـــمالى الشرقى للجزيرة وقد وصل الحرفيون إلى درجة عالية من المهارة والاتقان ، وانتجوا الآنية الفخارية والمزهريات الجميلة الصنع والزخرفة، وعرفوا استخدموا عجلة

الفخراني، كما عرفوا استخدام المعادن وصهرها فسبكوا البرونز وتشكيل وصياغة الحلى والمجوهرات ، وصناعة الاسلحة التى شهدت تطورات مطردة فكانت الخناجر فى البداية لا يزيد طولها عن ١٢ سم ، بلغت فى العصر المينوى الوسيط ٣١ سم ، وفى العصر المينوى الحديث بلغت طولها ٤٢سم ، وفى هذا العصر أيضاً انتجوا سيوفاً حسنة الصنعة ويبلغ طولها ٩٥سم وصدروها إلى البلدان المجاورة ، ورصعوا السيوف والخناجر والحلى بالذهب والفضة ، والأحجار الكريمة ، كما شكلوا التماثيل من المعادن النفيسة ومن العاج ومن أشهر هذه التماثيل تمثال الالهة الأفعى المصنوع من الذهب والعاج . وصنعوا الأكواب والكؤوس من المعادن . كما نجدهم قد صنعوا القوارب والسفن الحربية.

هـ ــ التجارة : كان لموقع كريت الهام والقريب من بلاد شرق البحر المتوسط والساحل الأفريقى وبلاد اليونان عظيم الأثر فى ازدهار علاقاتها مع شعوب وحضارات تلك المناطق سواء أكانت متفوقة عليها فى السبق والازدهار أم أدنى منها فى الرقى والتقدم . فنجدها تقتبس من فنون الشرق وصناعاته وتطور ما تقتبسه وتصبغه بمذاقها الفنى الخاص ، وتنقل ما طورته وصبغته بشخصيتها إلى بلاد اليونان الأدنى منها حضارة ورقياً .

وإذا كان موقع كريت قد جعلها قريبة من مراكز الحضارة فى الشرق أو الجنوب ، فإنها قد ملكت أسطولاً قوياً مكنها من الاتصال بسهولة ويسر ببلدان الشرق وخاصة الساحل السورى وبلاد اليونان أو أن أساطيل الدول الأخرى الفينيقيين والأسطول المصرى فى عصر الدولة الحديثة افرغت شحناتها بالجزيرة، ونقلت ما يفيض من إنتاجها إلى مصر وبلاد الشام وشواطئ آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة ، وبلاد اليونان القارية وفى نفس الوقت حملت ما تحتاجه الجزر من مواد وسلع تحتاجها لصناعتها أو لاستهلاكها الغذائى .

هذا فيما يتعلق بالتجارة الخارجية وعلى ما يبدو أن التجارة الداخلية كانت رائجة وذلك لأن الجزيرة قد بنت شبكة طرق ممهدة ومعبدة بين المدن وهذه الشبكة قد سهلت الاتصال بين مدن الجزيرة فى سهولة ويسر ، كما أن الأمن والأمان كان قد انتشر فى ربوع

الجزيرة وسهل هذا حركة الانتقال بين ربوع الجزيرة وليس أدل على انتشار السلام والأمان من أن مدن الجزيرة لم تكن محصنة ولا مسورة . وفى ظلال السلام والأمان راجت التجارة الداخلية فى الجزيرة .

وتكشف الآثار لنا عن استخدام الكريتيين لموازين ومكاييل إذ كانت هناك سبائك واسطوانات من معدن نفيس تسهل المقايضات ، وقد وسمت هذه السبائك أحياناً بعلامات للدلالة على قانونيتها .

العمارة الكريتية :

تكشف لنا الحفائر الاثرية وما تزال تكشف عن مخلفات المبانى من منازل وفيلات وقصور وقبور ، وترينا أن المعمارى أو البناء الكريتى قد استخدم الحجارة والطوب اللبن والأخشاب فى البناء فقد استخدم الحجارة فى إقامة قواعد المنازل ، وأما بقية جدران المنازل فكان يشيدها من الطوب اللبن ، وكان يقوم بتبليط المنزل ، وكما سبق أن ذكرنا أن الفيلات الريفية انتشرت فى الضياع الكبيرة ، أما عن القصور فقد شيد منها ما هو فى المدينة أو فى الريف أحياناً .

وكانت المنازل تتفاوت مساحتها وعدد غرفها وفقاً للمستوى الاجتماعى والاقتصادى لملاكها سواء كانوا فى الريف أو الحضر ، وكانت الفيلات الريفية هى الأخرى تختلف فى رحابتها وفخامتها من فيلا إلى فيلا ، كما أن هذه الفيلات تضم بجانبها ورش للحرفيين .

وكانت القصور تنتشر فى أرجاء الجزيرة ، فنجدها فى زاكرو ، وتيليسوس وماليا وفايستوس وهاجياترياداً وكنوسوس . وقد بدأ المعماريون الكريتيون فى تشيد القصور ابتداء من العصر المينوى الوسيط فى حوالى علم ٢٠٠٠ ق.م فقد شُيد قصر كنوسوس على منحدر أحد التلال ، ولكن هذا القصر تعرض لكارثة زلزال مدمر فى علم ١٧٠٠ ق.م واعيد بناؤه حوالى عام ١٦٠٠ ق.م على مساحة اكبر إذ بلغت مساحته خمسة أفدنة ونصف فدان ، وحدثت تغيرات أخرى فى هذا القصر فى العصر المينوى الحديث على يد

الموكينيين بعد تعرضه لدمار جزئى بعد كارثة الانفجار البركانى فى ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م .

والقصر يتألف من فناء كبير مساحته ٢٠٠ قدم وعرضه ٨٥ قدماً تقريباً يحيط به فى عـدة محـاور عدد من الأبهاء التى تضم عدداً كبيراً من الممرات والغرف، ولم يكن القصر مسـوراً ؛ ويضـم القصر معصرة زيت الزيتون ومصانع ومخازن ودار للسلاح ، وحمامات ودورات مياه وحجرة مدرسية وعدد من الغرف الفخمة سواء لكبار الموظفين أو للانتظار أو للـنوم ومسـرح وجـناح خاص للملكة وحجرات للعبادة ، والقصر كان يتكون من أكثر من طـابق . ولعل أهم ما يثير عجب المعمارى المعاصر فى هذا القصر هو نظام صرف المياه وتغذيته بالمياه النقية فقد كانت تجلب المياه من الينابيع فى الجبال وتمدد إلى دورات المياه والحمامات داخل القصر كما وجدت بالوعات لتصريف مياه الأمطار .

وكانت جدران القصور تزدان برسوم الافرسك وحاول الفنان أن يقوم بتصوير المناظر الطبيعية ، فنجده يصور الحيوانات والأسماك والزهور ومن ابدع رسوم الافرسك منظر قطف الزعفـران مـن روض مليئ بالكركم والطائر الازرق وسط الصخور والورود ، ومنظر قطة تزحف بين البوص لتصيد ديكاً برياً . وهناك منظر آخر لرسم بارز يمثل الملك الكاهن نفسه ومنظر الساقى ومنظر آخر يمثل سمكة طائرة .

ويـرى فـريق من الباحثين وعلى رأسهم أرثر ايفانز أن أصول هذه القصور ينبغى البحـث عنها خارج كريت ، وقد وجد الآثاريون فى الألاخ وفى بيسولتان (Beyceoultan) فى غرب تركيا وفى مارى تشابهاً مع القصور الكريتية وهذا التشابه يوجد أيضاً مع العمارة المصـرية سـواء فى خطتها أو فى رسوم الافرسك بها. ولكن يقول الباحث جرام (J.W. Graham) أنه على الرغم من امكانية تتبع التأثيرات الشرقية إلا أن القصور الكريتية كانت ابـتكاراً كريتياً اصيلاً وأن بها سمات لا توجد فى سواها الا أنه يستطرد قائلاً أن المعمارى الكريـتى عندما بدأ يشيد القصور كان على علم بعمارة القصور فى أماكن أخرى ، وأنه قد استخدم اساليب وتقنيات البناء الشرقية التقليدية التى كان على دراية وعلم تام بها .

وبعد أن تناولنا العمارة الكريتية ننتقل الآن إلى علاقة كريت بجيرانها وما قدموه لها في مجال الحضارة وما قدمته لهم .

العلاقات المصرية الكريتية :

تكشف لنا الآثار واللقى الأثرية والسجلات المكتوبة في كل من مصر والمنطقة الايجية عن عمق العلاقات بينهما وأنها كانت ضاربة في القدم ، ويرى نفر من الباحثين وعمدتهم أرثر ايفانز أن العلاقات الثقافية والحضارية بين مصر وكريت تعود إلى خواتيم العصر الحجرى الحديث (٣٠٠٠ق.م) . ويبرروا رأيهم بما يأتى :-

١- وجود حقائق وأدلة أثرية من عصر ما قبل وبداية الأسرات (آخر الالف الرابع وبداية الالف الثالث) في مصر وفي نفس الوقت كانت توجد في كريت. ويرى البعض أنه لا يمكن تفسير هذه الحقائق إلا بالهجرة من أفريقيا إلى كريت.

٢- تشير النصوص المصرية من عصر الدولة القديمة إلى سكان المنطقة الإيجية ، والذين يتم وصفهم في تلك النصوص بلفظتى "حانيبوت" و "كفيتو" من عام ٢٢٠٠ ق.م .

٣- وجود أوانى حجرية صلبة في كريت مصنوعة على غرار الأوانى المصرية ، ووجود تشابه بين طراز المقابر المستديرة في البلدين وأيضاً الجعارين والاختام.

ولدينا رأى يقول أن هذه الآنية الحجرية قد وصلت إلى كريت في عصر الانتقال الأول ٢٣٠٠ ق.م عندما هوجمت مصر وغزاها معتدون من الشمال ونهبت مقابر ملوكها ونبلائها في عصر الدولة القديمة . ويرى جان فركوتيه أن الاوانى المصرية الموجودة في طبقات ليس لها تاريخ في كنوسوس من الممكن أن تكون قد حملت إلى كريت ولكنها لم تصل إليها في عهد ما قبل الأسرات أو بداية الدولة القديمة ، بل في نهاية الدولة القديمة وبداية عصر الانتقال الأول أى في الفترة التى بدأ فيها الصناع الكريتيون يصنعون بأنفسهم أوانى من الحجر ، ويقول ان التأثير المصرى على كريت أتى عن طريق الساحل السورى ، كما يبدو أن الأوانى التى عثر عليها في مقابر ملوك الأسرة الأولى في أبيدوس والتى تنتمى إلى

الحضارة الإيجية كان مصدرها فى الغالب سوريا ، ويستطرد قائلاً أنه على ما يبدو أنَّ بداية العلاقـات والاتصالات بين كل من مصر وكريت قد بدأت فى سوريا وأن النصوص المصرية تؤكد ذلك الاحتمال ، ويقر أنَّ كل من مصر وكريت كان على دراية ومعرفة كل منهما بالآخر فـى نهايـة عصر الدولة القديمة من خلال الساحل السورى، وان كان لا يستبعد تصور أنَّ الملاحين المصريين قد عملوا كوسطاء بين كريت وسوريا . وجملة القول أنَّ جان فوكوتيه يميـل إلـى القـول بأن العلاقات المصرية الكريتية لم تكن مباشرة وذلك لصعوبة الملاحة والإبحار فى تلك الأزمنة الباكرة ولذا كان الاتصال بصورة غير مباشرة عبر سوريا ، فنقلت السلع والأدوات المصرية والمتمصرة من سوريا إلى كريت .

واسـتمرت العلاقات وتوثقت عراها بين البلدين إبان عصر الدولة الوسطى فى مصر المقـابل للعصـر المينوى الوسيط الأول والثانى . فكانت احوال كلا البلدين مزدهرة ، ففى كريت كانت هناك فترة العصور الأولى وتلتها فترة العصور الثانية ، وفى مصر كانت الملكية قـد اسـتردت قوتها ودخل الفن المصرى مرحلته الثانية الكبرى أى فى الفترة ما بين عام ٢٠٠٠ و ١٧٥٠ ق.م . فقـد وجد فى كريت اوانى من احجار صلبة مستوردة من مصر أو مقلـدة مـن نمـاذج مصرية وعلى كثير من الجعارين وتمثال صغير من الديوريت لموظف مصـرى يسـمى أويسـر Ouser وفى المقابل وجد الآثاريون في منطقة هوارة و مناطق مصرية أخرى متفرقة على أختام و أوان كريتية من طراز كماريس Kamares ، ونتساءل كـيف وصـلت هذه السلع لكل من البلدين ؟ وهل ما تزال العلاقة غير مباشرة مثل الحقبة السابقة ؟ أن اللقى الاثرية فى البلدين لا تنهض دليلاً على أن الكريتيين قد جاءوا إلى مصر أو أن المصـريين ذهـبوا إلـى كريت فى عهد الأسرة الثانية عشرة أو أن أويسر الموظف المذكور قام بدور هام فى محيط العلاقات الدولية بين البلدين ، وإنما القضية أبسط من هذا ، إذ نجـد أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة قد مدوا نفوذهم إلى فلسطين وفينيقيا ، واقاموا علاقات مع سورية ، ونتيجة لهذا فقد انتشرت السلع المصرية الرخيصة والمتقنة الصنع فى فلسـطين والمـدن الفينيقية وفى سورية وبخاصة الجعارين والتماثيل الصغيرة من أحجار الديوريـت والجرانيت ، ولما كان الإبحار المباشر بين مصر وكريت فى ذلك الوقت ما يزال

صعباً ، فإنه من المرجح أن تكون سورية و خاصة الموانئ الفينيقية قد لعبت دور الوسيط الـــتجاري بين كل من كريت ومصر ولذا فقد كانت العلاقات بينهما ما تزال غير مباشرة وإن كان لا يستبعد تلاقى المصريين و الكريتيين في سورية أو في كريت أو فى مصر . وقد يؤكد هــذا مـــا شار إليه مثقف مصر من ذلك العصر إلي إنه يمسك قلمي الحادينو ، وربما يعني بذلك أنه كان يعرف خطى الحادينو و يكتب بهما و الحادينو هو الاسم المصري لسكان جزر الحـــوض الشـــرقي من البحر المتوسط ، و قد يدل هذا على أمرين أما وجود جاليات إيجه تجاريـــة فـــي العواصـــم المصـــرية و الموانـــئ المتصلة بها في الشام و اتصال الموظفين المصـــريين بهـــا و معرفتهم بكتابة أهلها أو وجود مترجمين مصريين في البلاط الفرعوني كـــانوا يقـــرأون الرســـائل الأيجية التي ترد إلي مصر و يردون عليها بلغة أهلها كما تدعو عبارة "قلمي الجادينو"إلي تذكر وجود مرحلتين للخطوط الكريتية (Lineur AX3) .

اســـتمرت العلاقات الحضارية والتجارية بين البلدين أبَّان عصر الهكسوس ١٧٥٠ – ١٥٨٠ ق.م فقد عثر فى كنوسوس على إناء من الحجر يحمل شارة الملك الهكسوسى خيان مـــن عـــام ١٦٦٣ ق.م ، وفى هذه الفترة كانت كريت قد ظهرت كقوة بحرية كبيرة ، وهى تقـــابل فـــترة القصور الثانية ، ويرى جان فركوتيه أن العلاقة إبان هذه الفترة بين كل من مصـــر وكريـــت كانـــت مباشـــرة ، وأنها قد تمت من قبل البحارة الكريتيين وليس من قبل الهكســـوس . فقد تخيل البعض من الدراسين أن الهكسوس شكلوا إمبراطورية متسقة ذات نشاط في البر و البحر معاً.

و قـــد شهدت العلاقات في زمن الأسرة السابعة عشر و في عهد آخر ملوكها أحمس بـــن سقننرع ، وجود علاقات بين مصر و كريت ، فقد قيل عن والدته اياح حتب أنها "ربة الأرض و سيدة الحادينو ، رفيعة السمعة في كل قطر أجنبي ، التي دبرت سياسة القوم ... القديرة الجليلة التي لحكمت شئون مصر ، و جمعت صفوف جيشها ، ورعت أهلها و أعادت الفاريـــن و لمـــت شـــتات المهاجرين و هدأت قلق الصعيد و أرهبت عصباته . الملكة اياح حوتب لها الحياة" .

ويمكن تعليل شهرة الملكة اياح حوتب الخارجية و عن سيادتها للحادينو على النحو الآتـــي : أن انتصـــارات مصـــر في عهد ولدها أحمس في جنوب الشام فتحت أمامها سبل الاتصـــالات القديمة مع الموانئ الفينيقية و ما كان يتعامل معها من جزر البحر المتوسط و خاصة كريت و قد أراد أهل كريت بخاصة أن يتقربوا غلي الملك المصري المنتصر فهادوه و هـــادوا أمه و خلعوا عليها لقب سيدة الجزر تشريفاً لها ، و هو ما عبر النص المصري عنه بلقب سيدة الحادينو ، و احتفظت مقبرتها بالفعل بآثار ذات زخارف تماثل أسلوب الفن الكريتي .

وفـــي عصـــر الدولة الحديثة أى فى عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ – ١٢٦٠ ق.م) فقـــد زادت العلاقات بشكل كبير وصارت علاقة مصر مباشرة ليس فقط بجزيرة كريت بل بكثير من الجزر وبلاد اليونان نفسها . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن كريت كانت تابعة لمصـــر ، ويستند هؤلاء إلى صورة من عهد تحتمس الثالث (١٤٧٥ – ١٤٣٥) تمثل وفود الأمـــم الاجنبـــية التى جاءت تقدم للفرعون الهدايا الثمينة من مصنوعات بلادها وبينها وفد كريـــت ، ويمكـــن التعرف عليه بسهولة من سيماء وجوه الاعضاء وملابسهم ونوع الهدايا التى كانوا يحملونها والكتابة بجانب الصورة تذكر بين الوفود وفداً من أمراء جزر كفيتو فى وسط البحر، والمقصود بالاسم هو جزيرة كريت وتوابعها ، وتذكر هذه الكتابات أن اسطول كفيتو قد اشترك مع اسطول بيبلوس فى نقل الاخشاب إلى مصر لحساب الفرعون .

انتظمـــت العلاقـــات المباشـــرة بين البلدين بفضل قوة الاسطول المصرى الذى جاب مـــنطقة شرق البحر الابيض وفرض السلام فيها كما وصلت السفن الكريتية والفينيقية إلى مصر كما شاهدنا . وسنجد أن تطوراً قد حدث ابتداء من القرن الخامس عشر فقد بدأت قوة الموكينييـــن الآخييـــن فـــى الظهـــور فى عالم بحر ايجة وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق ، وأيضاً فى التجارة مع مصر وبلاد الشام . وتظهر الآثار انهم كانوا يحضرون مع الكريتييـــن فـــى العصـــر الميـــنوى الحديث " الثانى " علم ١٤٥٠ ق.م . ولم يقض توسع الموكينيين فى العصر المينوى الحديث مطلقاً على التجارة الكريتية فى الشرق ومصر ، بل

يبدو أنه لم يكن هناك كما كان يظن لحتكار مينوى أو موكينى فى العلاقات التجارية بين مدن بحر إيجة وآسيا الصغرى وافريقيا ، لأن التوسع الموكينى استند فيما يبدو إلى السيطرة البحرية المينوية ولم يتغلب عليها أو يحطمها . فقد وجدت لقى أثرية مصرية من نفس الفترة فى هلجيا ترياداً . ففى العصر المينوى الحديث الأول والثانى فقد انتشرت الصادرات المصرية فى كريت انتشاراً واسعاً . ومنذ بداية العصر المينوى الحديث الثالث فقد انتشرت السلع المصرية على نطاق واسع فى بلاد اليونان .

وفى ضوء ما عرضناه سابقاً يمكننا القول أيضاً أن العلاقات الكريتية السورية والساحل الفينيقى وفلسطين استمرت منذ فترة باكرة ، ولعبت بلاد الشام دور الوسيط بين الكريتيين والمصريين ونقل الكريتيون كثيراً من فنون بلاد الشام ومنها فن عمارة القصور الذى تحدثنا عنه سابقاً هذا فضلاً عن الفنون الصغرى .

وإذا كانت كريت قد تأثرت بالشرق بصورة كبيرة فنجد أنها أثرت فى بلاد اليونان تأثيراً بالغاً فى كافة المجالات سواء أكان ذلك عن طريق السيطرة المباشرة أو بالاقتباس من قبل تلك المناطق أو باستقدام واستخدام الفنانين الكريتيين . وهو ما سنحدث عنه في الفصل التالي .

أفول نجم كريت السياسى :

تقدم لنا المواد الاثرية والروايات المأثورة معلومات قيمة عن العوامل الخارجية والداخلية التى ادت إلى انهيار وافول نجم كريت السياسى فى نفس الوقت الذى بدأ فيه نجم الموكينيين الآخيين فى الصعود . ونتحدث الآن عن تلك العوامل وهى :

أ- العوامل الخارجية :

أولاً : بروز الموكينيين كقوة بحرية وعسكرية لا يستهان بها فى القرون الخامس والرابع والثالث عشر ، وقد اتسعت مناطق نفوذهم فى بلاد اليونان الأم وجزر البحر الايجى ، بل نجدهم قد حلوا محل الكريتيين فى الكثير من الجزر مثل رودس وقبرص ، وراجت

تجـــارتهم وصناعاتهم وانتشرت فى تلك المناطق ومع كل من سوريا ومصر ، وكان ذلك على حساب تجارة وصناعة كريت .

ثانـــياً : أن الصـــدام والتـــنافس بين القوى الكبرى فى الشام أى بين الإمبراطورية الحيثية ومصر قد أدى إلى اضطراب الأحوال ليس فى شرق البحر المتوسط فحسب بل سنجد آثـــار هـــذا واضحة على مصر أيضاً وبالتالى فإن هذه الأحوال قد أثرت على تجارة الكريتيين.

ثالثاً : كان لكارثة الانفجار البركانى المروع فى جزيرة ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م أثره البالغ ليس على حركة الملاحة والإبحار فى المنطقة فحسب بل أدى على الأرجح إلى توقف التجارة وقضى على الكثير من السفن الكرينية ذلك للحمم البركانية الهائلة التى قذف بها البركان ، هذا فضلاً عن الرماد البركانى الذى انطلق من فوهته كان له اثره على الحياة فى المنطقة هو الآخر.

ب- العوامل الداخلية :

أولاً : تعرضت الجزيرة لكارثة طبيعية فى الغالب الأعم فى حوالى عام ١٤٥٠ ق.م ادت إلى تدمير كل مدن الجزيرة تدميراً شاملاً عدا كنوسوس الذى دمر قصرها بشكل جزئى .

ثانياً : كان لزيادة الثروة والرفاهية والانصراف إلى الترف والملذات أثره فى ضعف النفوس والانحلال والتفسخ .

ثالثاً : ضعف موارد كريت سواء فى الزراعة أو تدهور وتراجع كل من الصناعة والتجارة ، وذلـــك نظراً لبروز قوة اساطيل الموكينيين التى تنقل تجارتهم وسلعهم والتى زاحمت الأساطيل والسلع والبضائع الكريتية .

رابعاً : أن كريت كانت تعتمد على قوة أسطولها فى حماية مدنها غير المحصنة فلما ضعف هـــذا الاســـطول أصـــبحت الفرصة سانحة لشعوب مقاتلة لمهاجمة الجزيرة ودخول موجات من الهجرة الموكينية الآخية إلى الجزيرة . وبمرور الوقت صار المهاجرون يمـــثلون اكـــثرية عددية بالنسبة للسكان الأصليين والذين صاروا أقلية ، ونتيجة هذا

الأمــر أن أمســك الآخيون بزمام السلطة فى قصر كنوسوس وتم ترميمه بعد ادخال بعــض التعديلات وفقاً للطراز الموكينى فى عمارته . ولكن تعرض هذا القصر لكارثة مدمــرة إذ تعــرض القصر للحريق ، ولا ندرى هل كان سبب ذلك الزلزال كما يرى الــبعض أم كان نتيجة لغزو مدمر كان سبباً فى حريق القصر ونهب بعض محتوياته حســب رأى الــبعض الآخــر ، ولم يرمم القصر مرة أخرى ، وعلى الرغم من هذه الاحداث يحدثنا هوميروس عن إسهام كريت بثمانين سفينة حربية فى حملة الآخيين ضد طروادة ، وتعرضت الجزيرة بعد ذلك لموجة من الهجرة الدورية غشت الجزيرة ضمن موجة الهجرة الدورية الكبرى فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد .

ب - حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرونز

نعـتمد فـى دراسـتنا لهـذه الحضارة على ما تقدمه المصادر الأدبية من معلومات وخاصـة أشعار الشاعر هوميروس (الإلياذة والأوديسة) والتى تقدم لنا أوصافاً وأخباراً عن العصـر الآخى سواء فيما يتعلق بطرق الحياة وأساليب العمارة والبناء ، والديانة ، وبعض سـمات نظـم الحكم ، وقد استخدم المنقبون هذه الأشعار كهادى لهم فى تنقيباتهم، وعمدة هؤلاء ورائدهم الالمانى الشهير هيرش شليمان الذى نجح فى الكشف عن طروادة وموكيناى وتيرنيس ... الخ ، وقد أثبتت تنقيباته أن بعض الأوصاف الهوميرية قد صدقت على جانب مـن هـذا العصر وأدواته ، كما يقدم لنا كتاب قدامى آخرون أخباراً عن تلك الحقبة ، مثل الحـرب بين آرجوس وطيبة وتدمير طيبة ، ووصفاً لخرائب طيبة وتحدثوا عن أخبار الأسر الحاكمـة فى ذلك العصر وعلاقتها مع بعضها بعضاً سواء أكانت علاقات ود ووئام أم حرب وخصام . كما يردد الكتّاب القدامى، -اساطير وروايات - بشأن نشأة بعض مدن هذا العصر ، والصـراع بين الحكام المحليين، وكثير من المعلومات الواردة فى المصادر الأدبية اكدتها التنقيـبات الأثـرية والمصـادر الوثائقـية ، وإن كـنا أحياناً نجد هذه المعلومات تنقضها وتدحضها نتائج الحفائر والمصادر الوثائقية . أو بعبارة أخرى ينقض بعضها بعضاً .

وتقـدم لـنا المصادر الوثائقية فيضاً من الأدلة والقرائن لهذه الحضارة وتطورها ، فـيقدم لـنا علـم الآثار بقايا قصور وبيوت ومقابر وقلاع ، ومن اللقى الأثرية الكثير من الأدوات الـتى اسـتخدمها الناس فى حياتهم اليومية مثل المصنوعات المعدنية أو الفخارية وأدوات الزيـنة ، وتماثـيل ... الخ . والألواح المكتوبة وخاصة الواح المجموعة الخطية الثانـية (Linear B) وإن كان أقدم هذه الألواح لدينا يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر، وكـان لقراءة هذه الألواح الفضل فى إعطائنا معلومات كثيرة عن هذه الحضارة ، كما أنها غيرت الكثير من مفاهيمنا عنها ، وأكدت أيضاً معلومات وردت فى المصادر الأدبية وقدمت لـنا معلومـات عـن القصـور وحكامها ومعاونيها ومعلومات عسكرية ودينية واقتصادية سنتحدث عنها فى الصفحات التالية .

ويطلق العلماء المحدثون على هذه الحضارة " الحضارة الموكينية " نسبة إلى مدينة موكيناى فى سهل أرجوليس ، لأنها كانت أقوى المدن فى العصر البرونزى المتأخر ، وأيضاً لأنهـــا أول مدينة أجرى بها تنقيبات كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر ونقضت آراء مؤرخـــى القرن التاسع عشر ، بيد أن نفراً من الباحثين وهم على حق يفضلون اطلاق اسم الحضـــارة الهيلادية على حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرونز نسبة إلى هيلاس . وقـــد درج هؤلاء العلماء على تقسيم هذه الحضارة إلى ثلاثة عصور وقسموا كل عصر إلى ثلاث فترات . وإن اختلفوا فيما بينهم حول بداية ونهاية كل عصر وكل فترة . ومن بين هذه التقسيمات التقسيم الآتى :

العصر الهيلادى العتيـــق : ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد

العصر الهيلادى الوسيط : ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ قبل الميلاد

العصر الهيلادى الحديث : ١٦٠٠ - ١١٠٠ قبل الميلاد

ولما كان العصر الهيلادى الحديث يمثل أزهى تلك العصور إذ بلغت فيه اليونان ذروة قوتها ومجدها فإننا نذكر تقسيماته إذ ينقسم إلى :

العصر الهيلادى الحديث الأول : ١٦٠٠ - ١٥٥٠ قبل الميلاد

العصر الهيلادى الحديث الثانى : ١٥٥٠ – ١٤٠٠ قبل الميلاد

العصر الهيلادى الحديث الثالث : ١٤٠٠ – ١١٠٠ قبل الميلاد

وســـنحاول أن نوجـــز أهم السمات والملامح الخاصة بكل عصر من العصور السالفة الذكر . ونبدأ الآن بذكر أهم سمات العصر الهيلادى القديم و هى على النحو الآتي :-

أولاً : وصـــول هجـــرة جديـــدة مع مطلع هذا العصر من الشعوب التى أطلق عليها الكتّاب القدامى اسم البلاسجيين ، وقد وفدوا من جنوب غرب آسيا الصغرى ، وكانوا يمتون بصـــلة القـــربى لســـكان مـــنطقة طـــروادة ، وجزر الكوكلاديس وكريت ، وهؤلاء المهاجـــرون ، كمـــا لاحظنا من قبل ، لا يمتون بصلة للعناصر الهندوأوربية و إنما

ينـــتمون إلى شعوب البحر المتوسط ، وكانوا يتكلمون لغة لا تنتمى إلى عائلة اللغات الهندأوربـــية ، وإن بقيــت آثارها فى اللغة اليونانية فى شكل مفردات كثيرة منها ما يخــص اســماء المدن والأماكن مثل كورينثوس وبرناسوس وهيمتوس ، ولُخرنا ، وميكيـــنى ، وأثيـــنى (فـــى بلاد اليونان) وكاليندا واسبندلوس (فى آسيا الصغرى) ، وأســماء الأفـــراد مـــثل : اخيللوس ، وثُثيوس وأتريوس ، وأسماء لبعض النباتات والزهور والطيور جذورها غريبة عن اليونانيين مثل أشجار الكروم والزيتون والتين والســرو والغـــار والنرجس . (narkissos) ، وأسماء بعض المعادن مثل : البرونز والقصـــدير والرصاص والحديد وكلمة منجم (metillon) والكثير من هذه المفردات السالفة نجدها فى جنوب غرب آسيا الصغرى .

ثانـــياً : امـــتزج واخـــتلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالسكان الأصليين (من العصر الحجرى الحديـــث) وعلموهـــم أساليب صناعة المعادن وحرق الآنية الفخارية فى أفران وهذه الاســـاليب كانوا قد جلبوها معهم ، وإن كان انتاج الفخار قد شهد اختلافات فى طرزه بيـــن مـــناطق الـــيونان المختلفة والجزر ، كما نجدهم قد استزرعوا بعض النباتات والأشجار مثل غرس الأعناب فى أتيكا ، وأدخلوا معهم استعمال الخيل .

ثالـــثاً : عاش هؤلاء فى البداية فى منازل ريفية متناثرة ، وبمرور الوقت فقد مالوا للعيش فـــى تجمعـــات ، وبدأوا يميلون نحو التحضر والتمدين ، إذ نجدهم قد بنوا قراهم أو مدنهـــم علـــى ســـفوح التلال ، ثم أحاطوها بالأسوار ، كما شهدت الفترة بناء بعض القصور ، ولعل إحاطتهم لمدنهم بالأسوار كان بسبب هجوم من قبل جماعات مجاورة علـــيهم أو حـــروب فـــيما بينهم أو لهجرة وفدت إلى تلك المناطق وكان مهاجروها يخربون ويسلبون وينهبون فلجأت جماعات السكان إلى تحصين قراهم ومدنهم .

رابعـــاً : كـــان الســـكان يتعبـــدون إلى إلهة أنثى شـــاملة الخصائص مثلما كان الحال فى كريت.

وبعــد أن عرضنا لأهم سمات العصر الهيلادى العتيق ننتقل إلى الحديث عن العصر الهــيلادى الوسيط مع الأخذ فى الاعتبار استمرار السمات السالفة فى هذا العصر مع بروز سمات جديدة :

أولها : وصول أولى موجات الهجرة الهندوأوربية إلى بلاد اليونان والتى على ما يبدو أنها قــد بدأت فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد واستمرت فى شكل موجات غازية ومتقطعة ، وأهم هذه الهجرات الآيونية والأيولية وأخيراً الآخية وسبق أن ذكرنا هذه الهجرات عند الحديث عن أصل اليونان .

ثانــيها : يمــثل هــذا العصر أول ظهور للعناصر اليونانية فى بلاد اليونان والذين سيطلق عليهم هوميروس الآخيين وتسميات أخرى سبق ذكرها .

ثالثها : كان مستوى التحضر والتمدين لهؤلاء المهاجرين أدنى من السكان الأصليين الذين اســتقروا بيــنهم ، فأخذوا بأساليب حضارتهم وإن أدخلوا بعض السمات الجديدة إذ تكشف لنا التنقيبات الأثرية عن استمرار التطور الحضارى وظهور عناصر جديدة فى صــناعة الآنية الفخارية وأشهرها الفخار المينواسى (Menyas) ، كما شهد العصر استخدام عجلة الفاخورى على نطاق واسع ، ثم اتمام عملية حرق الآنية الفخارية فى أفــران . وشهد هذا العصر أيضاً طرازاً جديداً فى عمارة المنازل إذ جلبه المهاجرون معهــم ، وهذا الطراز كان يتلاءم مع مواطنهم الأولى ، إذ كانت أسقف المنازل تبنى مــن القرمــيد بشــكل مائل على الجانبين حتى لا تبقى عليه مياه الأمطار والثلوج ، وكانت عمارة منازلهم بسيطة وكانت حجرات المنزل تفتح على فناء (megorwn) ، كمــا نجــد أن مقابرهم قد حدث بها تطور وتغير إذ نجد ثلاثة أنواع من المقابر ففي البداية نجد مقابر فردية ، وكان منها لحود كالصناديق من طراز الناووس وتخلوا من القرابين الجنائزية ، ثم حدث تطور آخر إذ ظهرت مقابر جماعية أودعوا فيها أدوات بســيطة بجانــب موتاهم مثل إناء واحد أو اثنين وبعض السكاكين الصغيرة والحلى الرخيصــة ، ثــم نلاحــظ تطــوراً آخر فى طراز المقابر فى خواتيم الفترة إذ انتشر

استخدام المقابر البئرية أو العمودية وكانت مقابر فردية ويلاحظ أن الجثث كانت تدفن في وضع متقلص ، ، ومودع معها بعض الأواني الفخارية من الطراز المنواسي .

رابعها : شهد هذا العصر وضع اللبنات الأولى من قبل الملوك للممالك في أرخومينوس وطيبة وأثينا وموكيناي وتيرنيس وميديا وبروسينا وأسيني. (في إقليم أرجوليس)، وفي بيلوس (غرب مسينيا) وغيرها من مدن البلوبونيز وكذلك في جزيرة أيجينا وغيرها من الجزر .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الوسيط ننتقل للحديث إلى العصر الهيلادي الحديث وهو أزهى فترات العصر البرونزي وسنجد في هذه الفترة أن نجم ممالك بلاد اليونان القارية في صعود وازدهار ، بينما كان نجم كريت السياسي يتجه نحو الأفول والانحدار . ويطلق نفر من العلماء على حضارة هذه الفترة عصر الأبطال ويطلق نفر آخر عليها الحضارة الموكينية نسبة إلى موكيناي وهم على حق وذلك لانتشار مظاهر حضارتها في داخل بلاد ابيونان في تيرينيس وأسيني (Asine) وميديا (في إقليم أرجوليس) وفي كورينثة وكوراكو ، وليرنا (بمنطقة البرزخ الكورينثي) وفي بيلوس (غرب مسينيا) وفي كاكوفاتوس (بإقليم إيليس)وفي أثينا وإليوسيس وثوريكوس (باتيكا) وفي طيبة وأرخومينوس وجلا (في بؤوتيا) وفي ايوبكوس (بتساليا) وانتشرت هذه الحضارة في معظم جزر البحر الايجي وبعدئذ وصلت إلى جزر البحر الأيوني ثم امتدت إلى مناطق أبعد . وتتمثل مظاهر الحضارة في القصور والمقابر والآنية الفخارية والقرائن واللقى الأثرية الأخرى التي تكشف عن حضارة متجانسة وثقافة مشتركة . ومن سمات هذه الفترة :

أولاً : شهدت هذه الفترة هجرة جديدة لختلف الباحثون بشأن منبعها فالبعض رأى أنها هجرة شمالية ، والبعض الآخر رأى أنها هجرة سامية ، والبعض الآخر رأى أنها هجرة مصرية ، والبعض الآخر يرى أن الفترة لم تشهد هجرة وإنما قامت الحضارة في مركزها موكيناي على يد حكام وطنيين استغلوا المناجم المجاورة وكانت سبباً في ثروتهم وسبق لنا أن عرضنا لهذا الأمر عند حديثنا عن أصل اليونان .

ثانيـاً : شـهدت هذه الفترة أيضاً ممالك قوية وقصوراً ضخمة فى مناطق مختلفة من بلاد اليونان والتى سبق أن ذكرنا أنها كانت قد بدأت فى التشكل مع نهاية العصر الهيلادى الوسيط .

ثالثاً : يلاحظ أن بلاد اليونان قد شهدت أنواعاً جديدة من المقابر فقد اختفت المقابر البئرية أو العمودية فى الانتشار بكثرة ، وقد كشف المنقبون فى هذه المقابر عن كنوز ثمينة . إذ كانت هـذه المقابـر غنـية بمـتعلقات الموتى مثل الأوانى البديعة الفخارية والبرونزية والفضية والذهبية ومن الالبستر ، والحلى الذهبية أو المشكلة من الذهب والفضة " الالكترون " ومنها أقراط وأساور وأختام وتيجان وأقنعة وأسلحة برونزية مـثل الحـراب والسيوف والخناجر ذات المقابض الذهبية والعاجية والدروع ومنها أدوات مـن البلور والقيشـانى . ويلاحـظ أن الموتى كانوا يرقدون ممددى القامة ويدفنون بكامل ملابسهم وقد زينت رؤوسهم ورقابهم وأذرعتهم في كثير من الأحيان بحلى من الذهب.

نلاحظ أيضاً ظهور طراز جديد من المقابر وانتشاره فى حوالى عام ١٥٠٠ ق.م وهى مقابـر الغـرف المستديرة ذات القباب (Thales Tombs) أو مقابر خليّـة النحل ، ويرى الـبعض أنهـا تمـثل مجيء اسرة جديدة ، ولكن البعض يرى أنه اختلاف فقط فى الطراز المعمارى ، وأنه كان ابتكار موكينى ، ولا يوجد تأثير خارجي عليهم فيه ، كما يرى البعض بأن هناك تأثير مينوى قوى . وقد عثر المنقبون على عدد منها فى كاردتسا بتساليا ، وفى كورينا سيون وموبرا بمسينيا وفى بؤوتيا ومناطق بأتيكا واسبرطة وأرجوس .

ونلاحـظ أيضـاً أنـه وجد نوع آخر من القبور ذات الغرف المستديرة محفورة فى الصخر وهى مقابر ذات القباب وإن كانت أصغر حجماً وهى مقابر عائلية استخدمت لأجيال فـى أرجوليس وبروسيمنا ويوبويا ورودس . وكان أصحاب هذه القبور يسرفون فى وضع الهدايا مع الموتى وهذه الهدايا من الأوانى الفخارية والمعدنية والأدوات البرونزية والحلى الذهبية أو من الأحجار شبه الكريمة أو من العاج ومن الأسلحة .

رابعــاً : تأثــرت حضـــارة بلاد اليونان القارية فى هذا العصر بحضارات أرقى منها وأعلى مرتــبة ومنها الحضارة الكريتية والتى كان تأثيرها الطاغى قد امتد إلى كافة جوانب الحـــياة فى بلاد اليونان فقد تأثرت بالفكر الدينى والعقائد المينوية ، وأيضاً امتد إلى زخرفة وتزيين الحلى الموكينية وصناعة الأوانى المعدنية والأوانى من القيشانى وفن صـــناعة الأختام ، وامتد أيضاً إلى فن العمارة إذ تم اقتباس بعض طرزهم المعمارية واســـتخدام الأحجـــار والأعمـــدة وطـــلاء المدخل والحفر الزخرفى واستعمال الجص والألوان المتعددة والافرسك فى زخرفة الجدران بأسلوب فنى .

شهدت حضارة بلاد اليونان أيضاً تأثيرات مصرية واضحة فى طراز المقابر البئرية ، وتقاليد الدفن واستخدام الأقنعة ، وفى عمارة القصور واستعمال العجلات الحربية هذا فضلاً عن أدوات ومواد مصرية تم استيرادها من مواقع قريبة منها لعلها كريت .

خامســاً : شـــهدت هذه الفترة بناء القصور الملكية على نطاق واسع فى بلاد اليونان ، إذ نجدهـــا فـــى موكيناى وتيرنيس وأرخومينوس وبيلوس وطيبة ... الخ . وكانت هذه القصـــور تبـــنى داخـــل قلاع وحصون شيدت فى موقع تسهل طبيعته الدفاع عنها . وغالـــباً ما يكون هذا الموقع مشرفاً على السهل المحيط ويصعد إليها بسلالم خارجية تتخللها العراقيل والأبواب ، وبسلالم محفورة فى الصخر وقد بنيت الجدران بالصخور الضـــخمة وكان يبلغ سمك الجدران ستة أمتار وبها سراديب كما هو الحال فى قصر تيرنـــيس ، وهـــذه التحصينات للقصور الموكينية كانت عكس القصور المينوية غير المحصـــنة ، كما أن خطتها مخالفة لخطة القصور المينوية . وكانت القلعة تضم إلى جانب القصر بيوت الأتباع والمقربين من الملك مثل القادة العسكريين وكبار رجالات القصـــر . وكانـــت القصـــور الحصينة تلعب دوراً دفاعياً فهى تحمى الثروات الملكية المكدسة من حلى ومجوهرات وكؤوس وركائز وسبائك معدنية وقدور معدنية وأسلحة ومخـــازن مكـــتظة بمواد الاعاشة من حبوب وزيوت ونبيذ معتق ، وجدير بالقول أن هـــذه الثروات كانت تمثل الغنى والثراء وكمظهر ملكى صرف ، فكانت مادة للتجارة تـــتعدى حـــدود المملكـــة ومـــادة للهبات والهبات المقابلة وتؤدى إلى عقد تحالفات

وزيجات سياسية ، وتنشئ واجبات الخدمة وتكافئ الاتباع وتقيم روابط الضيافة بين أبعـد البلدان والممالك ، وهى كذلك موضوع للتنافس والنزاع فكما يتم تلقيها كهدايا يـتم اكتسـابها بواسطة السلاح فكانت تجرد الحملات الحربية وتدمر المدن بسببها وتسـتمر أيضاً حيازتها بعد الممات فتودع بجانب الجثث كملكية فردية تتبع صاحبها فى قبره . وقد اتخذ ملوك هذه الفترة من هذه القصور مكاناً لسكناهم ومقراً لحكمهم وإداراتهم لتسيير وإدارة شئون ممالكهم.

سادسـاً : ان كـثرة القصور والقلاع الحصينة يكشف عن قيام ممالك قوية كل منها مستقل عن الآخر ، وكان البعض منها يصارع وينافس الآخر ، وتكشف لنا اللقى والمخلفات الأثـرية أن أمـراء وملوك هذا العصر كانوا يهوون الحرب ويخوضون غمارها فى ظـروف كثـيرة ويدفنون مع أسلحتهم وسيوفهم وخناجرهم وحرابهم كما أتاحت لنا رسـومهم الجدارية معـرفة دروعهـم وثـروتهم أيضاً ، وكانوا فى فترات السلم والاسـترخاء يمارسـون عادة القنص ويعتمدون على النهب والسلب كمصدر لجمع ثرواتهم .

سـابعاً : تصورالاشـعار الهومرية لنا أحوال الملوك العظام وأتباعهم وبطانتهم فى بعض الممـالك مـثل موكيـناى وأميكلاى وبيلوس وأرجوس ... الخ ، فنجدها ترسم لهم صورة كطبقة متميزة مستأثرة بالامتيازات ، و كطبقة وراثية يعتز أفرادها بمكانتهم ويـتفاخرون بالأنساب . ويعيشون على الثروة الموروثة وقد يدينون بولاء متين أو ولاء لملـك أقـوى وأعظـم سـطوة مـنهم ، ويلتزمون بقواعد الشرف ويوصفون بالشـجاعة الشخصية والنبالة فى المقام الأول فكان عليهم أن يكونوا سباقين لصنع الجميل ومساعدة المحتاجين بمروءة وبشهامة والمبادرة إلى حمل السلاح فى ساعة الخطر دون تردد وتقدم صفوف المقاتلين بشجاعة .

ولديـنا رواية قوية عن ولاء المدن لموكيناى على الأقل فى زمن الحرب الطروادية ، إذ كـان منيلاوس ملك اسبرطة حليفاً لأخيه أجاممنون ملك موكيناى وكذلك كان نستور ملك بـيلوس ، بالرغم من انتسابه إلى أسرة أخرى ، حليفاً لموكيناى عن طيب خاطر ، وبالمثل

كـــان موقـــف بقية الأمراء والملوك فى عصر البطولة نحو أجاممنون، ولكننا لا نعرف مدى احتفاظ هؤلاء الحكام بالاستقلال وبالعلاقات الودية فيما بينهم زمن السلم ، كما أنه ليس من المحـــتمل أن موكيناى كانت تمارس أى سلطة مركزية محكمة على الأصقاع النائية حتى فى البلوبونيز ذاتها حيث أن المواصلات لم تكن داخل بلاد اليونان سهلة ميسورة .

ثامناً : تكشف لنا الألواح المكتوبة عن بعض المعلومات عن إدارة شئون تلك الممالك وأداة الحكـــم فيها ويأتى فى المقام الأول الملك الذى كان يأتى على رأس التنظيم السياسى والاجتماعى ، وكان يحمل لقب (wanax) ، وكان له سلطة فردية مطلقة فى المجالات العســكرية و الدينية و الاقتصادية ، فالقصر هو الذى ينظم طلبات الأسلحة وتجهيز العـــربات وتجنيد الرجال وتعيين الضباط والتشكيلات وحركة القوات ، وهو المسئول عـــن الحـــياة الدينية فهو بمثابة الكاهن الأعظم ، فكان عليه أن ينظم ويشرف على إقامـــة الشـــعائر والطقـــوس والاحتفالات فى الأعياد المقامة للآلهة ويحدد الأضاحى والقرابين بمختلف أنواعها ويحدد معدل التقدمات المطلوبة من كل فرد حسب مركزه ويعاونه فى هذه المهام جماعة مكونة من عدد كبير من الكهان والكاهنات. وقد بقيت ذكـــرى السلطة الدينية للملك إذ كان مقدساً وساحراً وسيد الأزمان وموزع الخصوبة فـــى إطـــار دولـــة المدينة فى العصور التالية ، كما أن الاسطورة الكريتية الخاصة بمينـــوس والذى كان يخضع كل تسع سنوات فى كهف ايدا للامتحان الذى ينبغى أن يجـــدد ســـلطته الملكـــية عبر اتصال مباشر بالاله زيوس ويمكننا ربطها ومقارنتها بالمحاكمـــة الـــتى كان يتعرض لها الملوك الاسبرطيون كل تسع سنوات من توليهم لسلطتهم فقد كان الاسبرطيـــون يتفحصون السماء فى جوف الليل ليقرأوا فيها ما إذا كـــان الملكان لم يرتكبا إثماً ينزع عنهما صفة ممارسة الوظيفة الملكية . وكان الملك أيضاً فى ظل نظام الاقتصاد القصرى يركز كل مظاهر السلطة والسلطان فى يديه فكان يراقب وينظم جميع قطاعات الحياة الاقتصادية وكل مجالات النشاط الاجتماعى . وكان يعاونـــه حكومة بيروقراطية مركزية وجهاز إداري في إدارة شئون البلاد ويأتى على رأس هذه الحكومة بعد الملك فى المرتبة قائد الشعب اللاواجيتاس (la – wa – je –

tas) وهو قائد "الشعب المسلح أو مجموعة من المحاربين " (Laos) ورفاق السلاح (equeta) وأغلــب الظــن أن مهمته هى حماية الشعب والمملكة من خطر الغزاة ، وكـــان له حاشـــية وإقطـــاع (temenos) وكـــان هناك كبار رجالات الدولة والقصر ويشكلون حاشية للملك ، وكانوا قادة للوحدات العسكرية (okha) أو ضباطاً يؤمنون الاتصال بين البلاط والقـــادة المحليين ، وكان هناك الجنود (te – re – ta) أصحاب الاقـــطاعات . وكان يعاون الملك فى تنظيم شئون اقتصاده القصرى جيش من الكتبة وكـــبار الموظفين والمشرفين والمفتشين وكان الكتبة الكريتيون الذين نقلوا معارفهم وتجـــاربهم إلـــى القصـــور الملكـــية الموكينية التى خدموا فيـــها ، مثل استخدامهم للســـجلات ونقلهم للأساليب والطرق الادارية المينوية إلى بلاد اليونـــان ، وقد مكن هـــذا النظام المقتبس من الاشراف الدقيق من قبل الدولة على اقليم واسع ، وتكشف لـــنا الوثـــائق أن هؤلاء الكتبة كانوا ينظمون سجلات الحسابات الخاصة بالحيوانات والمـــزروعات و الاقطاعـــات ومخـــتلف المهن والحرف مع تقديم الحصص الواجب تقديمهـــا من مواد أولية و الطلبيات من المنتجات المصنعة والأيدى العاملة والأرقاء من الرجال والنساء والأولاد ، ويدونون أيضاً فى سجلات كل القروض المحصلة من الأفـــراد والجماعـــات ، وتسجيل قوائم بالأفراد الذين ستقدمهم قراهم لتجهيز السفن الملكـــية بالمجدافيـــن ، وتشـــكيل الوحـــدات العسكرية وقيادتها وحركتها وسجلات بالتقدمات للآلهة . كما نجدهم يقومون بمسح الأرض ، وإحصاء كل شىء ، وتوزيع الأجور النوعية ، وإصدار الأوامر لمرءوسيهم . وتكشف لنا وثائق بيلوس عن وجود جيش من الأواديين الذين كانوا يرفعون تقارير دورية إلى رؤسائهم ، وتقديم البيانات والاحصاءات إلى سكرتير مقيم فى القصر يتولى قيدها فى السجلات .

هـــذا عـــن القصـــر وأجهزته الادارية أما عن الريف وإدارة شئونه فتطالعنا الألواح بجهاز ادارى خاص بالقرى يأتى على رأسه رئيس القرية ولقبه "pa – si – re – u" وهذه الكلمة يقابلها (Basileus) الهومرية وتعنى ملك فى قصر وهو بمثابة سيد تمتد سلطته على منطقة ريفية وهو من أتباع الملك ومسئول أمامه من الناحية الادارية ، إذ كان عليه مراقبة

توزيع حصص البرونز المخصصة للحدادين الذين يعملون لصالح القصر فى منطقته ، وكان يساهم هو وأثرياء منطقته فى هذه الفروض من المعادن وفقاً لحصص محددة .

ويعاون رئيس القرية موظف آخر يحمل لقب "ko - re - te" ، وهو بمثابة النقيب ، وربمـــا مارس هذا الموظف سلطات ومسئوليات عسكرية مثل اللاولجيتاس ، إذ يرينا لوح مـــن بيلوس أن أحد "الكورتى" كان قائداً لكتيبة ، بينما فى لوح آخر نجده يتم وصفه بلفظة "mo - ro - pa" (وتعـــنى مالك الإقطاع) ، ويعاون رئيس القرية أيضاً مجلس الشيوخ " ke - ro - si - ja" (Gerousia) ، وكـــان مكونـــاً من أرباب الأسر الشريفة ، بينما بقية الشـــعب (Damas) كـــانوا مشاهدين ومستمعين فقط ليس لهم حق الحديث ولا يعبرون عن آرائهم ومشاعرهم سوى بضوضاء مؤيدة أو مستنكرة .

تاسعاً : تكشف لنا الوثائق والآثار عن بعض المعلومات عن المجتمع وطبقاته ، وان كنا لا نعـــرف شـــيئاً عن العلاقة بين السكان الأصليين الذين لا يعقل أن يكون المهاجرون والمســـتوطنون الهندواوربيون قد قضوا عليهم ، ويرى البعض أنهم قد استغلوا من قـــبل هؤلاء المهاجرين فى زراعة الأرض وكانوا مربوطين بها ، ولعل الفئات العليا مـــنهم قـــد امتزجت بالمهاجرين . وتمدنا الوثائق بمعلومات منها: (١) أن جانباً من السكان كان يقيم فى المدن أو القلاع وهم حاشية الملك ورفاقه وجهاز إدارته وأقاربه والكهان والكاهنات . (٢) أن جانباً آخر من السكان كان يعيش فى تجمعات ريفية أو محلات ويقيمون بالقرب من القلعة ويلجأون إليها عند الشعور بالخطر وطلباً للأمان . وكـــان الســـكان ينقسمون إلى قسمين الأحرار منهم والعبيد ، أما عن الأحرار فكانوا ينقسمون إلى طبقات والطبقات إلى طوائف حرفية ولكل طائفة اسم يميزها عن غيرها ولكـــل مـــنها نصـــيب معين من القوت يوزع عليها بدقة ، ولكل منها تخصص دقيق معـــروف فـــى العمـــل ومـــن هـــؤلاء الحرفيين صناع السفن والفاخورية والغزالين والنســـاجين والقصـــارين وصـــناع العطور وصائغى الذهب والبرنز . ومن المهنيين الأطباء أو الحجاب ، أما عن العبيد فقد كانوا مملوكين للأفراد والجانب الأكبر مملوكاً للإله أو الآلهة .

وكان النظام السائد فى موكيناى نظاماً اقطاعياً إذ كان يسود فيه طبقة من الاقطاعيين الذيــن كــان لكــل منهم جيش خاص يرفد جيش الملك عند الحاجة ويؤدى بعض الواجبات الضرورية للصالح العام .

وتكشف لنا رسوم الافرسك أو الرسوم الجدارية عن أن النساء فى المجتمع الموكينى قــد ظهرن فى ملابسهن الأنيقة وترتيب شعرهن وحليهن مثلما كانت تظهر المرأة الكريتية وفــى أحــد الرســوم مــن موكيــناى نجد بعض النساء يتبخترن فى المسرح عند مقدمة مقصــورتهن ولكنهــن علــى ما يبدو قد أهملن التمارين الرياضية وأثر هذا على قوامهن وحرية سلوكهن الخارجى .

عاشــراً : تقــدم لــنا الوثائق والآثار بعض المعلومات عن أماكن العبادة وأدوات الشعائر والطقوس وصور الآلهة المصورة على الأختام أو رسوم الافرسك أو على الفخار أو شــواهد القــبور . كمــا تقــدم لــنا الرقم المكتوبة أسماء آلهتهم ومنها بعض آلهة الاوليمبوس مقرونة بالقرابين المقدمة إليهم ، وإن كانت لا تتضمن أى نصوص دينية أو فى سجلات معابد . ونستخلص من مصادرنا الوثائقية المعلومات الآتية:

١- هناك تشابه بين الديانة الموكينية والديانة الكريتية فمناظر الشعائر وأدوات العبادة تكاد تكــون واحــدة ، ومن مظاهر الوحدة والتماثل بينهما أن الاله الأكبر فى كلتيهما أنثى ، ويــأتى بعدهــا ذكر أقل منها مرتبة ، وكان يُذكر كشقيق لها حيناً ويُذكر كزوج لها حيناً آخر .

٢- اعــتقد أهــل كل من كريت وموكيناى فى عبادة الأشجار والتنسك للأعمدة وأن الآلهة تتجسد وتحل فيها كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن الديانة المينوية .

٣- كانــت الديانة الموكينية والكريتية تقدس قوى الطبيعة ، وتحتوى على أفكار نابعة من البيــئة الزراعية ، فقد اعتاد الكريتيون والموكينيون الاحتفال وإقامة الطقوس والشعائر بمناســبة وفــاة الاله الزوج فى ريعان شبابه مقدماً نفسه قرباناً من أجل رفاهية شعبه

الـــذى من أجله جاء ، وبمناسبة زواجه المقدس بعد بعثه من الالهة الأم حيث يتم اللقاء ويجتمع الشمل وكانت شعائر الموت والزواج التمثيلية من أهم ملامح الديانتين .

٤- كانـــت الالهـــة الأم عـــند الكريتيـــن إلهـــة شاملة وجامعة لكل الخصائص بينما وزع الموكينـــيون هذه الخصائص على آلهة أخرى كثيرة ومن هذه الآلهة ديمتر (ربة الزرع والحرث) التى ورثت عنها أسرار ضاحية اليوسس فى أثينا وورثت عنها ارتيميس (ربة الصيد والحيوان) ظهورها فى رفقة الحيوانات المفترسة وكربة للبرارى ، وورثت عنها أثيـــنا (حامـــية الـــدار) الثعـــبان واليمامة والدرع الذى كانت تحمى به القلعة والأبطال الصناديد .

٥- تكشـــف لـــنا الرُقم المكتوبة عن بعض أسماء الآلهة و من هذه الآلهة : زيوس وهيرا وأثيـــنا وارتيمـــيس وأبوللون وبوسيدون واريس (انواليوس Enualios) . ويتردد فى الرقم ذكر إلهة كبيرة الشأن ، ولكنها لا تذكر بالاسم بل بلقب (po - te - ni – ja) بمعنى السيدة هذا فضلاً عن آلهة وإلهات صغيرات قليلات الشأن . وتمدنا اللقى الأثرية والآثار أيضاً ببعض المعلومات عن عبادة آلهة أخرى ، مثل سيدة الحيوانات وربة الثعبان وربة البركة وربة الشجرة وربة الحرب .

٦- كانـــت أماكـــن العبادة عند الموكينيين والمينويين عبارة عن محاريب صغيرة تقدم فيها القرابين والتى ستتحول فيما بعد إلى معابد وهذا ما أظهرته التنقيبات الأثرية .

٧- أولـــى الموكينـــيون عبادة الأموات اهتماماً كبيراً لاسيما ما يتعلق منها بأموات عائلات الأمـــراء والملوك ، وأدى هذا إلى تطور فى المدافن ، وكان الميت في نظرهم يستمر فى الحياة بعد الممات ، و يرى البعض أن الملوك رفعوا إلى مصاف الآلهة اما أثناء حياتهم أو بعـــد ممـــاتهم ، وان كان البعض يرى أنه لم يكن لديهم فكرة عن الحياة الآخرة بعد المـــوت . وقد وجدت أضاحى و تقديمات من الحيوانات من الكلاب والخيول والانعام كما كشـــف الآثاريون أيضاً عن تقديم أضاحي بشرية في أنحاء متفرقة من بلاد اليونان فى

موكيـــناى وبروســـيمنا وأرجوس ودندرا وكازارلما وتساليا وأثينا ومسينيا والبارتوس ولينكاوا واسبرطة وارخومينوس .

٨- كشــف الآثــاريون لنا عنّ أكداس من المتعلقات الشخصية التى كانت تودع مع الموتى ولعــل هذا يؤكد اعتقادهم فى حياة أخرى . وهذه المعتقدات السالفة الذكر قد صورها لنا الشاعر هوميروس فى الالياذة والأوديسة خير تصوير وسنعرض لها فيما بعد .

حــادى عشر : تقدم لنا الآثار والرُقم المكتوبة معلومات كثيرة إلى حد ما بشأن أوجه الحياة الاقتصادية وهى :

١- الــزراعة ونظــام ملكــية الأرض : تكشــف لنا الرقم المكتوبة أن نظام ملكية الأرض الزراعــية كان معقداً للغاية إذ تقدم بعض المصطلحات الخاصة بالأرض والتى هى محل نقــاش وجــدل بيــن الدارسين ومنها (أ) "ko - to - no - o – ko" ، (ب) "kama" (حـــ) "wo – wo" ، (د) "on a – to" والأخــيرة تعــنى الايجــار . وتقدم لنا أيضاً مصــطلحات قــد أمكــن للعلماء تعريفها وهى "kitimena" والتى يحسبون أنها تعنى الأرض الخاصة والتــى يمتــلكها الأفراد . ويتـــرجم العلماء مصطلح "kikemena" بالأرض العامة . أما عن الأرض الخاصة فقد نشأت من الاقطاعات الممنوحة والتى كان يــتم امــتلاكها ملكية رقبة وحيازة فى نفس الوقت وكان يقابل تملكها وحيازتها خدمات يقدمهـــا المقطع ونظيرها يحصل على الاقطاع "ko-to- na" وتقدم لنا الرقم المكتوبة بعض المعلومات عن الأرض الخاصة إذ نجدها مقسمة إلى اقطاعات ، و يأتي على رأس هــذه الاقطاعــات : ١-إقطــاع الملك "temenos" وهو مكون من الاراضى الزراعية وأراضـــى الحدائـــق ٢- اقطاعــات الآلهة ٣- اقطاعات كبار رجال الدولة والجنود . وكانـــت تمنح لهم نظير خدماتهم الاستثنائية وانجازاتهم الحربية . وكانت هذه الأراضى تمنح للمقطع مع مزارعيها وكان يمكن لأصحابها تأجيرها لآخرين والانتفاع بما يحصلوا من ايجار لسد حاجاتهم الشخصية .

وتكشف لنا الرُقم المكتوبة أيضاً بعض المعلومات الخاصة بالأرض العامة أو الأرض المملوكة للشعب " damus " وأطلق عليها فى السجلات أيضاً لفظة "kl- tl- one- na- ko- to- na" وهذه الأراضى كانت مملوكة ملكية عامة للجماعات القروية وكانت تزرع وفقاً لنظام الحقول المفتوحة والتى ربما كان يجرى توزيعها دورياً وتنظم أعمالها الزراعية وأنشطتها الرعوية .

وقد كشفت لنا الحفائر الأثرية عن أن الموكينيين قد بذلوا جهوداً كبيرة من أجل تنمية الموارد الطبيعية فى بلاد اليونان ، ومن بينها حفر الآبار وإنشاء نظام للرى فى سهل أرجوس حيث وجدت قنوات تصريف مياه وتجفيف بحيرة كوبائيس وقد استصلحوا واستزرعوا أرضها المجففة .

وقد شكلت الزراعة الحرفة الأساسية لشعوب الممالك فى بلاد اليونان إذ عمل بها جل السكان ، وتقدم لنا الرقم المكتوبة سجلات سُجل بها المحاصيل وأنواعها ونصيب القصور والآلهة منها وأهم المحاصيل القمح والشعير والأعناب والزيتون .

٢- الرعى : اشتغل نفر من سكان ممالك هذا العصر برعى الثيران والأبقار والأغنام والماعز والخنازير وكان الثور يستخدم كوحدة التعامل الذى يقوم على نظام المقايضة. وكان الرعاة يرعون فى الأراضى العامة التى لا تزرع .

٣- الصناعة : اشتغل نفر آخر من السكان فى الحرف والصناعات المختلفة من صناعة الأوانى الفخارية والحجرية والمعدنية البرونزية والذهبية وصناعة الغزل والنسيج والتقصير وخاصة صناعة الملابس الصوفية وعصر الزيوت وعصر النبيذ . وصياغة وسبك المعادن من حلى وسيوف وخناجر ورؤوس الحراب والدروع من الذهب والفضة والبرونز ، وصناعة العطور والدهون والمستحضرات الطبية وبناء السفن .

٤- التجارة : تكشف لنا مصادرنا الوثائقية عن اهتمام الممالك المختلفة بإنشاء وبناء شبكات الطرق التى تربط بين ممالكهم وبعضها البعض وبين المدن الكبرى وبين

المراكـــز التجارية والثقافية التابعة فى المملكة الواحدة . وكان الغرض من بناء وتعبيد الطـــرق هـــو تســـهيل حركة التجارة وتسيير الجيوش الحربية . وكشفت لنا التنقيبات الأثـــرية عن بعض هذه الطرق وأشهرها الطريق الواصل بين بلدة برنسيمنا حيث يوجد معـــبد الـــربة هيرا وبين موكيناى وكورينثة ، وقد أقام الموكينيون قلاعاً للحراسة على جانـــبى الطـــريق الرئيسية ضماناً لسلامة القوافل التجارية والمسافرين ومن أشهر هذه القـــلاع قلعة جبل الياس المطل على موكيناى هذا فيما يخص التجارة الداخلية البرية ، أما عن التجارة البحرية فقد اهتمت الممالك المختلفة بإنشاء الموانئ البحرية ومارسوا الابحـــار والملاحـــة والقرصنة . ونجح الموكينيون فى السيطرة على البحر بعد انحسار الســـيادة والهيمـــنة الكريتـــية ، فحلت الأسفار والرحلات التجارية محل الغزو والسلب والقرصنة ، ونجحوا فى الوصول إلى أماكن بعيدة وأقاموا معها علاقات تجارية ناجحة. وجابـــت السفن الموكينية البحار البعيدة والقريبة فنقلت السلع الموكينية من مصنوعات معدنـــية وآنية فخارية إلى صقلية وجنوب إيطاليا وجزر ليبارى وأغلب الظن أن السفن الموكينية كانت قد وصلت إلى شواطئ شبه جزيرة ايبريا، وقد أمكن التعرف على بعض شذرات الفخار والآثار الموكينية فى شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوربا . ووصـــلت ســـفنهم أيضـــاً إلى سواحل آسيا الصغرى وفينيقيا وأوجاريت والمنيا على ســـواحل بـــلاد الشـــام حيث وجدت لقى أثرية موكينية فى هذه المناطق وخاصة الآنية الفخاريـــة حيـــث أن الصادرات الموكينية من زيوت ونبيذ كانت توضع فى جرار ، وقد عثر على شذرات من هذه الجرار فى فينيقيا وفلسطين ومصر ، ويرجح أنهم قد صدروا الصوف والمنسوجات والمصنوعات النحاسية ، كما كانت هناك تجارة العبيد ، ولتأمين الـــتجارة والتجار أقام الموكينيون عدداً من المحطات التجارية لتوزيع الصادرات وشحن الواردات ، وقد أمكن التعرف على بعض هذه المحطات فى ميلتوس ورودس وقبرص و أوجاريـــت . والـــتى كانت قد نجحت فى تقليد الأوانى الموكينية بشكل متقن . وإذا كان الانـــتاج الصـــناعى الموكيـــنى قـــد انتشر على نطاق واسع وبلغ أبعد الأصقاع ، فإن الموكينيـــن قـــد استوردوا النحاس من اتروريا وجزيرة سردينيا ، والتوابل والعاج من بلدان الشرق الأوسط ، كما استوردوا الأوانى المرمرية المصرية .

وتكشف لنا ألواح كنوسوس المكتوبة بالمجموعة الخطية الثانية من هذا العصر عن عدد من أسماء الشعوب الشرقية ومن بينها مصرى (Misiraya) ومرادفها (Ackapitayo) وقبرص (Arasiya) وأرادى (Aradayo) وبيرتى (Perita) وصورى (Tariyo) وفينيقى (po - ni - koi) (po - ni - ki - ya) وتعرف علماء اللغة على عدد كبير من أسماء ذات الأصول السامية خاصة اسماء التوابل .

جملة القول أن الموكينيين قد بلغوا اوج مجدهم وقوتهم فى العصر الهيلادى الحديث وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق بل انطلقوا شرقاً نحو آسيا الصغرى بل سيطروا على كريت نفسها . وهذا بفضل قوتهم العسكرة وميلهم وحبهم للقتال والنزال و شخصيتهم العدوانية وهذا ما تظهره وتؤكده :

١- اللقى الأثرية بالمقابر من أسلحة من دروع وسيوف وحراب ونبال وسهام وخناجر مطعمة بالعاج والذهب .

٢- الرسوم الجدارية بالقصور والرسومات على الآنية التى تبرز وتسجل جانباً من معارك حامية الوطيس .

٣- ترينا الرُقم المكتوبة أهمية الجيش والأسطول واستخدام العربات الحربية والارستقراطية العسكرية فى المجتمع الموكينى .

٤- تكشف الأشعار الهومرية عن الروح القتالية والنزعة العدوانية للآخيين وهذا ما سنوضحه فى الحديث عن حرب طروادة .

جـ - حرب طروادة وعصر الأبطال

طروادة :

يطلــق هومــيروس عليها عدة تسميات هى إليوس واليون وطروية (Traie) ، وبعد عصــر هوميروس اشتهرت المدينة ومنطقتها باسم طرواس (Traos) ، وأسماها الرومان طرويا ، ومن اللفظة طرواس اقتبس الجزع (Troad) ، ومنه الاسم العربى الشائع طروادة.

تقع طروادة فى إقليم ميسيا (Mysia) شمال غرب آسيا الصغرى ، ويحدها غرباً البحر الايجــى وشرقاً جبل ايدا وشمالاً غرب مضيق الهلليسبونت وجنوباً خليج أدراميثيوم . وتقع المدينة على بعد حوالى أربعة أميال من البحر .

وقــد أجريــت عــدة تنقيبات أثرية للكشف عن طروادة ، وكان الرائد في هذا المجال الالمــانى هيــنرش شــليمان وحقق نتائج رائعة فى الكشف عن المدينة وإثبات أن طروادة حقيقية لا خيال كما كان يزعم البعض ، بيد أن كشفه آثار العديد من القضايا حول تحديد أى المــدن التسع ، التى نشأت في الموقع ، هي التي شهدت الحرب ، فقد نشأ فى الموقع تسع طــروادات يعلــو بعضها بعضاً ، وكشفت التنقيبات أنها كانت مطمورة واحدة تحت الأخرى وأقدمهــا هى الأولى ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرونز ، وقد ظن شليمان أن طروادة الثانية التى تعلو الأولى والتى يعود تاريخها إلى حوالى ٢٥٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م هي طروادة التــي أتــى وصــفها فى الالياذة ، لكن العالم الالمانى والآثاري درُبفلد (W. Doerpfeld) ومســاعد شــليمان فى حفائره قد نجح فى اثبات أن طروادة الثانية ليست هى التى شهدت الحــرب وإنمــا طروادة السادسة (١٨٠٠ - ١٣٠٠ق.م) وأورد أدلة وبراهين كثيرة على رأيه، بيد أن العالم كارل بلجن قد نجح فى الوصول إلى أن طروادة السابعة هى طروادة التى شهدت الحرب والتى حاصرها الآخيون لمدة تسع سنوات ثم نهبوها بعد سقوطها فى السنة العاشرة واضرموا فيها النيران .

ويخــتلف الباحثون أيضاً حول بداية ونهاية تواريخ المدن التسع ويمتد تاريخ طروادة الأولى ما بين ٢٩٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م ، تقريباً وطروادة الثانية ما بين ٢٤٠٠ - ٢٢٠٠ق.م تقريــباً ... الــخ ، وقد قامت حضارة طروادة الأولى والثانية على أكتاف الآسيويين الذين

تأثـــروا بحضـــارة بلاد الرافدين ، وقد نمت وتطورت كل من طروادة الأولى والثانية وذلك لســيطرتها علـــى الطـــريق الـــبحرى المار بالدردنيل والطرق التجارية التى تربط بين بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، وبسبب قربها من مناجم الفضة ، فقد نشطت تجارتها فى المعادن النفيسة والأحجار الكريمة ، ولكن يبدو أن طروادة الثانية قد سقطت لمجئ الفوج الأول من الهجرات الهندأوربية والمعروفة باسم اللوفيين أو اللوبيين الذين جاءوا من مناطق الاستبس المـــتاخمة لبحر قزوين والبحر الأسود واقتحموا آسيا الصغرى واستقروا فى ليكيا وبامفيليا وكيليكـــيا حوالى عام ٢٢٠٠ ق.م وهم الذين بنوا طروادة الثالثة ، و توالت موجات الهجرة من العناصر الهندأوربية إلى المنطقة ، ومن هذه الهجرات هجرة عناصر جلبت معها الخيول ، وأسســت طـــروادة السادسة التى كانت قلعة حصينة ذات أسوار متينة ضخمة ، وتمتعت بقـــدر كبـــير من السيطرة والثراء ، وأحرزت تقدماً مطرداً وعلى الأخص فى فن العمارة ، وأقامـــت علاقـــات قوية مع بلاد اليونان وجزر البحر الايجى ، وأقاموا علاقات تجارية مع الموكينيـــن ، فاســـتوردوا الأوانى الفخارية من كؤوس وجرار وخناجر برونزية ... الخ . وكانت حضارتها تشابه حضارة الموكينيين ، ولعل السبب فى ذلك أن المهاجرين إلى كل من مـــنطقة طـــروادة وبلاد اليونان ينتمون إلى أصل واحد ، وقد تعرضت المدينة للدمار بسبب الـــزلازل ، وسرعان ما نشأت طروادة السابعة فى نفس الموقع وان كانت أقل حجماً وثراء مـــن سابقتها ، وكانت على صلات قوية باليونان ووفقاً للأخبار المتواترة فى الالياذة ، فقد كانـــت تتشـــابه فى حضارتها المادية وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ولغتها مع بلاد اليونان الآخية ، كما تتشابه معها أيضاً من حيث أنها كانت مزيجاً من عناصر يونانية وأجنبية ، فقد ظهرت فى ألواح بيلوس أسماء طروادية مثل هكتور وأنتينور ، كما أن الالهة الرئيسية فى المديـــنة وربتها الحارسة هى أثينا كما هو الحال فى مدينة أثينا . وإذا كانت هناك اختلافات بينهما فلعل سببها أن طروادة كانت محاطة بشعوب آسيوية وتأثرت بها .

وقد أطلق هوميروس على الطرواديين اسم الدردنوى (Dardenoi) و ورد ذكرهم فى الوثـــائق المصـــرية كحلفـــاء للحيثيين بنفس الاسم " دردنوى " ، ويطلق عليهم هيرودوت "تومـــريان" ، ويســـمون أيضـــاً بالتيوكريين نسبة لأقدم ملوكهم تيوكروس (eukros) الذى تزوجـــت ابنـــته مـــن درداتـــوس الذى ارتقى العرش بعد تيوكروس وأسس مدينة درداتيا

(Dardania) ، وسـميت منطقة طروادة نسبة إليه ، وخلفه ابنه اليوس الذى أسس مدينة الـيوس أو اليون التى صارت أعظم مدينة فى المنطقة ، وخلفه لاؤميدون الذى شيد أسوار طـروادة الضـخمة ، وأنجب ابنة هى هيسيونى وابنا هو برياموس الذى خلفه على عرش طـروادة والذى قامت الحرب الشهيرة فى أواخر سنى حكمه ، وكان هذا الملك يحكم شعبه بطريقة عشائرية ، فكان لديه عدد كبير من الزوجات اقترن بهن لزيادة النسل وتقوية رابطة العصـبية ، أمـا أولاده فكـان كـل واحد منهم يقتصر على امرأة واحدة ويعيش بعيداً عن الملـذات والملاهـى عدا باريس الذى لم يتمسك بقواعد الاخلاق . وكان الطرواديون ألطف معشـراً وأكثر نبلاً وأقرب إلى الفضيلة من اليونانيين الذين أغاروا عليهم فى حرب طروادة الطويلـة ، فمـا هـى قصة هذه الحرب وما هى الدوافع الحقيقية لها ؟ هل نشبت لأسباب أخلاقية أم عرقية أم تحت تأثير عومل أخرى ؟

مرجعـنا الأول فـي هذه الحرب هو أشعار هوميروس إذ تحدثنا أن حرباً نشبت بين الآخيـين وبين مدينة طروادة من أجل سبب أخلاقى ، ذلك أن أميراً طروادياً هو باريس نزل ضـيفاً على منيلاوس ملك اسبرطة ، وهناك وقع نظر الأمير الطروادى على هيلينى زوجة الملـك وأجمـل نساء الأرض فى زمانه . فهام بها حباً وصمم على أن يستأثر بها لنفسه ، وهامت هى الأخرى به حباً وفرا هاربين إلى طروادة ، منتهزين غياب الملك مينلاوس ولما علـم هـذا الملـك المطعون فى شرفه بهذه الفعلة النكراء استشاط غضباً واستصرخ ملوك الآخيـين للانـتقام بالغـادر وأهله والرحيل لطروادة لتدميرها ، وتكون حلف عسكرى من الملـوك والأمراء الآخيين لنصرة منيلاوس ولاسترداد زوجته الجميلة بقيادة أجاممنون ملك موكيـناى الـذى قـاد حملـة عسكرية ضد طروادة والتى تم محاصرتها لمدة تسع سنوات ودمـرت فـى السـنة العاشرة من الحصار . ولكن يبدو أن السبب الذى ساقه هوميروس للحـرب كـان سبباً واهياً لنشوبها وهو خطف امرأة ، حقاً أن حرباً قد تقع بسبب اختطاف امرأة جميلة ليست أمراً مستبعد الحدوث ، ولكن هذا السبب العاطفى يبدو أقرب إلى حكايات التسرية خاصة إذا ساق لنا الشاعر هذا السبب مقترناً بحديث أسطورى عن خلاف وقع بين الاهـات يونانية ثلاث حول تفاحة ذهبية وأقحم فيه باريس ليفصل بينهن وانتهى بأن الالهة أفروديتى هى التى حظيت بها مقابل وعد قطعته على نفسها لباريس بأن تمنحه أجمل نساء

الأرض . كمـــا أن هـــذا الســـبب قـــد شكك فيه هيردوت ويقول هل من المعقول أن يحارب الطرواديون مدة عشر سنوات فى سبيل امرأة ؟ ويعلل يوريبيديس حرب طروادة بأنها نتيجة لتضـــخم وتكاثر السكان فى بلاد اليونان وحاجتهم إلى التوسع . ويرى العلماء المحدثون أن هـــناك تأثـــيراً لملحمـــة جلجامش على الالياذة حيث يوجد فيها عناصر قصصية واردة فى الالياذة ومنها اختطاف المرأة التى تثير ثائرة المدينة ويحرك رغبتها فى الانتقام ومعنى هذا أن الســـبب العاطفى والاخلاقى غير مقبول من الناحية المنطقية . وإذا كنا لا نقبل أن نعتبر حـــادث اخـــتطاف هيليـــنا ســـبباً لوقوع حرب طروادة ، فعلينا أن نبحث عن أسباب أخرى لوقوعها فى مصادر أخرى غير الاشعار الهوميرية مثل الألواح الحيثية التى تم العثور عليها فـــى بلـــدة بوغاز كوى فى آسيا الصغرى ، ومن الافتراضات العلمية التى تقدمها الدراسات الاثرية واللغوية وبعض الأساطير والمشاهدات في الظروف الجغرافية لشمال بحر ايجة .

نســـتخلص مـــن الوثائق الحيثية أن الآخيين قد زادت قوتهم وسطوتهم فى منتصف القـــرن الثالث عشر و بدأوا يعتدون على أملاك الامبراطورية الحيثية فى المنطقة الساحلية لآسيا الصغرى ومنها اعتداءات المغامر آرتاريسياس الآخى ومادوراتاس ، كما نجد أن تلك الألـــواح تذكـــر اســـم أخيا فى صورة أهياوا أو أهيا (Ahhiyawa = Ahhia) ، ولاختلف الباحثون حول موقع هذه المملكة فالبعض رأى أنها مملكة أجاممنون فى بلاد اليونان نفسها ، ويرى البعض أن أهيا ليست أخيا وأنها تقع فى آسيا الصغرى فى كليكيا أو طروادة وأنها كانت تمثل جزءاً من الامبراطورية الحيثية . والبعض الآخر يرى أنها تقع فى جزيرة قبرص أو كريـــت ، ويرى البعض أنها جزيرة رودس وكان الآخيون قد أقاموا بها وشيدوا بها قلعة تســـمى قلعـــة آخـــيا ، وأنهـــا سيطرت على جزء من ساحل آسيا الصغرى ، وكان لانهيار الامـــبراطورية الحيثـــية مع خواتيم القرن الثالث عشر أثره فى تشجيع الآخيين في الهجوم على طروادة وتدميرها ، خاصة و أن طروادة مدينة تجارية ذات مصالح تجارية فى المنطقة الايجية ، إذ كان إنتاجها الزراعى يفيض عن احتياجاتها ويتم تصديره كما اشتهرت المدينة بجيادها السريعة وبأصوافها وهذا ما أكدته الحفائر الأثرية، فلابد أن يكون هناك تنافس بين الطرفيـــن ومـــا يجـــره صراع المصالح فى مجال صادرات الأصواف التى كانت تنتجها بلاد

الــيونان . ولعل من الأسباب الحقيقية للحرب هو محاولة السيطرة على المضايق والطريق إلــى الســهول الغنية فى البحر الأسود ، إذ كانت مدينة طروادة تقف حجر عثرة فى سبيل مشــروعات الآخيين التجارية فى منطقة البحر الأسود وبحر مرمرة وسواحل آسيا الصغرى وبعــض الجزر القريبة من تلك السواحل حيث أغلق حكام آسيا الصغرى أمام الآخيين باب الــتجارة فــى منطقتهم ، وخير شاهد على هذا هو أن الفخار الموكينى انتشر فى المناطق الواقعــة جــنوب طــروادة بعد سقوطها، وتدميرها على يد الآخيين . كما أن موقع طروادة الاســتراتيجى جعلهــا تتحكم فى الطريق البرى المار بها حيث أُجبر التجار على أن يسلكوه وذلك لخطورة ومشقة الإبحار حول رأس سجيوم حيث تشتد سرعة التيارات المائية اشتداداً يجعــل الســفن الصغيرة لا تقوى على الاستدارة حول هذا الرأس. ومن ثم فقد كانت تفرغ شــحناتها فــى الخليج الصغير المواجه لجزيرة تنيدوس ثم تنقل الشحنات بطريق البر إلى الخليج الواقع على الجانب الآخر . وكانت طروادة بحكم موقعها يمكنها فرض المكوس على تجارة العبور المارة بأراضيها كما استفادت المدينة من الظروف المناخية ، على ما يبدو ، إذ أن الــرياح كانت تحتجز السفن عند مدخل الدردنيل فتعوق رحلتها أياماً وربما أسابيع ، وفى خلال هذه الفترة كان البحارة يرسون بسفنهم على الساحل الاسيوى ويحتاجون للمئونة ومــياه الشرب و التي كانت تتحكم فيها طروادة ، ولعل هذه الأسباب جميعها أوغرت صدر الآخييــن ضــد طــروادة ودفعتهم دفعاً لحربها وتدميرها ولعل قصة هرقل التى هاجم فيها طــروادة وتخريــبه إياهــا فــى عهد ملكها لايوميدون تعكس مشاعر اليونان تجاه طروادة واعتبارها عقبة كؤود فى سبيل مغامراتهم ومشروعاتهم فى البحار فى منطقة بالغة الحيوية بالنسبة لهم ولابد من السيطرة عليها وإرسال حملة عسكرية لتحقيق هذا الأمر .

وتــبعاً لــتلك الأسباب السالفة الذكر عقد الآخيون العزم على شن الحرب ضد طروادة بقــيادة أجاممنون واستغرقت استعداداتهم للحرب امداً طويلاً يصل إلى عشر سنين وأبحروا مــن ميــناء أولــيس (Aulis) فى وسط البلقان وشرقاً وضربوا حصاراً دام عشر سنين . ويخــتلف الباحثون حول بداية ونهاية الحملة فيذكر ايراتوسثينيس (Eratosthenes) العالم الموســوعى الســكندرى اســتناداً علــى شجرة الانساب التى نقلها عنه المؤرخ اليونانى

هيكاتيوس ، أن الآخيين قد حاصروا المدينة ١١٩٤ - ١١٨٤ق.م ويقول المؤرخ الروماني بليني أن طروادة قد سقطت في عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م) إذ تشير السجلات المصرية من عهد هذا الفرعون إلى أن الجزر كانت في حالة اضطراب وحركة ، وقد يشير هذا إلى حرب طروادة . ويؤرخ بعض الباحثين المحدثين حرب طروادة في ضوء التنقيبات الأثرية والدراسات المقارنة ، إذ يرى كارل بلجين أنها سقطت ١٢٣٠ ق.م ويرى المؤرخ فاين أنها سقطت عام ١٢٠٠ ق.م وإن كان لدينا بعض الآراء غير المقبولة التي تقول أن سقوط طروادة قد حدث في الفترة ما بين ١٣٣٠-١١٣٠ ق.م.

وبعد تدمير طروادة وحرقها لم يستقر الآخيون بها ، وهذا ما تؤكده الروايات اليونانية والتي أكدتها التنقيبات الأثرية ، فقد كشفت لنا الحفريات أنه لمدة جيل بعد تدمير القلعة استمر الأحياء الناجين من الطرواديين في العيش بين خرائبها ، وفي بداية القرن الثاني عشر وفد إليها اناس مجهولون جلبوا معهم فخاراً غير جيد الصنع و اندمجوا مع بقية الطرواديين ، وهاتان الفترتان تعرفان بعصر طروادة السابعة (ب) وبعد علم ١١٠٠ ق.م يبدو أن المكان قد هجر ، ولكن في فترة الاستعمار اليوناني وحركة الهجرة في القرنين الثامن والسابع صارت طروادة الثامنة مستوطنة كبيرة وهذه المدينة هي التي زارها الاسكندر الاكبر عند قيامه بحملته الآسيوية ثم أعاد الرومان بناء المدينة مرة أخرى وهذه هي طروادة التاسعة .

وقد كان لهذه الحرب آثارها على الآخيين أنفسهم إذ كان لغيبة الملوك والأمراء أثرها بالنسبة لممالكهم فقد طمع البعض في اعتلاء كرسي العرش لطول الغياب ، ولعل ما يرويه هوميروس بشأن أوديسيوس خير شاهد على ذلك* وما حدث لأجاممنون بعد عودته.

كما بدأت حضارة الآخيين وممالكهم في التدهور والانحدار نتيجة للاضطرابات الداخلية و الأخطار الخارجية سواء من بلاد اليونان نفسها أو من خارجها ، و للظروف الطبيعية ، و هذا تكشفه التنقيبات و اللقى الأثرية ، وهذا التدهور يمكن تتبعه بسهولة في تدهور الجودة الفنية والتقنية للفخار ، كما كشف لنا الآثاريون أيضاً عن أن هناك نشاطاً

* انظر فيما بعد الحديث عن أحوال الملوك و سلطتهم في ضوء الأشعار الهومرية .

عمرانـــياً كبيراً كان غرضه تقوية حوائط القلاع فى موكيناى وترنيس وأثينا وتأمين وصول إمدادات المياه إلى القلاع ومثل هذه الإجراءات تشير إلى احتياطات ضد غزاة يمكن توقعهم . ولكن من هم هؤلاء الغزاة ؟ وفقاً للروايات اليونانية فإن الدوريين لم يكونوا قد وصلوا إلا بعــد قــرن من الزمان تقريباً ومن الملائم أن نتذكر أن هذه الفترة قد شهدت توافد شعوب الــبحر والشــمال مــن كل الأراضى التى سببت فوضى واضطراباً فى منطقة البحر الإيجى وسوريا ومصر ، إن هذه الفوضى والاضطرابات ربما تكون قد أقنعت حكام بلاد اليونان فى ضــرورة تقويــة دفاعــاتهم . وكــان لهذه الفوضى أيضاً على ما يبدو أثرها على التجارة الموكينـــية (الأخـــية) إذ تدهـــورت ممـــا سبب ضغطاً كبيراً على الممالك الآخية ، وكشفت التنقيبات الأثرية أنه مع مطلع القرن الثانى عشر شهدت بلاد اليونان اضطرابات و قلاقل ، فقــد هجــر العديــد من الأماكن والمواقع مثل المنازل خارج أسوار أثينا كما أنَّ الكثير من القصـــور ومـــنازل موكيـــناى قد احترقت و فى أويلكوس (Iaulcus) فى تساليا وبيلوس وتيرنـــيس واســـبرطة وفـــى وقـــت مـــتأخر إلـــى حد ما دمرت القلعة ، فما هو سبب هذه الاضطرابات وهجر المواقع فى بلاد اليونان ؟ إن الاجابة ما تزال غامضة . فمن المرجح أن العداء بين الممالك والصراع بينها ومحاولة كل مملكة أن تسلب وتنهب الممالك الأخرى مثل الحرب بين أرجوس وطيبة قد يكون سبب الكارثة، ولكن يرى البعض أن سبب التدهور هو أنه بعد عودة الهلينيين من طروادة وتدميرها نتج عنه ثورات كثيرة وحروب وجدت فى كل مكان من بلاد اليونان خاصة بعد أن عم القحط والمجاعة نتيجة لسوء الأحوال الطبيعية ، إذ يرى كاربنتر (Carpenter) أن هذا قد أدى بسكان آسيا الصغرى وبلاد اليونان إلى هجرها والبحـــث عـــن ملاذ آمن بيد أن هذا الرأى فيه اسراف وجرأة، فالتنقيبات الأثرية كشفت لنا عـــن أن القـــلاع الموكينية فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان قد أعيد تحصينها وأن الحكام كـــانوا يخشون الهجوم المفاجئ من شعوب البحر التى تحركت على طول السواحل الشرقية للمـــنطقة الإيجـــية والبحر المتوسط وأن هؤلاء قد اخترقوا وتغلغلوا فى وسط بلاد اليونان والبلوبونيز من الشمال ، وكان غرض هؤلاء الغزاة على ما يبدو ليس غزوها واستيطانها ، ولكـــن الحصـــول علـــى الغنائم والأسلاب من القلاع والقصور الموكينية . وعلى الرغم من انسحابهم بعد تحقيق مآربهم فقد خلفوا خراباً ودماراً وتشير الحفائر إلى أن الهجوم من قبل

شعوب البحر قد تكرر على مراكز الحضارة الموكينية وأدى هذا إلى ضعف وتدهور الممالك الموكينيــة إذ يكشف لنا الدليل الأثرى عن نقص كبير فى عدد السكان فى منطقة البلوبونيز فقد كان يوجد فى كل من ميسينيا وتريفيليا (Triphylia) ١٥٠ مستوطنة فى القرن الثالث عشر بينما لا يوجد فى المنطقتين إلا ١٤ مستوطنة فى القرن الثانى عشر . ونفس النقص الحــاد يكــون فــى بؤوتــيا ، ونقص عدد المستوطنات إلى الربع فى أرجوليس وفى اقليم كورينثة نقص إلى أقل من الثلث ، وبجانب الدمار ونقص السكان نلاحظ ظاهرة أخرى وهى هجــرة وتحرك السكان من المناطق المخربة إلى مناطق أخرى وأن الاستقرار قد صار أكثر كــثافة فــى آخــيا الجبلية فى شمال البلوبونيز وفى جزيرة كيفالينا (Cephallenia) ومن المــرجح علــى الســاحل الشرقى لآتيكا ايضاً . وهاجر الناس أيضاً إلى جزر البحر الايجى ناكســوس وربمـــا رودس ثم إلى كريت وقبرص . و تبعاً لكل هذه الأسباب والتعلات ، فقد تدهــورت و انحـــدرت الحضارة في بلاد اليونان و نقص سكانها و صارت أرض اليونان و مماكنة سهلة المنال للهجرات الدورية و التالية و الأربعة .

العصر المظلم والهجرة الدورية

يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي : لماذا سُميت الفترة التى أعقبت العصر الموكينى فى التاريخ اليونانى بعصر الظلام ؟ يمكن تبرير هذه التسمية بالأسباب الآتية:

١- انخفاض وهبوط مستوى الحضارة فى بعض المناطق وتوقفها وانقطاعها فى الكثير من المناطق اليونانية .

٢- قلة وشحة المصادر الخاصة بهذا العصر .

٣- الهجرات المشهورة بالهجرات الدورية التى غشت الجانب الأكبر من اليونان .

والواقع أن دراسة تاريخ هذا العصر له أهميته الخاصة لدارس تاريخ اليونان إذ شهد هذا العصر وضع اللبنات الأولى وأسس حضارتها فى العصر الكلاسيكى . وسنحاول أن نعرض لأهم المصادر التى يمكن أن تلقى أضواء على تاريخ هذه الفترة وأول هذه المصادر أشعار هوميروس والتى تعد مصدراً أساسياً لها ، فعلى الرغم من أن الإلياذة تعالج فترة قصيرة من حرب طروادة والأوديسة تعالج عودة أوديسيوس والمتاعب والاضطرابات فى مملكته خلال فترة غيابه ، فانهما تعكسان الظروف والأحوال والأعراف والعادات والتقاليد فى بلاد اليونان وتقديم صورة للحياة بشكل أولى فى هذه الفترة خاصة أن العرف والتقاليد والعادات تستمر عبر الأجيال ، فأعراف وتقاليد وعادات اليوم تحتوى على تقاليد وأعراف وعادات الأمس وبالمقابل سوف تنتقل فى تقاليد وأعراف وعادات الغد . وفى ضوء هذا يمكننا القول أن الإلياذة والأوديسة لا تعكسان الأحوال فى تاريخ بعينه وإنما تعكس طريقة الحياة التى تمتد جذورها فى الماضى بل تستمر بشكل كبير بدون تغيير كبير فى المستقبل . وإن كان علينا أن نتذكر أن هوميروس وسابقيه كانوا شعراء ولم يكونوا مؤرخين ، ومن ثم لن نجد فى الاشعار الملحمية مناقشات منظمة للقضايا التاريخية ، ولكن القارئ الممحص لها ، سوف يجد أنها تحتوى على مستودع غنى بالمعلومات حول التقاليد والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية خاصة التى تنتشر بين الطبقات العليا فى المقام الأول وبقية طبقات المجتمع فى المقام الثانى . ومن المصادر التى تمدنا ببعض المعلومات

أشـعار هيسيود الشاعر البوؤتى الذى عاش فى فترة لاحقة مباشرة للعصور المظلمة ولأن هيسـيود عاش فى منطقة بوؤتيا المتخلفة ولكونه شاعراً ومنشداً وراوية فإنه أعطى نظرة حـول طرق الحياة وعقائد خاصة بعصره وجيله والتى امتدت من أجيال سابقة عليه والذين كانـت أعـرافهم وتقاليدهم مشابهة ، وأهمية قصائده تعد مصدراً نفيساً لأنها تعكس صوراً لحـياة مـزارع صـغير ولمشـاكله كما أن قصيدته عن أصل الآلهة تعكس معتقدات قومه وأسلافهم .

وتقـدم المصـادر الأدبـية اللاحقـة معلومات أيضاً عن هذا العصر ، فالشعراء قد اسـتخدموا الأسـاطير المـبكرة الـتى تناقلتها الأجيال ، وبعض الفلاسفة قد اعتمدوا على المـراحل الأولـى للحـياة السياسية والاجتماعية فى هذا العصر ، وكتاب القرنين السادس والخامس كتبوا عن أنساب العائلات المالكة والتواريخ المحلية وتأسيس المدن . وإنْ كانت كـتاباتهم لم تبق فى كتب مستقلة ولكن الكثير من مادتها التاريخية قد وجدت طريقها إلينا مـن خـلال أعمال الكتّاب المتأخرين مثل استرابون (٦٤ق.م - ٢١م.) وباوسنياس (القرن الـثانى) . لقـد كتبا عن التاريخ المبكر للعديد من المدن اليونانية ، والأسر الحاكمة بها . وجملـة القـول أن المصـادر الأدبية لا تقدم لنا صورة زاهية عن هذا العصر بل ما تقدمه صورة باهتة له .

والمصدر الأساسى والموثوق فيه هو المخلفات واللقى الأثرية الخاصة بهذا العصر إذْ كشف الآثاريون والمنقبون لنا عن بعض مناطق الاستقرار والتجمع من هذا العصر وكشفوا الكثـير مـن اللقى الأثرية وخاصة الفخار الذى يقاوم عوادى الزمن وله أهميته الكبرى فى تحديـد تطـور الحضـارة فمـثلاً تعد وحدة الطراز فى الفخار فى العصر الموكينى فى بلاد الـيونان وخارجهـا دليلاً على الوحدة الثقافية والحضارية فى بلاد اليونان والدارس لفخار عصـر الظلام يشهد تنوعاً كبيراً وخاصة للفترة المبكرة منه وهذا يشير ، بشكل مقنع ، إلى انكسار الوحدة الحضارية لبلاد اليونان فى العصر السابق ، وإنْ كان من الملاحظ أنّ الفخار الأتيكى شهد استمراراً من العصر الموكينى ويمكن تتبع تطور أعمال صناع الفخار الأثينيين ، ومـن دراسـة طراز الآنية والمزهريات الخاصة بالعصر يمكن استخراج عدة نتائج حول

طـريقة تفكـير الحرفيـين والناس الذين عاشوا بينهم ، فهناك تأثيرات شرقية نجمت عن علاقـات وصلات تجارية مع الشرق ، ووجود كميات كبيرة من فخار مدينة فى مدينة أخرى خير دليل على الصلات التجارية وإن وجد تقليد لفخار مدينة فى مدن أخرى فهذا يكشف عن التأثر بأساليب وتقنيات صنع الفخار فى مدينة أخرى .

ويمكـن للباحث أن يستقى بعض المعلومات عن هذا العصر وأن يرسم صورة له فى ضوء التقاليد والمؤسسات فى العصر التاريخى فقد كانت هذه التقاليد والمؤسسات استمراراً لمؤسسات لعلها نشأت فى العصر المظلم ، ولما كان الإغريق محافظين فى كثير من النواحى ، فقد ظلوا مرتبطين بالأسماء القديمة والطقوس العتيقة حتى على الرغم من أنها لا تتناسب مـع عصرهم ، ففي أثينا الديموقراطية ، على سبيل المثال ، كان هناك حاكم ينتخب كل عام يسـمى الملك الكاهن (Basileus) والذي كانت وظيفته الأساسية دينية . وهذه الوظيفة فى ضـوء مـا سبق تعطى دليلاً واضحاً على أنه فى وقت سابق ما من تاريخ أثينا الباكر كان يحكمها ملك والذى كان شامل الاختصاصات ومن بينها الاهتمام ورعاية الشئون الدينية فى الدولة . انَّ دراسة الأشياء الحية فى أى فترة من فترات التاريخ تكشف الكثير عن الماضى ودراسـة وتحلـيل المعـتقدات والصيغ القانونية والمصطلحات يمكن أن تلقى الضوء على المراحل الباكرة فى تطوير الديانة والقانون إذا ما كانت المصادر الأخرى غير متاحة . جملة القـول أن المصـادر الأدبية والوثائقية تقدم لنا مادة علمية قليلة عن هذه الفترة . ومن ثم فاننا لا نعلم عنها إلا القدر اليسير .

والعصـور المظلمة تمتد لفترة أربعة قرون على الأقل ، وذلك لأنه حتى نهاية القرن التاسع لا توجد معلومات تاريخية واقعية والتى أصبحت متاحة فى القرن الثامن .

وإذا مـا استعرضـنا الهجـرات التى غشت بلاد اليونان بعد تدهور مراكز الحضارة الموكينية ، فإن هذه الهجرات أو موجات من الهجرة دخلت بلاد اليونان على فترات متقطعة استمرت فترة طويلة من الزمن أى من القرن الحادى عشر إلى القرن التاسع وأطلق عليها المؤرخون الهجرة الدورية على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . إذ نجد ثيوكيديديس يقـول أنـه فـى السـنة الثمانين بعد نهاية حرب طروادة غزا الدوريون منطقة البلوبونيز

بزعامة ابناء هرقل الذين طردوا من البلوبونيز وحرموا حقهم الشرعى فى العودة إليه فعملوا على استرداد هذا الحق بقوة سواعدهم ، وهذه الأسطورة المغلفة بالوطنية والدعاية تشير إلى أن وصول الدوريين لم يفسر على أنه غزو لشعوب جديدة ولكن عودة البلوبونيز لحكامها الشرعيين . وقد أصبحت هذه الأسطورة مقبولة كحقيقة لكاتب مدقق مثل ثيوكيديديس . ولما كان وصف القدماء لمجىء الدوريين على أنه عودة للهرقليين فإن مصطلح الغزو الدورى يكون مصطلحاً حديثاً . ولكن يغلب على الظن أن موجة جديدة من الهجرة الهندوأوربية قد بدأت فى وقت ما من القرن الثالث عشر بانحدار مجموعات من القبائل الهندوأوربية من مناطق الدانوب إلى شمال غرب البلقان ونزلت أولاً حول مرتفعات ابيروس واستقرت هناك بعض الوقت ثم خرجت منها فى موجات متتالية لغزو بلاد اليونان بعد أن بدى عليها مظاهر الاضمحلال والضعف وبعد الخراب الذى أحدثه فيها هجوم شعوب البحر والشمال فى نهاية العصر الموكينى ، وقد بدأت أولى موجات الهجرة عبر جبال بندوس (Pindos) متجهة إلى السهل الواقع شرقى هذه الجبال فى وسط البلقان ، وهو سهل تساليا الذى سمى بهذا الاسم نسبة إلى المهاجرين التساليين الذين احتلوه ، ونتج عن هذه الموجة من الهجرة أن بعض السكان قد اندفع مولياً الأدبار إلى وسط وجنوب البلقان ، والبعض الآخر منهم قد هاجر من اليونان كلية واتجه شرقاً ، وبعضهم الآخر قد استمر فى العيش فى مواطنهم وخضع لحكم الغزاة التساليين ورضى حياة أقرب إلى العبودية *.

وهناك موجة أخرى من المهاجرين قد غشت منطقة بؤوتيا ، وهؤلاء المهاجرون الجدد قد أطلق عليهم اسم الارنيين (Arnaians) ، وكانوا قد توغلوا أكثر نحو الجنوب وعبروا ممر ثرموبيلاى واحتلوا منطقة بؤوتيا ، وحاولوا بعد احتلالهم لها التقدم صوب الشرق فهاجموا منطقة أتيكا لكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ، وبمرور الوقت تألف فيما بينهم حلف ضم ثلاث عشرة مستوطنة تزعمته مدينة حملت فيما بعد اسم طيبة . وكان لاحتلال هؤلاء الارنيين لمنطقة بؤوتيا نفس الآثار التى أحدثها التساليون فى منطقة تساليا ،

ناقش أوضاعهم عن الحديث عن أسبرطة .

فهاجــر من هاجر من السكان الآخيين وبقى من بقى منهم وتعرض للنزول إلى مرتبة أقرب إلى العبودية .

أما عن مجموعة القبائل التى عرفت باسم الدوريين والتى يخلع الباحثون اسمها على موجـات الهجرة والاستيطان على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . فقد نزلوا بمنطقة دوريـس (Doris) أولاً ، وعـندما ضـاقت علـيهم المنطقة اندفعوا جنوباً نحو البلوبونيز وسـيطروا على أغلب أجزائه ، فنجدهم قد احتلوا سهل ارجوليس ، ودكوا البقية الباقية من مراكـز الحضارة الموكينية ، واحتلوا بعد ذلك وادى نهر يوروتاس (Eurotas) ، وفى هذه المـنطقة نمـت بمرور الوقت مدينة اسبرطة ، ثم استولوا على منطقة اليس (Elis) أغنى مـناطق البلوبونـيز واسـتولوا بعد ذلك على ميسينيا إلى الغرب من لاكونيا ، وفى شمال البلوبونـيز ، اقـاموا مدينة كورينثة ، وقد حاولوا غزو منطقة أتيكا من البلوبونيز ولكنهم صـدوا عنها وإن كانوا قد تمكنوا من اقتطاع الأجزاء الجنوبية منها إذْ قامت فيما بعد مدينة مـيجارا (Megara) ، ثـم عبر فريق منهم البحر واستولى على مناطق فى آسيا الصغرى وبعـض الجـزر فى بحر إيجة . وتبعاً لتوافد موجات الهجرة الدورية إلى منطقة البلوبونيز والمـناطق التى احتلوها فقد اندفع نفر من السكان الأصليين خارج المنطقة إلى شبه جزيرة أتـيكا ، أو إلـى خـارج البلوبونيز وبلاد اليونان وبقى نفر آخر اندمج بعضهم مع الغزاة والبعض الآخر منهم رضى بحياة الخضوع والتبعية للغزاة .

قصـارى القول أن هذه الموجات من الهجرة التى دخلت بلاد اليونان قد سببت حالة مـن الفوضى والاضطراب من تساليا شمالاً إلى البلوبونيز جنوباً والتى استمرت لعدة قرون ولم تستقر تلك القبائل إلا عند القرن التاسع فى المناطق التى أصبحت وطناً لها فى التاريخ الـيونانى . أمـا السكان الأصليون من الآخيين ومن سبقوهم فإن الكثير منهم رضى بحياة الخضـوع والتبعـية للغـزاة والبعض الآخر الأكثر قوة قد قبل التحالف مع الغزاة وإن كان

وضعه أدنى منهم• و البعض الآخر قد وجد ملاذاً فى الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا بينما فضل الكثير منهم الهجرة خارج اليونان إلى جزر بحر إيجة وسواحل آسيا الصغرى .

وكانت هناك عدةَ عوامل ساعدتهم على التوجه إلى تلك المناطق فقد كانوا على دراية ومعرفة تامة بها وبأراضيها الخصبة وغلاتها الوفيرة ، كما أن طبيعة بلاد اليونان الجغرافية والمناخـية لا تختلف عن طبيعة السواحل الغربية لآسيا الصغرى . كما أن كثرة الجزر فى الـبحر الايجى جعلت المهاجرين فى أمان دائم أثناء إبحارهم صوب الساحل الآسيوى الذى كـان يقطـنه مجموعـة مـن الشـعوب المتناحرة والمتنافسة مثل الفريجيون فى الشمال والكـاريون فـى الوسط والليكيون فى الجنوب . وهذا يعنى أنه لم تكن هناك دولة قوية فى الشرق ، بيد أنهم لم يتجهوا شمالاً وذلك لأن المناطق الشمالية كانت مسكونة من قبل قبائل جبلـية شديدة المراس يصعب على اليونانيين المنهكين مواجهتها . ولم يتجهوا غرباً وذلك لأنه كان مجهولاً إلى حد ما وكان الإبحار فى البحار الغربية يُعد مخاطرة عظيمة .

ولمـا كانـت هـذه الهجرات قد حدثت فى العصر المظلم فإن معلوماتنا حولها ، مثل المشكلة الدورية ، أتت واستمدت من الأساطير ، ولكن مما لا شك فيه أن الهجرة قد حدثت إذ نجـد أن الإغريق ابتداء من الفترة التاريخية يعيشون على ساحل آسيا الصغرى والجزر المـتاخمة لمضـيق اللهليسبونت إلى رودس . وفى الواقع فى ضوء ما سبق لا يمكننا أن نحـدد تـاريخ كـل هجرة من هجرات اليونان التى أعقبت الغزو الدورى ابتداء من القرن الحادى عشر ولكن يمكننا أنْ نقول إنّ حركة الهجرة والاستيطان اليونانية قد استمرت حتى منتصف القرن العاشر على الأقل . ويمكن أن نميز من حركات الهجرة ثلاث هجرات أساسية إلى سواحل آسيا الصغرى والجزر هى : -

١- الهجـرة الايولية : قام بها الأيوليون (Iolians) الذين كانوا ينزلون فى تساليا وبؤوتيا وفـى أجـزاء أخرى بوسط البلقان فراراً من التساليين وخرجوا من البلقان عند مضيق يوبويـا وعـبروا البحر حتى وصلوا إلى جزيرة لسبوس المتاخمة للشاطئ الآسيوى ثم

• أنظر عن أحوال الجيران في أسبرطة .

نـزلوا إلى الشاطئ وأسسوا مدينة كيمى وانتشروا فى المنطقة الممتدة من شمال غرب ساحل آسيا الصغرى حتى سميرنا (Smyrna) ونهر هيرموس (Hermus) وأقاموا اثنى عشرة مستوطنة على ساحل آسيا الصغرى والتى كان يجمع بينها حلف دينى وأهم هذه المـدن سـمرنا ، ووفقـاً للروايات فإن المهاجرين الأول كانوا تحت قيادة بنثيلوس بن اوريستيس . وكانت هجرة الايوليين تقصد الاستيطان الدائم أساساً بدليل أنهم اصطحبوا معهم نساءهم وأطفالهم .

٢- الهجرة الأيونية : قام بها الأيونيون (Ionians) بعد أربعة أجيال من استقرار الايوليين فـى آسيا الصغرى ومن المستحيل أن نحدد تاريخ استقرارهم زمنياً بدقة . وتكشف لنا المصـادر أن أثيـنا قد قامت بدور بارز فى تنظيم وتهجير العناصر المهاجرة إليها من مـناطق بلاد اليونان المختلفة من شمالها ووسطها وجنوبها أمام الغزو الدورى ، وأمام قصـور مـوارد أتيكا فقد قام الأثينيون بارسال هذه الزيادة من السكان إلى أيونيا . وقد وردت روايـات عـند الكـتّاب القدامـى مثل استرابون وباوسنياس حول أسرة نيلوس (Neleus) الـتى تم طردها من بيلوس بمسينيا على يد الغزاة إلى أثينا حول ميلانثوس زعيم هذه الأسرة فى اعتلاء عرش أثينا وأن ابنه كودروس قد ضحى بحياته لانقاذ أثينا مـن الهجـوم الدورى . وأن صراعاً نشب على خلافته بين ثلاثة من أبنائه وخلافته فى الحكم وكان النجاح حليفاً لابنه ميدون بينما نجد أن الأخوين أندروكلوس ونيلوس قد قادا مجموعات مختلفة من المهاجرين إلى آسيا الصغرى حيث نجح اندروكلوس فى تأسيس افسوس ، بينما نجد أن نيلوس قد نجح فى تأسيس مدينة ميليتوس .

ويـرى الـبعض أن الدور الهام الذى قامت به أثينا فى تقديم قادة للمهاجرين وإنها المكـان الـذى خرج منه المهاجرون قد روجت له بدون شك الدعاية الاستعمارية لأثينا فى القرن الخامس ولذا يرون أن المهاجرين قد خرجوا من أكثر من مكان وموقع . ولكن هناك قرائن كافية تجعلنا نفترض أن هناك جانب من الحقيقة فى هذه الروايات ، ففى بداية القرن السـابع نجـد الشاعر ميميرموس (Memmermos) الايونى من كولوفون (Colophon) يتحدث عن مؤسس مدينته بأنه انحدر من أسرة نيلوس ، وفى أثينا الكلاسيكية كانت أسرة

ميدون مشهورة وفى افسوس نجد أخلاف أندروكلوس يلقون التكريم حتى العصور الميلادية .

وخلال الهجرة الايونية كان يقيم فى المناطق التى هاجروا اليها الليجيون والبلاسجيون والكاريون . ولدينا رواية عن حروب خاضوها ضد السكان المحليين فقد حاربوا الكاريين وحملوا النساء الكاريات واتخذوهن زوجات . وهكذا فإن هذه الهجرة كانت هجرة عسكرية إذ أنهم لم يصطحبوا معهم نساءهم فاضطروا للتزاوج بالآسيويات بعد استقرارهم .

وفى القرن التاسع نجد أن اثنتى عشرة مدينة أو مستوطنة من المستوطنات الايونية قد شكلت حلفاً أيونياً وأعضاء هذا الحلف هم : ميليتوس وميوس (Myos) ، وافسوس ، وكولوفون ، وليبيدوس (Lebedos) ، وتيوس (Teos) ، وكلازوميناى (Clazommenae) ، وفوكيا (Phocea) ، واريثراى (Erythrae) ، وخيوس ، وكان هناك مركز دينى مشترك لتكريم الاله بوسيدون هيليكونيوس (Helikonios) فى بانيونيون (Panionion) الواقعة على نتوء جبل ميكالى (Mycale) ولا نعرف إلا القليل حول الفترة الباكرة لهذا الحلف لكنه قد ساعد على اعطاء الشعور بالوحدة للايونيين اليونان الذين كانوا مختلفى الجذور ، هناك عامل آخر نمى الشعور بالوحدة هو الاحتفال بالعيد المعروف بالاباتوريا (Apaturia) وبمرور الزمن فإن الاحتفال بهذا العيد أصبح علامة على عضوية للفرع الأيونى من اليونان ولاسباب غير معروفة استثنى منه عضويته كل من أفسوس وكولوفون .

٢- الهجرة الدورية : فقد قام بها الدوريون بعد أن استولوا على مناطق كبيرة من اليونان وضاقت بهم المناطق التى استولوا عليها فاتجهوا شرقاً وجنوباً فوصلت جحافلهم إلى كريت واحتلوها واستولوا على عدد من جزر بحر ايجة أهمها جزيرة ثيرا ورودس ثم بلغوا الشاطئ الآسيوى واحتلوا الجزء الجنوبى منه والجزر المتاخمة له وأهم مستعمراتهم هى هاليكارناسوس . ويرى البعض أن هجرة الدوريين إلى تلك المناطق قد تمت خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد . وإذا كان قد ورد ذكر الدوريين فى

الابيات فى كتالوج السفن والتى تتحدث عن أبناء وأحفاد هرقل الذين قادوا السفن من رودس وكوس فانها بالتأكيد إضافات متأخرة أقحمت على الملحمة لأن الدوريين الرودسيين والكوسيين لم يشاركوا فى الحرب الطروادية ولعل هذا يمثل زعم دعوى متأخرة للمشاركة فى الحرب الطروادية لأن هاتين الجزيرتين كانتا فى زمن الحرب الطروادية خاضعتين للموكينيين .

وهكذا نرى أن الهجرة الدورية قد سببت هجرة أعداد كبيرة من الآخيين إلى خارج بلاد اليونان كما أن جانباً من الدوريين أنفسهم قد هاجر إلى خارجها . وقد وجد المهاجرون إلى سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة مستوطنات سابقة تعود للعصر الموكينى الباكر ، فى جزيرة رودس ، وفى ميليتوس ؛ وقد عُثر فى المستوطنات فى منطقة كاريا على آنية فخارية مينوية وموكينية خاصة فى مناطق ميليتوس ، دافوس ، وافسوس ، وكولوفون ، وتكشف الآثار عن استمرار الحضارة الموكينية فى هذه المناطق وأن صلاتهم قد استمرت بشرق ووسط بلاد اليونان ، وجزيرة يوبويا ، وأتيكا التى تقدم خير انموذج لهذا الارتباط ففى بداية القرن السادس نجد أن صولون ما يزال يشير إلى مواطنيه على أن مدينتهم هى أقدم أرض أيونية ، كما أن النظام القبلى فى أثينا قبيل اصلاح كليسثينيس يقدم معلومات عن الآثينيين وأنهم كانوا مرتبطين بالأيونيين سكان الجزر وسلحل آسيا الصغرى . فقد كان سكان اتيكا ينقسمون بين أربعة قبائل هى : (Glaontes) و (Aigikerees) و (Argadeis) و(Hopletes) وتكشف لنا نقوش ميليتوس من القرن الخامس عن وجود قبيلتين منها هناك. وسجلت قبيلتين لخرتين هما : قبيلة الاوينوبين Oinopes وقبيلة البوريين Boreis ، ولعل قبيلة الاونيوبيين كانت تتكون من السكان المحليين من آسيا الصغرى ، بينما القبيلة الثانية Boreis فقد ذكرت الروايات المأثورة أنها قد أتت من البلوبونيز ودليل رائع اتى من أفسوس ، على الرغم من أنه يعود إلى تاريخ متأخر عندما كانت المدينة عاصمة لولاية آسيا الرومانية ، فقد انقسم سكان افسوس إلى ثمانى قبائل محلية وواحدة منها تحمل اسم (Epheseis) وقد وجدت بعض اسماء القبائل الآتيكية فى تيوس وبرنيثوس (Perinthos) ونجد أن هناك تشابه بين كل من اللهجة الايونية والاثينية

وان كـــان هـــناك اخـــتلافات بينهما فهذه الاختلافات تعود إلى أن الأيونيين قد تأثروا بلغات السـكان الأصـــليين فى آسيا الصغرى ، بينما نجد بعض ملامح اللهجة الدورية فى الأثينية ولكن شرح سبب هذا بالاتصال بالدوريين .

ويـــرى الـــبعض أيضاً أن الهجرات قد صاحبها دخول عنصر حضارى جديد إلى بلاد الـــيونان فى هذه الحقبة وهو عنصر الحديد الذى أدخله المهاجرون الدوريون والشماليون إلى بلاد اليونان ، وأيضاً انتشار عادة حرق جثث الموتى بدلاً من دفنهم . ولكن عادة حرق الموتـــى واستخدام الحديد لا تنسب للدوريين ، فقد وجدت فى أثينا وفى مناطق مختلفة من أتـــيكا ومـــناطق أخرى من العالم اليونانى ، والتى لم يكن لها صلة بالدوريين ، فعادة حرق الموتـــى وأيضاً استخدام الحديد والأسلحة الحديدية يعود ظهورها إلى القرن الثالث عشر . ومن المرجح أن هذه الظواهر قد دخلت اليونان من الشرق . ولا وجود لتأثير دورى فى هذا المجال . وما يمكن قوله هنا أن الدوريين قد استخدموه فيما بعد على نطاق واسع .

ومن الملاحظ أيضاً أن منطقة أتيكا قد شهدت استمرار وتطور الحضارة الموكينية فى خـــلال فترة الغزو والهجرات الدورية ، فقد توافد عليها أعداد كبيرة من السكان الفارين من بطـــش القبائل الدورية من الشمال والوسط ومن البلوبونيز ، وقد نجحت بفضل هذه الهجرة وكـــثافة سكانها فى أن تصد غارات الأرنيين وأن تمنع تقدمها فيها كما نجدها تنجح فى صد الدوريين من بعدهم عندما هاجموها من البلوبونيز .

وقـــد اســـتمرت تقاليد الفن الموكينى حية فى الفنون الأثينية فى العصر الكلاسيكى. وهـــناك مـــناطق أخـــرى خاصـــة منطقة الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا والتى لجأ إليها الموكينيون فراراً من التساليين أو من الدوريين ، قد حافظت على التراث الموكينى ، كما أن المهاجريـــن إلى منطقة سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة من الأيوليين والأيونيين قد نقلـــوا معهـــم جانباً من تراثهم الحضارى الموكينى . وهكذا فإن حضارة الموكينيين لم تزل نهائـــياً وإنما قل مستواها عن ذى قبل . ويمكننا تتبع الاستمرار حتى لو كان باهتاً فى هذا الوقت بين الحضارة الموكينية الآخية وبين الحضارة اليونانية فى العصر المظلم والتى بدأت تـــتطور عند نهاية الالف الثانية قبل الميلاد فبجانب استمرار الطرز فى الفخار نجد فن بناء

[illegible] المرسومة على الفخار ما قبل الهندسى والهندسى تظهر نفس السمات والملامح الأساسية التى كانت تزين الفخار الموكينى وما بعد الموكينى .

وفــى بدايــة القرن التاسع بدأ الطراز الهندسى فى الفخار فى الظهور فى أتيكا وفى سهل أرجوليس وكورينثة وبوؤتيا وتساليا وجزر بحر ايجة والشاطئ الغربى لآسيا الصغرى ، و تطــورت أشــكال وزخرفة الآنية الفخارية بشكل طبيعي جديد دون أن يكون لها أثر فى الموروث ، ويلاحظ أن أنواع الآنية الفخارية قد زادت ، وتطور فن الزخرفة كثيراً مع إضافة عناصــر حقيقــية للرسوم الهدسية . ويمكن تقسيم فترة الفخار الهندسى إلى ثلاث أو أربع فترات وبلغت أوجها فى القرن الثامن وبداية العصر العتيق .

وقد حققت أيضاً صناعة المعادن فى هذا العصر تقدماً كما يُرى من اللقى الأثرية من ســيوف حديدة ورؤوس الحراب واللقى ، كما أن صناعة الحلى تكشف عن مهارة فائقة إذ وجــدت حلى فى مقبرة سيدة فى منطقة السوق بأثينا ، من المرجح أنها يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع ، وهى تكشف عن حذق ومهارة صناع الحلى ، بينما تكشف الحفائر عــن ما وصلت إليه العمارة من تقدم ، إذ نجد سميرنا القديمة على وجه الخصوص مدينة ذات أسوار دفاعية من بداية القرن التاسع .

وعــند نهايــة القرن التاسع فان اليونان قد بدأوا فى الاتصال بالشرق الأدنى ، وقد لعبــت قــبرص دوراً هامــاً كوســيط بين اليونان والشرق ، وكان لها علاقاتها مع كريت والمنطقة الإيجية وبلاد اليونان القارية هذا من جهة ، ومع سوريا وفينيقيا من جهة أخرى ، إن التنقيبات الأثرية فى المينا عند مصب نهر أورونتيس قد كشفت عن أدلة وقرائن رائعة لــتغلغل وانتشار اليونان على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وقد تأسست المدينة حوالى منتصف القرن التاسع ، وتؤكد اللقى الأثرية أن اليونان قد أقاموا علاقات مع فينيقيا وشمال فلســطين وقبرص . ويبدو أن الفخار الهندسى قد بدأ فى الظهور فى المنيا من نهاية القرن التاســع ، وفى القرن الثامن أصبحت المينا تحت سيطرة التأثير لمملكة أورارتو (Urartu) وتقع فى هضبة أرمينيا ، وكانت غنية بالمناجم ، وقد حققت نجاحاً فى صناعة المعادن التى وصلت إلى أعلى قمتها كما يرى فى الأعمال الفنية لصناعها فى صناعات البرنز والذهب .

وهكـــذا فقـــد فتح عالم جديد غير معروف أبوابه لليونان عندما وصلوا إلى السواحل الســـورية ومـــثلهم مـــثل أسلافهم الكريتيين والموكينيين فقد مزجوا عناصر الثقافة الفنية الشرقية مع ثقـــافتهم .

ومـــن هـــنا نجد أن العصر المظلم الطويل قد وصل إلى نهايته وأن حركة عظيمة من النشـــاط قـــد بدأت بين المجتمعات اليونانية . ان المرحلة الجديدة من الحضارة اليونانية لا تنعكس من خلال اللقى الأثرية فقط ولكن من حقيقة اقتباس اليونان للأبجدية .

ان كتابات المجموعة الخطية الثانية وقعت فى طى النسيان مع تدمير مراكز الحضارة الموكينـــية الآخـــية واقتصاد القصور ، إن الأبجدية الجديدة المستقاة من الشرق أسهل فى الـــتعلم وأكـــثر ملاءمة لمتطلبات اللغة اليونانية وأكثر يسراً من الخط المقطعى المبهم الذى غالـــباً مـــا يعـــبر بشكل جزئى عن الأصوات فى اليونانية ، لقد كان يستخدم فى النصوص الاقتصـــادية والإدارية فى العصر الموكينى . ويرى الكتّاب القدامى أن الإغريق قد اقتبسوا أبجديـــتهم مـــن جيرانهم الشرقيين إذ نجد هيرودوت يقول إن اليونان قد تعلموا الكتابة من الفينيقيـــن الذيـــن غـــزوا بؤوتـــيا مع كادموس مؤسس مدينة طيبة ووفقاً لهيرودوت فإنْ اليونان اسموا الأبجدية التى اقتبسوها بالحروف الفينيقية . وحتى فترة قريبة فإنْ هذا الرأى كـــان راسخاً بيد أن الدراسة الدقيقة للأبجدية السامية وعلاقتها بالأبجدية اليونانية ترى أن أصـــل الأبجديـــة اليونانـــية لم يكن سهلاً ويبدو أن اليونان قد اعتمدوا بشكل رئيسى على الأبجديـــة الآرامـــية فى شمال سوريا التى كانت تستخدم الحروف المتحركة والساكنة وهذا الملمـــح له أهميته لتكوين الأبجدية اليونانية وأخيراً فان العلماء يشيرون إلى صلات القربى بين الصيغ الباكرة من الأبجدية اليونانية وما يعرف بالأبجدية الكنعانية الباكرة من فلسطين والتى على ما يبدو أنها كانت مصدراً للأبجديات السامية .

أن الوثـــائق الـــباكـــرة اليونانـــيـــة التـــى كتبـــت بهذه الأبجدية يرجع تاريخها إلى النصف الثانى من القرن الثامن ق.م ومن ثم يمكن الافتراض أن هذه الأبجدية قد وجدت فى حوالـــى منتصـــف القرن الثامن أو من المرجح وجدت فى فترة سابقة إلى حد ما . ويـــرى الـــبعض أن الـــتجار الفينيقيـــن الذين ارتادوا البحار والمناطق اليونانية هم الذين نقلـــوا

الأبجديـــة إلـــى بـــلاد اليونان . ويرى البعض الآخر أن اليونان الذين ترددوا على المينـــا علـــى الســـاحل الســـورى بغـــرض التجارة قد عرفوا الأبجدية الآرامية الســـامية هناك ونقلوهـــا ، ولكن نجد أن الأبجدية اليونانية قد تأثرت بالأبجدية الفينيقية فى الحروف (ϕ) ph, (ξ) kh, (χ) ks واسماء الحروف اليونانية قد اقتبست من أسماء الحروف الفينيقية .

ان الأبجديـــة اليونانـــية الجديـــدة قـــد استخدمت على نطاق واسع لخدمة الأغراض الـــتجارية ثـــم لتدويـــن وتســـجيل الأعمال الأدبية وأول دليل لاستخدامها يأتى من النقوش المدونـــة علـــى المزهـــريات ، وتسجيل القصائد الساخرة يعود تاريخها إلى العشرينات من القرن الثامن .

وهـــذه الفـــترة مـــن المرجح هى الفترة التى أنشدت فيها الملاحم الهومرية . والتى سنتحدث عنها كمصدر تاريخى فى الفصل التالى .

الأشعار الهومرية مصدر تاريخى للعصور الباكرة
العصر الموكينى وعصر الهجرات وعصر الشاعر

لم يحتل شاعر آخر فى جميع العصور التاريخية مكانة فى حياة شعبه كمكانة هوميروس عند اليونان فهو الرمز الأعلى للوطنية والمصدر الموثوق به لتاريخهم القديم ولشخصية الفعالة فى خلق آلهتهم ، فضلاً عن أنه أحب الشعراء إلى قلوبهم وأعظم من يستشهد بأشعاره ، ويخبرنا أفلاطون بأن بعض الإغريق يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن هوميروس علم بلاد اليونان ويستحق أن ينظر إليه كعلم فى مجال إدارة الشئون الإنسانية وتهذيبها ، وأن على المرء أن ينسق حياته كلها مترسماً خطى هذا الشاعر . وعندما يقرأ المرء قول افلاطون حول ملحمتى هوميروس فإنه يتوقع كتاباً مقدساً أو مؤلفاً فى الفلسفة ، بيد أنه يجد نفسه أمام قصيدتين طويلتين من الشعر ، أولهما الإلياذة التى خصصت لوصف أحداث العشرة أيام الأخيرة فى العام العاشر من زمن الحرب بين الآخيين والطرواديين وتصف لنا غضبة أخيل ، وثانيهما الأوديسة التى خصصت لوصف المتاعب والأهوال التى واجهها أوديسيوس فى أثناء عودته إلى وطنه اثيكا .

وإذا كان هوميروس قد نال شهرة ذاعت فى الآفاق فإن خلافاً وجدلاً دب وما يزال مثاراً حول شخصيته ومولده وأصله وحياته ومماته وموطنه والعصر الذى عاش فيه ، ويختلف الباحثون أيضاً حول نظمه لكل من الإلياذة والأوديسة فهل هو ناظمهما الوحيد أم نظم جانباً منهما أم أنه نظم الإلياذة ولم ينظم الأوديسة ؟ ولن نخوض فى مناقشة هذه القضايا فهى فى باب الأدب أولى منها فى باب التاريخ .

إن ما يهم المؤرخ منها هو تحديد العصر الذى عاش فيه الشاعر والفترة الزمنية التى يقع فيها ذلك العصر الذى تصور هذه الأشعار حضارته ونظمه . يرى هيكاتيوس وتبعه نفر من الدارسين المحدثين أن هوميروس كان معاصراً لحرب طروادة. ولكن هيرودوت خالفه الرأى فى ذلك وأكد أن الشاعر ظهر قبله بما لا يزيد عن أربعة قرون أى فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وقد وافق على هذا الرأى ثيوكيديديس المؤرخ المدقق والذى اشتهر

بأمانته العلمية ، وسار على نهجيهما كتّاب محدثون ثم جاء ثيوبومبوس (Theopompos) وجعــل هومـــيروس معاصراً للشاعر الغنائى والهجاء أرخيلوخوس الذى ذاعت شهرته فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد. فأى الآراء السابقة أدنى إلى الحقيقة ؟

إن الدارس الممحص لمفردات الملحمتين يجد أن لغتهما ولهجتهما هى اللغة اليونانية باللهجة الأيونية المتضمنة لبعض المفردات من اللهجة الأيولية ولا يمكن أن تكون هذه اللغة هى التى تكلم بها الآخيون لأن لغة الآخيين صورة عتيقة من اليونانية وهى مليئة بالكلمات العتيقة والمصطلحات والعبارات غير المألوفة وهذا ما كشفت عنه الواح المجموعة الخطية الثانية ، ولهذا فإنه من غير الممكن أن هوميروس قد عاصر أحداث حرب طروادة ، كما أن هومـــيروس فى وصفه لأحداث الحرب يتحدث عنها على أنها ذكريات ماضى بعيد . أما عن معاصرته للشاعر الغنائى أرخيلوخوس فهذا مردود عليه إذ أن هناك فروقاً واضحة بين لغة هومـــيروس ولغة الشعر الغنائى التى ازدهرت فى القرن السابع بما فيها من حيوية وإيقاع موســيقى ، كمـــا أنَّ الخصائص الأدبية تنفى معاصرته للشاعر أرخيلوخوس وذلك أن ثمة فروقاً جوهرية بين مزاج الشعر الملحمى ومزاج الشعر الغنائى فالشعر الملحمى لا تظهر فيه ذاتـــية الشاعر بينما تظهر ذاتيته فى الشعر الغنائى ، كما أن دارسى تاريخ الأدب يرصدون أن شـــعر الملاحـــم قـــد ازدهر وزال قبل أن يصبح الشعر الغنائى فناً قائماً بذاته . والرأى الأقـــرب للحقيقة هو رأى هيردوت ومن شايعه والقائل بأن هوميروس قد عاش قبله بأربعة قـــرون أى أنه قد ظهر فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وذلك لأن لغة هوميروس هى لغـــة القـــرن التاســـع والثامن قبل الميلاد وليست لغة العصر الموكينى ولا هى لغة الشعر الغـــنائى كما سبق أن ذكرنا . واعتمد فى وصفه لحوادث حرب طروادة على الروايات التى ســـمعها والآثار التى شاهدها فى ربوع اليونان . والسؤال الآن هو هل الحضارة والمجتمع ونظمه التى تصفها الملحمتان هى الحضارة الموكينية فى فترتها الأخيرة أم أنها تمثل فترة العصر المظلم ككل أم أنها تمثل فترة القرن التاسع والثامن ق.م بها .

ان مسألة تقرير ما هى الفترة التاريخية التى تشير إليها أشعار هوميروس كانت وما تزال محل جدل ونقاش مطول والتى ما تزال بعيدة عن وضع حد لها .

فقد رأى عدد كبير من الدارسين والباحثين أن القصائد الهومرية تعطى بشكل ، كبير أو قليل ، صورة صادقة للعالم الموكينى وأن هوميروس يُسجل جنباً إلى جنب مع الاكتشافات الأثرية الحديثة والمجموعة الخطية الثانية كمصدر رئيسى لتاريخ اليونان فى عصر البرونز ، فالأشعار الهومرية فى رأيهم تصف الحياة اليومية فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ، وأنها تصور مظاهر الحضارة التى سادت بلاد اليونان وقتئذ واستشهدوا على ذلك بأن الأسلحة والمنازل والملابس والحلى التى وصفها هوميروس فى أشعاره تشبه إلى حد كبير ما عرفه اليونان فى تلك الفترة وهذا ما كشفت عنه وأكدته التنقيبات الأثرية فهناك دروع تشبه درع أياس وكئوس مثل كأس نستور .

ويرى فريق آخر أن هذا التشابه لا يكفى لإثبات هذا الرأى لأن هذه التنقيبات نفسها كشفت عن فروق واضحة بين ما وصفه هوميروس وبين ما عرفه اليونان فى منتصف القرن الثانى عشر ، فأبطاله كانوا يعيشون لا يلبسون من ثياب العصر الآخى كما أن يونان هذا العصر لم يكونوا قد عرفوا المعابد ، وعندما يصف هوميروس ويتحدث عن الحرب يصف لنا أحداثاً مضت قبل ظهوره بوقت طويل . ويرى نفر من هذا الفريق أن أشعار هوميروس تصف حضارة القرنين العاشر والتاسع ويصورها فى إطار مملوء بصور وذكريات من العصر الموكينى والعصر الكريتى وقد عرف الشاعر هذه الذكريات والصور من الآثار التى خلفتها تلك العصور من الروايات التى توارثتها وتناقلتها الأجيال . بينما يرى نفر آخر أن الأشعار تصف العصر الذى أنشد فيه الشاعر أشعاره أى فى القرن الثامن إذ أنشد الإلياذة فى بداية هذا القرن والأوديسة فى النصف الثانى من القرن .

والرأى الأقرب للصحة هو أن وصف الشاعر به ثلاثة عصور تاريخية هى : العصر الموكينى ، والعصر المظلم ، وعصره الذى عاش فيه هو نفسه . إن القصائد الهومرية تبحث عن إعادة تسجيل العالم المفقود فى العصور السابقة للشاعر . لقد ثبت أنها تشير إلى عدد من المظاهر الموكينية التى اختفت مع سقوط القصور من أسماء الأماكن موكيناى ، تيرنيس ، بيلوس ، أثيكا .... الخ والعادات والتقاليد ... الخ ومع ذلك فإن ما تذكره يعد قليلاً جداً إذا قورن بكل ما طواه النسيان بين العالم الموكينى وعالم هوميروس بشأن

المؤسســات والعناصر الثقافية ، كما أن القصائد تحتوى على عدد من المفارقات التاريخية الــتى لا تتناسب مع إطار العالم الموكينى ولكنها تتناسب فى الواقع مع الفترة اللاحقة . ان نجــاح العلمــاء فى قراءة المجموعة الخطية الثانية قد كشفت لنا عن الاختلاف بين العالم الموكينى وعالم هوميروس فهناك فجوة بين العصور الموكينية مع أجهزتها الإدارية وقصور الملوك الهوميريين التى كانت أقل تعقيداً فى تنظيماتها و التي كانت الكتابة بها مفقودة كلية الــتى كانــت عنصــراً أساسياً فى العالم الموكينى ، فبين عالم هوميروس والعالم الموكينى اختلافات ، كما أن البعض يحاول الربط بين الأوديسة وبين بداية حركة الاستعمار فى الغرب فى النصف الثانى من القرن الثامن، وقد كان الشاعر يحاول جاهداً النظر للوراء إلى عصر مفقــود حاول أن يعيد الحياة إليه ولكنه كان مدركاً لعمق التغييرات التى حدثت فى العصور المتأخرة ، إذ تجنب الإشارة إليها فلم يقل شيئاً تقريباً عن الدوريين الذين استقروا فى بلاد الــيونان بعــد سقوط الممالك والقصور الموكينية ، ولم يذكر شيئاً عن هجرة الإغريق إلى آســيا الصــغرى إبَّان عصر الظلام ، فقد كان يسعى إلى استدعاء مجتمع مفقود ، ولكن لم تكــن هناك علاقات أو مادة يهتدى بها إلا الروايات والآثار . كما نجد أنه يشير مرة واحدة إلــى معرفة اليونان للابجدية اليونانية وفن الكتابة الذى اقتبسه اليونان من الشرق ويشير أيضــاً إلى الفينيقيين الذين بلغوا ذروة مجدهم فى القرنين التاسع والثامن ق.م وهذا يشير إلى حضارة ونظم القرن التاسع والثامن .

وسنحاول أن نرسم صورة المجتمع كما تصوره الإلياذة والأوديسة فنجد هناك تفريقاً وتميــيزاً بين المتحضرين الذين يأكلون الخبز ويزرعون الأرض ويرعون الماشية ويقدمون الأضاحى ويخشون الآلهة ويعطفون على الغريب ، وبين غير المتحضرين المتوحشين الذين لا يعرفون النظام أو القانون . كما نجد أن هوميروس كان مدركاً لحقيقة أن العصر الموكينى كــان أكثر ثراء وقوة من العصر الذى يعيش فيه ، إذ حاول أن يستعيد خلق هذا العالم كما تصــوره هــو ولهذا بالغ كثيراً فى ثروة ملوكه ، ولا يمكن أن يأخذ الباحث الوصف الأدبى للقصــور الهومرية مع كنوزها الكبيرة وعبيدها كثيرى العدد . إن دقة المادة العددية تؤدى إلــى الضــلال ، ولــذا علــى الدارس أن يبحث من خلال الحفائر الخاصة بالقرنين العاشر

والتاسع التى كشفت عن صورة العالم اليونانى ولا تكون مؤثرة على نحو كبير ، فالكثير من المواقـع قـد هجـرت ودمرت والصلات بالعالم الخارجى كانت قد تقطعت ولم يسترد العالم اليونانى عافيته إلا بعد انتهاء فترة الاضطرابات التى أعقبت العصر الموكينى .

وصورة المجتمع عند هوميروس كما تصورها الإلياذة والأوديسة تشير إلى مجتمعين : مجـتمع الإلـياذة ومجـتمع الأوديسة ، فهناك اختلافات فى الزمن فالإلياذة تعكس صورة مجـتمع أكـثر قدماً وأقل انفتاحاً عن مجتمع الأوديسة ، كما توجد اختلافات فى الموضوع فالإلـياذة تقـدم مجتمعاً فى حالة حرب والتى لعبت الأرستقراطية دوراً قيادياً فيه وكان لها السيادة والسمو العسكرى ، بينما تقدم صورة للطبقة الدنيا فى الظل حيث إنها لا تمثل شيئاً فـى الحرب ولا فى المجلس وعلى العكس من ذلك فان الأوديسة تعطى صورة أكثر تفصيلاً للمجـتمع واقتصـادياته خاصة وأنها تخصص مساحة كبيرة لأفراد الطبقة الدنيا التى يكون دورها محدوداً فى الإلياذة ونجد أن الشاعر هنا يظهر اهتماماً كبيراً بمصيرهم وسنحاول أن نذكر أهم سمات المجتمع الهومرى وتنظيماته وحضارته .

النظم والحياة السياسية والاجتماعية

إن الدولـة والنظام السياسى يظهران عند هوميروس بشكل غامض ، فمفهوم كل من المديـنة (Polis) والجماعة السياسية ليس هو المفهوم نفسه للمدينة فى العصر الكلاسيكى إذ تكـون مستقلة ولها سيادتها وأجهزتها السياسية ، كما أن المصطلحات مثل Politac , demos تختلف فى فحواها ومعناها عن دلالتها فيما بعد فى العصر الكلاسيكى .

تكشـف لـنا الاشعار الهومرية عن أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك عديدة، بعضـها كانت كبيرة المساحة وبعضها كانت صغيرة المساحة . ومن الممالك الكبيرة مملكة موكيـناى ، بقيادة ملكها أجاممنون قائد الحملة الطروادية ، وعلى ما يبدو أنها كانت مملكة اقليمـية تشـتمل على مدن كثيرة . وهذا ما يؤكده عرض الملك أجاممنون ، لترضية أخيل وتسـوية الخـلاف بينهما ، بأن يزوجه إحدى بناته ويمنحه سبع مدن من ممتلكاته وأشياء

أخـــرى . ومـــن الممـــالك الصغيرة مملكة بيلوس ومملكة إيثاكا ومملكة اسبـــرطة . عرف العـــالـــم الهومرى الأحلاف ايضاً فقد كان يجمع بيـــن هذه الممالك – على ما يبدو – رابطة من نوع ما أو حلف تحت رياسة موكيناى ، فقد استجاب ملوك تلك الممالك لنداء أجاممنون حين أهاب بهم أن يسيروا تحت لوائه فى الحرب ضد طروادة. وإن كان هذا الحلف لا يتعدى حـــدود الولاء العام لملك موكيناى فى الحرب دون أن يزيد على ذلك . بل أن هذا الولاء يتم نقضه من قبل بعض الملوك وخير أنموذج على ذلك هو النزاع بين أخيل وأجاممنون والذى هدد فيه أخيل بالعودة إلى وطنه ورد عليه بأنه يمكنه أن يغادر إذا ما كانت هذه هى رغبته وإرادته بينما نجد دور بقية الملوك – حاضرى المشادة – يقتصر على محاولة بذل المساعى لاصلاح ما بينهما ، محاولين إرضاء كل من الملكين لتوحيد الصف فى مواجهة الطرواديين وحلفـــائهم عدوهـــم المشترك. وأمام هذا التحالف الآخى الموكينى نجد التحالف الطروادى والممالك على الساحل الأسيوى والذين تحالفوا مع طروادة لرد عدوان وهجوم الآخيين ليس على طروادة فحسب بل على المدن الأسيويـــة الأخرى .

وهكذا فإننا نجد أن الحرب هى التى توحد الصفوف وتخلق التحالف . وعندما انتهت عـــاد الملـــوك إلـــى ممالكهم للاهتمام بشئونها وحل مشكلاتها. ونسمع عن زيارات قام بها الأمـــراء والملـــوك للمالك المجاورة لهم . وهذا يشير إلى أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك ذات سيادة ومكتفية ذاتياً إلى حد ما .

كانـــت المملكـــة عـــبارة عن تجمع سياسى واقتصادى للأسر النبيلة الكبيرة . ويأتى الملـــك علـــى رأس تنظـــيماتها . فقد كان أقوى الأبطال أو الأقوى بين أقرانه من الأبطال ، وكانـــت اســـرته تمـــثل أقوى أسر المملكة وأغناها . كانت سلطة الملك شبيهة بسلطة رب العائلـــة الممتدة ، ففى الواقع فإن كل من الملك ورب العائلة النبيلة قد حمل لقب Basileus وهذا اللقب يعنى الملك كرئيس للمدينة أو المملكة ككل ، وفى نفس الوقت فهو رب لأسرته يخدمهـــا هـــى وأتـــباعها . وكـــان هذا اللقب يعنى لرب الأسرة النبيلة أنه سيدها وراعيها وحاكمها ومصرف شئونها . كان الملك يحكم حكماً مطلقاً ، ويتمتع بسلطات عسكرية ودينية وقضائية واسعة .

أما عن سلطته العسكرية والمدنية فكان من حقه قيادة الجيش فى القتال ، وكان ينزل عن سلطة القيادة لأحد أبنائه مثلما فعل بريام مع ابنه هكتور ، وكان له سلطة اتخاذ القرار فى الحرب وفى تصريف شئونه دون استشارة أحد من النبلاء من أقرانه ,والذين كان دورهم ، فـــى الغالـــب ، هو اسداء النصح إليه ، كما كان له الحق أحياناً فى تجاهل آراء الجمعية الشعبية فى المعسكر إذا ما تعلق الأمر به ، وخير أنموذج على ذلك ، هو موقف أجاممنون من رد الأسيرة ابنة كاهن الإله أبوللو والتى كانت من نصيب أجاممنون . فعندما أتى أبوها إلـــى معســـكر الآخييـــن ليفـــتدى ابنته ، وتقدم برجاء وافق عليه الآخيون الآخرون جميعاً احـــتراماً وتكـــريماً له ككاهـــن ، وقبول الفدية الباهرة، لكن ذلك لم يُدخل السرور على قلب أجاممـــنون ورده بجفـــوة . أما عن سلطة الملك الدينية : فقد بُجل الملوك كما تبجل الآلهة علـــى الـــرغم من أن بعض الملوك قد زعموا أنهم ينحدرون مباشرة من نسل الآلهة أو أن أجدادهـــم كـــانوا آلهـــة ، فإنهم لم يكونوا موضع عبادة كبشر ، لقد عضدت الآلهة حكمهم وشـــدت مـــن أزرهـــم ضد من يعارضهم وفى حروبهم . فقد كان الحق المقدس هو العماد الأساســـى للنظام الملكى ولعل قول أنتينوس ، أحد الخطاب ، لتليملخوس أن الآلهة تشد من أزره وأنه يتوجه إلى الآلهة مرة أخرى فى توسله ألا يكون ملكاً ، ونلمس المساندة الالهية دائمـــاً للملوك والأمراء كما هو الحال بالنسبة لكل من أوديسيوس وتليماخوس فقد شملتهما الربة أثينا بتأييدها ومساندتها فى حلهم وترحالهم ،كما نجدهما قد حظيا بعطف الإله زيوس رب الأربـــاب . فعلى سبيل المثال قد خاطبت أثينا أوديسيوس بقولها "من المؤكد أنى سأقف إلـــى جانبك وأنى لن أنساك حتى يأتى الوقت الذى تُقضى فيه مهمتنا هذه ، أما أولئك الذين يطـــاردون زوجك ويبعثرون ثروتك فإنى أراهم الآن وقد صبغت دماؤهم ورءوسهم المهشمة أرض قصرك" .

كـــان الملـــك بمثابة الكاهن الأكبر ، فكان عليه أن يقوم بتقديم الأضاحى الدينية فى المناسبات والأعياد الدينية المختلفة وذلك لتكريم الآلهة الكبرى بغرض رفع الضر عن شعب مملكته وازالة العقبات التى تعترضهم . وكانت الأضاحى فى الغالب من الحيوانات وإن كانت هـــناك أضـــاحى بشرية فى بعض الأحيان . والجدير بالذكر أن رب كل أسرة كان هو الآخر

يقــوم بتقديم القرابين فى الأعياد والمناسبات لتكريم الآلهة كما فعل نستور فى بيته بتقديمه الأضاحى فى مناسبة دينية .

وأما عن سلطة الملك القضائية : فقد كان الملك هو القاضى الأعلى فى مملكته ولكنه كان يقاسمه فى تنفيذ العدالة أرباب الأسر النبيلة داخل أسرهم دون عودة فى ذلك إلى الملك . وتوجــد بعــض الاشــارات فى الأشعار – خاصة فى الأوديسة – تشير إلى العدالة والظلم الملكى . ففى إحدى الفقرات نجد ما يأتى : أيتها السيدة بينلوبى لن يستطيع أحد من البشر فى الأرض التى لا حدود لها أن يلومك . فقد وصلت شهرتك أجواء الفضاء ، كشهرة أفضل الملــوك ، ذلــك الــذى يخشى الآلهة ويحكم بين الناس العديدين والأقوياء ، يدعم العدل ، والأرض الســوداء تحمل القمح والشعير ، والأشجار مثقلة بالفاكهة ، وتنتج القطعان دون فشل ، ويزخر البحر بالأسماك ، بفضل القيادة الرشيدة ويصلح حال الشعب تحت زعامته .

وإذا كانت بعض الأبيات تكشف لنا عن قوة ، وسطوة الملوك ، فإن لدينا أبيات أخرى تشــير إلــى أن سلطة بعض الملوك قد بدأت فى الضعف والتدهور نتيجة ازدياد قوة الأسر النبــيلة . إذ نجد أن أرباب الأسر يناقشون الملك فى أفعاله وتصرفاته ويشاركونه فى اتخاذ القــرارات فى بعض القضايا ليس هذا فحسب بل أيضاً نجدهم قد تجرأوا على النظام الملكى ونظام وراثة الحكم الذى يعتبر اساس النظام الملكى . فيكشف لنا هوميروس عن مشهد نجد فــيه "أرباب الأسر النبيلة قد شاركوا الملك فى سلطة اصدار الأحكام والفصل فى القضايا " فقد تجمهر الناس فى مكان الاجتماع إذ قامت مشادة بين رجلين من أجل دية قتيل وقد أخذ أحــد الرجلين يعلن أمام الجميع أنه دفع كل شىء ، بينما أنكر الآخر أنه لم يتسلم شيئاً على الاطلاق ، وكل منهما يرغب أن يفصل الحكم لصالحه ، وقد أحاط بكل من الخصمين أنصاره ، وهم يلغطون ويثرثرون ، ولقد حاول المنادون فرض السكون والنظام ، وقد جلس النبلاء فــى هيــئة نصف دائرة على مقاعد من الحجارة المصقولة يحملون فى أيديهم الصولجانات وكــل منهم يقف فى دوره ليدلى بحكمه فى القضية . ونستخلص من هذا المشهد أنه لم يعد مــن حــق الملــك وحده الفصل فى القضايا وإنما يشاركه فى ذلك أرباب الأسر النبيلة وأن دورهــم لم يعد دوراً استشارياً وإنما أصبح لهم دور رئيسى فى الفصل فى الأمور ، بل نجد

البعض منهم قد تطلع إلى تولى الحكم وذلك للغيبة الطويلة للملوك ، وقد نجح البعض منهم فـى ذلـك كما هو الحال بالنسبة لأجاممنون فقد كان الموت ينتظره فى قصره ، بينما فشل البعض الآخر فى محاولته وهذا ما حدث مع أرباب الأسر النبيلة فى إيثاكا فقد تطلع البعض مـنهم لتولى عرش المملكة بعد غيبة أوديسيوس الطويلة وعدم معرفة مصيره وتركه لولده وهو فى المهد صبياً . فقد حاول بعض النبلاء انكار حق تليماخوس فى تولى عرش المملكة بعـد أبـيه ولعل قول أنتينوس ، أحد خطاب بينلوبى ، لتليماخوس "يبدو أن الآلهة قد بدأت تشـد مـن أزرك ، إنك بحكم بنوتك لأبيك وريث لعرش هذه المملكة ، وإن كنت أبتهل إلى الآلهة ألا تصبح ملكاً فى يوم من الأيام" . ورد عليه تليماخوس بقوله "قد يسوءك أن تعرف أنـى سأكون مسروراً بقبول منصب الملك من يدى زيوس وقد تقول أنت إن أسوأ ما يمكن أن يصـيب المـرء هو أن يصبح ملكاً ، أما أنا فعلى العكس من هذا أرى أن منصب الملك لـيس شراً فهو يزيد من سطوة من تقلده ويوفر الثروة فى بيته ، ولكن مع ذلك ، فإن بين الآخييـن عـدداً وافراً من النبلاء سواء منهم الملوك أو الشباب وأن واحداً منهم لابد وأن يصبح ملكاً على إيثاكا . . . بعد أن مات أوديسيوس الطيب " ورد عليه يوريملخوس ــ أحد الخطـاب ــ أى تليماخوس ، أن الآلهة هى التى ستقرر من من الآخيين سيصبح ملكاً على إيـثاكا " نسـتخلص مـن الفقرة السابقة ان السلطة الملكية كان يتولاها الخلف عن السلف بتعضيد من الآلهة ، ولكن هذا الحق بدء يتطلع إليه أبناء الأسر النبيلة الأخرى فى المملكة نتـيجة لغيـبة الملك الطويلة ولضعف الوريث الشرعى وعدم أهليته القانونية نظراً لأنه لم يـبلغ سن الرشد ، وأمام كثرة المتطلعين للعرش نجد أن أوديسيوس عندما عاد إلى أرضه ومملكته قد تخفى فى زى شحاذ حتى يتدبر أمره ويتخلص من هؤلاء النبلاء ويسترد عرشه وملكـه ، فقـوة الملـك إذن هى التى تمكنه من أن يملك زمام الأمور بالقوة . ويؤكد هذا العـراف لوكريتوس بقوله "لو قدر لأوديسيوس نفسه أن يعود وتاق قلبه أن يطرد الخطاب النـبلاء من قصره الذين يأكلون على موائده، فلن تجد مع ذلك زوجته أى متعة فى عودته علـى الرغم من أنها تتحرق شوقاً إليه ، وعلى العكس فسيلقى مصيراً مؤلماً لو حارب ضد أعـداء أكثر عدداً" وهكذا لقد كان على أوديسيوس أن يحارب ضد قوى أكثر عدداً بكل قوته ومكـره كى يستعيد عرشه ، ولعل كلماته فى ابتهاله للربة أثينا خير شاهد على دقة وضعه

."إذ يقــول : كـــان مـــن المحتوم بكل تأكيــد أن أهلك فى قصرى ، وأن ألقى مصيراً بشعاً كمصير أجاممنون لو لم تنبئينى أيتها الربة بكل شىء بالحق".

كان بعض الملوك ينزلون عن سلطاتهم لأبنائهم نتيجة لعجزهم الجسدى وعدم قدرتهم علـــى القيام بالمهام المنوطة بهم ومن الأمثلة على ذلك فى أن الابن يشغل العرش فى حياة أبيه أوديسيوس الذى خلف أباه لأراتيس على عرش ايثاكا وأيضاً حديث أخيل لأوديسيوس فى العالم السفلى إذ نجده يقول لأوديسيوس "أخبرنى عن بيلبوس الممتاز إن كنت قد سمعت عـــنه شـــيئاً أم لا ، ألا يـــزال يحتل مركزه الشرعى أم هل نحى عنه جانباً لهرمه ولاختلاج أعضائه ، ولأنى لم أعد عوناً تحت أشعة الشمس أحمى سلطاتنا بقوتى " ولكن القاعدة هى أن يخلف الابناء آباءهم فى الملك بعد موتهم، وكان الملك يؤول إلى أكبر الأبناء الشرعيين سناً وذريته من بعده ، و إذا لم يوجد أبناء شرعيون فإن الحكم كان يتولاه ابن غير شرعى ، ولديـــنا أمـــثلة كثـــيرة على ذلك منها "دعاء هيكتور لولده أن يحكم بالقوة فى طروادة ، ونقـــاش لنتيـــنوس مـــع تلـــيملخوس ولـــد أوديسيوس والذى سبق ذكره ويؤكد على حق تليملخوس فى أن يرث عرش والده، كما تكشف لنا مقولة أخيل لاينياس " لماذا ؟ هل أملى علـــيك قلـــبك أن تشتبك معى فى معركـــة ، أملاً فى أن تنتزع سيادة بريام على الطرواديين مروضـــى الخـــيول ، كلا ، حتى لو قتلتنى فلن يضع بريام ، بسبب ذلك ، زمام السلطة فى يديك ، فلديه أبناؤه وهو رجل حازم ولم يعثرا لوهم عقله. وأيضاً محاولة منيلاوس أن يكون لـــه ولد غير شرعى يخلفه فى الملك . وتكشف لنا الأشعار أيضاً عن أن العرش كان يؤول إلـــى زوج ابنة الملك الذى لا ولد له ، ولعل تولى منيلاوس عرش اسبرطة بعد زواجه من هيليـــنى خـــير شـــاهد على ذلك ، وأيضاً من يتزوج زوجة الملك الميت ، فقد جعلت غيبة أوديسيوس الطويلة النبلاء فى مملكته يرنون ببصرهم إلى الزواج من زوجته بنيلوبى فمن يفـــوز بيدها منهم قد يصبح ملكاً ، ففى تقريع تليملخوس لانتينوس السابق الذكر خير دليل علـــى ذلـــك إذ نجـــده يقول "هنا فى ايثاكا التى تحيطها المياه من كل جانب ، ملوك آخرون عديدون بين الآخيين شباب وشيوخ ومن الممكن أن يعتلى أحدهم العرش، مادام أوديسيوس قد مات . وأيضاً يؤكد هذا رد يوريملخوس على تليملخوس إذ يقول "إن ذلك فى علم الآلهة

مــن سيكون ملكاً من الآخيين على ايثاكا ، ولكن يمكنك أن تحتفظ بأملاكك وأن تصبح سيداً في بيتك ، دع بنيلوبي تختار خليفة أوديسيوس كملك وزوج وسوف يسود السلام كل ايثاكا ، وسيحصــل الخاطب الموفق على العرش، ويمكن له "تليماخوس" أن يتمتع بكل ميراثه في ســرور وأن يأكل ويشرب في حين ترعى هي منزل رجل آخر" . ولعل طمع هؤلاء الخطاب في عرش ايثاكا مرجعه طول غيبة أوديسيوس والفراغ السياسي الذي تركه ، هذا من جهة ، ومــن جهة أخرى إن ولده كان ضعيفاً فقد تركه وهو في المهد صبياً . ولكن عندما اشتد عــوده وقوى نجد أن الخطاب بدأوا يخشونه بل نجدهم قد تآمروا على قتله . ولكن الأحداث تكشــف أن أســرة أوديســيوس هي أقوى الأسر وأن ملكها سيدوم . وهذا ما أكدته نبوءة العراف ثيوكليمنتوس والتي سنذكرها فيما بعد .

تطالعنا الأشعار الهومرية أيضاً بأن ممالك ودويلات بلاد اليونان قد عرفت نوعين من المجــالس أو الجمعــيات أولهمــا مجلس أو جمعية شيوخ ونبلاء الأسر وثانيهما الجمعية العمومــية الشــعبية التي تضم جميع المواطنين من النبلاء والعامة . أما عن جمعية شيوخ الأســر النبــيلة فقــد كانت تجتمع بناءً على دعوة الملك لأخذ مشورة اعضائها والاستماع لآرائهــم وللحصول على موافقتهم على ما يتخذه من قرارات وأحياناً لابلاغهم ما اتخذه من قــرارات ، فقــد كــان دور القــادة والنبلاء ينحصر في اسداء النصح للملك وتقديم الاقــتراحات له ، فقد قال الملك نستور لأجاممنون في أثناء اجتماع الشيوخ ما يأتي "خليق بك أكثر من أي انسان آخر أن تتكلم وأن تستمع" على أي الأحوال كان رأي جمعية الشيوخ غير ملزم للملك فقد يأخذ أو لا يأخذ به ولدينا مثال لدعوة موجهة من الملك للقادة والنبلاء لابلاغهــم بقرار اتخذه ، فقد جمع الملك الكينوس القادة والرؤساء في مملكته وعددهم اثنى عشــر رجلاً يطلق على كل واحد منهم لقب (Basileus) وأخبرهم بقراره بارسال حرس مع أوديســيوس في رحلته إلى ايثاكا ، ثم اقتاد أوديسيوس إلى الوليمة المعدة على شرفه دون أن يقــف لحظة واحدة للاستماع إلى تعليقاتهم أو معرفة رد فعلهم . ولا يوجد دليل بأن لهم سلطة تشريعية .

وكـــان هـــؤلاء القادة والشيوخ يصحبون الملك إلى مكان عقد الجمعية الشعبية التى يدعوها الملك للانعقاد حيث تتلى القرارات . وكانت الجمعية الشعبية تجمع المواطنين جميعاً وتعقد فى السوق (Agora) وكان يدعوها الملك أو ابن الملك متى شاء ودون إعلان سابق ولـــم تكـــن هناك تواريخ محددة لمناقشة الشئون والقضايا العامة؛ وخير أنموذج على ذلك دعوة تليماخوس لعقد الجمعية العمومية لمناقشة عدم عودة أوديسيوس وجيشه وفى نفس الوقت مناقشة ما يحيق به وبيته من شر مستطير من قبل الخطاب .

وتكشـــف لـــنا الأشعار أيضاً عن أنه كان يمكن لأحد الملوك فى معسكر الحملة على طـــروادة أن يدعو الجمعية أو الجيش للاجتماع لمناقشة أمر وشأن من شئون الجيش مثلما فعـــل أخـــيل عندما حلت نقمة الإله أبوللو بالآخيين ورغبته فى معرفة السبب ولرفع الضر عنهم.

تكشـــف لـــنا الأشـــعار عـــن أن اجـــتماع الجمعية الشعبية ينعقد عند الفجر إذ نجد هومـــيروس يقول "عندما ظهر الفجر ذو الأصابع الوردية ، ابن الصباح ، نهض تليماخوس مـــن فراشـــه وارتـــدى ملابســـه وفى التو أمر الرسل ذوو النبرات القوية الواضحة بدعوة الآخييـــن للاجـــتماع ، وقـــد قاموا بالنداء وسرعان ما تجمع الآخرون حقاً ، وعندما يكتمل الاجـــتماع كان يفتتحه أكبر الأعضاء سناً وبعد ذلك يحدد سير النقاش نظام التتابع أكثر من تحديـــده نظام أقدمية محددة ، حتى إذا لم يبق متحدث انفض الاجتماع ، ومن يريد التحدث كـــان ينهض من مكانه ويمسك بصولجان يقدمه إليه الرسول ، وهو عصا سحرية بالمعنى الحـــرفى الدقـــيق تمنح للمتكلم حصانة وقدسية . وكان المتحدثون فى الاجتماع من شيوخ الأسر والنبلاء ، كما كان تقديم الاقتراحات من حق الصفوة لا العامة . فقد كان على العامة عـــدم ابداء الآراء فى حضرة القادة والنبلاء الأشراف ، فعندما تجرأ رجل من العامة يدعى ثرســـتيس علـــى أن يقف خطيباً فى الجمعية العمومية ويوجه اللوم والتقريع إلى أجاممنون الـــذى كان السبب فيما دب بين الصفوف من خلاف . وكان الملوك والنبلاء لا يشجعون هذا الموقـــف على الرغم من معرفتهم مقدار الخطأ الذى يحيط بتصرفات أجاممنون . ولذا نجد الملـــك أوديســـيوس ينهض ويوجه حديثه إليه قائلاً "إن حديثك قد يكون فيه فصاحة ولكن

تنا ليس به متسع لمصلحتك أيها المعتوه . يا أحقر من تبع آل أتريوس ، كيف تجرؤ على تتلفظ بأسماء الملوك أو توجه التقريع ... فلتنصت إذن لقولى . وأنها ليست تهديدا سوف : أنى إذا أمسكت بك مرة أخرى وأنت متلبس بمثل هذا التهريج الذى قمت به اليوم .. فلن يكون تليماخوس من صلبى إن لم أنزع ملابسك حتى تبدو عارياً ثم ألهب ظهرك أقذف بك إلى حيث تولول بجانب السفن. ثم ضربه بعصاه على ظهره وكتفه ، فانفجر باكياً والتهب ظهره من أثر الضرب وحبس وقد بدا عليه الذعر وغلبه الألم ، بينما طفرت الدموع من عينيه وجعل ينظر حوله فى حالة تدعو للرثاء " وهذه الفقرات من الالياذة تشير إلى عدم قبول النقد من قبل طبقة العامة والحديث بغير استئذان وعدم اتباع القواعد ، ولكن فى الأوديسة نجد أن القادة النبلاء كانوا يتوقون إلى سماع حديث العامة وابداء آرائهم فيما يعن من مشاكل ولضمان تأييدهم . إذ نجد أن منتور قد شكا قرب نهاية الاجتماع الذى دعا إليه تليماخوس من صمت العامة إذ نجده يقول "والآن فإنى غاضب حقاً على بقية الشعب لأنكم جميعاً تجلسون يخيم عليكم السكون ولم تعنفوا الخطاب وتضعوا حداً لتصرفاتهم ، على الرغم من أنهم قلة وأنتم الكثرة ، ولكن لوكريتوس العراف رد عليه بسخرية بقوله "لا فالكثرة ليس لها مصلحة وهم على الحياد ، وعلى هذا فنحن وأقاربنا واتباعنا نفوقكم أنتم وكل قوة تستطيعون جمعها ، وأوديسيوس نفسه سوف يلقى مصيراً مؤلماً إذا حارب ضد أعداء يفوقونه . ولكن نستشف من عبارات انتينوس التى قالها بعد محاولة قتل تليماخوس الفاشلة والتى حض فيها الخطاب على استدراج تليماخوس لقتله فى الحقول خشية أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد لأخبارها بتآمر الخطاب ، فإن اعضاءها لن يوافقوا إن سمعوا بكل هذه الأعمال الشريرة فاحذروا إذن حتى لا يضيرونا ويطردونا من أرضنا فنذهب إلى بلاد الآخرين ، ونجد فى قول نستور لتليماخوس تعبيراً واضحاً عن أن الشعب كان يمثل السند والعضد للحاكم وأنه قد بدأ يأخذ دوراً فى شئون الممالك إذ نجده يقول "خبرنى هل ترضخ طائعاً مختاراً ، أو أن الشعب يكرهك فى كل أنحاء الأرض ، ملبياً نداء الدار ونجد فى موضع آخر أن الشعب قد تحرك بالفعل وثار على بعض القادة حتى قبل حرب طروادة والد انتينوس كاد أن يفتك به الشعب لولا انقاذ أوديسيوس له وذلك لذهابه مع القراصنة التافيين للاغارة على التسبروكيانيين الذين كانت تربطهم بهم مودة .

وإذا كان لجتماع الجمعية العمومية لا يكون للتصويت أو اصدار القرارات ، فقد كانت وظائفه ذات شقين : عرض الآراء المعارضة والمؤيدة من قبل الأشراف . وتوضيح الشعور السائد لدى الجميع للملك أو القائد الأعلى والذى وجدناه فى الاوديسة يعمل له القادة حساباً .

وهــذا يعد تطوراً وهو رغبة القادة فى تأييد الشعب لما يعرضون عليهم من قضايا، وكــان العامة يعبرون عن تأييدهم للفكرة أو الموضوع المعروض بالتصفيق والذى كثيراً ما كــان يتم بشكل غير منتظم ، بينما كانت صيحات الاستهجان هى المعيار لرفض واستهجان الموضوع المعروض من قبل العامة .

ويرى البعض أن التنظيمات الاجتماعية ذات الصفة شبه السياسية كانت أساسية فى حــياة المجتمع الهومرى مثل القبائل (Phylai) والبطون (الأخوة) (Phratries) والعشائر (gene) والعــائلات وممتلكاتهم (Oikoi) . ويرى بعض الباحثين أن اليونان الذين هاجروا فــى حوالــى عام ٢٠٠٠ ق.م كانوا ينظمون فى جماعات تجمعها أواصر الدم والقرابة أو القرابة الصورية وهذه الجماعات كانت تنقسم إلى قبائل وعشائر (gene) ، ويرون أنه على الــرغم مــن عــدم ذكر القبائل والعشائر فى وثائق المجموعة الخطية الثانية ذات الطبيعة الاداريــة والاقتصــادية فــان القــبائل كانت موجودة . بينما يرى البعض الآخر أن القبائل والعشــائر كــان أول ظهــور لهــا فى العصر المظلم. وأول ذكر للقبائل الدورية نجده عند تــيرتايوس (Tyrtaeeos) (Frag 1) فــى العصــور التاريخية فى أسبرطة وقد وجدت هذه القــبائل فى المدن الدورية الأخرى بالاضافة إلى قبائل محلية ، كما أن النقوش تكشف عن وجــود القبائل الاتيكية الأربع فى أثينا وفى منطقة ايونيا فى ساموس وميليتوس وافسوس وتيوس هذا بالإضافة إلى قبائل محلية وقد خدمت هذه القبائل كوحدات إدارية وعسكرية فى المجتمعات المتطورة . ومن المرجح أن هذه القبائل كانت موجودة فى فترة الغزوات الدورية والعصر المظلم فى منطقة أتيكا وأثينا التى نظمت هجرة أعداد كبيرة إلى منطقة أيونيا وفى ضوء ما سبق يمكننا القول أن النظام القبلى كان معروفاً فى عصر هوميروس .

وتنظيم لجتماعى آخر ورد ذكره عند هوميروس هو تنظيم (Phratry) ويرى العلماء أن تحديد ماهية (Phratry) يمثل معضلة ومن أعقد المشاكل بالنسبة للتنظيمات الاجتماعية

اليونانــية . ويــرى البعض أنها وجدت فى التنظيم الاجتماعى منذ عصور مبكرة واستمرت حــتى القــرن الثانى الميلادى ، إذ تكشف لنا النقوش أنها ازدهرت فى المجتمعات الأيولية والدوريــة. كمــا أن القرائن اللغوية تشير إلى أن اليونان الأول قد عرفوا نظام phratries عندما دخلوا بلاد اليونان حوالى ٢٠٠٠ ق.م وكلمة phrater مع تصحيف بسيط تعنى الأخ فــى المعنى الأدبى فى كثير من اللغات الأوربية الحديثة ، ولكن فى الواقع ابتداء من عصر هومــيروس فــإن اليونان استخدموا الفاظاً أخرى للتعبير عن معنى الأخ مثل adelphas و kasignotes ويــبدو أنهــم استخدموا phrater بمعنى الأخ ولكن وسعوا معناها وأصبحت تعــنى الأخوة أو مجموعة من الناس تجمعهم رابطة الدم . وقد وجدت كلمة phratry جنباً إلى جنب مع القبيلة فى الإلياذة إذ نجد نستور العجوز ينصح أجاممنون أن يقسم رجاله إلى قــبائل و phratry . ولعــل هوميروس يشير إلى فترة القرن التاسع عندما بدأ الأرستقراط يجمعــون حولهم مجموعات من ذوى القربى ويجمعها أواصر الدم وهى phratry التى قد تكون تحت إشرافهم ويشير إلى ذلك مجموعة من قرائن العصر المظلم إذ تظهر الطبقة العليا متحكمة فى كل مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وملاحظة نستور تكشف لنا أن الشخص الذى لا ينتمى فى عصره إلى مجموعة يكون فى وضع خطر .

أمــا عــن genos فقد كان المؤرخون فى الماضى يعتقدون أنgenos اليونانية هى الأســرة بأوســع معنى للكلمة ، ورأوا أن genos هى مجموعة من الأفراد تجمعهم أواصر القربى ورابطة الدم عند اليونان الذين هاجروا فى حوالى ٢٠٠٠ ق.م . ويرى نفر آخر أن genos لــم تظهر فى عصور ما قبل التاريخ والفترة الباكرة من العصر المظلم ، وقد وردت اللفظــة عند هوميروس كثيراً ، ولكن فى رأى البعض أنها على ما يبدو لم تكن العشيرة أو الأســرة الممــتدة ، ويرى نفر آخر أن "genos" هى العشيرة وقد وجدت عند هوميروس ويدللون على ذلك بعائلة برياموس ملك طروادة إذ كان عنده خمسون ولداً واثنتا عشرة بنتاً وأزواجهــم وأبناؤهم ويعيشــون جميعاً سوياً فى قصر . فالعشيرة تتكون بشكل رئيسى من مجمــوع الأســرة والتى يدعى أعضاؤها أنهم ينحدرون من جد مشترك وكلهم يحمل نفس الاسم وهو اسم الجد وعلى الجميع أن يكرسوا لعبادة الجد المشترك . ويرى علماء آخرون

أن العشـــيرة قـــد وجـــدت نتـــيجة اتحاد عدد من الاسر الغريبة بعضها عن بعض لأسباب اقتصادية وسياسية وأدى هذا الاتحاد إلى قيام العشيرة.

ونـــواة المجـــتمع الهومرى هى الأسرة والتى أطلق عليها مصطلح "oikos" والذي يعـــنى الأسرة وممتلكاتها الثابتة والمنقولة من كل نوع . وهذا المجتمع كان يتكون من عدد من الأسر وعلى رأس كل "oikos" بطل وكان هذا البطل مسئولاً عن تصريف شئون الـــ "oikos"جمـــيعها ، سواء بالنسبة للأفراد أو الممتلكات ، وكان الأفراد يتكونون من الزوجة والابـــناء والأحفاد والعبيد والاتباع . وكان العبيد من الذكور والنساء ، وكان يتم شراؤهم ، ومنهم يومايوس (Eumaeos) والذى أخذ رهينة وبيع لأسرة اوديسيوس ، كما أن مصطلح "Therapon" الوارد فى الإلياذة والأوديسة له معانى كثيرة ومنها التابع والصديق ، ومن أمـــثال هـــؤلاء فونكـــس (Phoenix) وباتروكلوس كانا صديقين لآخيل ، كما نجد أن أغلب هـــؤلاء الأتـــباع غـــير معـــروف الأصل فيما عدا قلة منهم كانوا من الفارين من عائلاتهم وأغلبهم كانوا ضحية سوء الحظ وحصلوا على الأمن والأمان والمكانة عندما الحقوا أنفسهم كأتـــباع لبعض العائلات الثرية (oikoi) وفى أغلب الأحوال كانت العائلة تقبلهم فى oikos بغرض الوجاهة وزيادة قوتها العسكرية فكلما زاد عدد الاتباع زادت قوتهم العسكرية .

وهكـــذا نجـــد أن معـــنى oikos يغطى أكثر من مظهر فله مظهر اقتصادى ومظهر إنساني فكان من الأفضل من الناحية الاقتصادية أن يكون الـــ oikos مكتفياً ذاتياً وانتاج كل ما يحتاج إليه ، وإنتاجه كان يوضع بين يدى رب oikos والذى كان عليه أن يوزعه حسب رغبته وهواه . ولهذا فان الـــ oikos يكون وحدة إنتاجية واستهلاكية وأن أغلب احتياجاته كـــان يتم تلبيتها من موارده ، دون الحاجة إلى إقامة علاقات خارجية وبعيدة عن المقايضة الـــتجارية وســـنعود للحديث عن ذلك عند الحديث عن اقتصاديات الأسرة . وهكذا فقد كان لأربـــاب الأســـر سلطة مطلقة فى تصريف شئون oikos الاقتصادية . أما المظهر الإنسانى فكان لكل من رب oikos ورب العشيرة سلطات واسعة من الناحية الدينية والقضائية أيضاً .

فـــرب الأســـرة أو رب العشـــيرة هو كاهنها الذى عليه أن يقيم الاحتفالات ويقدم أو يشـــرف على تقديم الأضاحى ، أيضاً هو القاضى بين أفراد بيته وعشيرته فيما ينشب بينهم

ـــن نزاع وخلاف ويحكم فى قضايا القتل وأيضاً فى الجرائم الأخلاقية خاصة العلاقات غير الشـــرعية الآثمـــة . وكـــان يحكم بالإعدام على مقترف الإثم ، فسوء سلوك الابنة والأتباع والخـــدم كانت عقوبته الموت أو الطرد ، فقد شنق أوديسيوس الإماء اللواتى أقمن علاقات جنســـيةً مـــع الخطاب وعصوا سلطة كل من بينلوبى زوجته ومديرة البيت ، كما أنّ راعى الماعـــز ميلانثوس الذى ثار ضد سادته كانت عقوبته التشويه ، وفى حالة ارتكاب الزوجة لجريمة الزنا كان يحكم عليها بالموت أحياناً وبالطرد أحياناً أخرى ، وجريمة قتل الزوج من قـــبل الـــزوجة هـــى القتل . إن عقوبة الطرد كانت موتاً نظرياً وكان الطرد مصحوباً أحياناً باللكمات والرجم بالحجارة وكان يخرج من موطنه . وكانت هناك عقوبة معتدلة وكانت تأخذ شـــكل atimia أى الحـــرمان من الحقوق المدنية وكان يعزل فى مكان ما بالضيعة ويعيش علـــى الصـــدقات . كما أن المنتحر الذى أجرم بإراقة دماء العشيرة كان يعامل مثل الأحياء فكان لا يدفن جسده وكان يشوه بقسوة أحياناً .

وإذا كانـــت سلطة الأب (رب الـــ *οιχοφ*) مطلقة فى تصريف شئونه ، فإن الأشعار تكشـــف لنا عن قلق واهتمام بعض أرباب الأسر حول نسائهم ، وأبنائهم الذين كانوا مصدراً للسعادة وضماناً لاستمرار العائلة وأتباعهم وأخيراً ممتلكاتهم .

ففى الأوديسة نجد أوديسيوس يشكر الملك الكينوس على حُسن وكرم ضيافته وعلى الترتيـــبات التى أعدها له من أجل عودته إلى وطنه إيثاكا بتلك الكلمات "حينما أعود أتمنى أن أجد زوجى الطيبة بالمنزل ومن أعزهم فى صحة جيدة ، وأتمنى أن تكونوا أنتم الفاكيين مصـــدراً لســـعادة أســـركم وزوجاتكم الطيبات وأطفالكم ، أتمنى من الآلهة أن يمدوكم بكل الـــبركات وألا يمســـس أهلـــيكم الضـــر" . وفى الإلياذة نجد أن المتعاهدين من الطرواديين والآخيـــين قـــد اســـتنزلوا اللعنات على من يخرق شروط الاتفاق بأن تشق عقولهم وعقول أبـــنائهم أيضـــاً ، وأن تسترق زوجاتهم لآخرين . ولما كان الأبناء زينة الحياة الدنيا ، فإننا نجد أن والد فونيكس قد لعنه عندما أغوى عشيقته بتحريض من أمه فقد تمنى ألا تكون له أبـــناء مـــدى الحـــياة ومن ثم مدمراً لآماله بألا تكون له ذرية . ويعبر نستور العجوز عن ســـعادته بأبـــنائه بقوله "إن هبة العمر الأخضر والمديد للرجل فى منزله أن يكون له بنون

أذكـــياء وفرســــان شجعان" . وقد تضرع أوديسيوس للآلهة بأن يصل إلى سن كبير مزدهر وأن يكــون له ولد طيب صالح" . وقيل أن والد أخيل قد حصل على هبات طيبة وخبيثة من الإلهة ، فقد كان أكثر الرجال ثروة وحظاً ومع أنه قد تزوج من زوجة إلهة إلا أن الآلهة قد مسته بالشر فلم يرزق إلا ولد واحد والذى قُدر عليه أن يموت شاباً مما كان يعنى نكبة فى أســرته وذلك لعدم وجود خلف يعقبه فى ملكه وثروته . ويعبر أخيل عن حزنه العميق على مـــوت رفيقه وصديقه باتروكلوس بقوله "فلا شىء أسوء من ذلك الذى أتحمله ، إلا إذا ما سمعت بموت والدى . . . ولا حتى إبنى المحبوب الذى يربى الآن فى اسكيروس Scyros . فقد آمنت اننى الوحيد سأفنى ، ولكن باتروكلوس سيحضر نيوبطوليموس إلى فثيا Phthia ويريه كل شىء : كنوزى ، خدمى، وصالتى ذات السقف السامق .

وإذا كـــان الأبطـــال حريصين على أسرهم وممتلكاتهم فقد كان موت البطل دفاعاً عن أســـرته ونمـــاره يمكن احتماله فيقول هيكتور "قاتلوا جميعكم بالسفن ، فإذا ما ضرب واحد منكم بسهم أو بحربة فيلقى حتفه ، ينبغى أن يموت أنه لشىء محمود أن يموت الرجل وهو يدافـــع عـــن وطـــنه ، ولكنه سيترك خلفه زوجة وابناء آمنين مع بيته وأرضه عندما يبحر الآخيون إلى أوطانهم فى سفنهم .

ويخاطـــب هيكـــتور زوجته أندروماخى قائلاً "اننى لموثق بأن بريام وقومه وطروادة المقدســـة سيكون نصيبهم الهلاك ، ولكن لا طروادة ولا القوم فيها حتى ولا أمى وأبى مما يشـــغل قلبى بقدر ما يشغله ذلك اليوم الذى قد يأتى عليك ، وفيه يحملك أحد الآخيين أسيرة تكدحيـــن فى النسج فى أرض الآخيين ، فيراك أحد الناس فيقول هذه امرأة هيكتور . . ليت الأرض تطبق علىّ قبل ذلك اليوم" . ثم نجد أندروماخى وهى ترثى زوجها بقولها "لقد قتلت وأنـــت فـــى ميعة شبابك وتركتنى للأيم . أما ولدك وولدى فلا يزال طفلاً، وأخاف ألا يدرك الشـــباب ، فتســـقط هـــذه المديـــنة قـــبل ذلك . وقـــد ذهبت عنها ، وانت حامى ذمارها ، وســـيحملوننا قريباً أمهات وأطفالاً إلى السفن . وستكون أنت يا ولدى معنا تقوم على خدمة الغريـــب فى أسر شائن . ولعل أحد الآخيين يصرعك ثم يمسك ويقذف بك من فوق السور ، أجـــل أحد الآخيين الذين قتل لهم هيكتور فى الحرب أباً أو ابناً أو أخاً . . . "لمصير المدينة

المستولى عليها يمكن أن يستحضر أسوأ الصور – كما سبق أن ذكرنا وما ستؤكده قصة البطل ميلياجر نجده لا يصغى لمناشدات والده وأمه وأخوته وأقرانه وأصدقائه الذين شعر نحوهم بالحب ، كى يقاتل ، حتى توسلت إليه زوجته كليوباترا وهى دامعة بكلمات تذكره بكل أنواع المعاناة والمآسى التى تحل بالرجال الذين يتم الاستيلاء على مدنهم فى الحرب والنزال فيقتل الرجال وتأتى النيران على القلعة ويحمل المنتصرون الأطفال والزوجات المملوءة بالصحة سبايا .

ولم تكن العلاقات الزوجية هى موضع الاهتمام الوحيد للأبطال الهومريين فقد كان نسبهم وشجرة عائلتهم مهماً أيضاً ، فالأبطال كانوا يعرفون بأسماء أسرهم ، والبعض منهم ذكر بأسمائهم وأسماء آبائهم . والبعض الآخر يذكر عدداً من الأجداد . فالبطل جلاوكوس يعدد شجرة نسبه عبر خمسة أجيال من الأسرة . وبطل آخر هو أوخثيوس يتتبع شجرة عائلته عبر ستة أجيال . ونجد بعض الأبطال يحبون أن يعودون بنسبهم إلى إله مثل أخيل وأيدمونيس ومثل أهل فلكيا الذين أغضبوا بوسيدون غضباً يفوق الحد لأنهم أنقذوا أوديسيوس وأعادوه إلى إيثاكا محملاً بالهدايا . ومما ضاعف من حزنه وغضبه – على حد قوله – أن أهل فلكيا ينتمون إلى سلالته . ويقدم لنا أوديسيوس، أى وصفه لرحلته إلى العالم الآخر ، فصلاً طويلاً يستعرض فيه نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون .لكن العكس نادراً – حتى أن كاليبسو لحتجت " أيها الإلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبارى فتنقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، إذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيز على قلبها شريكاً فى فراشها . وكان التفاخر بشجرة النسب والعائلة يلزم البطل بأن يتصرف على نحو بطولى مشرف فادعاء البطولة فضيلة ، فأوديسيوس المتنكر طلب من ولده تليماخوس ألا يخزى جنس والده الذى كان فى الماضى يتفوق بفضل شجاعته ورجولته فى كل الأوقات وكما ناشد نستور الآخيين بأن يتصرفوا بشكل سوى فطلب منهم أن يضعوا ايدوس فى قلوبهم وأن يتذكروا أسرهم وأطفالهم وممتلكاتهم وآبائهم ، ولم يكن المولد النبيل كافياً للمحافظة على ادعاء البطولة ، فكان يجب على البطل أن يتوفر له شروط أخرى ومن أهمها القوة والمقدرة القتالية الضرورية ليس لحماية أسرته

وممـــتلكاته من المغيرين فحسب بل أيضاً لزيادتها عن طريق السلب والنهب ، كما كان على الـــبطل أن يكـــون قادراً على الثأر والانتقام بنفسه من الأشخاص الذين يتحرشون به وأهل منزلـــه وممـــتلكاته . وكانت مكانة البطل تعتمد على عدد أفراد أسرته ونوعيتهم واتباعه . فخطـــاب بينلوبى لم ينكروا على تليماخوس أن يكون سيداً لمنزله ومن ثم عضواً فى دائرة الأبطال ، فقد كان مصدر خطر عليهم ، وذلك من خلال دعوته الجمعية الشعبية الانعقاد مما أكـــد تفوقـــه وامتيازه ، خاصة وأن دعوة الجمعية الشعبية على ما يبدو كانت قاصرة على الملـــك وحده ، وأيضاً من خلال تكوينه لنفسه اتباعاً وتجهيزه سفينة ببحارتها واقلاعه إلى كـــل من مملكة بيلوس واسبرطة متحدياً بذلك رغبات الخطاب الذين تسأل البعض منهم عن نوعـــية الاتباع هل هم من أخيار نبلاء أثيكا أم من اتباعه الشخصيين ؟ فكانت الإجابة هى أنهم من أخيار الناس من بعدهم . ولذا فقد بدأ بعض الخطاب يشعر بالخطر وبدأوا فى تدبير مؤامرة لقتله والخلاص منه.

لقد كان الشغل الشاغل لرب الأسرة "البطل" أن يحافظ على رخائها وحماية ممتلكاتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فإذا ما فشل فى حماية ممتلكاته فإن ذلك يعنى الخراب المالى له ولأسرته وفقده لكرامته ووضعه البطولى . وتكشف لنا الأشعار أن الأسرة النبيلة التى ليس لديهـــا القـــدرة علـــى الدفـــاع عـــن أملاكها قد تكون فريسة للأسر الأكثر قوة . فممتلكات أوديسيوس كانت تستنزف وتهدر من قبل خطاب بنيلوبى التى خاطبتهم بعد أن نفد صبرها . "أيها الخطاب الذين تلتهمون ما فى المنزل بحجة أنكم تريدون الزواج بى ، هاكم الآن محكاً لمهارتكم هاكم قوس أوديسيوس فمن استطاع منكم أن يحنيها بيديه فى سهولة ويرمى منها ســـهماً . . . . فهو الذى سأتبعه مغادرة هذا المنزل الذى لن أذكره إلا فى الأحلام ، ويقول أوديســـيوس للخطاب بعد أن كشف عن نفسه : ظننتم أيها الكلاب أننى لن أعود ، فالتهمتم منزلى وخطبتم ود امرأتى ، وأنا لا أزال حياً ، ولم تخشوا الأرباب ولم تحسبوا للناس حساباً ولهذا أتاكم جميعاً الهلاك بغتة. ولعل رد ابوريماخوس ، أحد الخطاب ، يعبر خير تعبير عن ذلـــك عندما يخاطب أوديسيوس بقوله فقد أسيء إليك اساءة فاضحة ، سواء أكان ذلك فى البيت أم فى الحقل، ولكن هو ذا الذى أثار كل هذا قد سقط أمامك ، وهو انتينوس ، ولا أحد

ســواه ، ولم يكن يقصد إلى الزواج فقط بل كان قصده أن يملك على هذه الجزيرة ، بعد أن يدمر بيتك تدميراً ، ولكننا سنعيد إليك ما التهمنا من مالك عشرين ضعفاً . وإذا كانت عودة أوديســيوس قد أنقذت ملكه وماله من أيدى الطامعين فيهما ، فإن مخاوف اندروماخى على اسرتها والتى أسرتها إلى زوجها هيكتور قد تحققت .

وبعد أن عرضنا لقلق الأبطال على أسرهم وأولادهم وممتلكاتهم وتفاخرهم بأنسابهم ومــا ينبغى أن يكون عليه تصرف الأبطال لمواجهة المشاكل ننتقل للحديث عن وضع المرأة فى الأشعار الهومرية .

لقــد تمتعــت المــرأة بمكانة اجتماعية عليا وعلى الرغم من أن الإلياذة ملحمة قتال وحــرب وسجال ، وتزخر بصور الشجاعة ، والبطولة وتمجد الرجل إلا أن الشاعر قد أفسح فــيها مواضــع لإبراز دور المرأة . وأما الأوديسة فهى : ملحمة طويلة حافلة بالمغامرات ، وقصــص الــبحار ودور النســاء فيها أبرز منه فى الإلياذة حتى لقد قيل أنها كتبت لتمجيد المرأة . فالحرب الطروادية نشبت بسبب إغراء هيلينى ، والعريقة النسب، لنز الأنوثة ذات جمــال أخــاذ ، وكان الزواج منها سنداً قوياً ، إن لم يكن سنداً شرعياً ، لمنيلاوس .[وكان النســب إلى الأم أمراً مألوفاً فى بلاد اليونان خلال عصرها القديم بل إن الانتساب إليها كان يعــد شرفاً كبيراً] . وكانت ولاية العرش تتحقق بالزواج من الملكــة . إذ صار إيجسثوس Aegisthus ملكــاً علــى موكيــناى بزواجه من كليتمنسترا وفى أثيكا كان تليملخوس بن أوديســيوس يقوم بدور الوصى على أمه بينلوبى ، فيما يبدو، غير أن العرش كان سيؤول حتماً إلى من تختاره الأم زوجاً من بين الخطاب .

كانــت زوجــات الأبطال تعامل باحترام ، ويتمتعن بحرية الاختلاط بالرجال دون قيود وتجالس بينلوبى رجال البلاط فى غياب زوجها أوديسيوس وتحظى بالحفاوة والتكريم حتى مــن هــؤلاء الخطاب الذين طارحوها الغرام وعرضوا عليها الزواج والذين لم يتحرجوا من العبث بأماء القصر ، ويصور الشاعر بينلوبى على أنها رمز للقلق والوفاء الشديد ، وتعيش حــياة الذكريات والآمال بعودة زوجها ، لذا فهى ماكرة وجســورة ، وتدبر كل من هيكابى زوجــة بريام ، وأرتى زوجة الكينوس ملك فلكيا شئون بيتهما كما تدبر الملكات وكل منهما

صديقة لزوجها وناصحة له ولعل الأخيرة أقوى مركزاً من الأولى لأن أوديسيوس يُنصح بأن يحـوز رضـاها قبل أى شىء آخر ، وهى تشترك فى الحديث فى البهو الكبير بالقصر مع زوجها الملك على قدم المساواة .

كانـت هيليـنى تحضـر مجلس بريام ومستشاريه فوق أسوار طروادة وحتى عندما عـادت إلى زوجها منيلاوس فى أسبرطة غُفرت لها زلتها وعاشت معززة دون انتقاص من سـمعتها أو مسـاس بكرامـتها . قـد ظهـرت فـى البهو بعد انتهاء كل من تليماخوس وبيزاستراتوس من طعامهما ، وجلست على كرسيها الكبير ، وأمطرت زوجها بالأسئلة عن الـزوار ، ومثل سيدة مجتمع فقد بدأت تسترجع ذكرياتها بسرعة والتى تضفى التكريم على أوديسيوس والد تليماخوس .

وكانـت المرأة الهومرية تتحرك بغير قيود ولم تكن حبيسة المنزل كربة بيت ـــ فنجد أن هيلينى ووصيفاتها كن يتحركن بحرية ، فعندما أخبرت ايريس Iris بشأن اقتتال زوجيها منـيلاوس و بارس أسرعت بمغادرة منزلها وتسلقت جدران المدينة حيث يجتمع الشيوخ ، لتشاهد النزال بينهما . وعندما سمعت اندروماخى زوج هيكتور بانسحاب الجيش الطروادى اندفعـت بجـنون إلـى جـوار السـكائيين ومعهـا مربيتها ، وطفلها الصغير استياناكس (Astyanax) . وعـندما سـقط هيكتور تحت ضربات أخيل فإن والدته هيكوبى كانت على سور المدينة وتلتف من حولها النسوة الطرواديات التى أعطت إليهن إشارة النواح والنحيب ، و أريـتى (Arete) كانت تتنقل بحرية حول المدينة والكل يحيونها . ونجد ابنتها ناوسيكا (Nausicaa) تخرج إلى أطراف المدينة فى صحبة وصيفاتها ، لغسل كتان القصر .

ويصـور الشاعر صيحات النساء التى تسمع خارج أسوار طروادة كما أن النساء كن يتشـاجرن فـى الطرقات . وتكشف لنا الصور على درع أخيل النساء وهن واقفات بأبواب منازلهن لمشاهدة حفل زفاف .

كانـت النسـاء تتزاورن إذ توضح الإلياذة لنا زيارةً من هذا النوع فى الكتاب الثالث عشر نجد ثيتيس (Thetes) ، والدة أخيل ، تذهب إلى بيت هيفايستوس الحداد ، لتطلب منه

أن يصـــنع أسلحة لابنها ، وتستقبلها زوجته خاريس فتأخذ بيدها لادخالها وإجلاسها بعد أن خاطبتها باسمائها وألقابها المقدسة . وعلى الرغم من أن هذه الصورة لمجتمع الآلهة ، إلا أن حـــياة الآلهة تكون عند هوميروس صورة مطابقة لحياة البشر . إذ نجد أن أندروماخى كانت تزور أقاربها .

وإذا كانت المرأة لم تكن مقيدة الحركة وتمتعت بمكانة سامية فى المجتمع الهومرى ، إلا أن هومـــيروس لم يقدم لنا صورة للمساواة بين الرجال والنساء أو إمكانية ممارسة أو المشـــاركة فـــى الحـــياة العامـــة فلا يشتركن فى الحرب أو السياسة أو الحكم أو الإدارة . فمناقشـــة الأمـــور العامـــة كانت شأن الرجال . فقد أمر تليماخوس والدته أن تنسحب من الحجرة فى مناسبتين : أولاهـــا : عندما قرر أن يدعو الجمعية الشعبية للانعقاد ، وثانيتها : عـــندما أكـــد حقوقه فى التخلص من القوس فقد أمرها بالذهاب إلى الداخل للقيام بأعمالها *(ε)/ργα)* ومـــنها النســـج علـــى نولهـــا وأن تأمر إماءها بأن يقمن بأعمالهن بهمة . إن المناقشـــة *(μυ=θοφ)* مـــن شـــأن الـــرجال منهم ومنى فأنا صاحب السلطة فى السيطرة *(κρα/τοφ)* فى هذا المنزل .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن النسوة من بطلات وملكات كن نسوة محبات للمنزل . وكـــان لهن أجنحة خاصة بهن بينما كان للأزواج أجنحتهم ، فكان للزوج حجرته الخاصة والـــتى كـــان يدعو زوجته بها ، وأيضاً بعض الخليلات . ففى منزل أوديسيوس كانت هذه الحجـــرة فى الطابق الأرضى ، بينما كانت حجرة بنيلوبى (Thalama) على التراس ، فوق الـــبهو ، والـــتى كان يمكن الوصول إليها عبر سلالم المنزل. وكانت حجرات النساء مزودة بمدفأة حيث توقد النار بها فى ليل الشتاء وحتى فى الصيف ليحصلن منها ليس على الدفء فحســـب بـــل أيضـــاً علـــى الضوء . وكانت النساء تستخدم أحواض معدنية للاستحمام فى حجراتهـــن ففـــى أثناء إقامة منيلاوس فى مصر بطيبة أهداه مضيفه بوليبوس (Polybus) حوضـــين مـــن الفضـــة ، وكانت النساء يحصلن على وجباتهن فى حجراتهن ولا يشاركن الـــرجال فـــى وجـــباتهم ولا مآدب الضيوف فى البهو . وعندما ينتهى الرجال من طعامهم ومآدبهم كانت النساء تلحقن بهم وحتى أكثر من ذلك فقد جلس بعضهن على رأس الجموع

وهـذا ما فعلته أريتى . وعندما أقبلت هيلينى بعد انتهاء الضيفين من طعامهما وجلست فى كرسيها الكبير فى البهو .

ونسـاء الشـعر الهومـرى قـد قمن بالغزل والنسج والتطريز والاشراف على إماء وخادمـات المنزل بمساعدة واحدة منهن أو أكثر . فكن يشرفن على صنع وتنظيف الملابس لكـل الأسرة ، الرجال والنساء ، وكن يقمن بعمل الخبز ، والكعك المستدير ، وطهى الخضر مـن الفاصـوليا والعـدس وعمـل الشـربة والحلـوى ، بينما كان الرجال فى المناسبات والاحـتفالات والولائـم يقومـون بتقطيع اللحم وشوائه ، وقد رأت النساء أن من الواجب عليهـن اسـتقبال الضـيوف بكرم ومودة فكن يشرفن على ترتيب سرير مريح فى المدخل للضيف .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن نساء الطبقة العليا كن يولين اهتماماً كبيراً بزينتهن ، وكـن يقمـن بذلك فى حجراتهن ، فعندما كانت ترغب الإلهة هيرا فى زيارة زوجها الإله زيـوس، كانـت تتزين بكل ما يجعلها جذابة وفاتنة إذ نجدها عطرت جسمها الجميل بعد أن تنظفه من الأوساخ والشوائب وارتدت "Inos" وهو رداء طويل ذات ثنايا وكسر ، وتزينت بمجوهـراتها. وكـان صـندوق الحلى والمجوهرات لسيدة نبيـلة هاماً وهذا ما يظهر من الهدايـا الـتى قدمها الخطاب لبينلوبى فبجانب الرداء "Peplos"* . كما أن هذا اللفظ كان يطلـق علـى القماش العريض المطرز ، ويطلق أيضاً على مفرش المنضدة الطويل المطرز والمحلى باثنى عشر دبوساً ذهبياً ذات أسنان ملتوية ، ونجد سلسلة من خرز الكهرمان ذات خلفية ذهبية عتيقة الطراز مثل تلك التى قدمها التجار الفينيقيون لوالد يومايوس عندما كان طفـلاً . وكانـت نسـاء الطبقة العليا فى طروادة يلبسن Inos وكان ثوباً رسمياً يرتدى فى المناسـبات ، بينما كان الزى اليومى بسيطاً فقد احتوى على رداء مستقيم "الخيتون" وبقدر مـا كان طويلاً وفقاً للسن والمقام ، وكان يلبسه الرجال والنساء على حد سواء وكان هذا

* Peplos هـو رداء دورى عريض خارجى للنساء يتكون من قطعة واحدة ويشبك بدبابيس عند الكتفين ولطول حسب الرغبة . ويطلق أيضا على الثوب الذى تطرزه الفتيات الأثينيات ليحمل فى موكب فاخر إلى معبد البارثينون لإهدائه للربة أثينا فى عيدها

الـــرداء مقلمـــاً أحـــياناً وفى أحيان أخرى كانت ألوانه زاهية للغاية . وهناك نوع آخر من القماش يمتاز بنفس الألوان الزاهية وإن كان نسيجه أفضل وأرق وكان يوضع على الأكتاف ، وكان هناك pharas الذى يلف حول الوسط ويشد بحزام ويخدم كمعطف للرأس .

ويبدو من الوهلة الأولى أن أردية النساء كانت مصممة لتغطيتها بدلاً من التأكيد على تقاسيم جسدها ، وكانت الأناقة عموماً فى نوعية الملابس الكتانية أو الصوفية الراقية أكثر مما هو فى التفصيلة . وكانت النساء يستخدمن الصنادل ذات النعال الجلدية البسيطة وتربط بشرائط جلدية منمقة حول مفصل القدم .

وتكشـــف لنا الأشعار عن أنه كان لبعض الأبطال عشيقات من العبيد أو من أسيرات الحـــرب ، بجانـــب زوجة واحدة فقط أو زوجات وهى أو هن اللواتى عقد عليها أو عليهن الـــزواج . لقد كان هدف الأبطال هو إنجاب الأطفال ولذا فقد كانوا مستعدين لتربية أطفالهم مـــن أكثر من زوجة ، كما أن الخط الفاصل بين الزوجة والخليلة كان رقيقاً للغاية فالزواج كـــان حقـــيقة ولـــيس قانونـــاً فى الواقع . إن رجلاً وامرأة يعيشان معاً فى منزل ومعلنون زواجهـــم للناس كانا يعدان بمثابة أزواج والزواج بين العائلات كان حقيقة معترف بها وله ســـمات العقـــد المقـــدس . والـــزواج لـــم يكن عملاً شرائياً فكان الزواج مصحوباً ببساطة بإجراءات تبادل الهدايا ، ولم تكن المرأة كما يردد بعض الكتاب مملوكة كأى شىء لزوجها ، ولكنه كان سيدها فيمكنه أن يعاقبها أو يطلقها إذا ما عرضت منزله لفضيحة كبيرة ، وكان يمكـــنه قتلها فى حالة الزنا وإن كان حذراً فى عدم فعله لأن هذا قد يؤدى إلى الثأر منه من قبل أسرتها . وهكذا فإن الخوف من غضب والد الزوجة قد يؤمن وضع الزوجة . ومع ذلك فقـــد كـــان للـــزوجة حقوقـــاً مسلم بها وغير قابلة للنقاش ولكنها غامضة ، فعقب انتهاء الاحتفالات المحددة للزواج كان يصبح من حق الزوجة الشرعية أولاً : أن تحصل على مكان منفصـــل فى القصر أو منزل زوجها . وأن يكون لها مكانة علية مثلما الحال بالنسبة لأريتى عـــند الملـــك الكينوس . فقد أكرمها الكينوس خير إكرام ، وقدرها تقديراً عظيماً ، كما نظر إلـــيها ابناؤها ونويها على أنها إلهة يلقون عليها بالتحية والسلام فى غدوها ورواحها إلى أى مكـــان فـــى المديـــنـــة ، ولم يكن ينقصها الحكم فقد كانت تقوم بإصلاح ذات البين بين

صـديقاتها وأزواجهن . لقد كانت أريتى زوجة مثالية لسيد عظيم مثالى ، وبالمثل بينلوبى الـتى كان لها سلطتها فى منزلها عندما لم يبلغ ابنها سن الرشد . ثانياً : ألا يكون لزوجها خلـيلة : فقـد كـان بعض الأزواج يخشى غضب زوجاتهم إذا ما أقاموا علاقة غرامية مع أخـريات . فقـد كانـت والدة أوديسيوس أنتيكليا (Anticlia) سيدة قوية الشخصية وتملك بناصـية الأمـور فـى بيـتها ، فعلـى الرغم من إعجاب زوجها لأرتيس بالأمة يوريكليا (Euryclia) الشـابة فكان لأرتيس يخشى غضب زوجته إذا ما ضاجع يوريكليا . وتكشف لـنا قصـة أخـرى عـن عـدم رضاء الزوجة عن سلوك زوجها ففى الالياذة نجد امينتور (Amyntor) قد فتن بأمة شابة وأهمل زوجه والدة ولده فونيكس ، فحرضت الأم ابنها على أن يقـوم بغوايـة عشيقة والده ، فأطاعها ابنها ونجح فى أن يوقع عشيقة والده فى شباك حبه فاعرضت عن والده مما أثار غضبه ولعنه اياه كما سبق أن ذكرنا.

وإذا كانت بعض الزوجات قد ثرن على العلاقات غير الشرعية لأزواجهن فإن البعض الآخر منهن قد وافق على تلك العلاقة أو غضضن الطرف عنها ، لقد كانت الخيانة الزوجية شـائعة حـتى تحت سقف الأسرة وسهلة المنال لأن حجرة السيد كانت وسط أجنحة الحريم بينما كانت حجرة الزوجة فى جزء آخر من المنزل . وبعض الأبطال كان يفضل الخليلة على الـزوجة فكان أجاممنون يفضل أسيرته خريسيس كعشيقة على زوجته كليتمنسترا ، ويقول أخـيل لقـد أحببت بريسيس أسيرة رمحى من كل قلبى ، والتى فى رثائها على باتروكلوس نجدهـا تقـول "أنه كان يواسيها حتى عندما قتل أخيل السريع زوجي واستولى على مدينتنا فـإنك يـا بتروكلوس لم تسمح لى بالبكاء وكنت تقول لى إنك سوف تجعلنى الزوجة النبيلة لأخيل العظيم ، وسيبحر معى إلى فثيا (Phthia) ونحتفل بالزفاف ". لقد كان وجود خليلات ومحظـيات جـزءاً من سياسة الأسرة، فمن الحكمة فى بعض الحالات أن يكون للمرء أبناء غير شرعيين والذين يرثونه فى حالة عدم وجود ابن غير شرعي . وخير نموذج على ذلك هو أن هيلينى ، التي لم تنجب ولداً ذكراً ، قد وافقت منيلاوس على تطلعه أن يكون له ولد ، ولـذا نجدها قد اشرفت بنفسها على زواجه أو علاقته بأمة وكان ثمرة هذه العلاقة انجاب ابـنه غـير الشرعى ميجابنثيس (Megapenthes) . ثالثاً : أن بعض الزوجات قد حصلن

علــى رعايــة شــئون الأسرة فى غياب الزوج وعدم وجود ولد قد بلغ سن الرشد وإذا ما حاولــنا تذكــر قــول أوديسيوس لزوجه عندما كان يجهز نفسه للذهاب للحرب فقد تصور إمكانــية عدم عودته تماماً ولذا نجده قد أعطاها المسئولية عن الميراث وعن أقاربه وابنه حــتى يــبلغ ســن الرشد إذ يقول " عندما تنظرين إلى ابنك ويصير رجلاً ذا لحية وتزوجيه المرأة التى يريدها ويترك منزلك ، فالأرملة تكون بمثابة سيدة الميراث وأن لم تكن وريثته ، طالمــا أن ابــنها قاصر، فإذا ما بلغ سن الرشد ينقل إليه الميراث . وحتى على الرغم من بلوغ تليماخوس لسن الرشد فإننا نجد بنيلوبى تعطى لنفسها الحق فى توبيخه.

وتكشف لنا الأشعار عن دوافع الزواج السائدة فى المجتمع الهومرى ، فنجد أن بعض الآبــاء من الأبطال الهومريين قد سعوا إلى تأمين قوة حربية إضافية وذلك بزيادة أتباعهم مــن الفرســان للدفاع عن أسرهم وممتلكاتهم وغالباً ما كان يتم تزويج هؤلاء الفرسان من بــناتهم الكريمات المحتد لضمان ولائهم . فنجد أن أزواج بنات بريام الإثنى عشر قد التفوا حوــله وكــانوا يســكنون قصــره ولذا نجد اسبرتون يزعم أن هيكتور كان يمكنه أن يحكم طــروادة ويمسك بزمام الأمور بها دون حاجة إلى تجنيد قوات أو حلفاء ولكن فقط بأخوته وأزواج أخواته .

وهكذا نجد بعض القادة "الملوك" يقدمون وعوداً بتزويج بناتهم لمحاربين أفذاذ مقابل خدمــاتهم مــثلما فعــل بريام مع أورثنيوس ، وكما فعل أجاممنون فقد وعد أن يزوج أخيل إحــدى بناته بعد الحرب . وأبطال آخرون قد تم إهدائهم عرائس من قبل آبائهن لشجاعتهم مثل بيلليفرون ، وأوديسيوس الذى عرض عليه الكينوس أن يزوجه ابنته ناوسيكا .

ودافــع آخر للبحث عن زوج للابنة هو الحرمان من الولد سواء أكان شرعياً أم غير شــرعى ، فقد سعى كيسيس (Cisses) والذى على ما يبدو لم يكن له ولد ، للحصول على وريث له وذلك بتربية حفيده إفيداماس (Iphidamas) وتزويجه إياه لابنته الثانية .

وتكشف لنا الأشعار عن أنماط للزواج ومنها :

١ - أن والد البطل كان يذهب يبحث لابنه عن عروس ، وهذا ما قام به الملك منيلاوس مــن أجــل ابنه ميجابنثيس ، ويدعى أخيل أن أباه سوف يبحث له عن عروس عندما يعــود إلــى وطنه بعد الحرب ، فهناك العديد من بنات القادة ،-الذين يحكمون القلاع ، سوف أتزوج واحدة منهن والتى أرغبها ويقع عليها اختيارى ، ولكن من المفترض أن والد العروس في هذه الحالة سيكون سعيداً لأن يعطي أبنته لأخيل كزوجة ، ونلاحظ هنا أن آراء البنات لم تذكر قط في أي موقع .

٢ - أن والد العروس كان يمنحها لقائد عظيم لتكون إحدى زوجاته وهذا النمط على ما يبدو كــان قاصــراً علــى طروادة وعلى الملك بريام وحده ، فقد أعطاه والد التيس (Altes) كزوجة له ولم تكن الزوجة الوحيدة . وقد قدم والدها لها الكثير من الهدايا.

٣ - الــزواج مــن السبايا مثل بريسيس (Brises) وأيضاً هيلينى وكليتمنسترا اللتان كانتا متزوجتين لازواج زناة هما باريس وأجاثيوس .

٤ - الزواج من خلال المنافسة بين الخطاب ، فكان على الخاطب لنيل يد ابنة أحد الأبطال ، أو زوجة بطل مجهول المصير أن يتنافس مع منافسيه فى مسابقة من المسابقات . ومن الأمــثلة على هذا حصول ميليوس على بيرو (Pero) فى فوزه فى المنافسة التى أعدها نيلوس والدها ، ومع ذلك لم يتزوجها ، بل زوجها لأخيه . وكان على بنيلوبى أن تختار زوجهــا الــثانى مــن خلال التنافس فى المسابقة بالقوس بين ما يزيد على مائة خاطب والذيــن كــانوا قد مكثوا فى بيتها لملين أن تختار واحداً منهم . ويبدو أن العادة هى أن والد العروس عندما يقرر زواج ابنته فإنه يعلن الأمر ويدعو الخطاب كي يتقدموا لخطبة ابنته ، وكان الخطاب من كافة المناطق يزورون والد العروس الذى كان عليه أن يسكنهم ويســتقبلهم كضــيوف ويقــيم لهــم ولــيمة ، وبالطبع لن يحضروا خالى الأيدى ، فقد يحضــرون الطعــام لــرب البيــت وهدايا شخصية للخطيبة "ملابس وأغطية ، وحلى" . ويختلف كم وكيف الهدايا والحفلات وفقاً للوضع الاجتماعى للأطراف صاحبة المصلحة . فنجد أن بنيلوبى تذكر خطابها بكل ما سبق ذكره بالتفصيل إذ تقول : " إن الرجال الذين يــودون كسب ود امرأة نبيلة ، ابنة رجل ثرى ، يتنافسون مع بعضهم بعضاً ، ويجلبون

معهـــم مـــن انعامهم ، ومن خرافهم وثيرانهم دون أن يطلب منهم ، حتى يقيموا الولائم ويحتفلوا بأصدقاء السيدة ويقدمون لها الهدايا الرائعة . فأجابها أحد الخطاب "أنتينوس" تقـبلى الهدايا التى نحضرها لك يا بنيلوبى إذ لا يليق أن ترفضى الهدية ، ولكن اعلمى أنـــنا لن نبرح ساحتك حتى تختارى أفضلنا زوجاً لك . وافق الخُطَّاب على كلامه وأرسل كـــل رجل منهم تابعه ليأتى بهديته ، فكانت هدية أنتينوس ثوباً موشى فضفاضاً فى غاية الجمـــال ، مـــع اثنى عشر مشبكاً واثنى عشرة رصيعة ، بينما كانت هدية أيوريملخوس سلسلة بديعة الصنع انتظمت فيها خرزات من الكهرمان ، وقدم أوريداموس قرطين تدلت منهما ثلاث حبات من اللؤلؤ ، وأهداها آخر حلية نفيسة ... الخ.

إن إدخـــال الـــبهجة ، والسرور فى بيت العروس لم يكن إشارة مجاملة ، أو وسيلة للحصـــول علـــى ثروة فحسب بل أيضاً كانت مناسبة للتنافس الحقيقى بين الخطاب ، فكانوا يلقـــون الخطب أو يغنون ، ويرقصون أو يتحدى بعضهم بعضاً فى الألعاب الرياضية لإبراز قوتهم العضلية ، ومهاراتهم الشخصية . ويبدو أن هذه العادة استمرت فى بلاد اليونان فيما بعـد إذ يروى لنا هيرودوت أن كليسثينس (Cleisthenes) طاغية سيكيون (Sicyon) بعد انتصـــاره فـــى سباق العربات التى يجرها أربعة خيول فى أوليمبيا جعل منادياً يعلن أن كل الـــرجال الشـــباب الذيـــن يـــرون فـــى أنفسهم أنهم يستحقون الزواج من ابنته أجاريستى (Agareste) ، فإنـــه سوف يستقبلهم بعد ستة أيام ، وبالفعل توافد عليه اثنى عشر خاطباً مـــن زهـــرة شباب اليونان ، وحلوا ضيوفاً عليه لمدة عام أبهجهم فيا كليسثنيس ، فكان قد جهـــز حلـــبة المنافســـات للمصارعة والجرى ، وكان غرضه من ذلك أن يدرسهم ويراقب تصـــرفاتهم ــ خاصـــة على المائدة ــ وشهامتهم وشخصيتهم ، وأحلامهم وتعليمهم . وفى نهاية العام فقد انحصر اختياره بين اثنين منهم هما ميجاكليس (Megacles) وهيبوكليديس (Heppoclides) مـــع ميله للأخير ، وعندما اقترب موعد إعلان اختياره النهائى ، فقد أقام ولـــيمة رائعة ذبح فيها مائة ثور ؛ دعا فيها الخطاب ورجالات سيكيون وبعد شرب الخمر ، بدأوا يرقصون على أنغام الموسيقى ، ورقص هيبوكليديس الثمل على أنغام الفلوت ، وأخذ يقلد الاسبرطيين والأثينيين ، ثم قام بعمل نوع من الجسر بجسده ، بينما كان رأسه مستنداً علـــى المنضـــدة وبدأ يومئ برجليه فى الهواء ، ونتيجة رقصه وحركاته الماجنة أن صاح كليسثنيس لقد فقدت زواجك . وبعد ذلك طلب الهدوء وألقى خطبة قصيرة شكر فيها الخطاب وتأســـف لمن لم يقع عليه اختياره منهم واعداً إياهم بأن كل واحد منهم سيحصل على مبلغاً قدره تالنتاً واحداً من الفضة . وأخيراً أعلن أنه اختار ميجاكليس ليكون زوجاً لابنته .

أمـــا عن المهر ، والدوطة ، فكان الخاطب الذى يطلب يد خطيبة كريمة المحتد وابنة النبـــيل والملـــيحة الذكـــية ، من والدها ويتم الموافقة عليه ، كان يقدم مهرها ، أو هديتها (Hedna) ، وبعـــد أن يصحبها إلى داره الخاصة ، كان فى المقابل يتلقى من والدها دوطة (meilia) تناسب مركز الأسرة .

وكانت هذه الدوطة فى حالة طلاق ورجوع الزوجة إلى بيت أسرتها أو فى حالة وفاة زوجهـا وعودتها إلى بيت أهلها أيضاً من حق الزوجة ، فلم يهمل تليملخوس أن ينكر هذه الحقيقة إلى الخطاب الذين طلبوا منه أن يرسل أمه إلى أبيها.

إن الفتاة ، أو السيدة ذات الحسب ، والنسب ، والمواهب العظيمة كانت محل منافسة بيـن الخطـاب ونسـمع عـن خطاب يتنافسون بالهدايا خاصة فى الأوديسة سعياً لطلب يد بنيلوبى . ولكن يجب أن نذكر أنه عندما تذكر الهدية (hedna) لبنيلوبى، وبعد أن قال ابنها إن مـن يريد الزواج منها فليذهب إلى أبيها ليطلب منه يدها . ومن المستنتج أنها ستذهب إلى منزل زوجها الجديد ، وأن هذا الزوج لن ينتقل إلى منزلها هى (أو منزل أوديسيوس).

وهكـذا فمـن الواضـح أن مناسـبة الـزواج من هذا النوع كانت بالنسبة للأبطال الهومرييـن مماثلـة لأى مناسـبة من المناسبات الاجتماعية الأخرى والتى يتم فيها تبادل الهدايا .

ولكن عندما يكون البحث عن العريس من قبل والد العروس لابنته ، ففى هذه الحالة فإننا لا نسمع عن أن العريس قد قدم الهدية (hedna) . ولعل مساهمة العريس بخدماته أو بمسـاعدة أسـرته لأهـل عروسـه كانـت أكثر قيمة من الهدية (hedna) . ولعل عرض أجاممنون على أخيل أن يزوجه إحدى بناته ويعطيه الكثير من المدن دوطة لها خير انموذج على هذا النوع من العلاقة .

وكانـت مراسـم الـزواج تتكون بشكل رئيسى من النقل المقدس للعروس من منزل والدهـا إلـى منزل زوجها . وكان يسبق هذا الانتقال وليمة بهيجة (eilepine) يقيمها والد العـروس ، وعـندما يأتى المساء ، على الأقل بالنسبة للأسر الثرية ، تنتقل العروس إلى عربة على ضوء المشاعل ويصاحبها موكب ملائم لطبقة العروسين ، وقد قدم هيفايستوس عدداً من هذه المواكب فى منظر من المناظر التى نقشها على درع أخيل ، والتى تقودنا إلى افـتراض أنـه ينـبغى الاحـتفال بالزواج ، ففى أحد المناظر نجد حفلة زواج قد زين فيها مدينـتان ، ففى إحداها كانت احتفالات الزواج تتم على أضواء المشاعل المتوقدة ، وقد تم مصاحبة العروسين فى موكب عبر المدينة ، وكانوا يغنون فيه أغانى الزواج بصوت مرتفع

، بيـنما كان الفتيان يرقصون فى حلقات على أنغام المزمار والقيثارة ، وبينما كان الموكب يمر عبر الشارع كانت النساء يقفن فى شرفات منازلهن .

وبعـد انـتهاء موكب الزواج والوصول إلى بيت العريس كانت الخطوة الأخيرة هى إدخالها إلى حجرة زفاف العريس .

وتكشف لنا الأشعار عن خيانات بعض زوجات الأبطال وتصفها بأنها فعل سيئ، فنجد أن انـتقاداً قد وجه إلى كليتمنسترا زوجة أجاممنون لعلاقتها الآثمة بأخى زوجها وزواجها مـنه فقد كانت زوجة لأخوين أجاممنون وأجاسيثوس (Agesthus) فى وقت واحد. بل أنها تآمرت مع الأخير على قتل أجاممنون أخيه بعد عودته من حرب طروادة. وكان هذا الزواج يعـد قبـيح مقارنـة بما حدث لهيلينى فى الالياذة وزواجها من باريس . ولم تكن الخيانة قاصـرة على البشر فحسب بل نجدها بين الآلهة فقد قام الإله أريس (Ares) بإغراء الإلهة افروديـتى وكان هذا فعلاً فاضحاً ومشيناً . وكانت عقوبة جريمة الزنا هى القتل ، ولذا نجد أن العقوبة قد طبقت على اثنتى عشرة أمة من إماء أوديسيوس واللواتى أقمن علاقات آثمة مع خطاب بنيلوبى، ولم يكن هذا الفعل المشين يشرف بيت أوديسيوس وأثار غضبه وأنزل بهم العقاب بعد ذبحه للخطاب الذين قيل عنهم أنهم ارتكبوا أعمالاً سيئة باغتصاب النساء . ومـن الواضـح أن بنـيلوبى كانت ترى أن حب الخطاب كان يعد خطأ لأن زوجها لم يكن معـروفاً إذا ما كان على قيد الحياة أم لا وكانت ترى أنها إذا ما تزوجت سترتكب خطأ آخر فـى نظرها وفى نظر الناس ، وأن الخطاب يرتكبون الخطأ عندما يحاولون غوايتها وخاصة أن كـل الدلائـل قـد أتت إليـها مؤكدة العودة الآمنة لزوجها .ومن ثم كانت مماطلتها لهم مسـتخدمة فـى ذلك الحيلة . ولعل تأكدها من أن زوجها ما يزال على قيد الحياة هو الذى دفعهـا إلى ذلك ، وخاصة لم يكن هناك ما يمنعها من الزواج من رجل آخر لأن أوديسيوس نفسه عند وداعها ، وهو ذاهب إلى طروادة ، وأوصاها بالزواج بمن ترتضيه إذا لم يعد بعد مدة معينة ، وذلك عندما يشب وليدها ويصير رجلاً راشداً .

كان الغرض من الزواج أو اتخاذ خليلات عموماً هو إنجاب الأبناء الذكور الشرعيين

وغـــير الشرعيين ، فقد كان واجب الزوجين هو تأكيد بقاء سرمدية الأسرة بإنجابهما أبناء شرعيين ومن المفضل أن يكونوا أولاداً . إن دخول طفل جديد فى عالم الأسرة لم يكن عملاً بســيطاً ، فقــد كــان يصــاحبه عدد من الطقوس والتى كان الغرض منها هو التأكيد ، فى حضور شهود ، على اندماجه فى الأسرة وقبوله للعبادة المنزلية . فبعد أن تتم ولادة الطفل كـــان يــتم غســله ، وهذه كانت عقيدة التطهير ، ويلف فى كتان أبيض جديد ويربط بقماط ويوضــع فى مهد فى شكل سلة المحصول . وكان الطفل الوليد يقدم لوالده بعد ذلك والذى كـــان يمكن أن يرفضه لعجز جسدى به وذلك لأن العيوب تجعل الرجل غير مناسب لممارسة الطقوس الدينية المنزلية . وفى اليوم العاشر كان هناك احتفال آخر ، إذ تقدم فيه الكثير من الهدايـــا وتقـــام فــيه ولــيمة ويـــتم تسمية الوليد فيها . ولدينا مثال على ذلك فعندما أتى أوتوليكوس (Autolycus) لزيارة ابنته وزوجها لاأرتيس بمناسبة ميلاد أوديسيوس ، فبعد المأدبـــة قامت ابنته انتيكليا بوضع وليدها على ركبتيه وسألته أن يسميه ، وهكذا فإن ابن لاأرتـــيس قـــد تـــم تسميته بأوديسيوس ، وقد تم إدخاله أخيراً وبشكل رسمى فى الأسرة ، والمدينة مع وعد بهدايا رائعة من جده الذى صار كافلاً (godfather) (أى أبى العمادة) .

كـــان رب الأســـرة هـــو القيم على الأسرة ، ولكن إذا ما غاب عنها لسفر ، أو لقتال فلمـــن كانت الوصاية ، أو الولاية ؟ إن غياب رب الأسرة لا يفقده الوصاية والقوامة طالما أنـــه ليس له ولد قد بلغ سن الرشد وله أتباع . فعلى الرغم من غياب أوديسيوس فإنه ظل قـــيم الأسرة وذلك لأن تليماخوس لم يكن له اتباع وغير معروف إذا ما كان أوديسيوس حياً . فقـــد بقيـــت زوجه بنيلوبى بناء على طلبه فى منزله ، وكان من الممكن لها أن تعود إلى بيـــت أبيها وتدخل تحت وصايته . وعندما كبر تليماخوس وصار قادراً على ادعائه بأنه قيم لبيت أوديسيوس فقد كان يمكنه أن يبعث بأمه إلى بيت أبيها "جده". ولكن كان عليه إذا ما فعـــل ذلك أن يرد لها دوطتها ، كما كان يمكنه أن يسمح لها بالبقاء والعيش فى منزله وهذا ما حدث بالفعل ، ولكن إذا ما ثبت أن والده أوديسيوس ليس حياً ومن ثم فإن بنيلوبى أرملة فكان لتليماخوس السلطة الكاملة فى أن يتخلص منها بالزواج كوصى عليها .

وعلـــى الـــرغم مـــن انتقال الوصاية إلى الزوج عند زواج البنات ، فإنهن لا يفقدن الاتصال تماماً بأسرهن ، فقد كان كل من البنت وأسرتها تحافظ على بقاء الصلات المتبادلة والاهـــتمام بشئون بعضهما البعض . إذ نجد أن جد أندروماخى يفتدى ابنته ، فقد تم إرسال بيلليروفون (Bellerphon) لأسرة انتيا (Antia) للعقاب ؛ واللعنة التى استنزلتها أم مليجار عليه لقتل أخوتها .

لقـــد كانـــت عودة فارس غائب تمثل فرحة ما يعدلها فرحة أخرى ، فكان الفرح يعم جمـــيع أفـــراد الأســـرة فى الغالب الأعم ، وخير قصة على ذلك عودة أوديسيوس بعد طول غياب وبعد مغامرات عديدة ، فقد كانت بنيلوبى امرأته تتحرق شوقاً لرؤياه ، فحسب قولها لقـــد ذهب رواتها يوم سافر زوجها وزوى جمالها يوم مبارحة زوجها إلى طروادة، ووالده الـــذى كان يأسى من أجل فراق ابنه ، وأمه التى ماتت غماً وحزناً على ولدها ؛ وابنه الذى أثقلت كاهله هموم الحزن .

وقد سر أوديسيوس عندما وجد أسرته بخير وسره ما سمعه من زوجته بنيلوبى كى تحـــتال علـــى الخطـــاب الذيـــن تمنت لهم الموت والخلاص منهم ، فقد روت لأوديسيوس "المتـــنكر" حلمهـــا ، فكانت قد رأت سرباً من الإوز فى قصرها انقض عليه نسر وفتك بـــه، ولمـــا جطـــت تندب الأمر سمعت صوتاً يقول "ما الإوز إلا الخطاب وما النسر إلا زوجك" . وعـــندما تعـــرّف تيليماخوس على والده سر ، و ارتمى على عنق أبيه يبكى ويذرف الدمع الغزيـــر ، وســـرت المربـــية أوريكلـــيا هى الأخرى بالتعرف على أوديسيوس ولكنها كتمت ســـرورها بـــناء على طلب سيدها أوديسيوس ، وانتظرت إلى أن قتل الخطاب وذهبت إلى مخدع سيدتها تحمل البشائر السارة وخاطبتها قائلة انهضى يا ابنتى العزيزة وانظرى بعينى رأسك ما أملته طويلاً فقد عاد أوديسيوس وفتك بالرجال الذين عاثوا فى ملكه ، وبعد حديث طويـــل بيـــنهما تأكدت بنيلوبى من صدق المربية فابتهجت ووثبت على عنق المرأة العجوز وهى تبكى وتقول "أصدقينى الخبر الآن هل رجع حقاً إلى بيته وفتك بالخطاب وهو فرد وهم كثر ، وتستطرد قائلة إنك تعلمين أى سرور أجده بلقياه ، وبعد أن رأت أوديسيوس وتأكدت

أنه هو ركضت إليه وطوقته بذراعيها وقبلته قائلة عفواً يا مولاى إذا كنت قد أبطأت التعرف إليك ، فإن للرجال مكايد كثيرة ، وكنت أخشى دائماً أن يخدعنى أحدهم ، فيزعم أنه زوجى، وأما الآن فإنى أعلم إنك زوجى ولا أحد سواه وبكيا وهما متعانقان وتبادلا القبلات...

وتكشف لنا الأشعار أنه عندما يموت الرجل فكان من حقه أن يدفن وأن تقام له جنازة ، فقد كانت الأسرة مكلفة بها فى الغالب الأعم ، ويقع عبئها على عاتق الزوجة والأم والابن والأب ، فكانوا يأخذون الأدوار الرئيسية فى الاجراءات الجنائزية والتى كانت تتباين بصورة كبيرة وذلك وفقاً لحالة الأسرة ومكانتها ، فكانت الأسر الكبيرة تعتبرها موكباً أو مسيرة عامة والتى تبرز فيها ثروتها وقوتها وكثرة أتباعها .

إن عدم دفن الميت والفشل فى أن يسترد الأقران وأهل المتوفى جثته يمثل عدم احترام لأقربائه وأصدقائه . وقد حفلت المبارزات الهومرية المصحوبة بالتهديد والوعيد والسخرية وهى أن الكلاب (والنسور) سوف تحضر جثتك . فقد كان نكران الدفن يمثل أقصى عقوبة توقع على المتوفى ، وهى عقوبة كانت تفرض على الخونة والذين دنسوا المقدسات والمنتحرين ، فأرواحهم أو أشباحهم قد حُكم عليها بالتجول والهيام دون راحة، وقد تصبح خطرة فى بعض الأحيان .

فقد كان من الشعائر الجنائزية الشائعة حرق الجثة ، فقد كانت أرواح الموتى تتوسل من الركب بأن يتم حرق جثتهم ، فقد توسل شبح الينور ، وكان قد تكسرت رقبته نتيجة لسقوطه من شرفة منزل كيركى (Circe) لأنه كان ثملاً ، إلى أوديسيوس أن يحرق جثته وكل ما يملك عندما زار الأخير مملكة الموتى الواقعة خلف المحيط . وبنفس الطريقة فإن روح باتروكلوس تظهر لأخيل فى الحلم وتتوسل إليه أن يسارع فى حرق جثمانه . فالحرق وحده يعطى الراحة الأبدية لأرواح الراحلين حيث تفتح لهم أبواب هاديس ، وتشرح روح باتروكلوس ذلك الأمر على النحو التالى : فقد رأى أخيل فى منامه روح باتروكلوس التى خاطبته قائلة أتنام يا أخيل وتنسانى ! ألا ادفنى سريعاً، إنهم يحجزوننى بعيداً ، إن أرواح الموتى لا تحتمل بقائى ولن تدعنى أختلط بهم فيما وراء النهر ، وأنا أهيم فى هاديس

وحدى ، ساعدنى أتوسل إليك ، حيث أننى لن أعود مرة أخرى من هاديس ، عندما تحرقنى" . إن حرق الجثة يعنى أن الروح تترك عالم الأحياء وأصبح لا يخشى منها مرة أخرى .

ومما هو جدير بالقول أنه إذا ما كان الحرق هو الشائع عند هوميروس ، فإن الحفائر الأثرية قد كشفت أن بلاد اليونان فى العصور الهومرية قد عرفت عادة الدفن على نطاق واسع أيضاً ، فمقابر ديبلون (Diplon) فى أثينا كانت مخصصة لدفن الموتى، ومن الجدير بالذكر أن الأسر الكبيرة قد تحولت من عادة الدفن إلى الحرق .

ويقدم لنا هوميروس ثلاثة مشاهد لاجراءات الجنازة قبل حرق الجثة أولها : جنازة باتروكلوس فى الكتابين الثالث والرابع والعشرين من الالياذة وجنازة أخيل التى يصفها لنا أجاممنون فى الكتاب الأخير من الأوديسة وجنازة هيكتور ، وهذه المشاهد قد أكدتها رسوم المزهريات الجنائزية التى عثر عليها فى ديبلون . وكان هذا الطقس يتكون من المشاهد الآتية وهى غسل الجسد ودهنه وتغطيته بالكتان ووضعه على سرير ، وفرق المنشدين والأقارب من الرجال والنساء والأصدقاء والرفاق ، وغناء أنشودة حزينة والتى كان أثرها على الحضور الأنين ، والبكاء ، ففى جنازة هيكتور نجد أن اندروماخى زوجه تبدأ اللحن الحزين بالعويل قائلة : إيه زوجى ! لقد هلكت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للألم ... الخ ثم تولول أمه بقولها يا أحب أبنائى ... وبعد ذلك تبدأ هيلينى عويلها بقولها " يا أفضل من أحببت من أخوة زوجى .. ". وكانت النادبات النائحات تعول عويلاً طويلاً مع نهاية إنشاد كل بيتين من الأنشودة الحزينة .

وكان دفن الجثة يأخذ بعض الوقت ، فشبح باتروكلوس قد طلب ألا يكون الوقت طويلاً ، وجثة هيكتور قد ظلت تسعة أيام قبل حرقها ، بينما بقيت جثة أخيل سبعة عشر يوماً . وفى هذه الحالات فإن الجثث كانت تضمخ ، وكان يتم تقديم أضحية للميت وكان يسكب دمها فى أكواب حول الجثة . أما عن لحمها فكان يتم أكله فى مأدبة كبيرة . والطقس الثانى : كان يتمثل فى نقل الجثة فى موكب جنائزى إلى مكان الدفن ، فكانت الجثة

توضـــع على عربة ذات عجلات أربع ، وتصاحبها النائحات الساترات على الأقــدام ، بينما كان الرجال المصاحبون يركبون العربات إلى أن يصلوا إلى مكان الدفن . والطقس الثالث : وهو الحرق ، والدفن : فكان يأتي دور الأقارب المقربين للمتوفى، فكانوا هم الذين يقومون بهــذا الواجب ، فأقرب الناس وأحبهم للمتوفى هم الذين يجمعون الحطب ويعدون المحرقة ، ثم يضعون الجثة على كومة الخشب . وتقدم الأضاحي مرة أخرى التي كانوا يأخذون دهنها لتغطــية الجــثة، بينما يضعون لحومها وجرار العسل والزيت حول الجثة . فعند حرق جثة باتروكلوس فقد ضحى أخيل بأربعة جياد واثنين من كلابه وباثنى عشر شاباً طروادياً وألقى بهم في النار . وبعد انتهاء حرق الجثة فإن الخمر كان ينثر على الرماد لإخماده ، ثم تجمع العظام معاً وتلف في طبقتين من الدهن ثم توضع في جرة ، وبعد لفها في الثياب الأرجوانية يتم وضعها في المقبرة وتغطى المقبرة بالأحجار الكبيرة ثم يهال التراب عليها .

بعدهـــا يعود أفراد الأسرة إلى منازلهم ، وبعد أن يطهروا أنفسهم كانوا يشاركون في المأدبة الجنائزية التي يعدونها ، وكانوا يتصورون أن روح الميت تحضر هذه المأدبة. وفي الــيوم الثالث والتاسع كانت تقام مأدبة عند المقبرة للمتوفى نفسه . وهذه كانت نهاية فترة الحداد ، وهنا حسب تصورهم فإن روح المتوفى تكون قد أخذت مكانها في العالم الآخر .

وقد جرت العادة أيضاً بإقامة الألعاب الجنائزية بمناسبة موت بطل من الأبطال فقد كان الــناس مغرمين بالألعاب والمنافسات الرياضية و الفنية ، كانت تتكون من سباق العربات ، وركــوب الخــيل ، والملاكمـــة والمصارعة ورمي القرص ، والاقتتال مثل المبارزة ورمي الســهام والرماح ، أما عن المنافسات الفنية فكانت تتكون الغناء والرقص وقرض الشعر . وتصـــور لـــنا الأشـــعار الهومـــرية أن سباق العربات كان يمثل الملمح الرئيسي في الألعاب الجـــنائزية لـــباتروكلوس ، وكانت الآلهة تتدخل فيه وتتنافس مع بعضها البعض برعاية كل مـــنها لبطل من الأبطال المتنافسين . والجزء الأكبر من الكتاب الثالث والعشرين من الالياذة يقــدم لنا وصفاً حياً للألعاب التي أقامها أخيل بمناسبة موت رفيقه باتروكلوس ، وتقدم لنا الأوديسة أيضاً الحديث بين شبحي كل من أجاممنون وأخيل والذي روى فيه شبح أجاممنون

الألعاب التى عقدت بمناسبة موت أخيل ، وذكر فيه أن الشباب كانوا يتنافسون ويتبارون فى الـرقص والملاكمــة مــن أجل الحصول على الجوائز ، وأنه شهد الكثير من مآتم الأبطال والملـــوك ، ولكنه لم يشهد قط مأتماً يشبه مأتمه وفى سخاء الجوائز التى جاءت بها أمه ثيتــيس . وتكشف لنا هذه الكلمات عن أن ممارسة اللعاب الجنائزية كانت عادة منتشرة فى بلاد اليونان ، ولعل أحاديث نستور فى الكتاب الثالث والعشرين من الالياذة تؤكد هذا، فنجده يذكـر انتصـــاراته عـــندما كـــان شـــاباً فـــى الألعـــاب التى أقيمت فى تكريم امارنيكيوس (Amaryncus) ملـــك الابيانييـــن ، وفـــى نفس الكتاب أيضاً اشارات إلى الألعاب التى تم الاحتفال بها فى طيبة بعد موت أوديب .

ومـمـــا هـــو جديـــر بالذكر أن إقامة الاحتفالات الجنائزية وما يصاحبها من منافسات لـتكريم المـــتوفى كانـــت تســـمح لأهلـــه ولأخلائه وأصدقائه بأن يظهروا قوتهم وثروتهم وعظمتهم .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن الثأر من القاتل أو المعتدى على شرف الأسرة كان مـــن الأمور والقضايا العائلية ، وهذا الثأر يمتد إلى من قتلوا فى المعارك وكان على أقارب القتلى أن يأخذوا بثأرهم حيث كان من الأفضل أن القريب ($\gamma\nu\omega\tau o\nu$) هو الذي ينتقم بثأره مـــن القـــاتل ، لقـــد كانت أندروملخى تخشى أن ابنها قد يقتله أحد أقارب من قتلهم والده هيكـــتور وقتلهم . بل أن هيكتور نفسه بقتله لباتروكلوس قد أثار ثائرة أخيل رفيقه وجعله يخـــرج من عزلته وعزوفه عن القتال وينزل للثأر من هيكتور ويصرعه بالفعل انتقاماً لقتل رفـــيقه ، وربمـــا يمتد الثأر إلى من قتلوا سواء مصادفة أو غير مصادفة، مثل قول نيستور لتليملخوس إنه لشيء محمود أن يكون هناك ابن يحيى رجلاً مات مثل أوريستيس الذى أخذ بثأره من قاتل والده .

وكـــان يمكن للرجل القاتل أن يدفع فدية لأقارب القتيل إذا ما قبلوا ، ونظير دفعه لها يحصـــل على سماحهم وعفوهم ، ومن ثم يمكنه العيش فى جماعته ، وكان الانتقام لانتهاك

حـــرمة وشـــرف الأســـرة مـــن الأمـــور العائلية فقد انتقم أوديسيوس لانتهاك حرمة بيته واســـتنزاف مـــوارده من قبل الخطاب ، ورفض عرضهم بتعويضه عما استنزفوه والتهموه عشرين ضعفاً بل قال إن يدىّ لن تكفا عن الفتك حتى آخذ بثأرى منكم جميعاً، وعندما ذهب إلـــى والده كاشفاً له عن شخصيته ومخبراً إياه بنبأ قتله للخطاب فكانت فرحة والده غامرة ولكـــن كـــان يخشى أن تثير قبائلهم أهل إثياكا والجزر المجاورة عليـــهم . وبالفعل لما علم أهـــل الخطاب القتلى تنادوا للاجتماع فى ساحة السوق ووقف أنتينوس القتيل يخطب فيهم قائلاً "لا ريب فى أن هذا الرجل قد أنزل بهذه الأرض شراً عظيماً ، إذ استصحب كثيرين من الـــرفاق البسلاء إلى طروادة ، فأضاعهم جميعاً مع سفنهم وقد عاد الآن وقتل أمراء الشعب . وذلـــك عـــار علينا ، تصمنا به الأجيال القادمة إذا لم ننتقم من هؤلاء الذين فتكوا بأبنائنا وأخوتـــنا . حقـــاً إننى لا أرغب فى الحياة إذا بقى عمل كهذا بلا انتقام . فتعالوا إذن نسرع لـــئلا يركـــبوا البحر وينجو بأنفسهم ، وبالفعل اقتتل أهل الخطاب من اثياكا مع أوديسيوس وصـــحبه ولكن أوقف الاقتتال بأمر من الربة أثينا . إذ صاحت عالياً وقالت كفوا عن القتال يا رجال اثياكا فإنه لشديد عليـــكم" .

ومـــثال آخـــر علـــى ثورة الرجل لشرفه وكرامته . فعندما أخذت بريسيس من أخيل أهينـــت كرامـــته علانية ، وإذا ما ضاعت الكرامة مرة واحدة ، ضاع الوجود الأخلاقى لمن ضـــاعت كرامته . فالشرف لا يقاس كما تقاس البضائع فى السوق . والإهانة كانت تساوى ما تساويه الحرب ، فلم تكن بريسيس تساوى شيئاً .

ولكـــن أخذهـــا مـــن أخيل يساوى سبعة مقاعد لم توضع على النار اطلاقاً . وعشر تالنـــتات ذهبـــية ، وعشـــرين وعاء لامعاً واثنى عشر جواداً من تلك التى تفوز فى سباق الخيل، وعشرين أسيراً طروادياً وسبع مدن وزوجة من إحدى بنات أجاممنون وبعض أشياء أخـــرى ، وهـــذا هو تقدير أجاممنون ولكن هل قبل أخيل هذه الترضية ؟ الإجابة أنه رفض الترضية والهدية . وذلك لأن شرفه وكرامته قد أهينت .

كمـــا كان النفى بمحض الاختيار يمثل عقوبة للقتلة ، ويكون له آثار اقتصادية على أســـرة المنفى ، فقد أصبح لا يعول ولا يحمى أسرته ، وإذا ما كان صاحب مواهب ومهارات خاصـــة فأنه يمكنه أن يحيا حياة سعيدة مثل باتروكلوس كمقاتل ومثل كليمنوس كعراف. إن المـــنفى قد يمكن أن يكون كالغريب (Xenos) أو (Xeinas) ، ومن ثم يمكنه أن ينضم إلى أســـرة جديـــدة قد تقبله نظير ما يقدمه لها من خدمات . وكان هؤلاء الغرباء يتكونون من مقاتليـــن وعرافيـــن وأطـــباء وصناع ومنشدين . وكانوا يمنحون الطعام والكساء نظير ما يقدمونـــه مـــن خدمات . ويقول تليماخوس إن الشحاذ سوف يعمل لحسابه ، وأوديسيوس المتنكر فى ثوب شحاذ عجوز يمكنه أن يكسب قوت يومه من العمل الزراعى ، ولعل تحديه لأحد الخطاب فى أن يباريه فى العمل الزراعى من حرث وحصاد . هو خير شاهد على ذلك، كمـــا أنـــه فـــى تحديه يقول له أيضاً "إذا ما أثار زيوس معارك فى أى بقعة وكان لى درع ورمحيـــن وخـــوذة برونـــزية لأضعها على وجنتى ومن ثم فستراني فى مقدمتها بين القادة الأفـــذاذ . وهـــذا يعنى أيضاً أنه يمكنه أن يكون مقاتلاً . ومن الواضح أن الرجال المسلحين كـــانوا فئة هامة من الغرباء ،وكانوا يحصلون على ملبسهم وسكنهم لقاء خدماتهم . وحتى عابـــرى الســـبيل مـــن الغـــرباء مـــن الســـائلين المعونة مثل أوديسيوس والشحاذين مثل أوديســـيوس المتـــنكر . كان يمكنهم أن يحصلوا على مأوى ومأكل إذا ما وصلوا إلى سيد البيـــت ، وإذا مـــا كانوا يحملون أنباء سارة فإنهم فضلاً من المبيت والمأكل كانوا يحصلون علـــى هدايـــا مـــن ملابس وأحذية وأى شيء قد يحتاجونه للطريق ، وكانت هناك شريحة عريضـــة مـــن الغرباء وهم المسافرون من النبلاء . المسافرون فى أراض ليست أرضهم ، حلفـــاء حقيقيين فى الحرب ، وجرت عادة الأبطال الهومريين أن يوفروا أماكن لإراحة نبيل من النبلاء الذى يكون بعيداً عن وطنه فى زيارة عائلية أو لتجارة أو لأعمال قرصنة أو فى مهمـــة رسمية .لقد كان لأوديسيوس دائرة كاملة من الرفاق الذين يبادلهم الزيارات ، وكان تلـــيماخوس قـــد اســـتثمر هذه العلاقات عندما قام بسفرته باحثاً ومتقصياً لأخبار والده فقد استقبله كل من ملكى بيلوس واسبرطة بترحاب ، وفى اثياكا فقد استقبل تليماخوس مينتيس Mentes الكريتى وأوديسيوس المتنكر . وفى أسبرطة كان على كل من الملك منيلاوس

واتيونـــيوس Eteoneos تابعه أن يخلا البهجة على الغرباء لأنهم كانوا غالباً ما يبهجونهم فى أسفارهم .

وتكشـف لـنا الأشعار عن أن الشك كان يراود بعض بيوت الأبطال فى الزوار وذلك لظـروفها الخاصة ، فنجد أن عدم وجود سيد البيت ، كما هو الحال بالنسبة لأوديسيوس قد جعل ربة البيت بنيلوبى تتجاهل الزوار ، لقد كان الشك فى الزوار ليس غريباً فى عصر كان يصـعب التميـيز فيه بين التجار والقراصنة ، فبعض الأشخاص المسافرين "الغرباء" كانوا يعتـبرون أن العـنف شرعى للحصول على ممتلكات ، وحتى هؤلاء الذين استقبلوا بحفاوة وتـرحاب كـان يمكنهم أن يغدروا بمن استقبلهم كما هو الحال بالنسبة لبارس ، فقد غادر أسبرطة ومعه زوجة مضيفه ونصف ممتلكاته ، كما أن التاجر الفينيقى قد حصل على ثلاثة كؤوس وأمة وابن الملك وولى الأدبار ، وكان نتيجة هذا بيع ابن الملك كعبد لأوديسيوس .

وكانـت الضـيافة محكومة بقوانين ثابتة ، فعندما يقدم غريب حسن الملامح نفسه ، فـإن أحد أفراد الأسرة يقابله ويريحه من الرمح الذى يحمله الضيف الكريم دائماً ، ويمسك بـيده اليمنى ويقوده إلى البهو حيث يجلسه على عرش يواجه الموقد . وتأتى امرأة ومعها إبريق وحوض لغسل يدى الضيف ، ثم تضع منضدة أمامه وتضع عليها خادمة كوب وسلة خـبز ، ويحضر مقطع اللحم طبق لحم ، ويملئ حامل الكأس الكوب، وبعد أن يتناول وجبته يـتم سـؤال الزائـر عن اسمه وأسرته وعن وطنه ، والغرض من رحلته ، وإذا ما تملص الزائـر مـن السؤال فإن مضيفه يكون حذراً فى ألا يصر على السؤال فى الحال حيث ستتم الاستفسـارات فـى ظروف أفضل فيما بعد مثلما حدث مع أوديسيوس فى قصر الكينوس ، وكـان الضـيف يشارك الأسرة حياتها طوال فترة بقائه معها . فكان يتم إعداد سرير له فى المدخـل المـؤدى إلـى البهو ، وعندما يغادر ، كان يحصل على هدايا تتلاءم مع مركزه ، ويقدم له كأس الرحيل ، وتسكب السوائل لإرضاء الآلهة ، ويتم توفير الوسائل والأدوات

للتى تمكنه من مواصلة الرحلة سواء بالعربة أو بالسفينة وأحياناً ما كان يصاحبه أحد أبناء لأسرة كما رتب نستور لتليملخوس أو بواسطة خادم .

لقــد شــاع فى المجتمع الهومرى عادة إقامة الولائم والمآدب والاحتفالات ، فقد كان مــن واجــبات الأبطــال دعوة ذوى القربى والجيران والأصدقاء ورجال من نفس الطبقة ، لحضور احتفالات الأسرة أو العامة أو بمناسبة زيارة ضيف هام ، فإقامة مثل هذه الحفلات كــان يســبغ على السيد الهيبة والاحترام ، كما كان كرم الضيافة يمثل نوعاً من الاستثمار بالنسبة لبعض الأسر. كما نجد أن بعض نبلاء اثياكا والجزر المجاورة فرضوا أنفسهم على بيت أوديسيوس المفترض أنه قد مات وبينلوبى المفترض أنها أرملة . لقد تصرفوا كخطاب دائميــن والذين تمت دعوتهم من قبل سيد البيت . لقد كانوا يحتفون ويقيمون الولائم طوال الــنهار ويستنزفون طعام السيد الغائب وثروته . لقد كانت تلك الاحتفالات وما يصاحبها من ولائــم تكلــف مقاديــر وكميات كبيرة من الأطعمة والمشروبات ، فقد كان الرجال يتناولون ثــلاث وجــبات يومياً ، والتى تتكون بشكل رئيسى من الخبز واللحم المنقوعة فى النبيذ . فكــانوا يتــناولون طعــام الافطــار (ariston) فى الصباح والغذاء (deeponon) فى وقت الظهــيرة والعشــاء (derposi) فــى المساء . وعندما تقام الولائم فإن الحضور يتناولون وجبــتى الغذاء والعشاء . والفترة الفاصلة بينهما كان يقام فيها الألعاب والأغانى والرقص وأنــواع أخرى من التسلية والترويح . وتقدم الأشعار وصفاً رائعاً لإقامة المآدب فكان يقوم الجــزارون ، أو أحد أفراد الأسرة بذبح الحيوانات ، وسلخها ، وتقطيعها فى فناء المنزل ، وكانــت عملية الذبح تمثل نوعاً من التضحية على شرف إله ما ، فحينما كان يذبح حيوان فــإن أحد الأشخاص الحاضرين كان يحتفظ ببعض شعرات من شعر رأس الذبيحة ، ويلقيها فــى الــنار بيــنما كــان يتضرع لصالح الحاضرين . وقد قام يومايوس بهذا العمل لإدخال الــبهجة، والســرور على قلب أوديسيوس المتنكر وهو فى بيته . وكان يتم طهى الطعام – خاصة اللحوم – من قبل الرجال فى فناء المنزل فى الهواء الطلق ، ولكن إذا ما كان المناخ ســيئاً فــإن العملية كانت تتم فى بناية مسقوفة . وكانت النساء يقمن باعداد الخبز والكعك والشربة والحلوى .

وكـــان يـــتم اســـتقبال الضـــيوف الأعلى مرتبة فى بهو منزل الكينوس وكان يتسع لخمســين ضـــيفاً ، بيـــنما الضيوف الأدنى مرتبة فى المدخل والفناء الكبير . وكان الرجال المــرموقون هـــم الذيـــن يجلســـون وأمامهم مناضد ، بينما الآخرون يجلسون على الجلود المفروشة على الأرض .

عـــندما يحيـــن وقـــت تناول الطعام يأتى دور الفتيات ، فبعضهن كن يمسكن بأباريق وأحـــواض يصببن الماء على أيدى الضيوف ، وأخريات كن يحملن سلال الخبز وكأس لكل ضـــيف ، وكانـــت الكؤوس إما فضية وإما ذهبية وبعضها كان يزدان بالزخارف مثل كأس نســتور ذات المقـــابض الأربعة المزخرف باليمام . ثم يحضر مقطعو اللحم قطع اللحم على أطـــباق معدنـــية أو خشبية ، بينما كان حملة الأكواب والكؤوس يخلطون الخمر بالماء فى باطـــية كبيرة ذات مقبض وأرجل والتى كانت تُملئ منها الأكواب . وكان يتم تكريم الضيف بـــتقديم طبق إليه من قبل رب البيت نفسه . وبينما كان يجرى تناول الطعام فإن الشحاذين كـــانوا يحومـــون ويدورون حول المكان آملين فى الحصول على قطعة من اللحم والخبز . وكان الحضور يتناولون طعامهم بأصابعهم .

وبعد الانتهاء من الطعام والشراب فى قصر الكينوس ، يبدأ التسلية والترفيه، ويأتى علـــى رأسها انشاد الشعر من قبل المنشد المحلى مصحوباً بأنغام قيثارته . ويعقب الانشاد تسليات أخرى ، فبعض الضيوف كانوا يلعبون النرد ، بينما البعض الآخر كانوا يتبارون فى فـــناء الـــتكريم فـــى رمى القرص وقذف الرمح ، وأحياناً كان يتم ادخال السرور من خلال الحـــواة بألعـــابهم البهلوانـــية كما فعل مينلاوس فى حفل زواج ابن وابنـــة ، كما كان يتم اجـــراء منافســـات فـــى المصارعة والملاكمة . فخطاب بينلوبى فى ليلة طربهم ولهوهم قد حرضـــوا كـــل مـــن أوديســـيوس المتنكر فى هيئة شحاذ وبين الشحاذ إروس (Irus) على التشاجر وحثهما على أن يتلاكمان ويتصارعان . وكان بعض الرجال يمضون وقتهم فى جو من البهجة حيث كانوا يرقصون ، فالرقص كان جزءاً رئيسياً من تعليم وتربية النبلاء ، ولم تخـــل ولـــيمة أو حفلة من الرقص الذى كان يتبارى فيه الشباب لابراز مواهبهم وبراعتهم

الفنـــية . فكانوا يرقصون فى فناء المنزل وسط جموع المشاهدين الواقفين ، وكان الرقص مصـــحوباً بالموســـيقى والأغانى العذبة . وكانت الاحتفالات البهيجة تتوقف عند الغروب ، ولكـــن هـــذا الجـــو البهيج كان ينتهى أحياناً بمشاكل حيث كان بعض الحضور يسرفون فى الشـــراب ويفقـــدون الســـيطرة والتحكم فى أنفسهم . ففى حالة غضب أحد الخطاب وكانت الخمر قد لعبت برأسه قد قذف كرسيه على أوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ . وأيضاً تلك المشادة بين كل من أوديسيوس وأخيل والتى رددها ديمودوكوس فى إحدى أغانيه .

الحياة الاقتصادية :

ثروة الأسرة :

كـــان لأرباب oikos سلطة مطلقة فى تصريف شئونه الاقتصادية وثروته التى تتكون فـــى المقـــام الأول مـــن الأرض والمنقولات والأنعام والعبيد والكنوز ، فقد كان النبلاء من أرباب الأراضى ، ونجد أن مفهوم الزراعة عند هوميروس كأساس للحضـــارة ، قد استخدم الأرض لـــزراعة الحـــبوب والفاكهـــة والأعناب والزيتون وزراعة الخضر ، كما استخدمت الأرض فـــى رعى القطعان . وكان يتم حساب ثروة كبار الملاك بعدد ما يملكونه من رؤوس الماشـــية وخاصـــة الثيران والأغنام والماعز والخنازير والعبيد وبجانب هذا فقد كان يوجد الكـــنوز المخـــزونة التى كانت تحفظ فى غرف خاصة فى المنزل أو القصر وكان يحفظ بها مخـــزون المواد الغذائية من الحبوب وجرار النبيذ والزيت والمواد الثمينة والمعادن النفيسة فـــى شـــكل ركائـــز وســـبائك والأسلحة ، وكان الغرض من اكتناز المواد والمعادن النفيسة لإظهار الوجاهة وتحقيق المهابة وتحقيق المنافع بتبادلها مع الأقران وذلك بإهدائها لضيوف ينزلون عليهم . والطريقة التى اتبعها الأبطال الهوميريون للحصول على المعادن والعبيد إما عن طريق الحرب و الإغارة و إما عن طريق التبادل و الإهداء ، فالإغارات المنظمة بغرض

الحصـــول علـــى الأســـلاب كانت شائعة عند هوميروس ، ونجد أنّ الأبطال الهوميريين قد اعـــتادوا الحديـــث عـــن تجـــاربهم ومغامراتهم . لقد بدأ أوديسيوس يروى قصته فى قصر الكينوس حول أسفاره من طروادة بالكلمات الآتية : من اليون قادتنى الرياح إلى اسماروس (Ismaros) وفـــى أرض الكيكونيـــن (Ciconians) دهمـــنا المدينة وقتلنا الرجال وسبينا النســـاء واستولينا على الكثير من كنوزهم وقسمناها بيننا وبهذه الطريقة لم يحرم أحد من نصيبه العادل من خلالى .

وهكـــذا فـــإن الغـــنائم التى تؤخذ من الأعداء كان ينبغى تقسيمها بين المشاركين فى الحملة وكان للقائد الحق فى الحصول على نصيب خاص ..

ولـــم تكن الحرب وحدها هى الوسيلة الوحيدة للحصول على المواد النفيسة فكان من الضـــرورى اللجـــوء إلـــى نظـــام التبادل ونجد العديد من الأمثلة على ذلك للهدايا والهدايا المقابلـــة، فالمرء لم يكن يعطى لإدخال البهجة والسرور ولكن يتطلع على المدى البعيد إلى خدمة أو هدية فى المقابل ، فالهدية تخلق التزام بهدية مقابلة فالأبطال يرون وهم يسعدون ضـــيوفهم ويقدمـــون لهـــم الهدايـــا (الأسلحة ، معادن ، أشياء نفيسة ... الخ) فإنهم كانوا يـــتوقعون فى المقابل شيئاً عينياً أو خدمة. وبهذه الطريقة فإن التبادل قد نظم وأتم معالجة الفجـــوة فـــى الاكـــتفاء الذاتـــى. وينبغى أن نؤكد على السمة غير التجارية لهذه المبادلات فالهدايـــا لكلا الطرفين ينبغى أن تحقق التوازن أو مساوية لبعضها البعض . إن هذا النظام يكون مناسباً لغير الارستقراطيين .

ولـــم يكـــن مـــنح الهدايا والهبات حكراً على الرجال فحسب بل نجد أن هناك بعض النســـاء كـــن يعطيـــن الهدايا والهبات وإن كانت فى الغالب الأعم من الأشياء التى صنعنها بأنفســـهن أو صنعتها إماؤهن ، فعلى سبيل المثال فقد أعطت هيلينى تليماخوس ثوباً جميلاً لعروسه ، واختارت اريتى أرقى الملابس التى ستضعها فى صندوق أوديسيوس، وعلى نحو أكثر تواضعاً فقد أعطت بنيلوبى لايومايوس مجموعة من الملابس .

ملكية الأرض والزراعة والرعى :

ولمــا كــان اقتصاد اليونان فى هذه الفترة اقتصاداً زراعياً رعوياً ، فإن معرفة نظام الملكـية وحيازة الأرض يكون ضرورياً لفهم حقيقى لأنماط حياتهم ، ولا نستطيع الحصول على الحقيقة بالنسبة للقضايا الأساسية فى العصر المظلم ، فعندما دخل أسلاف الإغريق فى الألــف الثانــية ، فمن المعقول أن نفترض أنهم زرعوا الأرض ليسوا كأفراد وإنما كجماعة تــربطها أواصــر الدم والقربى بدرجة ما ، وكان نظام الزراعة والرعى يعتمد على الحقول المفــتوحة إذ كان قطاع من الأرض يزرع على نحو مشترك . وفى العصر الموكينى بنظامه البــيروقراطى حدثــت تغيــيرات عديدة فى وضع الأرض . وكما لاحظنا فى الفصل الخاص بالموكينيين أن المجموعة الخطية لم تقدم صورة جلية عن حيازة الأرض فى الفترة ما بين القــرن الــرابع عشر والقرن الثانى عشر ، ثم وصلنا إلى الغموض والفوضى الناجمة عن الغزو الدورى والفوضى والهجرة إلى آسيا الصغرى .

ومــن المرجح أن اليونان فى العصر المظلم سواء أكانوا فى بلاد اليونان أم فى آسيا الصغرى ، قد عادوا إلى نظام العمل الزراعى المبكر وبالنسبة للقرن التاسع وربما فى فترة سابقة فإن الإلياذة والأوديسة تقدم لنا بعض الملاحظات منها : أنه فى الفقرة المشهورة فى الكــتاب الــثانى عشــر من الإلياذة (Ibid 421 - 433) التى نجد بها الآخيين والطرواديين يقاتلون عبر سور أو حائط يفرق بينهم بالمقارنة بين صورة رجلين يتنازعان على الحدود، فكــان فــى أيديهمــا قصــبة المساح ، وفى حقل مشترك ، وعلى قطعة أرض صغيرة كانا يتــنازعان للحصــول على نصيب متساوٍ والصورة هنا هى ، من المرجح ، لحقل زراعى مشــترك بيــن بعض الجماعات ، ومن المرجح مجموعة تربطها صلات القربى والتى يكون لهــا نصــيب مساوٍ ومعروف قد خصص لكل رجل من خلال علامات الحدود من الصخور والتفســير هــنا يكون أنها تشير إلى نوع من نظام زراعة الحقول المفتوح . ويمكن تفسير فقــرات أخرى - لتعضيد نفس الفكرة وخاصة المشهد المنقوش على درع أخيل حيث يقود العديــد مــن الحراثين يقودون أزواجهم من الثيران فى حقول كبيرة وغنية . ويمكن تفسير ذلك أنه فى فترة ما من العصر المظلم ومن المرجح فى بدايته أنْ بعض الأراضى الزراعية على الأقــل ، قــد زرعت وكانت حيازتها مشتركة للجماعة . وإذا نظرنا إلى بعض فقرات

الأوديســـة يكون انطباعنا أن الكثير من قطع الأراضى كانت فى أيدى الأسر (oikoi) ويمكن أن يكــون ذلـــك قد حدث فى فترة مبكرة عندما استقر اليونان فى مناطق معينة ، وبمرور الوقــت ونتيجة لضعف التضامن بين الجماعات فإن وضع الأسرة الاقتصادى قد بدأ يتضح كوحــدة منفصلة . وأياً كان التفسير الصحيح للوضع الأصلى ، فإننا نجد الأسرة فى القرن التاســع قد صارت الوحدة الاقتصادية والاجتماعية . وكل أسرة تملك مساحة ما من الأرض الزراعــية والــتى استخدموها لزراعة الحبوب والحدائق والبساتين ، وكلما زاد عدد أفراد الأسرة فإن الأسرة كانت توسع مساحة الأرض التى تزرعها على حساب المناطق المجاورة لهــا وذلــك بــتحويل أرض المراعى أو الأرض الفضاء إلى أرض زراعية . وكانت الأسرة بحاجة إلى مراعى لرعى قطعانها ، ومسألة وضع أرض المراعى تكون غامضة ، فقد كانت أرض المراعى فى البداية ، أرض مشتركة للجميع ، ومن جهة أخرى فانه على ما يبدو أن الأســر ادعــت ملكيــتها لبعض قطع الأراضى التى ترعى عليها قطعانها . وحيث أنَّ حدود أرض المــراعى غــير محــددة فإن اعتداءات الماشية على أراضى أخرى كان شيئاً مألوفاً وبدون شك فإن كثيراً من المشاجرات قد حدثت بين الأسر وذلك بسبب عدم وضوح الوضع حول أرض المراعى وحدودها .

وكانت الأرض مملوكة للأسرة ككل وتنتقل من جيل إلى جيل ، فالجيل الحالى لا يملك الأرض بالمعــنى الحديث للكلمة "يملك" فالأرض تخص الأجيال السالفة والقادمة بالتساوى والأحــياء لهــم حق الاستغلال فقط ، وارتبط بذلك الواجب المقدس لحفظ الأرض التى دفن فــيها أســلافهم وأن ينقلوها إلى الجيل التالى . ولم يكن التخلى عن الملكية موجوداً لأفراد الأســر .وكــان عــدة أجيال من أفراد الأسرة الواحدة من الرجال والنساء والأطفال والعبيد والأتــباع يعيشــون ويعملــون لرفاهية الجميع بالأسرة . فكان العمل الجماعى هو الأساس والهدف منه هو تحقيــق الاكتفاء الذاتى للأسرة قدر الامكان.

وعلــى الــرغم مــن أن الجانب الأكبر من الأرض الزراعية والرعوية كانت تحت يد الأســر العــريقة ، فقــد وجــد مــزارعون مستقلون يزرعون أرضهم الخاصة . ويقدم لنا

هومـــيروس معلومـــات بسيطة عن هذه الفئة ، إذ نجده يذكر حالة مزارع يعيش فى مـــنعزلاً فـــلا جيران له ويحافظ على نار موقده ، ولعل هذه الأرض قد استصلحها صاحبه لنفسه وكانت حياة مثل هذا المزارع صعبة .

وهكـــذا فـــإن مفهوم الملكية عند هوميروس كان ينصب على نوعين من الممتلكات الثابتة والمنقولة ، أما عن الأولى فهى الأراضى والمبانى ، والثانية فهي العبيد والحيوانات والمـــنقولات . وكانـــت هذه الممتلكات تنتقل إلى الابن الشرعى فلا أحد من خطاب بنيلوبى يـــنكر علـــى تليماخوس ابنها أن يخلف والده فى "oikos" إذ أن ميراث الأملاك كان يؤول إلـــى خلـــف شـــرعى ، فـــلا يوجد وصايا عند هوميروس ، والخلف عادة ما يعنى الذكور الشـــرعيين وأحياناً غير الشرعيين "ابن منيلاوس" وأيضاً أزواج البنات فى حالة عدم وجود ابـــناء ذكـــور ، فقـــد سخر أخيل من أينياس لأنه لا يستطيع أن يتمنى أن يصبح ملكاً على طـــروادة وذلـــك لأن بـــريام له ابـــناء ذكـــور من صلبه . ولكن عندما قتل ديوميد كل من اكســـانثوس (Xanthus) وثوّس (Thoas) ، فإن تركة والدهما قد اقتسمها أقارب بعيدين ، وكما نسمع عن أن والد دولون قد يسعده أن يفتدى ابنه الوحيد لأن أسرته مكونة من ستة أفراد ، بمعنى عتيق فى افتداء الوريث الشرعى .

وكـــان أصحاب الضياع الواسعة مثل الكينوس وأوديسيوس يهتمون بغرس أشجار الفاكهـــة مـــن الأعـــناب والكمثرى والتفاح والتين والزيتون ..... الخ ، وكان زراع العنب أحـــياناً يقومون بتقليم الأغصان ، ويجمعون عناقيد العنب فى سلال ويتركونها لمدة خمسة عشـــر يوماً فى الهواء والعشرة أيام الأولى منها تترك فى الشمس ثم الخمسة أيام الأخيرة تترك فى الظل ثم يقومون بعصره وبعد العصر كان يصب النبيذ فى جرار لحفظه .

والعـــناية بـــالحدائق والبساتين كانت دائمة فكان يتم عزق التربة تحت الأشجار ويتم رى الحدائـــق بالمياه التى تحتاجها ويبدو أنهم استعملوا السماد . كما زرعوا الحبوب القمح والشـــعير ، والصـــورة المنقوشة على درع أخيل تصور الحياة الزراعية فهناك الحصادون وجامعى العنب .

وكانت أساليب الزراعة وأدواتها المستعملة ما تزال بسيطة ولكنها كافية ، فقد لجأوا لمواجهــة إنهاك التربة إلى زراعة قسم من الأرض ، وترك قسم آخر بدون زرع ويتم تبديل الوضع فى العام التالى ، فيزرع ما ترك ويترك ما كان قد زرع فى العام السابق . وكان يتم حــرث الأرض بمحراث تجره الثيران أو البغال ، وكان يتم حرث أرض الحبوب حرثتين أو ثلاث وكانت الثالثة تتم بعد البذر لاخفاء البذور ، وبعدها كان يتم تزحيف الأرض لتغطية أى حــبوب والتى تركها المحراث على السطح ، وكان يتم تكسير قطع الطين الكبيرة بمدقات . وكــان الحصادون يستخدمون المناجل ، وكانوا يجمعون السنابل فى حزم وتنقل فى عربات وتدرس فى البيت وتذرى فى الرياح ، واستخدمت الثيران والبغال لتدرس السنابل وكان يتم تقليــبها بشكل دائم ولا تترك سنابل، وعندما تجمع الحبوب توضع فى جرار وتغلق . وكان الدقيق يطحن بالرحاة ويخزن فى أوعية من الجلد .

وبجانــب الــزراعة فــإن تربية الحيوانات كانت المصدر الأساسى للثروة ويشيع فى الإلــياذة والأوديســة ذكــر الثيران والأبقار والعجول والخراف والنعاج والماعز وصغارها والخــيول والــبغال والخــنازير ، وكانت ترعى في الأودية الخصيبة وعلى المنحدرات غير المــزروعة وفـــى الغابات ، ومن هذه الحيوانات كان يتم الحصول على لحم الطعام والجلود والصــوف للملابس واللبن ، وبعضها يستخدم للنقل وجر العربات ، كما يتم استغلال خلايا النحل فى الحصول على العسل والشمع وقد ربوا الطيور الداجنة وخاصة الاوز .

وكانـــت هــذه القطعان تبقى خارج المنزل وخارج الحظائر فى فصل الصيف، وحينما يحــل الشــتاء كان يتم ايوائها فى الحظائر التى تمتلئ بها ، وتقسم حسب أنواعها وأحياناً تخصص حظائر لصغار الحيوانات .

وتكشــف لنا الإلياذة والأوديسة عن الاهتمام بالصيد والذى كان من مصادر السعادة للرجال فكانوا يصطادون الخنازير و الغزلان والماعز البرية والذئاب والفهود وحتى الاسود والطيور مثل الحمام ، ويصطادون الأسماك . و بعد أن عرضنا للزراعة و الرعي و الصيد، فمن الذي كان يقوم بالعمل فى الزراعة والرعى و أعمال أخرى؟

١- أفراد الأسر :

كانــت الأســر الغنــية والفقــيرة أو الكبيرة والصغيرة تحاول أن تكون مكتفية ذاتياً بمســاعدة أعضائها المتباينين فى العدد ، فكل فرد فى الأسرة له نصيبه فى العمل ولم تكن هناك مهمة محددة فى البداية ولم تكن هناك بعد مهنة وضيعة تمنع الملوك والأفراد والنبلاء مــن القيام بها ، فقد كان الملوك والأمراء يقومون بإنجاز الأعمال الزراعية ورعى القطعان وكانوا يتفاخرون بأنهم يشتغلون بها ، لقد كانوا يحرثون الأرض ويبذرون البذر ويحصدون العشــب وخــير دليل على ذلك تحدى أوديسيوس المتنكر لأحد وجهاء اثياكا ايوريماخوس Eurymachos "إذا أردنــا التــنافس فينبغى أنْ نعمل ونكد فى المروج فى الربيع فى الأيام الطويلة فينبغى أنْ يكون لدى المنجل المقوس وينبغى أن يكون لديك واحد مماثل ، وسوف نحصــد دون ملــل حتى ننتهى من أداء العمل طالما بقى عشب وبدون طعام حتى المساء . وإذا كــان لــزاماً أن نسوق زوجاً من الثيران لحرث حقل مساحته أربعة أفدنة سوف ترى كــيف أقــود الماشــية مباشــرة فى شق خطوط مستقيمة" . وعندما قبل اوديسيوس هذه المنافســة فإنــه بــدون شك كان قد سلم أن يكون شحاذاً ، ولكن هل كان يجرؤ إذا لم يكن قــادراً علــى تحمل الاختبار كفلاح وحراث ! على كل حال فإن ايوريماخوس الذى وُجه إليه الــتحدى كــان من ملاك الأراضى ، ولدينا صورة رائعة عن حياة والد اوديسيوس لأرتيس الــذى كان يملك ضيعة ريفية وتقع على مسافة من المدينة وتمتد الضيعة حول منزل مبنى مــن الحجارة وتقع على جانبه الحظائر ومبانى إيواء الخدم والعبيد وكان يسعد لأرتيس أنْ يعمــل فى حديقته الواسعة التى تضم أشجار الأعناب والتين والكمثرى والتفاح والزيتون ، ونســتدل علــى اتســاعها عندما نجد اوديسيوس يذكر والده بوعده فى طفولته بأنه سوف يعطــيه عَشْرَ أشجار تفاحاً وثلاث عشرة شجرة كمثرى وأربعين شجرة تيناً وخمسين صنفاً مــن الأعناب ، وكانت الحديقة محاطة بسور. ومن الجدير بالقول أن أوديسيوس عندما عاد والــتقى بوالــده وجده يعزق الأرض تحت شجرة ويرتدى ملابس قديمة قذرة ، وكان يحمى ساقيه بجلد ثور من الأشواك ويلبس قفازاً لحماية يديه ويغطى رأسه بقلنسوة من جلد كلب،

ويعاونه فى مزرعته اثنى عشر عبداً ، وأبناء الملك كانوا يشتغلون بالرعى بمحض إرادتهم كما كان الإله أبولو وكان المالك لا يستطيع العمل وحده فى العمل الزراعى بل كان يعاونه الأبناء والرجال الأجراء وأحياناً العبيد والأتباع وكانوا يعملون فى الحصاد وجمع الأعناب والزيتون ورعى القطعان . والرعاة من العبيد ومن الأحرار أيضاً . وكانت النساء يعملن فى الحقول إذ نجدهن يشاركن الشباب فى جمع العنب ويجلبن المياه من مسافات بعيدة وإعداد الطعام وكان إعداد الخبز والوجبات الأساسية يعهد إليهن هذا فضلاً عن وطحن الدقيق باستخدامهن الأرحاء . ولما كان الطحن من الاعمال المجهدة فقد قامت به الإماء والخادمات ، كما كان من واجبات المرأة نسج الملابس ، فكل عمليات الغزل والنسيج كانت تتم فى المنزل ، وكانت سيدة المنزل تسلم الصوف للخادمات والإماء للقيام بتنظيفه وندفه ثم يغزل وينسج تحت إشرافها ، وقام بهذا العمل نساء الملوك مثل بينلوبى وأرتى Arete زوجة الكينوس . وكان يصاحب مراحل النسج المختلفة الغناء كما كان على النساء غسل وتنظيف الملابس ، وهذا لم يكن واجب نساء الطبقات الدنيا فحسب بل نجد بنات الملوك يقمن بهذا العمل . فبالقرب من طروادة كان يوجد مكان فسيح عند صخرة حيث كانت زوجات وبنات الطرواديين يغسلن الملابس الغالية ، وتعرف الأميرة نوسيكا (ابنة ملك العاليين) أنَّ إخوتها كانوا يريدون ملابس نظيفة للرقص ، ومن ثم فقد حملتها ومعها خادماتها وكن يسقن العربات إلى مكان الغسيل . والمرأة المثالية هى التى تجمع بين الجمال والثراء والذكاء مع يدين ماهرتين دون اهانة فى تنكيرها .

كما نجد أن الرجال النبلاء والوضعاء يقومون بأداء كل أنواع الحرف فى المنزل. فكل الواجبات والمهام تناسبهم ، فقد كانوا صناع صنادل وأحذية ، لقد صنع يومايوس الراعى لنفسه صندلاً ، وقطع أوديسيوس شريطاً من جلد بقرة ، وكان أوديسيوس بناءً ايضاً فقد بنى وحده منزله كما بنى يومايوس حظيرة خنازير وكانوا نجارين وصناع صناديق وبناة قوارب كما كانوا قاطعى خشب ، فنجد يومايوس يحيط مخدعه بحاجز من خشب شجر البلوط ، وصنع أوديسيوس ابواب منزله ثم اثثه ، وصنع من شجرة زيتون ضخمة سرير طعمه بالذهب والفضة والعاج ، كما نجده يصنع قاربه وكل فلاح كان يعرف

طول قطعة الخشب التي يختارها لصنع رحاة وعجلة العربة وقوالب وأجزاء محراثه وأدوات الزراعة .

٢- عمل العبيد والرعاة الأجراء ودورهم في مجال الزراعة والرعي :

لم يشكل العمال الأجراء (Thetes) نسبة كبيرة من العمال الزراعيين ، وعلى العكس من ذلك فقد شكل العبيد الجانب الأكبر من العاملين في حقل الزراعة والرعي، ولم تكن الصناعة والتجارة بحاجة إلى عبيد . فنجد أن أوديسيوس كان يملك عدداً كبيراً من العبيد فكان بيته يضم خمسين فتاة ، وكان يحرس قطعانه ثلاثون من الرعاة واثنا عشر رجلاً اشتغلوا في زراعة الحبوب والكروم ورعاية أشجار الفاكهة . أما والده لأرتيس الذي انسحب إلى الريف وعاش في مزرعته فقد احتفظ بسيدة عجوز حتى ترعاه ودوليوس (Dolius) وستة من أبنائه وزوجته وبعض العبيد للقيام بأعمال الزراعة وكان عددهم اثنا عشر عبداً . وكان الرجال الذين يعملون في الحقول والرعي أقل عدداً من عدد النساء في المنزل ، و كان العمل المنزلي يقوم به النساء فكن يطحن الحبوب ويعجن الدقيق ، ويخبزن الخبز ويجهزن الشربة ويغزلن وينسجن ويخيطن ويطرزن تحت إشراف ربة البيت أو مديرة المنزل الملكي . وفي نفس الوقت كن في الخدمة لإسعاد رب الدار ، ولكن كن يذهبن إلى الحقول في موسم الحصاد لإعداد وجبات الحاصدين . أما الرجال فكانوا يكلفون بأعمال قليلة في المنزل مثل إعداد وتجهيز العربة لنوسيكا بناءً على أمر والدها ، وفي قصر أوديسيوس نجد عبداً يعاون الإماء بالحمام ، وكان الرجال يقطعون الخشب ويخدمون ويقطعون اللحوم في الأعياد والاحتفالات ، ففي أحد الأعياد وجدنا مربي الخنازير يومايوس يوزع الأكواب، وراعي البقر يحمل الخبز ، وراعي الماعز كحامل للأكواب ، ونجدهم يعملون كمحترفين ، ولكن كانت العناية بقطعان الحيوانات الخاصة بالحمل أو الحيوانات الصغيرة ، وكان على البعض منهم القيام بالعمليات الزراعية المختلفة ، ونقل المحصول

وإعـداد الخمـر ، فقـد كـانوا فى الحقول مع مطلع الفجر ولا يعودون إلى المنازل إلا فى المســاء ، وبعـد تناولهم وجبة العشاء كانوا ينامون فى المبانى الخارجية حول الفناء وفى الشـتاء كانوا ينامون على الأرض فى القاعة الرئيسية طلباً للدفء وكان سيدهم ينام معهم أحياناً كما كان يفعل لأرتيس .

ومــع ذلك فإن عدداً كبيراً من العبيد لم يعيشوا فى المنازل ، لأنهم اشتغلوا واعتنوا بتربية ورعى الحيوانات لحساب سادتهم إذْ إنَّ بلاد اليونان الهومرية كانت أرضها الزراعية أقـل من أراضى المراعى المشاعية ، وكانت المزارع محاطة بمساحات واسعة من الأرض المشتركة ، فقد كان يتمتع كل مواطن بحق رعى قطعانه بها . وكان العبيد الرعاة يحضرون لســادتهم الحيوانات المطلوبة للذبح ، ولعل هذا كان يحدث يومياً من قبل أرباب القصور أو فى المناسبات بالنسبة للأسر الفقيرة وفى المقابل كان بيت السيد يقدم الدقيق والخمر للعبيد وكـانوا يذبحـون أحياناً حيواناً أو حيوانين لطعامهم ولإطعام ضيوفهم مثلما فعل يومايوس عندما استقبل باحترام الضيف الذى أرسلته الآلهة إليه وهذا الضيف هو اوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ.

وكـان هـؤلاء الـرعاة يعيشون بعيداً عن الأراضى المزروعة أى فى الأودية أو فى الأوديــة الضـيقة إذْ توجد حظائر الدائمة للحيوانات التى كانت تأوى إليها القطعان لحلبها ولإرضاع صغار الحيوانات ولحمايتها من الحيوانات المفترسة ولحمايتها من الرياح وكانت تقــع الحظائر بالقرب من جداول المياه لسقى الحيوانات . وكانت تستخدم الكهوف كحظائر فــى بعـض الأحيان . وكانت هذه الحظائر بسيطة فكان يتم فرشها بالقش ويتم تسويرها . وكـان الـرعاة يسـتخدمون كـلاب الحراسة الشرسة . أما عن بيوت الرعاة فكانت بيوتاً بسيطة، ومنزل يومايوس خير شاهد فكان يتكون من مدخل وحجرة كبيرة وبها الموقد وكان أثاثــه بسيطاً ، فكان به منضدة لتقطيع اللحوم ، وجلود أغنام وماعز مفروشة على الأرض أمـام الموقد ، وكان الرعاة يستخدمونها فى النوم عليها . وفى مناطق الغابات كان الرعاة

يعيشـــون فـــى مجموعـــات صغيرة يخضعون لإشراف مشرف مسئول أمام المالك ، وكانت حياتهم خشنة إذ كانوا ينامون فى الخلاء ويحرسون القطعان من هجوم الحيوانات المفترسة مـــثل الذئـــاب والـــنمور والأسود ، أو من سطو رعاة آخرين، فنجد يومايوس بعد أنْ وفر أسباب الراحة لضيفه أوديسيوس المتنكر خرج فى الليل لتفقد القطعان خشية هذه الأعمال ، وكـــان مـــرتدياً قبعة طويلة ومعطفاً من جلد الماعز ومسلحاً بسيف ورمح مسنون . ونجد مـــنظراً على درع لخيليوس لأربعة رعاة يحاولون ومعهم كلابهم أن يقضوا على أسدين كانا قـــد قـــتلا ثـــوراً. كما نجد أن هجوم المسلحين من المدن المجاورة والقراصنة الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة بغرض السطو والاستيلاء على القطعان .

إن دور الـــرعاة الاقتصـــادى فـــى المقام الأول هو تقديم اللحوم الطازجة والأصواف والجلود وعمل الجبن . وتقدم لنا الأوديسية على لسان أوديسيوس وصفاً مفصلاً عن صنع الجبـــن فـــى بيت الكوكلوبس إذ يقول " دخلنا الكهف فقدرنا أنه مسكن راع غنى حاذق ، إذْ كـــان هـــناك حظائر لصغار الغنم والماعز مقسمة حسب أعمارها ، وكانت هناك سلال ملأى بالجبـــن ، ودلاء طافحـــة باللبـــن صـــفت حـــذاء الحائط ..." وهناك الآنية التى تحلب فيها الحـــيوانات . وعملية تصنيع الجبن معروفة جيداً فى هذا العصر ، فقد كانت القطعان تخرج للـــرعى فـــى الصباح الباكر ، بعد إرضاع صغارها وتبقى الأخيرة فى المنزل ، وعندما يحل الظـــلام فـــإن القطعان من الأمهات كانت تعود إلى المنزل وضروعها ممتلئة وتنادى بجلبة علـــى صغارها وكان صغارها يخرجون من عشهم على غذائها ، و كان يتم حلب الأمهات قـــبل أن تعـــود إلى حظائرها ، وكان يترك جانب من لبنها فى ضروعها لإرضاع صغارها . وكـــان اللبن الحليب يستخدم للطعام ولصناعة الجبن حيث كان يخثر اللبن بسرعة ، واللبن المخـــثر كـــان يوضـــع فى سلال الأسل كى يقطر وبعدها فإن الجبن يعجن ويضغط والجزء الصلب كان يوضع على أطباق مجدولة فى منطقة محمية حتى تتم عملية التجفيف .

أمـــا عـــن أصـــل ومصـــدر العبـــيد فمنهم من فقد حريته نتيجة الأسر أو الشراء أو الاخـــتطاف وأيضـــاً أبـــناء العبيد كانوا عبيداً ، أما العبيد بالمولد فلدينا مثال إذ نجد العبد

دولـيويس كـان عـنده سـبعة أبناء من زوجته الصقلية وستة من هؤلاء عملوا لحساب لأرتيس نفسه أما السابع ميلانيوس فقد صار رئيساً لرعاة الماعز ولكنه خان سيده وانضم إلـى جانب الخطاب ، وأخته ميلانثو (Melantho) قد شبت فى منزل أوديسيوس وصارت خادمة هناك ولكنها هى الأخرى تصرفت على نحو سئ فى إقامتها علاقات غير شرعية من الخطـاب ، وبعـض العبـيد والإماء وكانوا من الأحرار وخاصة النساء وتم بيعهم من قبل آبـائهم ، وكانت الإماء من هذا المصدر يتم احترامهم وتمييزهم من قبل ساداتهم لجمالهن . ونعـرف أن بعضهن قد تم شراؤهن بأثمان عالية ، فنجد لأرتيس يشترى ايوريكليا الكريمة المحـتد بعـدد لا يقل عن عشرين ثوراً ، فقد كرمها مثل زوجته ، ولكنه لم يجرؤ على أن يجعلهـا خليلته خشية غضب زوجته انتيكليا (Anticileia) فقد كانت مربية أوديسيوس ثم مـن بعـده تليماخوس ثم اختتمت حياتها كمديرة للمنزل . ومن مصادر العبودية الأسر ففى الحـروب كـان مـن المتعارف عليه قتل أغلب الرجال ويؤخذ بعض النبلاء والذين قد يدفع عنهم فدية كبيرة ، فعلى سبيل المثال نجد ليكاؤن (Lycaon) بن برياموس كان قد بيع على يـد نخـيل بعدد مائة ثور وقد حقق مشتريه ربحاً كبيراً لأن ليكاؤن قد افتدى بثلاثة أضعاف الثمـن الذى دفع . أما النساء والأطفال فكان يتم أخذهم لأنهم كانوا يشكلون غنيمة كبيرة حيث كان يمكن بيعها فى أسواق النخاسة الموجودة وخاصة السوق فى جزيرة جيوس التى تخصصت فى بيع النبيذ والعبيد ، وكانت القرصنة مصدراً من مصادر الحصول على العبيد . لقـد حقق التجار الفينيقيون شهرة كبيرة فى هذا المجال ويخبرنا يومايوس كيف أن بعض الـتجار الفينيقيـن الذين كانوا قد رسوا فى سيروس (Syros) قد قبضوا عليه عندما كان طفـلاً بمسـاعدة أمة أبيه وكانت من مدينة صيدا ، وفى منطقة شمال بحر إيجة فإن رجال ليمنوس (Lemnos) قد هاجموا بانتظام سواحل تراقيا للحصول على العبيد وفى الغرب كان الـتجار الأساسيين هم من التفنيين (Tapheins) والتليبونين (Teleboens) ، فكان هؤلاء القراصـنة لا يترددون فى الهجوم على غنائم عندما تسنح لهم الفرصة ويخبرنا أوديسيوس بـدون خجل كيف أنه عندما رفعت به الرياح إلى الساحل التراقى عند اسمـاروس فهاجمها قـتل بعـض رجالهـا واستـولى على بعض نسـائها . وهكـذا نجد أن هنـاك روافد

للعبوديـــة فى ظل المجتمع الهومرى ، والآن ما هو وضع العبد فى أسرة سيده ؟ ؛ نجد أن العـــبد بمجرد أن يدخل فى خدمة سيده فإن وضعه لم يكن سيئاً فقد أصبح جزءاً من الأسرة بنوع أدنى من التبنى ، وهذا الوضع يجعله فى وضع المعاون مثل التابع ولهذا فإن العبد لا يعــد مثل الدواب وله شخصيته وبدون شك فإن السيد له حق إبقاء أو قتل عبده ولكن ليس أكــثر مما للزوج على زوجته أو الأب على أولاده كرئيس للأسرة أن العبيد الشباب الذين يربون فى المنزل كانوا يعاملون بالحسنى فنجد يومايوس الذى تربى وكبر فى بيت لارتيس قــد دعى أوديسيوس بأخيه المحترم ، إذْ بقى فى المنزل إلى أن بلغ العشرين وبعدها أرسل للعمل بالرعى فى الحقول ، وقد منح ملابس جديدة ومعطفاً طويلاً ورداء وصندلاً ، وعندما يــتكلم إلــى أوديسيوس فإنه يمتدح لطف أمه انتيكليا التى استمرت تراقبه بشعور الأم من بعــيد ، وعــندما تموت انتيكليا فإن زوجة ابنها بنيلوبى تأخذ دورها فى الحماية ، و نجدها أيضـــاً أخذت ابنة العبد دوليوس كى تعيش معها وكانت قد أولتها بعنايتها ورعايتها كما لو كانــت ابنتها . إنّ ما يتأسف عليه يومايوس هو سوء حظه الذى سببه الخطاب ، فيعلن أنه خســر كل شىء مع أنه كان لديه ما يكفى لطعامه وشرابه وحتى ما يمكنه إسعاد الضيوف ، ولكن يتأسى أنه لم يعد يسمع الكلمات العذبة لسيدته والعبيد يحتاجون أن تروى سيدتهم لهم وأن يــتحدثوا إلــيها ويطلــبوا مــنها النصح وأن يأكلوا ويشربوا فى منزلها . وهكذا فإن المعاملـــة الطيبة تولد الشعور بالامتنان وتجعل العبد ينسى ميلاده رويداً رويداً ونتيجة لذلك فإن غياب أوديسيوس الطويل لم يضعف شعور الواجب لعبيد الريف وعندما عاد أوديسيوس وكشف عن شخصيته فإن عدداً كبيراً من عبيده لم يخف فرحتهم ومشاعرهم تجاه سيدهم ، ولعــل كلمات يومايوس الموجهة إلى أوديسيوس المتنكر خير شاهد على الوفاء والحب كم ســيكون ســعيداً إذا ما كان أوديسيوس موجوداً فإنه سيمنحنى منزلاً وأرضاً وزوجة جميلة وكــل الأشياء الطيبة التى يمكن لسيد أن يمنحها للعبد الذى يعمل بجد له والذى صار عمله مســتمراً بواســطة الإلـــه . وكل هذه الأمانى والرغبات قد تم الوفاء بها بعد عودة سيده . ونجد أن يومايــوس قد تمكن من شراء عبد .

ومـــع اســـتمرار ولاء الغالبـــية فإنّ عدداً قليلاً قد تمرد على سلطة ربة المنزل أثناء

غياب زوجها وكانت عقوبتهم شديدة فقد تم قتل راعى الماعز ميلانثيوس وقتل اثنتى عشرة أمة كن قد عصين بينلوبى وأقمن علاقات غير شرعية مع الخطاب .

٣- العمال الأجراء (Thetes) :

وكانت بعض الأسر تحتاج إلى جهود عمال أجراء بالاضافة إلى أفرادها وعبيدها لإنجاز الأعمال الزراعية والرعوية ، وكان هؤلاء العمال الأجراء من الأحرار، ويمثلون طبقة متواضعة تكسب لقمة عيشها بالكد والعرق ، ويحصلون لقاء عملهم على الأجرة ، ويتكون هؤلاء من المطرودين من أسرهم أو من الفارين من ثأر أو من الراغبين فى المغامرة والتغيير أو من العبيد الآبقين ، وكانت أحوالهم سيئة وكان عليهم العمل الشاق كى يدافعوا عن وجودهم ، فالرجل بدون بيت لا يحسب كمواطن ولا حقوق له والغريب ، فوق كل هذا ، محروم من اللجوء للقضاء عند الاعتداء عليه وعند المعاملة السيئة لأنه ليس له قيمة الإنسان . والبعض منهم احترف الشحاذة والتشرد .

وكان العمال الأجراء عمالاً فقراء لأنهم لا يملكون أرضاً ولا مهنة أو حرفة . وأغلبهم قد عمل فى حرفة الرعى ، فكان بعض رعاة الأغنام فى اثياكا من الغرباء الأجراء، وعندما ظهر أوديسيوس ، فقد كان فى ثوب شحاذ ، وكم سيكون يومايوس الراعى سعيداً لو احتفظ به كعامل مساعد كما نجد أن الراعى ميلانثيوس قد عرض اقتراحاً بأن يعمل مشرفاً على الحظيرة وتنظيفها ويحمل العلف إلى صغار الحيوانات . كما نجد البعض منهم عمل فى مجال الزراعة فى الضياع الكبرى وعند الملاك المتوسطين فنجد ليوريماخوس أحد خطاب بنيلوبى قد عرض على أوديسيوس العمل عنده قائلاً : أيها الغريب إذا أردت أنْ تعمل كعامل أجير فسوف استأجرك ، سوف تعمل فى الجزء البعيد من أرضى ، لتبنى جسراً من الحجر ، وتغرس الأشجار . وفى مواسم العمل الزراعى فإن المزارع الصغيرة كانت تحتاج إلى عمل الأجراء . وسبق أن عرضنا الحوار الذى دار بين أوديسيوس وبين ليوريماخوس . كما نجد العمال الأجراء يعملون لدى الأسر الكبيرة

ويقومـون بـأداء أنـواع مـن الأعمـال المختلفة فالبعض منهم عمل مجتفـاً ، كما نجد أوديسـيوس يعـرض أن يقوم بأداء أى عمل يسند إليه بسرعة إذ نجده يقول "سوف أوقد النـار وأقطـع الخشب واللحم وأسلقه وأصب الخمر وأقوم بأداء كل عمل يقوم به الوضيع لحساب الرجال العظام .

ونجـد أن النسـاء قد عملن كأجيرات فى المنازل ونادراً ما ذهبن لإنجاز أعمال فى الحقـول وإذا مـا ذهبن فكن يذهبن لإعداد الطعام للحصادين . وكانت القصور تحتوى على العديد من النساء الحرائر المأخوذات إذ عملن كمرضعات وخدم على الموائد ويرتبن السرر ويجهـزن الحمـام ، ويغسـلن الملابس ويقضين بقية الوقت فى الغزل والنسج وكانت مدد العمـل تختلف وفقاً لارادة الأطراف ، فبعض الأعمال كان يتم انجازها بالمقاولة مثلما حدث فـى الاتفاق بين أوجياس (Augeias) وهرقل حيث يقوم الأخير بتنظيف الحظائر ، كما نجد هرقل بقى مع او مفالى (Omphale) لمدة ثلاث سنوات ، والبعض الآخر كان يعمل لانجاز مهمة محددة مثلما فعل بوسيدون وأبوللون فى العمل لمدة عام لبناء سور طروادة .

وكانـت الأجـرة دائمـاً محدودة بشكل واضح ، فكان للعامل الحق فى الحصول على أجره الذى يتم الاتفاق عليه وكانت الأجرة عينية ، فقد وعد أوجياس هرقل بأنْ يحصل على عُشْـر الماشـية أى الحصـول على حصة من الزيادة فى القطعان . ومن المرجح أن نفس الشـئ قـد حدث فى المواد التى يصنعونها ، ولكن كانت الحصة غير كبيرة فالمرأة التى تعمـل فـى حقل النسيج كانت تواجه صعوبة فى إطعام أطفالها من أجرها الزهيد ، والعامل الأجـير لا يمكنه الاعتماد على وعد المؤجر ونجد الحوار بين أوديسيوس وايوريماخوس إذ نجـد الأخـير يخاطب الأول : أتقبل أن تكون أجيراً لى قالها إننى أقدم شروطاً جيدة فسوف أعطـيك ملابـس وأحذيـة ، وعندما تظاهر أوديسيوس برغبته فى أن يخدم الخطاب ، فلم يطلـب أجراً ولكنه طلب طعامه فقط ، والأجير لا يكون متأكداً من حصوله على مؤنة كافية ومتـنوعة ، و نجـد رجـلاً يعد من يرعى قطيعه من الماعز بأنه سيكبر ويسمن من شربه اللبـن وحتى العمال المؤقتين لا يحصلون على أكثر من طعام عدة أيام، وفى وقت الحصاد

د- الحصادون يحصلون على أجرتهم فقط من لحم الثور المذبوح بمناسبة الحصاد .

وكانت حالة خادمات المنازل الكبيرة أفضل ، فمع أنهن لم يتميزن عن الإماء إلا أنهن كن يقمن بالأعمال الجيدة وكن يعتبرن أنفسهن من أعضاء المنزل . وبعضهن عمل كمديرات للمنازل والبعض الآخر مارس الأعمال المنزلية المختلفة .

وعلى أية حال فكانت حالة الأجراء سيئة لقلة أجورهم وأيضاً عدم ضمان الوفاء بها فالعقد الذى يربطهم لا يربط سيدهم فلا حقوق لهم . فماذا يمكن فعله لو أن السيد لم يف بوعده ؟ عندما انتهى بوسيدون وابوللون من العمل لمدة عام عند لاوميدون وطالباه بالأجرة رفض الأخير إعطاءهما أجرتهما وهددهما بأنه إذا لم يرحلا بأسرع ما يمكن فإنه سيقطع أذنهم ، فاضطرا لمغادرة طروادة بقلوب متألمة وأيدى خالية . فماذا يمكنهما عمله؟ لقد ضمن هرقل أجره لثلاث سنوات مقدماً من امفالى من خلال حق البيع الوهمى ولكن حالته كانت استثنائية وهرقل ذاته تعرض لخديعة ملك طروادة الذى وعده أن يعطيه مكافأة سخية عندما يقضى على الخطر الذى يهدد المدينة . وكان بعض هؤلاء العمال يضمنون مستقبلهم والبعض منهم مثلهم مثل الشحاذين كانوا مهددين بأن يغلوا بالسلاسل ويباعوا كعبيد فى جزيرة بعيدة ، والبعض منهم يتحول إلى شحاذ عندما لا توجد فرص عمل ولم يكن أمامهم سوى التسول والتشرد ، وكم من هؤلاء المتسولين نراهم فى الأوديسة ضعافاً ، شاحبى الوجوه ، جائعين قذرين . وكانوا يتجولون فى الريف وفى المدينة ويذهبون من منزل إلى منزل ويظلون أمام الأبواب انتظاراً لما يجود به صاحب المنزل أو الحصول على بقايا الطعام المتبقى على المائدة . وقد نُظر إليهم على أنهم رسل زيوس حاميهم وقد استغل البعض منهم هذا وفضل هذا النوع من حياة التشرد والتسول ، وكانت المنازل الكبيرة لا تخلو من المتطفلين مثل إيروس (Iros) الشحاذ فى بيت أوديسيوس وسنتكلم عنهم فيما بعد عند الحديث عن الحرف والمهن .

احتلت الصناعة مكانة كبيرة بجانب الزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وكان الغرض منها هو سد الاحتياجات المحلية ، وقد استخدم اليونان فى هذا العصر مواد البناء (الحجر والرخام) والمعادن (نحاس ، صفيح ، فضة ، ذهب) والمنسوجات (الصوف والكتان) والخشب والجلود والصلصال اللازم لصناعة الآنية الفخارية . ولا تقدم لنا المصادر معلومات عن استخدام المحاجر أو مناجم المعادن ولا نعرف إذا ما كان اليونان قد زرعوا الكتان أم لا ، وكانوا يحصلون على الصوف والجلود من الحيوانات التى يربونها والتى يصطادون البعض أحياناً وقد قدمت الغابات كميات وفيرة من الأخشاب . إن وصف الإلياذة للقصور الفخمة والمملوكة لبرياموس وأوديسيوس ونستور ومينلاوس والكينوس تقدم دليلاً على وجود المبانى الضخمة المزينة وأيضاً المبانى والمنازل العادية . وقد اشتغل نفر من السكان بصناعة وسبك وتشكيل المعادن الرخيصة والنفيسة فتكشف لنا الأشعار عن وجود الحدادين وصناع الأسلحة وصانعى الذهب ، وقد زين هؤلاء موادهم المصنعة بزخارف رائعة ومنها درع أخيل فى الإلياذة وحزام هرقل فى الأوديسة وأسلحة أجاممنون فى الإلياذة والكثير من المزهريات المعدنية (من الذهب والفضة والبرونز) وتكشف الإلياذة والأوديسة عن أن الحداد كان يعمل بأدوات هى : المنفاخ والسندان والشواكيش والملاقط . وقام صانعو الذهب بنقش مشغولاتهم واستخدموا الطرق وطعموا منتجاتهم بالأحجار الكريمة وصناعة رقائق من الذهب وشكلوا منتجات مختلفة من العنبر والعاج ، والذهب . وقد انتشرت صناعة الملابس وكانت تتكون من غزل ونسج الكتان والصوف وحياكة الملابس وتطريزها وصناعة السجاد وسبق القول أن هذه العمليات كانت تتم فى المنازل .

أما عن صناعة الجلود فكان يتم دبغها وتنظيفها وبعد ذلك يتم استخدامها كمعاطف فى صناعة الدروع والأحذية .

وكانت صناعة الخشب متطورة فكان يتم قطع الأخشاب من الغابة وتنقل جذوع

الأشــجار علـــى ظهور البغال وتقطع وكانت تستخدم فى بناء السفن وصنع الأثاث وأدوات الــزراعة مـــثل المحاريـــث وغيرها . وكان النجارون و نجارو السفن يعملون تحت رعاية والهلم الربة اثينا التى ألهمتهم اياها .

ازدهرت صناعة الفخار أيضاً فى هذا العصر واستخدم الفاخورية العجلة لصنع الآنية والمزهريات .

وبعـــض الصـــناعات السابقة كان يتم فى المنازل مثل النسيج وصنع الآنية والجلود وصـــنع المـــواد الخشـــبية ، فنجد النساء كن يقمن بغزل ونسج الصوف وحياكة الملابس وتطريـــزها وصـــناعة السجاد ، كما يتم صنع الصنادل فى المنازل كما فعل يومايوس ، كما كـــان أوديسيوس ماهراً فى النجارة فصنع أبواب بيته وصنع سريره من جذع شجرة زيتون عتـــيقة وبـــنى قارباً ، وقد يكون أوديسيوس استثناءً عن القاعدة فهناك صناعات وحرف تحـــتاج إلـــى متخصصين مثل صناعة المعادن وتشكيلها وبدون شك حرفة البناء وصناعة الفخـــار ، وهـــناك ذكر لحرفيين متخصصين فى صناعة الأسلحة مثل تيخيوس (Tychios) ولايركـــيس (Laerces) الذىالـــذى استدعى لتزيين قرون ضحية بالذهب مقدمة من نستور للإلهة اثينا وكان قد أحضر معه أدواته البرنزية مثل السندان والمطرقة والكماشة فقد طرق الذهب فى شكل رقائق واف هذه الرقائق حول قرنى الضحية ، وقد عمل صانعو الذهب تحت رعايـــة الإلهـــة أثينا والإله هيفايستوس وكان الأخير راعياً وحامياً لكل الحرف والصناعات التى يستخدم فيها النار وكان ملهماً للحرفيين .

وكان الحرفى يعمل فى ورشته الخاصة وخاصة الحـــداد الـــذى وحانته ورشة حدادة وكانـــت ملـــتقى فـــى أيام البرد للمتعطليـــن والمتســـكعين ، وقد نصـــح هيســـيود الرجال بقولـــه إن علـــى الـــرجل الجـــاد أنْ يمر عليـــهم دون أنْ يتوقف ، وكانت تتكون من موقد ومنفاخ من الجلد وسندان وصندوق أدوات ومطرقة وكماشات قصيرة وطويلة الأيدى لمسك المعادن المناخنة الحمراء على السندان . وكان لبس الحداد بدون أكمام ومفتوح من الجانب الأيمـــن ليترك كتفه ونصف صدره حراً وكان يقوم بتشكيل المعدن سواء أكان من الحديد أو

الـــبرونز حســـب طلب العميل . وفى بعض الحالات التى لا تحتاج لأى أدوات ثابتة أو ثقيلة كـــان صانعو المعادن يقومون بأداء العمل فى بيت العميل كما ذكرنا سابقاً عن صائغ الذهب الــذي أخــذ أدواتـــه معـــه . ومن الملاحظ أنه لا يوجد حد فاصل بين صناع المعادن مثلاً والحدادين وصائغى الذهب فنجد لايركيس أحد صناع المعادن وصف كحداد وكصائغ ذهب . وكانـــت هـــذه الحرفة تحتاج إلى كفاءة عالية ومهارة خاصة والتى لا تتأتى لصانع إلا بعد تدريـــب ، ولديـــنا بعـــض الإشـــارات عن حرفيين قد أنتجوا الآنية والمراجل وحلى الزينة والسلاسل والعقود والميداليات والدبابيس والتيجان وزينة الصدور .

وتقـــدم لـــنا الأشعار أيضاً إشارات عن صناع الأسلحة والأدوات العسكرية التى كانت تحـــتاج إلـــى متخصصين وخبراء فى صناعتها وتطعيمها وهناك أيضاً صناع تخصصوا فى صناعة الدروع والخوذ والتى كانت صناعتها معقدة .

كمـــا نجـــد صناع معادن قاموا بصنع الآنية ومن أشهرها الآنية ثلاثية الأرجل والتى كـــان يمكـــن وضـــعها على النار ويتم استخدامها لنقل اللحم المسلوق من مكان الطبخ إلى حجـــرة الطعـــام ، وهناك وصف لإناء من هذا النوع قد صنعه الإله هيفايستوس لصديق له وكـــان له عجلاته من الذهب كما نجد أن أخيل قد خصص إناء من هذا النوع كجائزة للفائز فـــى سباق العربات وكان اناءً ضخماً (آذان) سعته حوالى ١٧ جالوناً كما انتجوا كل أنواع المـــراجل والرواقـــيد والآنية الجنائزية وأوعية المطبخ وأكواب الشراب ، وكل هذه الأدوات صـــنعت مـــن الـــبرونز والنحاس ولكن البعض منها صنع من معادن نفيسة ويتم زخرفتها بالأشـــكال الزخرفـــية ، كما نجدهم يساهمون فى تزيين القصور ومنها قصر الكينوس الذى زيـــنوه بأطباق من البرونز ذات الإفريز المطلى باللون الأزرق عند حافته العليا . وخططوا العتـــبة بالبرونز وغطوا أو كسوا الأجناب المدعمة والعتبة العليا للباب برقائق من الفضة ، والـــباب نفسه برقائق من الذهب ، وعرفوا أيضاً كيف يمكنهم نحت الخشب فى شكل تماثيل وتغطيـــتها برقائق الذهب والفضة ومنها الكلاب الرائعة التى تحرس بوابة قصر الكينـــوس وحمالة المشاعل الذهبية التى تزين بهو القصر . كما نجد الحدادين كانوا يصنعون الأدوات

الزراعيــة المختلفة من بلط وفؤوس ومناجل ومحاريث ... الخ .

كمـــا نجــد النجارين المتخصصين يعملون فى بناء السفن لحساب الأمير باريس أو صــناعة الأدوات المخــتلفة سواء كانت منزلية أو زراعية ، فقد صنعوا الأثاث مثل الموائد والكراسى والسرر ، وكانت مقاعد الاحتفالات يتم تصنيعها على أيدى نجارين متخصصيــن، كمـــا نجد باريس يستخدم نجارين متخصصين لمساعدته فى بناء منزلين بجوار قصر والده الملك بريام .

وكـــان العمــــلاء يقدمون سواء للحدادين وصائغى المعادن أو النجارين المواد الخام ويعــاملونهم باحترام فى بيوتهم ، كما نجد أن للحرفيين أحياء خاصة بهم مثلما فى اسخيريا حيث كانت تتجمع ورش صنع الملابس والسجاد والأشرعة والمجاديف .

ويـــرى الــبعض أنـــه كان يتم تعويض هؤلاء العمال والحرفيين عندما يطلبون لأداء أعمال عامة وخدمات معينة للدولة أو المدينة بمنحهما قطاعات لتصبح وراثية لهم ، و وفقاً لهــذا الـــرأي يكونون في خدمة الجماعة ، و في نفس الوقت الذى يكلفون به لأداء وإنجاز أعمـــال خاصــــة بالجماعة كان يمكنهم القيام بأداء وإنتاج الطلبيات الخاصة بالأفراد والتى سيحصلون من أصحابها على أجرتهم العينية وبعض الهدايا .

وكـــل الحرفييـــن على ما يبدو كانوا من الأحرار فلا يوجد فى الإلياذة والأوديسة ما يشــير إلـــى أن العــبد قد انخرط فى حرفة ذات مهارات ولهذا فلا يوجد شيء يحقر العمل بالنســـبة للحرفييــن وكـــانوا يلقون الرعاية والاحترام . وحقق البعض منهم شهرة عظيمة ولامعـــة ومـــن هـــذه الأســـماء أســـماء النجارين ابليوس (Eplios) فى المعسكر اليونانى وفيريكلـــيوس الطروادى (Phereclios) صانع القوارب ، وايكماليوس (Ikmalios) صانع الكبائن فى أثيكا . ومن بين الحدادين هناك لايركيس صائغ الذهب والحداد فى بيلوس ومن بيـــن صـــناع الجلود هناك ينخوس صانع الدروع فى هيلى (Hyle) وبولوبوس الذى يصنع الكـــور فـــى اسيخريا ، وكثيراً ما ذاعت شهرة الحرفيين خارج أسوار مدينتهم ، وكان يتم استدعاؤهم وانتقالهم من مدينة إلى مدينة لأداء عمل معين أو للإقامة الدائمة . وكان يعامل

كضـــيف ذى حيثـــية ويتم رعايته وتكريمه ويمنح الهدايا التى تتناسب مع ثروة مستخدمه ووفقـــاً للخدمـــة الـــتى أداهـــا . وعمومـــاً فإنّ الحرفيين لم يكونوا بالكثرة فى مدن العصر الهومـــيرى وذلـــك لقلـــة الاحتـــياجات فكـــان حداد أو فخرانى واحد يكفى بأن يقوم بإنتاج احتـــياجات البلدة . إن النجارين وصناع الجلود كانوا معروفين على نطاق واسع فى مناطق بعـــيدة عن مساقط رأسهم ، لأن مثل هؤلاء الحرفيين لا يوجدون فى كل مكان ولذا كان يتم طلبهم للقيام بالواجبات والمهام الاستثنائية .

الأسفار والترحال والملاحة والقرصنة والتجارة :

نستخلص من الأشعار الهومرية أن روح المغامرة كانت تسود فى العالم اليـــونانى ، وأن أبطـــال ذلـــك العصـــر كـــانوا مغامريـــن وجائلين تركوا الموقد والموطن باحثين عن المغامـــرات مـــثل حملـــتهم على طروادة ومثل قصص كل من أوديسيوس ومينلاوس حول مغامرتهما فى طريق عودتهما إلى وطنيهما فقد أخبرانا أنهما قد ضلا طريق العودة فقد ظل أوديســـيوس جـــائلاً لمدة عشرة أعوام لاقى فيها الأهوال قبل أن يصل إلى موطنه ومملكته إيـــثاكا ، بيـــنما قضى مينلاوس سبع سنوات جائلاً من قبرص إلى فينيقيا إلى مصر قبل أن يعود هو الآخر إلى مملكته اسبرطة .

وتكشف لنا الأشعار عن اسباب عديدة للسفر والترحال : (١) فقد يكون المسافر فاراً من موطنه مثل العراف ثيوكليمنوس أو أن يكون قد نجى من سفينة غارقة مثل أوديسيوس (٢) الـــزيارات العائلية مثل زيارة أوتوليكوس (Autolycus) جد أوديسيوس لأمه فى إيثاكا بمناسبة ولادته وهى المناسبة التى اختار فيها اسم حفيده أو زيارة أوديسيوس إلى بلد جده (٣) زيارة الملك أو الأمير بغرض أداء الطقوس الدينية وتقديم القرابين للآلهة أو لاستجداء الإلهة مثل زيارة مينلاوس إلى طروادة وزيارة أوديسيوس المزعومة إلى دودنا (٤) زيارة الأمـــراء فـــى رحـــلات دبلوماسية فقد أرسل لارتيس ابنه أوديسيوس إلى ميسينيا ليطالب بالـــتعويض عـــن ســـرقة ثلاثمائـــة نعجة ورعاتها من قبل القراصنة الميسينيين . وذهاب

أوديسيوس وميـنلاوس بعد ذلك إلى طروادة للمطالبة بعودة هيلينى (٥) الاسفار بغرض الـتجارة مـثل رحلة مينتيس ملك التفنيين إلى تميا (Temea) على شواطئ البحر التيرانى لمقايضـة شـحنة مـن الحديـد بشـحنة من البرونز (٦) وقد تكون السفرة بغرض جمع المعلومـات مـثل رحلـة أوديسـيوس للكشـف عن شخصية أخيل ورحلته لاحضار البطل فيلوكتيتيس . ورحلة ابنه تليملخوس للبحث وجمع المعلومات عن والده وفقاً لنصيحة الربة أثينا راعيته فقد ذهب إلى بيلوس واسبرطة .

وفـى الواقـع ، يـبدو أن بـلاد الـيونان الهومرية كان يجوبها المسافرون فى كل الاتجاهـات . وكـان المسـافرون يلتقون ويتبادلون الهدايا مثل تلقى أوديسيوس هدية من إفيـتوس (Iphitos) بن إيورتيوس (Eurytos) ملك أوخاليا (Oechalia) الذي كان قد أتى هـو الآخر للبحث عن اثنتا عشرة فرسة شاردة وهديته كانت قوسه المشهور . والكثير من هذه الرحلات والسفرات كانت بحرية .

لقـد كـان الـيونان فـى ذلك العصر أمة من الملاحين والبحارة . فكل واحد منهم ، بصـورة كبيرة أو صغيرة ، كان ملاحاً خاصة سكان المدن البحرية ، ومن ثم لم يكن هناك متخصصـون فـى فن الملاحة ، بل نجد الملاحين يمثلون كل الطبقات الاجتماعية ، فنعرف مـنهم الملـوك وأبناء الملوك والنبلاء وأبناء النبلاء وملاك الأراضى وأبناء ملاك الأراضى ومـنهم الأتباع والأجراء . وتقدم الأوديسة صورة للفاكيين كبحارة مهرة حذقوا فن الملاحة وأيضـاً للـبحارة الايثاكييـن فمما يدل على أنهم ملاحين مهرة أنهم أبحروا في ظلمة الليل البهـيم ولكن هذه السفرة كانت استثناء حيث أنها تمت تحت رعاية الربة أثينا ، فبحار ذلك العصر كان لا يملك دليلاً سوى الشمس والقمر والنجوم ونادراً ما جازف وابحر فى الليل ، فعـندما تغرب الشمس كان عليه أن يتوقف عن الابحار ، وأن يرسو على شاطئ قريب ، ثم يعـاود الابحار فى فجر اليوم التالى . وكان البحارة يبحرون بمحاذاة السواحل ، ولم يذهبوا بعـيداً عـن شـواطئهم إلا فما ندر، حيث نجد ذكراً لرحلات طويلة استثنائية اضطروا إلى خوضـها مثلما سبق أن ذكرنا ، واعتبروها مغامرات رائعة ، فالبحر كان مليئاً بالجزر التى

مكنـــتهم من الابحار لمسافات طويلة دون أن تغيب اليابسة عن أعينهم ، وتكشف لنا قصيدة الأعمـــال والأيـــام لهســـيودوس عـــن أن بعـــض اليونان كانوا على دراية بأوقات الابحار المناســـبة، أذ نجـــد هذا الشاعر يقدم نصائحه للبحارة بخصوص الفترات الملائمة فى العام للابحار، وأنواع السفن التى يبحرون فيها .

وكانـــت رحلات وأسفار اليونان البحرية فى الغالب بغرض السلب والنهب والقرصنة وبغـــرض الـــتجارة ، فقـــد كشفت الإلياذة والأوديسة عن أعمال قرصنة قام بها اليونان فى منطقة شرق البحر المتوسط وفى آسيا الصغرى ، ولعل روايات أوديسيوس خير شاهد على ذلـــك فقد تفاخر بقيامه بأعمال قرصنة ونهب هو ورفاقه فى إسماروس ، وفى مغامراته فى مصـــر هو ورجاله وما قاموا به من سلب ونهب ، ويكشف سؤال الكوكليبوس بوليفيموس لأوديســـيوس وصحبه عندما اكتشف وجودهم فى كهفه "ألستم قراصنة" ؟ كما تكشف قصة ايومايوس فى نفس الوقت عن اشتغال الفينيقيين بالتجارة والقرصنة أيضاً ، فقد كان التجار مـــن الفينيقيين يمارسون القرصنة عندما تسنح لهم الفـــرص ، وقصة أوديسيوس إنموذج مـــثالى على ذلك فقد كاد أن يقع فى براثن الاستـــرقاق ، لقد كان تجار هذا العصر يسلحون أنفســـهم بدافع حماية ووقاية أنفسهم من هجوم مباغت عليهم من قراصنة آخرين ، وأيضاً يســـتخدمون اسلحتهم عندما تتاح لهم الظروف فى سلب ونهب وأسر سكان بعض المناطق التى يمرون عليها . ففى رحلاتهم الطويلة فقد كان عليهم أن يوفروا احتياجاتهم بثمن زهيد كلما أمكنهم ذلك ، وكانوا يحققون هذا بالسلب والنهب .

وعـــندما يرســـوا هـــؤلاء الـــتجار والقراصنة فقد كانوا يتخيرون أماكن رسوهم فى الخلجـــان العميـــقة ذات الشـــواطئ الجيدة والتى يجذبون سفنهم اليها ، وتربط السفن فى الصـــخور وقـــبل أن يرســـوا كـــان على البحارة أن يرسلوا السفن السريعة ذات المجاديف لاســـتطلاع المكـــان وذلـــك للتنبيه للخطر إن وُجِد والتعرف على الأماكن المناسبة للرسو . وكانت الجزر الصغيرة المهجورة أو التى يسكنها أفراد قلائل هى المفضلة لرسوهم وبالمثل الأراضـــى القارية المهجورة والقليلة السكان حيث يضمنون الحماية والأمان . فكان الرسو

فــى أرض معاديــة كثــيرة السكان غير مناسب لهم بل خطراً عليهم . وقد استخدم اليونان نوعيــن مــن السفن أولهما سفن القتال والقرصنة وثانيهما السفن التجارية، والأولى كانت طويلـــة ضيقة ويمكن أن تشحن بالبضائع فى رحلة الذهاب وبالكثير من الغنائم قدر الإمكان فــى رحلــة العــودة ، بينما الثانية كانت عريضة وقاعها مستدير وأجنابها واسعة ولم تكن سريعة وذلك لضخامة حجمها .

ننتقل للحديث عن التجارة وهى تنقسم إلى قسمين تجارة داخلية فى المنطقة الواحدة وبيــن مــنطقة ومنطقة وتجارة بحرية بين المناطق وبعضها البعض وبلاد اليونان والبلاد الأجنبية القريبة والبعيدة .

فقد كان من غير الممكن لبعض الأسر أن تكون مكتفية اكتفاءً ذاتياً . فقد كانت تبادل ما يفيض عليها فى مقابل ما تحتاجه أو ما ينقصها ، وكانت نقطة الالتقاء لهذه الأسر سوق المديــنة ، لقــد كان تبادل الأشياء البسيطة يجمع المنتج والمستهلك معاً، فكل من الراعى والــزارع والحرفى يقايض منتجاته بسلع يحتاج إليها ولا مكان لوسطاء بينهم ، فكل واحد منهم يقوم ببيع أو شراء ما يحتاجه فعلاً . ولا يوجد مكان لحرفة التاجر هنا ، ولكن بمرور الوقــت فــإن هذه السوق الداخلية لم تعد قادرة على تلبية احتياجات كل الأسر الثرية وكان لابد من الوفاء بها من خارجها فنجد لأتريس والد أوديسيوس عنده حوض استحمام وزيت عطــرى ، كما أن خزائن النبلاء كانت تكتظ بالسلع والأدوات للمقايضة ، فالأسر الكبيرة لا يمكــن أن تكــون بــدون خزائــن ومواد مطرزة والسجاد الأحمر وسبائك البرونز والحديد والذهــب والمجوهــرات والمزهريات المزينة والأسلحة النادرة . ولما كانت بلاد اليونان لا يوجد بها هذه السلع ولا المادة الخام ولا الرجال الحرفيين لصنعها، فقد كان لزاماً عليهم أن يســتوردوها أو يجلبوها من الخارج . وكان ذلك بوسائل عدة فمنها ما يتم سلبه فى الحرب ومــنها مــا يــتم أخذه بالسطو واللصوصية والقرصنة ، ومنها ما يتم مقايضته . والملاحم الهومرية مليئة بقصص الاعتداءات والسطو من اليونان على بعضهم بعضاً. وبهذه الوسيلة فقــد زادت القطعان وحصلوا على العبيد . بيد أن المعادن والسلع الثمينة كانت لا توجد فى

بلاد اليونان ، وكان لابد من جلبها من الأقطار البعيدة خاصة فى الشرق ، والحصول عليها فــى الغالــب الأعم كان يتم من خلال الأجانب الذين تنقلوا بين المدن المختلفة ، وقد ساعد مفهــوم الــيونان عن الضيافة على تسهيل حركة السفر والترحال والتنقل بين بلاد اليونان المخــتلفة ، فقــد نظــر إلى حق الضيافة على أنه واجب دينى تمتع به الإله زيوس حامى الغرباء (Zeus Xenios) ، إله الضيوف ، ولذا نجد أن المسافر المار كان يدعى إلى المنزل دون ســؤال ، فلا تنتهك حرمته من قبل الجماعة ويعطى الشراب والطعام قبل أن يتم سؤاله عــن اسمه والغرض من الزيارة ، كما كان له الحق فى النوم والطعام والإعالة طوال إقامته والعــون أو الــزاد أيضــاً للاستمرار فى رحلته أو عودته إلى وطنه، فكان يعطى كل أنواع العطايــا والهبات وفقاً لثروة مضيفه أو المدينة التى حل بملكها ضيفاً . فنجد تليماخوس قد نــال كــرم الضيافة فى بيلوس وفيراى (Pherae) واسبرطة ، وأوديسيوس نال كل صنوف التكريم فى بلاط الكنيوس ، و هكذا نجد أن الغريب كان يحظى بالحماية لشخصه ولا يُضايق ويمكــنه أن يعــوض مضيفه عن الهدايا التى حصل عليها منه حتى إن لم يستطع أن يقوم بذلــك فــى الحال فيمكنه القيام بذلك فى اللحظة المناسبة . وتذكر الإلياذة ذلك الرجل الثرى الذى يعيش بجوار الطريق فى منزل يرحب فيه بكل المسافرين وعابرى السبيل وهذا يدل أو يشــير إلــى تحول النظرة العدائية للغريب إلى الترحاب واللطف ، أو كما يقول الإغريق أن "axenia" قــد تحولت إلى "auxenia". وهكذا فإن مفهوم اليونان عن الضيافة قد ساهم فى رواج التجارة وتبادل السلع بين مناطق اليونان .

إن مكانــة الــتجارة البحرية عند هوميروس غير واضحة . إذ كان أغلب يونان ذلك العصــر يعــتمدون علــى كفاية أنفسهم بأنفسهم ، فعلى الرغم من أن الفاكيين كانوا بحارة اشــتقت أسماؤهم من البحر والملاحة وأن مهارتهم الملاحية غير عادية وتفوق الخيال ، إلا انهــم لــم يعملوا فى حرفة التجارة بل اعتمدوا على الزراعة والرعى ، وكانوا يشكون فى الغــرباء ولا يحــبونهم كثيراً ، كما نجد الملك أوديسيوس عندما سُئل هل هو تاجر استنكر الأمــر ، وتفاخــر بأنه سلب ونهب وسبى ، ولهذا فلا يوجد مصطلح محدد عند هوميروس لــتعريف الــتجار وهــم بالنســبة له "prektores" بشــكل غــامض بينما نجد مصطلح

"emporos" عـنده كـان يعنى "المسافر بالسفينة" وهذا المصطلح الأخير قد تطور ليصبح معناه فيما بعد "التجار البحريين" . ونستخلص من الأشعار الهومرية وجود تجار يونانيين ، إذ نجـد في الإلياذة أوديسيوس متنكراً فى لباس التاجر كحيلة للكشف عن آخيل المتنكر فى زى عذراء فى بلاط الملك ، ليكوميدس وقد وصفت الإلياذة أوديسيوس بأنه كان يحمل على ظهره العريض وكاهله بقجة كبيرة جمع فيها من كتان مصر وأصباغها وعطورها ومن خز الشام وحريره وسموره الثمين وتصاوير فارس وقماقمها وسنجابها ومشرفيات الهند وتحف السـند ، وطـرف الصـقلب ومن كل ما غلا وارتفع ثمنه من أدق صناعات العالم أجمع . وعـندما وصل إلى حاضرة الملك ليكوميدس وبالقرب من قصره نادى على بضاعته بلهجة أهـل المملكة ، لقد استحضرنا هنا حديثاً بضائع مصر والشام وفارس والهند والسند ونحن لا نبيع إلا للملوك وأبناء الملوك لأن الشعب فقير لا يقدر بضائعنا الغالية . ونحن معروفون فـى مصـر ولا يشـترى فرعون مصر إلا منا وبالمثل فى الشام وفارس والهند .... ولما سـمعت بـنات الملـك نداءه أرسلن فى طلبه فلما حضر اجتمعن حوله يتفرجن هذه تختار مـنديلاً مـن حرير الهند أو منطقة من خز الشام وتلك تشترى من أصباغ مصر وعطورها وخـرزها وثالـثة تفتتـن بتصاوير فارس فتشترى كل ما مع الرجل ... ومن هذه الرواية نستخلص أن غالبية الشعب لم يكن لديهم القدرة على شراء السلع الأجنبية ولا يشتريها إلا الملوك وأبناؤهم. ونجد الملك نستور يسأل تليماخوس عندما وصل إلى بلاطه ما هى غايته أو الـتجارة الـتى أحضرته ؟ ونجد الربة أثينا تظهر متنكرة فى هيئة منيتيس ملك التفيين وأنه ذاهب بسفينته وأفراد طاقمه البحرى الكثير العدد لأرض تيمسى (Temese) آخذاً معه الحديد لمقايضته بالبرونز " وفى فترة لاحقة نجد هيسيود ينصح أخاه إذا ما كان يرغب فى القـيام بالاتجـار على نطاق ضيق ألا يكون طموحاً وأن يشحن قاربه بجانب من محصوله فقـط. كمـا أن والـد هيسيود نفسه كان تاجراً ولكن استقر به المطاف فى أسكرا واشتغل بالزراعة .

وفى ضوء ما سبق فإننا يمكننا القول أن هناك اكتفاء ذاتى للغالبية العظمى من سكان الممالك اليونانية ، ولكن في نفس الوقت فقد نمت التجارة وتطورت بين تلك الممالك، فكانوا

يـبادلون الفـــائض مـــن منتجاتهم الزراعية والصناعية والحيوانات مقابل المعادن والسلع النفيسة التى جلبوها أو جلبت لهم .

لقــد كــان الــتجار الأصلاء من اليونان ومن الغرباء ، فقد اشتغل بالتجارة التفنيون وأهـل ليمــنوس (Lemmions) والكريتــيون والفنيقــيون الذين شاع ذكرهم فى الإلياذة والاوديســة فكــان الفنيقــيون يجلبون السلع النفيسة وكل ما لذ وطاب من المصنوعات ، والمــواد النفيســة ، والعبــيد . وقــد اشتهر التاجر الفينيقى بالخداع والغش ، وكان سيئ الســمعة فكــان المرء يرحب ببضاعته ، ولكنه لا يثق به عموماً خشية أن يأخذه أسيراً إن كان مسافراً معه ، أو يخطف ابنه أو ابنته عند رحيله من المدينة التى رسى فيها قاربه بعد شــحنه بالسلع التى قايضها . ولعل رواية أيومايوس خير شاهد على ذلك فقد روى أنه ابن ملك ولكن اختطفته أمة والده ، وسلمته للفينيقيين التجار الذين كانوا قد استقروا فى مملكته لمدة عام لبيع ما حملوه معهم وبعد أن باعوا بضاعتهم ، وشحنوا سفنهم فرت الأمة ومعها طفل وليها أيومايوس . كما نجد أوديسيوس نفسه كاد أن يقع فى براثن العبودية مرتين .

وفى ضوء ما سبق نجد أن اليونان كانوا على دراية ، ومعرفة بسلع بلدان كثيرة مجاورة ، وغير مجاورة فقد عرفوا بضائع وسلع المناطق القريبة منهم مثل : تراقيا وآسيا الصغرى، والشــام ومصــر وقبرص ، وسلع وبضائع مناطق بعيدة منها فارس والهند وسواحل بحر البلطيق وربما إفريقيا . فقد عرفوا العنبر ومن المرجح أنه وصلهم من سواحل بحر البلطيق براً إما إلى الشواطئ البحر الأسود وإما إلى سواحل البحر الأدرياتيكى ، حيث تمّ شحنه فى ســفن فينيقية ومن هناك وصل إلى بلاد اليونان ، كما عرف اليونان العاج ولعله هو الآخر قد وصلهم من إفريقيا عبر مصر ، أو من مكان آخر قد يكون الهند عبر إيران وغرب آسيا ، ووصــل إلــى المــدن الفينيقــية . كمــا قــام الفينيقيون بنقل الصفيح إلى اليونان من كاســتيريديس (Kassiterides) كمــا نجدهــم حصلوا على الخمر ، والسيوف الجميلة من تراقيا ، ومن المدن الفينيقية حصلوا على الأردية الأرجوانية والسلاسل الفضية ، والحلى ، والسجاد ، والمزهريات الثلاثية الأرجل والسلاسل الفضية وحصلوا على النحاس من قبرص .فقــد حصــلوا مــن مصر على المعادن النفيسة التى تأخذ شكل السبائك ، أو المصنوعات

الفنــية ، والعاج، وبعض العقاقير والمراهم والملح والصودا والشب والالبستر والأصباغ .
كما صدرت منطقة البحر الأسود إليهم الحبوب والعبيد والخشب ، وصدرت لهم ليديا وكاريا المنــتجات العاجــية المــنحوتة والمرســوم علــيها . ولعل ما دونته الإلياذة بشأن رحلة أوديســـــيوس المتــنكر فــي ثوب تاجر تكشف لنا عن سلع أخرى سواء أكانت من الحرير والأصــباغ والتصــاوير والسيوف ... الخ والبلدان التى سبق ذكرها خير دليل على اتساع معرفة العالم اليونانى بمناطق وبلدان نائية .

كان اليونان يدفعون أثمان وقيم مشترياتهم عن طريق المقايضة إما برؤوس الماشية وإمّــا بسبائك الحديد ، والبرونز . فنجد من بين الجوائز التي قدمها آخيل بمناسبة الألعاب الجــنائزية التي أقامها في تأبين ، وتكريم صديقه وتابعه باتروكلوس، كأس ثلاثي الأرجل قدرت قيمته باثني عشر ثوراً وأمة قدر ثمنها بأربعة ثيران ، وقطعة سلاح كانت تساوى ما بيــن تســعة ثيران ومائة ثور ، ونجد أن اليونان كانوا يقايضون السلع والبضائع بالمعادن وإن كانت الحيوانات وخاصة الثيران هى معيار تقدير القيم والأسعار بالنسبة لليونان .

وكان الإغريق يصدرون الفخار ، والأسلحة ، والمنسوجات الصوفية ، والكتان وربما الخمر أيضاً والعبيد .

الحياة الدينية والفكرية :

١- الديانة :

سنحاول أن نعرض بإيجاز للديانة اليونانية في ضوء الصورة التى رسمها هوميروس لها . وفى الواقع فإن ملحمتى الإلياذة والأوديسة تُعدان المصدر والينبوع الأول للديانة اليونانية ، فقد كان هوميروس أحد ينبوعين استمد منه القدماء والمحدثون معرفتهم بالديانة . أما عن الينبوع الثانى فهو ملحمة أصل الآلهة (Theogonia) للشاعر هسيودوس . لقد جمع هوميروس فى خالدتيه التراث الدينى للآلهة للعصور السابقة عليه وللأفكار الدينية السائدة فى عصره وقدمه لنا فى نسق جميل ، ثم أتت ملحمة هسيودوس لتكمل لنا الصورة الدينية السائدة عند اليونان فى عصره والعصور السابقة عليه ، فمن الجدير بالذكر أن الفكر الدينى لا يتغير بسهولة بل تبقى الأفكار الدينية ثابتة راسخة بدون تغير .

وهكذا قد غدت ملحمتى الإلياذة والأوديسة وملحمة أصل الآلهة انجيلاً يرجع إليه اليونانيون فى كل ما يخص شئون دينهم .

لقد صور لنا هوميروس كيف وصلت الآلهة إلى السلطة على جبل الأوليمب فقد قدم وصفاً على لسان الإله بوسيدون يروى لنا قصة الصراع مع العمالقة والانتصار عليهم إذ يقول "لأننا ثلاثة إخوة ، أبناء كرونوس ولدتهم ريا ، زيوس وأنا وهاديس . وقد قسمنا كل شيء ثلاثة أقسام وحاز كل منا نصيبه الذى يتولى شرف رعايته ، وعندما اقترعنا أخذت البحر الأبيض لأستقر فيه إلى الأبد ، وأخذ هاديس الظلام المعتم، وأخذ زيوس السماء الشاسعة فى الهواء ، والسحب . أما الأرض واوليمبوس العالى فهما مشاعاً بيننا جميعاً .

لقد قدم هوميروس صورة للآلهة والإلهات وهم يعيشون على ذرى جبل الأوليمب فى حياة أسرية ، ويأتى على رأسها زيوس ، رب الأرباب ، سيد الآلهة أبو البشر جميعاً ، رمز

القـوة والقانون ، وصاحب الكلمة العليا فى مجلس الآلهة ، سريع الانفعال ، حاد الغضب ، محـبا للانـتقام ، والآلهـة تطيعه وتخافه لأنه أقواها ، ولكنها كانت لا تحترمه ، فكثيراً ما سخرت منه لعناده المشوب بالغباء ، ولما كان هو الأخ الأكبر لأخوته فكان عليهم طاعته ، لأن طاعة الأخ الأكبر واجبة ، وقد عاشوا من حوله فى شكل أسرة ممتدة مكونة من أخويه بوسـيدون وهـاديس وأخـته هيرا وزوجته وبناته وأبنائه الشرعيين وغير الشرعيين هـ هيفايسـتوس إله الحدادة والنار ، وأبوللو إله النور والشعر والموسيقى ، وأرتيميس إلهـ القمـر والليـل والصيد ، وأفروديتى إلهة الحب والجمال والاخصاب ، وديميتر إلهة القمح والحصـاد ، وأثينا الربة الأثيرة عند أبيها فلم تأت من مخالطة زيوس لإلهة من الآلهة ولم تـتخلق مـن نطف أبيها فى رحم امرأة ، وإنما انبثقت من رأس أبيها ، فكانت إلهة الحكمة والذكـاء وحامـية العلـوم والآداب . وهكذا نلاحظ أن الآلهة السالفة الذكر كانت تعيش فى أسرة إلهية وأن كل فرد فيها له تخصصه وإن كان هناك تداخل فى اختصاصاتها وأن الديانة الهومـرية كانت ديانة طبيعية تعبد فيها قوى الطبيعة عن رغبة وعن رهبة . ولا يمكننا أن نـرى فـيها قواعد أخلاقية ثابتة تحدد للإنسان ما ينبغى وما لا ينبغى أن يفعله ، بل أن فى هذه الديانة هوة واسعة بين اللاهوت والأخلاق .

لقـد صـور هومـيروس الآلهـة تعـيش علـى شـاكلة البشر أو فى هيئة بشرية (Anthoropomorphism) فصـفاتهم وتصرفاتهم تشبه معظم صفات البشر وتصرفاتهم فـنجدهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتناسلون ويمرضون ويشتهون، فقد كان يقوم بين بعضـهم الـبعض مـا يقوم بين البشر من عواطف الحب والغرام والغيرة والبغضاء ، وما يشجر بين هؤلاء من خلافات . بيد أنهم يختلفون عن البشر فى أنهم خالدون سرمديون أى مـنزهون عـن الموت ولهم صفة القدرة حيث يستطيعون الإتيان بخوارق يعجز البشر عن الإتيان بها . وإن كانت تتباين فى قوتها وتختلف فيما بينها فى المجالات التى تستخدم فيها القـوة ، إذ نجد قوة أفروديتى لا تقهر فى الأمور المتعلقة بالرغبات الغرامية ، ولكن عندما حاولـت الاشـتراك فى الصراع الحقيقى ، هاجمها ديوميديس وأصابها بجرح فى يدها لأنه يعـرف أنهـا إلهة ضعيفة ، وذهبت باكية شاكية لأبيها زيوس الذى قال لها "يا بنيتى ، إن

الأعمـــال الحربــية لم تمنح لك ولكن تتبعى أعمال الحب للمتزوجين وكل هذه الأمور سوف يــرعاها إريس ذو القدم السريعة وأثينا" وعلى الرغم من ذلك فقد كانت القوة الإلهية خارقة للطبــيعة فــى أدق معانيها . إنها تفوق القوة الانسانية فى ماهيتها وفى سحرها. فإذا كان ديومـــيديس قد استطاع أن يهزم أفروديتى فى معركة مباشرة ويجرحها ، فكان يمكن للآلهة أن تغطــيه بضـــباب كثــيف وتخطفه بعيــداً . ولأخيل نفسه يقول ليس فى الامكان أن نجد وسيلة أمام هذه الحيل .

ويصور هوميروس الآلهة على أنها تتحكم فى حياة البشر تحكماً لا يخلو من الأهواء والــنزوات دون اكتراث بهموم البشر ومشكلاتهم ، فقد تنزل الآلهة من عليائها يسعون بين الناس ويمشون فى الأسواق . وقد يقع أحدهم فى غرام فاتنة من بنات البشر وتستجيب له فيخالطها ويمنحها الخلود أو تتأبى عليه فيصب عليها جام غضبه مثلما فعل الإله أبوللو مع كاســندرا ابــنة بريام فقد هام بها حباً ووعدها أن يمنحها موهبة الاستنباء وقد وهبها لها بـــالفعل ولكنها تأبت وتمنعت عليه ، فصب عليها غضبه إذ كتب عليها ألا يصدقها أحد على الرغم من أنها كانت تنطق الحق . ويصور هوميروس نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيــوس أو بوسيدون فعلى سبيل المثال كان أهل فاكيا يعتقدون أنهم من سلالة بوسيدون . ولكن العكس كان نادراً ، فقد شكت كالبسو من ذلك إذ نجدها تحتج وتقول "أيها الآلهة انكم غــير رحمـــاء، تغارون بصورة لا تبارى فتنقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، إذا اتخــذت واحـــدة منهـــن من رجل عزيز عليها شريكاً فى فراشها" . ومن ثمرة هذا الزواج والاتصال نذكر أخيل بن بيليوس واينياس بن انخيثيس . فقد ولد الأول من الحورية ثيتيس بينما الثانى من الإلهة أفروديتى .

ويصـــور لنا هوميروس أن الآلهة إذا حاق غضبها ببشر فإنها كانت تتبعه أو تدمره أو حــتى يقــدم التقديمات والاضاحى التى تعيدها إلى طبيعتها حتى تصفح عنه . وفى نفس الوقـــت نجد الآلهة تعاضد وتناصر بعض البشر فى أعمالهم وتقدم لهم الرعاية والعناية فى كـــل نوائـــبهم . لقد كانت الآلهة تقف وجهاً لوجه لنصرة الأبطال فى المعارك الحربية مثلما حـــدث بالنســـبة لطـــروادة فقـــد تعرضت لغضبة كل من هيرا وأثينا نتيجة لتصرف الأمير

الطروادى باريس ، ولذا نجدهما قد عاضدتا الآخيين ووقف بوسيدون يناصرهما . بينما نجد الإلــه زيــوس يرسل إريس للإله بوسيدون يأمره بالانسحاب من الحرب ومساندة الآخيين. وأمــام وقــوف زيــوس بجانب الطرواديين نجد أن الإلهة هيرا قد حاولت أن تخدعه ، فقد أســرت إلــى الآلهة أنهم يمكنهم أن يخدعوا زيوس لانقاذ الآخيين من المذبحة التى اعدت لهــم. ونجد أن بوسيدون لم يرغب فى الاشتراك فيها بل اعترض على ذلك بقوله "أى هيرا الطائشـــة فى حديثها ، أى نوع من الحديث نطقت!! إننى لا أرغب فى أن نشتبك جميعاً فى حرب مع زيوس فهو يفوقنا إلى حد كبير . ونموذج آخر لغضب الآلهة لقد غضب بوسيدون من أوديسيوس لأنه ثمل عين الكوكليبوس ولم يتخلص من غضبه إلا بعد أن التمست الإلهة أثيـنا مـــن أبيها أن يسانده ويرعاه فى العودة إلى وطنه إيثاكا . ورد عليها أبوها أن الإله بوســيدون هــو الغاضب عليه ووعدها بأن يجمع الآلهة لوضع خطة لعودته وسوف يتخلى بعدهـــا بوسيدون عن غضبه إذ لن يكون له حول ولا قوة أمام جميع الآلهة الخالدة ويجاهد وحده ضد إرادتها. لقد كان أوديسيوس محظوظاً إذ وقف كل من زيوس وأثينا لمناصرته فى أسفاره وفى الخلاص من الخطاب ووقف القتال مع أسر الخطاب .

ويصـــور لنا هوميروس أيضاً أن الآلهة وحدها كان لديها القدرة على سلب الإنسان وعــيه وعقله واصابته بالأمراض . كما أن الآلهة قد وهبت البعض من البشر القدرة على العــلاج والتطبيــب وفى نفس الوقت قد منحت موهبة الإلهام للمنشدين والاستنباء للعرافين وسنتحدث عن هذا فى الصفحات التالية .

ويصور لنا هوميروس أن بعض الآلهة كانت تتشكل فى أشكال وصور مختلفة عندما تتصل بالإنسان وتتجلى له ، وخير دليل على ذلك هو تشكل أثينا فى هيئة منتور لتليماخوس وفـــى هيـئة راعــى لأوديسيوس وفى صورتها الأنثوية الحقيقية . وإذا كانت بعض الآلهة تـــتجلى أحياناً للبشر فإن زيوس احتفظ بالبعد الذى يفصله عن عالم البشر وهو الوحيد من عالم الآلهة بالأوليمبوس الذى لم يتدخل مباشرة فى الحديث أو العمل أبداً . ولكنه كان يتصل بالبشر عن طريق وسائل شفوية يحملها أريس أو عن طريق الرؤيا أو بواسطة الاشاعة أو

اى إلــه آخر من الآلهة أو عن طريق الفأل وهو سبيل أقل من الناحية المباشرة مثل الرعد وطيران نسره .

ويصــور هوميروس عقيدة الآخيين عن الموت والعالم السفلى على النحو التالى وقد ســبق أن تكلمــنا عــن الطقوس والجنازات والألعاب الجنائزية . فكان هاديس يحكم العالم الســفلى والــدار الآخرة حيث كان يذهب الموتى فلا يرجعون . والعالم السفلى دار مظلمة تفصــلها عــن دار الأحــياء أنهار عظيمة وسيول جارفة مهولة ومحيط عظيم لا سبيل إلى اجتــيازه إلا فى فلك متين . فعندما يموت الانسان تنفصل روحه عن جسده ، والروح تتحلل ولكــنها لا تفنى . وكان اليونانيون يؤمنون فى امكانية استدعاء الروح كما فعل أوديسيوس فى رحلته إلى العالم الآخر ، فبعد تقديم القرابين كانت تحضر الأرواح ولكنها لا تتكلم إلا بعد أن تشرب من دماء القرابين . ويكشف لنا الحديث بين أوديسيوس وأرواح الموتى أن الدار الآخــرة لــم تكن محببة فقد قال أخيل لأوديسيوس أنه يفضل ألا يكون ملكاً على الأموات ، ولكن يفضل العيش فى الحياة الدنيا ، وأن يشتغل أجيراً فى خدمة رجل آخر . وقد رأى فى رحلته هذه أيضاً الأرواح الحزينة والمعذبة فقد رأى الملك مينوس المجيد بن زيوس ممسكاً بالصــولجان الذهــبى فى يده يحكم بين الموتى وهو جالس فى مقعده ، بينما هم قيام حول الملك وقعود فى بيت هاديس المتسع الباب يطلبون منه الحكم . ورأى روح أوريون يسوق الكاســرة ، عــبر حقل البروق ، كذلك رأى تيتوس بن جايا المجيد مستلقياً على الأرض ، ممدداً فوق تسع نتوءات صخرية ، بينما يقبع نسران واحداً منهما عن كل جانب ، ينهشان كــبده ، ويمــدان مــنقاريهما فــى أحشائه ، وهو لا يملك من نفسه دفعاً لهما بيديه وذلك لاســتخدامه العــنف مــع ليــتو ، زوجــة زيوس المجيدة ، بينما كانت ذاهبة صوب بوثو (Pytho) خلال بانوبيوس (Panopeos) ذات المروج الخلابة . كما رأى تانتالوس يعان أمر العذاب ، واقفاً فى مستنقع ، والمياه تبلغ الزبى ، وكان مع ذلك يشكو الظمأ ولا يستطيع أن يتــناول مــن الماء القريب من فمه ويشرب ، فكلما انحنى ذلك الرجل العجوز ، متلهفاً إلى اطفــاء ظمئه انحسر الماء واختفى وظهرت الأرض السوداء عند قدميه ، إذ كان أحد الآلهة يجعــل كــل شــىء جافاً ، كما كانت الأشجار الباسقة المورقة دانية القطوف فوق رأسه ،

أشـجار الكمثرى والرمان والتفاح ، بثمارها اليانعة اللامعة وتينها الحلو وزيتونها الغزير ، ولكن ذلك الكهل المسن كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه ، هبت عليها الرياح ودفعتها السـحب الظليلة ، ورأى سيسوفوس (Sisyphus) في عذاب مرير يحاول أن يرفع صخرة هائلـة بكلـتا يديه ، ملقياً بها فوق قمة تل ، بيد أنه كلما أوشك أن يقذف بها فوق القمة ، ردهـا الـثقل إلى الوراء ، ثم إلى أسفل من جديد ، فتسقط الصخرة العاتية متدحرجة فوق السهل ، فيعاود المحاولة من جديد ، ويقذف بها ثانية والعرق يتصبب من أطرافه ، والغبار يتصاعد من رأسه.

وهكذا نرى أن الدار الآخرة عند هوميروس لم تكن محببة بل كانت كئيبة حيث تعذب فيها الأرواح .

٢- المهن :

لا تـتكلم الإلـياذة و الأوديسة عن طبقة وسطى بأدق معنى الكلمة ، ولكن يمكننا أن نجـد فئة أو طبقة أدنى من النبلاء كانت من حاشيتهم ، وتتكون من متخصصين في مهنهم يكسـبون الـثراء والشرف من ممارسة مهنهم ، وقد نظر إليهم على أنهم قد تلقوا علومهم ومعـارفهم مـن الإلهـة نفسها وهذه الخاصية كان يتوارثها الخلف عن السلف داخل إطار الأسـرة الواحدة ، ولكن قد يحدث أنْ يتلقى شخص ليس من تلك الأسر الإلهام مثلما حدث للشاعر هيسيود . وهذه المهن هي : الكهنة والمتنبئون والأطباء والشعراء أو المنشدون . وكـانوا قريبين من الملوك وبلاطهم لتقديم النصح ومساعدتهم في ممارسة وظائفهم فكانوا بمـثابة القـيم علـى إقامـة الشعائر وصياغة الأغاني أو الأناشيد الدينية وحفظة للشعائر والاحتفالات ومفسري للعلامات والأقوال الغامضة المبهمة والتي يصوغ بها الآلهة قراراتهم وتحذيـراتهم ، وأخيراً فقد كانوا حراساً لهذا العلم . وبعض أسر المهنيين كانت تنحدر من سـلالة ملكـية ، ولـم تكـن هذه المهن مغلقة على فئة بعينها ولكن كانت مفتوحة ويمكن الالـتحاق بهـا بـل نجـد أنّ البعض منها كان متداخلاً فنجد ملخون (Machon) الطبيب المشهور في الجيش الآخي الذي كان في نفس الوقت جندياً ، و كاين لاسكليبيوس فإنه كان

تقريباً متساوياً مع الأسر الملكية الدم ، وأيضاً فإنّ العراف ثيوكليمنوس المنحدر من أسرة ميلامبوس كان كريم المحتد . وبعض العاملين فى هذه المهن كان بحاجة إلى التنقل والترحال من مكان إلى مكان لممارسة مهنتهم . وسنحاول أنّ نلقى الضوء على هذه المهن:

١ - الكهنة :

لم تكن هناك عبادة دائمة ومنتظمة يقوم بها الكاهن ولكن نجده كان مسئولاً عن الاحتفالات المرتبطة بتقديم الأضاحى فى مناسبات كانت تحتفل بها المدينة والجماعات وفي بعض هذه المناسبات فإن الشخص الذى كان يقوم بذلك لم يكن كاهناً بل كان رأس العشيرة أو القبيلة . ولكنه فى نظر عشيرته كاهناً لأنه مسئول عن عبادة الأسلاف .

إن دور الكاهن هو تنظيم وأداء الشعائر والطقوس على نحو دقيق ، وكان يقع على عاتقه أداء بعض المهام مثل ذبح الضحية وسلخها وتقطيعها والأشراف على طقوس طهيها، وكان عليه تنظيم الترتيبات الخاصة بتقديم الأضاحى وتلاوة الصلاة الصحيحة التى تصاحبها .

ونجد كلمتين فى المفردات الهومرية تصفان دوره فهو "hiereos" أي المضحى والذي يجعل الضحية مقبولة ، وهو أيضاً "areter" أي المبتهل الذى يقوم بأداء الصلوات نيابة عن المتضرع فهو الوسيط الرمزى بين البشر والإلهة لأن لديه إذن للقرب منها . وكان تقديم الأضاحى لإرضاء الإله وتجنباً لغضبه ونقمته أو رفع بلائه ومثالنا على ذلك هو مقدم أوديسيوس ونفر من الآخيين إلى معبد الإله أبوللو فويبوس لتقديم أضحية من مائة ثور بغرض رفع ما حاق بهم من ضر وخراب وحزن نتيجة غضب الإله لأخذ ابنة كاهنه أسيرة من قبل أجاممنون . وبعد أن سلم أوديسيوس ومن معه ابنة الكاهن لأبيها طلبوا منه القيام بالصلاة وتقديم الابتهال للإله أبوللو عسى أن يرفع عنهم الضر والأذى وقام الكاهن

بأداء الشعائر والطقوس بغرض جلب الخير ورفع الضر عن الآخيين كما نجده يشرف على التضحية بالثيران.

وتذكر القصائد الهومرية اشارات حول العديد من بيوت الإلهة . فنجد ذكر لما قام به الكاهـن خيريسـوس (Chyrsis) فـي صـلواته بوضـع غطاء بيت الإله (neos) ، ونجد ايوريلوخـوس (Eurylochos) في الأوديسة يحصل على وعد من أقرانه الذين كانوا على وشـك التضـحية ببعض العجول إلى الإله هيلوس بأنهم سوف يبنون بيت (neos) لتكريم الإلـه. ونسـمع عن أن والد الملك الكينوس قد بنى العديد من البيوت (neoi) لتكريم آلهة المدينة ، وفي الإلياذة اشارة إلى أن النساء الطرواديات قد قمن بإصلاح بيت الإلهة أثينا ، وقدمـوا لهـا الكسـاء ، وأن الكاهـنة ثيانو (Theano) قد قامت بفتح الأبواب ووضعت التضـحية مع ركب التمثال بينما النساء كن يقمن بالشعائر والابتهال بأيديهن الممدودة إلى أثينا ثم قامت ثيانو بالصلاة ويوجد ذكر لبيت الإله أبوللو في طروادة .

ولمـا كـان الكاهـن أميـناً على المعبد فإنه كان يدير أملاك الإله والتى كان يحصل علـيـها مـن عـباده وكانـت طقـوس العبادة تتم من خلال الهبات العامة أو الخاصة أو بالشـراء، وكـان يعاون الكاهن في أداء واجباته الإدارية والدينية عدد من المساعدين من طبقة الكهنة ، وكان لكل معبد وعبادة متخصصيها ، ففي كلاروس (Claros) نجد أنَّ كاهن أبوللـو كـان يعاونـه متنبـئ والـذى كـان يفسر كلام الإله وأيضاً منشد أو شاعر ديني (Theopiodas) والـذى كـان ينظم الارادة الإلهية شعراً ، وفي افسوس نجد بالإضافة إلى الكاهـن الأكـبر لارتيمـيس زمـلاء كاهـنات عذراوات وأطلق عليهن النمل (Melessai) وكخدمـات للآلهـة فقـد شـاركن في الرقص والمواكب وبجانبهن زملاء متطهرين كانوا يعيشـون في محيط المعبد . وهكذا فبجانب كبار الكهنة كان هناك العديد من أعضاء السلك الكهـنوتى فـى المعابد والذين اختلفت واجباتهم ومهامهم ، وكان هؤلاء الكهنة مساعدوهم يحصلون على هبات المعبد ويحصلون على حصة من الأضاحى .

ب - العرافون :

حظى فن العرافة والاستنباء بتقدير عظيم ، واحتل مكانة بارزة في الشعر الهومرى،

فقـد نـال العرافون شهرة كبيرة وشاع ذكرهم فيه ، وفن العرافة والكهانة عند اليونان من محاولـة لاكتشـاف الفكر الذى يدور فى العقل الإلهى المقدس والاتصال المباشر به وتفسير وتجلية الرموز والإشارات واستلهام المعرفة التى قد يكشف عنها الإله .

وقـد نـال بعض عرافى العصر الهومرى شهرة كبيرة ونذكر منهم : كالخاس عراف الجـيش الآخـى ، وهيلينـوس وكاسـندرا ابنا بريام الملك الطروادى ، وهاليثيرسيس (Halitherses) الاتيكى وأيوريدماس وبولداماس وتيرسياس وثيوكلمينوس .

وتكشف لنا الاشعار الهومرية انّ هؤلاء العرافين قد قاموا بتفسير الاشارات المختلفة أو الـنذر التى تصدر عن الآلهة وإن حدث فى بعض الأحيان أن الآلهة كانت تتجلى وتظهر بشـكل طبـيعى لبعض الأبطال مثل تجلى هرميس للملك بريام وارشاده فى ذهابه إلى أخيل طلـبا لجثمان إبنه هيكتور ، وتجليات أثينا المختلفة لكل من أوديسيوس وابنه تليماخوس ومـن هـذه التجليات الضوء العظيم الذى لمع من أثينا وأنار منزل أوديسيوس عندما كان أوديسـيوس وابـنه تليماخوس يجمعان الأسلحة من بهو المنزل قبل قتل الخطاب ، وهذه كانـت إشـارة إلـى رعاية الإلهة أثينا لأوديسيوس وولده. أو مثلما ودع زيوس الأسطول الآخـى المقلـع من أوليس (Aulis) بصرخة مدوية ، أو إرسال نذير لليونان قبل إقلاعهم فعـندما كـان أجاممنون يقدم القرابين للإلهين زيوس وأبوللو ظهرت حية ضخمة زرقاء ، على ظهرها علامات حمراء اللون مثل لون الدم، خرجت الحية من تحت المحراب المقدس واتجهت من فورها نحو شجرة ضخمة كانت قائمة بالقرب من الشاطئ وعلى أعلى فرع من فـروع الشـجرة كان يوجد عش عصفور يرقد فيه ثمانية عصافير صغيرة بجوار أمهم ، والتهمـت الحـية الضخمة الصغار والأم ، ثم رقدت مكانها دون حركة وسرعان ما حولها الإلـه زيوس إلى حجر أصم . أمام هذا المشهد سيطرت الدهشة على كل الحاضرين وسألوا العـراف كالخاس تفسيرا لهذه الحادثة ، أعلن كالخاس على الفور أن ما حدث يؤكد ما تنبأ بـه الملك انيوس بأن طروادة سوف تسقط ولكنها لن تسقط قبل مرور تسع سنوات كاملة سيقضـيها الآخـيون فـى الكفاح والنزال أمام أسوارها وسوف تسقط فى العام العاشر . وأرسـل الإله زيوس بارقة أضاءت كل أنحاء المكان. فعل زيوس ذلك تأكيداً لنبوءة كل من الملـك انـيوس وكالخاس . أيضاً تفسيره وإجابته على سؤال أخيل حول سبب غضب الإله

أبوللـــو فويبس على الآخيين وصبه وباء الطاعون عليهم الذى كاد أن يبيدهم . وكان أخيل قـد عقد اجتماعا للمحاربين الآخيين وطلب منهم أنْ يسألوا كاهناً أو عرافاً أو واحداً ممن تأتـــيهم الأحلام والتى تأتى من الإله زيوس ، وكانت الإجابة هى أنْ غضب الإله سببه أخذ ابنة كاهنه سَبية من قبل أجاممنون ، ورفض الأخير إعادتها لأبيها العجوز فدعا ربه أبوللو بصب الطاعون على الآخيين ، ولرفع هذا الضر كان لابد من إعادتها إلى أبيها .

كانـــت الـــنذر المقدســـة فـــى الإلياذة والأوديسة تأخذ شكل الأحلام وتصرف الطير وحركاته والتفاؤلات الحسنة والسيئة (مثل الكلمات الصادرة جزافا أثناء الحديث أو العطاس أو الضـــحك ... الـــخ) . وكـــان اليونانـــيون يقومون بتفسير هذه النذر من خلال عرافين محترفين أو يقوم الأفراد العاديين بتفسيرها .

نظر اليونان إلى أن بعض الأحلام تأخذ شكلاً خداعاً لارتباطها بالليل والظلمة البهيمة والعـــالم الســـفلى ، إذ نجـــد أن بينلوبى تخاطب أوديسيوس قائلة إن الأحلام نوعان أولهما يكـــون محببا وموثوقا به والثانى يأتى من الضرس . ومن الأحلام الصادقة ما رأته بينلوبى فقد رأت حلمين ينذر أولهما بقرب اغتيال الخطاب بينما يبشرها ثانيهما بعودة تليماخوس ، ومـــن الأحلام الكاذبة الحلم الذى أرسله زيوس إلى أجاممنون عن طريق إله الأحلام انتقاما مـــنه وذلـــك لارضاء ثيتيس والدة أخيل ، لما حاق به من إهانة على يد أجاممنون فقد أمر زيـــوس إلـــه الأحـــلام بالذهاب إلى أجاممنون وأن يداعب عينيه وأن يجثم على قلبه وأن يقـــول له وهـــو يغط فى نومه العميق أن الآلهة تأمرك أن تصبح فتناخ فى البوق ، حاشداً عســـاكرك على اقتحام طروادة فإن زيوس يبشرك بالمدينة الخالدة ولا يكاد النهار ينتصف حـــتى تكـــون جنودك فى شوارع طروادة ظافرة منتصرة. وصدع إله الأحلام بما أمره سيد الأوليمـــب ، ألقـــى فى روع أجاممنون الحلم الكاذب وعاد أدراجه الى مولاه سيد الآلهة .
ولكـــن كـــيف يمكن للمرء فى ذلك العصر أن يفرق بين الصادق والكاذب من الأحلام ؟ كان هـــناك مفسرو الأحلام (Oneiropoloi) ، وكان هؤلاء يصيبون ويخطئون فى تفسيراتهم ، ولـــذا نجـــد هومـــيروس كان لا يثق فيهم كثيرا فقد ازدرى إيوريداماس العجوز لفشله فى الكشف عن أخبار موت ولديه .

وإذا كـــان هوميروس لا يولى ثقة كبرى فى بعض الأحلام ومفسريها فقد أولى ذكر حـــركات وتصرفات الطيور الجارحة عناية خاصة ومنها النسور والصقور التى كانت بمثابة رســـل الآلهة ترسل نذرها وإشاراتها المقدسة من خلالهم ، وكانت حركات وتصرفات الطير تحـــتاج الـــى تفسير مفسر ، قد يكون متخصصاً أو غير متخصص ، ومن أمثلة هذه النذر وتفسيرها ، تفسير العراف بوليداماس للقتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأنه فـــأل ســـىء للطرواديـــن ، وتفســـير بريام لظهور نسر بعد أنْ صلى صلاة طويلة لزيوس بغـــرض أن يحميه ويوقيه ويرشده إلى أخيل وأن يرسل إليه الرسول الذى وعد ويقوده الى معســـكر أخيل ، ولم يكد ينهض من صلاته ويختم توسلاته حتى رفرف فوق رأسه نسر ظل يضـــرب بخافقيه ، ويحوم ويدوم ويرنق فى سماء الهيكل تارة ثم يستقر عند المذبح تارة أخـــرى ، حـــتى أيقـــن الملك وملؤه أنه الرسول المنتظر والقائد المنشود الذى سيقوده إلى معســـكر أخـــيل حتى يسترد جثمان هكتور ، ومن النذر التى يذكرها الشاعر أيضا أنه أثناء انعقـــاد الجمعـــية الشـــعبية فـــى اثياكا بناء على طلب تليماخوس أن حلق نسران عظيمان أرســـلهما سيد الأوليمب ، وتقاتلا فوق الاجتماع ، وقد فسر العراف هاليثيرسيس هذا النذير بقرب عوده أوديسيوس وانتقامه إذ نجده يقول "أيها الناس يا أبناء أثياكا ، اسمعوا وعوا ! لـــيحذر الخطـــاب بمـــا يخبـئ لهـــم الغيـــب من شر أوشك أن ينقذف على رءوسهم ! إنّ أوديســـيوس حـــى يـــرزق ، وأنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليغذ السير إلى هنا ! إنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه والخير الأخضر إلى مواطنيه ، أنا هاليثيرسيس كاهنكم وعرافكم الـــذى لا يكـــذب قـــد أنبأه قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ وأنه عائد إلى وطنه بعد أنْ ينتصـــر علـــى أعدائـــه ويذيقهم ضعف ما صنعوا ولن يجديهم ان يتوبوا أو يندموا ،،،، وليأتيـــنكم نـــبوءة بعـــد حين ! " وفى مناسبة أخرى عندما كان تليماخوس وبيزاستراتوس يهمـــان بمغـــادرة قصر مينلاوس وهيلينى فى اسبرطة ظهر نسر رف عن يمين تليماخوس وصـــحبه وهو يحمل بين مخالبه إوزة اختطفها من فناء الدواجن ، ولحقه الرجال والنساء يتصـــايحون فسأل بيزاستراتوس ما ظنك يا مينلاوس ؛ هل أرسل زيوس هذا النذير لك أو لنا؟ وفيما كان مينلاوس يعمل الفكر ، قالت هيلينى "اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى، فكما انقض هذا النسر من الجبل الذى نشأ فيه ، واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود

أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال طويل ، وينتقم لنفسه ، وإن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا " و بعد عودة تليماخوس إلى وطنه واصطحابه العراف ثيوكليمينوس ، وبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث طار عن يمين تليماخوس صقر يحمل بمخالبه حمامة ، ونتف الصقر ريش الحمامة ونثره على الأرض بين ثيوكليمينوس والسفينة ، وقد فسر ثيوكليمينوس هذا النذير على أنَّ أسرة تليماخوس هى أقوى الأسر بأتيكا وأن ملكها سيدوم.

هكذا نرى أن هذه النذر والتجليات لها معانى فقد كانت ترتبط بحدث ما سواء أكان بمناسبة اجتماع معقود أم الرحيل أم الوصول أم تحول درامى فى القتال .

و يسجل لنا هوميروس أيضا بعض التفاؤلات مثل تفسير حالة العطاس المسموع والانفجار فى الضحك أثناء الحديث ، فقد ذكر أنه بينما كانت بينلوبى تتناقش مع إيومايوس وعبرت بصوت مسموع عن أمنيتها بعودة أوديسيوس ، وأن يقضى على هؤلاء الخطاب ، وفى أثناء ذلك فقد عطس ابنها تليماخوس بصوت مرتفع وانفجرت هى فى الضحك فتفاءلت بذلك ، وأعلنت أن القتل سيكون مصير الخطاب جميعا . ونلاحظ هنا أن بينلوبى هى التى فسرت هذا الفأل الحسن لها والسيئ للخطاب .

و نستخلص من هوميروس أن العرافين كان لديهم أساليب أخرى للكشف عما يجول فى عقول الآلهة وتفسير ذلك . لقد كان هناك عرافون متخصصون فى فحص أحشاء الأضاحى ، فقد وثق الملك بريام فى كاهنه وتكهن هذا النوع من العرافين واعتبرهم مصدر ثقة ، ومن بين هؤلاء العرافين ليوداس الذى ورد ذكره فى الأوديسة. و يضيف هوميروس إلى هذه الوسيلة للعرافة وسيلة أخرى وهى استدعاء أشباح الموتى سواء أكانوا من العرافين أم من غيرهم ، واستشارتهم ، فنجد أوديسيوس يستدعى روح تيرسياس بناء على نصيحة الساحرة كيركى للسؤال عن مستقبله وما تخفيه له الأيام من أحداث وأحداث . و قد أجابه شبح تيرسياس متنبئ وكاهن طيبه الجليل على تساؤلاته وأنار له طريقه وكشف له عما لاقاه وسيلاقيه من أهوال وأحداث قبل العودة إلى وطنه وما ينتظره فيه من شر . ويروى لنا أوديسيوس صورة اللقاء بأن العراف تيرسياس أقبل عليه وعرفه وخاطبه قائلاً

"لما غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أيها ذا التعس وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتضرب فى ظلمــات هذا العالم العبوس ؟ ولكن نح هذا السيف قليلاً حتى أتجرع من تلك الدماء ، وإنى لمحدثــك حديــث الصدق عما جئت من أجله . "وبعد أن شرب شبح العراف من الدماء قال لأوديسيوس ! إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك غير أن طريقك إليها محفوف بالمكاره ، ممتلئ بالعقبات ، وإن لك فيها لعدواً لدوداً يتاثرك ؛ ذلك هو بوسيدون الذى اسخطته بما ســملت عين ولده الكوكلوبوس على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك واصل يوما إلى شطآن صقلية وتكون قد نجوت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت هناك ، فلحذر ان تمس قطعان هبييريون رب الشمس السامقة السائحة فى الجزيرة بأذى إن كنت جد حريص علـــى العودة الى بلادك سالما ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عباب وعقاب . فإذا مسها منكم أحــد بأذى ، فويل لكم جميعا ! إن فلكك تغوص فى الأعماق ، ويغرق رجالك أجمعون ، أما أنــت فتــنجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عابرة تعود بك بعد شقاء وبلاء وعناء إلى وطنك الــذى ينــتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصرك المنيف محتلا بطغمة أشرار من خطاب زوجــتك الوفــية لــك ، يريغون خيرك ويذبحون شائك ، ويغرون بينلوبى بالعطايا والرّشى لتخــتار مـــن بينهم بعلاً لها ... و لكنك ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء وستبيد جموعهم ، . . . . الخ .

ونجــد ان شبح الكاهن يستمر فى مخاطبة أوديسيوس و يخبره بأنه إذا ترك أياً من هــذه الأشباح المحيطة بهما "يرشف رشفة من الدم فإنه يتحدث إليه بعد ، وينبئه بما يشاء" فترك أوديسيوس شبح أمه يتذوق الدم فنطق ودار بينهما حديث عن أحوال ابنها وأحوالها ، وطلــب مــنها ابنها أن تنبئه بكيفية موتها وعن أخبار والده وابنه وعن ملكه وعتاده وعن زوجــه ألا تــزال تعــيش مع ولده أم تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ وأجابه شبح أمه أنّ زوجــه لا تــزال وفية له مبقية على ذكراه ، مقيمة فى قصره ، قاضيه لياليها وأيامها فى حزن مضن عليه ، ودموعها جارية من أجله وآلام لا تنتهى لبعده ، أما أملاكه فلا تزال له وما يفتــأ ولده يستغلها باسمه وما يفتــأ يغشى الولائم فى أبهة الأمراء . وأبوه ما زال

يقـيم فـى مزارعه عزوفـاً عن المدينة وبهرجها ، وأن والده حزين عليه ، ودائم البكاء من أجله وأنها هى الأخرى قد ماتت كمدا وحزنا على فراقه.

و يسجل لنا هوميروس أنه كان يتم تفسير حفيف و خشخشة أوراق الشجر من قبل الكهان كما كان يحدث فى دودانا .

وتقـدم لنا الإلياذة والأوديسة أيضا الأخبار عن عرافين وعرافات وهبتهم الآلهة فن العـرافة والاسـتنباء ومن بين هؤلاء هيلينوس وكاسندرا وكالخاس ، وكان هذا النوع من العرافيـن والعـرافات يتلقى الكشف المباشر من الإله ولا يحتاج الى علاقة محددة أو نذير محـدد كمـا كـان يحدث للأميرة كاسندرا التى وهبها الإله أبوللو القدرة على كشف الغيب والتنـبؤ بمـا كان وما يكون ، فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون مستقبلهم وهـم يسمعون ويعجبون ، ولما رفضت أنْ تكون زوجة للإله صب جام غضبه عليها وسلط عليها سخرية سامعيها فما تقول شيئاً ولا تتنبأ بشىء ولا تكشف غيباً إلا استهزأ بها الناس وعيروها بأنها تكذب وتخرف وتدعى ! ومن أمثلة تلك السخرية : عندما عاد الأمير باريس إلى قصر أبيه ، وتعرف عليه أبوه وأمه وأخوته صاحت كاسندرا ، أبى ، لتحذر هذا الأخ ، لـتحذر باريس ، ولتذكر نبوءة الكاهنة فى معبد أبوللو .... ابنك يجر الخراب على مملكتك ويعـرض شـعبك للدمـار وينشر الموت فى بيوت رعاياك . وهنا ينتقم أبوللو ويسخر من حبيبته الجافية ، لقد تضاحك الملك مستهزئا وغمزت الملكة ابنتها ، ولمزتها بكلام لاذع ، أمـا هكـتور فقـد عبث بأخته ومازحها مزاحاً ثقيلاً . ثم نجد الكاهن لاوكون يرفض دخول الحصـان الخشبى ورأى أنه حيلة من حيل ومكيدة من مكائد الآخيين وطلب من الملك بريام أنْ يسـأل ابنـته العزيزة كاسندرا فإن لديها سر السماء وحذرت كاسندرا قومها ولكن من يصـدقها ، فلا تزال نقمة أبوللو تنصب فوق رأسها . و بعد أن حدثت الكارثة بفتح طروادة وإشـعال الحرائق فيها تنبأت كاسندرا عندما كانت تخاطب أمها فتقول "أماه ليس حظ هؤلاء الغـزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا . هاأنذا اقرأ ألواح القضاء .... انظرى .... هاهو ذا مصـرع أجاممنون بيد زوجته كليتمنسترا العاشقة . إنها تفضل اليوم تراعى ايجستوس الآثـم على جنة يكون فيها زوجها ... ! إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه

أرض الوطـن ! ... انظرى يا أماه ... هاهو ذا أوديسيوس تعصف به الريح . ويلعب به الموج ... و يؤرجحه البحر الثلجى ... والعشاق يتقاتلون من حول زوجته ... وتليماخوس المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع ان يفعل شيئا ... انظرى يا أماه هاهو ذا مينلاوس ... لقـد ظن المسكين أن هيلينى نقية كما هى ! لقد نسى الشقى أنها تقلبت فى أحضان أزواج غـيره ! ... انظـرى إلـيه يقذفه البحر إلى شطآن مصر ... وانظرى إليه ذليلاً بين يدى هيليـنى يتوسـل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها ... وهذا هو العراف كالخاس لا يحتاج إلى نذير أو علاقة محددة لتفسير غضب الإله أبوللو .

كمـا نجـد أن خاصية وموهبة الاستيحاء والاستنباء وتفسير النذر كانت وقتية عند بعـض الأفراد العاديين وليسوا من العرافين والعرافات المحترفين . فنجد على سبيل المثال بينلوبى تفسر أحلامها والفأل الحسن فى العطاس والانفجار والضحك أثناء حديثها مع العبد ابومـايوس ؛ وأيضـا قـدرة هيلينى على تفسير حادثة النسر الذى حمل إوزة . حين قالت اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر من الجبل واختطف الإوزة مـن المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال طويل وينتقم لنفسه ، وأن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا" .

و يـرد فى ثنايا الملحمتين الهومريتين ذكر لمراكز ومهابط الوحى والنبوءة فى دلفى ودودنـا حيـث وجـد عرافون وعرافات محترفون يتنبأون ويستوحون وهم فى حالة نشوة واتصال بإله النبوءة . فعلى سبيل المثال نجد ان ثيتيس والدة أخيل تسأل العرافات و كاشفات الغيـب عن مستقبل ابنها ويجيبنها بأن ابنها سيكون محاربا عظيماً إذا ما غسلت ابنها فى أمواج نهر الخلود الزاخر "ستيكس" وعملت بنصيحتهم وغسلته فى أمواج نهر "ستيكس" إلا عقـب قدمـه اليسـرى . وبعـد ذلـك نجدها تذهب إلى العرافات القدامى وكهنة المعبد ، فاستـوحتهم مـا عسـى أن يكون فى كتاب الغيب من حظ لابنها فى الميدان ، وقال الكاهن الأكـبر مؤمـناً على ما تنبأت به العرافات ، من أنّ أخيل سيدعى للقتال فى صفوف اليونان وأنـه سـيلقى حتفه تحت أسوار طروادة بسهم يرميه به ألد أعدائه ، يصيب منه مقتلاً فى موضع دقيق فى جسمه هو وا أسفاه !! عقب قدمه اليسرى التى لم تغمرها مياه "ستيكس" .

وتكشف لنا الإلياذة عن سؤال الملك بريام لنبوءة أبوللو بشأن ابنه الوليد باريس ، وكان رد كاهنة المعبد أنّ ولده سيكون كارثة على قومه وعلى بلده وسيأتى من الاثم ما يجر الى ذويه وبنى جلدته ويفضى إلى سقوط طروادة في يد أعدائها . ونجد العراف كالخاس يستوحى آلهته فى المعبد الذى مكث فيه غير قليل بناء على أمر أجاممنون لمعرفة ماذا تبغى الآلهة لتطلق الرياح . وعاد بقلب موهون ، وجسم مضعضع ، ووجه مغبر ، وجبين كاسف معقد وأطلق نبوءته "الآلهة عطشى الى الدماء" دماء افيجنيا ابنة أجاممنون لابد من تقديمها قربان ! لابد أن دمها على مذبح ديانا كى تطلق الرياح من عقالها . ولكى تكون فدى للجيش كله ولهيلاس جميعا . وبعد موت أخيل وانتحار أجاكس ؛ نجد كالخاس ينفرد ويرسل نظرة فى النجوم ويناجى سكان السماء ثم يطلق نبوءته القائلة "سهام هرقل !! لابد من سهام هرقل ! لن يفتح عليكم طروادة إلا سهام هرقل".

و كان بعض العرافين يتوارثون المهنة ، الخلف عن السلف ، ففى الأوديسة لدينا بعض التفاصيل عن شجرة عائلة ثيوكليمينوس المنحدر من ميلامبوس، فقد ورد ذكر اربعة اجيال من اسرته ومن بينهم اميفروس(Amphearoas) بطل طيبه ووفقا للأسطورة فإن ابنه وحفيد تريسياس قد ورثا الموهبة المقدسة . ونستخلص من الأشعار الهومرية أنّ بعض العرافين كانوا لا ينتقلون من مواطنهم ، بل كان يتم استشارتهم فيها ، بينما نجد عرافين مارسوا مهنتهم جائلين من مدينة إلى أخرى ومن بيت الى بيت بحثاً عن الرزق والاستزادة منه فنجد العراف ميلامبوس حفيد ثيوكليمينوس بعد خلافه مع الملك نيلوس كان عليه أن يرحل عن بيلوس إلى أرجوس حيث بنى هناك منزلاً وامتلك سفناً كثيرة أما عن حفيده فقد اضطره والده أن يهاجر إلى هيبريسيا (Hyperesia) فى آخيا ، أما عن حفيد حفيده فقد مارس العرافة فى أرجوس حتى اضطر إلى تركها نتيجة قتل موبسوس حفيد تريسياس العراف الطيبى .

و لدينا عرافون رسميون كانوا يعملون لخدمة الجماعة مثل هاليثيرسيس الذى كان يقوم بالتكهن والاستنباء فى الجمعية الشعبية فى أثياكا أو كالخاس الذى التحق بالجيش الآخى وذهب معه لحصار طروادة وأسدى للآخيين خدمات جليلة .

وتكشف لنا الأشعار عن أن العراف كان يلقى بعض المصاعب عندما يعلن قراره وتفسيره على الشعب أو على بعض الأسر أو الأفراد فقد كان قراره هذا يلقى قبولا وترحيباً عند البعض بينما يسبب عدم الرضا لدى البعض الآخر وقد يخلق عداءً بين زبائنه ومستمعيه ومن الأمثلة على ذلك ما أعلنه كالخاس أن سبب غضب الإله أبوللو و صبه الضر على الآخيين هو أخذ ابنة كاهنه سبية من قبل أجاممنون الذى رفض إرجاعها إلى أبيها الذى جاءه مستجديا ومتوسلا ولما وجد أعراضاً وصدوداً دعى ربه أن يصب البلايا على الآخيين فاستجاب له ربه ، ولذا أعلن كالخاس أن رفع هذا الضر و البلاء لن يكون إلا بإعادة الفتاة إلى أبيها . فما كان إلا أن يصب أجاممنون غضبه وحنقه عليه . كما نجد أنّ بوليداماس لم يرض الأمير هكتور بتفسيره نذير القتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأنّ هذا فأل سيئ أو نذير شؤم للطرواديين ؛ كما نجد العراف هاليثيرسيس عندما تنبأ فى الجمعية الشعبية فى أثياكا عن قرب عودة أوديسيوس وانتقامه من الخطاب وبهذا التكهن قد أغضب الخطاب لانه ضد رغباتهم مما عرضه لنهرهم وتهديدهم و توبيخهم . وإذا كان العرافون قد أغضبوا البعض أحيانا فإنهم كانوا يرضون البعض الآخر أحيانا أخرى ، ونتيجة ذلك ، فقد كانت مهنتهم مربحة فلم يأت إليهم زبائنهم خالين الوفاض بل كانوا يتحفونهم بالهدايا والهبات وقد حقق البعض منهم ثراءً عريضاً مثلما كان الحال بالنسبة لميلامبوس .

جمله القول أن الاستنباء والتكهن قد شاع استخدامه عند الآخيين والطرواديين على حد سواء .

جـ - الأطباء والمشعوذون :

تقدم الاشعار الهومرية معلومات قليلة عن فن الطب والعلاج ومع ذلك فقد حظى الأطباء المحترفون بمكانة علية "فإن طبيباً واحداً يعدل رجالاً كثيرين" ومن هؤلاء الأطباء ملخون وبوداليريوس ، الأول كان جراحا والآخر طبيبا مجرباً وجراحاً ، وكلاهما ابنا

اســكليبيوس وقــد ورثا عنه البراعة والحذق فى شفاء الأمراض ومعالجة الجروح وتشخيص الأمراض .

وتخبرنا الأشعار الهومرية أن الأطباء المحترفين كانوا ذوى خبرة وتجربة عملية فى تطبيــب الجــروح ومعــرفة التأثيرات المختلفة الناجمة عن جروح معينة ومعرفة خواص الإغمــاء وأعــراض التشــنج الذى يصيب الإنسان عند الاحتضار ومعرفة أعراض الجنون والأمــراض المقدسة "الصرع" وقد تفاخر بعض الأطباء بأن لهم قدرة إلهية و ورثة الماضى الفنى بالسحر و الشعوذة .

كان نفر من هؤلاء الأطباء قد خدموا فى صفوف الجيش الآخى كأطباء ومقاتلين فى نفس الوقت ، والبعض منهم جرح مثلما حدث لماخون بن اسكليبوس الطبيب والمحارب . وكان واجب هؤلاء الأطباء المحدد فى حالة الطوارئ هو تغطية وربط الجروح والعناية بها. واتــبعوا الخطــوات الآتــية فــى تنظيف الجروح : فكانوا يفتحونها ثم يجعلونها تدمى ثم يغســلونها بمــاء دافئ ثم يستخدمون مساحيق ملطفة ثم يربطون العضو المجروح . وكان بعــض الأطــباء يقولون تعاويذ معينة لوقف نزيف الدم. ومن أمثلة هؤلاء الأطباء ماخون وبودالــيريوس ســالفى الذكر اذ نجدهما قد عالجا البطل فيلوكتيتيس الجريح والذى كان قد تــركه الجــيش الآخــى فى جزيرة لمنوس ، وكان هذا البطل يحوز سهام هرقل . وقيل أن الــبطل هرقل قد أتاه فى منامه وأمره أنْ يرحل مع أوديسيوس وأخبره أنه سوف يبعث إليه فــى طــروادة واحــداً من ولدى اسكليبيوس لعلاج جرحه ، وصدع فيلوكتيتيس لأمر هرقل ورحل مع أوديسيوس إلى طروادة ووصل إلى المعسكر الآخى ، وهناك اغتسل بمياه جارية، ثم راح فى نوم عميق داخل معبد الإله أبوللو ، واثناء نومه استأصل الجراح ماخون الجزء المتعفن من الجرح ثم صب كمية من النبيذ فى الجرح ووضع فوقه بعض الأعشاب الشافية وحجراً خاصاً اسماه اليونان حجر "الحية" وقيل أن بوداليريوس شقيق ماخون قد اشترك فى علاج جُرح فيلوكتيتيس .

وتكشــف لنا الأشعار أن علاج الجروح فى ساحات القتال وفى أوقات السلم ورحلات الصــيد لم تكن حكراً على الأطباء المحترفين بل نجد المحاربين والأبطال قد اتصفوا بحذقهم

ومهـــارتهم فى عمل الأربطة والتعامل مع جروح الحرب ، وكان على المحاربين أن يساعد بعضـــهم بعضا فى أوقات الحاجة ، فعلى سبيل المثال نجد أوديسيوس يعالج بعض الجرحى مـــن الأبطال . وقد تعرض هو نفسه فى شبابه لجرح فى فخده نتيجة عضة خنزير برى فى جـــبل بارناســـوس فـــى أثناء رحلة صيد مع أخواله وقد عالجه أخوالـــه ، كما نجد البطل باتـــركلوس قد قام برعايـــة وعلاج ايوربيلوس (Eurypylos) الجريح وتطبيبه باستخدامه جـــذر مر بعد أن طحنه بين يديه والذى خفف الألم وجفف الجرح وأوقف النزيف . ولم يكن تطبيـــب الجروح والسجحات والكدمات حكراً على الرجال بل مارسته النساء أيضاً ، إذ نجد أن المرأة كانت على دراية بكل فوائد النباتات ، وجمعها وإعداد العقاقير منها لعلاج الجروح والآلام ، ونجـــد أن بعض النساء قد عالجن بعض الحالات مثل علاج هيلينى للكدمات بجسد أوديســـيوس بغسلها ومسحها بالزيت ، وبعد أن جرح باريس بسهام فيلوكتيتيس واشتد به الألم نجـــده يـــتذكر أن محبوبـــته الأولى الحورية ايونونيه كانت قد ذكرت له أنها تعرف من خـــواص الأعشـــاب المختلفة ما يشفى أقله أشد أوجاع الجروح وأنكاها وأن الإله أبوللو قد لقـــنها فـــن الطب وأنها كانت بارعة فى علاج الأمراض و تشفى كل عليل . إنها تعلمت فن العرافة من الربة الكبرى الأم وكانت قادرة على التنبؤ بالغيب والكشف عن المستقبل فأرسل فـــى طلـــبها ، بيد انها خذلته وتركته يموت . كما نجد هيلينى كانت قد جلبت طريقة إعداد الشراب المخدر المهدئ (Pharmacon nepentheos) من مصر إذ تقول إنها تعلمته على يد امرأة مصرية ، وتقول إنها عقاقير طيبة عظيمة إذا ما حفظت مع الخمر يكون لها قدرة كبـــيرة لإزالـــة الألم والتعب وتؤدى إلى نسيان كل عرض ، وهى قوية المفعول فمن يشرب منها يكف عن البكاء ذلك النهار ولو مات أبوه أو ذبح أحد أخاه أو ولده أمام عينيه .

وتكشـــف الأشعار الهومرية أيضا عن أطباء مهرة فى تشخيص وتوصيف الأمراض ومـــن بيـــن هـــؤلاء بودالبريوس الذى كان قادراً على تشخيص الأمراض العقلية إذ نجده يصـــدق علـــى أقوال العراف كالخاس بأن البطل أجاكس قد أصابه مس من الجنون وكان بودالـــيريوس هو أول من شخص حالة أجاكس المرضية عندما نظر إلى عينيه الزائغتين . فقـــد أصـــابته الربة أثينا بمس من الجنون لغضبها عليه . كما نجد أن باتداروس يشخص

الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، ولكن لا يقدم لنا هوميروس كيفية علاج هذه الحـــالات . وفـــى عصـــر هوميروس لم يكن اسكلبيوس بن أبوللو إلها بل طبيبا حاذقا فى التطبيب بفضل ما تلقنه من والده أبوللو وخيرون البارع فى شتي المهن ، فقد لقنه الأخير فن الطب والعقاقير وشرح له فائدة الأعشاب البرية وكيفية التمييز بينها فكل عشب له لون ورائحـــة وشـــكل خاص وله فائدة فى علاج مرض من الأمراض وبعدها أصبح اسكلبيوس خبيراً فى العقاقير وتركيباتها وعليماً بكل فنون السحر والشعوذة ، وذاعت شهرته فى كل أنحـــاء بلاد اليونان ، وأصبح قادراً على شفاء جميع الأمراض ، وتوافد عليه المرضى من كـــل بقـــاع أرض اليونان ، وشاعت الأساطير حول علاجه لمشاهير وأبطال اليونان ومنهم هـــرقل ، بـــل وإحيائه للموتى . وقد ازدهرت تعاليمه العلاجية فيما بعد فى عدد كبير من (Asclepieiea) وهـــى معـــابد ومشافى فى نفس الوقت ، وجد منها فى العالم اليونانى نحو ٣٢٠ مؤسسة ، وكانت تقع فى أماكن قريبة من الغابات أو الكهوف أو الينابيع المقدسة ، وكـــان يقـــوم بالإشـــراف عليها أطباء كهان أو أطباء عرافون وأطلق عليهم "الاسكلبيون" وكـــانوا يتوارثون احتراف المهنة الخلف منهم عن السلف . واشتملت تعاليمه على طقوس منها الصوم واغتسال الطهر ودهان الجسم بالزيت وبعدها يقدم المريض أضحية ، ويلى ذلك حضـــانة روحية له ، إذ كان عليه أن يقضى ليله نائماً على جلد أضحيته فى المعبد ، وفى السـكون والظلمـــة البهيمة ، كانت الأرواح المقدسة تنزل بين النائمين فى المعبد ، وكان الإلـــه يرســـل للمريض الرؤى والأحلام أى أنه قد يسمع كلمات الإله ويتم ترجمتها بعد ذلك بشكل مناسب من قبل الأطباء الكهنة فى شكل وصفات طبية .

وكـــان الإله نفسه هو الذى يمنح هبة العلاج ويرفع الضر الذى يصبه ويسلطه على البشـــر . ومـــن بيـــن الأمراض العقلية التى تذكرها الأشعار الهومرية الهيجان والهذيان المنخولـــيا ، والتى يكون سببها الآلهة التى تسلط على الشخص الشياطين (demon) التى تسبب له الجـــنون . وهكذا نجد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإلـــه ، ولجاكس قد أصابته الإلهة أثينا بمس من الجنون، وهيابنى تعلن أن الربة روديـــتى قد أعمتها وقادتها من أرضها الحبيبة إلى طروادة تاركة ابنتها وغرفة زواجها

وزوجهـا ، كما نجد أن الملك أجاممنون يقول إن الإلهين زيوس وارينيس (Erenyes) قد سـلباه العقل وأصابا روحه بالجنون القاتل عندما استولى على مكافأة أخيل . وكانت الإلهة آتـى (Ate) أيضـا مسئولة عن الجنون والتهور والدوخان والعمى والهذيان ولم يكن لها موضع قدم على الأرض ، لكن موقعها عقول الناس . إذا كان الجنون مرضا مقدسا ، ولدينا نـص مـن عصـر مـتأخر – وبـدون شك كتبه أحد اتباع مدرسة أبقراط – ينتقد بشدة الممارسة الدينية السحرية المتبعة فى علاج المرضى والمرض المقدس والتى من الأرجح أنهـا عتـيقة أو ضاربة فى القدم ، وربما وجدت فى العالم الهومرى وكانت خطوات العلاج بالطرق الدينية السحرية وهى :

أولا :- تحديـد مصدر المرض وذلك عن طريق تحديد الإله المسبب للمرض ، وتحديد الإله يـتم من خلال معرفة الحركات الصادرة من المريض فالصراخ الذى يصاحبه حركات تشـنجية للأطراف يؤكد أو يشير إلى أن سبب المرض هو وجود أم الآلهة ، كما أن الصـرخات الصادرة من المريض الشبيهة بصهيل الخيل تشير إلى أن سبب المرض هو وجود الإله بوسيدون ، والأصوات الصادرة من المريض والمقلدة لتغريد الطيور تؤكـد أن سـبب المـرض هو الإله أبوللو ، والرغوة على الفم تكشف عن أن سبب المـرض هـو وجـود أريـس (Ares) بينما يكون سبب الهياج فى الليل أو المشى والشخص نائم هو وجود هيكاتى (Hecate) أو وجود بعض أرواح الأبطال من العالم السفلى .

ثانيا :- إذا تم تشخيص سبب المرض فكان يتم اتباع الخطوات العلاجية الآتية : أنْ يتصالح المـريض مـع الإله مسبب المرض وأن يرضيه وأن يهدئ من غضبه وذلك بالشكر والـتطهر وتلاوة التعاويذ واتباع قواعد معينة خاصة بالأكل والملبس التى يصاحبها شعائر وطقوس معينة ، والغرض من كل هذا هو إعادة شخصية المريض إلى حالته الطبيعـية . وكـان العلاج ، وفقا لهذه الطريقة ، فى أيدى مطهرين جائلين وكهنة ومشـعوذين ومَـنْ اتبعوا طرقا سحرية ، وكما سبق أن ذكرنا لعل هذه الممارسات كانـت موجـودة فـى العـالم الهومرى وأن هذا العالم كان يوجد به فئة من الأطباء

المشـــعوذين وطاردى الأرواح والذين لم يكونوا من بين أعضاء الارستقراطية الطبية التى من الارجح أنْ تكون سببا فى أنّ هوميروس قد ذكر حولها القليل .

د - المنشد المغنى :

نطـــالع فـــى الإلـــياذة أن الأســـرة وأفرادها والجنود فى معسكراتهم وخيامهم كانوا يـــرتجلون الغـــناء ارتجـــالاً ، بينما فى الأوديسة نرى ذكراً للمنشدين المحترفين المبصرين وغـــير المبصـــرين الذيـــن كرسوا جانباً من وقتهم للموسيقى ينشدون أغانيهم على الأنغام الموسيقية للقيثارة .

وتكشـــف الأشعار الهومرية عن أن المنشد المغنى كان فى نظر الإغريق رجلاً تلهمه الآلهة مثله فى ذلك مثل العراف والطبيب ، فكلماته نزلها عليه إما زيوس وإما أبوللو وإما ربـــات الفـــنون والآداب بـــنات زيوس ، فكانت الآلهة توحى إليه بكلمات الأغانى الحزينة والبهـــيجة ، ويؤكد أفلاطون على هذا الاتجاه إذ نجده يقول أن الآلهة هى التى تهب الإلهام الشـــعرى ، وتشـــير الأوديسة إلى ذلك ، ففى أحد المواضع نجد الشاعر يذكر "كان المنشد ذائـــع الصيت يغنى لهم وكانوا يجلسون فى صمت منصتين لـــه ، كان يغنى لهم عن عودة الآخيـــين المفجعة من طروادة والتى أوجبتها الربة أثينا ، ولما كانت أغنيته محزنة وأبكت بيـــنلوبى فقـــد خاطبت المنشد الربانى أى فيميوس إنك تعرف الآلهة المجيدة مما حفظه لنا المنشـــدون "غـــن لهم واحدة منها واجلس إلى جوارهم ودعهم يحتسون فى صمت كؤوس الخمر واترك هذه الأغنية الحزينة التى تجلب الأسى إلى أعماق قلبى حيث أن حزناً لا ينسى يسقط علىّ وأنا أتذكر متلهفة على رأس زوجى الذي ذاع صيته فى هيلاس وآرجوس . فرد علـــيها تليماخوس لم تكرهين يا أماه أن يمتعنا المنشد المخلص بالطريقة التى تواتيه ؟ فلا لوم على المنشدين إنما زيوس هو الملوم فهو الذى يعطى كيفما شاء للبشر الساعين وراء أرزاقهم اليومية . فلا تثريب على الرجل أن يغنى مصير الداناائيين المؤسف ، لأن الناس فى الغالـــب يثـــنون على الأغنية التى تسبح إليهم نغماتهم للوهلة الأولى" وفى موضع آخر نجد تلـــيماخوس يقـــول "دعونا الآن نلهو ونمرح ولا تحدثوا فيما بيننا شغباً فالاستماع إلى منشد

مــن ارجــوس وســيراكوز عشرين ألفاً وبلغ عدد سكان الأخيرة فى القرن الرابع أكثر من خمسين ألفاً ، فلماذا كان هذا العدد الكبير من المدن ولماذا كانت صغيرة المساحة ؟

إن العــامل الجغرافى يقدم لنا تفسيراً جزئياً لهذين السؤالين فأرض اليونان وسواحل آســيا الصــغرى كانــت مقسمة إلى مناطق منفصلة عن بعضها البعض بحدود طبيعية من الجبال والأنهار والبحار ، ولذا فقد كانت الظروف الطبيعية هى المسئولة إلى حد ما عن هذا الــتمزق والتشرذم . ومع ذلك لم يكن العامل الجغرافى هو المسئول الوحيد عن تقسيم بلاد الــيونان فأحــياناً نجد دول مدن قد نمت وتطورت بشكل منفصل حتى على الرغم من عدم وجــود حــدود طبيعــية تفصل بينها ، مثل كورينثة وسيكيــون ؛ وأيضاً المدن الأربع فى جزيــرة كيوس Ceos الواقعة جنوب أتيكا ولعل السبب فى عدم اتحاد هذه المدن فى وحدة أكــبر يعود إلى ظروف تاريخية ، فعلى ما يبدو بعد أن زال الخطر من قدوم هجرات جديدة وبعــد أن عــم السلام النسبى بلاد اليونان ، فقد بدأت الجماعات فى الاستقرار فى المناطق الــتى نزلــت بها وكل واحدة منها نظمت شئونها بحيث تكون مكتفية بذاتها تحت نظام حكم ملكــى وظــل الناس يعيشون جيلاً وراء جيل يزرعون أرضهم ويرعون قطعانهم وأحياناً ما كــانوا يستدعون لرد عدوان قادم من خلف الحدود . وفى مجتمعات الاكتفاء الذاتى هذه فإن حــباً عمــيقاً قد نمى للأرض وما عليها من مظاهر والتى تعتمد عليها حياتهم نفسها ، ففى هــذه الأرض المحدودة المساحة والتى كان بعضها لا يزيد على بضعة أميال طولاً وعرضاً يصــبح ســكانها أكثر ألفة لكل مظاهر الطبيعة ، مع كل تل وكل شجرة وكل جدول ماء وكل معــبد أو منبــع خــاص بالآلهة والحوريات والأبطال وعبادة الأرواح التى نمت وتطورت ومقابــر الأسلاف المقدسة والأكروبول حيث تعيش آلهتهم والتى هى أصلاً نفس آلهة المدن والمناطق المجاورة إلا أنها قد اكتسبت صفات محلية . ومن المؤكد أن الناس الذين عاشوا تحــت هذه الظروف المألوفة جيلاً وراء جيل قد تأثروا بهذه المشاهد وصار شعورهم واحد وأن كــل جماعة طورت من عاداتها وطرق حياتها والتى ارتبطت بشكل معين بالأرض التى يعيشــون عليها والاقتناع بأن طريقة حياتها أفضل من طرق حياة التجمعات الأخرى ، وهذا قد أدى بالمواطنين بالتطرف والاسراف فى الوطنية والرغبة في ألا يشاركهم أحد فى تراثهم

أو تغيـيره أو اضـعافه عن طريق إدخال طرق حياة ونظم غريبة عليهم وكان السبب وراء عـدم الوحـدة والاندماج فى مناطق بلاد اليونان المختلفة قد تمثل هذا ايضاً بصورة جلية عـندما خـرج الـيونان فى حركة الهجرة الكبرى وأقاموا مستوطنات متجاورة مستقلة عن بعضـها البعض فى أرض سهلية لا يوجد بها حواجز طبيعية تفصل بينها . وبعد أن عرضنا لأسـباب تعدد المدن الدول المستقلة عن بعضها البعض ننتقل للحديث عن أثر قيام المدنية فى تطور النظام السياسى فى بلاد اليونان .

لقد كانت نشأة وظهور ونهضة المدن هى من نتاج جهد الملوك الذين وضعوا اللبنات الأولى لنظمها والتى تم تطويرها فى أغلب الأحوال فيما بعد على يد حكومات الأرستقراط . فقـد كـان للملـوك الفضل فى اتخاذ الكثير من الاجراءات والخطوات التى أدت إلى تكوين المدينة ، كان الملوك شيوخ قبائل وجدوا فى فترة الاضطرابات والفوضى وهذه الظروف قد سـاعدتهم فـى الامساك بمقاليد السلطة العسكرية وتولوا قيادة الجيش للدفاع عن المنطقة والأرض الـتى نـزلوا بها ضد الاعتداءات الخارجية ، كما نجد أنهم بحكم موقعهم كشيوخ للقـبائل قد كانوا يرعون طقوس العبادة لإله أو لآلهة القلعة وحماتها . فكانوا بمثابة كهنة وسـدنة معـابد الآلهة ومسئولين عن تقديم القرابين ، وأيضاً بحكم أنهم شيوخ قبائل ، فقد كـان مـن الضـرورى أن يسـهروا على اقرار الأمن والسلام من خلال رعاية العدالة فى القرنيـن العاشـر والتاسع ، خاصة بعد الاستقرار وما ترتب عليه من تزايد اعداد السكان حول القلعة وما نجم عن ذلك من تعقد سبل الحياة ونشوب الخلافات والمنازعات بين الافراد ، فكـان علـى الملـك الـتدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقرار العدالة وقد زادت سلطاتهم القضـائية فى مقابل سلطة أرباب الأسر . ونتيجة استتباب الأمن أن تزايدت اعداد السكان ممـا كـان يتطلب المزيد من الاشراف الإدارى من قبل الملك وأصبح فى حاجة إلى مشورة اقـرانه مـن رؤساء الأسر ولما كان الملك هو الأول بين الأقران (Premus inter pares) فلـم يكـن فـى وضع يسمح له ببناء نظام إدارى على شاكلة النظام الموكينى . وإذا كان الملـوك قـد شجعوا أرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم وذلك لمراقبتهم والاطـلاع على انشطتهم وبذلك زادت سلطتهم وقوتهم بأن جعلوا الإدارة أكثر قدرة وكفاية

ضـمن المنشـدون مكانـة علـيا فى المجتمع كما ضمنت لهم سبل الرزق والعيش الكريم ومخالطة علية القوم وعظمائهم .

كـان المنشدون ليسوا من طبقة النبلاء ولا من طبقة العبيد بل كانوا يحتلون مركزاً وسـطاً كأصـحاب مهـنة تشبه مهنتى الأطباء والعرافين ، وأنهم كانوا من الرجال الأحرار الذيـن اكتسـبوا احتراماً واعجاباً بسبب مهارتهم فى الغناء والانشاد ، وكانوا يعتمدون فى بقائهم واعاشتهم وحياتهم على رعاية الأمراء وأصحاب القصور ، كما كانت المعابد الكبرى تسـتعين بالمنشـد لـيلقى المـراثى والتراتيل الدينية ، وكانت المدن تستدعيه لينشد فى احتفالاتها . وجملة القول أنهم خالطوا الصفوة وعلية القوم .

هـ – مهنة الشحاذة وحياة الشحاذين الغريبة

عد كل من هوميروس وهيسيودوس الشحاذين بين الحرفيين (demeourgoi) فيذكر هومـيروس أنـه عندما يعدد أيومايوس الحرفيين الذين كان يبحث عنهم بين الغرباء نجده يعدد العرافين والأطباء والنجارين والشعراء ويضيف أنه لا يوجد شحاذين بينهم ولهذا فإنه يعتبر الشحاذين من الحرفيين الأصلاء ، و يؤكد هذا قول هيسيودوس الذى يضع الشحاذ فى قائمة الحرفيين الذين ليسوا محل نقاش إذ نجد يقول "هكذا فإن الفاحوزى ينافس الفاحوزى، والنجار ينافس النجار والشحاذ يغير من الشحاذ والمنشد يغير من المنشد" .

وقـد سبق أن ذكرنا بعض أحوال الشحاذين ونظرة المجتمع إليهم ، ونضيف هنا ما يـأتى : أن الأوديسة تقدم لنا وصفاً لحياة وطرق الشحاذ الرسمى فهو الذى يجمع الصدقات وكان نهماً لا يشبع وكثير الشراب عربيد ، وكان شاباً طويل القامة ذات ملامح خشنة وعلى الـرغم من أنه كان يأكل جيداً ، إلا أن ملابسه كانت رثة ويحمل عصاً وكيس ويجلس عند الـباب ويسند ظهره لعمود الباب ويحك أكتافه عليه انتظاراً أن يحضر له شخص حصته فى الخبز واللحم إذا ما كان هناك مأدبة وكان يتنقل من مأدبة إلى مأدبة .

وكـان اليونانـيون يعتقدون أن الشحاذين هم رسل الإله زيوس أو يكون الشحاذ هو

نفســه أحــد الآلهــة متنكراً والذى يذهب من مدينة إلى مدينة أخرى ليفحص قلوب الرجال ومشاعر الانسانية والوعى بواجبات الضيافة ولذا ينبغى ألا يلحق به أذى أو ضر بل ينبغى اكرامه .

وكان الشحاذ المحترف يوصف بالتعبير (opolymanter) وهو يعنى المطهر، ومعنى هــذا أن الناس كانوا يعطونه الصدقات بغرض التطهر من الآثام فهو الذى يأخذها ويزيلها ، وإذا كــان يُحمل بالهدايا فى الاحتفالات الرسمية ، فقد كان يتلقى اللكمات والاهانات ، وهذه هى طريقة نقل الآثام فى شعيرة التطهر . فقد صورت لنا الأوديسة استقبال الشحاذين ، فى الموائد العامة ، بالإهانات واللكمات والقذف بالكراسى والكرات وفى نفس الوقت كان يحصل على هبات من الطعام . وبحضوره وتصرفه كمطهر يومى ، فإن الشحاذ كان مصدراً للأمان والازدهار فهو المتفرع إلى الإله زيوس كى يمنح الازدهار والرخاء لمن استقبلوه وأنه هو نفسه الصورة الجيدة للازدهار والرخاء.

وكــان علــيه أن يدافع عن منطقته إذا ما وصل إليها زميل له ولشعوره بالخطر مع وضــعه فكــان عليه أن يدفعه بعيداً ، خشية أن ينال الحظوة بدلاً منه وخير مثال على ذلك عندما يخاطب الشحاذ المحترف أروس أوديسيوس المتنكر وينهره ويطلب منه ترك المكان فيجيــب عليه الأخير أن المكان يتسع لهما معاً إلا أن الأول رفض وكان على أوديسيوس أن ينازلــه ويصــارعه وبعــد أن نجــح أوديسيوس وتغلب عليه طرد أروس من المكان وحل أوديسيوس محله إلى حين .

العصر العتيق أو عصر الانتقال

الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى نهاية القرن السادس

يُعد هذا العصر من أهم عصور التاريخ اليونانى فلا يمكننا فهم الكثير من مظاهر وسمات العصر الذهبى بمعزل عنه ، فقد شهد بداية الكثير من الظواهر والسمات الجديدة التى نمت وتطورت بل شهد البعض منها كماله ونضجه فى المجتمعات اليونانية فى العصر الذهبى .

إن تحديد بداية ونهاية هذا العصر بدقة يمثل معضلة ، فلا يمكننا فى ضوء ما لدينا من معلومات أن نضع تاريخاً فاصلاً لبداية هذا العصر ، ولكن يمكننا القول أن العصر المظلم قد وصل إلى نهايته بالتدريج لدرجة أنه يصعب علينا أن نضع تاريخاً محددة لخاتمته ، ولكن فى ضوء المعلومات المتاحة عن العلاقات والصلات المتبادلة بين بلاد اليونان ومراكز الحضارة الفينيقية والآشورية والمصرية يمكننا القول أن العصر العتيق قد بدأ فى القرن الثامن .

نشأة المدينة الدولة

رغم وفرة القرائن والأدلة لهذا العصر فإننا نجد الغموض يلف الكثير من مظاهر تطور الحياة اليونانية فيه ، ويتجلى هذا الغموض حول نشأة وقيام المدينة الدولة (polis) ، فقد دار جدل بين العلماء حول تاريخ نشأة المدينة الدولة ، والتواريخ المقترحة من قبلهم تنحصر فى الفترة الممتدة بين القرن التاسع والقرن السادس ، كما دار الجدل أيضاً حول أى المناطق كان الأسبق فى نشأة المدينة الدولة هل هو ساحل أيونيا أم بلاد اليونان الأم ؟

إن نشأة المدينة الدولة تكون غامضة ومن الصعب أن نحدد بدقة بدايتها ونشأتها بعد العصر الموكينى. ونود أن نقرر أن ظاهرة المدن الدول لم تكن تمثل ظاهرة جديدة كل الجدة فى عالم بحر إيجة ، ففى العصر الموكينى قد وجدت مدن وممالك منفصلة عن بعضها

الـبعض ، ويحكمها الملوك الذين توارثوا الملك الخلف عن السلف ، ولكن هذه الممالك تم تدمـير مراكـزها وانهار أغلبها أمام موجات الهجرة الدورية والعناصر الأخرى المهاجرة . والمـنطقة الـتى نجت من الغزو والتدمير هى منطقة أتيكا شهدت استمراراً لنظمها وإن تطـورت ولكـن كـان هذا التطور بطيئاً وذلك لموجات الهجرة اليها من المناطق المجاورة وأيضاً لانشغالها فى رد عدوان القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها . وسنتحدث عن تلك الظروف بالتفصيل عند الحديث عن أثينا .

أما عن بقية مناطق بلاد اليونان التى دُمرت مراكزها على يد الغزاة فقد كانت عملية إعادة الاستقرار والتوطن بها عملية بطيئة ، وذلك بسبب استمرار الهجرات إليها وما ترتب عليها من صراعات أدت إلى فرار الكثير من العناصر الايتولية والأيونية وحتى الدورية إلى جـزر بحر إيجة وسواحل آسيا الصغرى. ولكن عملية الاستقرار والتوطن فى تلك المناطق قـد بدأت بشكل دائم فى الفترة الممتدة ما بين القرن العاشر والقرن الثامن وذلك بفضل أن بـلاد الـيونان لـم تـتعرض لغـزوات خارجية كاسحة ، وإن كان هناك فى بعض الأحيان اشـتباكات مؤقتة بين الجماعات المحلية ، ساعد هذا السلام النسبى على تشجيع الاستقرار أكـثر فأكـثر وربمـا أدى إلى زيادة عدد السكان . وفى ظل هذه الظروف فقد بدأت بعض الجماعـات تعـرف الاستقرار فى المناطق التى كانت تفى باحتياجاتها من الأرض الزراعية والمـراعى . وقد نزلت فى مناطق يسهل الدفاع عنها ، فقد كانوا يختارون التلال كملاذات يلجـأون إلـيها هـم وقطعانهم ، وهذه التلال كان يسهل تحصينها وتقويتها بتشييد اسوار حولهـا وصـارت قلاعـاً ، وكانت هذه القلاع بمثابة النواة لنشأة القرية التى ستتطور إلى مديـنة فـيما بعـد ، كمـا أنها ستصبح بيتاً لعبادة إله أو إلهة الجماعة. وعندما زاد عدد العائلات وأصبحت مساحة القلعة لا تكفيهم فقد بنى البعض منهم بيوتاً على منحدرات التلال أو فـى الـسـهول المجاورة للقلعة ، ويلجأون إلى القلعة عند الشعور بالخطر . وفى البداية كـان الناس يذهبون إلى حقولهم أو مراعيهم فى الصباح ثم يعودون إلى البيوت فى المساء سـواء فى القلعة أو بجوارها. و انتشار الأمن و الأمان مع سيادة السلام لقد فضل أصحاب الأراضـى البعـيدة الاستقرار عليها مما سيشكل نواة لتجمعات سكانية جديدة . ويعكس هنا

أرســطو ، بشــكل صادق إلى حد ما ، تطور أحوال الاستقرار والتحضر فى بلاد اليونان إذ يقــول "إن القرية كانت تتكون من أرباب العائلات ، أو اتحاد أرباب العائلات وأن المدينة قد نشــأت من اتحاد القرى" . وفى الواقع فإن بعض القرى ستكون نواة لنشأة المدن إما لأنها قــد نمــت نمواً طبيعياً ، وأما نتيجة اتحاد واندماج بعض القرى مع بعضها البعض مشكلة بذلك مدينة دولة وخير أنموذج على ذلك اسبرطة التى تشكلت من اتحاد خمس قرى والذى تم على مراحل ، وكما نعرف أن اسبرطة قد مدت نفوذها وسيطرتها على المدن الأخرى فى لاكونيا وكان سكان هذه المدن بمثابة مواطنين من الدرجة الثانية بينما سكان القرى الخمس قــد تمــتعوا بحقوق المواطنة الكاملة . والمثال الآخر هو اتحاد أثينا مع قرى سهل أتيكا ، ولعل الخطر الدورى هو الذى قرر شروط الوحدة بين قرى أتيكا وأثينا الحاضرة . فقد كان مواطنو القرى مواطنين أثينيين لهم نفس حقوق الأثينى المقيم فى منطقة الأكروبــول .

وقــد نمت تلك القرى تحت حكم الملوك الذين كانوا فى الحقيقة رؤساء قبائل وكانوا يعيشــون فى الأكروبول ، إذ يقول أرسطو "أن القلعة كانت مكاناً مناسباً لحكم الأسر الملكية والصفوة الارستقراطية والاوليجرخية" ، وقد ساعد على نمو القرى وارتفاع ظاهرة التحضر والتمدن بها عدة عوامل منها :

١ – وجــود ملك قوى راجح العقل عمل على تجميع أرباب الأسر الارستقراطية القوية حوله كــى يكونــوا تحــت مراقبته هذا فضلاً عن تشجيع رعاياه للحياة بجوار مركزه بدلاً من الحــياة فــى تجمعــات صغيرة متناثرة . وإن كان بعض الباحثين يرون أن فضل انشاء المدن يعود إلى الارستقراطية . وسنعود لمناقشة ذلك فيما يلى من صفحات .

٢ – شــعور الجماعة إلى الحماية من اغارات الجيران الاعداء ولعل الوحدة بين أثينا وقرى ســهل أتــيكا كــان نتــيجة لهجمات القبائل الدورية عليهم . كما أن سكان الريف كانوا يلجــأون إلــى القــلاع عند شعورهم بالخطر وطلب الحماية من الملوك الذين كانوا قادة للجيش .

٣ – أن الأكــروبول لم يصبح مقراً للحكم فحسب بل صار بيتاً لإله أو آلهة البلدة مما اسبغ على المكان قداسة وجعل الجميع يرتبطون به كمركز دينى .

٤- إن زيادة اعداد العائلات قد خلق الحاجة لإيجاد نظام لتنظيم العلاقة بينهم . وهنا سنجد أن الملــك قد قام بهذا الدور فى المرحلة الأولى فقد كان القائد العسكرى والزعيم الدينى والقاضى فيما ينشب بينهم من منازعات .

٥- أنــه من المرجح أن العديد من الحرفيين والأجراء قد عاشوا بشكل مؤقت أو شبه دائم بجوار القلعة مما جعل الناس يرتبطون بمصالح القلعة وزعمائها .

٦- لقــد ساعد وجود الساحة أو السوق على تلاقى السكان ومناقشة ما يهمهم من قضايا ، هــذا فضــلاً عن تبادل المنافع المادية فيما بينهم بمقايضة ما يفيض عليهم من منتجات بســلع مصــنعة أو بســلع فائضة على غيرهم وكان من نتيجة هذا أن بعض الأسر قد فضلت العيش بجوار الساحة وهذا بدوره قد نمى ظاهرة التحضر ونمو الشعور بالجماعة

هكــذا فــإن نشــأة المدينة الدولة قد بدأت لبنتها الأولى بعد استقرار الهجرات فى تجمعات قــروية منفصــلة فى المناطق السهلية الصغيرة المساحة والمحاطة بالتلال أو الجبال أو الأنهــار والبحار ، وأن هذه التجمعات قد بدأت فى التمدن والتحضر بالتدريج تحت حكم الملــوك ، ولم تصبح بين عشية وضحاها مدناً إلا بعد مرور فترة من الزمن نمت خلالها بشكل طبيعى وبدون تخطيط مسبق ، كما أن نمو وتطور هذه المدن قد اختلف فى درجته ومعــدله بين مدينة وأخرى . وإذا كانت المدينة الدولة قد نمت فى أغلب مناطق اليونان فــى القرنيــن العاشــر والتاسع وأنه قد اصبح لها نظام سياسى واقتصادى واجتماعى واضــح المعــالم فــى القرن الثامن إلا أنها لم تأخذ شكلها فى بعض أجزاء بلاد اليونان خاصــة فــى الغــرب إلا بعد بضعة قرون ومن هذه المدن مدينة إيليس التى أنشئت فى حوالــى ٤٧٠ ق.م وحــتى بعــد تأسيســها فــإن مواطنيها ظلوا يعيشون فى مزارعهم وضــياعهم الريفــية . وســنجد أن نظام المدينة الدولة قد بدأ شكله واكتماله فى القرن الثامن ، وهذا ما كشفته لنا الأحداث فقد قامت مدن هذا القرن بارسال الاعداد الزائدة من ســكانها إلــى مناطق البحر المتوسط والبحر الأسود حيث حلوا بها واقاموا مستوطنات والــتى كانت على نسق مدنهم الأم فى أجهزتها التنفيذية والتشريعيــة . وهكذا يتكشف لنا اكتمال شكل المدينة الدولة فى بلاد اليونان فى العصرين الملكى والارستقراطى .

ويختلف العلماء أيضاً حول أى المناطق أقدم فى معرفة نظام المدينة الدولة هل هى سواحل آسيا الصغرى أم بلاد اليونان الأم ؟ يرى فريق من العلماء أن اليونان الذين هاجروا إلى سواحل آسيا الصغرى ـ خاصة العنصر الأيونى ـ قد سبقوا يونان بلادهم الأم فى اعادة بعث الحضارة وتطوير المدينة واستند هذا النفر من العلماء على الحجج الآتية :

١- أن اليونان المهاجرين إلى آسيا لم يجربوا التوقف الحضارى مثل سكان بلاد اليونان الذين كان عليهم أن يناضلوا لأجيال ضد الفوضى والاضطرابات التى سببتها الهجرة الدورية .

٢- أن يونان آسيا الصغرى كانوا على اتصال دائم بالحضارات المتقدمة فى الشرق وأنهم قد اتخذوا من المدن القديمة على سواحل آسيا الصغرى المينوية والكارية مثالاً يحتذى .

٣- أن ضغط جيرانهم الشرقيين عليهم قد أجبرهم على أن يطوروا المدينة بغرض أمور الدفاع .

ويرى فريق آخر من الدارسين أن بلاد اليونان الأم هى التى عرفت ظاهرة التمدن قبل سواحل آسيا الصغرى وقد اعتمد هذا لفريق على حجج هى :

١- أن نتائج الحفائر الأثرية فى بعض المناطق مثل ميليتوس وسامرنا القديمة قد أعطت الدليل على أن الأيونيين كانوا أكثر بطئاً فى التطور الثقافى ـ عدا الملاحم ـ عن أثينا أو الدول الدورية الناهضة .

٢- أنه كان اليونان المهاجرين لآسيا الصغرى أن يناضلوا لفترة طويلة قبل أن يحصلوا على درجة كافية من الأماكن المحصنة ، فقد كان استقرارهم الباكر فى مناطق محاطة بالمياه حتى يمكنهم أن يدافعوا عنها ضد السكان الأصليين ، كما أن بعض المهاجرين قد استرقوا بعض السكان الأصليين عندما نزلوا بسواحل آسيا الصغرى .

وفى ضوء ما سبق يرى هذا الفريق أن المدينة الدولة قد بدأت فى الظهور فى بلاد [illegible]ن القارية ولكن فى رأينا أن كلا الرأيين به جانب من الحقيقة فينبغى علينا أن نأخذ فى حسبان العناصر المهاجرة بدون النساء إذ يحدثنا هيردوت عن المستوطنين الجدد فى ميليتوس والذين كان نساؤهم كاريات ، وفى مدينة تيوس فقد شارك السكان الأصليون المهاجرين الجدد فى ملكية الأراضى، وهذه ربما تكون قد خاضت حروباً فى البداية ووصلت

إلـــى شروط معهم واستقرت الأحوال بعدها حيث بدأ التطور والازدهار لهم ، وهذا يعنى أن بعض المستوطنات كانت الظروف مهيأة لنموها وتطورها من البداية ، ولكن علينا أن نتذكر أيضـــاً أن مـــنطقة أتـــيكا بزعامة مدينة أثينا قد حافظت على استقلالها بعد نجاحها فى صد الغزاة الدوريين ، بل أنها نظمت حركة الهجرة للعناصر الأيونية من أتيكا إلى سواحل آسيا الصـــغرى وهـــذا يعنى أن مدينة أثينا كانت مكتملة الأجهزة والتى جعلتها قادرة على تنظيم حـــركة الهجـــرة تلك ، وفى نفس الوقت الدفاع عن أتيكا . وهذا يشير إلى أن مدينة أثينا كانـــت تعـــد من أقدم المدن فى اليونان وأن الظروف المحيطة بها من تهديدات قد أدى إلى تحقـــيق الوحـــدة بينها وبين قرى سهل أتيكا وسنعود إلى الحديث عن هذا الأمر فى تناولنا لتاريخ أثينا .

أن أول شيء يمكن ملاحظته بالنسبة للمدن الدول أنها كانت بالمئات وأنها فى الغالب الأعـــم صغيرة المساحة ، فعلى سبيل المثال فقد بلغت مساحة ديلوس ميلين مربعين فقط ، على حين بلغت مساحة ايجينا ٣٣ ميلاً مربعاً ، بينما ضم إقليم فوكيس (Phocis) ، والذى كانت مساحته ٦٣٠ ميلاً مربعاً ، اثنين وعشرين مدينة دولة ، بينما كانت مساحة ساموس ١٨٠ مـــيلاً مـــربعاً. وكانت مساحة كورينثة ٣٤٠ ميلاً مربعاً ، وكانت مساحة أثينا ١٠٦٠ مـــيلاً مـــربعاً، ومساحة اسبرطة ٣٣٠٠ ميلاً مربعاً . وهكذا فقد كانت المدينتين الأخيرتين يمثلان استثناء للقاعدة فى مساحتيهما فى نظر اليونان فقد حسبوهما على أنها دول إقليمية . أما مدن الدول "المستوطنات" فى جنوب إيطاليا وصقلية ، حيث كانت الأرض ممتدة وغير ممـــزقة بفعل الطبيعة فى الغالب ، فقد كانت مساحاتها أكبر مقارنة بالمدن ببلاد اليونان الأم ، فقـــد كانـــت ســـيراكوز أكبرها إذ بلغت مساحتها ١٨٣٠ ميلاً مربعاً ق.م على حين كانت مســـاحة اكـــراجاس ١٦٧٠ ميلاً مربعاً . وفى ضوء ما سبق عرضه فقد كانت المدن الدول قلـــيلة الســـكان فـــى الغالـــب الأعم ، فقد تراوح عدد سكان أغلب المدن ما بين ٢٠٠٠ و ١٠٠٠٠ مواطـــن ، وكانت كل من أثينا وأسبرطة من الاستثناءات بالنسبة لعدد سكانهما . فقـــد تراوح عدد سكان أثينا ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، وكان نصفهم من الغرباء والعبيد ونصفهم الآخر من المواطنين ، وكانت بعض المدن الأخرى كبيرة العدد إلى حد ما فقد بلغ سكان كل

صـــوته كصـــوت الآلهة لمن المتع المستحبة " ونستخلص من هذه الفقرات أن هوميروس يقـــدم أوصافاً للمنشد منها : أ- المنشد الرباني ، ب - المنشد ذائع الصيت ، جـ - أنه لا ينطق عن الهوى إنما يوحى إليه زيوس ، د - حلاوة وطلاوة صوت المنشد الشبيه بصوت الآلهة .

ويضـــيف هومـــيروس فـــى موضـــع آخر أنه بينما كان اوديسيوس فى بلاط الملك الكيـــنوس ، وجه الأخير دعوة إلى رجاله لحضور حفل تكريم أوديسيوس وطلب أن يحضر ديمودوكوس المنشد وجئ بالمنشد الذى أحبته ربات الفنون حباً جماً اللواتى أعطينه الخير والشـــر علـــى الســـواء فقـــد منحنه نعمة الغناء الجميل ولكنهن سلبنه نور عينيه . ونجد أوديســـيوس يقول واصفاً ديمودوكوس أن المنشد لخليق بإكرام الناس ، لأن آلهة الفن هى الـــتى توحـــى إليه وتوليه الحب" وفى موضع آخر نجده يخاطبه قائلاً "ياديمودوكوس آلهة الفن هي التى توحى إليك ما تنشده أم أبوللو؟ ولكنك وأيم الحق تشيد بما عاناه الآخيين أمام طـــروادة العظـــيمة ومـــا لاقـــوه من الأهوال كما لو شاهدت بنفسك فهلم الآن وغننا بذكر الحصـــان الخشبى . . . . ." أجدْ غناء هذا فاشهدك بأنك المنشد الذى لقنته الآلهة" . "وغنى المنشد هذه الأغنية بإيحاء من الآلهة إذ تنزل أبوللو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية" . إن هذه الفقرات تضيف للمنشد أوصافاً منها :-

(١) أن ربات الفنون قد منحته نعمة الغناء . (٢) أن الآلهة لقنته وأوحت له بالغناء.

فـــي ضـــوء ما سبق لقد كان المنشدون سادة فن الغناء والإيقاع والنغم ، وكان لهم دورهـــم فـــى أداء الطقـــوس والشـــعائر الدينية أى أنهم كانوا أعضاء فى الصفوة العقلية والدينـــية. فقـــد كـــانوا حفظـــة الأشعار المقدسة أى أنهم كانوا ينظمون الأغانى الشعرية المرتـــبطة بالآلهـــة وقصـــص الأبطال المؤلهين والأغانى التى تدخل البهجة والسرور على قلـــوب ســـامعيهم . وتقـــدم لـــنا الأوديسة فى بعض المواضع معلومات عن أغانى هؤلاء المنشدين التى أثارت شجون المستمعين والمنصتين ، وقد سبق أن ذكرنا أن غناء فيميوس قـــد أثار شجون بينلوبى لتذكيرها بزوجها الغائب كما نجد غناء المنشد ديمودوكوس قد أثار شـــجون وأحزان أوديسيوس وجعله يجهش بالبكاء ، وإذا كان أوديسيوس قد أبكاه ما رواه

المنشــد فــنجد أن جمهور المستمعين طلبوا منه معاودة الغناء لاعجابهم به ، كما نجد أن الملــك ألكيــنوس قد لاحظ بكاء أوديسيوس لسماعه المنشد فقد قال لجمهور الحضور من ضــيوفه "دعــوا ديمودوكــوس يكف عن غنائه فمنذ وضع يده على القيثارة لم ينقطع هذا الغريب عن النحيب ليكف المنشد إذاً".

وفــى ضــوء مــا سبق نلاحظ أن جمهور المستمعين كان يفاضل بين أغنية وأغنية ونشــيد ونشــيد ، فهــذا نشــيد حزين يثير اللوعة والأسى وهذا نشيد بهيج يثير البهجة والســرور . كما نلاحظ أيضاً أن هناك منشدين كثيرين وأن بعضهم قد ذاع صيته وأنهم قد تفوقــوا علــى أقــرانهم وكــان من بين هؤلاء كل من فيميوس الإيثاكى والذى كان المنشد والمغنى فى بيت أوديسيوس والذى أطرب وأحزن أفراد البيت فقد أحزن بينلوبى بينما نجده يطــرب تلــيماخوس والخطاب وكان إطرابه للخطاب عن كره لا عن رضى منه ولذا فقد نال عفــو أوديســيوس عــندما قتل الخطاب ، كما نجد أوديسيوس يطلب منه أن يبعث أصوات الموســيقى وبناء على ذلك فقد ضرب المنشد أوتاره ورقصت النساء . ولدينا أنموذج آخر هو ديمودوكوس المنشد الأعمى الذائع الصيت والذى لاقى احتراماً واهتماماً خاصاً من قبل الملــك الكينوس وضيوفه ، فقد أجلسوه على كرسى من الفضة فى وسط الضيوف وعلقوا القيــثارة على وتد فوق رأسه وأرشدوا يده عليه . ومرة أخرى نجدهم قد أجلسوه فى وسط الضــيوف الجلــوس فى الهواء الطلق ويأخذ مكاناً وسطاً بينهم . كما نجد قول أوديسيوس عندما أعطاه قطعة من اللحم إذ قال "إن المنشد لخليق بإكرام الناس لأن آلهة الفن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" . لقد كان الاحتفاء بمنشد يأتى بعد الضيف وهكذا فقد لاقى المنشد كل الاحترام والتقدير .

كــان المنشــدون والمغــنون لا يستقرون فى مكان بعينه بل كانوا جائلين مسافرين ورحالــة عظــام ، فكــانوا يتنقلون من مدينة إلى مدينة ومن بيت إلى بيت داخل المدينة، ويســتقبلوا بالــترحاب والإكــرام فى قاعات الاحتفالات ، والبعض منهم أقام بشكل دائم فى القصور والبعض الآخر كان يتم استدعاؤه بناءً عى طلب صاحب القصر . لقد كان حضور المنشــد يضــيف الشهرة والبهاء وجو المرح والسرور على أجواء الاحتفالات ، وبذلك فقد

إلا أنهم على المدى البعيد قد خسروا مقاعدهم الملكية على يد أسرتهم أو عشيرتهم الملكية فــى بعض المدن وفى أغلب المدن على يد أرباب الأسر الارستقراطية بها والذين كانوا قد تفــاهموا علــى التضــامن والتكاتف لاسقاط الملوك والنظام الملكى ، وهذا التفاهم لم يكن ميســوراً لهــم عندما كانوا يعيشون متباعدين مشتتين ، ولكن تجمعهم معاً مكنهم من تدبر الأمر والتخطيط لاسقاط الملكية والتحول إلى نظام الحكم الارستقراطى والذى لم تكن ظروفه واحــدة فــى كل المدن ، كما أن نتائجه كانت متباينة ، ففى بعض المدن كانت اخطاء الملك الجســيمة وغطرســته واستبداده قد تؤدى إلى ثورة عنيفة تسقط حكمه جملة ، وفى مدن أخــرى كــان اعــتلاء طفل أو قاصر العرش يشجع النبلاء على الغاء الملكية ، كما نجد أن أفــراد الأســرة أو العشيرة الملكية ككل فى بعض الحالات كانت تقتسم السلطة فيما بينها ، مــثل عشــيرة الملــك باكخياس (Bacchias) فى كورينثة والتى تقلدت السلطة لعدة أجيال امــتدت حوالــى ٢٠٠ ســنة ، وفى ميليتوس فإن الأسرة الحاكمة هى أسرة الملك نيليوس (Nelius) وفى ميتيليني (Mytilene) كانت أسرة بينثيلوس (Penthilus) هى المسيطرة ، كمــا وصفت الارستقراطية الحاكمة فى كل من خيوس وأفسوس بأنها ملكية (Basilidae) أى أنها تنحدر من اسر ماكية سابقة . كما نجد أن سلطات الملوك فى بعض المدن قد حددت مــن قبل الارستقراطية ، وكان هذا التحديد يصل إلى حد أن يصبح الملك مجرد موظف وإن بقــى له مــن الملكية اسمها ، ولنا فى مدينة اسبرطة مثل طيب فى بقاء الملكية مع تحديد سلطاتها وجعلها ثنائية يراقب فيها كل من الملكين الآخر . ولنا فى مدينة أثينا الأنموذج مع تحول الملكية لوظيفة سنوية وهو ما سندرسه بتفصيل أكبر فى دراستنا لنظم المدينتين .

ويتــبادر لنا السؤال التالى من هم هؤلاء الأرستقراط الذين حصلوا على السلطة فى بعض المدن طوال التاريخ اليونانى وفى بعضها الآخر طول القرنين الثامن والسابع ؟ سبق أن ذكــرنا أن بعــض الأسر والعشائر الملكية وزعت السلطة فيما بينها وضربنا أمثلة على بعضها ، ولكن من الصعب أن نعطى تفسيراً حول الأصل الاجتماعى للطبقة الارستقراطية ، وهــذه الصــعوبة تــتعاظم عند البحث عن أصلها فى ماض لا يوجد به معلومات تاريخية ، وبعــض الباحثيــن تجنبوا المشكلة عن طريق التأكيد بأن الطبقة الأرستقراطية قد بدأت فى

التكوين خلال العصر المظلم وأن الأرستقراط الذين حلوا محل الملوك كانوا أعضاء فى العشائر القوية الثرية ، ففى القرن التاسع على الأقل من المفترض أن الكثير من أرباب العائلات التى كانت لديها الثروة والوجاهة الاجتماعية قد اندمجوا فى مجموعات أكبر وهى العشائر ، وكان من نتيجة هذا أن أصبحت هذه العشائر تسيطر على مساحات كبيرة من الأرض الزراعية والثروة الحيوانية ، ونتيجة لثروتها فقد سيطرت على أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وكلما ازدادت قوة ازداد وعيها بتميزها الطبقى وأصلها النبيل وبدأت ترجع انسابها إلى بطل أو إله، واعتبرت نفسها من الأفاضل (arestoi) وأن الحكومة التى كونتها قد أطلقوا عليها حكومة الأخيار .

ومن الواضح أن هناك اختلافات بين أنواع وأشكال الحكومات الأرستقراطية التى حكمت فى بلاد اليونان ، ولدينا أدلة وافرة فيما يخص كل من أثينا وأسبرطة والتى سنناقشها فيما بعد ، ولكن فيما يخص المدن اليونانية الأخرى فمعلوماتنا عنها شحيحة . ولكن يمكننا القول أنها كانت تمثل كل العشائر الثرية فى المدينة ، وفى بعض المدن الأخرى كان هناك عدد قليل من العشائر هو الذى يشارك فى الحكم وهو أقواها وفى بعضها الآخر كما سبق أن ذكرنا كانت العشيرة الملكية .

لقد استندت تلك الحكومات الأرستقراطية فى الغالب الأعم حكمها على قواعد ثلاث هى :

١- العشيرة أو العشائر القوية التى هيمنت فى حكمها على عناصر الاقتصاد الأساسية فكانت تملك مساحات واسعة من الأرض الزراعية الخصبة وحتى أراضى المراعى المشاعية فقد كان استغلالها فى الغالب الأعم من نصيب قطعانهم الكبيرة . أما المجموعات الصغيرة والفقيرة فكان لا حول لها ولا قوة .

٢- اعتمد الجيش فى تكوينه على الأرستقراطية من عصر هوميروس وحتى القرن السابع حيث كان لها القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح من أسلحة وخيول وعربات حربية ، بينما لم يكن فى مقدور الطبقات الوسطى والفقيرة القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح ، ومن ثم فقد أكد الأرستقراط على امتيازهم لأنهم حماة الجماعة

والمدافعيــن عــنها ، ولكن ابتداء من منتصف القرن السابع فقد حدث تطور فى أساليب وتقنيات القتال وذلك بالاعتماد على نظام الفيالق (phalanx) وجنودها المسلحين تسليحاً ثقــيلاً (hoplites) . وهــذا الــتطوير قد سمح لفئات من غير ملاك الأراضى للمساهمة والمشـــاركة فى الجيش ، فقد ساهم أفراد لديهم ثروات منقولة مثل التجار والصناع فى القـــتال ، وهذا التطور قد ساهم فى اضعاف السلطة المطلقة للأرستقراط كريمى المحتد علـــى كـــل مظاهـــر الحـــياة فـــى الدولة لأن حاجة الجيش لهؤلاء المقاتلين الجدد جعل الأرستقراط مضطرين لقبولهم ومنحهم الامتيازات .

٣- اعتمدت قوة وسلطة الحكومات الأرستقراطية على اقرار العدالة فقد ورثت اختصاصات الملوك القضائية ، بل سنجد أنها قد زادت من هيمنتها على العدالة وإقرار النظام لإنهاء الخلافـــات والمـــنازعات التى تمزق الحياة الاجتماعية وتؤثر بالتالى على أمن وسلامة الدولة ، وعلى الرغم من أن نظام المحكمين قد استمر طوال التاريخ اليونانى فإن إقرار العدالـــة قـــد أصـــبح ، علـــى نحـــو متزايد ، مسئولية الحكومة الأرستقراطية وأصبح للأرســـتقراط ، ســـواء أكانوا حكاماً أو أعضاء فى المجلس التشريعى ، دور فى سماع المشاكل والقضايا وأصدروا فيها أحكاماً ، ولما لم يكن القانون مدوناً فقد كانت أحكامهم تعـــتمد على الأعراف والتقاليد القانونية الواجبة الاحترام لأنها ذات أصل مقدس ، ولكن على ما يبدو فإن أحكامهم لا تخلو من الهوى فقد كانت تصدر لصالح طبقتهم ، أو نظير تلقـــيهم الرشـــا فقد كانوا يرتشون وهذا ما رسمه لنا الشاعر هيسيودوس فى "قصيدته الأعمال والأيام" إذ يتحدث الشاعر عن نزاع نشب بينه وبين أخيه حول الميراث ، فبعد القسمة لم يرض أخوه بنصيبه فى ميراث أبيه ولجأ إلى الملوك المرتشين وضمن نصيباً أكبر ، ويرى البعض أن السبب فى الحكم من قبل الاشراف بحصوله على حصة أكبر هو أن القوانيـــن كانـــت قد أباحت قسمة الأراضى ، ولكنها أبقت تحمل الأعباء العامة على كاهل الابن الأكبر فى الأسرة . وأن شكاية الأخ الأكبر لهيسيودوس قد استندت على عدم عدالـــة هـــذا الأمر . وبالتالى فإن قول الشاعر أن القضاة مرتشون يبدو أنه قد يحتوى على قدر من المبالغة ؛ ولكن القرائن تشير فى نفس الوقت إلى أن النبلاء كانوا يفصلون

فى المنازعات والقضايا وفقاً لصالح طبقتهم وكان الضحايا العاجزون الذين لا حول لهم ولا قوة ليس لهم الحق فى استئناف الأحكام فيما عدا الالتماس إلى زيوس واقتناعهم بأنه رب العدالة وأنه يعاقب هؤلاء على ما فعلوه من آثام .

وإذا كان الملوك لهم الفضل فى وضع اللبنات الأولى لنظم المدن وحياة التحضر فإن الحكومات الأرستقراطية قد طورت هذه النظم الوليدة ، ويمكن أن نجمل التطورات التى شهدتها المدن على النحو الآتى :

١- أنها استمرت فى النمو بطريقة عشوائية حول القلعة وأن بعضها قد تم تسويره فى القرن السادس .

٢- أن المدن استمرت عبارة عن تجمعات زراعية فى الأساس مع ظهور الصناعة والتجارة وأن المساحة قد تطورت ببطء لتتحول إلى سوق كما نلمس استمرار ظاهرة العيش والسكنى لبعض السكان بعيداً عن المدن فى منازل منعزلة أو فى قرى صغيرة .

٣- أن القلاع قد صارت مقراً لحكم الطبقة الأرستقراطية وفى نفس الوقت بيوتاً للآلهة بشكل دائم . كما أنها كانت تستخدم كملاذ دائم للحكام والمحكومين عند الخطر .

٤- أن الأرستقراط قد هيمنوا على الشئون السياسية فى المدن وكانت أداتهم هى شغل الوظائف التنفيذية وعضويتهم للمجالس التشريعية المحدودة العدد والمشروطة بسن معينة وهذه الأمور سنتناولها بالدراسة فى كل من دراستنا لتاريخ أسبرطة وأثينا . ومن المفترض أن الأرستقراط قد حاولوا الحد من سلطات الجمعيات والمجالس العامة للشعب ، واحتكار السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية . وهذا كله قد ساعد على حياة التحضر والتمدن وهذا ما يمكن أن نلمسه فى المستوطنات التى أسسها اليونان حول سواحل البحرين الأبيض والأسود ، والتى كانت صورة لمدنهم الأم وهذا يشير إلى مساهمة الأرستقراط فى نشر نظام المدن خارج حدود اليونان . ولكن كان هناك مايزال خطوات أخرى كثيرة للوصول بنظام المدن إلى حد الكمال والذى ستكتمل آياته فى العصر الذهبى .

وقد شهد العصر العتيق سلسلة من الظواهر التاريخية والتى سنجملها الآن. فقد شهد زيـادة فـى السكان وتطوراً فى الصناعة والتجارة وما تبعها من حركة الهجرة الكبرى إلى خارج بلاد اليونان والتى كان لها أثارها ، هى الأخرى ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية البعيدة المدى فى بلاد اليونان ، كما شهد هذا العصر تدوين القوانين التى كانت فى السابق عبارة عن أعراف ، وتقاليد قانونية تخضع للتفسير والتطبيق الاعتباطى من قبل الأرستقراط ، وانـتقل الفرد من عصر ما قبل القوانين (predroit) إلى مجتمع القوانين (droit) ، كما شـهد هـذا العصر تطور الجيش وأساليب القتال والاعتماد على نظام الفيالق المعتمد على جـنود المشاة ثقيلى العدة . وسنحاول أن نعرض فى الصفحات التالية لتلك القضايا وإن كنا سنبدأ بالهجرة الكبرى .

حركة الاستعمار الكبرى

تمــثل حركة الهجرة الكبرى أهم سمات العصر العتيق ، وقد بدأت فى النصف الأول من القرن الثامن واستمرت حتى نهاية القرن السادس .

وقــد سبق أن رأينا كيف انتشر اليونان على ضفتى بحر إيجه خلال الألف الثانى قبل المــيلاد فى فترة الهجرات الدورية . والآن نعرض لحركة الاستعمار الكبرى التى حدثت بعد قرنيــن مــن الــزمان على الأقل من استقرار اليونان بعد الهجرة إلى بلاد اليونان من قبل القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها والهجرة المضادة من قبل الأيونيين والأيوليين ومن بعد الدوريين . ولا يجب أن نخلط بالمرة بين الحركتين .

لقــد ســبقت حركة الهجرة الكبرى دون شك فترات استكشافات ومغامرات فى شمال بحر إيجة والبحر الأسود وفى غرب البحر المتوسط والتى سنتناول البعض منها فيما بعد .

إن أعقــد المشـــاكل حــول حــركة الهجــرة والاســتيطان الكبرى هو تاريخ انشاء المستوطنات ، وفى الواقع فإن تواريخ انشاء المستوطنات فى مناطق صقلية عند ثيوكيديس صحيحة إلى حد ما حيث أنها تتطابق مع نتائج التنقيبات الأثرية ، كما أن التواريخ الواردة عن انشاء المستوطنات فى البحر الأسود عند (Pseido) (Saymnus) هى الأخرى صحيحة حيــث أكدتهــا التنقيبات الأثرية ، بيد أن تواريخ انشاء المستوطنات فى مناطق أخرى غير دقيقة وذلك لأن المصادر التى تحدثت عنها متأخرة بفترة طويلة ومن هذه المصادر يوساب القيصـــرى (قرن ٤م.) فقد ذكر تواريخ مبكرة للغاية وغير دقيقة لنشأة المدن ، فعلى سبيل المـــثال أنـــه لـــيس مـــن المعقول أن مدينة كوماى فى جنوب إيطاليا على حد قوله قد تم تأسيســها ســنة ١٠٥١ ق.م ، بيــنما يذكــر كاتب آخر أنها تأسست ١٠٤٦ ق.م. وهذان الــتاريخان مــن المؤكــد أنهمـــا خطأ لأن تاريخ حركة الاستعمار فى ضوء نتائج التنقيبات الأثـــرية لـــم يـــبدأ ، علـــى مـــا يـــبدو ، حتى بداية القرن الثامن ، وأقدم تاريخ لدينا عن المســـتوطنات فـــى الغـــرب هـــو سنة ٧٧٥ ق.م. وهو تاريخ انشاء مستوطنة فى جزيرة

بيثكوســاى (Pithecusae) (اســخيا Ischia) ، بينما أن التاريخ المقترح والمتعارف عليه لنشأة كوماى هو عام ٧٥٠ ق.م .

لقــد بــدأ الــيونان بلاد اليونان وجزر بحر إيجه وساحل آسيا الصغرى أكبر حركة اســتيطانية مــنظمة فى تاريخهم وقد استمرت هذه الحركة ما يزيد على قرنين من الزمان وانتشــرت خلالهــا مــئات المستوطنات اليونانية من كرميا(Cremia) شمالاً (على البحر الأســود) إلــى نقراطيس فى دلتا النيل جنوباً ومن القوقاز (Caucosas) شرقاً إلى أسبانيا غرباً . فقد انتشرت هذه المستوطنات حول شواطئ البحرين الأبيض والأسود وحول مضيق البســفور والدردنــيل . وكان المستوطنون يختارون أماكن استيطانهم عند مصبات الأنهار وفــى المــناطق القريبة من المياه والتى يسهل الدفاع عنها . لقد انتشروا فى تلك المناطق مثل انتشار الضفادع حول بركة الماء .

ولما كانت حركة الهجرة الكبرى قد أنشأت مئات المدن فى خلال قرنين من الزمان ، فمــن المعقول أن نقول ، فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية ، أن هناك تشابه بين ظروف وأســباب مــثل هذه الحركة الاستيطانية الواسعة ، كما سنجد أن بعض الظروف قد أعاقت التوسع والاستيطان فى بعض المناطق وذلك لوجود دول قوية ، وقوى شديدة المراس حدت بل منعت من هذا التوسع .

كان هناك تشابه فى التركيبة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية فى أغلب المدن . فقــد شــهدت بلاد اليونان ، فى خلال القرن الثامن سلاماً وهدوءاً أو تطورت خلاله المدن وحلــت الأرستقراطية محل الملوك فى أغلب مناطق بلاد اليونان وزادت أعداد السكان زيادة كبيرة ، وكانت فئات السكان هى نفسها تقريباً فى كل المدن الدول وهذه الفئات هى :-

أ - فــئة الأرســتقراط : وكانت تتكون من الأسر القوية التى كانت تضع يدها على أخصب وأغلــب مســاحات الأرض الزراعــية كمــا أن قطعــانهم الكبيرة قد استغلت المراعى المشاعية فى الغالب الأعم . وأمسكت هذه الفئة بزمام ومقاليد الحكم فى المدن .

ب – فـــئة صـــغار الملاك ، أو الزراع : وكانت هذه الفئة تملك مساحات قليلة من الأراضي الخصبة ولديها القليل من القطعان من الحيوانات .

جـــ – فئة الحرفيين والصناع : وكانت هذه الفئة قليلة العدد وذلك لأن الصناعة والتجارة كانت فى بداياتهما الأولى .

د – فـــئة الأجـــراء : وهـــؤلاء كانوا لا يملكون أرضاً ولا ضرعاً ولا يمارسون حرفة وإنما يعملون بالأجر عند أصحاب الأراضى .

فـــي ضوء ذلك كانت زيادة السكان تمثل مشكلة خطيرة فى المجتمع اليونانى والذى كـــان اقتصاده يعتمد بشكل أساسى على الزراعة والرعى فقد كانت مساحة الأرض محدودة ومركـــزة فى أيدى حفنة قليلة من الأرستقراط هذا فضلاً عن فقر التربة ، ومن ثم فإن انتاج أغلب الأراضى كان حكراً عليهم ، ولذا فإن أية زيادة فى السكان تمثل عبئاً ثقيلاً على المدن الدول لأن انتاجية الأرض لن تكفى لمزيد من الأفواه . وهنا سؤال يطرح نفسه كيف تصرف هؤلاء الناس من الأشراف والعامة والذين لم تعد الأرض تفى باحتياجاتهم ؟ نجد أن البعض مـــنهم قد دفعته ظروفه للعمل كمرتزقة عند الملوك الشرقيين ، قد خـــدموا فى جيش الملك جيجـــيس الليـــدى وفـــى جيش الفرعون ابسماتيك ، ونجدهم أيضاً قد اشتغل البعض منهم بالقرصـــنة ، فمـــن يقـــرأ الأوديسة سيجد هجوم القراصنة وإغاراتهم على المدن والسكان ومنها هجوم كل من أوديسيوس و مينلاوس على المدن والسكان و الذي سبق أن ذكرناه ، كمـــا أن ســـؤال الملك نستور إلى تليماخوس واتباعه : من أنتم أيها الغرباء ؟ هل أبحرتم للاتجـــار أم لأعمـــال القرصـــنة التى كان القراصنة فيها يخاطرون بحياتهم ويجلبون الشر للآخريـــن ؟ كمـــا أن نقشاً مسمارياً آشورياً يشير إلى طرد الآشوريين لملك مغامر يبدو أنه كان يونانياً يدعى أيامانى (Iamani) ووُصف بالملعون ، وكان ملكاً على أشدود الفلسطينية ســـنة ٧١١ ق.م. ، كما أن البعض منهم قد رحل عن بلاده واشتغل بالقرصنة ، ومن هؤلاء المهاجريـــن مـــن فوكايا الذين استقروا فى كورسيكا. ومن الواضح أننا نجد أيضاً أن بعض اليونان قد عمل بالتجارة ومبادلة منتجات النبيذ وزيت الزيتون بالحبوب وسلع الشرق .

وأخيراً نجد أن عدد كبيراً منهم قد خرج زرافات و وحدانا للعيش خارج بلاد اليونان في مستوطنات أختاروها بعناية حول سواحل البحرين الأبيض و الأسود .

ونلاحـــظ أن المســـتوطنات قد تركزت فى بعض المناطق بصورة كبيرة بينما قلت أو انعدمــت فـــى بعـــض المـــناطق الأخـــرى . فما سبب ذلك ؟ لم يتوسع اليونان فى انشاء المســـتوطنات فـــى شـــرق الـــبحر المتوســـط وسواحله الجنوبية نظراً لوجود دول قوية لا يســـتطيعون استيطان مناطق منها والاقامة فى أراضيها إلا بعد سماحها ورضاها . فقد كان لوجـــود مملكـــة لـــيديا أثـــره الكبير على وقف توسع اليونان فى آسيا الصغرى . إذ يقول اســـترابو أن أهـــل ميليـــتوس قد أسسوا مستوطنة أبيدوس على الساحل الآسيوى بموافقة الملـــك اللـــيدى جيجيس . ويرى البعض السبب فى سماح ليديا بانشاء هذه المستوطنة هو رغبتها أن تُستخدم كدرع ضد حركة القرصنة فى المنطقة .

وإذا كان اليونان قد نزلوا بمدينة المينا فى شمال سوريا فقد كانوا تجاراً ، وقد كانت مديـــنة الميـــنا بمثابة المركز التجارى فى المنطقة كان يقصده التجار اليونان من المناطق اليونانـــية المختلفة وأقاموا به حيث بادلوا سلعهم بالسلع الشرقية كما نقلوا الأفكار الشرقية إلـــى أوطـــانهم . أما بقية السواحل السورية فقد كانت فى الغالب الأعم تحت سيطرة المدن الفينيقية والتى كان لها دور هام فى تجارة البحر المتوسط فى الفترة الباكرة فى شرقه وفى الفـــترة المتأخرة فى غربه ، فتشير القرائن إلى أنه فى بداية الألف الأول كان لهم تجارتهم وصلاتهم مع قبرص وكريت ورودس ، كما نجد اشارات عنهم عند هوميروس كما سبق أن ذكـــرنا. وإذا كـــان الفينيقـــيون قد بادلوا السلع الشرقية بالسلع اليونانية فإنهم قد كان لهم الفضل فى اطلاع اليونان على جوانب الحضارة الشرقية .

وإبـــان القرنيـــن الثامن والسابع وهى فترة المد والانتشار اليونانى كان الآشوريون يمـــثلون أقـــوى الـــدول فى المنطقة ، فقد مدوا نفوذهم على المدن الفينيقية ومدوا نفوذهم أيضـــاً على جانب من آسيا الصغرى وتروى لنا المصادر أنهم قد اصطدموا باليونان هناك ، ودارت معـــركة بينهم فى عهد الملك سنحاريب ٧٠٥ ق.م . كما نجد أن الآشوريين قبل ذلك قـــد مدوا نفوذهم وسلطتهم على قبرص وفرضوا الجزية على مدنها سنة ٩٠٧ ق.م. وهكذا

نجـد أن كـل من الليديين والفينيقيين ومن بعد الآشوريين قد حدوا من توسع اليونان فى سواحل آسيا الصغرى الجنوبية والسواحل السورية .

أمـا بالنسـبة لمصر فقد خضعت مصر للآشوريين سنة ٦٧١ ق.م. ونجح الفرعون أبسـماتيك فـى طـردهم ، وقد استعان هذا الفرعون بالمرتزقة الأيونيين والكاريين والذين كانوا قد أرسلهم إليه ملك ليديا لتعضيده فى كفاحه ونضاله لتحرير مصر من الآشوريين . وبعـد إخـراج الآشـوريين فقد اقطع الفرعون هؤلاء المرتزقة فى مناطق مصر المختلفة اقطاعات من الأرض كمكافأة لهم نظير خدماتهم ، وقد تبع هؤلاء المرتزقة التجار اليونان . فقـد فتح أبسماتيك وخلفاؤه أبواب مصر أمام اليونان ، وإذا كان قد وجد لليونان مدينة فى مصـر ، وهى مدينة نقراطيس ، فقد كانت تحت إشراف وسلطة فرعون مصر . وهذا يعنى أنهم قد استقروا بعد سماح وإذن الفرعون لهم .

وفـى ضوء هذه الأحوال والظروف فإن اليونان قد اتجهوا شمالاً فى منطقة سواحل البحر الأسود وغرباً فى منطقة صقلية وجنوب ايطاليا وشواطئ فرنسا واسبانيا . وإذا كانوا قـد نجحوا فى تأسيس مستوطنة قورينى فقد فشلت جهودهم فى تأسيس مستوطنات أخرى علـى الساحل الإفريقى وذلك بسبب موقف قرطاج العدائى منهم . كانت أرض هذه المناطق [سواحل البحر الأسود وصقلية وجنوب إيطاليا وشواطئ فرنسا وأسبانيا] تمثل الأرض البكر وإن زاحمـتهم فيها قرطاج فقد كانت تقطنها جماعات متفرقة ولا تشكل دولاً قوية ، وعلى الـرغم من وجود بعض المتاعب من تلك القوى المحلية ، فقد كان من السهل على اليونان الـنزول بتلك المناطق والعيش فيها. ولكن بعد أن توسع اليونان فى شرق وجنوب وشمال صقلية وقفت لهم قرطاج بالمرصاد فى الغرب ، كما وقفت ضدهم فى جزيرة كورسيكا هى و الاتروسكيون وتم طرد المستوطنين منها وآلت سيادتها إلى الاتروسكيين . لقد كانت منطقة غـرب البحر المتوسط منطقة نفوذ قرطاجى إلى حد كبير ، فقد سيطروا على غرب صقلية وجزيرة سردينيا وجزر البليار كما نجد أن الأتروسكيين قد منعوا انتشارهم فى شمال خليج نيابوليس .

وهكـــذا ســـنجد أن توســـعهم فـــى الغرب قد حد منه بشكل كبير كل من القرطاجيين والاتروسكيين .

ونعـــرف مـــن المصـــادر أنه قد وجدت عوامل داخلية سرعت من حركة الهجرة إلى حوض كل من البحر المتوسط والبحر الأسود وهى على النحو الآتى:-

١- نقص مساحة الأرض الزراعية لكثرة السكان وللنظام القانونى لملكية الأرض الزراعية:

يؤكد بعض الكتاب القدامى ، وخاصة ثيوكيديس وأفلاطون، على أن سبب الهجرة هو نقص الأرض (στενοξωρια): ويرى فريق من الباحثين أن نقص الأرض يعود إلى زيادة السـكان ولكـن هـذا الرأى على الرغم من وجاهته يعارضه فريق آخر إذ يرون أنه غير محـتمل ويـرجع نقص الأرض إلى النظام القانونى الخاص بملكية الأرض مستنداً فى ذلك على ما يأتى :-

١- أنـه لا المصادر الأدبية ولا الحفائر الأثرية الحديثة تثبت أن المدن الدول اليونانية فى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد قد ازدادت أعداد سكانها كثيراً عن موارد أراضيها .

٢- أن الكثـير من المدن الدول التى أقامت مستوطنات لها فى الخارج خلال تلك الفترة لم تكن إلا مدناً صغيرة قليلة السكان .

٣- أن العديد من المدن الدول مثل ميليتوس وخالكيس كانت مراكز لأراضى خصبة ويمكنها اعاشـة أعداد كبيرة من السكان يفوق سكانها فى بداية الألف الأول قبل الميلاد . وفى ضوء كل ما سبق من حقائق فإنهم يرون أن السبب المباشر لنقص الأرض المصطنـع هو النظام القانونى السائد الخاص بملكية الأرض ؛ وإذا ما كان بالمدن أعداد كبيرة من الـرجال الذيـن لا ملكـية لهم فإن الخطأ كان يكمن فى نظام الملكية ، فقد كانت ملكية الأرض الزراعـية فى البداية للأسرة غير قابلة للقسمة أو التصرف واضطرت كل عائلة ممـتدة حـتى بالنسـبة لأحفـاد الأحفاد أن تزرع الأراضى المخصصة للأسرة بطريقة مشتركة. فكانت حيازة الأرض تنتقل إلى أكبر الأولاد ويعيش فى كنفه اخوته و بقية من

يعولهم . كما أن القانون كان يحرم الأبناء غير الشرعيين من الميراث .

ويـرى هذا الفريق أيضاً أنه حتى بعد انهيار النظام الأسرى ، أو العائلة الممتدة والسماح بمـبدأ تقسيم الممتلكات فإن الأرض كانت تقسم وتنقل للابناء الذين ينتمون للأسر الكبيرة أو أبناء الرجال الذين استصلحوا الأراضى . و إن هذا التقسيم في حالة وفاة رب الأسرة قد خلق طبقة من ملاك الأراضى غير قادرة على إعاشة نفسها وذلك لصغر مساحة الأرض الموروثة .

وجملـة القول لم يكن أمام هؤلاء إذا ما رغبوا فى الحصول على أرض زراعية فى ظل نقص الأرض (*στενοξωρια*) إلا ما يأتى : فكان على البعض منهم أن يقوم باستصلاح الأراضى الفقيرة مثل والد هيسيودوس ، بينما البعض الآخر صار لصاً أو قرصاناً والبعض الآخر بحث عن الأرض خـارج بـلاد الـيونان ومـن بين هؤلاء الشاعر ارخيلوخوس ، من باروس ، الابن غير الشرعى للرجل النبيل تيلسيكليس (Telesicles) والأمة انيبو (Enipo) .

وأمـام هذا الوضع القانونى المعقد الخاص بالملكية الجماعية للأرض فقد كان على الأخوة الطموحين أيضاً والذين لا يرضون بهذا الوضع و يريدون أن يكون لهم أملاكهم الخاصة بهم وأن يسـتقلوا بأنفسـهم عن أسرهم و هجرهم لها وذلك إما بالقيام واستصلاح قطعة ارض من اراضى المراعى العامة فى مدنهم وإما بالهجرة من بلاد اليونان هجرة دائمة أو العمل بالتجارة والقرصنة أو العمـل كجـند مرتزقة . كما أن الأعراف والتقاليد حتى بعد إقرارها حق القسمة والميراث بين أفـراد الأسـرة لممـتلكاتها كانت تحرم على الأبناء غير الشرعيين – طالما وجد للأسرة أطفالها الشـرعيون – مـن المـيراث ، ولذا فقد كان على البعض منهم أن يهجر مدينته بحثاً عن الثروة والـتملك خارجهـا . و علاوة على ذلك فقد كانت الأعراف والتقاليد تحرم أيضاً بعض الأفراد من الأسر لسوء سلوكهم والذى كان يؤدى إلى نفيهم وحرمانهم من حق الميراث فى ثروة أسرهم مما كـان يدفعهم إلى الهجرة إلى أرض جديدة يبدأون حياة جديدة بها . كانت الأعراف والتقاليد ومن بعدها القوانين تحرم على الأجنبى حق التملك فى المدن التى يقيم بها .

وأخـيراً فإن نظام بعض المدن الدورية مثل أسبرطة فى حيازة الأرض وتوزيعها فى اقطاعـات يحوزها مواطنوها حيازة منفعة وليس حيازة رقبة سبباً فى نقص الأرض بعد أن زاد عـدد سـكانها ممـا كان يدفع للتوسع ودفع بعض مواطنيها للهجرة أو الغزو لمناطق

مجـــاورة لهـــا . وهكـــذا فـــإن الأعراف والتقاليد قد حرمت الأبناء الطموحين والأبناء غير الشرعيين ، والأبناء الذين ارتكبوا جريمة ما وحكم عليهم بالنفى من الميراث .

وتطبيقـــنا على هذا الرأى أنه قد أقر فى نقطته الأخيرة عدم كفاية انتاج الأرض لسد حاجـــات أصـــحابها وأسرهم مما يشير إلى الزيادة السكانية والتى حاول أصحاب هذا الرأى انكارهـــا ومع ذلك فإنه يقدم بعض النقاط الوجيهة وهى أن الغرباء والمنفيين والأبناء غير الشـــرعيين كانوا لا يرثون ، كما أن نظام الملكية المشتركة – قبل إباحة التقسيم – قد دفع بعض أفراد الأسرة الطموحين الذين لا يرضون عن هذا الوضع إلى تركها والرحيل والبحث عن أرض جديدة يمكنهم أن يبدأوا فيها حياة جديدة . وجملة القول أن هذا الرأى فى خاتمته يعطـــى بعض التأكيد على صحة الرأى القائل بأن نقص الأرض ناتج عن زيادة السكان وأن العـــامل الديموجرافى كان له الأهمية الأولى . فقد رأى أصحاب هذا الرأي أن مناطق كثيرة قـــد عانـــت مـــن ازدياد عدد سكانها وهذا ما يشهد عليه بشكل مباشر وغير مباشر الزيادة الكبيرة فى حجم وعدد المستوطنات التى كشفت عنها الحفائر، لقد كان لانخفاض نسبة عدد الوفـــيات أثـــرها فى زيادة سكانية أدت إلى عدم كفاية انتاج الأرض لتغذية كل أفراد الأسرة الشـــباب . كما أن التوزيع غير العادل للأرض بين الأفراد حتى بعد إباحة تقسيم الممتلكات المحـــدودة المساحة والتى أعيد تقسيمها مرة أخرى مما جعلها لا تفى باحتياجات أصحابها الضـــرورية، وعـــلاوة على ذلك فإن مساحة أرض اليونان كانت محدودة . ويؤكد هذا قول الشاعر هيسيودوس "إن الطريق لازدهار صاحب البيت هو أن يكون له ولد واحد . لقد كان علـــى الأفراد الهجرة الإجبارية أو الاختيارية التى نظمتها المدينة لهم والتى كان هدفها من وراء ذلـــك ألا تـــرهق نفسها بمطالب الأفواه التى لا تقدر على تغذيتها وتلبية احتياجاتها . ولعـــل خـــير أنموذج هو ما حدث فى مدينة ثيرا . ويروى هيرودوت أن القصة تبدأ بنبوءة صـــادرة من دلفى والتى أمرت أهل ثيرا باستعمار ليبيا ، ويقول أن أهل ثيرا قد أهملوا هذه النـــبوءة ولـــذا فقـــد عُوقـــبوا بسبع سنوات لم يسقط فيها المطر ، اضطروا بعدها لإرسال مواطنيـــن لقوريـــنى . وقـــد تم إختيار المستوطنين أخ من أخ بالقرعة ، ويروى أنهم بعد ذهـــابهم فى سفينتين غابت عنهم شجاعتهم وحاولوا العودة إلى وطنهم مرة أخرى فابعدوا

بالقوة مرة أخرى . ويتفق مع قول هيرودوت السابق نقش من قورينى ، وإن كان من فترة متأخرة ، ولكنه يضيف ما يأتى : إذا رفض أحد المجبرين على الابحار فإن عقوبته الموت ، ويمكن للمستوطنين أن يعودوا فقط إلى وطنهم الأم إذا ما مرت عليهم خمس سنوات حاولوا فيها بجد التوطن ، ولكن إذا ما وضح فشلهم فى المغامرة فإن لهم الحق فى العودة .

وهـذه القصـة تـروى لـنا أن الاستعمار إذن يحمل شهادة معبرة عن حجم الأزمة السكانية التى أثرت على أجزاء كثيرة من بلاد اليونان وأن الكثير من المدن قد ساهمت فى الهجـرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة فمن المؤكد أنه عند تأسيس مستعمرة جديدة تحت رعاية وإشراف مدينة معينة فإنه كان يحدث غالباً أن رجالاً من مدن أخرى كانوا يشاركون فى عملية التنفيذ . وتعد مدينة ميليتوس مثالاً رائعاً على المدن المنظمة لحركة الهجرة إذ لا يعقـل أنهـا كانت بمقدورها وحدها أن تؤسس هذا العدد الكبير من المستوطنات والذى بلغ أكثر من تسعين مدينة .

وفى الواقع فإن كل من الرأيين يحتوى على قدر من الحقيقة ، فنقص الأرض قد أتى مـن نظام الملكية المشتركة لأرض الأسرة وهذا قد دفع البعض إلى الهجرة ، كما أن تقسيم الممـتلكات فـيما بعـد بيـن الورثة الشرعيين قد أدى إلى نقص الموارد بالنسبة للأعداد المـتزايدة مـنهم وهـذا دفع البعض منهم مختاراً أو مجبراً إلى الهجرة حيث توجد الأرض الخصبة . و تكشف لنا المصادر الأدبية والوثائقية أن هؤلاء المهاجرين قد اختاروا المناطق ذات الـتربة الخصبة والمراعى الكثيفة والمناخ المشابه لمناخ وطنهم . و من هذه المناطق قورينى وسهول جنوب إيطاليا وصقلية . و إذا كان نقص الأرض أو الجوع للأرض وزيادة السكان من الأسباب الرئيسية للهجرة فإن هناك أسباب أخرى أدت إلى الهجرة منها التجارة و عـدم الرضا بالوضع السياسى و الاجتماعى و عدم الرغبة فى الخضوع لغزاة سواء من اليونان أو الأجانب و روح المغامرة ... إلخ . ونعرض لها الآن .

٢- التجارة :

يـرى نفر من الباحثين أنه لا مجال للتجارة فى دفع حركة الاستعمار وأنه لم يكن لها أى أثـر فـى تأسـيس المسـتوطنات ، بينما ركز بعض العلماء على أن الباعث التجارى

والرغبة في الحصول على المواد الخام والحصول على أسواق التى يمكن أن يبيعوا منتجاتهم فيها كانت وراء حركة الاستعمار . وفى الواقع لا يمكننا أن ننكر أو نغالى فى أثر التجارة فى دفع حركة الهجرة والاستيطان ، فقد كان البحث عن أرض جديدة لم يكن هو الهدف الوحيد للمهاجرين ولا يوجد أدنى شك أن الهجرة والاستقرار بين الشعوب الأجنبية كان بغرض التجارة ، فقد سبق أن رأينا كيف أن الأبطال الهوميريين لم يترددوا فى السفر بأنفسهم لجلب وحمل السلع الضرورية . ومن المرجح أن المحطات التجارية والمستوطنات التجارية قد سبقت حركة الاستعمار فى النصف الأول من القرن الثامن . ومن الأمثلة على هذه المحطات التجارية ميناء المينا فى شمال سوريا ، فكان نصف سكانها من اليونان من أهل يوبويا . والنصف الآخر من السكان المحليين ، كما أنه يمكننا القول أن التجار والقراصنة قد قدموا معلومات وتقارير عن استكشافاتهم لشواطئ البحر المتوسط الغربية ، ولدينا أدلة فخارية من فخار يوبويا تم العثور عليها فى مدينة فيى (Veii) الاتروسيكية وفى كابوا فى سهل كامبانيا ، وهذه القرائن يرجع تاريخها إلى عصر الهجرة للمنطقة ، وهذا يعنى أن التجار من جزيرة يوبويا قد وصلوا إلى سواحل إيطاليا الغربية قبل أن تبدأ حركة الاستعمار ، وأنهم قد نقلوا ما شاهدوه عن المواقع الملائمة للاستيطان سواء أكانت صالحة للزراعة أو مراكز تجارية . ولم تكن المستعمرات الأولى التى أسسها أهل يوبويا تقع فى أقرب أرض زراعية خصبة ، ولكن كانت قد احتلت مواقع ملائمة للتجارة مع اتروريا . ومن أقدم هذه المستعمرات مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى (Pithecusae) سنة ٧٧٥ ، وهذه المستوطنة قد دعمتها محطات عبر ممر ميسانا ، ولعلهم قد قاموا أيضاً بجهود استكشافية فى جنوب فرنسا وشمال أفريقيا إذ يقول هيرودوت أن أهل فوكايا (Phocaea) هم أول من قاموا برحلات بحرية طويلة وأنهم هم الذين اكتشفوا أدريا (Adreia) وثيرهينا (Thyrhenia) وايبريا وتارتوس وأنهم لم يبحروا فى سفن تجارية بل فى سفن حربية وأنهم عندما وصلوا إلى تارتوس فقد عاملهم ملكها ارجانثونيوس (Arganthonios) معاملة حسنة ومنحهم هدايا قيمة عند رحيلهم ، كما أن صداقتهم مع هذا الملك قد جلبت لهم الكثير من الفضة التى استخدموها فى بناء سور حول مدينتهم لحمايتها وهذا السور هو السور الوحيد على ما يبدو فى ايونيا .

لقـد كـان الطلـب على المواد والسلع الخام مثل الحديد والنحاس والرصاص وراء انشـاء بعـض المسـتوطنات ومـنها بيتكوسـاى ، وفيما بعد فقد أقام أهل فوكايا ماساليا واسـتغلت كميـناء تجـارى مـع الغـال وللحصـول على الرصاص والصفيح ، كما أنشأ المسـتوطنون بدورهم عدداً من المحطات الصغيرة فى شرق الساحل الاسبانى ؛ كما نجد أن عـدداً كبـيراً من المستوطنات فى منطقة البحر الأسود كانت فى بدايتها عبارة عن محطات تجاريـة حيـث كـان الـيونان يبحثون عن السلع والمواد الناقصة فى بلادهم مثل السمك والمعـادن والخشـب والحـبوب ومـن هذه المستوطنات أولبيا وفاسيس وديوسكورياس وسينوب . ولو اتجهنا جنوباً صوب سواحل البحر المتوسط الجنوبية وفى دلتا النيل بمصر فقـد أسـس اليونان مستعمرة تجارية وقد أسسها عدد من التجار الذين وفدوا ، فى الغالب الأعـم ، مـن آسيا الصغرى والجزر المجاورة بعد أخذ اذن للفرعون المصرى على ذلك . ونقراطـيس هى المثال المعروف جيداً كميناء تجارى حيث أطلق عليها "Polanyi" وكان يـتم فـيه تنظـيم عمليات التبادل التجارى بين مجتمعين مختلفين (المصرى واليونانى) فى الـنظم الاقتصادية . وفى الواقع أن كل صادرات وواردات اليونان من وإلى مصر كانت تمر عبر هذا الميناء .

جملـة القـول أنه في ضوء ما سبق ذكره يمكننا القول أن الحافز والباعث التجارى والبحـث عـن المواد الخام كان أحد العوامل وراء حركة الاستيطان وأنه من العوامل التى سـاعدت على معرفة طبيعة الكثير من المناطق الصالحة لسكنى اليونان وبالتالى فقد ذهبوا إليها لاستيطانها وهم على دراية بمواردها وأهميتها .

٣ـ الاضطرابات السياسية وعدم الرضا الاجتماعى :

يبدو أن حياة المدن قد شهدت اضطرابات كبيرة خلال الفترة التالية لانهيار الملكية . ذ اشـتعلت الصـراعات بيـن العائلات الملكية والعائلات الأرستقراطية ، فلم تتخل الأسر ملكية بسهولة عن السلطة ، وهذا قد أدى إلى قيام الصراعات الداخلية والثورات ضدهم . يظهـر أثـر هـذه الصراعات فى الكتاب الأخير من الأوديسة . وكما سبق أن ذكرنا فإن

السـلطة الملكية لبيت أوديبيوس كانت قد تعرضت للخطر وأن محاولته الدفاع عن سلطانه وقتله للخطاب وما اعقبه من اقتتال فى المدينة .

والأوضـاع السياسـية فى المدن اليونانية فى القرنين الثامن والسابع فى ظل الحكم الأرسـتقراطى كانـت تدفع كثيراً من أهلها إلى تركها تبرماً وسخطاً وأملاً فى أن يجدوا فى أرض جديـدة فرصة الاشتراك فى الحكم ، فيروى لنا المؤرخون أن أفراد الأسرة البنثيليدية (Penthilidis) الحاكمـة فـى ميتلينى عاصمة جزيرة لسبوس كانوا يتجولون فى الشوارع وبـأيديهم السـياط يضـربون المارة ، فكان الذين يأنفون من هذه الحالة يتركون موطنهم ويشتركون مع أمثالهم فى تأسيس مدينة جديدة يتولون هم أنفسهم الحكم فيها ، كما نجد أن عـدداً مـن المسـتوطنات قد أنشأتها العناصر الثائرة على أوضاعها فى المدينة ومن بين هؤلاء جماعة (Partheniai) وهم من الواضح جماعة الرجال الذين كانوا غير راضين عن وضـعهم السياسى والمدنى فى أسبرطة ، و وفقاً للروايات فإنهم هم أبناء الاسبرطيات غير الشـرعيين فـى فترة الحرب الميسينية ، وأنهم كانوا قد اجتمعوا فى بلدة اميكلاى ونظموا أنفسـهم وأصبحوا ثواراً ولكنهم فى النهاية قد تم اقناعهم أن يرحلوا إلى تراس (تارنتوم) ، ويـرى الـبعض أن بعـض الـثوار كـانوا من السكان الأصليين . كما أن اسم إحدى هذه المستوطنات وهو ديكايارخيا (*Δικαιαρξια*) أى المدينة التى يسودها العدل ، وقد أسسها الـرجال الذين عزلوا من مدينة كوماى . وكذلك أفراد الطبقة الأرستقراطية فى بعض المدن قـد حـرموا هم أيضاً الفرصة لتولى الحكم مما أدى إلى تحول الحكم الأرستقراطى إلى حكم اولـيجرخى، ومـثل هـذه العناصر كانت تستشعر السخط وتأمل فى أن تجد وضعاً سياسياً أفضل لها فى أرض جديدة .

ويقول منديس (Mendes) ، وكان أحد أبناء برقة وكتب تاريخاً لليبيا حوالى منتصف القـرن الثانى قبل الميلاد ، أن إنشاء قورينى يرجع إلى وقوع اضطرابات سياسية فى ثيرا مـن جـراء انقسام أهلها إلى فئتين ووقع بينهما صدام أدى إلى طرد إحداهما ، وهى التى يتزعمها باتوس فذهبت هذه الفئة لاستشارة وحى دلفى عما إذا كان عليها أن تتبع الصراع أم تقوم بانشاء مستعمرة وقد نهاها الوحى عن الاتجاه الأول . وفضل الاتجاه الثانى ، ولكن

هــذا الــرأى لا أســاس له من الصحة وهو ما تدحضه ما ورد فى نقش لوحة المؤسسين . ولعــل الاســتقبال غير الودى للمهاجرين من قبل أهل ثيرا يعود إلى أنهم لم يمضوا خمس ســنوات بــل عــادوا قبل ذلك وكذلك كان لابد من ردهم .. ولكن هذه الرواية تعكس مدى الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة وأن بعضها كان عليه الخروج من المدينة .

٤- الهجرة بسبب غزو أرض بعض المدن اليونانية :

لديــنا نماذج رائعة عن هجرة بعض أو كل سكان المناطق أو المدن وعدم الرغبة فى الخضوع والاستسلام للغزاة ، فبعض الروايات القديمة تقص أن بعض الميسينيين قد تركوا ميســينيا بعــد الحرب الميسينية الأولى لأنهم لم يكونوا راغبين فى الاتفاق مع الأسبرطيين واشتركوا مع أهل خالكيس فى استيطان ريجيوم ، كما نجد أن أهل فوكويا قد فروا من غزو الفــرس وتركوا المدينة وهاجروا إلى اللاليا (Alalia) فى كورسيكا ، كما نجد مهاجرين من تــيوس قــد أعادوا استعمار أبديرا (Abdera) . لأنهم وهؤلاء المهاجرون كانوا قد رفضوا الخضوع والعيش تحت الحكم الفارسى ، وبقية السكان قد اتجهوا شمالاً وأسسوا مستوطنة فاماجوريا على الساحل الشمالى للبحر الأسود .

٥- روح المغامرة عند اليونان :

لــم يكــن لحــركة الاستيطان اليونانى أن تتم دون وجود روح المغامرة ، ولعل دافع الفقــر ودافع التجارة سعيا وراء الثراء قد نشطا روح المغامرة التى تأصلت منذ فترة باكرة عــند الــيونان ، وتظهر هذه الروح فى العديد من المظاهر السائدة فى بلاد اليونان المبكرة وأدت نفــس هذه الدوافع إلى دفع بعض الرجال لانشاء مدن جديدة فى بلاد بعيدة ، ولكنها دفعــت بعض المغامرين الآخرين إلى البحث عن حياة المغامرة والخطر والقرصنة ، ويقدم هومــيروس وصــفاً دقــيقاً لحــب هؤلاء الخارجين على القانون لحياة السفن ، والمعارك

والسـيوف والرماح بعيداً عن حياة المجهود الشاق والربح العادى فوق اليابسة ، فقد كانت أعمـال القرصـنة فى منطقة بحر إيجه حيث المدن الساحلية غير المحصنة وقد ساعد ذلك القراصـنة علـى نهـب ثـرواتها فكانوا يحملون ما يستطيعون حمله من حبوب ومواشى ومنـتجات مصنعة بل والبشر أيضاً ، كما يظهر على الأوانى الأثينية من القرن الثامن نساء يحملهـن قراصـنة إلى سفن جاهزة للإبحار وحينما أدى تقدم الحضارة إلى إنهاء القرصنة تحـول الـيونان إلـى الخدمـة كمرتزقة لإرضاء روح المغامرة والخطر من جهة ولكسب أرزاقهم من جهة أخرى .

٦- محاولة بعض المدن الدول اليونانية مد سلطانها السياسى :

بـدأت بعض المدن الدول ، والتى كانت خاضعة لحكم الطغاة فى القرن السابع، تدرك أن الاسـتعمار وسـيلة يمكن من خلالها مد سلطانها السياسى ، فالمستوطنات التى أنشأتها جعلـتها تخضـع لـنفوذها المباشر من خلال السيطرة العسكرية ، فقد حاول بعض الطغاة المسـيطرة على المستوطنات التى أسسوها مباشرة أو من خلال إرسال أبنائهم وأقاربهم أو حلفـائهم المقربيـن إلـى المستوطنات حكاماً ومشرفين (Oikistai) آملين فى الإبقاء على المستوطنات فى حالة تبعية وموالاة على أقل تقدير ، وتكشف لنا المصادر أن كل من طغاة كورنيـثة وأثيـنا قـد قاموا باستعمال أقاربهم وأصدقائهم وحلفائهم كوسيلة لبسط السيادة الاسـتعمارية . فقـد أرسـل كوبسـيلوس (Cypseslus) طاغية كورينثة ابنه مشرفاً على تأسـيس مسـتعمرة لـيوكاس (Leucas) ومستعمرة امباركيا (Ambarcia) وانكتوريوم (Anactorum)، كمـا نجـد أن بـرياندر آخـر طغـاة كورينثة قد جعل ابنه ايفاجوارس (Evagoras) وابـن آخر له على كوركيرا . وبعد قتله فقد قام والده بغزو الجزيرة وقضى على المنشقين ثم عين ابن لخيه حاكماً عل المدينة وأخذ ٣٠٠ طفل من أطفال قادة المدينة وأرسلهم إلى ساردیس عاصمة ليديا كى يصيروا خصياناً ولحسن حظهم فقد تم انقاذهم على يد يونان جزيرة ساموس .

وفى أثينا قام بيستراتوس الطاغية بتأسيس مستعمرة سيريوم (Syrum) تحت قيادة

ابـنه هيجستراتوس حوالى سنة ٥٣٠ ق.م ، كما نجد أن ميلتيادس الكبير نجح فى احتلال خرسونســى (Chersonse) فــى تراقــيا فى منتصف القرن السادس ، وقرب نهاية القرن السادس أرسل الطاغية هيبياس بن بيستراتوس "مليتادس الصغير" حاكماً على المستعمرة

قــد حاولت أثينا السيطرة على امبراطوريتها باتباع نظام مشترك – مختلط – هجين هــو نظام منح الاقطاعات للمواطنين الاثينيين فى المستوطنات مع احتفاظهم بحق المواطنة فــى أثيــنا – وقــد صار هذا النمط من الاستيطان امتداداً لأثينا فى الخارج . وكان لهؤلاء المقطعيــن نفــس الحقوق والواجبات التى كانت للمواطنين الاثينيين ، كما كان عليهم تأدية الخدمة العسكرة العامة ودفع ضرائب الحرب . ولكن لأنهم كانوا اثينيين فقد تم اعفاؤهم من الجزية التى كانت تفرض على الآخرين من سكان الإمبراطورية الأثينية .

كــان الأثينيون المقطعون يرسلون لأغراض ثلاثة :- تأسيس مدينة فى قطعة أرض جديدة ، أو ليحلوا محل سكان تعرضوا للطرد أو الإعدام أو لتدعيم مستوطنة قائمة ، وغالباً ما كانت أثينا ترسل أبناءها وتمنحهم اقطاعات فى مدن الإمبراطورية التى نشبت بها حركة تمــرد لكى يستوطنوا جزءاً من أرض الدولة المهزومة ، وفى نفس الوقت كان يتم تخفيض الجزية لقاء ما تم مصادرته من أراضى . فقد كان هؤلاء الأثينيون يمثلون عامل توازن فى المديــنة ووســيلة تتمكــن أثينا من خلالها فرض هيمنتها عليها . وكان هذا هو الحال فى نكســوس بعد تمرد سنة ٤٧٠ ق.م وأيضاً فى ميلوس عام ٤١٦ ق.م فقد اعدم الأثينيون كــل الذكــور مــن الســكان وباعوا النساء والأطفال عبيداً ، ثم وطنوا الأثينيين ومنحوهم اقطاعات بالجزيرة ، كما نجد أنه قد تم ارسال عدد كبير من الأثينيين ، وتم منحهم اقطاعات فــى ايجينا وهيستيايا بعد أن تم طرد السكان اليونان المحليين . (وفى القرن الخامس ق.م نجد مجموعة من الأثينيين الذين منحوا اقطاعات وأثينيين آخرين مقيمين سوياً فى الجزيرة ، ومن الواضح أن أرباب الإقطاعات كانوا مستعمرين جدد) ، كما نجد أن أثينا قامت بإنزال بعض مواطنيها ومنحهم اقطاعات فى كل من خالكيس وأبحينا.

و نجد أن أثينا أيضاً نظراً لقلة سكانها فقد أنشأت مستوطنات ذات أصول مختلطة و مســتقلة مــثلها مــثل المســتوطنات الأخــرى ، ولكــن كان لها نفوذ قوى بها، مثل بريا

وامفيبولـــيس على الساحل الشمالى لبحر إيجه ، فقد تم اختيار موقعهما بناء على اعتبارات اســتراتيجية ولـــتعزيز القوة الأثينية فى المنطقة سنة ٤٣٧ / ٤٣٦ ق.م . فقد تم تأسيس امفيبولـــيس على الساحل بقيادة هاجنون (Oikistes) وهو واحد من الشخصيات السياسية فى أثينا .

٧- تدهور امبراطوريات الشرق :

يـــرى البعض أنه من المرجح أن تدهور إمبراطوريات الشرق وعلى وجه الخصوص ضعضـــعة النفوذ وسيطرة الفينيقيين على مياه شرق البحر المتوسط ، والذين كانت قوتهم تحد من نشاط اليونان فقد حدث فراغ كبير فى المنطقة بعد سقوط سوريا وفلسطين وفينيقيا فى قبضة الآشوريين ولم يعد ينافس اليونان كقوة بحرية أحد سوى قرطاجة .

وحتى مصر التى كانت قوة كبيرة لها مكانتها فى المنطقة قد أصبحت فى نفس الوقت تعـــانى من التدهور المستمر والذى أفقدها نفوذها وقيادتها ، أما فى آسيا الصغرى فلم تكن هناك إلا دولتان هما فريجيا وليديا وقد دمر الكمبريين فرجيا وبقيت ليديا دولة شرقية . أما الفرس فلم يكونوا قد نهضوا كقوة ذات نفوذ فى مياه البحر المتوسط .

جملـــة القـــول أن الأحوال السياسية فى شرق البحر المتوسط قد هيأت فرصة ثمينة لليونان للانتشار ، فقد صار البحر المتوسط مفتوحاً أمامهم بلا عوائق ولا معارض وعندما زحفـــت الإمـــبراطورة الأخمينـــية نحو البحر المتوسط أبان القرن السادس كان الاستيطان الـــيونانى قـــد ثبت اقدامه وصارت المستوطنات اليونانية قوة واقعة وحقيقية وقادرة على الدفاع عن نفسها وعلى استعداد لإثارة الغرب اليونانى للدفاع عنها .

٨ – تطور بناء السفن :

شـــهدت صـــناعة السفن ثورة كبرى فى هذه الفترة ، فقد تم بناء السفن ذات الثلاثة صـــفوف من المجدفين (Treremes) وبناء السفن ذات الخمسين مجدافاً (Pentakosia) ، ونتـــيجة لبـــناء هذه السفن ، فلم يعد الابحار مرهوناً بهبوب رياح معينة فى مواسم معينة مثلما كان الحال فى زمن الشاعر هيسيودوس ، بل زادت وتضاعفت سرعة السفن و زادت حمولتها .

وبعد أن عرضنا لأسباب ودوافع حركة الاستيطان الكبرى سنحاول الآن أن نستعرض ـسم المـــناطق التى انطبقت عليها حركة الهجرة الاستيطانية فى الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى نهاية القرن السادس ، وأهم المدن التى شاركت فيها ، كما سنضع قائمة بالمدن ومستوطناتها فى النهاية ، ولن نتكلم عنها جميعاً لأنه لن يكون واجباً سهلاً .

الاستعمار اليونانى فى الغرب :
إيطاليا وصقلية وفرنسا واسبانيا وموقف القرطاجيين

عرف الكريتيون والموكينيون طريقهم إلى صقلية وجنوب إيطاليا إذ تكشف التنقيبات الأثرية عن انتشار الفخار الموكينى هناك وتأثيره على الفخار المحلى ، كما نجد أن فن بناء المقابـــر الموكيـــنى قـــد انتقل إلى صقلية فى ثابسوس (Thapsus) بالقرب من لجراجنتوم (Agragentum) ، ولكن الأدلة والقرائن الخاصة بالعلاقات الكريتية مع الغرب قليلة ، وما لديـــنا عـــنها هو أسطورة ديدالوس الذى فر من الملك مينوس وبحث عن ملاذ عند الملك كوكـــالوس (Cocalus) ملـــك صقلية الذى قتل وهو يقاتل الملك مينوس . ومن المرجح أن العلاقـــات الـــتجارية بين اليونان وصقلية وإيطاليا قد توقفت تماماً أبان العصر المظلم ولكن تشـــير الدراســـات اللغوية و الأثرية إلى هجرة إلى سواحل أيطاليا الشرقية إبان هذا العصر من بلاد اليونان و خاصة الكيريا ، و مع بداية القرن الثامن ق.م فإن نوعاً ما من العلاقات قـــد بـــدأ بينهما ، وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية حيث عثر على آنية فخارية يونانية فى المقابـــر الأتروســـكية ، كما عثر على كسر من الفخار اليونانى فى المناطق التى تقيم فيها الشعوب الإيطالية . ويمكن للدارس أن يستخدم الأوديسة كدليل على تجديد المعرفة بالغرب وهـــذا مـــا توضـــحه الكتب من ٩ ــ ١٢ من الأوديسة . فقد أوردت بعض القصص والتى تعكس ما رواه المغامرون والتجار .

وعلــى الــرغم من أن تواريخ انشاء المستوطنات الغربية ليست محددة بالضبط كما يرغــب المــرء ، فإن العلماء يتفقون على أنه بعد تأسيس مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى (اســخيا) ســنة٧٧٥ ق.م فقد قام اليونان بتأسيس مستوطنة كوماى سنة ٧٥٠ ق.م ، وقد وفــد مســتعمرو بيثكوســاى من كل من مدينتى خالكيس وارتريا بجزيرة يوبويا . ويقول اســترابون أن المهاجرين من أهل خالكيس وارتريا قد تصارعوا فيما بينهم وأن أهل ارتريا قــد هاجروا من المستوطنة . ويضيف أن بقية المستوطنين الآخرين قد تركوا الجزيرة بعد ذلك نتيجة لثورة بركانية تعرضت لها الجزيرة . ويفترض أن الجزيرة تم استيطانها لوجود مــناجم للذهــب بهــا ، ويــرى البعض أنه من السخف أن نفترض أن هذه الجزيرة قد تم اســتيطانها لتربــتها الزراعــية البركانــية الخصيبة ، ويرجع سبب استيطانها إلى مركزها التجارى .

وقــد وفــد مســتوطنو كومــاى من خالكيس وارتريا وكيمى فى ابوليس وقد اتخذت المســتوطنة اســم المدينــة الأم . وهذه المدينة كانت قريبة من منطقة النفوذ الاتروسكى . ويعجــب الباحث من أن هؤلاء المستوطنين لم يستقروا فى بعض المناطق القريبة من بلاد الــيونان سواء فى صقلية أو جنوب إيطاليا والتى مروا عليها حيث يوجد العديد من المواقع ذات الأرض الخصــبة بــدلاً مــن الجرأة فى التوجه نحو خليج ميسانا والاتجاه إلى ساحل إيطاليا الغربى ، ولذا فمن المرجح أن قادة المستوطنين لمستوطنة بيثكوساى كانوا يبحثون عــن موضــع يكــون له مــيزة فــى الحصــول على المعادن خاصة النحاس والحديد من الاتروسكيين والذين ، من المرجح ، كانوا قد وفدوا من الشرق واستقروا فى سهل اتروريا شــمال رومــا حيث ازدهرت حضارتهم . وتكشف لنا اللقى الأثرية عن وجود سلع شرقية والــتى تذكــرنا بأن الاتروسكيين قد شاركوا اليونان الاتجار مع الميناء السورى المينا من نهاية القرن التاسع ق.م . وهذا يعنى أنها استخدمت للتبادل التجارى ، كما أن المستوطنين علــى ما يبدو قد أدركوا أهميتها فى أن تكون قاعدة للقرصنة بجانب التجارة وفوق كل هذا فإنهم قد وجدوا بها تربة خصبة صالحة للزراعة .

وتقع كوماى على الأرض المواجهة لجزيرة بيثكوساى وعلى بعد ١٢ كم غرب نابلى

وكان لها قلعة حصينة ، وتقع جباناتها الباكرة فى شمالها وأغلبـــها قد أجرى به حفائر وتم العـــثور بهـــا علـــى فخار محلى ويونانى وسلع مصرية . وقد كان للمدينة دور هام فى نقل مظاهـــر الحضـــارة اليونانية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ، فقد كانت أول مدينة يونانية فى إيطالـــيا تتصـــل بهـــا الاتروســـكيون ومن بعدهم الرومان ، وقد استخدم أهل كوماى صيغة خالكـــيس فـــى الأبجديـــة اليونانية وهى الأبجدية التى اقتبسها الاتروسكيون ثم انتقلت إلى الـــرومان وأول مـــثال لأبجديـــة خالكيس قد عثر عليه فى جزيرة بيثكوساى على كأس من الطـــراز الهندســـى مـــن عـــام ٧٣٠ ق.م مكتوب عليه ثلاثة أسطر من اليمين إلى الشمال وترجمـــتها : "إن نستور عنده أثمن كأس ولكن من يشـــرب من كأسى يفتن فى التو بالربة افروديـــتى المـــتوجة" ، كما نجدهم أصحاب الفضل فى تعريف الشعوب الإيطالية المجاورة بالديانة اليونانية حتى ذاعت أسماء الآلهة والأبطال اليونان عند هذه الشعوب . كما نجد أنه كان من بين مستوطنى كوماى جماعة أطلق عليها جرايوى (Graeoi) ولما كان هؤلاء من أوائل اليونان الذين تعرف عليهم الرومان فعلى ما يبدو فإن الرومان قد أطلقوا اسمهم على كـــل اليونانيين . وهكذا فإن تسمية الإغريق قد اشتقت من هنا . وقد قام مستوطنو كوماى بتأسيس مستوطنة جديدة هى نيابوليس (نابلى الحالية) .

وبعد تأسيس كوماى فقد بدأت الهجرات تفد على جزيرة صقلية أولاً ثم جنوب إيطاليا ثانـــياً . وكـــان أهـــل خالكـــيس من أنشط المستعمرين فى المنطقة ، إذ نجدهم قد أسسوا ناكســـوس على الساحل الشرقى لصقلية سنة ٧٣٤ وهى أول مستوطنة يونانية فى جزيرة صقلية ، واسم المدينة يشير إلى أنه قد وفد عليها مستوطنون من جزيرة ناكسوس فى بحر إيجه ، ونظراً لضيق مساحة ناكسوس الزراعية فقد قام مواطنوها بتأسيس مستوطنتين ذات أراضـــى خصـــبة همـــا ليونتنى (Leonteni) وكاتانا (Catana) . والمستوطنة الأولى قد أسســـتها ناكســـوس بعـــد ســـت سنوات من تأسيسها ، وكان يقيم بالمدينة قبل استيطانها صـــقليون تم طردهم ، وكانت هذه المستوطنة مستوطنة زراعية . أما عن كاتانا فكانت تقع على الشاطئ وتتمتع بميناء رائع .

أســـس أهل خالكيس أيضاً بعد بضعة سنوات مستوطنتين هما زانكلى (Zancle) فى

الجانب الصقلى وريجنتوم فى الجانب الإيطالى من خليج ميسانا (Messana) ، ومن ثم فقد سـيطروا علـى هـذا الممر المائى ، وبالتأكيد فإن هاتين المستوطنتين قد تأسستا لأسباب اقتصادية وسياسية لأنهما لا تملكان ظهير من الأرض الزراعية ، ولما كانت مشكلة إمدادات الغـذاء معضلة خطيرة ، فقد وجدنا أن مستوطنة زانكلى بعد عشر سنوات من تأسيسها قد قامـت بتأسـيس مستوطنة ميلاى (Mylae) وكانت تقع على بعد عشرين ميلاً غرباً وكان لهـذه المدينة سهل خصيب ، وقد قام نفر من مستوطنيها أيضاً بالاشتراك مع مهاجرين من ميسينيا بتأسيس ريجيتوم وقد اختاروها لسيطرتها على الممر المائى . وقد تأسست المدينة حوالـى سـنة ٧٣٠ ق.م بيـنما قـام نفـر آخر من أهلها سنة ٦٤٨ ق.م بالاشتراك مع مستوطنين من مدن أخرى باستيطان هيميرا (Hemera) والتى ربطت بين والقرطاجيين فى غرب صقلية .

ويذكـر ثيوكـيديديس أن كورينثة قد أسست مستعمرة سيراكوز بعد عام من تأسيس خالكـيس لمدينة ناكسوس ، ومن الواضح أن ذلك قد حدث بعد سنة ٧٢٣ق.م . وفى نفس الوقـت تقريـباً فقـد أسسـت كورينثة مستوطنة فى جزيرة كوركورا (Corcyra) كورفو الحالـية* بعـد أن طردت الارتريين منها والذين كانوا قد سبقوهم فى احتلالها وكان دافعهم الأساسى فى المقام الأول لاستيطان كل من سيراكوز وكوركورا هو تخفيف الأزمة السكانية ومعالجـة مشـكلة نقـص الأرض فـى كورينثة هذا فضلاً عن الدافع التجارى . وبهذا فقد سـيطروا علـى موقع هام على الطريق إلى صقلية . وكانت علاقة كوركورا بكورينثة طيبة فى البداية ، إذ نجدها قد طلبت من كورينثة ارسال قائد (Oikistes) قبل ارسالها مستوطنين إلى ابيدامنوس (Epidamnus) فى النصف الثانى أو فى نهاية القرن السابع ، ولكن ساءت العلاقـات بينهما ودارت بينهما معركة بحرية وصفها ثيـوكيديديس بأنها أول معركة بحرية دارت قبل ٢٦٠ عاماً من نهاية حرب البلوبونيز ، أى قبل منتصف القرن السابع . فقد كانت قوتهـا الـبحرية تنافس قوة كورينثة فى منطقة جنوب غرب اليونان . وعندما أذنت شمس القـرن السابع للغروب فقد بدأت علاقتهما فى التحسن ففى حوالى سنة ٦٠٠ ق.م ، عندما كان برياندر طاغية فى كورينثة وقعت كوركورا تحت النفوذ الكورينثى مرة أخرى . بيد أننا

نجدهـا قـد استعادت استقلالها ثانية إبان القرن السادس ودخلت فى منازعات مع كورينثة حـول مستعمرات ليكاس واناكتوريوم وابيدامنوس. كما أن الصراع قد نشب بينهما فى سنة ٤٣٢ق.م عـندما ناشدت ابيدامنوس مدينتها الأم كوركورا أن تساعدها ضد كل من طغاتها المنفيين والقبائل المحلية التى كانت تشن هجوماً عليها آنذاك، ولكن كوركورا تقاعست عن مسـاعدتها ممـا دفعها إلى طلب العون والمساعدة من كورينثة والتى لبت النداء مما عجل بالصـراع بيـن كوركورا وكورينثة والذى انحازت فيه أثينا إلى جانب الأولى وبذلك كسبت عـداوة كورينـثة . وقـد أمـن الكورنثـيون صلاتهم مع الغرب من خلال بناء سلسلة من المسـتوطنات تمـتد من خليج كورينثة إلى البحر الأيونى ، وكانت هذه المستوطنات بمثابة محطات تابعة لكورينثة .

أمـا عـن تأسـيس كورينـثة لمستوطنة سيراكوز . فقد كان معدل نموها أبطأ من كوركورا ، بيد أنها فى النهاية قد صارت أشد قوة وارتقت إلى مرتبة المدينة الدولة القائدة والأقوى والأغنى فى الجزيرة وذلك لموقعها المتميز حيث كان لها ميناء طبيعى ، هذا فضلاً عـن ظهـير من السهل الخصيب ، وبعد أن ألحقت بها جزيرة أورتيجيا (Ortygia) (موقع الاسـتيطان الأول) عن طريق جسر . ولما كان أغلب المستوطنين الكورنثيين من سهل تينا (Tenea) بكورينـثة فـإن هـذا قد يعنى أنهم قد ذهبوا إلى صقلية أساساً بحثاً عن الأرض الزراعـية لمعالجة الأزمة السكانية ، ولكن هذا لا يكفى إذ أن الاوليجرخية الباكخيادية كانت تفكـر أيضـاً فـى فرص التجارة . فسيراكوز من أول نشأتها كان بها التجار بالإضافة إلى الزراع . وقد كانت العلاقات بين كل من سيراكوز وكورينثة مدينتها الأم علاقات ود وتحالف على الدوام طوال تاريخها ، ولكنها احتفظت باستقلالها وبقيت خارج نطاق هيمنة كورينثة . وقـد قامـت سـيراكوز بدورهـا بإنشاء مستوطنة كامارينا (Carmarina) على الساحل الجنوبى الغربى لصقلية .

وقـد حكـم سـيراكوز عند بداية تأسيسها حكومة أوليجارخية ارستقراطية من ملاك الأراضـى عـرفوا باسـم (Gamoroi) الذين انتزعوا الأراضى من سكان صقلية الأصليين وانزلوهم إلى مزارعين مربوطين بالأرض (Kyllyrioi).

وقـد قام هؤلاء السكان المحليون بالتعاون مع الفئة الفقيرة من اليونان بالثورة على حكومـتهم الأوليجرخـية . وقـد اسـتعانوا بالطاغـية جيلون (Gelon) فى طرد الحكومة الأوليجرخـية ونصب نفسه طاغية على سيراكوز حوالى سنة ٤٩١ ق.م بعد أن تنازل عن حكم مدينته الأصلية جلا (Gla) لأخيه هيرون .

بلغـت سـيراكوز أوج ازدهارهـا فى عهد جيلون وبنى أسطولاً كان أضخم أسطول بحـرى يونـانى ، وكان قد لبى طلب كل من أثينا وأسبرطة للمساعدة فى صد حملة الفرس المشـهورة بقيادة اكسيركيس ، ولكنه اشترط أن يكون قائداً عاماً لأسطول اليونان الحربى فـى الحـرب ضـد الفرس ولكن لم يلب الأثينيون و الاسبرطيون طلبه ومن ثم فقد انسحب بأسطوله عائداً إلى صقلية .

نجـح جـيلون بمعاونـة ثيرون (Theron) طاغية اكراجاس سنة ٤٨٠ق.م بإلحاق الهـزيمة بجيش قرطاجة بقيادة هاميلكار ، وأصبح جيلون بطلاً قومياً وقائداً على كل المدن اليونانية بصقلية .

حكـم جيلون حكماً مثالياً وكان محبوباً فى سيراكوز ، ويرجع إليه الفضل فى توسيع رقعة المدينة وذلك بتشجيعه لمواطنى المدن اليونانية للهجرة إلى سيراكوز ، ومن أجل هذا الغـرض فقـد أقـام أحـياء جديدة لاستيعاب المهاجرين الجدد ، ونتيجة لهذا فقد صارت سيراكوز أكبر مدينة يونانية فى صقلية وغرب البحر المتوسط .

تولـى هـيرون الأول الحكـم بعد موت جيلون ونجح فى أن يمد نفوذ سيراكوز إلى جنوب إيطاليا ، ولكن هذا النفوذ قد تقلص بعد موته سنة ٤٦٧ ق.م.

وبعـد موتـه حـل النظام الديموقراطى محل نظام حكم الطغاة ، ولكن تم العودة مرة أخـرى إلـى نظـام حكم الطغاة نتيجة لتهديد القرطاجيين ، وتم تنصيب ديونيسيوس الأول (Dionysuis) طاغـية سنة ٤٠٦ ق.م. وبعد جهود شاقة نجح فى أن يكون أقوى حاكم فى صـقلية ، وبـنى عدداً من المستوطنات على ساحل البحر الإدرياتيكي وساعد اسبرطة ضد أثينا وطيبة ، كما كانت علاقاته مع روما طيبة .

وتولــى ولــده ديونيسيوس الثانى الحكم فى عام ٣٦٧ ق.م بعد موته وكان يبلغ من العمر ٣٠ عاماً وكان شغوفاً بالأدب والفكر والثقافة اليونانية مثل والده فكان كل منهما أديباً وشــاعراً وإن اهــتم الابن بالفلسفة فكان يدعو مشاهير الفلاسفة وعلى رأسهم أفلاطون . ونظراً لضعفه فقد قام بوقف الحرب مع القرطاجيين .

وقــع انقــلاب ضده أدى إلى قيام حكم ديمقراطى ، ولكن تحول الحكم مرة أخرى إلى حكــم ملكى على يد اجاثوكليس (Agathocles) سنة ٣٠٤ ق.م وبعد موته سنة ٢٨٩ ق.م تولــى هيكتــياس (٢٨٨ – ٢٧٨ ق.م) والــذى استمر حكمه عشر سنوات والحقت قرطاج هــزيمة بــه وحاصــرت سيراكوز وطلب هيكتياس النجدة من بيرهوس ملك ابيروس ولبى بيرهوس النداء ونجح فى رفع الحصار عن سيراكوز.

وكان هيرون الثانى عميلاً للرومان ، ولما حاول خليفته هيرنيموس (Heronymus) (٢١٥ – ٢١٤ ق.م) الخــروج علــى هذه السياسة نشب صراع داخلى بين أنصار كل من الرومان والقرطاجيين مما أدى إلى تدخل الرومان وحصارهم لسيراكوز ، و مما يجدر ذكره أن العــالم ارشميدس قد شارك فى هذه المقاومة ولكن المدينة سقطت فى يد الرومان سنة ٢١١ ق.م ، وأصبحت مقراً للحاكم الرومانى على صقلية .

وقامــت ميجارا بتأسيس مستعمرة ميجارا هيبلايا (Megara Hyblaea) بعد سنوات قلــيلة مــن تأســيس سيراكوز ، وكانت تقع شمالها بمسافة قصيرة . ونظراً لموقعها بين مدينتيــن كبيرتيــن همـــا ســيراكوز وليونتينى فإنها لم تزدهر ، ولكن نجدها بعد قرن من تأسيسها تؤسس مستوطنة جديدة هى سيلينوس (Selinus) فى الأراضى الخصبة فى غرب صقلية .

وقــد أسس جيلا (Gela) مستوطنون من رودس وكريت وكان ذلك بعد ٤٥ عاماً من تأســيس ســيراكوز وقد توسعت هذه المدينة كثيراً ، وفى عام ٥٨٠ ق.م نجدها قد أسست إلى الغرب منها مستعمرة زراعية هى اكراجاس (Acragas) والتى تفوقت بعد فترة قصيرة على المدينة الأم فى حجمها وثرائها .

وقد أتى هؤلاء المستوطنون اليونان على سكان صقلية فمن هم هؤلاء السكان ؟ كان يسكن جزيرة صقلية قبل قدوم اليونان إليها أقوام هي : السيكانيون (Sicans) والايليميون (Elymians) والصقليون (Sicels) والفينيقيون ، ويخبرنا ثيوكيديديس أن السيكانيين كانوا من العنصر الالليرى ، وأن الصقليين قد طردوهم إلى الجزء الجنوبى والغربى من الجزيرة ، وأن الصقليين قد أتوا فى أعداد كبيرة إلى الجزيرة من جنوب إيطاليا ، ويرى جل الباحثين الآن أن السيكانيين والصقليين وأيضاً سكان جنوب إيطاليا كانوا من منطقة الليريا ، وأنهم قد وفدوا على عناصر من سلالة البحر الأبيض المتوسط . وقد تأثر هؤلاء بالحضارة الموكينية كما سبق أن ذكرنا فى مجال الفخار وبناء المقابر . وإذا ما كانوا من العنصر الالليرى فإن لغتهم كانت هندوأوروبية ، وأنهم هم أنفسهم كانوا يتشابهون كثيراً فى كثير من الأمور مع الشعب الالليرى فى أرض بلاد اليونان، ومع ذلك فقد كانوا فى نظر الاغريق أجانب . وقد طردت بعض المستوطنات اليونانية السكان الأصليين من مناطق المستوطنات على طول الساحل ، وبينما نجد أن بعض المستوطنات الأخرى قد أنزلت السكان المحليين أصحاب الأرض فى زمامها إلى مرتبة مزارعين مربوطين بالأرض .

وفى أقصى غرب الجزيرة ، فيما عدا الساحل ، كانت المنطقة موطناً لجماعة الايلميين المتحضرة وأهم مدنهم مدينتى سيجستا (Segest) وهاليكياى (Halicyae) . ويعتقد ثيوكيديديس أنهم من الطرواديين الذين أبحروا غرباً بعد سقوط طروادة ، وكانت ثقافتهم عالية ، ولذا نجدهم قد توافقوا بسهولة مع التأثيرات اليونانية و الفينيقية .

ومن الشعوب الأخرى التى استقرت فى صقلية الفينيقيون ، ويقول ثيوكيديديس أنهم قد استقروا فى الجزر الصغيرة والكبيرة المحيطة بصقلية ، ولكن عندما قدم اليونان مهاجرين إلى الجزيرة انسحبوا غرباً ، واستوطنوا موتيا (Motya) وبانورموس (Panormus) وصولويس (Sololis) فى الشمال الغربى للجزيرة. ولكن هذا القول محل شك فلا توجد آثار وقرائن ولا روايات تشير إلى تواجد الفينيقيين فى شرق صقلية وإلى وجود نزاع بين اليونان والفينيقيين إبان القرنين الثامن والسابع ، ويقول أفوروس وقد تبعه استرابون أن اليونان عند ظهورهم فى الغرب وجدوا أنفسهم فى علاقات عدائية مع

القرطاجيين ، ولكن يبدو أن افوروس كان متأثراً بما كان يجرى من أحداث وصراعات فى القرن الرابع . ويبدو أن بداية الاحتكاك بين اليونان والقرطاجيين قد بدأ مع تأسيس هيميرا (Hemera) سنة ٦٤٨ ق.م وسيلينوس سنة ٦٢٨ ق.م ، ومع ذلك ليس لدينا ما يدل على عداء بينهما . ولكن أول ذكر للصدام بين اليونان وفينيقيين هو الرواية التى ذكرها كل من ديودوروس وباوسينياس ، حول بنتاثلوس (Pentathlos) الكندوسى الذى قام مع نفر من أهل كندوس ورودس بالاستقرار والاستيطان فى ليلبايوم فى غرب صقلية ، ويبدو أن بنتاثلوس بعد تأسيس مستعمرته قد ساعد سيلينوس فى الهجوم على مدينة سيجستا الاليمية ولكن تمت هزيمته وقتله وفرار أتباعه فى سفنهم إلى جزيرة ليبارا (Lipara) وأقاموا بها ، ولم يكتف الاليميون بذلك بل نجدهم قد قاموا بمساعدة القرطاجيين فى تدمير مستعمرة ليلبايوم . ويرى البعض أن الغرض من انشاء هذه المستعمرة أن تحل محل مستعمرة موتيا الفينيقية التى كان الهدف من إنشائها أن تكون نقطة ارتكاز ليس للتجارة فى صقلية فقط ولكن كنقطة بداية للسفن للاتجار مع الاتروسكيين والسفن المبحرة إلى اسبانيا أيضاً وذلك بغرض الحصول على المعادن ، وسنجد أن العداء بين الفينيقيين واليونان فى هذه المنطقة قد بدأ يظهر فى القرن السادس قبل الميلاد ، وسنعود إليه بعد أن نستعرض جهود اليونان الاستيطانية فى فرنسا واسبانيا .

لقد بدأت علاقات اليونان بفرنسا وإسبانيا من خلال مواطنى فوكايا وساموس إذ يقول هيردوت أنهم هم أول اليونان الذين قاموا برحلات بحرية طويلة وأنهم هم الذين اكتشفوا أدريا وتيرهينا وايبريا وتارتوس وهذه الرحلات الاستكشافية يمكن أن تؤرخ بمنتصف القرن السابع ، ويروى لنا هيرودوت أيضاً قصة التاجر اليونانى من ساموس والمدعو كولايوس الذى كان يملك سفينة والتى ابحرت إلى الساحل الليبى ثم إلى مصر وأن ريحاً شرقية معاكسة قد قادته إلى الاتجاه المعاكس وحيث أن الرياح لم تهدأ فقد أبحر عبر مضيق صخرة هرقل بمساعدة الآلهة إلى تارتوس . وأن هذا التاجر قد اكتشف سوقاً بكراً وعاد إلى ساموس محملاً بالأموال ، ويبدو أن هذه الرحلة كانت حوالى ٦٣٨ ق.م .

وقد كان أول استيطان فى فرنسا من قبل مستوطنين من فوكويا الذين أسسوا

مستوطنة ماساليا سنة ٦٠٠ ق.م عند مصب نهر الرون ، وقامت ماساليا بدورها بانشاء العديد من المحطات التجارية على الساحل الفرنسي وشرق الساحل الاسباني . وقد أقامت ماساليا علاقات تجارية مع القبائل المحلية المقيمة في الظهير الارضي . وكونت ثراء عريضاً من التجارة . ولم يقف القرطاجيون صفاً لمنعهم في البداية ، ولكن سنجد أن القرطاجيين قد تحركوا عندما بدأت تمس وتضار مصالحهم إذ نجدهم قد وقفوا وناصروا مدينة سيجستا الاليمية في صقلية ودمروا ليبايوم التي رأى فيها القرطاجيون خطراً على مصالحهم ، وقد رأى البعض أن غرض اليونان من تأسيس هذه المستعمرة أن تحل محل الميناء القرطاجي المجاور في صقلية في الاتجار مع فرنسا واسبانيا . ولكن هذا الرأى فيه مبالغة لأن اليونان لم يكونوا يداً واحدة بل كانوا يتقاتلون مع بعضهم البعض، ولم يكن هناك ما يجمعهم لقتال القرطاجيين ، بل سنجد أن مصالح البعض منهم قد جعلتهم يقفون مع الاتروسكيين والقرطاجيين ضد بني جلدتهم ، إذ نجد أن مصالح الاتروسكيين قد تهددت نتيجة إقامة مستوطنة ليبارا والتي عمل أهلها بالقرصنة ونظراً للمصالح المشتركة للفوكايين مع الاتروسكيين فقد تحالفوا معهم ضد ليبارا . كما نجد أن أهل فوكايا الذين نزلوا بالاليا (Alalia) وعملوا بالقرصنة وهددوا بذلك صوالح الاتروسكيين والقرطاجيين لم ينقذهم بنو جلدتهم من أيدي القرطاجيين والاتروسكيين الذين نجحوا في إخراجهم من الجزيرة ، كما نجد أن قرطاج تصدت لليونان بالمنطقة بشكل مباشر عندما تهددت مصالحها وحاول بعض اليونان التعدى على مناطق نفوذها ، وهذا ما حدث مع دوريوس شقيق الملك الاسبرطي كليومنيس والذى كان قد حصل على إذن رسمي لتأسيس مستعمرة ، واتجه أولاً إلى الساحل الافريقي في المنطقة الواقعة بين قوريني وقرطاج واستقر بها عامين ولكن طرده القرطاجيون والسكان المحليون ، ثم بعد عودته بفترة بسيطة إلى أسبرطة ، فقد خرج في مغامرة ثانية سنة ٥١١ – ٥١٠ ق.م كي يؤسس مستوطنة في منحدر جبل اريكس (Eryx) في غرب صقلية . وهنا مرة أخرى فقد كان تأسيس هذه المستوطنة يدخل في منطقة النفوذ القرطاجي ، ولذا فقد وقفت قرطاج في وجه المحاولة بمساعدة الصقليين والاليميين وخاضوا معاً معركة ضد دوريوس إذ ان النصر كان حليفاً للقرطاجيين وحلفائهم وقتل دوريوس ، ومن الجدير بالقول أن مستوطنة سيلينوس لم تقف بجانب دوريوس

وتساعده لأن تجارتها كانت رائجة مع القرطاجيين .

وفى ضوء هذه الحقائق نقول أن قرطاج وقفت تدافع عن مناطق نفوذها التى هددتها بعـض المحـاولات الفـردية من بعض المدن اليونانية . إذ نجدها تهاجم ليلبايوم وتدمرها عـندما شعرت أنها تهدد مصالحها وتشارك فى طرد مستوطنى الاليا (Alalia) فى كورسيكا لاشتغالهم بالقرصنة وطرد دوريوس الاسبرطى من ليبيا ومن بعدها قتاله فى صقلية عندما حـاول تأسيس مستوطنة فى غرب صقلية وهى منطقة كانت تعتبرها ضمن مناطق نفوذها وسنجد أن هذه المصادمات لم تكن بين قرطاج واليونان جميعاً ، ولكن مع جماعات منفصلة عـن بعضها البعض بل سنجد أن اليونان ساعدوا كل من القرطاجيين الاتروسكيين ضد بنى جلدتهم . لقد كان القرطاجيون يسيطرون على غرب صقلية وسردينيا وجزر البليار ، ومما هـو جدير بالقول أنه فى نفس هذا الوقت قد نجح القرطاجيون فى منع اليونان من الابحار عـبر مضـيق جـبل طـارق وأن يكـون لهم مدخل للحصول على معادن تارتسوس وذلك بتأسيسهم مستعمرة فى كارتيا (Carteia) الواقعة فى خليج جبل طارق (Gibraltar) .

أما بالنسبة لايطاليا فقد استمرت بها حركة الاستعمار اليونانى بنشاط وقد شارك بها مـدن عديـدة منها خالكيس وارتريا وكيمى وكورينثة والدول الآخية الصغيرة على الساحل الجنوبى لخليج كورينثة وغيرها .

قامـت مجموعـة مـن الآخيين بتأسيس سيباريس (Sybaris) سنة ٧٢٠ ق.م فى منطقة القدم الايطالى وكانت هذه المستوطنة على قدر كبير من الثراء نظراً لخصوبة تربتها ووفـرة انتاجها وأيضاً لاشتغال أهلها بالتجارة ، ويبدو أنها قد قامت بدور الوسيط التجارى بين الاتروسكيين من جهة وميليتوس فى آسيا الصغرى من جهة أخرى . وحققت من وراء ذلـك ثـروة كانت مضرباً للأمثال، وكانت سبباً لغيرة وعداء جيرانها . وانشأت سيباريس مسـتوطنة بوسـيدونيا (Posidonia) باستيوم (Paestum) سنة ٧٠٠ ق.م على الساحل الغـربى لايطالـيا، وتقع جنوب مستوطنة كوماى. كانت بوسيدونيا مدينة غنية وذات ثراء عريض وتعكس معابدها الفخمة هذا الثراء .

قـام الآخـيون أيضاً بتأسيس مستوطنة كروتون (Croton) سنة ٧٠٨ ق.م وكانت

حقولها خصبة وفيرة المحاصيل ونالت شهرة عظيمة بفضل مصارعيها وأطبائها والمدرسة الفيثاغورثـية ، والجديـر بالذكر أن العداء كان مستحكماً بين كل من مستوطنة سيباريس وكريتون ونجحت الأخيرة فى تدمير الأولى سنة ٥١١ – ٥١٠ ق.م وساعدها على ذلك أنها قد تعرضت لسلسلة من الاضطرابات الداخلية .

وقـد أسـس الآخـيون مسـتوطنة زراعية فى منطقة القدم الايطالى هى ميتابونتوم (Metapontum) والواقعة غرب تاراس (تارنتم) . وكانت أرضها خصبة وافرة الانتاج .

قـام الاسـبرطيون الـناقمون على سياسة بلدهم بالهجرة إلى مستوطنة تاراس سنة ٧٠٦ ق.م وكانت تقع على بعد عشرين ميلاً من ميتابونتوم ، وهى المستعمرة الوحيدة التى اسسها الاسبرطيون فى الغرب . وقد تطورت على نحو مضطرد إلى أن صارت أقوى المدن اليونانية في جنوب إيطاليا .

وقـد قـام مهاجـرون مـن لوكريس فى سنة ٦٧٣ ق.م بتأسيس مستوطنة لوكرى ابيزيفـيرى (Locri Epizephyrii) بالقرب من كعب الحذاء الإيطالى فى الجانب الشرقى . وقد ظهر بها المشرع اليوناني الشهير زياليكوس بعد جيل من تأسيسها.

وقـام أهـل فوكايـا بتاسيس مستوطنة ايليا (Elea) وتقع على مسافة عشرين ميلاً جـنوب بوسـيدنيا علـى السـاحل الغـربى وقد لجأ إليها مستوطنو الأليا بعد أن طردهم الاتروسـكيون والقرطاجـيون من كورسيكا وكانت مدينة ايليا مدينة زاهرة كما كانت مقراً لمدرسة فلسفية .

وابتداءً من النصف الثانى من القرن السادس فإن اليونان قد بدأوا فى اقامة علاقات مـع الساحل الايطالى عبر الادرياتيكى حيث كانت تنتشر عدة مدن اتروسكية . وقد أجريت حفائـر سـنة ١٩٥٠ فـى ميناء اسبينا (Spina) القديم وعثر على لقى اثرية مدهشة . والميـناء يقع فى منطقة جنوب مصب نهر البو (po) وقد عثر على فخار كورنثي والذي يؤكـد أنهـا قـد انشئت فى الفترة المبكرة من العصر العتيق ، وقد بلغت أوج ازدهارها فى العصـور الكلاسـيكية فكانت مركزاً تجارياً هاماً حيث عاش المستوطنون اليونان جنباً إلى

جنب مع الاتروسكيين والفينتى (Veneti) المحليين .

اسست أثينا مستوطنة ثوريى فى عهد بركليس سنة ٤٤٤ ق.م قرب مستعمرة سابريس التى كانت قد دمرت سنة ٥١٠ ق.م . ولما كانت أثينا لا تملك عدداً كافياً من المستوطنين لإقامة مستوطنة قوية ، فقد دعا بركليس اليونان جميعاً للمشاركة فى المستعمرة . ويقال أن هيبوداموس مهندس المدن هو الذى هذه خطط المدينة . وكان هدف أثينا هو تأمين موضع قدم فى الغرب من خلال هذه الجزيرة. ولكن حدث قتال بين الأثينيين والبلوبونيزيين بالمستوطنة حول من هى المدينة الأم ومن يكون المشرف على المستعمرة (Oikistes) وعندما طلب التحكيم ، أعلنت نبوءة أبوللو فى دلفى حل المشكلة بإعلان أن الإله أبوللو هو المشرف على المستعمرة ، بيد أن العنصر الأثينى ظل ممسكاً بزمام السلطة حتى هزيمة أثينا فى صقلية سنة ٤١٣ ق.م . حيث تم طرد عدد كبير من المواطنين سنة ٤١٢ ق.م من المتعاطفين مع الأثينيين وتحالفت مع أسبرطة .

جملة القول أن المستوطنات اليونانية كانت قد انتشرت على نطاق واسع في شرق وشمال صقلية وجنوب إيطاليا ، وأصبح يطلق على هذه المنطقة اسم ذو دلالة وهو بلاد اليونان الكبرى . وكان مقدراً لكثير من المستوطنات أن تثرى وتزدهر وأن تسهم فى الحضارة اليونانية إسهامات طيبة . ومن الأسماء الخالدة التى لمعت فى الغرب فيثاغورس واكسينيفون وزيالكيوس .

ونجد أن أهل فوكايا قد أسسوا مستوطنة ماساليا شرق نهر الرون حوالى سنة ٦٠٠ ق.م ، وقبل ذلك يبدو أن أهل رودس كانوا قد استكشفوا غرب البحر المتوسط وأسسوا مستوطنة رودى (Rhode) على الساحل الشمالى الشرقى لأسبانيا واطلقوا اسمهم على نهر الرون وقد قام الماساليون باعادة تأسيس رودى واطلقوا اسماً جديداً عليها هو إمبورياى (Emporiae) . واقاموا عدة محطات تجارية أخرى على الساحل الفرنسى والساحل الشرقى والجنوبى لإسبانيا هى الوناى (Alonae) وهيميروسكوبيوم (Hemerscopeum) وأجاثى (Agathae) وتورويس (Touroeis) واولبيا (Olbia) واثينوبوليس وانتيبوليس ونيكايا ، وكان الغرض منها حماية طريق تجارة المعادن مع تارتوس ، ومع نهاية القرن

السادس كما ذكرنا سابقاً ، فإن القرطاجيين قد نجحوا فى ايقاف اليونان عن المرور عبر جبل طارق. ولكن ماساليا كانت قد صارت مدينة تجارية كبيرة ووصلتها الخامات من المناطق الداخلية لتنقل إلى العالم اليونانى ؛ كما وصلت منتجات اليونان من خلالها للسكان المحليين.

ثانياً : الاستيطان فى حوض بحر إيجة والبحر الأسود

بدأت المراحل الأولى لحركة الاستعمار فى بحر إيجة على يد مدينة خالكيس التى انشأت عدداً من المستوطنات فى شبه جزر الخلكيدكى ، كما أن ارتريا وجزيرة اندروس ساهمتا فى حركة الاستيطان أحياناً ، والرأى المعتاد أن أهل خالكيس قد اسسوا أغلب هذه المستوطنات إما بالتزامن مع تأسيسهم للمستعمرات فى الغرب أو بعد توقف نشاطهم فى الغرب . وتاريخ نشأة المستعمرات في هذه المنطقة غير معروف ، ولكن يخبرنا أحد المصادر أن المستوطنات الخالكيسية قد قدمت العون لمدينتهم الأم خالكيس فى حربها الضروس سنة ٧٠٠ ق.م مع ارتريا حول السهل الفاصل بينهما وهو سهل ليلانتنى ، وليس من المعقول أن ترسل المستوطنات مساعدات إذا لم تكن قد استقرت ، أوضاعها ومن المرجح أن يكون قد مر عليها فترة من الوقت نظمت فيها احوالها ورتبت أوضاعها . ويرى البعض أنه من الصعب الاعتقاد أنه كان عند خالكيس زيادة سكانية كبيرة ولديها القوة لإرسال مئات أو آلاف المستعمرين إلى الغرب والشمال فى نفس الوقت ، ولكن يمكن أن تكون هذه المدينة منظمة فقط لحركة الهجرة وتدعو لها فى بلاد اليونان ، وهذا ما تؤكده معلوماتنا عن أن مستوطناتها الأولى فى إيطاليا شارك فيها أكثر من مدينة مثل كوماى . ولذا يمكن أن نقول أن خالكيس قد اسست أولى مستوطناتها فى شبه جزيرة خالكيدكى فى فترة باكرة من القرن الثامن .

وأقامت كورينثة مستوطنة لها فى نفس المنطقة حوالى سنة ٦٠٠ ق.م، وأقام الايونيون ، وخاصة أهل ميليتوس سلسلة من المستوطنات فى ساحل تراقيا ومنطقة المضايق والبحر الأسود . وفى الواقع فإن معلوماتنا قليلة عن الأيونيين فى القرون الثلاثة

الأولـــى مـــن هجرتهم إلى ساحل آسيا الصغرى ، ومع خواتيم القرن التاسع نجد أن المدن الأيونـــية قـــد نظمـــت نفســـها فى حلف مع مركز دينى له فى بانيونيون وكانت هذه المدن يحكمها ملوك ، والذين كانوا، من الواضح، مرتبطين بعلاقة شبه اقطاعية مع ملك اكثر قوة هـــو ملـــك افسوس ، ولعل الصورة التى رسمها هوميروس لمشاكل أجاممنون وأقرانه غير المسيطر عليهم كانت انعكاساً للحالة غير المستقرة فى أيونيا فى القرنيين التاسع والثامن ، و هـــذه المـــدن قد بدأت تنمو وتتطور فيما يسمى دولة المدينة وأن الأرستقراطية قد بدأت تحل محل النظم الملكية . وفى بداية القرن التاسع فمن المرجح أن عدد سكان هذه المدن قد زاد زيـــادة كبـــيرة وبالـــتالى فـــإن المجتمعات التى تعتمد فى حياتها على الزراعة ، بشكل أساســـى ، كانـــت تشـــعر بحاجتها إلى الأرض وتوسيع رقعتها فى المناطق الداخلية لآسيا الصـــغرى ، وكان ذلك غير ممكناً ، وذلك لأن مملكة ليديا قد نهضت فى ذلك الوقت ووقفت بالمرصـــاد للتوســـع واقامـــت حاجـــزاً ضد اليونان هناك إلا لمن سمحت لهم منهم بإقامة مســـتوطنة . وتـــبعاً بهذا الوضع فقد أتجه الأيونيون لحل مشكلة نقص الأرض عندهم إلى البحـــث عـــن حـــل لها فيما وراء حدودهم المباشرة ومن ثم فقد ولوا وجوههم شطر تراقيا حيث قام أهل يوبويا والايونيون باستيطان منطقة خالكيدكى .

وقـــد قـــام أيونـــيو بحر إيجة فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م ومنهم أهل جزيرة باروس بارســـال مســـتوطنين إلـــى الساحل التراقى . لقد أرسلت هذه المدينة مستوطنين لاستيطان جزيـــرة تاســـوس ســـنة ٦٨٠ ق.م ، ولـــم يكـــن الاستيلاء عليها سهلاً إذ يشكو الشاعر أرخـــيلوخوس أنه كان عليه أن يكون على أهبة الاستعداد بشكل دائم للقتال ، فكان عليه أن يعجـــن خبزه بالحربة ، ويعصر خمره بنفس الطريقة ، وحتى عندما كان يشربها كان يتكئ علـــى حربـــته . وفى قصيدة أخرى يقر أنه قد فقد درعه عندما كان يقاتل التراقيين ، وفى موضـــع آخـــر نجـــده يلعـــن صديقاً له كان قد خانه ويتمنى له نهاية غير سعيدة على يد التراقيـــن ، ويكشف لنا هذا الشاعر أن التراقيين لم يكونوا لينى العريكة ولم يتم لخضاعهم بسهولة .

وفـــى الربع الأول من القرن السابع ارسلت جزيرة خيوس (Chios) مستوطنين إلى

مارونيا (Maronea) وتقع تقريباً فى منتصف الطريق بين مصبى نهر نستوس وهبروس .

وفــى منتصــف القرن السابع أسست مدينة كلازوميناى (Clazomenae) مستوطنة ابديرا (Abdera) شرق مصب نهر نستوس ، ولكن هذه المستوطنة قد عانت الاضطرابات العديــدة نتيجة لاعتداءات وهجمات التراقيين مما اضطر اهلها إلى تركها وأعاد مستوطنون من تيوس (Teos) بناءها وهؤلاء هم بعض مستوطنو تيوس الذين رفضوا العيش تحت نير الفرس . وكان الدافع لاستيطان المنطقة كثرة أخشابها ، وكما نعرف أن أبديرا كانت موطناً لاثنييــن من أهم فلاسفة القرن الخامس السوفسطائين وهما ديموكريتوس وبروتاجوراس ، بيــنما انــتقل الــبعض الآخــر من أهل تيوس إلى الساحل الشمالى للبحر الأسود واسسوا مســتعمرة فاناجوريا (Phángoria) . وقد أسس مجموعة من الأيوليين ، نحو نهاية القرن السابع ، مستعمرة أينوس (Aenos) فى دلتا نهر هيبروس (Hebrus). والجدير بالذكر أن هــذه المستوطنات كان أغلبها أو كلها مستوطنات زراعية ، ولكن بمرور الزمن صارت من المراكز التجارية الهامة .

إن إســتيطان الهليسبونت والبروبونتيس كان مقدمة للتوسع الكبير فى منطقة البحر الاســود . لقــد بدأ أول نشاط استيطانى في هاتين المنطقتين قد تم من قبل مواطنى مدينة لســبوس (Lesbos) . فقد اسسوا العديد من المستوطنات الزراعية فى طروادة فى الساحل الجنوبى من الهليسبونت فى القرن الثامن وبواكير القرن السابع وقد كشفت الحفائر عن أن استقرار اليونان في موقع طروادة كان على الاقل بشكل جزئى تجارى .

وقــد نشطت ميليتوس فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م وهذا هو التاريخ التقريبى لانشاء مســتوطنة كوزيكوس (Cyzicus) مع مينائها الرائع وأرضها الخصبة فى الساحل الجنوبى للبســفور . ويقــول استرابون "إن أهل ميليتوس قد اسسوا مستوطنة ابيدوس فى النصف الأول من القرن السابع على الساحل الأسيوى للهليسبونت بموافقة الملك الليدى جيجيس" .

واســـت مــيجارا ، فــى الــربع الثالث من القرن السابع ، بين مستعمرات أخرى، خلقيدونــيا وبــيزنطة على الجانبين الأسيوى والأوربى على التوالى من مضيق البسفور . ووفقــاً لهــيرودوت فإن خلقيدونيا قد تم تأسيسها سنة ٦٧٧ ق.م قبل بيزنطة التى تأسست

سـنة ٦٦٠ ق.م . وقـد تعجـب هـيرودوت واسـترابون وتاكيتوس وبوليبيوس من عدم استيطان بـيزنطة أولاً لأنها ميناء رائع ، ولأن موقعها يمكنها من التحكم فى المرور من وإلـى البسفور و عموماً فأن اليونان قد سخروا فيما بعد من غباء الميجاريين لعدم إدراكهم أهمـية بـيزنطة . ولكن يمكن تفسير أولوية أنشاء الميجاريين و اختيارهم لخلقيدونيا بأن الأمكانـات الكبـيرة للـبحر الأسود لم تكن قد عرفت بشكل تام . وأن خلقيدونيا قد اجتذبت الميجاريين لتربتها الخصبة وأيضاً من الممكن أنه كان بالجزر التابعة لخلقيدونيا وخالكيس مناجم نحاس .

وقـد أسسـت أثيـنا أيضاً مستوطنتين هما بريا وامفيبوليس ، فقد تأسست بريا فى منتصـف القـرن الخامس ق.م لتدعيم القوة العسكرية الاثينية على الساحل الشمالى لبحر إيجـة إذ تم اختيارها بناء على اعتبارات استراتيجية وتم إيفاد الموظف الأثينى ديموقليدس لتنظـيم المديـنة ، ولكـنه أدى وظيفـته باعتباره مندوباً عن أثينا أكثر من كونه مؤسساً (Oikistes) مـن النمط التقليدى وعندما أنجز مهمته عاد إلى أثينا ، وكانت بريا مستعمرة صـغيرة ، ومـع ذلـك يـبدو أنهـا اختفت بسرعة بعد تأسيسها .و ربما كانت مستوطنة امفيبولـيس القريبة منها قد استوعبتها . ففى سنة ٤٣٧ / ٤٣٦ ق.م تم تأسيسها لتعزيز القـوة الأثينـية فـى المنطقة . وقد ذهب هاجونون باعتباره (Oikistes) وبعد أن أقام بها نظامـاً ديمقراطـياً غـادر المديـنة . ولكن هذه المدينة غيرت من ولائها لأثينا فيما بعد . وانتقلت لتعضيد أسبرطة فى خلال حرب البلوبونيز بل الخضوع لها .

وقـد أسس أهل ساموس ، فى حوالى نهاية القرن السابع ، سلسلة من المستوطنات علـى الساحل الشمالى للبسفور ومن أهمها بيرنثوس (Perinthus) ، ومرة أخرى كما كان الحـال بالنسبة لبيزنطة فإن سبب تأسيس هذه المستوطنات يبحث عنه بشكل اولى فى فتح منطقة البحر الأسود للتجارة اليونانية .

وكـان للإمكانـات التجارية أثرها فى تطور خيرسونيسى (Chersonese) التراقية ، ومسسـتوس الـتى كانـت فـى الأصل مدينة تراقية ولكن صارت بعد ذلك مستوطنة أيولية وصارت لها أهميتها مثل ابيدوس على الجانب الأسيوى ، وذلك نظراً لموقعها الاستراتيجى

على الهليسبونت .

وأخـيراً فقد أسس الأثينيون حوالى سنة ٦٠٠ ق.م ايلايوس (Elaious) عند رأس خيرسونيسـى التراقـية . وبذلـت جهـوداً كبيرة للتحكم فى سيجيوم الآسيوية قبالة مدخل الهليسـبونت ، فقـد دار قـتال شديد بين متيلينى وأثينا فى نهاية القرن السابع وقد انتهى الصراع نتيجة لوساطة طاغية كورينثة بيرياندر (Periander) الذى حكم بينهما إذ نجده قد مـنح الاثينيين حق استيطان سيجيوم واعطى ميتلينى القلعة التى كانت تسيطر على المدخل إلـى المسـاحل ، ويـبدو أن الأثينيين لم تكن لهم السيطرة الكاملة على سيجيوم حتى عهد بيراستراتوس .

تطلع اليونان إلى استعمار شواطئ البحر الأسود وذلك بسبب الزيادة السكانية ونقص الأراضى فى بلاد اليونان هذا فضلاً عن الحاجة لمواد وسلع غير متاحة فى بلاد اليونان هم كانت الدافع للاستيطان فى حوض البحر الأسود .

ومـن الجديـر بالقول فإن تاريخ العلاقات الباكرة بين والبحر الأسود غير معروف ، ولكن من الممكن أن الموكينيين قد وصلوا إلى المنطقة ، وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية القلـيلة التى عثر عليها فى القوقاز ، كما أن قصة ياسون والسفينة أرجو (Argo) المشار إلـيها فـى الأوديسـة ، وبالتأكيد اسطورة أرجوناوتس (Argonauts) فى تطورها تعكس المغامـرات للبحارة الأوائل فى البحر الأسود . ومن الواضح أن حركة الاستيطان ، فى هذه المنطقة لم تبدأ بشكل مناسب إلا فى الربع الأخير من القرن السابع . إذ يقدم لنا أحد الكتاب القدامى معلومات دقيقة عن تاريخ تأسيس المستوطنات فى القرنيين السابع والسادس وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية .

كانـت ميليـتوس أكـثر المـدن نشاطاً في هذه المنطقة فقد أنشأت أكثر من تسعين مستوطنة فى المناطق المختلفة عموماً على حد قول بلينى . وعلى الرغم من أننا نعتبر أن هـذا العدد فيه مبالغة لأنه ليس من المعقول أن سكانها يكفون لتأسيس هذا العدد الكبير من المسـتعمرات ذات الطـابع الزراعى ، ويبدو أنها تغلبت على ذلك بالاعلان والدعوة لانشاء مستوطنة ما فى مناطق بلاد اليونان المختلفة . والملاحظ أن أغلب المستوطنات فى حوض

البحر الأسود كانت فى البداية محطات تجارية ، فقد كان اليونان يبحثون عن السلع والمواد الشحيحة فى بلادهم ، وقد استقروا فى الأماكن التى يسهل الحصول على تلك المواد سواء أكانت أسماك ، أخشاب ، حبوب ، معادن . ولن نحاول أن نعدد كل المستوطنات فى منطقة البحر الأسود ولكن سنقصر حديثنا على أهمها ليس وفقاً لتواريخ انشائها ولكن وفقاً للمناطق الواقعة فيها . ونبدأ بأهم مستوطنات الساحل الغربى شمال مضيق البسفور حيث توجد مستوطنات أبوللونيا (Apollonia) وميسمبريا (Mesemberia) وتوميس (Tomis) ، والتى نفى فيها أوفيد سنة ٩م . وكتب بها (Trestia) واستروس (Istrus) ، وهى ليست بعيدة عن دلتا نهر استر (Ister) وتراس (Tras).

وعلى الساحل الشمالى فقد وجدت أولبيا (Olbia) وقد تأسست فى الربع الأخير من القرن السابع أو النصف الأول من القرن السادس عند نهر بوج (Bug) ، وقد أصبحت مركزاً هاماً لتجارة الحبوب فى العالم اليونانى . وفى الشرق منها تأسست مستوطنة تاوريك خيرسونيسى (Tauric chersonese) "كريما Crema" ويرى البعض أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة بانتيكابايوم (Banticapaeum) حوالى نهاية القرن السابع ، ولكن لدينا رواية يوساب القيصرى الذى يرى أنها تأسست فى منتصف القرن السابع ، ولدينا لقى أثرية أقدم تعود إلى نفس الفترة . وقد قامت هذه المستوطنة بالتجارة مع السكان المحليين وهذا ما تؤكده اللقى الأثرية فى منطقة تراقيا . وقد ترك بعض المستوطنين مدينتهم وأسسوا مستوطنة ثيودوسيا (Theodosia) على الساحل الجنوبى . كما قامت فى نفس المنطقة مستوطنة ابوللونيا وقد تبعها فى حوالى منتصف القرن السادس تأسيس مستعمرتين هما أوديسيوس وتومى . وهنا تصادمت ميجارا وميليتوس مؤسسة كل هذه المدن . وفى القرن الخامس فقد اتحدت هذه المستعمرات وكونت مملكة البسفور وعاصمتها بانتيكابايوم وهذه المملكة تكونت من الاسكيثيين واليونان . وحلت تلك المدينة فى القرن الرابع محل أولبيا كمركز تجارى واستمرت فى البقاء ، واقصى مستوطنة في الشمال والتى أصبحت جزءاً من مملكة البسفور هى تانايس (Tanais) عند مصب نهر تانايس (دون Don) ، وعلى الساحل الشرقى حيث تبعد جبال القوقاز قليلاً عن البحر، قام أهل ميليتوس

بتأسيس مستعمرات تجارية أهمها فاسيس (Phasis) وديوسكاسوس أرض أسطورة ميديا .

وعلى الساحل الجنوبى للبحر الأسود وتقريباً فى منتصفه قام أهل ميليتوس بتأسيس سينوب ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن وفقاً للروايات اليونانية ، وكان لمدينة سينوب ميناء جيد ؛ ولذا فقد ازدهرت تجارتها ، وكان من بين مواطنيها المرموقين ديوجينيس الفيلسوف والشاعر الكوميدى دفيلوس . وفى منتصف القرن أسست سينوب بدورها مستوطنة ترابزوس (Trapezus) ، وهى المكان الذى وصل إليه اكسينيفون ورفاقه فى رحلته من بلاد الفرس إلى بلاد اليونان ، وكانت مستوطنة تجارية ، كما نجدها قامت بتأسيس مستوطنتين تجاريتين صغيرتين هما كيراسوس (Cerasus) وكوتيورا .

وكانت مستوطنة أميسوس تقع شرق سينوب بقليل أو تقع بين سينوب وترابيزوس ، وقد تم تأسيسها على يد أهل ميليتوس وأهل فوكايا حوالى منتصف القرن السادس وسرعان ما أصبحت مركزاً هاماً ورئيسياً لتصدير الحديد الذى كان جيرانها الخالوبيس (Chalybes) يصهرونه من الصخور المستخرجة من مناجم المنطقة .

وآخر مستوطنة نذكرها على الساحل الجنوبى هى هيراقليا بونتيكا فى بيثينيا، وقد تم تأسيسها فى النصف الأول من القرن السادس على يد الميجاريين والبوتيين من تانجرا (Tangra) ، وكان لها ميناء رائع ، وكانت مستوطنة غنية بثروتها السمكية وخاصة أسماك التونة وغنية بالخشب ، وفى نهاية القرن أسست هذه المستوطنة بدورها مستوطنتين هما كاللاتيس (Kallates) على الساحل الغربى للبحر الأسود وخرسونيسوس (Chersonesus)فى الجنوب الغربى من كريميا بالقرب من اسطنبول .

وهكذا قد صار البحر الأسود جزءً نشطاً فى العالم اليونانى ، وكان تأثير الحضارة اليونانية كبير على الشعوب القاطنة حول البحر الأسود وفى المقابل فإن اليونان قد نقلوا من تلك المنطقة أفكاراً جديدة خاصة بالديانة والفن . كما كان البحر الأسود مصدراً للحبوب والأسماك المجففة والمملحة ولامدادات المعادن والعبيد . وفى المقابل فقد صدر اليونان إلى مناطق البحر الأسود الفخار ومنتجات صناع المعادن .

سواحل البحر المتوسط الجنوبية :

لقـــد رأيـــنا أن حـــركة الاستيطان كانت نشطة للغاية فى الغرب ، والشمال والشمال الشرقى ، ولكن الحركة كانت فى سواحل أفريقيا أقل نشاطاً وقد انحصرت فى انشاء مدينتين همـــا نقراطـــيس وقورينى ولكن ينبغى أن ننوه أن هاتين المدينتين قد لعبتا دوراً هاماً فى التاريخ اليونانى . و نعرض لتاريخ الأولي ثم نعقبه بالحديث عن الثانية .

١- نقراطيس :

عرف اليونان مصر منذ فترة باكرة للغاية ــ كما سبق أن ذكرنا فى الفصول السابقة ــ وفـــى فـــترة الاستعمار اليونانى نجد الأوديسة تورد مغامرات أوديسيوس ووصوله إلى مصـــر ممـــا يشـــير إلى أن اليونان قد عرفوا طريقهم إلى مصر كتجار وقراصنة ، وهذا ما يؤكـــده قول استرابو "أن المصريين قد وضعو حامية فى راكوتيس بالقرب من مصب الفرع الكـــانوبى لمـــنع المهاجميـــن الأجانب" ، وكدليل على انتشار القرصنة فى القرنين التاسع والثامـــن علـــى ما يرجح ، وقصة هيرودوت التى سبق ذكرها حول التاجر كولايوس الذى ابحـــر من مصر سنة ٦٣٨ق.م تؤكد أن التجار اليونان قد عرفوا طريقهم إليها ، وهذا ما أكدتـــه اللقى الأثرية من البرونز المصري الذي عثر عليه فى كل من كريت وساموس ، كما تشـــير الـــروايات إلـــى اقامة واستقرار اليونان فى مصر بشكل دائم ، فقد خدموا فى جيش ابســـماتيك كجـــند مرتزقة ، ويقول هيرودوت "إن ابسماتيك فى جهوده لهزيمة الأحد عشر أمـــيراً فى منطقة الدلتا قد استخدم قراصنة ايونيين وكاريين والذين كانوا يهاجمون المنطقة وقـــد كافـــأهم وأقطعهم الأرض المعروفة بكامبس (Camps) الواقعة عند مصب فرع النيل البلوزى ، وقد بقى هؤلاء الجنود وأخلافهم يعيشون فى المنطقة ، كما نجد أن البعض منهم قد استقر فى دافناى (Daphnai) "تل دفنه" فى شرق الدلتا ، وكانت هذه المدينة قد انشئت كقلعـــة فى زمن ابسماتيك لحماية مصر من خطر الاعتداءات من قبل بلاد العرب وسوريا ، وكان اليهود واليونان هم العنصر الغالب بين سكانها . . وقد تم نقل اليونان من دافناى فى

عهد الفرعون أمازيس (Amasis) إلى ممفيس ليحمى نفسه من المصريين الساخطين عليه

ويقـول هيرودوت إنه عندما هزم امازيس سلفه ابريس وتوج فرعوناً ، فإن ثلاثين ألفاً من الايونيين والكاريين كانوا يحاربون مع الجيش المهزوم ، وهذا العدد قد يكون مبالغاً فـيه ، ولكـن على ما يبدو أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد اليـونان قد دفعت بـأعداد كبـيرة من اليونانيين للرحيل إلى مصر للعمل كجند مرتزقة ، كما أن أبسماتيك قد اسـتعان بهم لحاجته إليهم لتأمين البلاد داخلياً ولطرد الآشوريين من مصر ، ويبدو أنه قد أعلـن فى بلاد اليونان وكاريا عن حاجته لجند مرتزقة ، وأنه سيكافئهم بقطع من الأرض . وتـبعاً لهذا فقد تقاطر على مصر اليونان زرافات كجند مرتزقة وكمهاجرين مستوطنين فى نفس الوقت .

وتكشـف لـنا النقوش أن الفرعون أبسماتيك الثانى كان يعتمد على الجنود اليونان ولعلهـم كـانوا من لخلاف الأيونيين والكاريين الذين استقروا فى مصر فى زمن أبسماتيك الأول وكـانوا قد منحوا حق الزواج من مصريات . فقد نقش هؤلاء اليونان اسماءهم على رجلى تمثال رمسيس الثانى أمام معبد أبو سمبل فى النوبة وكان ذلك بمناسبة اشتراكهم فى غـزو النوبة سنة ٥٨١ق.م بقيادة الفرعون أبسماتيك الثانى . وتكشف لنا نصوص العصر المـتأخر "الهلينسـتى" عـن وجـود جاليتيـن فـى ممفـيس همـا هيللنوممفيـتاى (Hellenomemphitae) والكاريوممفيـتاى (Caromemphitae) . وهـؤلاء كـانوا من سلالة الايونيين والكاريين الذين خدموا فى جيش أبسماتيك الأول .

لقـد تـبع الـتجار والحرفـيون الجـنود المرتزقة فى القدوم إلى مصر وقد أسسوا نقراطـيس على فرع النيل الكانوبى . ويقول هيردوت أن الفرعون أمازيس الذى كان محباً ومناصـراً للـيونان هـو الذى منح لليونان الذين يفدون للتجارة فى مصر حق العيش فى نقراطيس ، وأعطاهم أرضاً ليقيموا عليها مذابح ومعابد آلهتهم ، وقد أيد هذا القول نفر من الباحثين بقولهم أن الملك ابسماتيك الأول (٦٦٣ – ٦١٠ ق.م) هو الذى فكر جدياً فى تنفيذ ذلك ولكن امازيس (٥٦٩ – ٥٢٨) هو الذى وضع قرار ابسماتيك موضع التنفيذ .

وأنـه هـو الـذي مـنح الـيونان المقيمين أو العابرين أرضاً ليبنوا عليها معابدهم

ومحاريبهم وساحاتهم المقدسة ويرجع هذا النفر السبب فى هذا ليس حبه لليونان ، ولكن بسبب خوفه ورعبه من تزايد الخطر الفارسى واتجاهه نحو مصر . ومن ثم كان عليه الاعتماد على الجيوش المرتزقة من اليونان وأنه نظراً لخوفه من ثورة المصريين ضده كما فعلوا مع سلفه ابريس بسبب اعتماده عليهم وأيضاً فقد رأى هذا الفرعون أن تجارة مصر الخارجية فى أيدى اليونان وهو خطر لابد من احتوائه ولذا فقد رأى أن الحل السديد هو جمع اليونان فى مكان واحد قريب من سايس عاصمته ألا وهو نقراطيس ويخالف هذا الرأى نفر آخر من الباحثين ويرفضون قبوله – وهم على حق – ويقولون أنه من المرجح أن أبسماتيك الأول هو الذى منحهم الاذن بالاستقرار فى نقراطيس ، وذلك بسبب أن التجار اليونانيين يمكنهم التحول بسهولة إلى قراصنة ، وأنه قد رأى أنه من الأفضل بكثير لمملكته أن يجمع كل هؤلاء الأجانب فى منطقة واحدة . ويستندون فى ذلك على نتائج الحفائر التى كشفت عن المبانى واللقى الأثرية من الربع الأخير من القرن السابع أى من عهد ابسماتيك الأول وأن اليونان قد بدأوا فى الاستقرار هناك قبل حكم أمازيس بعدة قرون . وهذا الرأى يعتمد على الأدلة الأثرية فى بداية نشأة المدينة ، ولكن على ما يبدو أن المدينة لم تتخذ شكلها كمدينة إلا فى عهد أمازيس وهذا ما يؤكده في رأينا أنه قد جعل المستوطنين اليونان المقيمين بها بشكل دائم هم الذين يتولون إدارة شئونها .

و عموماً فقد اجتمع كثير من التجار من المدن اليونانية فى نقراطيس وهم :-

١- الأيونيون وهم من مواطنى : خيوس ، تيوس ، فوكايا وكلازومنياى.

٢- الدوريون وهم من مواطنى : رودس ، كندوس ، هاليكارنسوس ، فاسيلس .

٣- الايوليون وهم من مواطنى : ميتلينى (السبوس) وقد أقاموا جميعاً المعبد المسمى هيلينيون (Hellenion) ، بينما أقام تجار يونان آخرون من ايجينا وساموس وميليتوس خارج الهيلينيون ثلاثة محاريب أخرى ، فقد أقام يونانيو ايجينا محراباً لزيوس ويونانيو ساموس محراباً لهيرا ، ويونانيو ميليتوس محراباً

لأبوللـــو ، وكـــان هؤلاء التجار قد استقروا فى المدينة ، كما عرفت نقراطيس أيضاً الحرفيين اليونانيين ، فقد تم العثور على أختام على شكل جعارين من صنعهم ، كما وفــد علـــى المديـــنة أيضاً تجار عابرين وكانوا يقيمون فى السوق (emporion) ويعاملون كمواطنين فى نقراطيس .

ولم تكن نقراطيس مستوطنة نمطية بالمرة أو بعبارة أخرى لم تكن عند نشأتها مدينة يونانية مستقلة لها سيادتها وشخصيتها الاعتبارية وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : لـــم تعـــرف المديـــنة مؤسساً ولا أقيم لها طقوس ولا اشعل لها موقد أخذت ناره من موقـــد فـــى موقعهـــا ، وإنمـــا يرجع الفضل فى تأسيسها إلى ملوك الأسرة الصاوية أنفسهم بعد سماحهم بذلك .

ثانياً : على الرغم من رواية كل من هيردوت واسترابون والقائلة بأن تجار ميليتوس الأول هـــم أول مـــن أســـس نقراطـــيس . فإننا نقول أن الذين قاموا بتأسيسها ، تجار من مختلف المدن اليونانية ، ولم تكن هناك مدينة أم لها عند تأسيسها ومن ثم فإن زعم ميليـــتوس بأنها المدينة الأم لها ليس صحيحاً . فلو كانت هى المؤسس الأول لكانت هـــى الـــتى وضعت حجر الأساس لمعبد الإله أبوللو ، ولكن نجد أن تجار التسع مدن السالفة الذكر قد اجتمعت كلمتهم وأقاموا معبد الهيلينيون ، ثم اعقبهم تجار من ثلاث مـــدن أخرى منها ميليتوس أقاموا ثلاثة معابد أو محاريب خارج الهيلينيون، وهذا قد يعنى أن تجار ميليتوس لم يكونوا أول تجار أسسوا المدينة وإلا لكانوا قد شاركوا فى تأسيس الهيلينيون. كما أن نقراطيس لم تكن مرتبطة بروابط تبعية لمدينة ميليتوس .

ثالـــثاً : لـــم تكـــن هذه المستوطنة قاصرة على ساكنيها من التجار اليونان بل كان يقطنها جماعة من المصريين .

رابعاً : يكشف لنا نقش من القرن الرابع عن أن منطقة نقراطيس كانت تدفع ضريبة العشر لحساب معبد مصرى .

خامساً : كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود قلعة مصرية كبيرة بالمنطقة .

سادساً : يكشف قرار لمسيس بوضع ادارة المدينة فى ايدى المواطنين اليونان بالمدينة عن تبعيتها لمصر .

وفـى ضـوء كل ما سبق يمكننا أن نخلص إلى تبعية المدينة لمصر ولم تكن مدينة مسـتقلة عـند تأسيسها وأن اليونان المقيمين بها كانوا بمثابة جاليات تجارية لها قوانينها الخاصة بها والتى سمحت بها الحكومة المصرية . لتشجيع استقرار اليونان بها .

وفـى الـبداية كـان لكل جالية سوقها الخاص بها (emporion) وتستقل بمعبدها بسـاحتها المقدسة ، ويدير شئونها ممثل عنها هو (Prostates) . لكن كشفت لهم ظروف عيشـهم فـى بلد عريق الحضارة كثيف السكان أن عليهم الاتحاد والاندماج والانصهار فى جماعـة واحـدة ربـتها الإلهة افروديتى كربة الناس جميعاً (Aphrodite Pandesnas) ، وجعلـوا الهيلينيون هو ساحتهم العامة . وهكذا فقد صارت نقراطيس بمثابة مدينة يونانية وإن كانت غير كاملة السيادة .

وتكشف لنا المصادر أن نقراطيس قد ذاعت شهرتها فى ربوع العالم اليونانى كمركز للهو والمتعة مشهور بالخليلات الجميلات (hetairai) ، وعندما حرق معبد أبوللو فى دلفى كانت نقراطيس من بين المدن التى سارعت بالتبرع لإعادة بناء هذا المعبد .

لقـد لعبت نقراطيس دوراً فى تنشيط التجارة بين مصر وبلاد اليونان فقد كانت مصر تسـتورد عـبرها الخمـور وزيت الزيتون وتصدر من خلالها الحبوب التى يشتريها التجار الـيونان من قرى الدلتا لقاء دفع أثمانها بالعملة الفضية . وربما صدرت مصر أيضاً عبرها ورق الـبردى والكـتان والأنوات والسلع البرونزية ، ولكن لم تكن نقراطيس معبراً تجارياً فحسـب بـل معـبراً مر من خلاله أيضاً الأفكار والفنون المصرية إلى بلاد اليونان مباشرة ودون وسيط وقد سبق أن عرضنا لهذا. كما أن سكان نقراطيس ، على الرغم من جهودهم لمـنع الاخـتلاط بالمصـريين والتشبث بحضارتهم فإنهم قد تأثروا بالحضارة المصرية فقد كشـفت الحفائـر الأثرية عن تأثير الهندسة المصرية وفن الرسم المصرى الجلى فى مقابر المدينة .

وقـد لعبت المدينة دوراً هاماً فى العصر البطلمى فقد أصبحت مركزاً تجارياً عالمياً ،

كما أن المدينة أخرجت فريقاً من رجالات الفكر والفن والعلم .

وهكذا فقد انتشر اليونان وعاشوا فى مصر تحت سيادة الفرعون المصري، و لم تكن مدينتهم مستقلة و بعد هذا العرض الموجز عن نقراطيس ، ننتقل الآن لحديث عن قورينى .

٢ – قورينى

كانــت قورينى المستعمرة اليونانية الوحيدة بأدق معنى الكلمة والتى أسسها اليونان فـــى ليبيا . فقد عرف اليونان الشاطئ الليبى منذ العصور الباكرة حيث أن الرياح الشمالية قادت سفنهم إلى هناك عندما أرادوا الذهاب إلى مصر . ولحسن الحظ فإن المصادر الأدبية قد قدمت لنا معلومات ضافية عنها وقد أكدتها ودعمتها نتائج التنقيبات الأثرية والنقوش .

قامت جزيرة ثيرا سنة ٦٣١ق.م بتنظيم حركة استيطان المدينة ويروى لنا هيرودوت الظــروف الــتى أدت بأهل ثيرا لخروجهم وتأسيسهم لقورينى . فقد عانت جزيرة ثيرا من الجفــاف الطويــل نتــيجة عدم اطاعة نبوءة دلفية تأمرهم بالخروج لاستيطان ليبيا . وفى الحقــيقة إن ذكر هيرودوت للجفاف الطويل يشير إلى عدم كفاية موارد الجزيرة لسد حاجة سكانها المتزايدة ، وهذا ما كشفت عنه خطة أهل الجزيرة والتى ذكرها هيرودوت وما أكده نقش لوحة المؤسسين فى الخلاص من الزيادة الحالية والمستقبلية فى السكان . فقد استقر الأمر على : ١– أن يتم اختيار أخ من أخ من كل أسرة بالجزيرة . ٢– إذا نجح المهاجرون بإقامــة مســتعمرة فــإن من ينضم إليهم بعد ذلك من مواطنيهم يتمتع بكل الحقوق المدنية والسياســية . ٣– إذا ما فشل المهاجرون فى إقامة مستعمرة فى ليبيا خلال خمس سنوات فــإنهم يستطيعون عندئذ العودة إلى ثيرا واستعادة ممتلكاتهم وحقوقهم السياسية . ٤– إذا رفــض أحد ممن وقع عليهم الاختيار الذهاب إلى انشاء المستوطنة فإنه يكون عرضة للحكم علــيه بــالاعدام ومصادرة أملاكه وأن ذلك يكون أيضاً شأن من يأويه . ٥– إن موقف أهل الجزيــرة الصــارم والمضــاد لعودة المهاجرين بعد عامين من هجرتهم والاقامة فى جزيرة بلاتــيا يكشــف عمق الأزمة التى كانت تعانيها ثيراً . كما أنه يكشف التزام أهل ثيراً بالعهد والقسم الذي قطعوه على أنفسهم ألا يقبلوهم إلا بعد خمس سنوات من هجرتهم.

لقــد نظمــت جزيــرة ثيرا هجرة المواطنين فقدمت لهم سفينتين حملتا مائتى مهاجر بقــيادة بــاتوس (أرسطو) وقد أثار اسم باتوس مشكلة والتى لها على الأقل ثلاثة احتمالات لحلهــا . فلعــل الاسم هو الاسم الحقيقى للمؤسس ، أو لعله لقب أو كنية ومعناها المتلعثم التى تنطبق على أرسطو ، أو كما يعتقد هيرودوت أن المؤسس قد لقب بهذا اللقب لأن كلمة بــاتوس كلمــة ليبــية وتعنى الملك . وإذا ما كان تفسير هيرودوت صحيحاً ، فمن ثم فإن الــيونان ، ومــن بينهم أسرة باتوس ، قد توقفوا عن التفكير فى الكلمة كلقب واستعملوها كاسم علم معتاد .

أبحر باتوس وأتباعه إلى اتانا (Itana) على الشاطئ الشرقى لكريت حيث استأجروا كريــتى كمرشد لهم ، ومن المؤكد أن هذا المرشد كان على معرفة ودراية بالساحل الليبى . اســتقر المهاجــرون ، فــى البداية ، فى جزيرة بلاتيا الصغيرة بالقرب من الساحل *لمدة عامين ولكن لم يطب لهم العيش بها وأصابهم اليأس فقرروا العودة إلى ثيرا ولكن أهل ثيرا مــنعوا نزولهم بساحل الجزيرة ، فاضطروا للعودة إلى جزيرة بلاتيا ثانية ، ولكنهم استقروا فــى جنوب الجزيرة وامضوا هناك ست سنوات ولما كانت علاقتهم بالسكان الليبيين حسنة فقد نجحوا بفضل مساعدتهم للوصول إلى مكان قورينى وعند وصولهم قال لهم الأهالى هنا أيها اليونان يلائمكم السكن لأنه يوجد ثقب فى السماء وفى هذا دلالة أكيدة على كثرة المطر فى المنطقة وملاءمتها للزراعة .

إن اســم قوريــنى (Cyrana) فى الدورية من الواضح أنه مشتق من الكلمة الليبية (Kura) وتعــنى نــبات البرداق وكان هذا النبات يكثر بالفعل فى قورينى . ويقول يوسباب القصــيرى نقلاً عن المؤرخ الموسوعى أراتوسثنيس (Eratosthenes) القورينى أنه قد تم تأسيس قورينى سنة ٦٣٠ ق.م وقد أكد أقدم الأدلة واللقى الأثرية هذا التاريخ .

---

* وكــان من عادة المستوطنين أن يستقروا بشكل أولى على جزيرة قريبة من الشاطئ حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم والتحصين بالمكان قبل محاولتهم التعرف على موقف السكان المحليين . ونجد مثال مشابه فى سيراكوز حيــث أن جزيرة أورتيجيا قد استقر بها الكورنثيون أولاً وهذا ما حدث قبل ذلك فى جزيرة بيتكوساى المواجهة لكوماى فى إيطاليا.

أصـــبح بـــاتـــوس زعيم المستوطنين ملكاً على المستوطنة الجديدة ، وأسس أسرة ملكـــية بهـــا ووفقـــاً للقرائن فإن قورينى كانت هى المستوطنة الوحيدة التى كان بها أسرة ملكـــية مثل مدينتها الأم التى كانت تحت الحكم الملكى ويتوارث حكمها الخلف عن السلف . وفى خلال عهدى باتوس الأول وابنه أركسيلاوس فقد وفد مستوطنون من ثيرا ومن الممكن أن بعـــض النســـاء قد حضرت مع الوافدين الجدد . ولما كان عدد المهاجرين الأول مائتى مستوطن فمن المرجح أنهم قد تناكحوا مع نساء ليبيات . واستمر وفود المهاجرين فى عهد بـــاتوس الثانى سنة ٥٨٠ ق.م ثالث ملوك الأسرة والذى كان قد وعد المهاجرين بقطع من الأرض فـــى ليبيا والجدير بالذكر أن المهاجرين الذين كانوا قد وصلوا إلى قورينى قد كانوا مـــن البلوبونيز وكريت والجزر ، وهذا يعنى أن هذا الملك كان قد وجه اعلانه ودعوته لكل مـــن يرغـــب فـــى الهجرة من مواطنى مدن بلاد اليونان المختلفة إلى قورينى بأن المهاجر سيحصـــل علـــى قطعة أرض بها ، وكانت ثمرة هذه الدعوة وصول أعداد من المهاجرين ، ومن ثم كان عليه أن يدبر قطع الأراضى التى وعدهم أن يمنحهم إياها، ونظراً لنقصها فى زمـــام مدينته فقد استولى على أراضى الوطنيين وكان هذا بداية للعداء معهم . ومن ثم فقد دارت الحـــروب بينهم وطلب الليبيون العون من الفرعون ابريس الذى أجابهم وسار بجيشه غـــرباً لنصـــرتهم والتقى بجيش باتوس حوالى سنة ٥٧٠ ق.م بالقرب من مدينتهم ودارت معـــركة منى فيها الفرعون بهزيمة قاسية ، وفى عهد أركسيلاس الثانى ابن باتوس الثانى حدثـــت سلســـلة من المنازعات السياسية بينه وبين أخوته . واستمرت المنازعات فى عهد بـــاتوس الثالـــث وتشـــير الـــروايات إلى أن الأطراف المتنازعة قد حكمت بينها ديموناكس الاركـــادى وقد اقترح هذا الوسيط أولاً : الغاء تقسيم السكان وفقاً للقبائل الدورية الثلاث ، وأحل محله تقسيم السكان إلى ثلاثة أقسام :

١- الثيرانيـــن والجـــيران (Preoikai) ويرى البعض أن الجيران كانوا من سلالة المؤسســـين الأول من مدينة ثيرا وجيرانها أو كانوا يوناناً لأن اليونان لا يدخلون فى عداد مواطنـــيهم العناصـــر غـــير اليونانية . ويخالف هذا الرأى باحث آخر ويرى أن الحلفاء أو الجـــيران كـــانوا من السكان المحليين الذين خالطهم الثيرانيون وأن ديموناكس قد وصفهم

ضـــمن الطـــبقة الأولى لتصحيح وضع خاطئ وأن ديموناكس جاء بعد انتصار أخوة الملك وأنصارهم الليبيين .

٢- المهاجرون من البلوبونيز وكريت .

٣-المهاجرون من الجزر .

وثانـــياً : إقترح تقليص السلطة الملكية ومن الممكن أن يكون قد قصر سلطتها على الشـــئون الدينية ووضع السلطة الحقيقية فى الدولة فى أيدى من أسماهم هيرودوت الشعب demas ومـــن الجدير بالقول أن الهيئات التنفيذية والتشريعية قد تشكلت من الطبقة الغنية والعليا فقط أى الطبقة الارستقراطية أو الاوليجرخية .

جملة القول لقد كانت قورينى مستوطنة زراعية وفد عليها المهاجرون من ثيرا على مراحل كما وفد عليها آخرون من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنى أن المستوطنة كانت غنية وذات ثراء عريض وأن اكتمال سكانها : اليونان والمهاجرون منهم إليها استمر فترة طويلة استمرت عدة عقود .

ونستعرض الآن قائمة بأسماء المستوطنات والمدن التى أسستها فى الجداول الآتية.

أسماء المستعمرات الأيونية *

١	ميناكى	Minace	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٢	ألوناى	Alonae	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٣	هيميروسكوب يوم	Hemeroscopeum	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٥	أجاثى	Agathe	اسمها الآن أجدى Agde وأنشأتها مدينة مساليا
٦	مساليا	Messalia	اسـمها باللاتينية Massilia واسمها المعاصر الآن Masseille وأنشأتها مدينة فوكيا Phocaea

* تشير الأرقام الى موضع المدينة على الخريطة .

٧	توروپس	Tauroeis	اسمها باللاتينية توروئتوم Tauroentum وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
٨	أولبيا	Olbia	أنشأتها مدينة مساليا Massalia
٩	أثينوبوليس	Athenopolis	أنشأتها مدينة مساليا Massalia
١٠	أنتيبوليس	Antipolis	اسمها الآن أنتيبس Antibes وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
١١	نيكايا	Nicaea	وهــى الآن مديــنة نــيس Nice الفرنسية الشهيرة وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
١٢	ألاليا	Alalia	أنشأتها مدينة فوكيا Phocaea
١٣	كومى	Cyme	باللاتينــية كومــاى Cumae وأنشــأتها خالكــيس Chalchis
١٤	بيتى كوزاى	Phithecusae	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
١٥	ديكايرخيا	Dicaearchia	أنشأتها مدينة كومى Cyme
١٦	نيابوليس	Neapolis	مديــنة نابولى الإيطالية الشهيرة الآن أنشأتها مدينة كومى Cyme
١٨	إليا	Elea	فيلــيا Velia باللاتينــية أنشــأتها مديــنة فوكــيا Phocaea
٢٤	ريجيوم	Rhegium	مدينة ريجيو الشهير الآن Reggio – أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٢٥	زانكلى	Zancle	أنشــأتها مدينة خالكيس Chalchis ثم تغير اسمها باللهجة الدورية وأصبح ميسانا Messana
٢٧	هيميرا	Himera	أنشأتها مدينة زانكلى Zancle
٣٦	ليونتينى	Leontini	مديــنة لنتيــنى الحالــية Lentini ، أنشأتها مدينة خالكيس

٣٧	كتانا	Catana	مدينة كتانيا الإيطالية الشهيرة الآن Catania ، أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٣٨	ناكسوس	Naxos	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٤٣	سيريس	Siris	أنشأتها مدينة كولوفون Colophon
٥٥	ميثونى	Methone	أنشأتها مدينة اريتريا Eretria
٥٦	ثيرما	Therma	
٥٩	مندى	Mende	أنشأتها مدينة اريتريا Eretria
٦٠	ميكيبرنا	Mecyberna	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٢	سمرلى	Semerle	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٣	جاليسوس	Galepsus	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٤	توروني	Torone	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٥	سينجوس	Singos	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٦	أسا	Assa	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٧	سانى	Sane	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٦٨	أكانثوث	Acanthus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٦٩	ستاجيروس	Stagirus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٧٠	أرجيلوس	Argilus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٧١	جاليبسوس	Galypsus	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٢	أويسومى	Oesyme	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٣	نيابوليس	Neapolis	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٤	ثاسوس	Thsosh	أنشأتها مدينة باروس Paros
٧٥	أبديرا	Abdera	أنشأتها مدينة كلازومناى Clazomenae
٧٦	مارونيا	Maronea	أنشأتها مدينة خيوس Chios
٧٧	كارديا	Cardia	أنشأتها مدينتي ميليتوس Miletus وكلازومناى

م	الاسم	Name	ملاحظات
			Clazomenae
٨٠	ليمناى	Limnae	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٨١	إيلاوس	Elaus	أنشأتها مدينة تيوس Teos
٨٤	باكتيه	Pactye	أنشأتها مدينة أثينا Athens
٨٥	بيزنثى	Pisanthe	أنشأتها مدينة ساموس Samos
٨٦	بيرنثوس	Perinthus	أنشأتها مدينة ساموس Samos
٨٧	أبولونيا	Apollonia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩١	أوديسوس	Odessus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٢	كالاتيس	Calatis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٣	توميس	Tomis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٤	إيستروس	Istrus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٥	تيراس	Tyras	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٦	أولبيا	Olbia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٨	ثيودوزيا	Theodosia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٩	بانتيكابايوم	Panticapaeum	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٠	تانياس	Tanias	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠١	فناجوريا	Phanagorea	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٢	بيتيوس	Pityus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٣	ديوسكورياس	Dioscrias	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٤	فاسيس	Phasis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٥	ترابيزوس	Trapezus	وهى مدينة ترابيزوند Trebizond البيزنطية فى العصور الوسطى ـ أما اسمها التركى الآن فهو ترابزوند Trabzond وأنشأتها مدينة سينوبى

			...nope
١٠٦	كيراسوس	Cerasus	أنشـ... مدينة سينوبى Sinope
١٠٧	كوتيورا	Cotyora	أنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٨	أميسوس	Amisus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٩	سينوبى	Sinope	وهـى مدينـة سـينوبى Sinope التركية الحديثة ، وأنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٠	كيتوروس	Cytorus	
١١١	تيوم	Tieum	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٥	سيوس	Cius	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٦	ميرليا	Myrlea	أنشأتها مدينة كولوفون Colophon
١١٧	ميليتوبوليس	Miletopolis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٨	كيزيكوس	Cyzicus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٩	بروكونيسوس	Proconnesus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٠	بريابوس	Priapus	أنشـأتها مدينـة ميليـتوس Miletus أو مدينـة كوزيكوس
١٢١	باريوم	Parium	أنشأتها مدينة باروس Paros
١٢٢	كولوناى	Colonae	حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٣	بايسوس	Paesus	حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٤	لامبساكوس	Lampsacus	مدينـة لابـزاكى Lapsaki اليوم وأنشأتها مدينة فوكايا Phocaea
١٢٦	أبيدوس	Abydus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٣٢	سكيبيس	Scepis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٣٥	ناجيدوس	Nagidus	أنشأتها مدينة ساموس Samos
١٣٦	كيلنديريس	Celenderis	مدينـة جيليـنديرة Gilindire الآن أنشأتها مدينة

			سلموس Samos
١٣٨	بوزيديوم	Posideum	أنشأتها مدينة خلكيس Chalchis
١٤٢	نوقراطيس	Noucratis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus

المستعمرات الآخية Achiain Colonies

١٣	بوزيدونيا	Posidones	مدينة بليستوم باللاتينية
١٩	سكيدروس	Scidrus	
٢٠	لايوس	Laus	
٢١	تيرينا	Terina	
٢٢	كولونيا	Caulonia	
٤١	كرتون	Croton	باللاتينية كروتونا Crotona وبالايطالية Crotona
٤٢	سيباريس	Sybaris	
٤٤	ميتابونتوم	Metapontum	بالايطالية الآن ميتابونتو Metaponto
٦٠	اسكيونى	Scione	

المستعمرات اللوكرية Locrian Colnies

٢٢	هيبونيوم	Hipponium	أنشأتها مدينة لوكرى ابفزيفيرى Locri Epizephyrii
٢٣	مدما	Medma	
٣٩	لوكرى ابفزيفارى	Locri Epizephyrii	

المستعمرات الدورية Doriam Colonies

٤	امبوراى	Emporae	أنشأتها مدينة امبورياس Amporias التى أنشأتها بدورها جزيرة رودس Rhodes
٢٤	رودى	Rhode	الآن روزاس Rosas وأنشأتها جزيرة رودس

٢٥	رودنوسيا	Rhodanosia	أو رودى Rhode أنشأتها جزيرة رودس
٢٦	ليبارا	Lipara	الآن بالايطالية ليبارا Lipara وأنشأتها كيندوس Cindos وجزيرة رودس
٢٨	سيلينوس	Selinus	أنشأتها ميجارا هيبلايا Megara Hyblaea
٢٩	أكراجاس	Acragas	باللاتينية أجريجنتوم Agrigantum وبالايطالية الآن أجريجنتو Agrigento أو جريجنتى Girgenti
٣٠	جيلا	Gela	أنشأتها كنيدوس Cnidos ورودس
٣١	كامارينا	Camarina	أنشأتها ميراقوزا
٣٢	كامينای	Camenae	أنشأتها ميراقوزا
٣٣	أكراى	Acrae	أنشأتها ميراقوزا
٣٤	سيراكوزا	Syracusa	بالايطالية الآن سيراكوزا وأنشأتها مدينة كورينثة
٤٥	تاراس	Taras	باللاتينية تارنتوم وبالايطالية الآن تارنتو Tasanto أنشأتها مدينة أسبرطة
٤٦	كاليبوليس	Callipoles	الآن جاليبولى Gallipoli وأنشأتها تاراس Taras
٤٧	هيدروس	Hydrus	باللاتينية هيدرونتوم Hydruntum وبالايطالية أوترانتو Otranto وأنشأتها ربما تاراس Taras ?
٤٨	ابيدامنوس	Epidamnus	باللاتينية ديرهاكيوم Dyrrhachium والآن بالايطالية دورازو Durazzo وبالالبانية دوريش Durrce وأنشأتها مدينة كوريزا Coryza
٤٩	أبوللونيا	Apollonia	الآن بالايطالية بوللينا Pollina وبالالبانية بوجان Pojan وأنشأتها مدينة كورنثى
٥٠	كوركيرا	Corcyra	أنشأتها كورنثى
٥١	أمبراكيا	Ambracia	أنشأتها كورنثى
٥٢	أناكتوريوم	Anactorium	أنشأتها كورنثى وكورسيرا

٥٣	لوكاس	Leucas	أنشأتها كورنثى
٥٤	سولليوم	Sollium	أنشأتها كورنثى وكورسيرا
٥٧	أنيا	Aenea	أنشأتها كورنثى .
٥٨	بوتيديا	Potidea	أنشأتها كورنثى
٨٧	سيليمبريا	Selimbria	الآن سيليفرى Silivri وأنشأتها ميجارا Megara
٨٨	بيزنطة	Byzantium	أنشأتها ميجارا Megara
٩٠	ميسمبريا	Mesembria	أنشأتها ميجارا Megara
٩٧	خرسونيوس	Chersonesus	أنشأتها هيراكليا Heraclia
١١٢	هيراكليا	Heraclea	الآن اريكلى Erekli وأنشأتها ميجارا Megara
١١٣	كالخيدون	Calchedon	الآن كاديكوى Kadikoi أنشأتها ميجارا Megara
١١٤	أستاكوس	Astacus	أنشأتها ميجارا Megara
١٣٣	فاسيليس	Phaselis	أنشأتها رودس Rhodes
١٣٧	سولى	Soli	أنشأتها رودس Rhodes
١٤٢	قورينى	Cyrene	أنشأتها ثيرا Thera
١٤٤	برقة	Barca	أنشأتها قورينى Cyrene
١٤٥	توخيرا	Touchira	الآن توكرا Tohra وأنشأتها برقة Barca
١٤٦	يوسبريدس	Eusperides	أنشأتها قورينى ربما ؟ Cyrene

المستعمرات الأيولية Aeolian Colonia

٧٧	اينوس	Aenus	أنشـــأتها ميتليـــنى Mytilene وأليبوكونيســوس Alepoconesus
٧٩	ألوبيكونيوس	Alopeconesus	أنشأتها ميتلينى Mytilene
٨٢	ماديتوس	Madytus	الآن مايتو Maito
٨٣	سيستوس	Sestus	
١٢٧	داردانوس	Dardanus	

	Sigeum	سيجيوم	١٢٨
	Tenedos	تنيدوس	١٢٩
	Assus	أسوس	١٣٠
	Amtandrus	أمتاندروس	١٣٢
	Side	سيدى	١٣٤

مستعمرات في قبرص

	Salamis	سلاميس	١٣٩
	Soli	سولى	١٤٠
	Paphos	بافوس	١٤١

وبعد أن عرضنا لأهم المستوطنات نعرض الآن لأهم مظاهر وسمات حركة الاستعمار وهى :

١- أنه أينما استوطن اليونان وأنشأوا مستوطنة عنوا بأن يحتفظوا بدياناتهم وعاداتهم ولغتهم وبأن يقيموا نظماً للحكم تماثل عادة نظم المدينة التى هاجروا منها .

٢- أن حركة الاستعمار و الاستيطان اليوناني في العصر العتيق تختلف في الغالب الأعم عن كل من الاستعمارين الرومانى والحديث من حيث أنه لم يكن هدفاً من أهداف الدولة تعمل على تحقيقه بحيث تضطلع وتشرف عليه وتتولى حكم المستعمرات التي يقوم ابناؤها بانشائها وذلك فى الحالات التى تعرف أن المدينة الدولة التى أمرت بانشاء المستوطنة ونظمت طريقة اختيار منشئيها كأنما كان أحد وجوه نشاط الأفراد شأنه فى ذلك شأن أى مشروع تقوم به أية جماعة من الناس . ولذلك فإن المستعمرات اليونانية لم تكن عادة فى الغالب الأعم خاضعة للمدن التي خرج منها المستوطنون وإنما كانت مستقلة تمام الاستقلال مثل تلك المدن الأم ، وإن كانت عادة تربط المستعمرات بأمها وشائج روحية وثيقة . ومن ثم فإن مفهوم حركة الاستعمار اليونانية فى العصر العتيق يختلف فى معناه فى الغالب الأعم عن مفهوم الاستعمارين الروماني و الحديث . فقد كان جل المستوطنات تنشأ وتتطور بشكل مستقل عن المدينة الأم فكانت هذه المستوطنات

مدنـاً مســتقلة بشكل كامل عن المدينة الأم فلا تبعية سياسية لها . ومع ذلك فقد وجدت بعـض الأمثلة والاستثناءات التى ربطت فيها المدن المستعمرة مستعمراتها بها وتشدها إلـيها بأوثق الروابط ومن هذه المدن كورينثة التى أسست سلسلة من المستعمرات على الشـاطئ الشـمالى الغـربى لليونان وجعلتها تحت سيطرتها وحكمها المباشر ، والمثال الثانى هو أثينا وتأسيسها مستوطنة فى منطقة الهليسبونت فى القرن السادس . وأيضاً فـى انـزال مواطنـيها واقطـاعهم اقطاعات فى بعض المدن والمستوطنات الأخرى مع احتفاظهم بحق المواطنة الأثينية .

٣- أنه كلما استقر الرأى على إنشاء مستوطنة ، كان اليونان يلجأوا إلى وحى الإله أبوللو فـى دلفـى ناشـدين مباركته للمشروع ، ومستلهمين مشورته عن أفضل مكان يصلح لتحقيق بغيتهم . فقد كان هذا الوحى كعبة يحج إليها اليونان من كل حدب وصوب ، مما وفر لسدنته فيضاً من المعلومات الدقيقة عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية فـى أقالـيم كثيرة ، وكان أولئك الكهنة يستخدمون تلك المعلومات استخداماً بارعاً فيما يدلون به من نصائح أو نبوءات .

٤- لم تشترك كل الشعوب اليونانية بنفس النسبة فى حركة الاستعمار فلم يشترك الاليريون والمقدونيون ، إلا فى الفترة المتأخرة بعد غزوات الاسكندر ، فى غزو وارتياد البحار ، ولكـن أنشأت بعض الشعوب اليونانية التى تعيش حياة القبائل الرعوية مثل أهل كل من لوكـرى وآخـيا مستوطنات زاهرة . وإن كانت المدن العامرة فى بلاد اليونان هى التى قامـت بـالدور الأكبر فى حركة الاستعمار فبعد أن استقرت أحوالها تماماً فى أراضيها وتعلمـت ومسـائل ارتـياد الـبحار وكانت قد بلغت فى تنظيماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعـية درجـة مـن التطور مثل كورينثة وخالكيس وارتريا وميجارا وناكسوس وباروس وميليتوس .

٥- اختلفت سياسة المستعمرين تجاه السكان المحليين أو الوطنيين اختلافاً كبيراً وذلك تبعاً لقوة ووفرة أعداد المستعمرين و وفقاً للقوة العسكرية والثروة وحضارة السكان المحليين والذيـن سيصـبحون سادتهم أو جيرانهم ، فقد كان اليونان المتعددو المواهب يعرفون كـيف يتعاملون مع القبائل البدائية ويجعلون أنفسهم مرحباً بهم ، فكان اليوناني يحضر

معــه الهدايــا التي ترضي وتسر وكان يجد الكلمة أو الاشارة التي تسحر ، فكان يتحدث مع الرجال ويقيم علاقات جنسية مع النساء وكان يحصل من خلال المناقشة على الاتفاق الــذى يــريده مــثل الحق فى فتح سوق أو احتلال شريط من الأرض للتوطن فيه ومن الأمــثلة على ذلك عندما رسى أهل فوكايا على أراضى قبيلة ليجورية نجد أن ابنة زعيم القبــيلة قد اتخذها زعيم المهاجرين زوجة له وتم تأسيس ماساليا وعندما نزل أهل ثيرا فــى جزيــرة بلاتيا أقاموا علاقات طيبة مع الليبيين ومن خلال ذلك فقد ساعدوهم على الانــتقال إلــى قوريــنى و اســتيطانها وعاشوا معاً في سلام ولكن عندما زادت قوتهم اســتولوا على أراضى الوطنيين وطردهم منها مما سبب العداء بينهم. وفى شمال البحر الأســود فإن الكيميريين (Cemmerians) والاسكيثيين والسارماتيين قد استقبلوا التجار الايونيين استقبالاً طيباً . كما نجد أن اللوكريين عندما نزلوا في إيطاليا قد عقدوا معاهدة صداقة مع السكان المحليين ثم لجأوا إلي الخديعة و طردوهم . ونجد أن اليونان بمجرد اســتقرار فــى أغلب البلاد التى نزلوا بها نجدهم يحاولون أن يتوسعوا وغالباً ما كانوا يستخدمون القوة حيناً ويعون من الخديعة والخيانة حيناً آخر أو كلاهما معاً . فقد أنشأوا الكثــير مــن المســتوطنات فعلــى سبيل المثال انشأوا فى المناطق المفتوحة عنوة مثل سيراكوز وليونتيون وامبراكيا.

ونجد أيضاً أن بعض المدن ووفقاً لجذروها لم تطرد السكان المحليين ، ولكن انزلتهم إلــى مرتــبة أقــرب إلــى العبودية لأنها وجدت من الأفضل أن تستثمر الأراضى من خلال أصــحابها الأصــليين ، والأمــثلة علــى ذلك ما قام به المستوطنون فى سيراكوز وبيزنطة وهيراقلــيا بونتــيقا بــربط أعداد كبيرة من السكان المحليين بالأرض وجعلوهم يحرثونها ويــزرعونها . ولكــن نجــد أن الشــعوب المحلــية فــى المناطق الداخلية قد وقفت ضد المســتوطنات وحاربــتها وأوقفــت توسعها . ومن بين هذه الشعوب السكان المحليين فى غــرب صــقلية والقــبائل والشعوب المحلية فى منطقة البحر الأسود . وكما نعرف أنهم قد أقــاموا ببعض الدول القوية بعد الحصول على تصريح مثل كل من ليديا مصر . وفى ضوء مــا ســبق فقــد نجح الكثير من المهاجرين فى تأسيس مستوطنات التى رنوا إلى تأسيسها ولكــن فشل البعض منهم فى محاولاتهم نتيجة للمتاعب سواء التى سببها السكان المحليون

ومن ذلك ابديرا أو الشعوب القوية المجاورة مثل قرطاج .

٦- لديـــنا أمثلة عديدة عن مستعمرات أسست هى الأخرى مستعمرات بعد سنوات قليلة من تأسيسها عندما ضاقت أرضها ، أو لأنها محرومة من الظهير الزراعى ، أو للاضطرابات والنزاعات بين المهاجرين ، بينما نجد أن بعض المستوطنات الأخرى نظراً لقلة سكانها ولاتســـاع رقعـــة الأرض الزراعـــية المجاورة لها تدعو اليونان من مختلف المدن إلى الهجرة إليها جيلاً وراء جيل مثل قورينى .

٧- كانـــت المستوطنات فى الغالب الأعم تتمتع بالاستقلال التام عن مدنها الأم ولعل السبب فى ذلك هو أن الدافع الرئيسى للمدن الدول المؤسسة للمستوطنات يتمثل فى رغبتها فى حـــل مشـــاكلها الناجمة عن الضغط السكانى ونقص الأرض فيها وعدم رضا بعض فئات مـــن مواطنيها على أوضاعهم السياسية والقانونية ... الخ ، فقد أرادت المدن الدول أن تتخلص من مشكلاتها الداخلية وأن توطد أحوالها مثلما الحال فى قورينى وتارنتوم .ولم يكـــن يهمهـــا انشـــاء مستعمرات تحكم سيطرتها عليها كما أن نظام المواطنة فى أغلب المـــدن الـــدول كان يشترط ملكية الأرض فى المدينة الأم كشرط للمواطنة بها وضرورة الـــتواجد الدائـــم فـــيها لممارســـة حـــق التصـــويت الدائم فيها والترشيح فى المجالس وللمشـــاركة فـــى حـــياة القبـــيلة والحياة السياسية بها ، وهى واجبات لم يكن بمقدور المواطـــن الغائـــب أن يؤديهـــا حيث أن أداءها كان فرض عين، ولذا فقد كان المواطن المهاجـــر يفقـــد حقـــوق المواطنة بمجرد الاستقرار فى موطنه الجديد بالمستوطنة التى تؤسسها مدينته أو مدينة أخرى . وإن كان يمكنه استرداد حق المواطنة فى مدينته الأم وذلـــك لظـــروف و أحوال خاصة مثل الفشل فى محاولة تأسيس المستوطنة لمدة خمس ســـنوات ، أو بعـــد ثلاثين عاماً من التأسيس أو يكون له ولد يافع أو أخ يخلفه . جملة القـــول أن التمتع بحقوق المواطنة فى مدينة يقتضى التنازل عنها فى مدينة "مستوطنة" أخـــرى . . . وإن كانت بعض المدن قد منحت بعض الحقوق المحدودة للمواطن المتنقل من مدينته "المستعمرة" إلى مدينته الأم أو العكس . مثل الإعفاء من الضرائب والمساواة

بالمواطنين فى الأمور الدينية فقط ومن الأمثلة على ذلك ما كانت قد قررته ميليتوس بشأن مستوطنيها فى أولمبيا .

على الرغم من أن غالبية المستوطنات كانت مستقلة عن المدن الأم وأن من حقها أن تقـيم علاقات مع كل بلاد اليونان دون تدخل من مدينتها الأم ، إلا أننا نجدها تقيم وتحتفظ بعلاقـات قويـة مـع مدينـتها الأم ، وأبـدت احتراماً بأبطالها، فكانت ترسل السفراء فى المناسبات الخاصة ، كما استبعدت النزاعات فيما بينها فى الغالب ما وسعها إلى ذلك سبيلاً ، وإن كـان هـناك استثناءات مثل الحرب بين كورينثة وكوركورا ، كما نجدها قد عقدت معـاهدات تجاريـة ومحالفات عسكرية فيما بينها ، وهذا قد قوى الروابط فيما بينهم ، وقد زاد من قوة الروابط أن المستوطنين فى الغالب كانوا قد نقلوا المؤسسات السياسية والدينية مـثل نظام الحكم، التقسـيم القبلى ، وكانوا يأخذون جذوة من النار المقدسة وتتبعهم آلهة المديـنة الأم لحمياتها ، والابجدية واللغة ونظام التأريخ ، كما أنه صار من العرف والتقاليد أنـه عندما تنوى المستوطنة بانشاء مستوطنة جديدة أن ترسل إلى مدينتها الأم لترشح لها قائد oekistes للمهاجرين . فعلى سبيل المثال عندما أسست كوركورا المستعمرة الكورينثة مستعمرة لها وهى ابيدامنوس فقد أرسلت مستوطنيها تحت قيادة زعيم أو قائد من كورينثة

٨- أن المسـتوطنين ملاك أو حائزى قطع الأرض الأول سيصبحون العنصر الارستقراطى علـى عكـس المسـتوطنين الذيـن يفدون إلى المستوطنة فيما بعد فى الغالب الأعم ، وأعضاء الطبقات الحرفية . فهؤلاء الأرستقراط ، والذين كان الكثيرون من أجدادهم من الفقـراء ، هـم الآن ينتمون إلى طبقة الموسرين وطبقاً للطبيعة الانسانية فقد نسوا ما عـانوه هم أو آباؤهم أو أجدادهم فى بلادهم الأصلية ولم يظهروا عطفاً على الأشخاص الأقل حظاً والذين زادوا بمرور الوقت فى المستوطنات .

٩- من المرجح أن الاجراءات التى اتخذتها المدن بشأن تنظيم وإرسال مستوطنين وتأسيس مسـتوطنات قـد اختلفـت مع بعضها البعض خاصة فى الفترة الباكرة ، ووفقاً لرواية هـيرودوت بشـأن انشـاء قوريني ونقش لوحة المؤسسين لنفس المدينة وقرار انشاء ناوبلكـتوس وأيضـاً فـى ضـوء مـا سبق عرضه من سياسة كل من كورينثة وأثينا

الاستيطانية الاستعمارية فقد كانت الدولة تشرف على حركة الهجرة بل تنظمها وتمولها ، ولعل بعض المبادرات قد أتت من بعض القادة ومن بين هؤلاء دوريوس شقيق الملك الاسبرطى كليومينيس ، وفى الغالب الأعم فإن الطبقة الارستقراطية أو الاليجرخية الحاكمة هى التى أرسلت المستوطنين كحل للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تقلق طبقتهم الحاكمة . وقبل القيام بالاستيطان كان لابد من الحصول على رضاء ومباركة الآلهة لاقامة مستوطنة وذلك بسؤال وحى دلفى أودودنا قبل القيام بالعمل أو حتى بعده بغرض حض وحث المواطنين بالمدينة ومواطنى المدن الأخرى على الهجرة . وبعد أن تقرر مدينة تأسيس مستعمرة فإنه من الراجح أنها كانت تدعو الراغبين للهجرة للتجمع ولكن من الواضح أن الاجراء المتبع فى تأسيس قورينى أنه إذا لم يأت راغبون يسافرون فى الهجرة فإنه كان يتم استخدام الارغام على الهجرة وفى نفس الوقت ترك الباب للراغبين بمحض ارادتهم . ومن الواضح أيضاً أن الدولة هى التى كانت تعين قائد المستوطنين (oecistis) وتحت اشرافه كانت تؤسس المستوطنة الجديدة وكان واجبه الأول هو تخصيص قطع الأرض للمستوطنين . وبعد موته كان يدفن فى مكان مميز فى المستوطنة حيث يلقى التكريم كبطل وكمؤسس مبجل للمدينة . وخير الأمثلة على القرارات الرسمية من قبل المدينة الأم لانشاء مستوطنات قرارى ثيرا لانشاء قورينى ولوكريس لإنشاء ناوباكتوس وتفصيلاتهما على النحو الآتى :

وفى منتصف القرن الخامس ، فقد قامت لوكريس بتأسيس مستوطنة ناوباكتوس Naupactus . ولحسن الحظ فقد حُفظ لنا مرسوم انشاء تلك المستوطنة ونصه على النحو الآتى :-

يجب تأسيس مستوطنة فى ناوباكتوس وفقاً للشروط التالية :-

١- عندما يصبح أحد مواطنى لوكريس من مواطنى ناوباكتوس يكون من حقه ، عندما يكون جاهزاً ، أن يقدم القرابين أو المشاركة فى تقديمها، فى الأماكن التى يسمح القانون المقدس للأجنبى أن يقدم القرابين إذا رغب فى ذلك . فإذا ما كانت هذه رغبته فيجب أن يقدم القرابين ويكون له نصيب فى قرابين

الجماعات ، ويكون ذلك له ولأسرته إلى الأبد . ولا ينبغى على المستوطنين من لوكريس أن يدفعوا الضرائب المفروضة على مواطنى لوكريس . ولا يدفعها إلا من يعود منهم إلى موطنه الأصلى لوكريس . وإذا ما رغب أى مستوطن فى العودة لا ينبغى أن تحصل منه أية رسوم طالما ترك فى بيته ابناً كبيراً أو أخاً . وإذا ما تم طرد المستوطنين اللوكريسيين بالقوة ، يجب السماح لهم بالعودة ، كل إلى بيته السابق ، دون أية رسوم ولا يجب أن يدفعوا أية ضرائب إلا إذا ما كانت مشتركة بينهم وبين ثلوكريسيين الغربيين .

٢- يجب على المستوطنين فى ناوباكتوس أن يقسموا بألا ينشقوا طواعية عن الاوبنتين قط وإذا كانت رغبتهم ، فسوف يسمح ، بعد ثلاثين عاماً من أداء القسم ، لمائة من أهل ناوباكتوس بمراعاة قسم الاوبنتيين ومائة من أهل اوبنتيا لمراعاة قسم أهل ناوباكتوس .

٣- أن من يؤجل دفع الضرائب فى ناوباكتوس سوف يتم استبعاده حتى يقوم بأداء الضرائب المستحقة عليه لأهل ناوباكتوس .

٤- إذا ما مات مستوطن بغير ورثة سواء من أهل منزله أو من أقاربه من المستوطنين فى ناوباكتوس ، فإن حق وراثته يؤول إلى أقرب أقاربه فى لوكريس مهما كان وضعه بشرط أن يحضر فى غضون ثلاثة شهور . وإذا لم يحدث ذلك فإنه ينبغى تطبيق قوانين ناوباكتوس.

٥- إذا ما عاد أى مستوطن من ناوباكتوس إلى لوكريس ، يجب أن يعلن عن عودته فى ساحة السوق فى ناوباكتوس ، كما يجب أن يعلن هذا فى ساحة السوق فى لوكريس وكان ثمة مرسوم رسمى يصدر بشأن تنظيم شئون المستوطنة وخير انموذج لذلك مرسومى انشاء مستعمرة ناوباكتوس وفورينى .

٥- يجب عندما يصبح (Mysacheis, Percothariae) أحد أعضاء من أهل ناوباكتوس ، أن تخضع أملاكه فى ناوباكتوس أيضاً لقوانين ناوباكتوس ،

ولكـن أملاكـه فـى لوكـريس يجب أن تخضع لقوانينها ، حسبما توضحه تلك القوانيـن لكـل مواطـن من مواطنيها ، ولكن إذا عاد أى منهم من ناوباكتوس (Mysacheis, Percothariae) فإنه لا يخضع لقوانين مدينته الأم .

٧- وإذا مـا كان للمستوطن فى ناوباكتوس لخوة ، مثلما ينص القانون فى كل مدينة من مدن الكورنثيين ، يحق للمستوطن أن يرث أملاك الأخ فى حالة وفاته بشرط أن يأخذ نصيبه الذى يستحقه .

٨- يجـب أن يكون لمستوطنى ناوباكتوس حق رفع القضايا أمام القضاء وعلـى اللوكريسى أن يرفع القضايا وأن يدافع عن نفسه ضد القضايا المرفوعة ضـده ، (opics) فـى نفـس اليوم ، وينبغى على أولئك الذين يتولون مناصب الحكـام (magistrate) فى تلك السنة أن يعينوا مدعى علم (prestates) يمثل المستوطنين من أهل لوكريس ، ومدعى علم آخر يمثل أهل لوكريس .

٩- أن مـن يخلف أملاكه من المستوطنين فى ناوباكتوس مع والده فى لوكريس ينبغى السماح له بأن يستعيد نصيبه عند وفاة أبيه .

١٠- أن من يخرق هذه القرارات بأى وسيلة كانت إلا بعد صدور مرسوم من مجلـس الألف فى اوبوس (Opus) ومن مجلس مستوطنة ناوباكتوس ؛ يصبح خارجـاً علـى القانون وتصادر أملاكه ، وسوف يعقد الحاكم جلسة للمدعى فى خـلال ثلاثين يوماً ، إذا كانت هناك مدة ثلاثين يوماً باقية فى فترة حكمه ، وإذا لم يمنح المدعى حق جلسة محاكمة ، يصبح خارجاً على القانون وتصادر أملاكه وأمـلاك الخدم الذين يعملون عنده أيضاً وعليهم أن يقسموا باليمين التى حددها القـانون التشـريعى للوكريسـيين يسرى بنفس الطريقة على كل المستوطنين القادميـن من جاليوم (Chaleum) وانتيفاباتس (Antiphatas) ، ويتضح من بنود هذا المرسوم كما يأتى :

١- أن المسـتوطن كـان يفقـد حقوق المواطنة فى مدينته الأم ويصبح مواطناً كامل

الأهلـــية فـــى ناوبكتوس ولكن إذا ما عاد إلى مدينته لوكريس فإنه يفقد حق المواطنة لمســـتوطنة ناوبكتوس ويسترد أو يستعيد حق مواطنة مدينته الأم لوكريس ، وذلك إذا ما أجبرته الظروف على المغادرة ، أو ترك أخاً أو خلفه ابناً يافعاً .

٢- أن المســـتوطن كـــان يحـــتفظ بحقوق الأرث فى أملاكه من أسرته ومن أقاربه الذين لا وارث لهـــم فـــى لوكريس وأن لمواطنى لوكريس نفس الحق . وأن كان المشرع قد مده ثلاثـــة أشهر للمطالبة بهذا الحق . بعدها تطبق قوانين سواء المستوطنة أو المدينة الأم على الأملاك التي خلفها المتوفى .

٣- كان هناك مستوطنون من مدن أخرى وكانت تطبق عليهم نفس القوانين السابقة.

ولدينا مثال آخر وهو مرسوم تأسيس مدينة قورينى متضمناً القسم الذى أقسمه المستوطنون الأول عندما توجهوا بحراً إلى ليبيا مع باطوس مغادرين ثيرا إليها . وهو على النحو الآتى :

قرار الجمعية الشعبية : حيث أن أبوللو قد أمر باطوس والثيرانيين صراحة بالعمل على إنشاء قورينى ، فإن جميع الثيرانيين قرروا ارسال باطوس إلى ليبيا كقائد وملك . ولسوف يبحر الثيرانيون فى صحبته ، وعليهم أن يركبوا البحر فى أحوال متساوية ومتشابهة بالنسبة لكل أسرة ، بواقع ابن عن كل منها . ولنعلن فى جميع القرى قوائم بأسماء الرجال الراشدين . ويحق لكل رجل حر ولديه رغبة فى الإبحار ، من بين بقية الثيرانيين ، أن يبحر ، و إذا ما تمكن المستوطنون من الاستقرار فى ليبيا ، فإن أياً من مواطنيهم يعن له التوجه إليها فيما بعد ، سيتمتع بكامل الحقوق المدنية والسياسية وستخصص له ، بطريق القرعة ، قطعة أرض لا مالك لها ، وعلى العكس من ذلك ، إذا فشلوا فى الاستقرار فيها ، وإذا عجز الثيرانيون عن اعانتهم ، وحاقت بهم المسغبة طوال خمس سنوات ، فعليهم أن يرجعوا عندئذ إلى ثيرا آمنين ، لاسترجاع ممتلكاتهم فيها ، وسيقبلوا فى عداد مواطنيها ، وكل من يرفض الإبحار ، رغم اختيار المدينة له للاشتراك فى الحملة، فإنه يكون عرضه للحكم عليه بالاعدام وتصادر أملاكه ، وكل من يأوى هذا المتخاذل أو يحاول تسهيل أمر افلاته من العقاب ، حتى ولو كان أباً يتواطأ مع ابنه أو أخاً يتواطأ مع أخيه ، فإنه سيُنزل به نفس العقاب المقرر لردع المتخاذل نفسه ، وبحسب منطوق هذا المرسوم . فقد أدى الجميع القسم سواء أولئك الذين ظلوا منهم هنا فى ثيرا أو أولئك الذين أبحروا لإقامة المستوطنة . واستمطروا اللعنات على كل من ينتهك هذا القسم ولا يفى به ، سواء من بين أولئك الذين سيستوطنوا ليبيا أو من بين الذين ظلوا هنا فى ثيرا، ثم صاغوا تماثيل من الشمع وأحرقوها ، مستمطرين جميعهم ، رجال ونساء وأولاد وبنات ، اللعنات التى تقول :

> ليذب كل من لا يفى بهذا القسم وينتهكه ، فينصهر شأن هذه التماثيل الشمعية، هو ، وذريته ، وما ملكت يداه ! أما أولئك الذين سيكونون أوفياء

لهـذا القسـم ، سواء منهم الذاهبون إلى ليبيا ، أو أولئك الماكثون فى ثيرا ، فلتشملهم ، هم وذريتهم كل صنوف النعم"

كمـا أن النقش فى مقدمته يقدم مرسوماً قورينياً يؤكد الذين يقيمون فيه الثيرانيون قوريـنى حقهم فى الاستيطان بها وذلك لتشجيعهم على الإقامة بها وذلك من خلال المساواة السياسية بينهم . وهو على النحو الآتى :-

إلهنا . . . يا طالعنا السعيد .

اقتراح داميس بن باثيكليس

"بالنظر إلى الالتماس المقترح من جانب الثيرانيين وكليوداماس بن ابوثيكليس ، لمـا فـيه ازدهار المدينة وخير مواطنى قورينى ، كى يُمنح الثيرانيون حق المواطـنة طبقاً للتقاليد التى تواضع عليها أسلافنا ، سواء منهم أولئك الذين قدمـوا مـن ثـيرا لتأسيس قورينى ، أو أولئك الذين بقوا فى ثيرا ، حيث أن أبوللـو قـد ضـمن لباطوس وللثيرانيين الذين أنشأوا قورينى أن يعيشوا فى رخـاء ، مـا ظلوا أوفياء للأيمان التى أقسمها أسلافنا لبعضهم البعض عندما واجهوا الحملة الاستيطانية بناء على أوامر أبوللو الطاهر ، فليتحقق الخير!

بمشـيئة المواطنيـن ، سيتمتع الثيرانيون ، حتى فى قورينى ، بحقوق متساوية ، لها نفس الشروط الواجبة على القورينيين ، وزيادة على ذلك فإنه يتحتم على الثيرانيين المقيمين فى قورينى أن يؤدوا القسم الذى أداه الآخرون فـى سالف الأيام ولسوف ينتظمون فى قبيلة ، وفى إحدى بطونها ، وفى تسع جمعيات سياسية ، ينقش هذا المرسوم على لوح من المرمر الأبيض ، ويودع بمعبد أبوللو الفيثى العتيد . وينقش كذلك على اللوح بنفس القسم الذى أقسمه المؤسسـون الأول عـندما توجهوا إلى ليبيا بحراً مع باطوس ، مغادرين ثيرا إلـى قوريـنى . ونستقطع النفقات الضرورية للمرمر ولأعمال النقش من قبل مأمورى الحسابات من دخل معبد أبوللو".

١٠ - لقـد حـد مـن حـركة الهجرة والاستيطان لليونان موقف الأمم المتحضرة الأخرى

(قرطاج) والتى أوقفتها بشكل تام فى الغرب ، كما نجد الظروف الداخلية فى بلاد اليونان قد فعلت فعلها فى الحد من الهجرة ومن هذه الأحوال اقرار مبدأ الملكية الفردية بدلاً من الملكية المشاعية للأسرة وحق الابن الأكبر فى الميراث، كما أن نمو الصناعة والتجارة قد خلق فرص جديدة للعمل فى بلاد اليونان وانعدام البواعث التى جعلت أمثالهم يرحلون فى الماضى خارج أوطانهم بحثاً عن الرزق والعمل ، كما أدت الثورات الشعبية إلى تحسين أحوال الجماهير وأصبحت الظروف سانحة لهم للحصول على الأرض الزراعية . ولذا سنجد أن حركة الهجرة قد بدأت شبه متوقفة فى القرن الخامس ، وإن كان خروج الإغريق مستمراً للعمل كجند مرتزقة سواء فى مصر أو فى فارس .

نتائج حركة الاستعمار :

أولاً : الانفصالية السياسية وآياتها على النحو الآتى :

١- انتشار اليونان على سواحل البحر المتوسط والبحر الأسود ، فقد قامت المئات من المدن الدول اليونانية وعلى الرغم من أن بعضها قد تأثر بالاحوال المحلية فإن أغلب هذه المدن قد تطور على نفس نسق المدن الأم ، ولكن نلاحظ أن المدن الجديدة كانت أكثر تنظيماً وثراء من المدن الأم وبالتالى فقد أثر هذا على المدن الأم .

٢- لقد عمقت حركة الاستعمار ، التى خلقت مئات المدن الدول الجديدة ، ميل اليونان وتفضيلهم العيش فى تجمعات صغيرة مكتفية ذاتياً ، وزادت وكرست الانعزالية السياسية عندهم بشكل كبير .

ثانياً : النتائج الحضارية وسماتها على النحو الآتى :

١- أن عيش وإقامة اليونان فى المستعمرات قد ولد فكرة التضامن الهلينى (Panhellenism) بصورة كبيرة عما كان عليه الحال فى بلاد اليونان ، فالمدينة الجديدة عادة ما تؤسسها عناصر من مدن مختلفة وسرعان ما يشعر هؤلاء نتيجة لإقامتهم بين شعوب أجنبية تماماً أنهم من أبناء شعب واحد ومن هذه المستوطنات قورينى ونقراطيس . لقد شعروا بالفروق الواضحة بينهم وبين مختلف الشعوب بينما

كانـــت الفـــروق بيـــنهم أنفســـهم كيونان غير واضحة ، فالمستوطنون سواء أكانوا من كورينثة أو ميليتوس أو لوكريس أو خالكيس أو ميجارا فإنهم جميعاً يتكلمون لغة واحدة ولهـــم نفـــس التقالـــيد الموروثة من عصر الأبطال ، ويشتركون فى ديانة وأفكار دينية واحـــدة وطـــرق الحـــياة ، وعلـــى الرغم من أن اليونان قد تصاهروا مع بعض السكان المحلييـــن فى صقلية وتراقيا وليبيـــا ، فإن أغلبهم ظل منغلقاً على نفسه ، وكلما مرت الســـنون وتطـــورت الحياة فى مدنهم على العكس من تقاليد القبلية وتقاليد المجتمعات المجـــاورة لهـــم، فـــإن الـــيونان قد بدأوا يفكرون فى أنهم مختلفون عن هؤلاء الناس الآخريـــن وأصبحوا مدركين أكثر فأكثر أنهم وحدة واحدة وأصبح يطلق عليهم هيلينيون (Hellene) فى مقابل (Birbariana) .

٢- لقـــد ولدت حركة الاستعمار الشعور بالوحدة بين اليونان وذلك من خلال المشاركة فى الالعـــاب الأوليمبية التى أقيمت سنة ٧٧٦ ق.م وفى الاحتفالات بمناسبة الاعياد الهلينية الأخـــرى ، البيثـــية ، والاسثمية والنمية ، ويبدو أن هذه الاعياد كانت أعياد محلية فى الـــبداية ولكن بمرور الوقت فقد أصبحت هلينية لكل اليونان والفضل فى ذلك يرجع إلى المستوطنات فقد كان المهاجرون سعداء فى أن يعودوا بين الحين والحين إلى المدن الأم فـــي بـــلاد الـــيونان . وفـــى شهر أغسطس كل أربع سنوات كانوا يذهبون زرافات إلى أوليمبـــيا لمشـــاهدة مسابقات الأبطال من كل المدن وللمشاركة فى الاحتفالات الرياضية وأيضاً لعقد بعض الصفقات التجارية وللمشاركة فى الاحتفالات الدينية أمام معبد زيوس وهـــيرا . وهكـــذا فقد حافظت هذه المناسبات على الشعور بروح الوحدة الحضارية بين اليونان بل عمقتها .

٣- كـــان لحـــركة الاســـتيطان الكبرى فضل نشر الحضارة اليونانية فى مناطق عديدة فى حوضـــى البحريـــن الأبيض والاسود . فقد كان تأثير المستوطنات اليونانية على السكان المحليين شاملاً . فقد تأثر بهم الاتروريون والذين أثروا بدورهم فى الرومان فى البداية ، كمـــا نهلـــت روما من الحضارة اليونانية بشكل رئيسى من المدن اليونانية فى جنوب ايطاليا وصقلية ومن بلاد اليونان ذاتها عندما استولت روما على هذه المستوطنات وبلاد اليونان ذاتها فقد زاد تأثرها بالحضارة اليونانية من فن وأدب وفلسفة وعلم وهنا يصدق

هـذا التأثـير فـى قول الشاعر هوراس "على الرغم من هزيمة بلاد اليونان ، فإنها قد قهرت المنتصر "روما". وفى نفس الوقت فقد استفاد وتأثر اليونان من حضارة الشعوب التى تعاملوا معها ومن السكان المحليين .

٤ - إن بعض المدن الجديدة خاصة مدن صقلية وجنوب إيطاليا نظراً لما كانت تتمتع به من ثـراء عـريض قـد سـاهمت فـى دفع وتطور الشعر فقد ظهر الشعر الغنائى وظهرت التراجـيديا والكومـيديا وظهرت النظريات الفلسفية من فيثاغورثية وسوفسطائية ، كما ازدهرت العلوم وتطور الفكر السياسى الذى جاء نتيجة للتغييرات الاقتصادية الهائلة وما نـتج عنها من تغييرات اجتماعية. وهو ما سنناقشه فى الصفحات التالية . وكان ازدهار العلـوم والآداب راجـع إلى نقل اليونان للابجدية الفينيقية ومعرفة الكتابة التى أحدثت ثـورة فـى الحـياة العقلية اليونانية ، وفى الواقع فقد كان دافعهم لاستخدام الكتابة هو اجراء وتسجيل العمليات التجارية .

ثالثاً : النتائج الاقتصادية

التطورات الاقتصادية

عـندما بدأت حركة الاستعمار كان اقتصاد المدن اليونانية اقتصاداً زراعياً رعوياً فى المقـام الأول ، بينما لعبت كل من التجارة والصناعة فيه دوراً هامشياً . ولكن بدأت أهمية الـتجارة والصـناعة فـى الـتعاظم مع انتشار المستعمرات اليونانية على نطاق واسع فى حوضـى البحريـن المتوسـط والأسـود ، وهذا قد أدى إلى خلق سوقى البحرين المتوسط والأسـود وتشـجيع تقسـيم العمـل وإقامة حركة تجارية نشطة بين مدنهما المختلفة وقد ساعدت عدة عوامل على ذلك منها :

١ - أن السوق (agora) كانت أرضاً مقدسة محايدة فى الأصل حيث كان يفد عليها مختلف أفـراد الأسـر لاجـراء تعاملاتهم التجارية ، أو عندما زادت سيادة المدنية على منطقة كبيرة ، فقد كانت هناك أسواق التخوم والتى تحميها القوانين الدينية أيضاً ضد العنف .

٢ - كانـت مواسم انعقاد الاعياد الدينية مواسم حرم يعم فيها السلام والأمان وهذا قد ضمن وأكـد حماية الآلهة للتجار وتجارتهم ، كما أن قوانين المعابد قد ضمنت وكفلت الحماية

لتحمل المشاركين من مختلف البلدان فى أعياد الآلهة المعقودة فى دلفى واوليمبيا ونيميا واستموس وتيثوريا (Tithorea) وفوكيس واندانيا (Andania) فى ميسنيا . فكان من يخــرق قانون الحماية معرضاً لعقوبتى الحرمان من عضوية الجماعة والموت ، وبمجرد اعلان هدنة الاله (ekeileiria) فإن الناس كانوا يتوافدون من كل فج عميق وهم آمنين ليحضـــرون الأعياد ويشاهدون المباريات والمسابقات ، وفى نفس الوقت لتبادل المنافع الـــتجارية فيما بينهم . وكما هو معروف فإن الجموع الكبيرة من الحاضرين لتلك الأعياد كـــانوا بحاجـــة إلى طعام وأضاحى وهدايا والسلع النافعة، ومن هنا كان يتم تبادل السلع والمواد ، ومن ثم فإن كل هذا قد خلق أسواقاً رائجة بجوار المعابد. كما أن الحماية التى يتمتع بها الأجانب فى الأسواق بالقرب من المعابد قد امتدت غالباً إلى الموانئ التى كانت تقع على حدود السوق وفى أجوار المعبد. ففى نقراطيس فإن السوق كان له اله خاص. وفـــى افســـوس فى الميناء المقدس بالقرب من المخازن والاسواق كان يوجد معبد ربة المدينـــة ارتيمـــيس . إن قداســـة الموانـــئ وملحقاتها قد جعلتها أماكن حقيقية للجوء (asylum) فقـــد كـــان ممارسة حق الاسر والقرصنة المسموح بهما فى البحار يمكن أن يمنع فى الموانئ .

٣- زادت حكومات المدن الاهتمام بتشييد الطرق الداخلية والعناية بها وتأمينها وذلك نتيجة زيـــادة أهمـــية المعابد الكبرى . وقد استخدمت هذه الطرق لنقل السلع والبضائع سواء على ظهور البغال أو بالعربات . أو على ظهور الأفراد كما فعل أهل أيجينا فى كل أنحاء البلوبونيز وهم حاملين بوقجهم .

٤- تطـــور فـــن بناء السفن وفن الملاحة ، فقد عرف اليونان بناء السفن التجارية الكبيرة والمستعدة لرحلات طويلة . كما اعتنوا ببناء السفن الحربية السريعة الحركة والمناورة . وبفضـــل هذه السفن فقد نجحوا فى الحد من القرصنة وتأمين البحار . وهذا قد سهل حركة التجارة بشكل كبير .

٥- إبتكار العملة قد سهل كثيراً العمليات التجارية المختلفة . كانت بلاد اليونان بحاجة إلى المـــواد الخـــام والحبوب وبدأت هذه المنتجات تصب فيها بكميات كبيرة من كل مناطق

البحرين الأبيض والأسود . فقد شحنت الحبوب من صقلية وايطاليا وكريميا عبر أولبيا ، ومـــن الـــراجح مـــن مصر عبر نقراطيس ، كما ضمنت بلاد اليونان شحن المعادن التى كانـــت شحيحة فيها فقد ضمنت وصولها من مصادر كثيرة : فمن ليديا ومصر وثاسوس وتراقيا حصلوا على الذهب ، ومن ثاسوس وتراقيا واسبانيا حصلوا على الفضة ، ومن قـــبرص حصلوا على النحاس ، ومن قبرص وكيليكيا واتروريا وفى نهاية القرن السابع من الساحل الجنوبى للبحر الأسود حصلوا على الحديد ، ومن أفريقيا العاج ، ومن تراقيا ومقدونيا حصلوا على الخشب ، ومن المحطات التجارية على البحر الأسود حصلوا على الأســـماك المجففة والمملحة ومن المرجح مواد رفاهية أخرى ، ومن قورينى السلفيوم ، ومـــن الشـــرق مخـــتلف التوابل وخاصة البخور الذى صار ضرورياً للاغراض الدينية وطقوس العبادة .. هذه المواد والسلع قد أصبحت بشكل دائم جزءاً من الحياة اليونانية .

ولدفع ثمن هذه الواردات كان على بلاد اليونان أن تنمى صادراتها ، فقد بدأ اليونان فى العـــناية بغـــرس الكروم والزيتون، كما زادوا من انتاج ورشهم المختلفة وتصديره هو الآخـــر لسكان المستوطنات والشعوب المجاورة والذين أصبحوا زبائن دائمين للمنتجات اليونانـــية والـــتى مـــن أهمهـــا المنتجات الفخارية والخزفية التى استخدموها فى كافة الأغراض مثل الجرار الكبيرة لحفظ الزيت والنبيذ والاطباق وآنية الطهى وآنية العطور .

وكـــان يـــتم انتاج الفخار فى كل مكان يوجد به مواد خام جيدة . وكان من أشهر مراكز صناعة الفخار كورينثة ، وأثينا فكانت الأولى المركز الأول فى العالم اليونانى ابان القرن الســـابع ، بيـــنما حلـــت الثانـــية محل الأولى كمركز لتصنيعه فى القرن السادس، وبعد الفاخوريـــة والخزافـــية يأتى صناع المعادن وعمال النسيج وهم من الراجح كانوا أكثر الحرفيـــن نشـــاطاً فقد أصبحت ميليتوس من أشهر مراكز انتاج المنسوجات الصوفية ، وهناك العديد من المدن التى أنتجت المصنوعات المعدنية والاسلحة وكانت خالكيس أهم مراكزها . وهكذا فقد صار لكل من التجارة والصناعة أهمية ومكانة خاصة عند اليونان إذ نجدهمـــا قـــد قدمتا فرصاً جديدة ليس لكسب لقمة العيش لليونانيين الاحرار فقط بل جعلتا الثروة المنقولة تفيض فى أيديهم.

لقد كانت التجارة فى المجتمع الهومرى وكما سبق أن ذكرنا غالباً الى أيدى الفينيقيين ، وأن أصـحاب الحرف والمهن كانوا أدنى مرتبة من ملاك الأراضى الكريمى المحتد . ومع تطـور المدينة فى العصر الأرخى ونمو الانتاج فقد قام الناس بمبادلة ما يفيض عليهم من منتجات بمنتجات أخرى ، وهذا ما رواه لنا هيسيودوس من أن الرجل كان يشحن ما يفيض علـى حاجته سواء أكانت زراعية أو مواد مصنعة لتصريفه فى الخارج . ونعرف أن بعض كـبار الزراع كانوا يقومون بمبادلة ما يفيض من انتاج أراضيهم من النبيذ وزيت الزيتون بسـلع أقطـار أخـرى ، فقـد كانت ملكية السفن الضخمة فى أيدى الأرستقراط كبار ملاك الاراضى ، ففى خالكيس فإن طبقة الفرسان (Hippobotae) ، الذين كانوا يرقبون خيولهم تجـرى فى السهل ، كانوا يشرفون فى نفس الوقت على العمل فى مناجم النحاس ويرسلون مـا يسـتخرجوه إلى المستعمرات . وفى كورينثة فإن الأسرة الحاكمة الباكخيادية قد جعلت مـن حـرفة التجارة تقليداً عائلياً ثم استولت على حكومة المدينة نفسها كما نجد أن من نـبلاء بعـض المـدن من اشتغل بالتجارة ومن بين هؤلاء خاراكسوس (Charaxos) من لسـبوس ، وكـان أخاً للشاعرة سافو ، فقد اعتاد هذا النبيل الذهاب إلى مصر مع شحنات النبـيذ . كمـا نجد الزراع البسطاء كانوا يشحنون ما يفيض عليهم من منتجات ويبادلونها بمنتجات هم بحاجة إليها وكان من بين هؤلاء أخو هيسيودوس .

كمـا نجـد أن هناك فئة من التجار كانوا صناعاً وتجاراً ، فقد صار الكثير من طبقة الحرفيين تجاراً فى الموسم الذى كان الابحار فيه مأموناً (من ابريل إلى سبتمبر) حيث تكون الـبحار هادئة . فقد كان هؤلاء يعملون كحرفيين خلال الجزء الأكبر من السنة خلال فصلى الخـريف والشـتاء . وعـندما تصبح الملاحة مأمونة العواقب فإنهم أو بعض أفراد أسرهم كـانوا يشـحنون منـتجاتهم التى أنتجوها على متن سفينة تجارية ويبحرون لتصريفها فى المواني الاجنبية . وابتداء من عصر هيسيودوس فإن الكثير من الرجال قد بدأوا فى اعتبار الـتجارة مهنـتهم الأساسـية وليست مهنة موسمية . فعندما بدأت المستعمرات فى التطور والـنمو وصـار من المعروف أن مدينة ما يكون عندها فائض فى القمح بينما مدينة أخرى مجـاورة يكـون خشبها جيداً وأخرى قريبة من المناجم التى تستخرج منها المعادن ، بينما

مدينة أخرى يكون لها منفذ على السلع الكمالية مثل الذهب والعاج ، ولأن التجارة قد اعتمدت على نظام المقايضة إلى أن تم اختراع العملة ، فقد كان على التاجر أن يعرض شحنته ويبادلها بسلع ومواد أخرى ، وحيث أنه لم يكن هناك أسواق يونانية عندها اكتفاء ذاتى ، فيما عدا على ما يبدو فى مراحل تاريخها الأولى ، فإنها كانت أسواق لبعض الواردات ، وبمرور الزمن فإن التجار قد عرفوا بصورة جيدة ما هى الواردات التى تحتاجها المدن المختلفة وما هى المواد المنتجة التى تكون متاحة للتصدير ، إن هؤلاء التجار لم يختلفوا فى أساليب تعاملاتهم التجارية الكثيرة عن الفينيقيين ، فكانوا يشحنون سفنهم من الأماكن التى يجدون فيها شحنات نافعة ومربحة ويبحرون بها إلى المواني الأخرى حيث يحدوهم الأمل أن يفرغوا تلك الشحنات ويحصلون فى المقابل على شحنات أخرى مربحة ، ولعل سنوات كانت تمر قبل عودتهم إلى مدينتهم الأم . ومع ذلك فإن بعض التجار كانوا مرتبطين بشكل كبير بتلبية احتياجات مدنهم فعلى سبيل المثال كان مالك السفينة (naukleras) من ميليتوس على علم باحتياجات مدينته من السلع الغذائية وبالتالى كان يقوم بشحن المنسوجات الصوفية والآنية الفخارية المنتجة فى مدينته وإذا ما بقى فراغ فى سفينته كان يأخذ معه تاجر (emporas) آخر وشحنته ثم يبحران معاً إلى أولبيا حيث يستبدلون شحنتيهما بشحنة من القمح والسمك المحفوظ . ولا يوجد لدينا دليل حول طرق وكيفية استبدال هؤلاء التجار لبضاعتهم ، ومن الراجح كان عليهم البقاء فى الميناء الذي نزلوا فيه إذا ما أتى عليهم فصل الشتاء وهذا يعنى أن يقيمون به حتى يبيعوا سلعهم بالتجزئة، ومن جهة أخرى قد يكون فى مقدورهم العودة فى فترة الابحار المأمون إذا ما باعوا بضاعتهم للتجار المحليين جملة .

وقد قام تجار ميلتيوس والمدن الايولية بالمتاجرة مع منطقة البسفور والدردنيل والبحر الأسود ومصر عبر نقراطيس . وقام تجار فوكايا بالتجارة مع مستوطنات الغرب ، بينما قام التجار الكورينثيون بالتجارة مع الغرب ابتداء من منتصف القرن السابع وقام تجار خالكيس بالتجارة مع صقلية وايطاليا ومنطقة الخالكيدكى . وابتداء من القرن السادس فقد دخلت اثينا مجال التجارة وكان لها تجارتها مع منطقة البسفور والدردنيل .

وإذا كانت التجارة قد نمت فإن الصناعة هي الأخرى قد نمت وتطورت ، فقد ظهر في المـدن طـبقة الحرفيـين (demiourgoi) منذ بدء نشأتها ولكن نظراً للاحتياجات الكبيرة للمنـتجات المصـنعة ، فقـد زادت أعدادهـم وأصبحوا يعملون فى ورشهم (ergasteria) الصـغيرة الحجـم وبمسـاعدة عدد من الاجراء (thetes) والعبيد ولكن بمرور الوقت زاد الاعـتماد علـى العبـيد وصاروا أهم عنصر فى الحياة الصناعية . ونتيجة لرواج التجارة والطلب على المنتجات المصنعة فقد حقق هؤلاء ثروات كبيرة . وهذه الثروات كانت ثروات مـنقولة سـواء أكانت فى شكل سبائك ذهبية أو فضية أو سلع مصنعة وأن بعض الحرفيين والتجار قد صاروا أكثر ثراء من الأرستقراط . وقد زاد هذا الأمر مع اختراع العملة . وهذا يدفعنا للحديث عن التغيرات الاجتماعية كنتيجة للتغيرات الاقتصادية .

التغييرات الاجتماعية :

ا - الطبقة الأرستقراطية :

أدى الـتطور التجاري و الصناعي إلى تغييرات فى التركيبة الاجتماعية والعلاقة بين مخـتلف الطبقات ، وكما سبق أن ذكرنا فإن المجتمع الهومرى كان ينقسم إلى طبقات وهى طبقة الاشراف والحرفيين وطبقة صغار الزراع وطبقة الأجراء والعبيد .. و هذا التقسيم فى العصـر الارخـى اسـتمر مع حدوث تغيير فى الوضع الاجتماعى صعوداً وهبوطاً بالنسبة لبعض الفئات . أو ما نسميه الحراك الاجتماعى .

كانـت الطـبقة الأرسـتقراطية هـى المهيمنة على مقاليد الأمور منذ نهاية العصور الهومـرية واتخذ رؤساء الأسر طراز الملوك ، فهم جميعاً أبناء زيوس، ولهم الحق جميعاً فـى حمـل الصـولجان ، وكانوا يلتقون فى المجلس كى تتم الموافقة على القرارات التى يعلـنوها للشـعب وكونـوا محكمة المحلفين التى كان مقرها السوق . وقد استندت قوتهم وسلطتهم على ما كانوا يملكونه من الأراضى ومن قطعان الحيوانات . وإذا كان الأرستقراط قد اعتمدوا على سياسة الاكتفاء الذاتى بالنسبة لاسرهم فى البداية إلا أنهم بمرور الزمن مع قـيامهم و توسـعهم فـي استصلاح كل الأراضى التى يمكن استصلاحها وغرسها بالكروم

والزيــتون . قــد [illegible] التوسع الزراعي إلى فائض في الانتاج والذى كان يتم بيعه حيناً واقراضـــه حيناً آخر لصغار [illegible] المحتاجين والحصول على فائدة قدرها ٥٠ % من قيمة الكميات المقرضة وبضمان ممتلكات المقترض وشخصه وزوجته وابنائه.

لقد بدأت ظاهرة جديدة أيضاً وهى أن كبار الملاك وأولادهم واتباعهم الذين كانوا فى العصـــر الهومرى يعملون فى الأرض الزراعية وفى الحرف الأخرى قد أصبحوا الآن سادة يشــرفون علـــى الأرض ولا يعملـــون بهـــا ، ففى ظل النظم الشبيهة بالنظم الاسبرطية فقد وزعــت الأرض بيـــن الغـــزاة وأنزل السكان الأصليون إلى مرتبة المزارعين المربوطيـــن بـــالأرض ، ويحصـــل حائـــزو الاقطاعـــات على حصص محددة من الانتاج ، أما فى المدن الأخـــرى نجـــد أن كـــبار المـــلاك كانوا يعتمدون فى ادارة ضياعهم والقيام وانجاز الاعمال الزراعـــية المخـــتلفة على العمال " الأجراء الأحرار أو العبيد أو من أنزلوا فى درك العبودية نتـــيجة عجـــزهم عن سداد ديونهم . وقد كرس الأرستقراط وقتهم للخدمة العامة والتدريب العســـكرى الذى توارثوه عن الآباء والأبداد ، فقد كان الشريف وحده هو الذى عنده عدة وأســـلحة القتال كاملة والتى تجعله رجلاً من البرونز ، العربة والاتباع والحصان الذى يؤكد الســـمو فـــى مـــيدان المعـــركة ، ويقـــول أرســـطو أن قيام النظام الاوليجرخى كان طبيعياً والأرستقراط أصحاب الخيول كان لهم امتياز حمل السيف ، وعندما يموت الشريف كان يتم دفـــن أسلحته معه فى قبره . ونتيجة للسيطرة على مصادر الثروة والقوة فقد أمسكوا بزمام السلطة السياسية وتصريف شئون الدولة العامة.

لكـــن مع نمو التجارة والصناعة وما نتج عنهما من تزايد الثروات المنقولة فى أيدى الصناع والتجار الذين بدأوا في المطالبة للمشاركة في الحياة السياسية والخدمة العسكرية . وقـــد بـــدأت مشـــاركتهم في الخدمة العسكرية بالفعل بعد أن حدث تطور فى أساليب القتال والتسليح فقد ظهر نظام جنود المشاة ثقيلى العدة (hoplites) ونظام الفيالق . وتشير الأدلة الأثـــرية مـــن مقـــبرة فى أرجوس من نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع على وجود ملابـــس مشـــاة ودروع وآنـــية فخارية تعرض لطرق القتال الجديدة والقديمة ، كما تشير المصـــادر إلـــى أن فيدون طاغية أرجوس هو أول من أدخل نظام الفيالق ، فى بلاد اليونان

وقـد اسـتخدمه بالفعل ضد جيش أسبرطة فى موقعة هيسياى حوالى سنة ٦٦٨ ق.م وبدأ جيش المشاة فى ثوبه الجديد فى أغلب مناطق بلاد اليونان فى أن يكون هو الجيش النظامى ، وصار من الممكن لرجاله الادعاء بأنهم حماة الدولة ولم يكن الالتحاق بهذا الجيش قاصراً على الارستقراط بل كان يمكن لأصحاب الثروات المنقولة فى المساهمة فى هذا الجيش ، بل يمكن القول أن أغلب رجاله قد صاروا من هذه الطبقة ، ولذا فقد هددوا الوجاهة الاجتماعية والسياسـية للأرستقراط لأنهم رغبوا أن يشاركوهم فى الحياة السياسية ، ولذا فقد تحالفوا معـاً ضـد الأرسـتقراط ونجحوا فى الحصول على حقوق سياسية متساوية معهم وحقوقاً متسـاوية للثروة المنقولة والثابتة ولم يعد يفرق القانون بين النوعين من الثروة وإن بقى تملـك الأرض يمـثل وجاهـة ونبالة اجتماعية ، ولذا سنجد أن أصحاب الثروات المنقولة يحـاولون الحصول على ملكية الأرض ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وفي نفس الوقت فقد سعوا و تطلعوا إلي الاندماج و الانصهار في الطبقة الأرستقراطية القديمة و ذلك بالتصاهر معهـا ، وقد حدث تزاوج بين طبقة الأرستقراط كريمة المحتد وبين طبقة الأغنياء الجديدة اعـتماداً علـى ثـروتها ، فالنقود قد خلطت الطبقات ، ولكن سنجد أن بعض الاشراف قد اسـتنكروا هـذا الامـتزاج ، فقد عبر عن هذا الشاعر ثيوجنيس بقوله لم يزدر الرجال أن يـتزاوجوا مـن امـرأة وضيعة ابنة رجل وضيع لتجلب لهم أموالاً طائلة فالأموال هى التى يقدروهـا ، ولا تـزدرى المرأة الكريمة المحتد النوم فى سرير رجل وضيع المنبت إذا كان ثـرياً ولكـن تكـون مسـرورة أن يكـون غنياً بدلاً من أن يكون طيب المحتد .. وقد عبر هيسيودوس هو الآخر بقوله أن الفضيلة والعظمة يتبعان الثراء ويؤيد الشاعر الكايوس هذا الأمر بقوله "إن المال يصنع الرجال" .

لقـد أدى الاندماج بين الطبقتين إلى نوع من حكم الأثرياء (plutocracy) أو الحكم التيموقراطى. والمثال على ذلك والذى سنعرض له فيما بعد هو أثينا.

لقـد ظهرت آيات تراكم الثروة فى طرق حياة هذه الطبقة فى السلع والمواد النفيسة المسـتوردة مـثل السجاد الشرقى والصور والسرر المطعمة والمناضد المنقوشة والمقاعد المغلفة بالبرونز والفضة والذهب والعبيد الذين يحملون الأكواب المليئة بالمشروبات النادرة

والفاكهـــة الأجنبــية والنبيذ المعتق ، والملابس البديعة من معاطف وأردية طويلة ومشابك ذهبــية تثبــت الشـــعر الملفوف والأساور البديعة الصنعة والعطور النفاذة الرائحة وكانت النســوة يلبســن الخيطون المطرز ومن خلاله يمكن التعرف على بنات العائلات اللاتى كن يحصـــلن على دوطهن من الأرض الطيبة بينما قد أعطاهن الآباء ثروة منقولة كبيرة ، كما نجد أن الأسر كانت تبالغ فى التباهى فى الاحتفالات وفى المآتم وطقوس الدفن أيضاً ، فكان يلف الميت فى أقمشة رائعة ومعه قوارير العطور والجواهر وكانوا يضعون فى قبره تماثيل لمصففى الشعر ولخبازات وطباخين وعلى قبره كان يسكب الخمر من القارورات .

ب - الطبقة الوسطى :

كانــت هــذه الطــبقة تتكون من مواطنين يكسبون قوتهم من الأرض الزراعية ومن الحرف التى يمارسونها . فقد تكونت من صغار الزراع الريفيين وكان يطلق عليهم فى أتيكا طبقة الزيوجيتاى Zeugitai لأنهم يملكون زوج من الثيران الضروريين لانتاج مائتى مكيال من الحبوب . وفى المدن فقد كانت الطبقة الوسطى تتكون من الحرفيين المهرة ، وقد نجح بعــض أفراد هذه الفئة فى تكوين ثروات طائلة وانضموا إلى الطبقة الارستقراطية كما سبق ان ذكرنا ، بينما الفئة التى لم يحالفها الحظ والنجاح فى تحقيق الثراء فقد بقيت على حالتها المتدنية ، وكان من بين هؤلاء الحرفيين الاجراء وتجار التجزئة والبحارة ، كما شملت هذه الطبقة الرعاة .

لقــد كان لتقسيم الأراضى واستخدام النقود آثاره المدمرة على الشريحة الفقيرة من تلــك الطبقة ، فقد كان من الصعب على الرجل الذى عنده ما يكفيه بالكاد فى السنوات جيدة الانتاج أن يدبر أموره فى السنوات سيئة الانتاج وأن يواجه مطالب أسرته فى تلك السنوات العجـــاف ولمـــا كـــان كل شيء يشترى ويباع فقد قام بالاقتراض من المالك الكبير ، أو من أصحاب الثروات . وكان الاقتراض هنا مصحوباً برهن لممتلكات المدين وشخصه وكل أفراد أســرته لتأميــن حق الدائن. وكان المدين يعد محظوظاً لو قبل الدائن برهن ممتلكاته فقط . وإذا مـــا حـــان موعد السداد ولم يكن فى استطاعته رد الدين كانت تئول الملكية المرهونة

للدائــن ، وإذا ما كان هو وأفراد أسرته ضامنين أيضاً للدين فإنه يتم سلب حريتهم ويصبح مــن حــق الدائــن بيعهم فى سوق النخاسة فى الداخل والخارج بيد أنه كثيراً ما كان يترك الدائــن أو المــالك الجديد المالك السابق فى الأرض لاستغلالها مقابل حصوله على سدس المحصــول وكــان وضع هؤلاء فى اتيكا سيئاً للغاية ، وقد أدى هذا إلى كراهية شديدة بين الطبقة الثرية والطبقات الفقيرة .

لقــد كــان الأرســتقراط يملكــون كل مظاهر السلطة السياسية والدينية والعسكرية والقضــائية . وقــد فســروا الأعــراف والتقالــيد القانونـ ـية لصوالحهم وقد عبر الشاعر هيســيودوس عن هذا خير تعبير فنسمع فى شعره صيحة الأجيال التعسة فقانون الأقوى هو الــذى يســود وقد شبه الضعفاء بالعندليب بينما الأغنياء بالصقر . وأن الصقر ينقض على العندليــب فينشــب مخالبه فيه دون أن يستطيع أن يفعل له شيئاً . وقد حاول هيسيودوس جــاهداً أن يذكر الأغنياء بأن الإله زيوس يرسل ٣٠ الف رسول ليراقبوا الأحياء وأن ابنته العدالــة المعصــوبة تــبلغه كــل الآثام والظلم المرتكب. وقد حاولت بعض المدن أن تسن التشــريعات وأن تــدون القوانيــن الــتى تحد من تفاقم المشاكل مثل أثينا بينما استمسكت الارســتقراطية فى بعض المدن بالسلطة؛ ولذا فقد قامت عليها ثورات جامحة اطاحت بها . وســنعود للحديــث عــن تدويــن القوانين بعد أن نعرض بإيجاز لحال الطبقة الوضيعة فى المجتمعات اليونانية .

جـ ـ طبقة الأجراء والمزارعين المربوطين بالأرض والعبيد :

كانــت الأعــراف تضع الأجراء الأحرار فى منزلة وسط بين المواطنين كاملى الأهلية وغــير المواطنين أو بعبارة أخرى وضعت الأجراء فى طبقة وسط بين الرجل الحر والعبد و الــتعريف القانوني لهم أنهم مواطنون ناقصو الأهلية . فقد كان صغار الملاك يستعينون بهم فــى الزراعة كما نجدهم قد عملوا فى المنازل كما عملوا فى الصناعة ، وكان وضع هؤلاء العمال الأجراء سيئاً للغاية .

عرفــت المجتمعات الدورية على نطاق واسع نظام استعمال السكان المحليين لزراعة الأرض . فقــد ربط الغزاة الدوريون السكان المحليين بالأرض ، فقد وجد فى اسبرطة طبقة

الهــيلوتس ، وفــى كريــت المينويتاى Menoitai والكلاروتاى Clarotae ، وفى تساليا البنمســتاى Penestae ، وفــى مــناطق أخرى من اليونان وسنعود إليهم عند الحديث عن اسبرطة .

كانــت الطــبقة الحاكمــة مــن الغزاة الدوريين تحتفظ بحق حيازة وامتلاك الاراضى ورفضــت العمــل بها وأجبرت السكان المحليين على الارتباط بالأرض وفلاحتها ونظير ذلك يحصــلون على حصص ثابتة متفق عليها . وسنجد أن بعض هذه الطبقات قد قامت بثورات عارمــة ارهقت المدن الدول ، كما سنجد أن البعض منهم قد انضم إلى الشخصيات الناقمة على الحكم الارستقراطى والاطاحة به وهو ما سنعرض له فى الصفحات التالية .

وبالاضــافة إلــى المزارعين المربوطين بالارض وجد العبيد الذين احضروا إما من حملــة خارجــية ، أو تم شراؤهم من القراصنة فى أسواق النخاسة التى انتشرت فى طول وعــرض بلاد اليونان وبالذات فى أيونيا أو الذين استرقوا فى الدين ونلمس هذا فى لعنات أنبياء اليهود على اليونان الذين يحضرون العبيد إلى طرابلس وعلى الفينيقيين الذين سلموا أولاد اليهود للأيونيين .

وقــد ســبق الحديــث عن العبيد وعملهم فى العصور الهومرية . وكان عملهم هناك رعــى الحــيوانات والخدمة فى المنازل والمعاونة فى أعمال الزراعة والمساهمة فى غزل وإنــتاج مــا يحتاجه بيت السيد من أدوات وسلع . ولكن بعد أن تطورت الصناعة وأصبح الانــتاج موجه للسوق فقد وجدنا العبيد والعمال الاجراء يعملون فى الورش . ولكن بمرور الوقــت فقــد اعتمدت الصناعة بشكل اساسى على عمل العبيد مما قلص فرص العمل أمام الأحــرار . وكان عليهم البحث عن مصدر رزق آخر لهم ، وكان عليهم الهجرة والعمل فى صــفوف المرتزقة فى خدمة الدول الأجنبية . ولكن كانت أحوال هذه الطبقة أسوأ من أحوال سـ[illegible] فكان العبد على علاقة طيبة بسيده وعائلته وكان يمكن له أن ينال حريته وكان يتم معاملتــه بدون قســوة وتمــتع بقدر محدود من الحرية بالذات فى الأعمال الريفية كما كان بإمكانــه أن يقتصد رأسمال صغير لنفسه ، ولذلك كانت أوضاع العبيد فى العصر العتيق فى اليونان أفضل من أحوالهم فى عصر كاتو فى روما . ولكن على العموم فإن أحوال الطبقات

الحـــرة الوضيعة كانت تتسم بالبؤس وتعالت الصيحات بينها بإعادة توزيع الثروة والأرض الزراعـــية بين الأفراد . كما سنجدها تسعى للمطالبة بتدوين القوانين ، وذلك لكثرة المشاكل التى كانت تواجهها المجتمعات وذلك نظراً لتعقد سبل الحياة ونتيجة لاتساع المبادلات . وقد نجحـــت الطـــبقات الحـــرة فـــى فرض مطالبعها وضغوطها بتدوين القوانين ، ولكن تدوين الأعـــراف والتقالـــيد غير المكتوبة وجعلها قوانين معترف بها قد كان له آثاره على سيطرة الارستقراطية .

تدوين القوانين :

كانت القوانين عند اليونان قبل تدوينها عبارة عن أعراف وعادات الأسلاف والاحكام القضـــائية التى انتقلت من جيل إلى جيل لتنظيم المجتمع وتعاملاته وجعل الحياة المتحضرة ممكـــنة . وقد اطلق هوميروس على الأعراف القانونية (themestes) أو (dikai) والسمة التى ميزت الكوكلوبيس (Cyclopes) هى أنهم لا يوجد عندهم قانون (themestes) ، ويثير هيســـيودوس نفس النقطة عندما يقول أن الإله زيوس يمنح القانون dike للإنسان وليس للســـمك ولا للحـــيوان ولا للطير فقد كان تفسير هذه القوانين غير المكتوبة فى ظل كل من الحكـــم الملكى والارستقراطى مقصوراً عليهم . وكانت هيمنة الأرستقراط على إدارة العدالة والقضـــاء هـــى لحدى الدعامات التى اعتمدوا عليها ومن المعروف أنهم قد استخدموا هذه الســـيطرة لخدمـــة صـــوالحهم . وهذا ما تشير إليه الإلياذة إذ كان الإله زيوس يغضب من الرجال الذين يصدرون أحكاماً معللة (temestes) فى المجلس ويبعدون عن العدالة (dike). ويشير هيسيودوس إلى نفس النقطة مستنكراً أفعال الأمراء الأرستقراط الذين يأكلون الرشا ويصـــدرون الاحكـــام الجائـــرة المنحازة . ولا عجب أن ضحايا الاحكام الجائرة شعروا أن القوانين ، مهما كانت قسوتها ، ينبغى أن تخرج عن سريتها وغموضها . وقد عبر عن ذلك يوربيديس بعد عدة قرون عندما كُتبت القوانين بقوله "فإن الفقراء والاغنياء قد تساووا فى العدالـــة أمام القانون" . ودائماً ما يقال إن ضغط الجماهير هى التى أجبرت الأرستقراط على أن يذعـــنوا ويقـــبلوا قسراً نشر القوانين وبالتأكيد فإن عدم رضاهم كان عاملاً مثمراً ولكن

الجمـــوع كانـــت ، من الراجح ، ما تزال غير منتظمة وبدون قوة وأمية ، ومن المحتمل أن الضـــغط على الأرستقراط قد أتى من المواطنين من الطبقة الوسطى الذين من خلال الثروة المـــنقولة الحقـــوا بالخدمـــة العسكرية كجند مشاة ، وهذا ما يؤكده قول أرسطو أن أغلب المشـــرعين قد أتوا من الطبقة الوسطى ، كما أن ازدياد موارد الثروة وتنوع مصادرها وما نـــتج عن ذلك من تعقد سبل الحياة والمعاملات التجارية كانت من العوامل التى شجعت على تدويـــن القوانيـــن . كما أن من العوامل التى سرعت وساعدت على تدوين القوانين هى أن المهاجرين إلي المستعمرات اليونانيةكانوا يواجهون الكثير من المشاكل غير المسبوقة نظراً لاخـــتلاف أعراف قوانين المدن التى أتوا منها . وكان من الضرورى أن يتم صياغة قانون يكون مقبولاً من الجميع من سكان المستوطنة .

ومـــن المـــرجح أن غالبـــية المدن قامت بتنظيم ، وتدوين ونشر القوانين فى خلال القرنين السابع والسادس (ق.م) ، وكانت القوانين تنقش بشكل دائم على الخشب والبرونز والـــواح من الصخر وعلى جدران المعابد والمبانى العامة . وحيث أن هذه القوانين تعكس بدرجـــة كبيرة العرف المقدس للأسلاف عبر الزمن فإنه من الطبيعى أن نسمع عن القصص المـــثارة بـــأن الكثير من المشرعين قد ألهمت القوانين لهم بصورة مقدسة ، وهذا الشعور بـــالورع وأن القوانيـــن كانت وحياً فقد يساعد هذا على تفسير أن اليونان كانوا يعارضون تغيـــير قوانيـــنهم، ويروى لنا ديموسثينيس (Demosthenes) وآخرون رواية معروفة عن مديـــنة لوكريس بأنه إذا ما رغب شخص فى إدخال قانون جديد أو عدل قانوناً قديماً ، كان علـــيه المـــثول أمام هيئة مع حبل المشنقة حول عنقه ، فإذا ما رفض اقتراحه فإنه كان يتم شـــنقه فـــى الحـــال ووفقاً لهذه الرواية لم يتم تغيير إلا قانون واحد فى غضون قرنين من الزمان . ولسوء الحظ فإن أغلب هذه القوانين قد ضاع ولم يبق منه إلا القليل وهو المدون مـــنها فى المصادر الأدبية وهى عبارة عن الأحكام والعقوبات الصارمة لمختلف الاعتداءات ويقول الخطيب ديماديس (Demades) إن قوانين دراكون لم تكتب بالحبر ولكن بـــالدم. كما أن هـــذه القوانيـــن عالجت قضايا المواريث وزواج البنت من الأقارب فى حالة عدم وجود وريـــث ذكـــر . وقوانيـــن تخص معاملة العبيد والخدمة والإنفاق ... الخ . ووفقاً للروايات

العامة فإن زيلكلوس هو أول الشرعين وخارونداس (Charondas) من كاتانا بصقلية وقد قـيل عنه أنه كان معاصر لزيلكلوس ولكننا نعرف أنه قد عاش بعده بجيل أو جيلين . وقد ادعـت العديـد من المدن فى إيطاليا نسب قونينها لواحد من المشرعين السابقين ولكن من المـرجح أن قوانيـن لوكريس وكاتانا قد اقتبستها المدن الأخرى بدلاً من أن زيلكلوس أو خـاروندس هما اللذان قد شرعا قوانين خاصة لها. ولدينا عدد من اسماء المشرعين فقط ولكـن ما يوجد عندنا من معلومات عنهم فهو قليل وهم بيتاكوس (Pittacus) من متيلينى فـى جزيـرة لبسـوس ودراكـون وصولون من أثينا وليكورجوس من اسبرطة . لقد كان بيـتاكوس ودراكـون وصـولون يشـغلون مناصب تنفيذية فى حكومات مدنهم عن طريق الانـتخاب عـندما قاموا بسن تشريعاتهم و سنعود للحديث عن بعضهم وبشكل أكثر تفصيلاً فيما بعد .

وبعـد أن عرضـنا لسن القوانين ننتقل إلى ظاهرة من أهم ظواهر العصر العتيق ألا وهى ظاهرة حكم الطغاة الذين لعبوا دوراً فعالاً فى اضعاف سلطة وامتيازات الارستقراطية .

قيام حكم الطغاة

إذا كانت حركة الهجرة قد خففت التذمر السياسى ، والقلق الاجتماعى فى بلاد اليونان وأبقت لفترة طويلة على نظام الحكم الأرستقراطى ، فإنها قد أدت إلى نمو وتطور اقتصادى تبعه تغير فى التركيبة الاجتماعية فى أغلب المدن الدول ، كما أن اقرار النظام العسكرى الجديد (نظام المشاة الثقلى العدة) فى المدن اليونانية قد ساعد هو الآخر على منح بعض الحقوق لبعض الفئات من المواطنين، فقد قدم الحكم الأرستقراطى تنازلات منها إشراك الحرفيين والتجار فى الحكم نظراً لما حققوه من ثروة فاقت ثروة الأرستقراط بالمولد ، وقدم أيضاً الأرستقراط تنازلاً مهماً وذلك عندما سمحوا بتدوين القوانين ، ولكن بالرغم من هذه التنازلات فقد استمرت حالة عدم الرضا فى المجتمعات اليونانية وكان هناك صراع بين الأرستقراط والطبقات الأخرى وبين الأرستقراط والأرستقراط ، وهذه الصراعات قد أضعفت الحكم الأرستقراطى لأن الفئات الأقل قوة قد انضمت إلى الطبقات الدنيا الأخرى التى حرمت من الكثير من الحقوق السياسية بالإضافة لأحوالها الاقتصادية السيئة وكان البعض منها مهدداً بفقد حريته وليس عجيباً أن بعض الأفراد الطموحين (عادة من الأرستقراط) قد عملوا على اقتناص الفرص للاستيلاء على السلطة بالقوة وأسماهم اليونان بالحكام الاتوقراط (autocrats) الطغاة .

ولسوء الحظ تنقصنا المصادر الكافية لفهم نظام الطغاة الباكر وقد أطلق البعض على تلك الفترة "عصر الطغاة " وهذه التسمية مقبولة بشكل جزئى لأن حكم الطغاة كان منتشراً فى ربوع العالم اليونانى ، فقد عرفته مدن كثيرة مثل كورينثة وسيكيون وميجارا وأثينا ومتيليني وميليتوس وأفسوس وساموس وناكسوس ، وفى بلاد اليونان الكبرى - أى فى إيطاليا وصقلية – فقد ظهروا فى ليونتينى واجريجنتوم وكوماى وسيبارس وفى المدن القوية والثرية مثل سيراكوز ... الخ .

وفى الواقع فإن نظام الطغاة قد انتشر فى فترتين أولاها فترة عصر الطغاة الكبار الباكر والتى استمرت فى الفترة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن السادس على

الرغم من أنه استمر فى صقلية حتى عام ٤٦١ ق.م وثانيتها فترة عصر الطغاة المتأخرين والتى تبدأ بظهور قوة ديونيسيوس الأول فى سيراكوز سنة ٤٠٥ ق.م واستمرت حتى الغزو الرومانى للجزيرة فى القرن الثانى ق.م . وكان فى ظاهرته الأولى قد نشأ نتيجة لانكسار النظم الأرستقراطية ، بينما فى ظاهرته الثانية كان يمثل علامة على انهيار دولة المدينة .

لم تكن تسمية الطغيان (Tyranny) سيئة المعنى عند اليونان أول الأمر إذ لا يحمل معناها فى اللغة اليونانية أبداً أفكار الظلم والطغيان مثل لغاتنا الحديثة بل تعنى ببساطة لغوياً "حكم الرجل الواحد" وكان البعض من الكتاب قد أسماهم الملوك ولكن لم يكن حكمهم استناداً إلى حق الحكم الالهى والوراثة مثلما كان الحال فى الماضى استناداً لأحقية قانونية ، ولكن فقط استناداً إلى هيبتهم وقوتهم الشخصية ، كما اعتمدوا كذلك على وفاء واخلاص الطبقات الشعبية الدنيا لهم ، وعلى قوة عسكرية كبيرة مقاتلة تعضدهم وتدعمهم . وكان أرخيلوخوس هو أول من ذكر مصطلح طغيان عندما تكلم عن الملك جيجيس الليدى بقوله "أننى لا أهتم بثراء وذهب جيجيس الكثير ، أنا لست غيوراً من أعمال الآلهة وليس لدى الرغبة للطغيان العظيم" إن الكلمة هنا توضح الحكم المطلق خاصة وأن جيجيس قد اعتلى العرش اغتصاباً . وحيث أن الكلمة دخيلة على اللغة اليونانية وهى تعنى ملكاً ، فإنها تشير أيضاً إلى أن اليونان كانوا قد ربطوها بثراء الملوك الشرقى ، ولذا فإنه من الممكن أنها قد اقتبست من الليديين والذين كان لهم مع اليونان صلات وطيدة ، وفى بداية القرن السادس استخدم الشاعر الكايوس كلمة طاغية كى يصف بيتاكوس خصمه ولما كان بيتاكوس من الموظفين المنتخبين وليس طاغية بالمعنى الفنى المتأخر فإن الكايوس قد استخدم المصطلح كمصطلح سباب وقذف وهجاء . وفى نفس القرن فإن صولون وثيوجنيس قد استخدما الكلمة ليصفا أى شخص يملك سلطة مطلقة وأصبح مفهوم الكلمة بعد القضاء على طغيان أسرة بيزاستراتوس وبعد صد القوة الطاغوتية الفارسية التى كان قد تعاون معها أحد أبناء بيزاستراتوس . وهكذا فإن فكرة السلطة التى تتركز فى يد رجل واحد قد أصبحت مكروهة على نحو متزايد . وعلى الرغم من ذلك فإن مصادر القرن الخامس الأدبية وخاصة الشعرية

عـــندما كانت تستخدم الكلمة (Tyrant) كبديل لاستخدام كلمة ملك ، بيد أنها كانت تعنى فى بعض الأحيان "الشر" ، فقد كان بندار من بين من وضعهم فى بداية الأمر فى مرتبة الملوك الخيريـــن ، فقـــد ألقت قصائده ضوءاً عن حياة الطغاة ، وقد بدأ اعجابه بحكم الطغاة عندما أقـــام فـــى صقلية الثرية حيث كان حكم الطغاة قد اتخذ مظهر الجلال والهيبة الملكية ، ولم يـــنظر بندار إلى كل من هيرون وثيرون على أنهما محدثا نعمة شقا طريقهما إلى السلطة ، وإنمـــا نظر إليهما كملكين بكل ما للملوك من سحر الماضى البطولى ، ملكان تعرض حظهم فى الواقع لحسد الحاسدين واعجاب المعجبين إذ نجده يقول "يعظم شأن انسان ما بشكل من الأشكال ... ويعظم شأن انسان آخر بشكل آخر مغاير ... إلا أن الملوك يعتلون الذروة دون الجمـــيع ... فـــلا تنظر إلى ما هو أبعد من ذلك ... اتوسل إليك ، علك تمضى فرحاً ... بكل أيـــام حـــياتك". لقد شعر بندار أن بوسع الملوك "الطغاة" أن يأتوا بما لم يستطع غيرهم من الرجال أن يأتى بمثله من ممارسة فضائل عريقة ، من فضائل الكرم وحسن الوفادة ، وبهذا يصبحون مهيئين بدرجة خاصة لحياة خيرة ، ولكنه شعر كذلك أن وضعهم الرفيع لم يفرض عليهم التزامات خاصة فحسب وإنما عرضهم كذلك لاخطار من نوع خاص .

إلا أننا نجد أن بندار قد غير نظرته المنبهرة بالطغيان فقد بدأ يدرك أن هناك نقيصة مـــا فى هذا النظام ولم يعد راضياً عنه فقد اكتشف ما يسود أجواء حكم هذا النظام من ظلم وجـــور وكـــره ما شاع فى أيامه من مكائد رخيصة ونفاق مسف ولم يكن بندار هو أول من نظـــر هـــذه الـــنظرة لحكـــم الطغيان ففي الواقع فقد خالج على ما يبدو ابيكوس واناكريون وســـمونيديس الوسواس والشك بشأن حكم الطغاة بجيل أو جيلين قبل كما نجد أن الشاعر ثيوجنـــيس الارستقراطى المحتد لا يرى خطأ فى الاطاحة بطاغية يلتهم قوت الشعب" . كما نجد الشاعر الكايوس يهزأ من الطاغية بيتاكوس (Pitacus) باعتباره من السوقة و محدث نعمـــة ويسخر من قدمه المسحاء ومشيته المستعلية وكرشه المنتفخ وسوء خلقه الشخصى وعادات السكر والعربدة .

كمـــا وجهـــت اتهامات أخرى من كل الكتاب القدامى و على درجة تخصص الفلاسفة للطاغـــية مثل : أن الحسد والاستعلاء يهيمنان على دوافع وسلوك الطاغية ، وأنه يغير فى

التقاليد القديمة لأنه لا رقيب عليه ، وأنه يغتصب النساء ويقتل الرجال دون محاكمة . فقد وصف فلاسفة القرن الرابع نظام الطغيان بأنه شكل من الحكومة الشريرة والتى سيطر فيها رجل على السلطة بالقوة وحكم مطلق غير مسئول أمام أى سلطة وبدون الأخذ فى الاعتبار قوانين الدولة . إذ يصور افلاطون الطاغية بأنه انسان سيطر عليه الخوف والرغبات الغير مشروعة وأنه يوجد حوله حالة من الدمار تماثل فى الضخامة ما فى روحه من دمار ، ويصور لنا أرسطو وضعاً قائماً لحكم الطغاة بأقواله وهى على النحو الآتى : والطغيان لا يفكر إلا فى الاثراء الذى هو وحده يكفل له بالضرورة أمانة الاتباع والاستمتاع بالزينة ، والطغيان يخاف أيضاً من الجماعات فينزع منهم حق اقتناء السلاح ، وإيذاء الشعب وابعاد المواطنين من المدينة وتشتيتهم ، فهو بمثابة الجلاد الخفى والعلنى الذى يدمرهم ، وتلك الصنوف من النفى التى يسلطها عليهم بحجة أنهم عصاة للسلطان واعداؤه لأنه يعرف أن من بين صفوف الطبقات العليا تخرج المؤامرات ضده ... و يستطرد فى وصفه لحكم الطغاة بقوله والطغيان كان يقضي على كل من يحمل نفساً عزيزة لأنه يظن أنه الوحيد الجدير بأن تكون له هذه الخلال السامية والتى يجب أن تكون له وحده . إذن فالطاغية يكره كل تلك الطبائع الشريفة وينظر إليها على أنها اعتداء على سلطانه" .... ، ويستطرد قائلاً "وللحفاظ على سلطانه كان يسعى للقضاء على كل تفوق يرفع رأسه والتخلص من الرجال أولى الألباب ومنع الموائد العامة والاجتماعات وحظر التعليم وكل ما يمت بسبب إلى التنور اعنى ابقاء كل ما يؤتى عادة شجاعة وثقة بالنفس ومنع ضروب الفراغ وجميع الاجتماعات التى قد يجد فيها المرء تسليات مشتركة ، وعمل كل ما من شأنه أن يظل الرعايا يجهل بعضهم بعضاً لأن العلاقات تجلب الثقة المتبادلة ... كما أن الطغاة حريصون على معرفة تنقلات المواطنين مهما قلت قيمتها ولكراههم بوجه ما على ألا يجاوزوا أبواب المدينة حتى يكون الطاغية على علم بما يعملون وتعويدهم بواسطة هذا الاستعداد المستمر للضعة ووجل النفس ، وكما كان الطغاة يحاولون العلم بكل ما يقال وكل ما يفعل من جانب رعاياهم ، أن يكون لهم جواسيس أشبه بتلك النسوة اللاتى يسمين فى سيراكوز أولات السعاية وأن يبعثوا كما فعل هيرون ، أما سماعين فى الجماعات وفى المجالس لأن المرء يكون أقل صراحة حينما يخشى الجاسوسية وأنه إذا تكلم فقد علم كل ما يقال ..." كما أن الطغاة كانوا

حريصـــين على بذر الشقاق والنميمة بين المواطنين والايقاع بينهم وإثارة حقد الشعب على الطـــبقة العليا التى يجتهد للتفريق بينها" ... كما كان للطغيان مبدأ آخر وهو "افقار الرعايا حـــتى لا يكلفـــه حرسه شيئاً من جهة ، ومن جهة أخرى أن الرعايا وهم فى شغل لتحصيل قـــوت الطاغـــية إذ يشـــغل الشعب ويمسكه على الفقر ويفرض الضرائب الباهظة كما فعل ديونيســـوس ... ويعتمد الطاغية فى بقائه فى السلطة على الارتياب الدائم فى اصدقائه لأنه يعلـــم حق العلم أنه إذا كان الرعايا يودون اسقاط الطاغية فإن أصدقاءه على الخصوص هم الذين فى مكنة من ذلك ... ويقرر الطاغية الحرب ليشغل بها نشاط رعاياه ويلزمهم الحاجة المســـتمرة إلـــى قـــائد حربى". ... ويستطرد قائلاً : ويبيح الطغاة الاباحة للنساء فى داخل العـــائلات أن يخن أزواجهن ، وإباحة العبيد أن ينمو على أسيادهم لأن الطاغية ليس له ما يخشـــاه من العبيد ومن النساء ، فإن العبيد مادامو يتركون يعيشون على هواهم كانوا نعم الانصار للطغيان والديماجوجية ، وقد يجعل الشعب من نفسه حاكماً بأمره" ... وكان الطغاة يستمتعون منذ مطلع الشمس وطوال أيام متتالية بل يريدون أن يعلنون خلاعتهم تحت أعين المواطنيـــن جمـــيعاً ، لا يحـــب الطغاة إلا أشرار الناس لأنه على التحقيق يحب التملق" ... "ومـــن عادة الطاغية أن يدعو لمائدته وأن يقبل فى بطانته الخاصة أجانب باعتبارهم أولى بذلك من المواطنين ، فإن هؤلاء عنده أعداء له وأولئك ليس لهم من سبب يحملهم على أن يعملوا ضد سلطانه".

ويجمل أرسطو فى النهاية أهداف الطغيان ومثالبه على النحو الآتى :

١ – خفض المستوى الأخلاقى للرعايا لأن النفوس الوضيعة لا تفكر أبداً فى الائتمار.

٢ – اعـــدام الثقة بين بعض المواطنين والبعض الآخر لأن الطغيان لا يمكن القضاء عليه إلا بمقـــدار مـــا يســـتطيع المواطنون الاتحاد فى المشاورة ، ومن أجل ذلك يطارد الطاغية الأخـــيار من الناس باعتبارهم أعداء سلطانه مباشرة لا لأن هؤلاء الرجال يرفضون كل استبداد باعتباره مهيناً بل أيضاً لثقتهم بأنفسهم ولثقة الأخيار بهم . وأنهم لا يستطيعون أن يخون بعضهم بعضاً ولا يقربون الخيانة فى أى أمر كان .

٣- يقصد الطاغية إلى اضعاف الرعايا وافقارهم لأن المرء لا يكاد يحاول أمراً محالاً وبالنتيجة لا يتصدى للقضاء على الطغيان حين لا يكون له وسائل اسقاطه.

٤- يتظاهر الطاغية بأنه يعنى كل العناية بالاشتغال بالمنافع العامة ولا يظهر أبداً بمظهر المبذر في الهدايا الثمينة التي يتكلف الشعب شديد الكلفة في تقديمها له والتى يستخلصها هو من اتعاب رعاياه وعرق جباههم ليبذرها على الحظايا و الأجانب والفنانين الجشعين .

وإذا ما أجملنا تصوير أرسطو لمثالب الطغيان فهى على النحو الآتى : يصور لنا أرسطو كيف يصبح الطغاة أدوات للمتملقين وأنهم يدمرون ثقة رعيتهم وطمأنينتهم ببث الجواسيس بينهم وأنهم ينخرطون فى اللذات الحسية وينعمون فى ارضاء شهواتهم ويفضلون اشرار الناس على خيارهم بل هم فى الواقع تجسيد حى للظلم والجور وبذر بذور الشقاق والنميمة بين المواطنين والايقاع بينهم وافقار الرعايا وجعلهم فى شغل لتحصل قوت يومهم فلا يجدون من وقت ما فيه يتآمرون، ونشر الاباحية بين نساء الطبقة العليا وأن يخن أزواجهن والاباحة للعبيد للنمو على أسيادهم ، والاعتماد على الاجانب ، ومثل هؤلاء الطغاة هم الذين يستولون على السلطة فى حالة تقاعس الاقليات الغنية أو الديمقراطيات عن المتابعة اليقظة ورعاية شئونهم ويستطرد فى وصفه للطاغية بأنه قائد الجموع (ديماجوجى demagogue) ، وقد أمسك بالسلطة العليا ، وقد تأثر نفر من الكتاب المحدثين بوجهتى نظر كل من أفلاطون وأرسطو باعتبار أن حكم الطغاة يعد أسوأ أشكال الحكم ، فقد كانت كلمة "الطغيان" قد تجاوزت فى عصريهما استخدامها الأصلى ، فقد تخرجت وتولدت عنها ايحاءات مرذولة شاعت معرفتها وتأصلت جذورها . وساير البعض أرسطو فى قوله بأن الطاغية هو قائد الجموع ، ولكن من الجدير بالذكر أن أرسطو وكل من تبعه من الكتاب المحدثين ، فى الواقع ، قد تأثروا بهذا المفهوم لحكم الطغاة فى عصرهم فى صقلية ، إذ يبدو من المؤكد أن من المفارقة التاريخية أن نتحدث عن الديماجوجى فى القرنين السابع والسادس وذلك لسبب بسيط وهو أن الشعب (demos) لم يكن حتى الآن قد نظم على نحو كاف كى يقدم اتباع للزعيم الديماجوجى . كما أن أرسطو

نفســـه قد ذكر أن هناك بعض الظروف التى تولى من خلالها الطغاة الحكم وصاروا طغاة . فـــنجده يقـــول "أن بعضـــهم لـــم يكـــن إلا ملوك انتهكوا قوانين البلاد وطمحوا إلى سلطان استبدادى وأن بعضهم الآخر كانوا رجالاً وصوليين بلغوا أن ينتخبهم الناس للمناصب العليا لأن الشعب فى الماضى كان يعطى جميع المناصب الكبرى وجميع الوظائف العليا مدة طويلة . والـــبعض مـــنهم قـــد أتـــى الحكم من خلال تعيين الحكومات الاوليجرخية لهم فى وظائف سياســـية هامة للغاية . والأمثلة على هؤلاء فيدون فى أرجوس فقد ظهر على أنه ملك فى القـــرن الثامن قبل الميلاد ويعتبر أنه كان طاغية مقدام للغاية فى الحذق ويقال أنه أنشأ فى البلوبونيز وحدة المكاييل والموازين وأنه أول من سك النقود ، ثم الطغاة الذين شغلوا أسمى المناصـــب طغـــاة ايونـــيا وفـــالاريس ومن هؤلاء فانتيوس فى ليونتيوم ، وكيبسيلوس فى كورينـــثة ، وديونيسوس فى سيراكوز . هذا فضلاً عن أنه فى موضع آخر يذكر لماذا طال حكـــم بعـــض الطغاة وهنا يناقض نفسه بأنهم كانوا خيرين . إذ نجده يقول أن أطول طغيان بقـــاء كـــان طغيان أورثاجوراس وذريته فى سكيون ، فقد بقى مائة عام وذلك لأنهم عرفوا كـــيف يديـــرون أمـــور رعاياهم بحذق وأن يخضعوا هم أنفسهم فى كثير من الأشياء لسير القـــانون . كمـــا يستطرد قائلاً "إن كليسثينيس قد اتقى الهوان بكنايته الحربية وصرف كل عناية إلى كسب محبة الشعب بل ذهب كما يقال إلى أن توج بيديه القاضى الذى نطق بالحكم عليه لصالح خصمه وإذا صدقت الرواية فإن التمثال المقام فى الساحة العامة هو تمثال ذلك القاضى المستقل ، ويقال أيضاً أن بيزاستراتوس رضى لنفسه أن يُعلن قضائياً أمام المحكمة . كما يستطرد فى ذكر أسباب طول حكم أسرة كيبسيلوس فى كورينثة لفترة ٧٣ سنة وستة أشـــهر هى ذاتها التى كان قد اتبعها طغاة سيكيون هذا فضلاً عن محالفة كيبسيلوس للشعب وأنـــه كـــان نصيره ولم يشأ البتة طوال مدة ملكه أن يكون له حراس . وهكذا فقد اكتسب مصطلح طاغية مضامين معقدة .

وأمـــام ظاهرة الانتشار الواسع لحكم الطغاة فقد تعددت الآراء حول أسباب ظهوره ، علـــى الرغم من أن الظروف تختلف من مكان إلى مكان ، و نعرض لهذه الآراء على النحو الآتى :

١- يـرى البعض أن فكرة حكم الطغاة قد جاءت إلى بلاد اليونان من ليديا ،حيث قلدوا حكم ملكها جيجيس .

٢ - يرى البعض أن السبب الرئيسى وراء انتشار حكم الطغاة كان معاداة الاحتكار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والدينى للطبقة الأرستقراطية ، وأن الطغاة كانوا أنصاراً للطبقة الأقـل امتـيازاً معاديـن للطبقة الأرستقراطية أو مؤازرين لعامة الشعب ضد الحكومات الفاسدة .

٣- يرى البعض الآخر أنه فى مدن البلوبونيز قد نجح عنصر السكان الأصليين فى الوصول إلـى سـدة الحكـم من خلال بعض الطغاة الذين كانوا كأبطال لهم وقادوهم فى صدامهم وصـراعهم مع الأرستقراطية الدورية . أى أن الطغاة كانوا مدافعين عن حقوق السكان الأصليين القومية ضد الفئات الحاكمة من المهاجرين .

٤- يـرى الـبعض أيضاً أن ظهور واستخدام المشاة ثقيلى العدة (Hopletes) قد جعل من شـاركوا فـيه يطالبون بالمشاركة فى شئون مدنهم ، وذلك من خلال رجال ناضلوا من أجـل هـذه الطـبقة الحديثة الثراء من تجار وصناع فى الصراع من أجل كسر شوكة الأرسـتقراط والقضاء على امتيازاتهم وهؤلاء الرجال هم الطغاة . فالبعض منهم – مثل بيزستراتوس – كانوا قادة عسكريين قبل أن يصيروا طغاة .

٥- ويرى البعض الآخر أن الطاغية هو نبيل نهاز للفرص الذى يمسك بزمام السلطة نتيجة للصراعات بين الأسر الأرستقراطية . أو نتيجة تعرض الدولة للخطر

٦- نظـر المؤرخون الماركسيون إلى الطغاة على أنهم القادة الملهمون الذين قادوا اتباعهم من العامة فى انتفاضة ناجحة ضد سادتهم الرأسماليين .

٧- ويـرى الـبعض الآخـر أنهـم كانوا من النبلاء وأحياناً كانوا من العامة والذين تولوا السلطة كقادة للجمهور وهذا هو الديماجوجى .

وبعـد عـرض هـذه الآراء نتسـأل و نقول لماذا كان هذا التعدد ؟ نقول أن طبيعة المصـادر القديمـة كانت وراء تعدد الآراء فيمكن لأى من أصحابها أن يجد فيها ما يعضد

أراءه وتفسـيراته . ولذا ينبغى أن نتناول معلومات تلك المصادر بحيطة وأناة ، فعلى سبيل المـثال ، نجـد هيرودوت قد قدم وصفاً للعديد من الطغاة، ولكن هذا الوصف لم يكن لطغاة معاصـرين له بـل كان قد مر على طرد بعضهم ثلاثة أجيال أو أكثر ، وبعضهم كان قد مر علـى طرده جيلين مثل أسرة بيزاستراتوس . وما وصل لهيردوت هو روايات مصطنعة إلى حـد ما ومركزة حول حياة الطغاة ، كما نجد فى كتابات كل من أفلاطون وأرسطو كثيراً من المناقشـات حول الطغاة ، ولكن ينبغى علينا أيضاً استخدامها بحذر وحرص شديدين ، فكل مـنهما كـان متأثراً فى مفهومه حول الطغاة بطراز الطاغية الديماجوجى المعاصر لهما . . وعـندما تكـون طبيعة المصادر على هذا النحو فإنه من السهل أن نفهم لماذا تكون المادة المكتوبة والتفسيرات حول الطغاة المبكرين والتى قدمها الباحثون المحدثون قد تباينت بشكل كبـير ولمعـرفة أسـباب قـيام وانتشـار الطغيان علينا أن ندرس بعض شخصيات الطغاة المعـروفة جـيداً إلى حد ما . وهذا قد يؤدى إلى معرفة البيئة التى عاشوا فيها والظروف الـتى أدت إلـى إمسـاكهم بزمام السلطة . وبعدها نعرض لاسباب وصولهم و إقامتهم حكم الطغاة ! و لكن قبل الحديث عن ذلك نعرض لمسألة تاريخ نشأة النظام .

يختلف الكتاب القدامى حول تاريخ نشأة حكم الطغاة فى المدن اليونانية ، فعلى سبيل المـثال يرى أرسطو أن تاريخ نشأة الطغيان فى أرجوس يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد ووفقـاً لكل من يوساب وباوسيناس فإن الطغيان قد نشأ فى النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد . ويختلف الكتاب القدامى أيضاً حول نشأة هذا النظام فى كورينثة فيرى القديس جـيروم أن حكم كيبسيلوس قد بدأ فى كورينثة سنة ٦٥٩ ق.م بينما يرى يوساب القيصرى أن فـترة طغـيانه قد بدأت ٦٥٨ ق.م. ويختلف الباحثون المحدثون تبعاً لذلك فى تقديرهم لتاريخ نشأة هذا النظام فى المدن المختلفة فالبعض يرى أنه قد نشأ فى كورينثة سنة ٦٥٨ ق.م وفـى سـيكيون سنة ٦٥٦ ق.م اعتماداً على أقوال أرسطو . بينما يرى نفر آخر وهم أصـحاب نظـرية المشاة ثقلى العدة أن هذا النظام قد بدأ فى كورينثة وسيكيون سنة ٦٥٠ ق.م. وفـى مـيجارة قـبل سنة ٦٣٢ ق.م ، ويرى البعض الآخر أن هذا النظام قد نشأ فى كورينـثة سـنة ٦٢٠ ق.م وأنه قد نشأ واستمر فى سيكيون فى الفترة من ٦٥٥ ـ ٥٥٥

ق.م تقريبا . ولكن وثيقة بردية نشرت سنة ١٩١١ تقدم دليلاً وإن كان غير مقنع على أن تاريخ نشأة النظام وبقائه فى سيكيون ينحصر فى الفترة من ٦١٠ و ٥١٠ ق.م . وسنحاول أن نبدأ بالحديث عن نشأة النظام فى كورينثة [١].

---

(١) كانت كورينثة تمثل ثالث قوة سياسية وحضارية بين المدن الدول فى اليونان بعد كل من أثينا وأسبرطة ، وتاريخهـا المبكر يكتنفه الغموض والابهام اذ يبدأ بالأساطير غير المؤكدة ، إذ ينسب أهل كورينثة اسم مدينتهم إلى كورنثوس ابن الإله زيوس ، بيد أن اليونان قد سخروا من هذا الزعم واعتبروه محض افتراء من جانب الكورنثيين . كما أن الأساطير هى مصدرنا عن أسرها الحاكمة أيضاً ، ولولاها أسرة قديمة ساعدها هيلوس رب الشمس على الجلوس فوق العرش وأنه لما مات آخر ملوكها دون أن ينجب وريثاً فقد أرسل أهل المدينة شاباً مغامراً اسمه ياسون Jason ليستكشف منطقة البحر الأسود وليأتى منها بملك ، وبعد رحلته الأسطورية الشاقة عاد ياسون ومعه أميرة اسمها ميديا (Medea) من أهل المنطقة وأجلست على العرش وتزوجت من ياسون الذى أصبح يحكم المدينة باسمها ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما بسبب رغبته فى الزواج من أخرى ولما هجرها اسلمت العرش لملك وطنى جديد هو سيسيفوس (Sesyphos) وبهذا بدأت أسرة ملكية جديدة ، ويبدو أن هذا الملك كان شخصية تاريخية بالفعل فقد صار اسمه انموذجا للمكر والدهاء وعده الكورنثيون من أشجع الأبطال وملك لا يقل عن الآلهة قوة وعظمة ، بينما صوره هوميروس يقضى عقوبة شاقة فى الجحيم كما سبق أن أسلفنا . كما تتكلم الأساطير عن حفيده بللروفون (Bellerophon) الذى استطاع أن يأسر الجواد الأسطورى المجنح بيجاسوس (Pegasus) وهو يشرب من ينبوع ماء فوق الاكروكورنث ، وكان ذلك بمساعدة الربة أثينا التى أعطته لجاماً وشكيمة من ذهب ليمسك به ليستخدمه فى مغامراته البعيدة ، وفقاً للروايات ، فقد شارك أحفاده فى حرب طروادة بجانب الآخيين ضد الطرواديين .وعندما غشت الهجرة الدورية المدينة تم طرد تلك الأسرة الملكية وحلت محلها أسرة باكخياس الملكيةولكن سرعان ما تم خلع هذه الأسرة من- قبل العشيرة الباكخادية الاوليغرخية واجبرت الأسرة الملكية المخلوعة على الهجرة إلى خارج كورينثة حيث أسهمت مع المهاجرين الكورينثيين فى تأسيس كل من كوركورا وابيدامنوس وسيراكوز ، وقد حكمت العشيرة الملكية الباكخيادية قرابة مائة وأربعين عاماً . وازدادت كورينثة قوة فى عهدها ، فقد بنت أسطولاً قوياً ويقال أن الكورنثيين هم أول من صنع السفن ذات الثلاثة صفوف من المجدفين ، ونتيجة لقوة هذا الأسطول فقد نشروا نفوذهم فيما وراء البحار وعلى الطرق والممرات البحرية ، كما أنهم قد طهروا البحر من القراصنة، وكان ثمرة هذا أنهم قد فرضوا الاتاوة على السفن التى تمر فى الممرات والطرق التى سيطروا عليها . وقد ازدهرت كل من تجارتها وصناعاتها وخاصة الأنية الفخارية التى ذاع صيتها فى جنبات العالم القديم .

بعـد قضاء العشيرة الباكخيادية (Bacchiads) على سلطة الأسرة الملكية فيها ، فقد حلـت محلها في السلطة وبالامساك بزمام الأمور في المدينة واعتمدت تلك العشيرة في ذلك علـى التقالـيد والـثروة الـتى يستخرجونها من الأرض . وإبان فترة حكمهم فقد أرسلت كورينثيين مسـتعمرين إلـى كوركورا وسيراكوز سنة ٧٣٤ ق.م وهى الخطوة التى حلت مشـكلة نقص الأرض . وقد ازدهرت صناعتها أيضاً وهذا ما كشف عنه الفخار الكورينثى الهندسـى وقد عثر عليه في المينا في الشرق واتروريا في الغرب . وكان الفخار الكورينثى هـو المهيمن في الغرب وينبغى أن تكون ثروات الحكام الباكخاديين قد زادت على نحو كبير سواء من التجارة ، أو الصناعة، أو من الرسوم التى حصلوها على الواردات والصادرات ، ولكن من المرجح أن هناك فئات كورنثية أخرى اشتغلت بالتجارة والصناعة .

بدأت الأسرة الباكخيادية تلاقى بعض المتاعب والصعاب ابتداء من النصف الأول من القـرن السابع ، فقد استرجعت ميجارا بعض الأراضى التى كانت تستولى عليها كورينثة ، ومـن الممكـن أن الكورنثيين قد عانوا في صراعهم مع فيدون حاكم أرجوس ، وقد زادت المصـاعب فـى سـنة ٦٦٤ ق.م عندما خاضوا حرباً بحرية مع كوركورا وهذه المصاعب والنكـبات التى لاقتها كورينثة والتى لعلها قد تكون قد أثرت بشكل كبير على تجارتها وأثر ذلـك علـيها هذا فضلا عن زيادة السكان وما نتج عنها من مشاكل بالمدينة. وفي ظل هذه الظـروف كانـت الأحوال مهيأة للقضاء على تلك الأسرة الأوليخرخية الحاكمة . وكان ذلك علـى يـد الطاغية كيبسيلوس (Cypselus) والذى أسس أسرة حكمت ما يزيد على سبعين عامـاً ، وكـان كيبسيلوس ابناً لامرأة تدعى لبدا ابنة امفيون (Amphion) من أسرة من الأسـر الباكخـيدية النبـيلة والتى كانت منغلقة على ذاتها فقد كان أفرادها يتزاوجون مع بعضـهم بعضـاً ، ولمـا كانت أمه عرجاء فقد رفض الزواج منها رجال عائلتها ، ولذا فقد تزوجت من رجل يدعى ايتيون (Aetion) اللابيثى (Lipiths) الأصل ، ويرجح أنه كان من السـكان الأصـليين قبل الغزو الدورى الذين قاتلوا الكنتوروس. ويقول هيرودوت ونيقولاس الدمشـقى أن النـبوءة قد حذرت الأسرة الباكخيادية من أن وليد لبدا وايتيون سوف يكون سبباً فى القضاء عليها. ومن ثم فقد حاول أفراد الأسرة الحاكمة قتل الطفل ، و لكنهم سلموا

مـــن الأم الـــتى نجحت فى إخفاء وليدها فى جرة ، أو صندوق (kypsele) ، ويمكن التعليق على قصة اخفائه فى صندوق بأنه قد تم اختراعها لشرح اسم كيبسيلوس ولكن بقيتها تحمل الصـــدق . فقـــد كان آل باكخياس مثال للأسرة الأرستقراطية والاسم يظهر أنهم قد انحدروا مـــن جد واحد ، أما ايتيون فإنه ينحدر من السكان الأصليين قبل الغزوى الدورى حيث أنه يدعـــى أنـــه ينحدر من "Lapiths". ووفقاً لرأى البعض فقد برز كيبسيلوس كقائد للسكان الأصـــليين وأن هـــناك توتـــر بيـــن مدينة كورينثة وبين توابعها من القرى وأنه كان قائداً وزعـــيماً لـــرجالات القرى . بينما يرى البعض الآخر أن كيبسيلوس وقد فر بعد صباه إلى أوليمبـــيا ووصل إلى طور الرجولة ، وعندما صار رجلاً فقد تلقى نبوءة دلفية والتى دعته بملـــك (baisleus) كورينـــثة ووعدته بأن يخلفه ابناؤه من بعده فى نفس الوظيفة . وليس احفـــاده . وعـــندما عـــاد إلى كورينثة فقد أصبح البوليمارخ "الحاكم العسكرى" ووفقاً لهذه الوظـــيفة كان على كيبسيلوس وطبقاً للقانون أن يسجن الناس الذين أدانتهم المحكمة وكان يفـــرض الغرامات المناسبة ولكن بمعاملته اللطيفة للمذنبين فقد قرب نفسه للناس، وأنه قد اســـتغل الكراهـــية للأسرة الحاكمة ككل وقام بتنظيم مجموعة من الاتباع واحتل مقر الحاكم وخلعه ثم عينه الشعب ملكاً . ويضيف هيرودوت قائلاً أنه "قد عاقب الكثير من الكورنثيين وصـــادر ممـــتلكاتهم كمـــا أنه قد طرد آل باكخياس من كورينثة والذين ذهب نفر منهم إلى كوركـــورا ، بيـــنما نجد أن واحداً منهم وهو ديماراتوس (Demaratos) ذهب مهاجراً إلى اتـــروريا حيث استقر به المقام فى تاركوينى مع نفر من الحرفيين الكورينثيين . وبعد حكم اســـتمر ثلاثيـــن عاماً فقد مات موتة سعيدة وترك الحكم لابنه بيرياندر (Periander) ومما سبق نستخلص النقاط الآتية :

١ - أن كيبســـيلوس كـــان زعـــيماً للقرويين من السكان الأصليين على الرغم من انتسابه للأســـرة الباكخادية ولكن هذا قد يكون مجافياً للحقيقة لأنه لم ينظر إليه على أنه غريب عن الأسرة و إلا لما وصل إلى وظيفة القائد العسكرى .

٢ - أن كيبســـيلوس لم ينظر إليه كطاغية ولكن كخليفة للحاكم من الأسرة الباكخيادية ومن الممكـــن أن هدفه أن يعيد الملكية إلى الشكل الوراثى الذى كان عليه من قبل أن تصبح

وظيفة سنوية ومحتكرة من العشيرة الباكخيادية .

٣- أن كيبسيلوس قد تملق الشعب فكان يرمى أن يستولى على الحكم . وبعد استيلائه على السلطة فقد صادر أملاك الكثير من الكورنثيين والمقصود هنا أفراد الأسرة الحاكمة السابقة . وهذا ما دفع البعض من الكتاب ومنهم هيرودوت لأن يصفه بأنه كان قاسياً عنيفاً ، متسلطاً ، كبح حرية الناس بالقمع ، وطرد النبلاء بالقوة ودفعهم للهجرة خارج البلاد ، وأنه قتل زوجته، وعلى العكس من هذه الصفات فقد وصفه البعض الآخر ومنهم أرسطو بأنه كان حاكماً عادلاً أحبه الناس ووثقوا فيه ووثق هو بدوره فيهم ، فكان يسير فى الطرقات والأسواق دون حراس حوله وأنه كان مسالماً لا يميل للقتال وأنه كرس جهده فى إقامة المستوطنات فى كل من جنوب إيطاليا وصقلية ، وكانت علاقته طيبة مع كهنة معبد الإله أبوللو فى دلفى حيث أقام بناء لخزن الهبات والقرابين وقدم الهدايا للكهنة كما أقام علاقات ودية مع مملكة ليديا .

خلفه ابنه بيرياندر فى الحكم لمدة أربعين عاماً ، وتقدم لنا الروايات المأثورة صورته كحاكم يتنازعه الخير والشر ، و على ما يبدو أنه قد بدأ حياته معتدلاً أكثر من والده ولكنه ما لبث أن تغير نحو التشدد وفقاً لهيرودوت ، فقد صار أكثر عدوانية وقسوة بعد أن تلقى نصيحة ثراسيبولوس (Thrasybulos) طاغية ميليتوس ، فقد أرسل بيرياندر رسولا إلى ثراسيبولوس يسأله عن أفضل طريقة للحفاظ على حكمه، فقاد ثراسيبولوس الرسول إلى حقول الحبوب وقطع السنابل الأطول ، وعندما عاد الرسول إلى كورينثة قدم تقريراً عن هذا لبيرياندر، ومن ثم فقد فهم الأخير مغزى الأمر فقام بقتل ونفى المواطنين المرموقين ويضيف هيرودوت قائلاً "ولتكريم روح زوجه ميلسا (Melessa) ، التى قتلها ، دعا بيرياندر كل نساء كورينثة إلى معبد الربة هيرا ، ذات يوم ، لحضور الحفل وأرسل حراسه ليأخذوا ملابسهن والتى حرقها كتضحية لمليسا . ولكن بعد قرن من الزمان نجد أن أرسطو فى كتابه السياسة يقدم قطع السنابل بصورة معاكسة أى أن بيرياندر هو الذي أرسل بنصيحته إلى ثراسيبولوس . وعلى أى الأحوال فأن هذا يكشف عن تشدده وقتله لمعارضيه ونفيه لهم ، كما تقدم الروايات لنا معلومات عن أنه قد حرم على الناس العلم وأغلق

الـنوادى حتى لا تشجع الناس على التمرد والثورة ، فقد كانت سياسته ابقاء الشعب جاهلاً معدماً حتى لا يكون له حول ولا قوة ، كما بث بين الناس الجواسيس ومنع التجمهر والاجتماعات ، ولكن هناك نفراً من الكتاب قد جعله بين الحكماء السبعة ، فقد اهتم بالمهرجانات الرياضية وأسس المهرجان الرياضى فى كورينثة والمعروف بالألعاب الاثنية تكريماً للإله بوسيدون ، وقد صار هذا المهرجان من أنجح المهرجانات الرياضية اليونانية وذلك لكثرة زواره ورواده . كما اهتم بيرياندر بأعياد الإله ديونيسوس فأنشأ جوقة لإنشاد أناشيد مقدمة له والتى عرفت باسم الديثورامب والتى كانت نواة للمسرحية اليونانية فيما بعد . كما قام ببناء معبد الإله أبوللو سنة ٥٤٨ ق.م ويقال أن المهندسين الكورينثيين هم أول من أوجدوا قواعد البناء المعمارى مثل بناء الواجهة المثلثة فى المعابد والمبانى الكبرى وهم أول من ابتدع تزيينها بالرخام المنحوت ، كما نجده قد قام باستقدام ودعوة مشاهير الشعراء والأدباء .

كما تكشف لنا الروايات عن أخبار حروبه وصراعه مع كوركورا وغزوه لها وصراعه المسلح مع ميليتوس وتأسيسه لعدد من المستوطنات والتى كانت بوتيدايا من أهمها . ويقدم لنا هيرودوت رواية حول صراعه مع أهل كوركورا مفادها أن بيرياندر كان قد تزوج من ميليسا ابنة بروكليس (Procles) طاغية ابيداروس ولكنه قتلها ، و من ثم فإن والدها قد أرسل إلى حفيديه منها لتأليبهما ضد أبيهما القاتل ، ولاقى أذاناً صاغية من حفيده الأصغر ليكوفرون (Lycophron) فتشاجر مع والده فأرسله إلى كوركورا التى كانت خاضعة لبيرياندر . ثم سار بجيشه ضد بروكليس وهزم ابيداروس ، وأسر بروكليس . ولكن بمرور الزمن وبعد أن بلغ بيرياندر من العمر عتياً قرر استدعاء ابنه ليكوفرون ليجعله خليفة له فى كورينثة . وكان ليكوفرون ، فى بداية الأمر ، رافضاً لرغبة والده ولكنهما توصلا إلى اتفاق بأن بيرياندر سينتقل إلى كوركورا ويترك الحكم فى كورينثة لولده ليكوفرون ، بيد أن أهل كوركورا لم يكونوا راغبين فى استقبال بيرياندر ومن ثم بادروا بقتل ليكوفرون ونتيجة لهذا فقد بادر بيرياندر بالانتقام منهم فقبض على ثلاثمائة طفل من أطفال وجهاء كوركورا وأرسلهم هدية إلى الياتيس (Alyattes) ملك ليديا ، ونستخلص من هذه القصة أن علاقته كانت ودية فى البداية مع بروكليس والتى تحولت إلى عدائية وما

تبعها من قتال بينهما ، كما أن هذه القصة تكشف لنا عن رغبته فى إقامة بل اقامته علاقات ودية مع ليديا ، وتكشف لنا أيضاً عن أن قتل أهل كوركورا لولده الذى ولاه عليهم ترتب عليه انزاله العقوبة بهم إذ سبى من ابنائهم ثلاثمائة طفل، والذين لحسن حظهم قد أطلق سراحهم أهل ساموس.

لقد كانت حركة الاستيطان الكورينثية نشيطة واسعة النطاق تحت حكم أسرة كيبسيلوس التى أسست عدداً من المستوطنات فى شمال شرق بلاد اليونان فيقول استرابون أن كيبسيلوس وابنه جورجوس (Gorgos) قد أسسا المستوطنات الآتية :-ليوكاس (Leucas) ، وامبراكيا (Ambracia) ، واناكتوريوم (Anactorium) ، و يقول ثيوكيديديس أن ابيدامنوس الواقعة فى أقصى شمالى الساحل الادرياتكى قد أسسها الكوركوريون ، ولكنهم وفقاً للتقاليد ، فقد دعوا مدينتهم الأم كورينثة أن تقدم لهم زعيم المستوطنين وأن الرجل الذى أرسلته كورينثة كان ينحدر من نسل هرقل ، ولم يقدم ثيوكيديديس تاريخاً لنشأة المستوطنة ولم يجعلها متزامنة مع حكم الطغاة ، ولكن يقدم كل من يوسباب القيصرى والقديس جيروم تاريخاً لتأسيسها وهو عام ٦٢٦ / ٦٢٥ ق.م ، وهذا التاريخ يقع فى فترة حكم بيرياندر ، و يرى البعض أن الزعيم الذى أرسله بيرياندر لقيادة المستوطنين الكوركوريين كان ينحدر من نسل هرقل وأنه واحد من نسل الأسرة الباكخادية ، وذلك للتخلص منه كرجل مسبب للاضطرابات ، وأن هذه الطريقة تظهره أكثر اعتدالاً ورحمة فى تعامله مع خصومه . ويقول استرابون أن كل من الكورينثيين والكوركوريين قد أسسوا مستوطنة أبوللونيا (Apollonia) على الساحل الادرياتيكى جنوبى ابيدامنوس ، كما أسس الكورنثيون مستوطنة بوتيدايا وكان قائد المستوطنين إيوجوراس (Euagors) بن بيرياندر وأنه قد مات بها .

وتكشف سياسة الاستيطان الكورينثة عن الحقائق الآتية : أولاً أن الكورينثيين فى هذه الفترة كانوا مهتمين بالانفتاح على مقدونيا تجارياً . وأنهم قد احتفظوا بعلاقات ودية مع ليبيا ومصر ، وهذا ما يؤكده اتخاذ حفيد كيبسيلوس اسم بسماتيكوس ، وهو الاسم المتكرر فى الأسرة الصاوية . ثانياً : الرغبة فى التخلص من العناصر المناوئة للطغاة م

وجهاء المجتمع الكورينثي وخاصة الأسرة الباكخادية . ثالثاً : الرغبة في حل مشكلة الزيادة السكانية في كورينثة .

وتكشف لنا الروايات أيضاً عن تحالف بيرياندر مع ثراسيبولوس طاغية ميليتوس كما تحالف مع طاغية ميجارا وأنه قد تمتع باحترام كبير على مستوى العالم اليوناني كله لدرجة أنه كان يُدعى للتحكيم في المنازعات بين المدن اليونانية المتناحرة ، إذ نجده قد قام بدور الوسيط أو المحكم في النزاع بين ميتليني وأثينا فيما يتعلق بنزاعها حول سيجيوم ، ولكن السنوات الأخيرة من حكمه كانت ملبدة بغيوم الأسف ، فقد مات أبناؤه قبله ، ومن ثم فإن خلافته في الحكم قد ذهبت إلى ابن أخيه .

خلف بيرياندر في الحكم ابن أخيه بسماتيخوس ، وكان ضعيفاً وقد اغتيل بعد ثلاث سنوات من توليه الحكم على يد الارستقراط الكورنثيين ، والذين كانت تدعمهم قوات اسبرطية ، وقام الشعب بهدم بيوت الطغاة وحفر قبورهم وحطم عظامهم وأقام دستوراً جديداً على حد قول نيقولاس الدمشقي . ولكن مما نعرفه عن كورينثة فيما بعد يمكن القول أن حكومة أوليجرخية قاعدتها الأسرة الباكخيادية السابقة ، حلت محل أسرة كيبسيلوس ، ولهذا فإنه يجب أن يفهم أن الشعب (demos) الذى ساعد أسرة كيبسيلوس والشعب (demos) الذى تولى القضاء على حكم هذه الأسرة في كلا الحالتين ينبغي أن يكون المقصود به الطبقة العليا في المجتمع ومن بينها طبقة المشاه ثقلي العدة (hoplites) أى أن طبيعة الحكم هنا هو الحكم التيموقراطي الذى خلط النبلاء الكريمى المحتد بالأثرياء من الطبقة الوسطى .

ونجد أن حكام هذه الأسرة من الطغاة قد أصدروا عدداً من القوانين التى تمنع شراء العبيد والتى تحد من الانفاق والاسراف . وكان الهدف منها بالنسبة للأسرة هو منع التفاخر بين الأثرياء وهو مشابه لما صدر على يد مشرعين آخرين، كما أن منع بيرياندر لاقتناء العبيد لم يكن اجراءاً موجهاً ضد الأغنياء ففي الحقيقة أنه ووالده من قبله قد أرسلوا مهاجرين إلى مختلف المستوطنات . وهذا دليل على زيادة السكان وعدم وجود فرص عمل في كورينثة في ذلك الوقت. ولذا فإن محاولة الحد من قوة عمل العبيد كان الهدف منها ،

مــن المــرجح، أن يجعل العمل متاحاً للعامل الحر . كما كانوا هم أول من سك عملة فضية باســم مدينتهم بدلاً من التعامل بعملة أرجوس . وكانت هذه العملة تحمل على أحد وجهيها صورة الجواد بيجاسوس الأسطورى والوجه الآخر شعار الصليب المعقوف (Swastika).

وحكــم هــؤلاء بالذكــاء والاعتدال ، وأقروا أن مدينة تعتمد فى حياتها على التجارة ينــبغى ألا يضغط على تجارتها وصناعتها لأن هذا كان عملاً انتحارياً ويمدح بندار المدينة فــى ظــل حكمهم بأنها واحدة من المدن التى يسكن بها العدالة الطيبة ولخواتها ، والعدالة والســلام ، حمــاة المدن ، الأبناء الذهبيون لنميس الذين يعرفون أن يحرسوا ضد الثوار ، ودخلت كورينثة الحلف الاسبرطى دون التضحية باستقلالها ، وسوف نشاهد دورها فتأثيرها فى سياسة الحلف وعلى مصير اليونان فيما بعد .

قــام حكــم الطغاة فى مدينة سيكيون الواقعة غرب كورينثة ، وعلى الرغم من ضيق مســاحتها إلا أن تربــتها خصيبة وحققت المدينة ثراءها من التجارة ، ونتيجة للنزاع بين ســيكيون وبلليــنى (Pellene) على الحدود ، فقد كان على سيكيون أن تحتفظ بقوة لحرس الحــدود (Perepoloi) وكان من بين أفراد هذه القوة اورثاجوراس والذى تفوق على جميع أقــرانه وصــار قائد لها (Perepolarchos) ، واستمر فى تفوقه حتى وصل إلى قائد عام لجــيش سيكيون (Polemarchos) ، واستخدم سيطرته وقيادته للجيش لجعل نفسه سيداً ، للدولــة وأســس أسرة حاكمة بها استمر حكمها مائة عام على حد قول أرسطو ، ويختلف الباحــثون حول بداية ونهاية حكم هذه الأسرة ، فالبعض يرى أنه تولى الحكم حوالى ٦٦٠ ق.م ، والــبعض الآخر يرى أنه تولى الحكم حوالى ٦٥٦/٦٥٥ ق.م، ويرى فريق رابع أنه تولــى الســلطة ٦١٥/٦١٠ ق.م . وفى ضوء قول أرسطو السالف الذكر وفى ضوء بعض المصادر التى تتكلم عن خلع آخر طغاة هذه الأسرة فإن التاريخ الذى يبدو أنه أقرب للحقيقة هو ٦٥٦/٦٥٥ ق.م. وليس التواريخ اللاحقة عليه .

ووفقــاً لوثــيقة بــردية والتى من المرجح أن كاتبها قد نسخها من افوروس ، فإن مؤســس الأسرة اورثاجوراس كان والده ويدعى اندرياس (Anderias) ، وقد رأى البعض مــن الكتاب القدامى أنه كان جزاراً (megerias) ، بينما يرى البعض الآخر أنه كان طباخاً

ورافــق سفارة سيكيون إلى دلفى ، ولكن يخبرنا باوسيناس أن أخاه ميرون (Myron) كان بطــلاً فــى سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية سنة ٦٤٨/٦٤٧ ق.م. وهذا يعنى أنه من أســرة ثرية وأن وصف والده بجزار أو طباخ افتراء متعمد من قبل الارستقراط خصوم حكم الطغــاة ، كما أن البردية تشير إلى شجاعة اورثاجوراس العسكرية والتى بسببها تدرج فى الســلك العسكرى حتى وصل إلى قائد علم الجيش . ولسوء الحظ فإن البردية تنتهى بكلمة (demos) ويــبدو أن تكملة الجملة هى أن الشعب مكن اورثاجوراس من أن يصبح طاغية، ولعل السبب فى ذلك النزاع الحدودي ، بينها وبين بيللنى وعموماً ليس لدينا معلومات عن كيفية شغله للمنصب .

وقــد خلفه أبناؤه فى الطغيان حيث يقول أرسطو "أن الطغيان فى سيكيون قد استمر مائــة عــام" ويضيف قائلاً أن حكم الطغيان ينتقل من شخص إلى آخر مثلما فى سيكيون ، وأن الحكــم قد انتقل من ميرون إلى كليسثينيس ، ويقول بلوتارخ أن اورثاجوراس قد صار طاغــية على سيكيون وخلفه من بعده كل من ميرون وكليسثينيس . ويضيف باوسيناس أن مــيرون كــان طاغــية وكسب سباق العربات فى أوليمبيا سنة ٦٤٨ ق.م ويضيف قائلاً أن مــيرون بــنى فــى اوليمبــيا خزينة والمعروفة فى فترة متأخرة بخزانة سيكيون ، ويقول نــيقولاوس الدمشقى "أن كليسثينيس كان له اخوان هما ميرون واسوديموس (Isodemos) وبعد أن حكم اسوديموس لمدة عام فقد خلعه كليسثينيس من السلطة وحل محله .

تولــى الحكم كليسثينيس وكان واحداً من القادة المرموقين فى الربع الأول من القرن الســادس وأنــه تولى الحكم لمدة ٣١ عاماً فى رأى البعض ، وفى رأى البعض الآخر فقد تولى الحكم ما يزيد على عشرين عاماً. ولكن نظراً لقلة المعلومات عنه فى المصادر فإننا لا يمكنــنا أن نصــف أنشطته بتسلسل ولكن من أهم أدواره هو دخول الحرب المقدسة الأولى بشــأن دلفــى ســنة ٥٩٠ ق.م ، والتى تورط بها الكثير من المدن اليونانية منها سيكيون وأثيــنا وتســاليا . ووفقــاً للمصادر فإن السبب فى الحرب أن أهل كيرها (Cerrha) كانوا يــتدخلون فــى وظائف معبد دلفى ووحى الاله أبوللو وأدعو الحق فى السيطرة على مركز النــبوءة وأخذوا رسوماً من الحجاج الذين رسوا فى مينائهم وعبروا أراضيهم فى طريقهم

إلـى دلفى ، ونعرف أن كليسثينيس كان قد حاصر ميناء كيرها بأسطوله ، وحيث أن كيرا كانـت مشـهورة باهتماماتها البحرية ، فمن المرجح أن تدخله فى الحرب قد يكون وراءه أسـباب تجاريـة وليسـت دينية ، وكانت نتائج هذه الحرب الطويلة والتى استمرت عشر سـنوات أن تـم تدمـير وإبـادة أهلها سنة ٥٩١ – ٥٩٠ ق.م وإن بقت جيوب المقاومة مستمرة حتى سنة ٥٨٦ ق.م ، وخصصت أراضيها للآلهة واستنزال اللعنات المقدسة على كـل مـن يحـاول أن يستولى أو يأخذ جانب منها للزراعة ، وقد خصص نصيبه من غنائم الحـرب لتجمـيل سـيكيون بالأعمال الفنية ، وفى خواتيم هذه الحرب فقد تم اقامة وتنظيم الألعاب البيثية بشكل محدد سنة ٥٨٢ ق.م ، كما أعيد تنظيم وتوسيع المنافسات الموسيقية القديمـة . وكـان كليسـثينيس أول المنتصرين فى أول سباق العربات . كما قلنا أنه وفقاً لهـيرودوت أن كليسثينيس كان قد شارك سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية وكسبه سنة ٥٧٦ ق.م فـى هذه المناسبة نجد أنه قد أعلن جموع الحاضرين أن أى يونانى يعتبر نفسه يسـتحق أن يكون زوجاً لابنته اجاريستى (Agriste) عليه الحضور إلى سيكيون فى خلال سـتين يوماً ووصل ثلاثة عشر خاطباً إليها بالفعل، اثنان منهم من أثينا والباقى من احدى عشـرة مديـنة ، وقدم كليسثينيس كل صنوف البهجة لهؤلاء الخطاب لمدة عام كان يلاحظ خلالها شجاعتهم واداءهم فى الألعاب البدنية وعلاقاتهم الاجتماعية فى مختلف جنبات وبقاع العـالم الـيونانى فبعضـهم قـد أتى من مناطق بعيدة مثل سيباريس وسيريس فى إيطاليا وكرانون (Crannon) فى تساليا ويوبويا والبلوبونيز واتيكا وابيروس. وقد أعجبه تصرف وأداء رجلـى أثيـنا . ولكن فى اليوم الذى سيتم فيه اختيار العريس لابنته ، خسر أحدهما الفرصة لتصرفاته غير المسئولة ووقع الاختيار على ميجاكليس (Megacles) بن الكمايون الـذى قـاد القوات الأثينية فى الحرب المقدسة ضد كيرها. وبقية الخطاب قد استبعدوا مع شكرهم على تكرمهم بالحضور إلى بلاط كليسثينيس ومنح كل منهم تالنتا من الفضة كهدية .

ونفهـم مـن هذه القصة أن شباباً من اثنتى عشرة مدينة من النبلاء قد قبلوا ضيافة الطاغـية وتطلعوا إلى الزواج من ابنته أو اقامة أسرية معه والخطيبان الأثينيان قد اتد...

مــن أسرتين أرستقراطيتين كبيرتين ، ويقول هيرودوت أن تميز وشهرة أسرة الكمايون قد زاد فــى بلاد اليونان من خلال زواج ميجاكليس من ابنة طاغية سيكيون . كما كان من بين الخطــاب ليوكــيديس (Leocedes) بن فيدون طاغية أرجوس[1] ومع ذلك لم يقع الاختيار علــيه . ونســتخلص مما سبق أن الطغاة لم يقفوا بالمرصاد للأرستقراط ومحاولة القضاء عليهم وإنما سنجد أنهم قد تصاهروا معاً . ولماذا لم يزوج كليسثينيس ابنته إلى ليوكيديس بن فيدون الطاغية فهل هذا راجع للعداء بين سيكيون وأرجوس ؟ أم أن الاختيار كان قد تم وفقاً للمعايير التى وضعها كليسثينيس ؟ يبدو أنه شبه مؤكد أن الاختيار قد تم وفقاً للمعايير التى وضعها كليسثينيس . ولم يكن للعداء بينه وبين طغاة أرجوس هو المانع .

وتخــبرنا المصـــادر أن كليســثينيس قد دخل فى حرب ضد أرجوس وكان هدفه من ورائهـــا هــو تحريــر مدينــته من هيمنة أرجوس ، وهى الهيمنة التى يفترض أنها مبررة بالأســـاطير . وقــد اتخذ كليسثينيس سلسلة من الاجراءات كان الغرض منها الحد من نفوذ أرجوس فى سيكيون والتعبير من خلالها عن عدائه لأرجوس ، إذ نجده قد أنهى المنافسات الشعرية الملحمية فى سيكيون لأن الأشعار الهومرية التى كان ينشدها الشعراء والمنشدون كانت تمتدح بشكل دائم أرجوس والأرجوسيين ، كما نعلم أن كليسثينيس كان قد سعى لطرد وازالــة عــبادة البطل الأسطورى ادراتوس الدورى من سوق سيكيون ، وكان قد طلب ذلك مــن وحــى دلفــى ، ولكــن طلبه قوبل بالرفض ، وأمام هذا فقد أحضر البطل ميلانيبوس (Melanippos) مــن طيبة ، وهو العدو الأسطوري لادراتوس ، وأقام له عبادة ومذبحاً فى مبــنى الحكــام السيكيين ، ووفقاً للأسطورة فقد حول كليسثينيس إليه أغلب طقوس العبادة ومظاهــر الــتكريم والأضاحى التى كانت مكرسة لادراتوس ، كما كان الخورس التراجيدى الــذى مــن خلاله كان السيكيون يكرمون أدراتوس قد صار من الآن فصاعداً مكرسة للإله

---

(١) يــرى البعض أنه ليس ابن فيدون ملك وطاغية أرجوس وإنما هو ابن فيدون آخر خلط بينه هيرودوت وبين فيدون ملك أرجوس .

ديونيســـيوس . كمـــا نجد أنه قد غير اسماء القبائل الدورية فى سيكيون والتى كانت تحمل نفـــس الأســـماء فى أرجوس ويرى هيرودوت أن سبب هذا التغيير هو العداء مع أرجوس ولكن من المرجح أن هذا التغيير كان له دوافعه الداخلية ، ولم يكن مرتبطاً بعدائه لأرجوس . والقبائل الدورية التى غير اسماءها هى : هيليس (Hylleis) ، وبامفيلى (Pamphyli) ، وديمانـــتاى (Dymanatae) وغـــيرها إلى الأسماء التالية على التوالى : هياتى – Pig") (ites" Hyatai أونيـــتى (Oneatai "Assites") وأعاد تسمية قبيلة من Aegialeis إلى Archelaoe "حكام الناس" وهذه القبيلة قد ضمت عناصر دورية نزلت عليها القبائل السالفة الذكـــر ، هذا فضلاً عن عناصر من السكان الأصليين الذين كانوا قد حرموا من الامتيازات ، ومن ثم نجد أن كليستينيس قد رفع القبيلة الأخيرة إلى المرتبة الأولى بين قبائل سيكيون ، واعـــتمد علـــيها وســـواء وجدت هذه القبيلة قبل كليستينيس أو على يديه بالاضافة للقبائل الثلاث الدورية . فإن هذا قد يثير التساؤل حول هل تولى بعض الطغاة فى البلوبونيز بفضل تأيـــيد غـــير الدوريـــين ؟ فـــى حالـــة أســـرة أورثـــاجورس السيكية فإن هذا ينطبق على اورثـــاجوراس وأســـرته فوفقاً لهيرودوت فإن كليستينيس كان قد طلب العون من العناصر الدوريـــة مـــن غير القبائل الثلاث ومن السكان غير الدوريين . بل واعتمد عليهم فى حكمه وهذا يشير إلى وجود عناصر محرومة من الامتيازات بين السكان الأحرار ونتيجة لهذا فقد كـــان لهـــا دور مؤيـــد لطغـــاة القرنيـــن السابع والسادس . كما أن الاصلاح الذى قام به كليستينيس فى النظام القبلى قد أدى إلى انقلاب اجتماعى على نطاق واسع .

وقـــد خلفه فى الحكم أسخينيس والذى انتهى حكم الطغاة فى سيكيون بطرده على يد الاســـبرطيين ، والغاء تسميات كليستينيس للقبائل والعودة إلى التسميات الأصلية ، كما تم تغيير تسمية القبيلة الرابعة من ارخيلاى (Archilai) إلى ايجاليای (Aigialai) .

عرفـــت أرجـــوس هـــى الأخرى نظام الطغاة وإن كانت معلوماتنا عنه شحيحة، ومن أشهر طغاتها الملك فيدون الذى أطلق عليه أرسطو "الملك الذى حول حكمه الملكى الشرعى إلى حكم طغيان". وقد صورته لنا الروايات ونتف المعلومات بالمصادر القديمة على أنه كان أقـــدر وأقـــوى ملـــوك أرجـــوس ولا يعادله ملك من ملوكها السابقين ، فقد كان بها ملوك

صـــوريون ابـــتداء مـــن مـــيدون (Medon) حفيد تمنوس (Temenos) بن ارستوماخيس وأخلافـــه والذين تقلصت السلطة الملكية فى عهودهم ولم يعد لهم شئ سوى لقب الملك . وكان فيدون العاشر فى سلاسة تمنوس والذى نجح فى جعل السلطة الملكية سلطة حقيقية ، وبشـــكل مؤقت ، وكان من نتائج أعماله التى أدت إلى تقوية السلطة الملكية هذا فضلاً عن أعمالـــه الأخـــرى أن نظر إليها الديمقراطيون الذين حكموا ارجوس من بعده بعد إطاحتهم بحكـــم الأرســـتقراط على أنها لا فرق بينها وبين أعمال الطغاة الذين أطاحوا بالارستقراط ، ولكـــن مـــا يمكننا رؤيته أن الأسس التى اعتمد عليها فى حكمة كانت قانونية وشرعية ولا يوجد شئ مشترك يجمع بينه وبين الطغاة سوى بعد افقه وربما أحياناً طبيعة الطرق التى استخدمها لتحقيق أهدافه وهو ما سنعرض له بعد قليل .

ويخـــتلف الباحثون المحدثون فيما بينهم اختلافاً بيناً حول تاريخ توليه السلطة وفترة حكمـــه ، فالـــبعض يـــرى أنه تولى السلطة فى القرن الثامن ، والبعض الآخر يرجع توليه الســـلطة فى القرن السابع ، والبعض الآخر يرجع توليه السلطة أواخر القرن السابع وبداية القـــرن السادس . إذ يقول هيرودوت أن ليوكيديس بن فيدون طاغية أرجوس كان من بين خطـــاب اجاريســـتى ابنة كليسثينيس طاغية سيكيون سنة ٥٧٠ ق.م. وهذا يشير إلى حكم فيدون فى نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس . ولكن قد يكون لوكيديس ابن لفيدون آخـــر وخلـــط هيرودوت بينه وبين فيدون طاغية أرجوس . والسبب فى هذا الخلاف عموماً هـــو طبـــيعة الـــروايات بالمصادر القديمة حول أفعاله وعموماً لن نخوض فى هذه المشكلة المعقـــدة ، ولكـــن يمكنـــنا القول أنه من المحتمل أن تاريخ توليه السلطة يعود إلى النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد وهو ما سندلل عليه من أعماله ومنجزاته .

نجحـــت أرجـــوس فـــى تحقيق أحلامها الامبراطورية فى شبه جزيرة أرجوس بقيادة الملـــك فـــيدون الذى تفوق على كل معاصريه فى السلطة ، ونجح في توحيد أرجوس التى كانـــت قد تمزقت على حد قول افوروس ، كما تصور لنا المصادر أنه قد ضم أراضى حول أرجـــوس تحـــت حكمـــه ، ورغـــم أنه قد مد نفوذ أرجوس على كليناى (Klenai) وفبوس (Phbous) ومـــيكيون وابيداروس وتريزون وايجينا . وتكشف لنا المصادر عن أنه تدخل

فى النزاع بين أهل ابيس الدورية وبين أهل بيسا الذين ينتمون إلى العنصر ما قبل الدورى حول الإشراف على الألعاب والاحتفالات الاوليمبية . ووقف بجانب أهل بيسا معضداً دعواهم التاريخــية والجغرافــية . وتم طرد الموظفين من أهل ابيس وأحل محلهم موظفين من أهل بيســا وتولــى هو الرياسة والاشراف على الألعاب الأوليمبية فى العام الأول أى سنة ٦٦٨ ق.م ، وتشير الروايات إلى أن تعضيد فيدون لبيسا قد عضد استقلالها عن ابيس ودعم حكم الطغــيان بها وكان من بين طغاتها بانتاليون (Pantalion) ، وداموفون (Damophon) ، وبيروس (Pyrohos) . ولكن معلوماتنا عن نظام الطغيان فى بيسا قليلة .

وفى ضوء الرواية القائلة بتدخله فى أوليمبيا سنة ٦٦٨ ق.م فإن رواية باوسينياس تصــبح هامة حيث أنها على الأرجح مرتبطة بنفس الفترة على الرغم من عدم ذكرها لاسم فــيدون ، ومفادهــا أن أهل أرجوس قد هزموا اللاكديمونيين فى موقعة هيسياى ٦٦٩ ق.م وتقــع هيسياى فى منطقة سهل ثيرا (Thyra) وهى المنطقة الحدودية بين اللاكديمونيين و أرجوس ، و كان سبب هذه الحرب هو الرغبة فى الاستيلاء على سهل ثيرا من قبل القوتين مما أدى إلى صدامهما . كما قامت أرجوس بالسيطرة على الساحل الشرقى للبلوبونيز حتى جــنوب رأس مالــيا (Malea) وحتى جزيرة كيثيرا (Cythera) قبالة الرأس على حد قول هيرودوت ، بينما يقول باوسينياس أن أرجوس قد تدخلت فى الصراع بين كورينثة وميجارا ووقفــت بجانب ميجارا مما ساعد الأخيرة على تحقيق النصر ولعل هذا النصر كان فى عهد فــيدون. وعلــى ما يبدو فقد تدخلت أرجوس فى عهده فى الصراع بين أثينا وأيجينا وأنه وقــف بجانــب الأخيرة مما أدى إلى الحاق الهزيمة بأثينا . ووفقاً لنيقولاوس الدمشقى فقد اهــتم بشــئون كورينثة وحضر إليها للوقوف بجانب أحد طرفى النزاع المدنى الداخلى وأنه قتل بها .

كما تقدم لنا الروايات عن أن فيدون قد ابتكر نظام المعايير والمقاييس لأرجوس وأن هذا الابتكار قد تم استخدامه من قبل أغلب المدن الدول بالبلوبونيز. وفى الواقع فإن ادخاله لهذا النظام فى أرجوس وأراضيها يمثل تطوراً ملموساً لتأكيد السلطة العامة ، وفى الحقيقة فــإن تبــنى الــدول الأخرى لنفس النظام يقدم شهادة حول الاحترام تجاه أرجوس أى عهد

فيدون . وتضيف المصادر إلى ذلك أنه ابتكر العملة وأنه أول من سكها فى أيجينا وأنه قد كرس تكريسة من العملة الجديدة ، وهى عبارة عن قطع الحديد غير المختومة (Obeleskoi) فى معبد أرجوس للربة هيرا . ولكن فى رأينا أنه ليس هو أول من سك العملة الفضية ، وأن أول سك للعملة سيكون فى آسيا الصغرى وهو ما سنعرض له فيما بعد ولكن ما يمكننا قوله أن نرجح أنه أول من سك العملة بالنسبة لأرجوس وحدها .

وفى ضوء كل هذه المنجزات سواء فى الساحة الداخلية فى أرجوس أو فى الساحة الخارجية فى عهد فيدون التى أراد بها أن يظهر قوته وتفاخره بين أقرانه وهى ملاحظة نلمسها فى سلوك كل الطغاة ، ولعل قوة وتفاخر فيدون قد ذكر الناس سواء معاصريه أو من أتوا من بعده بحكم جيجيس ملك ليديا الواسع الثراء والذى وصفوه بالطاغية . وإذا كان أصحاب نظرية المشاة ثقلى العدة يرون فى فيدون بشكل أولى شخصية عسكرية ، وأن تدخله فى اوليمبيا ينبغى أنه اعتمد فيه على قوة عسكرية كبيرة ، ولكن فيالق المشاة لم تعرف قبل سنة ٦٥٠ ق.م اللهم إلا إذا كان التاريخ المتأخر عند هيرودوت و الذي يشير إلى فيدون صحيح . ولكن هناك ما يؤكد فى سلوكه على أنه كان مناصراً للعناصر غير الدورية وذلك بتأييده لأهل بيسا غير الدوريين وقيام حكم الطغيان بينهم واشرافهم على الألعاب الأوليمبية و هذا يشير إلى أنه كان ملكاً الذى أصبح طاغية وعضد الأهالى من العناصر الاصلية قبل الدوريين . كما أنه فى رأينا على ما يبدو لاعادة توحيد أرجوس الممزقة قد اتبع من الأساليب التى جعلت البعض يساويه بالطغاة، ولعله نفى وقتل خصومه وخصوم الوحدة من الأرستقراط واعتمد على الطبقات الأخرى لتحقيق الوحدة والتوسع خارج حدود أرجوس مما جعل البعض يساويه بالطغاة .

لعبت ميجارا دوراً كبيراً فى تطور التجارة اليونانية فقد امتدت أراضيها من البحر إلى البحر وكان يفصلها عن كورينثة جبال جيرانيا المتجهة من الشرق إلى الغرب ، وتقع مدينة ميجارا على بعد ميل واحد من البحر من جهة الشرق ، وميناؤها على هذا الجانب هو نيسايا (Nisaea) وعلى الخليج الكورينثى كانت بيجاى (Pegae) ، وهكذا فقد تشابه وضعها مع كورينثة فى التحكم فى الطرق التجارية العابرة للخليج من الشرق إلى الغرب أو

من شمال اليونان إلى البلوبونيز ، وقد أدى كل من فقر تربتها وتطور تجارتها البحرية إلى تباين وتفاوت فى الثروة ، فقد احتل النبلاء الأثرياء المدينة بينما أقلم الفلاحون الذين يلبسون جلود الماعز ويعيشون مثل الماعز على التلال .

قام حكم الطغاة على يد ثياجنيس (Theagenes) فى ميجارا فى حوالى سنة ٦٢٠ ق.م وقد دامت فترة حكمه ثلاثين عاماً . وقد سجل أرسطو تفسيراً حول كيفية توليه السلطة . فقد ناقش كيف كان الديماجوجى عديم الضمير يقدر على الاطاحة بالديمقراطية ، وأن الديماجوجى الذى لديه قدرات عسكرية أو أنه يتولى سلطة عسكرية فإنه دائماً ما يصبح طاغية بإقناعه الشعب أن يكره الأرستقراط . وقد قدم لنا ثياجينيس كمثال على ذلك ، إذ إنه ذبح الناس الأغنياء الذين يرعون بجوار النهر.

لقد نجح ثياجينيس فى الوصول إلى السلطة من خلال تملقه للفقراء وتنديده بالأغنياء ، ثم قاد جماهير الغوغاء الجياع إلى مراعى الأغنياء أصحاب الانعام ، وأقنع على جعل العامة أن يؤلفوا له حرساً خاصاً ، ونجح من خلال الأتباع فى اسقاط الحكومة الارستقراطية القائمة . لقد حرر الزراع وأذل الاغنياء وذلك من خلال ذبح الخراف والقطعان ، ويرى البعض أنه كان يريد احتكار صناعة الصوف، ولكن ذبحه لقطعان الاغنام كان يحرمه من مصدر هام للصوف . ويرى البعض الآخر أنه قصد من ذبحه للخراف أنه اراد القضاء على القطعان التى كانت تدمر المحاصيل فى أرض الزراع ، وبهذا فإنه من الممكن قد أصبح بطلاً وقدم لهم الكثير من اللحوم .

كان ثياجينيس من الاشراف فقد زوج ابنته من شريف اثينى هو كيلون الذى حاول اقامة نظام حكم طغيان فى أثينا ولكنه فشل . إن حركة الطغيان فى الواقع لم تكن حركة للقضاء على الاشراف وإنما تعكس الصراعات والمنازعات بينهم . وهذا ما كشف عنه الشاعر الميجارى الارستقراطى ثيوجينيس . فقد اشار إلى أن ميجارا كانت مسرحاً لاضطرابات اجتماعية فى القرن السادس وأنه قد تم الاعتراف بالثروات المنقولة ، ونتيجة هذا فقد حدث تزاوج بين الاشراف بالمولد وطبقة الاشراف الجديدة وكان الدافع وراء هذا الزواج هو البحث عن الثراء فقط . كما يكشف عن ضيقه وضجره واستنكاره حول تطور

الاوضـــاع الجديدة من تزاوج بين الاشراف وغير الاشراف ويبين أن المدينة ما تزال مدينة ولكـــن لناسها رجال آخرون والذين لم يكونوا يعرفون فى السابق الاحكام والقوانين . وهذا يعنى تحسن أحوال الزراع والفقراء .

ولكـــن الاغنـــياء انزلوه عن عرش المدينة عام ٦٠٠ ق.م ولعل فشله فى السياسة الخارجية هو الذى أدى إلى سقوطه وطرده ، ولكن قامت ثورة شعبية صادرت املاك هؤلاء الاغنياء والغت الديون واصدرت قراراً يحتم على اصحاب الأموال أن يردوا إلى المدينين ما استولوا عليه من فوائد .

عرفـــت المدن اليونانية ، على ساحل آسيا الصغرى والجزر المجاورة ، حكم الطغاة عـــند نهايـــة القرن السابع وفى القرن السادس . فقد بدأ فى ميتيلينى فى لسبوس. فعندما طردت الاسرة المالكة من ميتيلينى ، من المرجح فى منتصف القرن الثامن ، فإن السلطة قد آلـــت إلـــى عشيرة بنثيلوس الملكية وقد زاد فساد العشيرة الملكية الاوليجرخية على نطاق واســـع ، وأنهـــا كانـــت قاسية ويذكر أرسطو كيف أنهم كانوا يضربون الناس . ولذا قد تم الـــتخلص منها على يد الاشراف وسيطر الحكم الارستقراطى على السلطة ، ولكن لم تمض ســـنوات كثـــيرة حـــتى كانت المدينة تحت حكم الطغاة ، ولعل السبب فى ذلك الصراع بين اعضـــاء الاســـر الارســـتقراطية الحاكمـــة . فقـــد تولـــى حكمهـــا الطاغـــية ميلانخروس (Melanchrus) ، ولجـــبر على التخلى عن السلطة على يد مجموعة من الرجال وكان من بيـــنهم اخوه الشاعر الكايوس وبيتاكوس (Pittacus) وهو الرجل الذى قضى على متاعب ميتيليـــنى الداخلـــية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى استولى طاغية آخر هو ميرسيلوس (Myrsilus) وقـــد اقســـم كـــل من بيتاكوس والكايوس ونبلاء آخرون على عزله ، ولكن لاسباب غير معروفة فقد غير بيتاكوس موقفه وانضم إلى ميرسيلوس وبهذا فقد نال كراهية وازدراء الكايوس ، وبعد فترة من الزمن مات ميرسيلوس وقد فرح الكايوس بموته إذ يقول "يـــنبغى على الرجل أن يسكر الآن ويشرب بشراهة حيث أن ميرسيلوس قد مات" ، بيد أن فرحـــته كانـــت لمدة قصيرة ولجبر هو واخوته على ترك ليسبوس ، ولكنهم حاولوا العودة بـــالقوة بدعـــم من ملك ليديا ، وكان هذا يمثل خطراً على المدينة لدرجة أن الارستقراط قد

انتخبوا بيتاكوس لمواجهة تلك الأحوال والقضاء عليها . وقد وصف الكايوس بيتاكوس بأنه طاغية وبالغ فى ابراز مفاسده وأن أصله وضيع ، ولكن هذا قول موتور لأن بيتاكوس كان مـــن النـــبلاء ، وذلك لأنه كان قد تضامن مع الكايوس واخوته ومع نبلاء آخرين على طرد الطاغـــية ولـــو كان من العامة ما قبلوه معهم ، كما أن بيتاكوس كان متزوجاً من امرأة من عشـــيرة بينثـــيلوس الملكـــية ، ويقـــول ارسطو أنه قد تم انتخاب بيتاكوس ليشغل وظيفة (aisymnetes) ، وكانـــت هـــذه الوظيفة سنوية فى بعض المدن اليونانية الشرقية ، ولكن يـــبدو أن شـــــاغلها كان له سلطات واسعة . ولكنه تخلى عن الوظيفة بعد عشر سنوات (٥٩٠-٥٨٠ق.م) من شغله لها بمحض اختياره ومع ذلك ، فإن وصفه كرجل دولة قد جعله يكتســـب مكانة كواحد من الحكماء السبعة ، ومعلوماتنا عن انشطته قليلة ، ومنها أنه وضع دســـتوراً جديداً وشرع القوانين ومنها الحد من نفقات الجنازات . ويظهر لنا شعر الكايوس أن المديـــنة بعـــد طـــرد الحكم الاوليجرخى قد وجد فيها مجلس للشورى وجمعية شعبية . وبالتأكـــيد فـــإن بيـــتاكوس قـــد استعمل هذين المجلسيـــن . ومن المرجح أنه كان قد فتح عضويتهما إلى فئات جديدة .

وفـــى نهايـــة القرن السابع اصبحت ميليتوس تحت حكم الطغاة فقد قام ثرسيبولوس (Thresybulus) بالاســـتيلاء علـــى السلطة وكان قبلها يشغل وظيفة عامة فى الدولة وقد استغلها على حد قول أرسطو واستولى على السلطة .

وفـــى الواقع فإنه بجانب الظروف الداخلية التى قد ساعدت بعض الرجال على تولى حكـــم الطغاة قد وجدت ظروف خارجية ساعدت على قيام مثل هذا الحكم فكانت حاجة المدن لحكومـــات قويـــة تمكنها من رد الاعتداءات الليدية سبباً فى أن العديد من الرجال قد منحوا ســـلطات عسكرية واسعة . ولهذا فإن الاتجاه نحو حكم الطغيان كان أمراً سهلاً . وبالتأكيد فإن ثرسيبولوس كان قد بذل جهداً كبيراً فى الدفاع عن ميليتوس ضد الليديين وبالمثل فإن محاولة المنفيين العودة من منفاهم بالقوة ويتعضد من ليديا كانت وراء تعين بيتاكوس فى وظيفة واسعة الاختصاصات من قبل أهل مدينته .

وقـــد حكم فى افسوس عدد من الطغاة ، ومن الراجح ، أنهم كانوا من الارستقراطية

المعادين للحكم الاوليجرخى من قبل العشيرة البازيليدية (Baslidae). أى الملكية ولا نعرف إلا القلـــيل عن حكم طغاة افسوس فيما عدا أنهم قد حلوا المشكلة مع ليديا خلال الزواج من العائلة المالكة بليديا . وكان نتيجة ذلك أن افسوس قد اصبحت تحت النفوذ الليدى أكثر من غـــيرها من المدن اليونانية الشرقية ، ويبدو أن الطغاة قد قاموا بإجراء تغييرات فى البناء القبلى بالمدينة ، ففي القرون الأولى من نشأتها كان السكان ينقسمون إلى اربع قبائل هى : ارجاجـــيس (Argagis) وجيليونتيس (Geleontes) وهوبليتيس (Hopletes) وايجيكوريس (Aigikoreis) وقد اضيف اليها قبيلتان بمرور الزمن وهما بوريس (Boreis) واونوبيس . ومـــن المـــرجح انهمـــا قد ضمتا العناصر غير الايونية التى اتت إلى افسوس بعد الهجرة الاصلية .

وفـــى فـــترة متأخرة ربما تحت حكم الطغاة فى القرن السادس فإن تعديلاً فى التنظيم القبلى قد تم ، فبدلاً من أن المواطنين كانوا مقسمين بين ست قبائل قد اصبحوا مقسمين إلى خمـــس قبائل . وكان الغرض من هذا التقسيم ، على ما يرجح، هو مكافأة السكان المحليين والـــيونان الذيـــن لـــم يـــتم قبولهم فى مواطنة مدينة افسوس لتعضيدهم لحكم الطغاة وذلك بمنحهم حق المواطنة الكاملة الاهلية.

وقد عرفت جزيرة ساموس نظام حكم الطغاة ، وكانت قد شاركت فى حركة الاستعمار مـــثل بقـــية المدن اليونانية وكما سبق أن ذكرت أن الفضل يعود لاحد تجارها بوصوله إلى تارتســـوس ونتـــيجة لتجارة المعادن المربحة معها ، وقد شارك أهل ساموس فى تأسيس نقراطـــيس بمصر واسسوا سلسلة من المستوطنات الأخرى فى البسفور . ومن المرجح أن حـــركة الاستعمار بالنسبة لجزيرة ساموس قد اعقبها وصاحبها رواج تجارى وصناعى مما ترتب عليه زيادة الثروة المنقولة فى أيدى فئات جديدة وهذا بدوره قد أدى إلى خلق مشاكل اجتماعـــية وسياســـية فى ساموس مثل بقية المدن اليونانية الأخرى . وأول دليل على تلك الاضـــطرابات قـــد ذكـــره لنا بلوتارخ ، فنقرأ عنده "أن ملاك الارض كانوا يسيطرون على الحكومة بعد قتل ديموتيليس (Demoteles) والقضاء على اسرته. وحيث إننا لا نعرف عنه

شيئاً ، فمن المرجح أنه قد نجح فى اقامة نوع من حكم الطغاة ، ويقول ايضاً عندما ارسل الميجاريون حملة ضد مستوطنة برنثوس (Prenthus) ؛ فإن أرستقراط ساموس قد ارسلوا تسعة قواد لتقديم العون لمستعمريهم . وبعد تحقيق اهدافهم فقد عاد هؤلاء القادة العسكريون إلى ساموس ، وبمساعدة الاسرى الميجاريين الذين جلبوهم معهم فقد نجحوا فى قتل اغلب ملاك الارض الذين كانوا مجتمعين فى قاعة المجلس ، ولكن ليس من الواضح ما هو نوع الحكم الذى جاء بعد الحكم الاوليجرخى ، ولكن هذه الاخبار الغامضة تكشف عن أن ساموس قد عانت من اضطرابات اجتماعية وسياسية فى هذه الفترة . وقد تولى بولوكراتيس كطاغية سنة ٥٣٢ – ٥٣١ ق.م بتعضيد من ١٥ جندى مشاة ، ويقول هيرودوت أنه بعد استيلائه على السلطة فقد شاركه فيها أخواه ، ولكن بعد ذلك قتل واحد منهما ونفى الآخر . وتشير الروايات إلى قوته البحرية ونجاحه الدائم . وأنه أول يونانى ، إن لم يحسب الملك مينوس ، قد خطط ليصبح سيداً على البحر . وبدون شك فقد زاد من قطع اسطوله . لقد قام بدور زعيم المقاومة ضد الفرس ، كما نجده قد تحالف مع أمازيس فرعون مصر. ولعل هذا الحلف كان موجهاً للفرس ، كما نجده قد شجع الأدباء والفنانين ، فقد كان بلاطه الرائع المحاط برجال مثل الشاعر ابيكوس (Ibycus) من ريجيوم واناكريون (Anacreon) من تيوس . وكان مسئولاً عن تنفيذ برنامج انشائى ضخم ومن أهم هذه المنشآت بناء ميناء ضخم لتأمين السفن التجارية والحربية وبناء معبداً ضخماً للإلهة هيرا . كما أنه قد شق قناة طولها حوالى نصف ميل لنقل المياه إلى مدينة ساموس . وكانت القناة تنقل المياه من نبع فى جبل امبيلوس (Ampelos) .

وعلى الرغم من الروايات الكثيرة حول بولوكراتيس ، فإن الكتاب القدامى لم يناقشوا الأسباب الرئيسية لتوليه الحكم . فقد كان بولوكراتيس ارستقراطى المنبت ، فلم نسمع حول اصله نميمة مثلما كان الحال بالنسبة إلى كيبسيلوس واورثاجوراس . ونفهم من المصادر أنه قد عامل الأرستقراط بقسوة ، ولكن قللوا الاقوياء لدرجة أنهم قد عادوا للسلطة ولكن بشكل مؤقت . ولا يوجد سبب للاعتقاد أنه كان زعيماً شعبياً على الرغم من أن مشروعاته قد خلقت الفرص الكثيرة من العمل للحرفيين والعمال . ولعل استمراره فى السلطة وتوليه لها كان بسبب الخطر الفارسى الماثل على الابواب وكان الفرس لا يحبذون فكرة دولة

يونانـــية قوية مجاورة لاراضى آسيا الصغرى . فدبروا أمر اغتياله وبعدها ضمت ساموس للحكم الفارسى .

كمـــا نجـــد أن حكم الطغاة قد عرف طريقه إلى مدن كثيرة نتيجة للصراع الاجتماعى مـــثل كولوفون واريثيراى (Erythrae) وخيوس، وليندوس فى رودوس، وناكسوس. وفى الـــروايات المتأخرة كان كليوبولوس (Cleobulus) ، طاغية ليندوس من الحكماء السبعة ، وكـــان ليجداميـــس (Lygdemis) ، طاغـــية ناكسوس ، معروفاً بصداقته لكل من الطاغية بيزاســـتراتوس الاثينى وبولوكراتيس الساموسى. كما وجد نظام الطغاة فى كل من خالكيس وارتريا لفترة قصيرة من القرن السادس.

وتخـــتلف الظروف التى نشأ فيها نظام الطغاة فى المستعمرات اليونانية فى الغرب — صـــقلية وإيطالـــيا — حيـــث أن الروابط والعلاقات الاسرية لم تكن هامة مثلما هى فى بلاد الـــيونان الام . وكان على المستعمرين أن يواجهوا ويتعاملوا مع السكان المحليين أيضاً فى ظـــل تنافســـهم مع الاتروسكيين والقرطاجيين ؛ ولذا كان ينبغى عليهم أن يكونوا فى حالة اســـتنفار عســـكرى دائـــم والذى كان فرصة رائعة للقادة الطموحين ليمسكوا بزمام السلطة وحدهم ، ولدينا العديد من اسماء الطغاة الذين حكموا فى العصر العتيق ، وكان من اشهرهم فـــالاريس (Phalares) الذى حكم اكراجاس فى الربع الثانى من القرن السادس . فقد قاتل ضد السيكيين وحاول أن يمد نفوذه للمستوطنات اليونانية المجاورة .

ونكـــتفى هـــنا بالحديـــث عن الطغاة ولكن سنعود للحديث عنهم فى اثينا وعند تناول الحـــروب الفارســـية . وبعد أن عرضنا لعدد من الطغاة وظروف توليهم السلطة وما قدموه لمجـــتمعاتهم نحـــاول الآن تذكـــر الاسباب الحقيقية وراء قيام هذا النظام . يمكننا القول أن الطغاة قد وجدوا فى عصر اضطرابات وتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وحيث أن نظـــام الطغـــاة قـــد وجـــد فى مدن كانت تجارتها وصناعتها فى نمو مضطرد مثل كورينثة وميليـــتوس وســـاموس وميجارا فمن المعقول أن نستنتج أن الطغاة قد لقوا تعضيداً وتأييداً مـــن الـــتجار والصناع والذين كانت لديهم ثروات منقولة بدلاً من الارض التى كانت معياراً للـــثروة والمدخل للسلطة والامتيازات ، كما أنهم كجند مشاة ثقيلى العدة كانوا مستاءين من

السيطرة الكاملة على شئون الدولة من قبل الأرستقراط ملاك الاراضى ، ولم يكن الطغاة انفسهم من طبقة العمال والحرفيين ولا ينبغى أن نفكر فى اعتبارهم زعماء لثورة عمالية فعلى العكس لقد كانوا عادةً من النبلاء الطموحين والذين كانوا فى صراع مع نبلاء آخرين ، وعلى الرغم من أن بعضهم كان ينتمى إلى الطبقة الاجتماعية المتدنية ، وفى نفس الوقت لا ينبغى أن نقول أنه لم تدعمهم الجموع ، لقد كان وصولهم للسلطة إن لم يكن دائماً ، بدعم من المؤيدين العسكريين ومن الراجح كقواد عسكريين لجند المشاة ،. ونجد أن البعض منهم قد استمر فى السلطة التى كان قد تم انتخابهم لها ولكنهم لم يتقاعدوا بمجرد انتهاء المدة ، ولعل الظروف الداخلية والخارجية هى التى ساعدتهم على الاستمرار فى تولى السلطة وما ينتج عنها من البطش بالخصوم بالنفى والتشريد حيناً وبالنفى ومصادرة الممتلكات حيناً آخر ، كما يمكننا القول أن نظام حكم الطغيان قام بتعضيد من الطبقات الدنيا ومن عناصر من السكان الأصليين المحرومة من الامتيازات مثلما حدث فى سيكيون وفى تأييد فيدون لبيسا ضد ابيس . ويمكن أن نقدم بعض الملاحظات حول طبيعة الفترة التى حكموا فيها وهى:

١ - إذا كان الطغاة قد عاملوا نفراً من الأرستقراط بقسوة وشدة بالقتل والنفى والمصادرة فإن العلاقة كانت بين الأرستقراط والطغاة طيبة . وإذا كان الطغاة قد صادروا الاملاك فإنهم قد وزعوها على كل من اتباعهم وصغار الملاك .

٢ - من الواضح أن الطغاة لم يُدخلوا تعديلات جوهرية على ادارة الحكم التشريعية فى المدن المختلفة . إن التغير الأساسى يقع فى وضعهم الوظيفى هم انفسهم والبعض منهم قد استمر بشكل غير دستورى فى الوظيفة التى كان يشغلها ومن بين هؤلاء كيبسيلوس وأروثاجوراس . ومع ذلك فإن قوتهم كانت تعتمد على شخصيتهم الناجحة فى قيادة الطبقة المتذمرة من الأرستقراط والطبقتين الوسطى والدنيا . إن التغير الأساسى الذى ادخلوه فى الادارة التنفيذية هى أنهم رشحوا اتباعهم واعوانهم لشغل الوظائف الهامة واصبحوا اعضاء فى المجلس .

٣ - اتسمت فترة حكم الطغاة فى مرحلتها الباكرة بالنشاط وحل ومواجهة المشاكل

الاقتصـــادية والاجتماعية التى كانت سبباً فى توليهم سدة الحكم . فقد كان الطغاة بناعين عظـــام ، ففى مختلف المدن شُيدت المعابد من الحجر والتى كانت تبنى من اللبن من قبل ، وفـــى الواقـــع لم يشيد من الهياكل والمعابد فى عصر من العصور فى العالم اليونانى بأســـره لا قـــبل عصر الطغاة ولا بعده ما شيد منها فى أيامهم ولايزال البعض منها فى صـــقلية وجـــنوب إيطالـــيا ماثلاً حتى الآن يتجلى فيه فن البناء اليونانى فمازال معابد اكراجاس تشهد على اهتمامهم بالعمارة وتطورت الموانئ وعُبدت الطرق .

٤ – اهـــتم الطغـــاة بالحـــياة الثقافية والحضارية ، فقد أقاموا أو أعادوا تنظيم الاحتفالات للآلهة المختلفة . وشجعوا اشهر الفنانين والمعماريين والأدباء . لقد كان جل الطغاة من أصـــحاب الذوق الرفيع ، فقد استخدموا مواردهم المالية الكبيرة ونفوذهم السياسى حتى جعلـــوا من أنفسهم حماة يشار إليهم على أنهم حماة العلم والفنون . فعلى سبيل المثال نجد أن بوليكراتيس طاغية ساموس لم يستقدم كل من ابيكوس وأناكريون فحسب وإنما اســـتقدم الصـــائغ ثـــيودوروس وأشـــهر الأطـــباء فى عصره ديموسيديس كما استقدم المهندســـين الذين قاموا ببناء سد له وقناة أرضية لايزالان حتى الآن فى تيجانى . كما نجـــد أن كل من بيزاستراتوس وولده قد أضفيا على أثينا روعة وبهاء ، فقد شجعا فن النحـــت. كما دونت الملاحم الهومرية زمن بيزاستراتوس . كما نجد أن طغاة صقلية من أمـــثال ثيرون حاكم اكراجاس وهيرون حاكم سيراكوز قد كانوا رعاة كرماء لشعراء من أمثال سيمونيديس وبلخيليدس وبندار واسخيلوس .

جملـــة القـــول أن الطغـــاة كـــانوا رعاة للفنون والآداب وكانوا أكثر ثراء من الطبقة الأرستقراطية القديمة ، ومن الطبيعى أن اهتمامهم هذا كان دافعه الرغبة فى الشهرة وذيوع الصيت وكسب اعجاب مواطنيهم .

٥- يعـــد عصـــر الطغاة من أعظم عصور تاريخ العالم اليونانى لأنه نبغ فيه أعظم الرجال وأكبر قادة الأفكار ، فكأن العقول حلت فيه من عُقلها أو انبعثت من رقادها .

٦ – لقد مثل الطغاة مرحلة حتمية بالنسبة لتطور نظم الحياة فى المدن المختلفة . فقد كان وجودهـــم ضرورة لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولكن كلما ازدادوا

نجاحاً كلما قلت الحاجة اليهم . فقد كان نظام الطغيان يمثل مرحلة انتقالية وعندما يحاول أن يكون دائماً كان يسقط فبعد انجاز الواجبات الانتقالية ، فقد كان يتم اسقاطه وذلك من خلال الأرستقراط المنفيين احياناً ومن خلال الطبقة الوسطى المؤيدة له ، والذين ليس لديهم الرغبة فى السماح لظاهرة انتقالية أن تصبح دائمة ، أحياناً أخرى . كما أن اسبرطة لعبت دوراً فى اسقاط نظم الطغاة فى بلاد اليونان .

٧ – يلاحظ أن الجيل الأول كان أكثر نجاحاً وتوفيقاً وذلك للظروف التى تولوا فيها السلطة ويعود ذلك ايضاً إلى طبيعة اشخاصهم ؛ ولذا كانت قسوته أقل من الجيل الثانى فى الصرامة وكان عليه عادة أن يحافظ على وضعه ووظيفته من خلال حراس شخصيين .

٨ – لقد وسع الطغاة قاعدة الحكم فى كثير من المدن وذلك بضم الطبقة الوسطى فى بعض الاحيان وبضم العناصر السكانية الاصلية فى احيان أخرى .

٩ – لقد كانت انجازاتهم قوة رائعة لنمو وتطور المدن ونظمها . فقد اهتموا بشئونها الداخلية والخارجية .

١٠ – شهد العصر العتيق ابتكاراً عظيماً ، وهو اختراع العملة . وقد واكب ظهور العملة "عصر الطغاة" وكان ظهورها مواكباً لتراكم الثروات المنقولة . كانت المقايضة هى وسيلة التبادل فى العصر العتيق وهذا اكدته اللقى الأثرية فى المقابر وما قدمته لنا الاشعار الهومرية من معلومات فقد كانت مخازن الابطال مكتظة بالآنية الفخارية والمعدنية الجميلة ومختلف المواد المصنعة من الذهب، مثل الكؤوس والاطباق ، والمصنوعات أو المشغولات الذهبية والملابس الجميلة وسبائك الذهب والفضة والبرونز والحديد وكلما زادت ثروة الشخص المنقولة زادت واجهته . وحيث إن التجارة اعتمدت على المقايضة فإن هذه المواد يمكن تبادلها بمواد أخرى وأحياناً كان يتم استخدام سبائك الذهب والفضة والنحاس والحديد وفى هذه الحالة فإن الحاجة لمعرفة الوزن والنقاء إن أمكن وفى بعض مناطق البلوبونيز فإن عملة حديدية من فئة الأوبل والست أوبلات كانت مقبولة. ووفقاً لبعض الروايات فقد قدم فيدون لمعبد الربة هيرا بعض هذه العملات ويرى البعض أنه هو الذى ابتكر الاوزان والعملة المضروبة من الفضة ، ولكن من

المؤكــد أن فيدون لم يخترع العملة . فهناك اتفاق بين عدد كبير من الباحثين من علماء العملة أن أول اصداراتها قد سك فى آسيا الصغرى .

كمــا يوجــد الآن شك حول رواية كل من اكسينيفون وهيرودوت بأن أول سك للعملة الذهبــية والفضــية كــان بمملكة ليديا لأن لدينا عملات تم العثور عليها فى افسوس والتى تؤرخ بالثلث الأخير من القرن السابع . والمدن الأيونية لا تقدم دليلاً مشابهاً ولكن يمكن أن نــرجح أنهــا قــد عرفت العملة فى نفس فترة معرفة افسوس لها. ثم انتقل سك العملة إلى ايجينــيا سنة ٥٩٠ ق.م وفى كورينثة ظهرت أول عملة لها سنة ٥٧٥ ق.م بينما أول عملة اثينــية تعود إلى سنة ٥٦٠ق.م . وكان نتيجة ادخال والاعتراف بالعملات تغيرات اقتصادية واجتماعــية هامــة . وأصــبح الاقتصاد النقدى هاماً ، ومع ذلك فإن الاقتصاد الطبيعى – المقايضة – لم ينته فى كثير من مناطق بلاد اليونان .

وقــد رأى الــبعض أن الغــرض مــن اختراع العملة كان الرغبة فى تسهيل التجارة المحلــية ولكن رأى العلماء حديثاً فى ضوء فئة أو نوعية العملة ما يدحض هذا الرأى . إذ أن غــياب الفئات الصغيرة من العملة بالمدن الكثيرة يؤكد أن اختراع العملة لم يكن بهدف تســهيل الــتجارة المحلية ، وعلاوة على ذلك فإن فئات العملة الكبيرة لا يبدو أنها قد شاع اســتخدامها على نطاق واسع خارج مناطق اصدارها مثل العملة الصغيرة . إن فئات العملة الصــغيرة كانت لا تخدم تسهيل الأعمال اليومية ، فأجرة العامل فى اثينا فى القرن الخامس هــى دراخمــة واحــدة فــى اليوم ، بينما كانت فئات العملة هى فئة الدراخمتين أو الأربع دراخمــات. وهــذه العملات تكون عديمة الفائدة للتجارة الداخلية وللأنشطة الأخرى. ولكن الــرأى الأقرب إلى الواقع أن هناك حاجة إليها لدفع رواتب المرتزقة كما كانت تصدر كميات كبــيرة مــنها إلــى مصــر وقد نُظر إليها كمعدن لا كعملة كما استخدم سك العملة لاظهار الاســتقلال السياسى فكانت تحمل شعار المدينة ، كما أن سك العملة كان يخدم الغرض العام بالدولة من رسوم وضرائب وانفاق على المشروعات العامة ولكن كان ذلك فى نهاية القرن الخامس .

اسبرطة

إن دارس تاريخ اليونان يواجه معضلة نقص المصادر بالنسبة للفترة الباكرة منذ خاصة في فترة العصور المظلمة أي بعد انهيار الحضارة الموكينية ، لذا لا يجد الباحث أمامه سبيل سوى استخدام المادة المتاحة لوصف أهم الأحداث، والتطورات التى مرت بها بلاد اليونان ، بيد أنه ابتداء من القرن السادس فقد بدأت المصادر تجود بفيض من المعلومات حول بعض أجزاء بلاد اليونان المختلفة مما يمكن الباحث من دراسة مناطقها المختلفة دراسة مسهبة .

ونتيجة لكثرة المادة العلمية وضخامتها فإنه لا يوجد كتاب جامع يعالج بإسهاب شئون المدن اليونانية . وأمام هذا فإننا لا نستطيع أن ندرس أحوال تلك المدن جميعها وإنما سنحاول أن نخص بالدراسة نموذجين للمدن اليونانية وتطور أحوالها ونظمها هما اسبرطة وأثينا . فالأولى كانت محافظة فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم فقد كانت رمزاً للأوليجرخية ، كما أن نظمها كانت تجمع بين اشكال مختلفة من أنظمة الحكم فى المدن الأخرى وكان دستورها دستوراً مختلطاً يجمع بين النظم الملكية والأرستقراطية والديمقراطية ، بينما كانت أثينا متطورة فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية ولذا فهى مركز للديمقراطية. وسنتناول فى الصفحات التالية عرض موجز لتاريخ اسبرطة .

ترجع أهمية دراستنا لتاريخ اسبرطة إلى أنها كانت تحتل مكانة علية وفريدة بين المدن الدول اليونانية ، ولا يرجع هذا إلى الدور الذى لعبته فى الشئون السياسية اليونانية بقدر ما يرجع إلى غرابة اسلوب الحياة الذى أخذت به نفسها ، وما انعكس من أثر هذا الاسلوب فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لقد نالت اسبرطة ونظمها الفريدة شهرة عظيمة فى العالم القديم وأثارت نقاشاً كبيراً بين المفكرين الأقدمين والمحدثين فمنهم من أعجب بها أيما إعجاب ومنهم من كرهها وانتقدها أشد الانتقاد . والمصادر المتاحة عن تاريخ اسبرطة فى العصور الباكرة ، إبان القرنين الثامن والسابع ، شحيحة ولذا سنعتمد

علـــى الأدلـــة الأثرية والروايات الغامضة والمتناقضة عند الكتاب المتأخرين مثل باوسنياس والشـــذرات الباقـــية مـــن شعر الشعراء الذين عاشوا فى اسبرطة فى القرن السابع ، مثل تـــيرتايوس والكامـــان Alcaman وتـــرباندر Terpander من لبسوس خاصة وأن هذه الأشـــعار الباقـــية تقدم لنا معلومات مفيدة عن تلك الفترة ، وذلك لأن أغلب ما كتبه الكتاب القدامى عن اسبرطة لم يتم حفظه .

وفـــى القـــرن الخـــامس ، فقـــد كتـــب كل من هيرودوت وثيوكيديديس عن أسبرطة والاســـبرطيين ، ولكنهما كانا يصبا اهتمامهما على العلاقات الخارجية، وإذا كان هيرودوت قـــد ركـــز فـــى كتاباته على فترة الحروب الفارسية وعلى الجيل السابق عليها أو الجيلين الســـابقين عليها ، فإننا نجد ثيوكيديديس قد ركز على حرب البلوبونيز . وفى القرن الرابع كتـــب لـــنا اكســـينيفون باسهاب عن اسبرطة والاسبرطيين ولكنه مثل ثيوكيديديس قد عالج الأحـــداث المعاصرة له . كما تقدم لنا شذرات من كتابات أفوروس معلومات طريفة ، وهذه الشذرات قد وجدت طريقها لكتاب متأخرين ، عن العلاقات العدائية بين أرجوس واسبرطة ، وفى نفس القرن فإن كل من أفلاطون ، و أرسطو قد ناقشا أوضاع اسبرطة بشكل مطول فى كتابـــتهما عـــن الفلسفة السياسية وبينما كان أفلاطون محباً لنظمها ، كان أرسطو ناقداً لها أشد النقد . وفى العصور الهلينيستية نجد الشاعر رهيانوس الكريتى الذى قدم لنا معلومات عـــن الحروب مع ميسينيا . ومن الكتاب الذين وجهوا اهتمامهم لتاريخ اسبرطة باوسانياس وبلوتارخ . فالأول قدم لنا معلومات مفيدة فى كتابه الثالث حول العبادة والجوانب التاريخية وعالج به الكثير من الأساطير ، بينما قدم لنا بلوتارخ دراسة بعنوان ليكورجوس وقدم فيها صـــورة قانونـــية لنمط الحياة الاسبرطية وهى الصورة التى أسست الأسطورة الاسبرطية ، ومـــع ذلك ، فإن هؤلاء الكتاب لا يعرفون الكثير من المعلومات عن تاريخ اسبرطة الباكر ، وعلـــى نحـــو مثير لا يعرفون إلا القليل حول نظام اسبرطة الداخلى فى عصرهم ، ويقدم لنا ثيوكـــيديديس الســـبب حول جهل الكتاب بتاريخ اسبرطة إذ نجده يشتكى من أن الاسبرطيين كـــانوا يحاولون أن يمنعوا كل المعلومات عنهم . وفى الواقع فإن الاسبرطيين قد نجحوا فى بـــناء ســـياج بينهم وبين بقية العالم اليونانى . وينبغى أن نذكر بعض الملاحظات حول تلك

المصادر وأن نأخذ الحيطة عند تناولها . فقد كانت اسبرطة دولة اوليجرخية محافظة أو من آلافضـل رجعـية فى نظر الكتاب أصحاب العقلية الديمقراطية ، بينما كانت بالنسبة للكتاب الارسـتقراطيين دولـة نموذجـية قدموها في ثوب قشيب وقد ساعدوا على تطوير ورسم صـورة إسـطورية لهـا ، ومـن ثم ينبغى علينا أن نكون على دراية بالخلفية السياسية والاجتماعـية لهـؤلاء الكـتاب وحـتى لا نقبل معلوماتهم كما هى . فعلى سبيل المثال فإن بلوتارخ فى كتاباته عن حياة ليكورجوس يقرر حقيقة حول شخص ليكورجوس إذ يقول "فلا نعـرف مـن هو ومتى عاش" ، وقدم وصفاً رائعاً لنمط الحياة الاسبرطية التى ربطها باسم لـيكورجوس ولكـن نقـول إنـه تأثر فى كتاباته بمصلحين من القرن الثالث وهما الملكان الاسـبرطيان أجيس وكليومنيس , فقد حاولا القيام بثورة اجتماعية وذلك بإدخال سلسلة من الاصـلاحات : مـنها – على سبيل المثال – الغاء الديون ، وإعادة توزيع الأراضى معتقدين أنهمـا يعـيدان نظـام ليكورجوس ، ولهذا فمن الواضح أن بلوتارخ عندما كتب عن حياة لـيكورجوس قد نقل بغير وعى بعض الأحوال والأوضاع من القرن الثالث إلى الأيام الباكرة للتاريخ الاسبرطى . وبعد أن عرضنا للمصادر ننتقل الآن للحديث عن اسبرطة فى ضوء ما هو متاح لنا من معلومات .

إن اسـم لاكونـيا ينطبق على أرض اسبرطة ، وهى تشكل الجزء الجنوبى من شبه جزيـرة البلوبونـيز ويحدهـا من الجنوب والشرق البحر ويفصلها من الشمال عن كل من أركاديـا وسـهل أرجـوس سلسلة من الجبال والتى يكون امتدادها سلسلة جبال تايجتوس (Taygetus) ويحدها من الغرب سلسلة من الجبال منها جبل بارنون الممتد إلى رأس ماليا . ويقـع نهر يوروتاس بين سلسلة جبال تايجيتوس ومرتفعات أركاديا وترويه عدة جداول تنسـاب مـن هذا الجبل الذى يبلغ ارتفاعه ثمانية آلاف قدم . وكانت لاكونيا من أكثر اقاليم بلاد اليونان انعزالاً.

وقد كشف لنا المسح الأثرى عن وجود أكثر من ٥٠ موقعاً لمحلات سكنية من القرن الثالـث عشر وإن كان أغلبها قد عانى من الخراب والدمار ابان الكارثة الكبرى التى ضربت الحضـارة الموكينية حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م ، وقد سمى هوميروس مملكة مينلاوس باسم

"لاكـيدايمون" ويسمى عاصمتها باسم اسبرطة "Sparte" . وهذه المملكة كانت موجودة ف لاكونـيا . وإن كنا لا نعرف على وجه التحديد عاصمتها ولعلها كانت تقع بالقرب من ثيرابنا (Therapna) علـى الضـفة الشـرقية من نهر يوروتاس حيث كانت تقع مدينة مينلايون (Menelaion) فـى العصـور التاريخـية . وقد شهدت مدينة ثيرابنا مولد عبادة مينلاوس الحـاكم الاسـطورى للاكـيدايمون زوج هيليـنا أو لعلها تقع على الضفة الغربية عند بلدة أمـيكلاى (Amyclae) الواقعـة على بعد أربعة أو خمسة أميال من اسبرطة ، فقد عثر فى هذا الموقع على كؤوس ذهبية بديعة الصنعة فى مقبرة بالقرب من فافيو (Vaphio) بجوار المخلفات الأثرية فى أميكلاى .

وقد سبق أن ذكرنا أن اسباب انهيار الحضارة الموكينية ما يزال موضع نقاش وجدل بيـن الباحثيـن وسـواء أكانـت المسئولية تقع على الهجرة الدورية أو ثورة الموكينيين الدوريـين أو شعوب البحر فإنه لا يوجد دليل أثرى حول وجود الدوريين فى كل من سهلى أرجـوس ولاكونيا حتى السنوات الأخيرة من القرن الحادى عشر. فقد بدأ وصول الدوريين إلـى سهل أرجوس ولاكونيا وميسينيا ابان فترة الهجرات فى القرن العاشر . ويرى نفر من الباحثيـن أنهـم قـد أتوا من كريت كى يستقروا فى جنوب بلاد اليونان ، ولكن هناك الآن إجماع على أنهم قد وصلوا من وسط بلاد اليونان إلى البلوبونيز وأن منطقة سهل أرجوس هـى أول مـنطقة نـزلوا بهـا واحتلوها ، ومن هنا فإن تأثيرهم قد انتشر إلى شمال خليج كوريـنثة ، كمـا وصلوا إلى سهول لاكونيا وميسينيا وأسسوا العديد من البلدات ، وهذا ما كشـف عنه لنا فخار ما قبل الهندسى والذى يعود تاريخه إلى الفترة مابين ١٠٠٠ و ٩٥٠ ق.م ، وكـان مـن أهـم الـبلدات اربع بلدات هى بيتانا (Petana) ، وميسوا (Mesoa) ، وليمـناى (Lemnae) ، وكونـوورا (Conooura) ، وتقع هذه البلدات على بعد أربعة أو خمسـة أميال من أميكلاى الموكينية . وقد تطورت هذه البلدات الدورية ببطىء ، وعلى ما يـبدو فإنـه قـد قـام بينها اتحاد فى القرن التاسع وأطلق عليه اسم اسبرطة . وظلت هذه البلدات غير مسورة حتى بُنى حولها سور فى العصر الهلينستى .

اختلف الباحثون فى تفسير اسم اسبرطة ، فالبعض يفسره على أنه مشتق من النبات المنتشر هنا وهو "Spartos" وهو نبات الوزال الاسبانى ويرى فريق آخر أن الاسم اشتق من "Sparte" بمعنى الارض المبذورة وعلى الرغم من أن المصادر الأدبية قد استخدمت تسمية اسبرطة على نطاق واسع ، فإن الاسبرطيين قد أطلقوا اسم لاكيدايمون (Lacaedaemon) على مدينتهم والارض التابعة لها . ففى كل المعاهدات والوثائق المشابهة فقد كان الاسبرطيون يوصفون باللاكيدايمونيين .

كانت محاولة اللاكيدايمونيين السيطرة على سهل لاكونيا عملية بطيئة وصعبة فقد لاقوا مقاومة من الآخيين ، وهذا ما توضحه حقيقة أن بلدة أميكلاى الآخية والواقعة على بعد ثمانية كيلو مترات تقريباً لم تنضم إلى اسبرطة حتى وقت ما فى النصف الأول من القرن الثامن . ومن المرجح أن أميكلاى قد وصلت مع اسبرطة لشروط مرضية جعلتها تنضم إلى اتحاد القرى الأربع ، ودليلنا على ذلك أنها لم تدمر بل أدمجت كبلدة خامسة فى مدينة اسبرطة ، وكان من نتيجة اندماجها أن تعاظمت قوة اسبرطة ، وفى المقابل أضعف ذلك الاندماج البقية الباقية من القوى الموكينية فى منطقة لاكونيا بحيث وصلت اسبرطة بسيطرتها جنوباً حتى البحر فى غضون جيل واحد . ولا يمكننا أن نعطى معلومات مفصلة عن التوسع اللاكيدايمونى فى خلال القرنين الثامن والسابع فى لاكونيا ، وذلك لقلة المصادر المتاحة عن هذه الفترة . ففى ضوء اللقى الأثرية والروايات الرومانسية التى أوردها باوسينياس فى كتابيه الثالث والربع واللذان خصصهما الكاتب للاكونيا وميسينيا ، كان توسع اسبرطة فى لاكونيا يتم على حساب البقية الباقية من الآخيين ، وأيضاً على حساب العناصر الدورية التى استقرت فى بعض الأماكن فى لاكونيا فى نفس الفترة التى كانت تتكون اسبرطة فيها ، ومن المرجح أن التجمعات الدورية والآخية لم تدمر كلها ، ولكن على ما يبدو قد تحالف بعضها مع إسبرطة ، ولكنها اصبحت تابعة لها من الناحية السياسية، وأصبح يطلق على هذه الجماعات الحلفاء أو الجيران (Peroicoi) ،وقد احتفظت تلك الجماعات باستقلالها الذاتى المحلى ، ولكن على الأقل كان عليهم أن يقدموا خدمات لاسبرطة . وفى نفس الوقت الذى قبلت فيه اسبرطة التحالف مع بعض الجماعات فإننا

نجدهـــا قد ضمت وأدمجت إليها جماعات أخرى وانزلتهم إلى مرتبة المزارعين المربوطين بـــالأرض حيث قسمت أراضيهم بين الاسبرطيين والذين كانوا ملاكاً متغيبين . ورُبط السكان الأصـــليون بـــالأرض وأصبحوا يعرفون باسم (Helots) وسنعود للحديث عنهم فيما بعد . وننتقل الآن للحديث عن ضم ميسينيا .

كانـــت ميســـينيا جزءاً من العالم الموكينى ، فقد قامت بها مملكة نستور فى بيلوس (Pylos) ، وبانحدار وتدهور الحضارة الموكينية بها فى نهاية القرن الثالث عشر فقد دخلت ميســـينيا العصـــور المظلمة و توافدت عليها الهجرات الدورية إبان تلك الفترة ، ويمكننا أن نتصور وجود تجمعات صغيرة بعضها كان دورياً صرفاً وبعضها موكينياً ، وبعضها مختلطاً من العناصر الدورية والموكينية.

تكشـــف لـــنا المصـــادر عن اسباب غزو الاسبرطيين لميسينيا الواقعة غرب اسبرطة وتـــرجعها لحـــبهم الشديد للقتال والغزو وفى نفس الوقت لحاجتهم إلى مزيد من الاقطاعات مـــن الأراضى الزراعية لمواجهة زيادة عدد المواطنين الاسبرطيين والذين أصبحت أراضى لاكونيا لا تكفيهم .

ومعلوماتـــنا عـــن الغـــزو الاسبرطى لميسينيا تكاد تكون محدودة ، فقد بقى لنا منها شـــذرات مـــن أشعار تيرتايوس والوصف والروايات الرومانسية التى قدمها باوسينياس فى كـــتابه الـــرابع والـــذى يقرر فيه أنه استقى معلوماته عن الحرب الميسينية من كاتبين من القـــرن الثالـــث وهم ميرون (Myron) من برينى (Priene) ورهيانوس من بينى (Bene) الكريتـــية وعـــاش فـــى الأسكندرية . وقد كتب الأول نثراً حول جزء من الحرب الميسينية الثانـــية فـــى ملحمـــة بعـــنوان "Messeneaca" وبطلهـــا أرستومنيس (Arestomenes) الميســـينى ، كمـــا نجـــد أن المـــؤرخ كاليسثينيس (Callesthenes) فى تاريخه اليونانى (Hellenic History) قـــد قـــدم اســـتطراداً عـــن الحرب الميسينية وابطالها . كما نجد أن المؤرخ أفوروس المعاصر لكاليسثينيس قد ميز بين حربين ميسينيتين باكرتين . أولاهما قد اســـتمرت عشـــرين عامـــاً ولم تكتمل سيطرة اسبرطة على ميسينيا فيها ، ثم نشبت الحرب

الثانــية بعــد فــترة مــن الزمــن (٦٨٥ - ٦٦٨ أو ٦٤٠ - ٦٢٠ق.م) وكــان بطلهــا أرستومينيس.

وفى المصادر السالفة الذكر يبدو أنه من المرجح أن الاسبرطيين قد قاموا قبل الحرب الميســينية الأولــى بعــبور جــبال تايجيــتوس وهيمــنوا على منطقتى نيدون (Nedon) ودينثيلاياتــيس (Dentheleates) وأثيــنا علــى الساحل الشرقى والشمالى لميسينيا ، وقد فرض الاسبرطيون على بعض التجمعات المغلوبة التحالف معهم كأتباع وجيران .

أمــا عــن الحرب الميســينية الأولى فيبــدو أنها وقعت فى الفتــرة ما بين ٧٣٦ - ٧١٦ ق.م ونعــتمد فــى ذلك على قول تيرتايوس "أن ملكنا ثيوبومبوس (Theopompus) الــذى من خلاله استولينا على ميسينيا" . ثم يستطرد قائلاً إن آباء أبائنا قد قاتلوا من أجل ميســينيا لمــدة تســعة عشــر عاماً وفى العام العشرين هرب المسينيون عبر جبال إثومى (Ithome) ، كمــا يؤكد هذا القول أيضاً ما ورد فى قائمة المنتصرين فى الألعاب الاوليمبية فى الفترة الممتدة من ٧٧٦ - ٧٣٦ ق.م والمسجل بها اسماء اصحاب الانتصارات أنه كان مــن بينهم سبعة من الميسينين ، والجدير بالذكر انه لم يظهر بها ميسينى آخر حتى القرن الــرابع مــع اســتثناء واحد سجل سنة ٦٨٤ ق.م ، كما أن نفس القائمة يمكن أن يستخدم كدليل على أن اسبرطة استولت على جزء فقط من ميسينيا فى الحرب الميسينية الأولى فقد سيطروا على سهل نهر باميسوس (Pamisus) بعد أن فر بعض الميسينين من قلعتهم على جــبل إثومى ، والباقين منهم والذين لم يكن لديهم القدرة على الهرب إلى مناطق أخرى من البلوبونــيز قد انزلوا إلى مرتبة "helots"، أى الذين وضعت عليهم أعباء وفروض كثيرة مــثل الحمــير على حد قول تيرتايوس . أما المنطقة الساحلية المحيطة بخليج ميسينيا فقد قامــت اسبرطة بتنظيم مجتمعات حليفة (Peroicoi) معها ومن المرجح أنهم كانوا من بين الميسينين والذين كانوا بشكل رئيسى من الدوريين .

والمؤرخــون المحدثون يرون أن الحرب الميسينية الثانية قد وقعت فى الفترة ما بين (٦٦٠ - ٦٥٠ق.م) وهــى الحــرب الــتى عاصرها تيرتايوس والذى يذكر أن أحفاد الذين خاضــوا الحرب الأولى هم الذين قاموا بها لإخماد ثورة الميسينين الذين كانوا ينتظرون أول

فرصـــة للاستفادة من كوارث أسبرطة على حد قول أرسطو . ويفترض كثير من الدارسين أن الحـــرب الميسينية الثانية قد بدأها الميسينيون بعد أن هزم الأرجوسيون الاسبرطيين فى موقعـــة هيسياى (Hysiai) سنه ٦٦٩ق.م ، و بدأ الميسينيون الحرب بعد أن حصلوا على وعـــود بـــتلقى العـــون من الأرجوسيين والأركاديين وغيرهم فى حربهم ضد الاسبرطيين ، وكانـــت هـــذه الحـــرب حرباً مريرة استغرقت ردحاً من الزمن وقد أثار فيها ترتايوس روح الوطنـــية لـــدى الاســـبرطيين بما كان ينشده من أشعار مثل قوله "إنه لشيء طيب ، وعادل للـــرجل الطيب أن يسقط ويموت فى القتال من أجل أرضه" ونعرف من هذا الشاعر أيضاً أن الاسبرطيين قد تبنوا أسلوب القتال المعتمد على جنود المشاة ثقيلى العدة ، وفى هذه الحرب تحصـــن الميسينيون فى القلعة الجبلية "هيرا" الواقعة بالقرب من الحدود الأركادية . ويروى لـــنا باوســـينياس نقلاً عن الشاعر رهيانوس روايات رومانسية عن بطولات ارستومينيس القائد الميسينى في هذه الحرب بيد أن النصر كان حليفاً للاسبرطيين فى النهاية . وكان من نـــتائجه أن أكمـــل الاسبرطيون غزو ميسينيا وخاصة فقد توسعوا صوب الشاطئ الغربى ، ولمـــا كـــان هـــذا الجزء جبلى وغير ملائم للزاعة ، فإنه من غير المحتمل أن أعداد سكانه القلـــيلة لـــم يصـــبحوا علـــى الأقل بالمفهوم المرتبط بربطهم بالأرض مثل الذين فى سهل بامـــيوس . وبعدهـــا أقـــام الاسبرطيون حزاماً من المجتمعات الحليفة (Peroicoi) ، ولعل بعضهم كان من العنصر الدورى الميسينى والبعض الآخر كان من اللاجئين من مدينتين فى ســـهل أرجـــوس وهمـــا مدينة اسينى (Asine) ونوباليا (Nauplia) والتى كان قد دمرهما الارجوسيون ، فقد تم إنشاء أسينى جديدة على الشاطئ الغربى لخليج ميسينا ، بينما استقر النوبالـــيون فـــى مثيونى (Methone) على الساحل الغربى لميسينيا . ولكن يبدو أن بعض القلاقـــل والمتاعب قد استمرت للاسبرطيين فى ميسينيا ولم يسيطروا عليها كلية ، وهذا ما يؤكده قول القائد الطيبى إبامونيديس (Epamonides) والذى قاد القوات الطيبية وحلفاءها ســـنة ٣٧٠ / ٣٦٩ق.م فى البلوبونيز وغزوه لاكونيا واستعادته استقلال ميسينيا . إذ نجده يقـــول "أنـــه أســـس ميسينيا بعد ٢٣٠ سنة ، فقد رأى – أو اعتقد – إبامونيديس أن نضال الميســـينيين قـــد انتهى فى سنة ٦٠٠ ق.م ، وهذا يعنى أن بعض القلاقل والثورات أو أن اجـــزاء من ميسينيا لم تضم إلى اسبرطة إلا فى سنة ٦٠٠ ق.م . وبهذا فاند اكتملت سيطرة

الاسـبرطيين علـى الجـزء الجـنوبى مـن البلوبونيز وفيما وراء منطقة ايليس وأركاديا وأرجـوس . ولـم تكـتف اسبرطة بفتح ميسينيا بل نجدها قد دخلت فى حروب مع أركاديا وأرجـوس وهو ما سنتناوله عند الحديث عن سياستها الخارجية. قصارى القول أنه يمكننا القـول أنـه فـى نهايـة القرن السابع كانت اسبرطة تسيطر على كل لاكونيا وميسينيا بعد حروب مريرة . وأنها وصلت إلى اقصى اتساع لها. وسنحاول أن نعرض لنظمها السياسية، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وعلاقاتها الخارجية فى الصفحات التالية.

التنظيم السياسى

لـم تعرف اسبرطة مثل المدن اليونانية الأخرى فى العصور الباكرة القوانين المكتوبة بـل كانت كلها تعتمد فى تصريف شئونها على العرف ، والتقاليد . وتتفق الروايات على أن المشـرع ليكورجوس هو الذى قدم للاسبرطيين القوانين والنظم الأولى التى اتبعوها ، وإن أعقـبها تعديـلات مـن قـبل الملوك الاسبرطيين والرقباء وفقاً للظروف والأحوال . كانت شخصـية ليكورجوس محل خلاف فى العصور القديمة إذ يقول عنه بلوتارخ "لا نسمع كلمة عـن ليكورجوس المشرع إلا وسمعت ما ينافيها فقد اختلفت الأقوال فى أصله ، وأسفاره ، وموتـه حتى شرائعه والحكومة التى أنشأها وأشدها اختلافاً ما قيل عن زمن وجوده ، وهل كـان بشراً مصلحاً أم من الآلهة آخر الأمر" . ووفقاً للروايات القديمة فقد كان ليكورجوس ملكاً بعد وفاة أخيه ، ولكن ما أن ولدت زوجة أخيه ولداً ذكراً حتى اعلن تخليه عن العرش، وأن الطفـل الولـيد هـو الملـك ، واعلن نفسه قيماً عليه ، ولكن حيكت ضده المؤامرات والشـائعات عن رغبته فى أن ينتزع الملك من ابن أخيه من قبل زوجة أخيه وأخوتها لأنها كانـت قـد شـعرت أنـه غدر بها ولم يتزوجها فأرادت الانتقام منه ، وأمام هذه الاتهامات الكاذبـة والشـائعات المغرضة قرر ليكورجوس أن يغادر اسبرطة والقيام بعدد من الاسفار والـتى كـان أولها سفره إلى كريت حيث درس نظمها وخالط كبار رجالاتهـا ، فاستحسن بعـض قوانيـنها وحـرص عليها ليجربها فى اسبرطة متى عاد اليها واقنع أيضاً حكمائها بالانـتقال إلـى اسـبرطة . وثـانى اسـفاره كانت إلى أيونيا حيث عرف لأول مرة قصائد

هومـــيروس ، وثالـــث أســـفاره كانت إلى مصر حيث اعجب بأنظمتها وخاصة تفريقهم بين رجـــال الحـــرب ، والطبقات الأخرى فنقل ذلك عنهم إلى اسبرطة . وكانت له اسفار أخرى عديدة .

عـــم الاســـبرطيون الأســـف لغيابه ورجوه غير مرة أن يعود قائلين : إن ملوكهم لا تخـــتلف عـــن عامـــة الشعب إلا بألقابهم ومقامهم ، ولكنهم يعرفون فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس إلى رأيه ، وكان الملوك أنفسهم راغبين فى عودته آملين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد ، وعندما عاد فقد وجد العقول مهيئة ، فبدأ بالقضـــاء على عوامل السوء وتغير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بأن القوانين الجزئية عديمة الجـــدوى وأنه يجب أن يبدأ بمداواة الأجسام المشوهة المريضة و طبائع الفساد بالعقاقير ، والأشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولمـــا اســـتقر رأيـــه على ذلك ذهب إلى مهبط وحى دلفى لاستشارة واستنباء الاله أبوللـــو، وبعـــد أن قـــدم إليه القرابين تلقى النبوءة والوحى المعروف ، حيث دُعى صديق الآلهـــة وأنـــه إلـــه أكـــثر منه انسان ، يضاف إلى ذلك أن الإله أبوللو أجاب سؤاله ، وأنه ســـيمنحه القـــدرة على إيجاد قوانين صالحة تمتاز بقوتها على جميع أنظمة الشعوب ، وقد مـــنحه الوحـــى أيضـــاً النبوءة الآتية لتنظيم المجتمع "عندما تقيم هيكلاً لزيوس سيلانيوس (Syllanius) واثينا سيلانيا (Syllania) وتقسم الشعب إلى قبائل و(Obae) وأنشئ مجلساً للشـــيوخ (Gerousia) مؤلـــفاً مـــن ثلاثيـــن عضواً بما فيهم الملكان Archagetai دعهم يجـــتمعون مـــن فصل إلى فصل للاحتفال بالابلا (Apella) بين بابيكا (Babyka) وكناكيون (Knakion) ، دع الشـــيوخ يقدمـــون مشروعات القوانين ولكن دع الشعب يكون له القرار النهائى".

وقـــد حدثت إضافة إلى هذه الـــ Rhetra وهى "إذا حاول الشعب الخداع فى التداول فعلـــى الملكين (Archagetai) والشيوخ أن ينسحبوا" وهذه الاضافة على حد قول بلوتارخ قد قام بها كل من الملكين بوليدوروس وثيوبومبوس وذلك بعد أن أخذ الشعب يفسد قرارات المجلـــس بـــالحذف والاضـــافة ، كمـــا علق على هذه العبارة بقوله "أنهم لا يوافقون على

القـرارات وأن يؤجلـوا الجلسـة ويلغوا قرارات الشعب لأنها غير مشروعة " ويضيف إن الملكيـن قـد اقـنعا مواطنـيهم أن هذه أوامر و إرادة الإله وإلى هذا المعنى أشار الشاعر تـرتايوس بقولـه "سـمعوا الحى من فم الاله أبوللو" كما نجد أن هذا الشاعر قد أشار إلى النـبوءة الـتى تلقاهـا ليكورجوس بقوله : "بعد الاستماع إلى فويبوس" (Phoebus) فقد أحضـروا من بيثو (Pytho) إجابات النبوءة والكلمات الكاملة للإله ! دع أخذ المبادأة بعزم مـن قـبل الملكيـن المؤلهين المبجلين ، الذين اعتنيا بمدينة اسبرطة الحبيبة ، وبواسطة الشيوخ وبعد ذلك دع الناس من الشعب يجيبون مع التشريع المباشر" .

والريـترا وفقـاً لبلوتارخ وترتايوس هى عبارة عن الوحى أو النبوءة التى نطق بها الاله أبوللو والتى سار عليها الاسبرطيون واعتبروها قانوناً . ولكن دارت التساؤلات الآتية: هل هى تشريع اسبرطى قد تم وضعه استجابة لنصيحة وحى دلفى ؟ أم أنها نبوءة منطوقة والـتى قـادت الاسبرطيين لسن تشريع ، أو بعض التشريعات أم هى الوحى والنبوءة التى نطق بها الاله وأخذها الاسبرطيون كما هى؟

نعـرف أن الاسبرطيين كانوا يعتبرون الريترا قانوناً دائماً ، وأن الريترا فى مناسبتين كانـتا وحـى من دلفى وأن هذا الوحى كان يمثل التشريع والقانون أو هى قانون موحى به مـن الالـه . كمـا نفهـم مـنها أن القوانين ومشاريعها كان يسنها ويصدق عليها الملوك والشيوخ والشعب . ونلاحظ على الريترا ما يأتى :

أولاً : أنهـا مهشـمة وأن كلماتهـا فـى حالة الصيغة المصدرية ، والاشتقاقات تؤكد أنها مختصرة لدرجة أنه لا يمكن أن نكون متأكدين ما هو الموضوع أو الموضوعات التى يمكن أن تفهم .

ثانياً : أن الريترا ، بدون الملحق ، كان الهدف منها تنظيم الاجراءات لسن القوانين وتقرير السياسـة ، وكـان اجـراء سن القوانين يتم على مرحلتين أولهما :- هو أن يقوم مجلـس الشيوخ بتقديم الاقتراحات أو مشاريع قوانين الجمعية الشعبية. وثانيهما :- أن الجمعـية الشـعبية كانت تلتقى فى عيد يسمى الأبلا (Apella) (عيد أبوللو؟) كى

تتخذ القرار النهائى بالنسبة للاقتراحات بحيث تقبلها أو ترفضها فإذا ما قبلتها أصبحت قوانين سارية المفعول .

ثالثاً : الحث على بناء هيكل لكل من الإله زيوس والالهة أثينا ، وتنظيم الناس فى قبائل و obai ، وانشاء مجلس الشيوخ ، ولكن لا ندرى إن كانت الريترا هى التى أدخلت هذه العناصر الثلاثة أم أنها تشير إليها على أنها كانت موجودة فعلاً وفقاً لتشريع سابق . ويمكن أن نقول أن الريترا قد حثت على بناء هيكل للإله زيوس وابنته اثينا وهذا يعنى أن هذا الهيكل كان غير موجود ، كما أن الحث على إنشاء مجلس للشيوخ يشير هو الآخر إلى أنه لم يكن موجوداً بهذا الشكل والسلطات ، وإن كان على ما يبدو موجوداً فقد كان على شاكلة مجلس الشيوخ الهومرى ؛ أى أن المشرع هنا قد زاد من سلطة هذا المجلس ، كما نفهم أن المجتمع الاسبرطى كان مقسماً إلى قبائل و obai . وسنتحدث عن هذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن المواطنين الاسبرطين الخُلّص .

رابعاً : نفهم من الملحق أن الشعب قد بدأ يتغير ويرفض مشاريع القوانين ويغير فيها بدلاً من التصديق عليها ، وهذا يعنى محاولة الحد من سلطة كل من الملكين ومجلس الشيوخ اصحاب الحق فى اقتراح وإعداد مشاريع القوانين، مما دعا كل من الملك ثيوبومبوس المنتصر فى الحرب الميسينية الثانية والملك بولودوروس إلى إضافة الملحق للحد من سلطة الشعب، وذلك وفقاً لقانون زعما أنه من وحى إلهى .

خامساً : تستعمل الريترا مصطلح "Archagetai" لتعنى الملكين الاسبرطيين، ولكن معنى هذا المصطلح الأصلى فى صيغة المفرد لا يعنى الملك ، ولكن يعنى المؤسس وقد استعمل أيضاً ليطلق على منشئ عبادة أو مؤسس مستعمرة . وقد حاول البعض تفسير استعمال هذا المصطلح فى الريترا بقوله إن الملكين كانا يحكمان ، وفى نفس الوقت كانا مؤسسين للدستور الجديد .

سادساً : يرى البعض أن الريترا قد اعيد صياغتها وتم تعديلها من قبل مصلحين فى العصور الباكرة قبل ترتايوس ، و أن هؤلاء المصلحين كانوا قد اقنعوا الاسبرطيين

بقبول اقتراحاتهم بزعم أن هذه الاقتراحات قد وجدت فى النبوءة ، أو التشريع الصادر منذ فترة طويلة وخير مثال على ذلك الحد من سلطة الشعب ، وفى المقابل بعد فترة أضيف الرقباء (آلافوروى) إلى أجهزة الحكم التنفيذية ، والتشريعية كسلطة تنفيذية رقابية على الملكين ، إذ يقول اكسينيفون : كان الرقباء كل شهر نيابة عن الدولة والملك نيابة عن نفسه يتبادلون القسم، فقد كان الملك يقسم بأنه سيحكم طبقاً للقوانين المقررة ، وفى المقابل كان الرقباء يقسمون على المحافظة على الملكية إذا ما ارتبط الملك بقسمه ووفقاً لبلوتارخ كان الملك أيضاً تحت رحمة الرقباء فكل تسع سنوات كان الرقباء يختارون ليلة صافية غير مقمرة ويراقبون وجه السماء فى صمت ، فإذا ما شاهدوا شهاباً يعبر السماء فإنهم يقررون أن ملوكهم قد يكونوا قد عصوا الآلهة ، ويعزلونهم من الوظيفة حتى تصدر نبوءة من دلفى ، أو أوليمبيا لتبرئة الملوك الذين وجدوا أو ظنوا أنهم مخطئون .

جملة القول : إن الريسترا قد شهدت تعديلات وإضافات كان من شأنها فى بعض الأحيان تعضيد سلطة الملك والشيوخ وفى بعض الأحيان وجدناها تؤكد على دور وتعضيد سلطة الشعب . وأن ليكورجوس قد قام بسلسلة من الاصلاحات بالمجتمع الاسبرطى وتنظيم حياته السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والحربية وقد عدد لنا هيرودوت بعض منجزاته وهى : (١) تنظيم اسبرطة العسكرى (٢) نظام الموائد العامة (٣) الجروسيا (٤) الرقباء . وقد اضاف اليه بلوتارخ انجازات اخرى منها : (١) اعادة تقسيم لاكونيا بين الاسبرطيين والحلفاء (٢) الغاء نظام استعمال العملة الذهبية والفضية واستبدالها بالعملة الحديدية كوسيلة للتبادل (٣) التدريب والانضباط (٤) تنظيم القبائل الرئيسية وobae ، و اخيراً فإن أرسطو يعتقد أنه هو الذى ، أوجد البوليس السرى ، وسنتناول هذه الإنجازات بعد أن نعرض بايجاز للنظم السياسية التى أوجدها .

النظام السياسى

قــدم لــنا المؤرخون القدامى وصفاً للدستور الإسبرطى الذى كان يحتوى على أربعة عناصــر أو أركــان هــى : الملكــان ، ومجلس الشيوخ ، والجمعية الشعبية ، والرقباء . وسنحاول أولاً أن نعرض للسلطة التنفيذية والمكونة من الملكين والرقبــاء .

النظام الملكى :

كــان الــنظام الملكــى القائم فى اسبرطة يختلف عن النظم الملكية القائمة فى المدن اليونانــية الأخــرى ، فقــد كــان الحكم الملكى فى اسبرطة حكماً ثنائياً ، بينما كانت المدن اليونانية الأخرى محكومة من خلال ملك واحد . وإذا كانت اسبرطة قد احتفظت بهذا النظام الملكــى الوراثــى راسخ الاركان لفترة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى قرابة نهاية القرن الثالــث ، فإنــنا نجــد أن النظام الملكى فى المدن الاخرى قد أصبح غير وراثى ، ففى اثينا أصــبح الملــك واحــداً من الحكام المنتخبين وكان يشغل وظيفته لمدة عام . ولكن يَعّن لنا الســؤال الآتى : متى قام النظام الملكى الثنائى فى اسبرطة ؟ وهل هو نظام ملكى فردى فى الــبداية ؟ يختلف الباحثون فى الإجابة على هذين السؤالين ، فقد رأى نفر من الباحثين أنه مــن الــراجح عــندما استقر الدوريون أولاً فى اسبرطة كان يحكمهم ملك واحد ، مثل بقية الملــوك فى العصور المظلمة ، والذى كان محاطاً ، على ما يرجح ، بأصحابه والذين كانوا قــد شغلوا نوعاً من مجلس الشيوخ والناس العاديين – الشعب . وأنه يمكن تصور أنه كان يــتم دعوتهــم فــى مناسبات فى جمعية مثل تلك التى ورد ذكرها عند هوميروس ، ويرى هــؤلاء الــنفر مــن الباحثيــن أن اسرة أجيس هى الأسبق فى توليها الحكم الملكى وزمام الســلطة، ويســتندون فى ذلك على أن المصادر تؤكد على ما كانت تلقاه من احترام وتقدير وهيــبة اكــبر من قبل الاسبرطيين ، كما أنهم يستندون فى تعضيد رأيهم أيضاً على تسلسل واتساق شجرة نسب هذه الاسرة ، كما نجدهم يحاولون أن يستخدموا ما ورد من معلومات فــى أسطورة البطل أريستودموس الهرقلى ، الذى قاد الدوريون فى لاكونيا ، لتعضيد رأيهم

فقد كان لهذا البطل ولدان توأمان هما أيوروسثينيس (Eurysthenes) وبروكليس واللذان أصبحا ملكين فيما بعد . والأول هو والد الملك أجيس والثانى هو الأب أو الجد للملك ايوريبون (Eurypon) . ويستخلص هؤلاء العلماء من الاسطورة أن أيوروسثينيس هو أول مولود من الابنين ، وأن هذا ربما يشير إلى أن الملكية كانت تخص أسرته ، وأن أسرته هى الأسبق ، كما نجدهم يستخدمون عدم التسلسل والاتساق بل الاضطراب فى شجرة نسب الأسرة الملكية الثانية دليلاً على أنها أتت بعد الأسرة الأولى ، وأنها قد حاولت أن تضع قائمة من الاسماء فى شجرة نسبها بحيث تعود بها إلى الوراء قبل أسرة أجيس . ويرى نفر آخر من الباحثين رأياً مخالفاً للرأى السابق إذ يرون أنه كان الدوريون ينقسمون إلى ثلاثة قبائل هى هيلليس (Hylleis) وديمانيس (Dymanes) وبامفيلى (Pamphyle) وأن كل قبيلة كان يحكم عليها ملك ولذا فقد كان هناك ثلاثة ملوك وأن واحداً منهم قد ضغط عليه من قبل الملكين الآخرين فتنزل عن سلطاته لهما ، بيد أن هذا التفسير غير محتمل لأن كل من الاسرتين الملكيتين ، من الراجح ، أنهما كانتا تنتميان إلى قبيلة هيلليس – على الأقل – فكل من الاسرتين ادعت أنها من سلالة هيلليس بن هرقل .

ويقدم فريق ثالث من العلماء رأياً ثالثاً إذ يقول أنه عندما اندمجت اميكلاى فى اسبرطة فى الفترة من ٨٠٠ – ٧٥٠ ق.م. فإن الاسرة الملكية الموكينية القديمة من الاجيديين فى اميكلاى قد شاركت فى الحكم مع اسرة ايوريبون الاسبرطية ويعتمد هذا الرأى على قول الملك كليومينيس لكاهن أثينا "أنه كان آخياً وأنه موكينياً وليس دورياً" وأن هذه العبارة تشير إلى أنه كان هناك امتزاج كبير بين الدوريين والموكينيين فى الأيام الأولى للهجرة الدورية عن الدوريين المتأخرين ، ويقولون أن أصحاب النظريات القدماء منهم والمحدثين قد أحبوا أن يقروا فى ضوء السيطرة الدورية فى اسبرطة أنه من الصعب الاعتقاد أن الأسرة الملكية الرئيسية قد انحدرت من السكان الاصليين قبل الدوريين .

ويقدم لنا فريق رابع من الباحثين رأياً رابعاً ، وهذا الرأى الرابع يعتمد على قرائن أثرية لتفسير أصل الملكية الثنائية ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن قريتين قد تأسستا أولاً ثم أعقبهما تأسيس قريتين فى وقت لاحق ، ولذا فإن هناك مجموعتين من الدوريين ، وكان

على رأس كل مجموعة منهما أسرة ملكية ، وأنه عندما حدث اندماج بينهما فإن الملوك من العائلتيـــن الملكيتيـــن قـــد اشتركوا فى الحكم واقتسموا السلطة الملكية . فكان من كل اسرة ملك. ويرى فريق خامس رأياً آخر: إذ يرى أن تولى ومشاركة الأسرة الملكية الثانية الحكم جاء نتيجة لضعف السلطة الملكية فى اسبرطة مثلما حدث فى أماكن أخرى فى بلاد اليونان حيـــث تحـــول الحكم من الأسرة الملكية إلى الارستقراطية ، ولذا فإننا نجد أن أصحاب هذا الرأى يرون أن افراد اسرة ايوريبون كانوا قادة للارستقراطية والشعب (damas) ، وأنهم، مـــن الـــراجح ، كانوا ملاكاً للأراضى وقد خدموا كجنود وأنهم قد نجحوا فى محاولتهم للحد مـــن السلطة الملكية المطلقة للملوك من اسرة أجيس و أنهم قد حققوا أهدافهم ليس بالغاء الملكـــية ، ولكـــن بحـــل وســـط علينا ، وهو أن يكون مع الملك من اسرة أجيس زميل من ايوريـــبون ، ولكـــن مـــن الصـــعب الاعتقاد فى أن الارستقراطية فى صراعها ضد السلطة المطلقـــة قـــد اسسوا اسرة ملكية ثانية ، وانهم قد اختاروا اسرة ايوريبون لتولى المنصب الرفيع ومقاسمة الاسرة الأولى شرف الملكية وأنهم آسروا على أنفسهم تلك الاسرة .

وفـــى ضـــوء نقـــص المعلومات ، شبه الكلى ، حول التطور الباكر فى اسبرطة فمن الافضـــل أن نفـــترض أن الملكـــية الثنائـــية قد وجدت منذ فترة مبكرة ومع ذلك فإن أسرة ايوريبون قد كان لها دورٌ فى الحصول على ما دعاه أحد الباحثين مرسوم دينى للجمهورية الجديدة وهذا المرسوم هو الريترا السالفة الذكر .

إن طبـــيعة الـــنظام الملكى الاسبرطى كانت شبيهة بتلك الموصوفة عند هوميروس ، ولكن سلطاته كانت قد تقلصت من خلال طبيعتها الثنائية وأيضاً لزيادة أهمية كل من مجلس الشيوخ ومجلس الرقباء ، ومثل الملوك الهومريون ، فإن ملوك اسبرطة كانوا يتولون قيادة الجـــيش فى الحرب ، وسلطة اعلان الحرب على البلد التى يختارونها ولا يعترض اسبرطى علـــى ذلك ، ونذكر هنا مثال على ذلك إذ جمع الملك كليومنيس (٥٢٠ - ٤٨٠) جيشاً من كـــل انحـــاء البلوبونـــيز بدون توضيح الغرض الذى من اجله تم حشده وقاده ضد اثينا وقد صـــاحبه الملـــك الآخر فى هذه الحملة ، كما كانت سلطاتهما مطلقة فى ميدان القتال ، على الـــرغم مـــن أنه من الغير الواضح كيف كان الملكان يشتركان فى القيادة ، ونعرف أنه فى

القرن السادس دب نزاع بين الملكين فى الحملة على اثينا وانسحب احدهما، ونتيجة لهذا فقد اضطر الملك الآخر أن يسرح الجيش وأن يعود إلى اسبرطة ، ونتيجة لهذا الخلاف فقد تقرر أن ملكاً واحداً هو الذى يخرج فى الحملات العسكرية . ولا نعرف على وجه التقريب الوقت الذى بدأ فيه اثنان من الرقباء مصاحبته فى الحملات العسكرية ، ولكن سلطة إعلان الحرب وحشد القوات هى الأخرى قد شارك الملوك فيها الجمعية الشعبية والتى كان يحق لها اصدار القرارات المؤيدة للحرب ، ثم بعد ذلك صار من حق الرقباء استدعاء وحشد القوات لحملة ما ، ولكن هذا لا يعنى أن الامتياز الملكى فى حق إعلان الحرب قد ابطل على نحو محدد ، وبدلاً من ذلك فإن السلطات العامة الاخرى فى اسبرطة قد زادت سلطاتها واصبحت تشارك فى تقرير مسائل الحرب والسلام . واستمر الملك يخدم كضابط عسكرى يمارس القيادة فى ساحات الحرب ، وإن كنا نجد أن الاسبرطيين قد اختاروا قواداً آخرين بجانبهم فى بعض الحملات.

كان الملوك الاسبرطيون يشابهون فى سلطتهم الدينية سلطة الملوك الهومريون ؛ فقد كان الملكان يمثلان دور رئيس السلطة الدينية بالدولة ، فقد كانا يقومان بتقديم الأضاحى ككهنة للمجتمع فى كل شهر للاله أبوللو ، وتولوا كهانة زيوس اللاكيدايمونى وزيوس اورانيوس (Uranius) ، وفى الحرب كانوا يقدمون الاضاحى من أجل الجيش وفى السير وقبل الحرب ، وكانوا يسكبون السوائل ، وكان يحق لهم الحصول على نسبة من الاضاحى ، وكانوا يعينون الرسل (Pythai) السنويين لدلفى ويشاركونهم المحافظة على الوحى والنبوءات الخاصة بالدولة . لقد لعبوا دور الوسيط بين الآلهة والبشر .

كان الملوك يتمتعون أيضاً بسلطة مدنية وقضائية ، إذ يقول هيرودوت إن الملكين كانا يتمتعان ببعض قداسة الكهنة والحصول على نسبة من الأضاحى ويجلسون فى صدارة الموائد وكانوا اعضاء فى مجلس الشيوخ ، ولكن لا يوجد ما يؤكد أن عضويتهم هذه كان لها تأثير خاص ، وعلاوة على ذلك فقد مارسوا سلطة قضائية فى ثلاثة أنواع من القضايا هى : إذا مات الرجل وكانت وريثته غير متزوجة فإن الملك يقرر من يتزوجها ، وكانوا يحكمون أيضاً فى القضايا الخاصة بالطرق العامة ، وأن تبنى أبناء كان يتم فقط فى حضرة

الملـــوك ، كمـــا كان للملوك سلطة تحديد الحدود بالعلامات المقدسة معتمدين فى ذلك على العرف الدينى .

وكـــانوا يقومون بتعيين المشرفين على ضيافة الغرباء ، (البروكسينى Proxene) ، والـــتى كانـــت واجـــباً دينياً ، وكان هؤلاء الغرباء يزرون اسبرطة إما للتجارة ، أو لمهام دبلوماسية .

كـــان الملكـــان يتمـــتعان بامتيازات كثيرة منها تملكهم لضـــياع فى أراضى الحلفاء (Peroicoi) ، وامتـــيازات خاصة فى الأضاحى العامة والحق فى استلام خنزير من كل بطن ، ومـــن المـــرجح أن هـــذه العادة بقيت من العصور المبكرة عندما كان الملك يعيش محاطاً بالاصدقاء والاقران ، فقد كان عليه أن يطعمهم ، وعندما يموت الملك فإن جنازته كانت تتم على النحو القديم للاحتفالات والتى كان من المعتاد أن يخرج للمشاركة فيها من كل بيت حر رجل وامرأة وعدد كبير من الحلفاء والهيلوتس .

الرقباء (الأفرووى ἔφοροι) :

تـــنفرد اســـبرطة وبعـــض المستوطنات الدورية بوجود مجموعة من الرقباء والذين شـــبههم شيشـــرون بترابنة العامة ، وهناك الكثير من المشاكل والقضايا غير المؤكدة حول أصل مجلس الرقباء اكثر من المشاكل حول أصل الاسرتين الملكيتين. ويرى بعض الباحثين أن الرقـــباء كانوا فى الاصل كهنة وحتى بعد أن اصبحوا حكاماً مدنيين فقد احتفظوا باحدى الوظـــائف الدينـــية ألا وهى مراقبة السماء، على الرغم من أنه يكون مدهشاً أن نجد الفئة الكهنوتية راغبة فى التخلى عن أغلب مهامها وامتيازاتها الدينية . ويرى نفر آخر أن كلمة (Ephoros) تعـــنى المشـــرف أو المراقب وأن أصل وظيفة الرقباء كانت النظر فى القضايا المدنية وربما كان هذا هو أصل وظيفتهم .

ويذكـــر هـــيرودوت أن ليكورجوس هو الذى أوجدها على الرغم من أنها لم تذكر فى الريـــترا ، والحقـــيقة أن اسبرطة كان بها قوائم الرقباء والتى من المفترض انها تعود إلى

سنة ٧٥٤ / ٧٥٣ ق.م مما يجعل هذا التاريخ يشير إلى أن الذى أوجد هذا النظام هو (ليكورجوس) . بينما يقول بلوتارخ أن الملوك نظراً لغيابهم الطويل فى الحرب الميسينية الأولى قد عينوا نواباً عنهم فى اسبرطة لتصريف شئونها وخاصة الفصل فى القضايا المدنية ، ولعله يشير هنا إلى الملك ثيوبومبوس . بينما يرى البعض الآخر أن سبب وجودهم هو وجود صراع بين الأشراف والعامة من الاسبرطيين ، وأن العامة قد برز دورهم فى تحقيق النصر فى الحرب الميسينية وأن هذا قد أعطاهم الفرصة ليحتلوا مكانة سياسية أفضل، وأن هذا قد انعكس فى تعيين موظفين يمثلونهم فى مراقبة السلطة التنفيذية ممثلة فى الملكين . ليكونوا أوصياء على الحقوق العامة ورعاة لها . ومما يظهر أن الرقباء كانوا يمثلون العامة فى قضية اليمين التى كان يقسمها الملكان أمامهم كل شهر بأن يحترما القوانين . وقد كانوا هم أيضاً يقسمون أمام الملكين يميناً مماثلة باحترام السلطة الملكية طالما أن الملكين قد احترما القوانين .

لا يمكننا أن نرجح رأى على رأى فكل رأى له وجاهته وما يعضده ، فلعل الذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس ، وذلك لأنه لم يكتب شرائعه بل من سننه ما يحرم كتابة الشرائع ، ومن ثم لا ندرى أو لا نستطيع أن نقول بجزم أنه هو الذى أوجد النظام ، كما أن الرأى الثانى له وجاهته فغيبة الملكين لفترات طويلة كان يترتب عليها وقف صوالح الناس ، ولذا فقد اقتضت الضرورة اختيار موظفين تنفيذيين يحلون المشاكل الداخلية وحتى يفرغ الملوك للحرب الخارجية . والرأى الثالث له وجاهته أيضاً إذ نعرف قبل اصلاحات ليكورجوس كان هناك صراع بين الاشراف والعامة ولذلك نجده قد اعاد تقسيم الثروة ، كما أن الحرب الميسينية الأولى هى الأخرى كان من نتائجها خلق التوتر الاجتماعى فى داخل بناء المجتمع الاسبرطى لقصرهم إعطاء الأراضى على الاسبرطيين النبلاء وحرمان أبناء الاسبرطيات غير المتزوجات من اسبرطيين ، وأنه فى الحرب الميسينية الأولى ، ووفقاً لرأى البعض ، فإن عامة الاسبرطيين لم يشاركوا فى اقتسام الغنيمة بعد الاستيلاء على جانب من ميسينيا لأنهم لم يشاركوا فى الحرب، وإن كنا نستبعد هذا ، وأنه فى الحرب الميسينية الثانية والتى برز فيها دور العامة وذلك نتيجة لتغيير أساليب التسليح فبدلاً من

الاعــتماد على الفرسان فقد تم الاعتماد على جنود المشاة ثقيلى العدة . وفى ضوء ما سبق يمكنــنا القول إن غيبة الملوك لفترات طويلة فى ميادين القتال وازدياد قوة الشعب هى التى مكنــت وأدت إلــى إضافة هذه الهيئة التنفيذية إلى أجهزة الحكم . ويختلف الباحثون أيضاً حــول تقريــر عددهم إذ يرى البعض أنهم فى البداية كانوا يمثلون القبائل الدورية الرئيسية الثلاث أى أن عددهم كان ثلاثة ثم زيد العدد إلى خمسة فى نهاية القرن السابع ليتطابق مع عــدد القــبائل الاسبرطية والتى كانت تتطابق مع القرى الخمسة . وقد زادت أهمية مجلس الرقباء فى نهاية القرن السابع وصار قسماً من الحكومة الاسبرطية . ويرى البعض أن هذه الهيــئة قــد ظهرت اهميتها على يد الرقيب خيلون الذى اعتبر من الحكماء الســبعة وكان معاصــراً لدورة الالعاب الاوليمبية السادسة والخمسين (٥٥٦ – ٥٥٣ق.م) وأنه قد أوجد التعاون بين الملكين والرقباء ، ولكن المصادر لا تحدد نوع وماهية هذا التعاون . فهل كان الرقــباء متساوين مع الملوك فى السلطة أم تابعين لهم أم فاقت سلطاتهم سلطات الملوك ؟ توجــد فقــرة عــند هــيرودوت من منتصف القرن السادس والتى تقول اتت الأخبار للملك اريســتون عــن مــيلاد ولد له عندما كان جالساً على كرسى مع الرقباء، ربما كان كرسى العدالــة . ولكــن الأمر ، من هذه الفقرة ، ما يزال غير واضح إذا ما كان الرقباء مساوين للملوك أم أنهم تابعون لهم .

ولكــن نــص ثيوكــيديديس يجيب عن التساؤل إذ نجده يقول إن الرقيب كان يتمتع بســلطة القــبض ، أو السجن للملك ، ولكن هذا النص يشير فقط إلى سلطة القبض وليس ســلطة الحكــم والادانة . وتقدم لنا رواية هيرودوت دليلاً على العلاقة بين الملك والرقباء والــتى نجــد فيها الرقباء يحاولون إقناع الملك أناكساندريديس الذى كان متزوجاً من امرأة عاقــر بأن يطلقها ويتزوج من امرأة أخرى ، ولكنه رفض بغضب ، ورد الرقبــاء على ذلك بعقد جلســة مع مجلس الشيوخ حثّــوه فيها على أن يحتفظ بزوجته العاقر وأن يتزوج من امرأة أخرى ، وحذّروه إذا ما رفض فإن الاسبرطيين ربما يتخذون موقفاً غير عادى ضده ، وأمــام هــذا فقد قبل الملك نصيحتهم. وهذه الرواية تظهر أن الرقباء ومجلس الشيوخ ، قد أجبروا الملك على الانحناء للارادة المزدوجة للرقباء ومجلس الشيوخ ولكن الامر هنا يشير

إلـى أن الملـك لم يستجب لكل من الرقباء ومجلس الشيوخ إلا بعد أن هددوه بعرض الأمر على الشعب الاسبرطى وربما يأخذون موقفاً . وهنا يثور سؤال من صاحب السلطة لمحاكمة ومحاسـبة الملـك هـل الرقباء أم مجلس الشيوخ أم الجمعية الشعبية ؟ من النص نفهم أن الجمعـية الشـعبية هـى صاحبة القرار النهائى ، كما أن النص يشير إلى أن الرقباء كانوا يـأخذون المـبادأة الأولـى لصالح الدولة فإذا ما فشلوا فى اقناع الملك كانوا يتجهون إلى مجلس الشيوخ ، فإذا ما أقنع الرقباء مجلس الشيوخ برأيهم كان يعاضدهم ويساندهم ، وإذا مـا رفـض الملك رأى ونصيحة الرقباء والشيوخ كان يعرض الأمر على الجمعية الشعبية لاتخاذ القرار . ونفهم أن الملك كان يحال للمحاكمة إلى الجمعية الشعبية فى حضور الرقباء ومجلـس الشيوخ . ويؤكد دور الشعب هنا حادثة أخرى حدثت سنة ٤١٨ ق.م عندما كان الجـيش الاسـبرطى فى مواجهة جيش أرجوس وتصور الملك أجيس أن الجيش الاسبرطى سـيلقى هزيمة ففضل أن يعتمد على الدبلوماسية بدلاً من المعركة ، وقد تبعه الاسبرطيون وحلفـاؤهم إلـى الوطن بسبب القانون وهو أن الملك له القيادة العليا فى ميدان المعركة ، ولكـنهم كـانوا غـير راضـين عن ادائه وتصرفه ، وبعد عودتهم للوطن كانت الاخبار قد انتشـرت حـول سياسة الملك الخاطئة وتجمع الاسبرطيون وصاروا يداً واحدة وقرروا فى غضب تدمير منزل الملك وفرض غرامة عليه قدرها ١٠٠ الف دراخمة ، ولكن الملك طلب منهم ألا يفعلوا وينفذوا ذلك على الأقل حتى يدافع عن نفسه ، ويبدو بعد أن دافع الملك عن نفسه وشرح وجهة نظره ، فقد الغوا الغرامة وقرار هدم المنزل ولكنهم مرروا قانوناً والذى يضع قيوداً على سلطاته كقائد ، وهذا يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية فى فرض الغرامات وتقريـر العقوبات على الملوك . وفى حادثة أخرى وقعت فى سنة ٢٤١ ق.م حيث نجد أن مشـروع الاصـلاح الذى قدمه الملك أجيس الرابع قد أثار القلاقل والاضطرابات مما اضطر أحـد الرقـباء إلـى القـبض علـيه كى يقدمه للمحاكمة أمام مجلس الرقباء ، وبمساعدة الاسـبرطيين وضـعه فى السجن ، ولكن حصار زميله الملك ليونديس للسجن لم يغير من الأمـر شيئاً . فلم يرهب هذا الاجراء الرقباء ، إذ نجدهم قد ذهبوا إلى السجن ودعوا بعض الشـيوخ لعقـد المحاكمـة والـتى قضت بالفعل بموت أجيس ، وطالب أقارب الملك أن تتم محاكمـة أقـرانه مـن الموظفيـن ، ولكن هذا المطلب لم يتحقق إذ تم اعدام الملك على يد

امفـــاريس (Amphares) ؛ بــل نجــده قد أدخل اقاربه السجن وقتلهم . ويرى البعض أن الرقيـــب خـــيلون قـــد أدخل مادة فى الدستور الاسبرطى تخول للرقباء الحق فى أن يخلعوا الملوك إذا ما اقتضى الأمر ذلك ، ولعل اليمين المتبادل بين الرقباء وبين الملكين هو أوضح دليل على ذلك ، كما أن نظر الرقباء فى السماء كل تسع سنوات من حكم الملكين لمعرفة إذا ما كانا قد اجادا أو فشلا فى أداء مهامهما فإذا ما ثبت فشلهما كان يتم عزلهما إلى أن تأتى نـــبوءة بعكـــس مـــا لاحظه الرقباء . وهنا نجد سلطة الرقباء على الملوك كبيرة ويؤيد هذا أيضـــاً أن الملـــك كليومينـــيس قد تعاون مع الرقباء فى تبادل الرأى والمشورة بشأن مد يد المســـاعدة لمايكـــندريوس (Maeandrius) الساموسى الذى كان الفرس قد طردوه، ولكن رأيهما كان واحداً وهو ألا يساعدوه بل يطردوه . . وهنا اشارة إلى مقاسمة الرقباء الملكين فى اتخاذ القرار .

لقـــد اســـتمد الرقـــباء القـــوة والســـلطة مـــن الدستور ولانهم كانوا يمثلون الشعب الاسبرطى، فقد اصبحوا بسرعة المدراء الرئيسين بالدولة ، وكان رئيس مجلس الرقباء هو الحـــاكم المدنـــى الـــذى تؤرخ السنة باسمه ، وقد تنامت سلطتهم واصبحت تضاهى سلطة الملوك فى منتصف القرن السادس ولكن بعد ذلك اصبحت سلطتهم فوق سلطة الملوك وهذا مـــا يؤكـــده الحصول على القسم من الملكين ، ومراقبة السماء كل تسع سنوات لمعرفة إذا كانـــت الآلهـــة راضية عن اعمال الملك أم لا ، وكما نعرف فقد صار اثنان منهم يصاحبون الملـــك فـــى الحملات العسكرية وذلك لمراقبة تصرفاته ، وكانوا مسئولين عن حشد الجيش الاســـبرطى واســـتدعاء قوات الحلفاء ويقررون من الذى ينبغى استدعاءه للجيش ، وكانوا يســـتقبلون الســـفراء الأجانـــب ويقدمونهم إلى الجمعية الشعبية ، كما أصبح لهم الحق فى دعـــوة كـــل مـــن مجلـــس الشيوخ والجمعية الشعبية للانعقاد ، وأنهم أصبحوا هم وحدهم أصـــحاب الســـلطة فى إدخال واقتراح مشروعات القوانين أمام الهيئات السالفة الذكر ، كما كـــان عليهم تنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية وكانت سلطتهم مطلقـــة علـــى الموظفيـــن الأدنى أيضاً . كما كان اول أوامرهم أو مراسيمهم الرسمية بعد توليهم السلطة للموظفين هو أنه عليهم أن يقصوا شعورهم ويحترموا القوانين .

وفـــى المجال القضائى فقد كانوا يستمعون لأغلبية القضايا المدنية (مثل حقوق ملكية والإرث والحقـــوق العائلـــية) ، كمـــا نجدهم قد شكلوا بالتعاون مع مجلس الشيوخ محكمة تعرض امامها القضايا الجنائية ، وعلى ما يبدو فقد اشرفوا على تعليم الشباب وحفظ النظام الاجـــتماعى ، ومن اختصاصاتهم أيضاً ادارة شئون الحلفاء وتعيّين الشرطة السرية لمراقبة الهلوتـــيس ، ويحق لهم أن يطردوا من البلاد كل غريب ، وفى الواقع فإن مظاهر قليلة فى الحـــياة الاســـبرطية هـــى الـــتى لم يُشرفوا عليها أو يمارسوا سلطتهم عليها . ولما كانت الشريعة الاسبرطية غير مكتوبة فإن بعض الكتاب القدامى قد شبهوا الرقباء بالطغاة ، فنجد أرســـطو لا يقـــبل فكـــرة أن الرقباء يحكمون بمفردهم فى القضايا العامة دون الرجوع إلى نصوص مكتوبة ويصدرون الاحكام طبقاً لتقديرهم الخاص ، ولذلك يتفق هنا مع اكسينيفون وافلاطـــون فـــى تشبيهه بحكم الطغيان ، فبينما يرى نفر آخر فى ضوء ما سبق عرضه أن الرقـــباء كانوا مع ذلك فى موقف ضعيف مقارنة بالملوك لانهم معينون سنوياً ، بينما الملك مســـتمر فـــى الحكم ويملك زمام السلطة، وأن الرقيب عندما يترك كرسى الحكم فإنه يصير مواطـــناً عاديـــاً ، بيـــنما الملـــك يمسك بزمام الحكم ، ولذا فمن المحتمل أنهم لم يقفوا ضد الملـــوك الاقوياء . ولكن لا يمكن قبول هذا الرأى فى ضوء السلطات الواسعة التى تمتع بها الرقـــباء التـــي سبق أن عددناها هذا فضلاً عن أن المصادر ما تذكر دائماً ملوكاً تم عزلهم بينما تصمت عن عزل الرقباء ، كما أن أحدهم وهو خيلون قد صُنف بين الحكماء السبعة . كما أن عدم شيوع ذكرهم فى المصادر يعود إلى أنهم يشغلون المنصب لمدة عام ، ولذا كان أســـهل على الغرباء أن يذكروا أو يتذكروا اسماء الملوك الذين يحكمون لفترة قد تطول بدلاً من أن يذكروا اسماء رقباء يتغيرون كل عام ، كما أن أهمية الرقباء تتضح من أن رئيسهم تـــؤرخ باسمه السنة التى تولى فيها كرسيه . وكان يتم انتخابهم فى الجمعية الشعبية وكان يتم اختيارهم بطريقة الصياح فمن يحصل على أعلى صياح فهو الكاسب ولكن إذا كان حجم الصـــياح متســـاوياً كـــان الرقيب يقوم باجراء تصويت بأخذ الاصوات ، وكان الاسبرطيون يوافقـــون تمامـــاً علـــى أن يكـــون لمسئوليهم هذه السلطة . ومن كان يشغل الوظيفة من المرشحين كان لا يعاد ترشيحه مرة أخرى ، مما يعنى التوسع واتاحة الفرصة أمام الجميع لشـــغل الوظـــيفة. ويـــرى الكثير من الكتاب القدامى أن الرقباء بسبب انتخابهم من قبل كل

المواطنيـــن فى الجمعية الشعبية يمثلون الوجه الديمقراطى للدستور الاسبرطى ، ولعل هذا يكـــون حقـــيقة خاصـــة عندما أصبحوا لأول مرة موظفين هامين وبعد أن تنامت سلطاتهم وقوتهـــم مع نهاية القرن السابع . وكان ذلك لصالح الشعب على حد قول بلوتارخ ، ويقول أحد الكتاب أن الرقباء فى نفس الوقت قد جعلوا الارستقراط أكثر قوة ، وقد رأى البعض أن الرقـــباء كان يتم اختيارهم من بين الفقراء غالباً وبسبب فقرهم كانوا يقبلون الرشا ، ولكنه طـــبقاً للقانون فإن كل اسبرطى كامل الاهلية كان من حقه أن يرشح نفسه لشغل الوظيفة ، ولـــذا يمكننا القول أن شاغلى الوظيفة لم يكونوا دائماً من الفقراء بل كان من بينهم أغنياء أيضـــاً جذبهم شغلها ما يتمتع به شاغلها من سلطات وإذا كان البعض منهم يتهمهم بالرشا فإن هناك ملوك أيضاً قد قبض عليهم لارتشائهم وهم فى حالة تلبس ، وهنا نتساءل هل كان الرقيـــب المرتشـــى يـــتم فصله وعقابه كما كان يعاقب الملك ؟ لعله من المؤكد أن هذا هو القـــاعدة الـــتى كانت تُطبق على الجميع . و ذلك قياساً على ما تم تطبيقه على الملوك وهم كانوا رأس الدولة !.

ثانياً : المؤسسات ذات الطبيعة التشريعية

أ – مجلس الشيـــوخ :

كـــان المجلـــس يســـمى الجروســـيا (Gerousia) والمصطلح يعنى الشيخوخة وكان اعضـــاؤه يســـمون (Gerontes) . وكان هذا المجلس مكون من ثلاثين عضواً ومن بينهم الملكـــان. ولا يوجـــد تفســـير مقنع قد تم العثور عليه لتحديد العدد المنتظم الدائم وهو ٢٨ عضـــواً . وإن كـــان بلوتارخ يقدم تفسيراً لذلك إذ يقول "أنه لما كان ليكورجوس يريد تنفيذ اصـــلاحاته اختار ثلاثين رجلاً من علية القوم ، ولكن رجلين من الثلاثين رجلاً الذين كان قد اخـــتارهم تولاهما الخوف وابتعدوا عن المشروع . بينما يؤكد آخرون أن العدد الذى أُختير مـــن البدء هو ثمانية وعشرون رجلاً . وأنه إذا ما أضيف الملكان صار العدد ثلاثين رجلاً ، ويوضح بلوتارخ أن ليكورجوس كان هو المسئول عن انشاء الجروسيا ، وأن ذلك قد أكدته الريـــترا الـــتى تلقاها المشرع من الاله أبوللو وحياً . وبالتأكيد فإن بلوتارخ كان مخطئاً فى

اسناده انشاء المجلس لليكورجوس لأن الملوك الأول يجب أن يكون عندهم مجلس للشيوخ شـبيه لـتلك المجالس التى وجدت فى المدن اليونانية الباكرة والتى سبق أن نوهنا اليها ، ومـع ذلك ، فمن المحتمل فعلاً أن عضوية وسلطة الجروسيا قد تأكدت وتحددت ماهيتها فى فترة وضع الريترا موضع التنفيذ والتى أُعتبرَت كميثاق حكومة الجمهورية الاسبرطية .

وقـد تحـددت أهمـية مجلس الجروسيا منذ انشائه على حد قول بلوتارخ نقلاً عن افلاطـون ، إذ يقـول فقـد كان قوة تشارك الملوك فى سيادتهم لتهذب من حيرتهم ولا يقل سـلطان المجلـس عن سلطان الملوك ، يمهد للحكومة فى الأوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة أن تسبح فى لجج من الاضطراب يميل بها الملوك إلى الاسـتبداد ويجـتذبها الشـعب إلى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشئون .

وقد تحددت شروط عضوية المجلس بألا يقل عمر المرشح للوظيفة عن ستين عاماً ، وكان يتم شغل عضوية المجلس بالانتخاب فيما عدا عضوية الملكين التى كان شغلها مرتبط بمنصـب الملك . وأن عضوية الملك لم يكن يشترط فيها وصوله إلى سن الستين إذ يصبح عضـواً فيها بمجرد توليه كرسى الحكم وهنا نقول أن العضوية هنا وراثية ، ولكن هل كان يحـق لكل اسبرطى من الذين بلغوا سن الستين التقدم للترشيح لشغل العضوية الشاغرة فى المجلـس ؟ يرى نفر من الباحثين أن من حق كل اسبرطى بلغ سن الستين أن يرشح نفسه للانـتخاب واصحاب هذا الرأى قد تأثروا بأسطورة تساوى كل الاسبرطيين ، وينكر أن هناك مجموعـة متمـيزة من الاسبرطيين ، بيد أن لدينا العديد من المصادر القديمة والتى تؤيد ، بشـكل جلـى ، أن هـناك مجموعـة متمـيزة من الاسبرطيين شكلت الفئة الارستقراطية الاسـبرطية ، فيقول اكسينيفون "أن الرجال العظام هم الأغنياء بينما الرقباء ذوى السلطات المشـابهة للطغاة من الفقراء فى أحوال كثيرة على الأقل" ويقول أرسطو فى كتابه السياسة "والسـبب الـثانى لوصـف اسـبرطة كدولة ديمقراطية هو حق المواطنين أن ينتخبوا اكبر هيئتيـن ، وهما مجلس الشيوخ وأنهم هم انفسهم لهم الحق فى تولى وظيفة الرقباء" وهذه العـبارة تثبـت بشـكل واضـح أن المواطنين فى الجمعية يمكن أن ينتخبوا بعض الرجال

للجروســيا ، ولـــيس هــم أنفسهم ، وفى موضع آخر يقول فى تعليق على الحاجة إلى كل العناصــر فى الدولة كى تكون مقتنعة بالدستور ، إذا ما كان ينبغى أن يبقى ، يلاحظ أن هذه الحالـــة موجـــودة فى اسبرطة ، بسبب أن الملكين كانا راضيين بالتكريم الذى يسبغ عليهما مـــن قـــبل الارستقراط (Kaloi Kagathoi) مع الجروسيا ؛ فقد كانت هذه الوظيفة هبة أو مكافـــأة للســمو ، والشـــعب مع الرقباء ، وكان يحق للجميع الترشيح لها . كما توجد عند هـــيرودوت وثيوكيديديس وارسطو وبلوتارخ اشارات عديدة عن الاسبرطيين الاثرياء ، ولذا فقـــد كـــان هـــناك ارستقراطية بين الاسبرطيين . ومن المرجح أن هؤلاء الاعضاء الاثرياء بالجروســـيا كانوا هم المسئولين بشكل شائع عن رشوة الرقباء والتى اشار اليها أرسطو ، وهـــذا قد جعل نظام الرقباء يقوى الارستقراطية ، وكما أوضح بلوتارخ أن هؤلاء النبلاء ، بالســـيطرة علـــى الجروســـيا وبممارسة النفوذ والتأثير على الرقباء والموظفين الآخرين ، كـــانوا هـــم القوة الحقيقة فى دولة اسبرطة ، ويقول ديموسثينيس فى تعليقه على الانتخاب لمجلس الشيوخ يصبح الرجل السيد المطلق للكثيرين .

قصارى القول أن هناك نفراً من الاسبرطيين شكّلوا ارستقراطية بين الاسبرطيين وأن ثـــروتهم قـــد فاقـــت ثـــروة الاسبرطيين الآخرين ، كما أن هؤلاء الارستقراط هم الذين يتم انـــتخابهم لمجلـــس الشيوخ . وهذا ما يؤكده قول بلوتارخ أنه إذا ما توفى شيخ انتخب بدلاً مـــنه اوفـــر المواطنيـــن فضـــلاً ممن تجاوز سن الستين ، وكان التنافس معركة من أمجد المعـــارك فـــى العـــام وخـــير ما تبذل فيه جهود المتنافسين ، لم يكن القصد انتخاب انشط النشـــطاء ولا أقـــوى الأقويـــاء بل أحكم الحكماء وأفضل الفضلاء ، يستمتع المُنْتَخب طوال حياته بأجر الفضيلة ، وهو السيادة المطلقة فى الحكومة . . . الخ .

كانـــت طـــريقة انتخاب اعضاء المجلس طريقة بدائية طفولية فى نظر أرسطو بينما اعتـــبرها بلوتارخ طريقة نموذجية ، وقد قدم لنا وصفاً للعملية الانتخابية وما يليها بالكلمات الآتية "يجتمع الشعب فى الساحة العمومية ويجتمع المختارون المرشحون فى غرفة مجاورة لا يـــرون أحداً ولا يراهم أحد ، ولكنهم يسمعون هتاف وصياح الجماعة لأن الشعب كعادته يعطـــى صوتاً عالياً . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الأول والثانى

والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد تلو الآخر صامتين فمن كان موفقاً كان الهتاف له أكثر وأقوى ، كان المنتخب فيتوج بإكليل من الزهور ، ثم يذهب إلى الهيكل ليقدم الشكر للآلهة ، يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شمائله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الأناشيد تهنئة بحياته الفاضلة ، ثم يعد له كل أصحابه طعاماً ويقولوا له أن المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد أن يزورهم جميعاً ، يعود إلى الساحة العمومية حيث يقضى الشئون عادة ، غير أنهم يعدون له وجبتين من الطعام فيترك واحدة منها بينما يتناول الأخرى فى العشاء ، وبعد تناوله العشاء تحضر ذات قرباه يقفن عند أبواب الساحة ، فيدعو أكثرهن احتراماً فى نظره يقدم اليها الوجبة الثانية قائلاً "أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة أقدمها إليك" ، فتصحبها النساء إلى منزلها وتكون هى أيضاً موضعاً للحفاوة والتكريم . وإذا ما صار الاسبرطى عضواً فى المجلس فإن عضويته كانت أبدية ، وكان لا يقبض عليه بسبب كلمات أو أقوال أى أنه كان يتمتع بالحصانة طالما التزم الطاعة للقوانين ونواميس الدولة .

كان المجلس يتمتع بسلطات واسعة فى الدولة فكان ينظر بالدرجة الأولى فى شئون السياسة الخارجية ، كما كان يعد مشاريع القوانين التى يتم عرضها على الجمعية الشعبية بعد أن يكون قد درسها ، كما كان من حقه هو والملك الاعتراض على قرارات الجمعية الشعبية ، ولكن هذا الحق شاركهم فيه فيما بعد الرقباء . وكان الرقباء يترأسون جلساته وليس الملكين . كما كانوا هم الذين ينفذون القرارات الادارية للمجلس وانهم كانوا هم الذين يقدمون للجمعية مشروعات القوانين لقبولها أو رفضها .

وقد خدم المجلس كهيئة قضائية ، فقد كان له الولاية فى القضايا الجنائية وقضايا الاعدام . وإن كان الرقباء قد شاركوه النظر فى القضايا كما كان له حق النصح للملك فيما يتعلق بمستقبل الملكية ، إذ نجده ينصح أحد الملوك كى يتزوج زوجة ثانية لأن زوجته الأولى عاقر وكانت نصيحته مصحوبة بالتهديد ، ولعل السبب فى ذلك الرغبة فى أن تكون له ذرية يخلفه أحدها على العرش ، وقد خضع هذا الملك لتهديد المجلس والرقباء بالفعل .

لقد كان هذا المجلس مجلساً محافظاً إذ لم يكن رجعياً في الواقع ، وفى الحقيقة فإنه يمثل الوجه الاوليجرخى الارستقراطى فى اسبرطة . وبعد أن عرضنا لهذا المجلس ننتقل الآن للحديث عن الجمعية الشعبية .

الجمعية الشعبية :

كما هو الحال فى المدن اليونانية الأخرى فإن الدستور الاسبرطى قد احتوى على الجمعية الشعبية كركن أساسى من أركان النظام السياسى . كانت الجمعية الشعبية تضم المواطنين الكاملى الأهلية الذين بلغوا سن الثلاثين واجتازوا مراحل التدريب والخدمة والتى يفرضها القانون ، ويقال أن عدد اعضائها فى أزهى فترات ازدهار المدينة قد بلغ عشرين الفاً ، ولعل فى هذا الرقم بعض المبالغة ، لأن عدد الاقطاعات كانت تتراوح ما بين عشرة وتسعة آلاف إقطاع . وحيث أنه لا يوجد دليل يؤكد على أن هذه الجمعية قد سميت "Apella"، فمن الافضل أن نستعمل المصطلح العام وهو الاكليزيا "Ecclesia" .

كانت الجمعية الشعبية تلتقى مرة كل شهر عندما يكتمل القمر ، أى فى منتصف الشهر القمرى ، وكان يتولى رئاستها فى البداية الملوك ولكن فى العصور التالية انتقلت رئاستها ودعوتها للانعقاد للرقباء .

وكانت الجمعية الشعبية تقوم بانتخاب اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس الرقباء والموظفين الآخرين وذلك بطريقة الصياح . وكان يعرض عليها المسائل التى تهم المواطنين مثل اعلان الحرب أو اقرار السلم أو عقد محالفة مع مدينة من المدن الأخرى ، وكان يعرض عليها مسألة وراثة العرش حيث يكون هناك خلاف حول شخص الوريث ، كما كان يعرض عليها مشاريع القوانين المقدمة من الملكين والشيوخ والرقباء للموافقة عليها أو رفضها . وفى البداية كان من حق الملكين والشيوخ الحديث أمامها ، ولكن على ما يبدو حدث تغير فى موقفها وناقش اعضاؤها مشاريع القوانين المقدمة اليهم وحاولوا تعديلها أو تبديلها وهذا قد أدى إلى اضافة ملحق الريترا والذى يمنح الملكين ومجلس الشيوخ الحق

بفض الاجتماع إذا ما شعروا أن الجمعية قد تقر أموراً خاطئة ، وبهذا التعديل فإن ما تقرره الجمعـية لا يصـبح نـافذ المفعول إلا بعد موافقة الملكين ومجلس الشيوخ وهذا يعنى أن سـلطتها سـلطة اسمية ، ولكن وجود نظام الرقباء قد أضاف لها ثقلاً كبيراً ، وقد دار جدل، بين الباحثين حول من له أهمية أكثر مجلس الشيوخ أم الجمعية الشعبية ؟ فقد رأى أرسطو أن مجلـس الشيوخ كان له وزن كبير بينما الجمعية الشعبية لم يكن لها أهمية كبيرة . وقد تبعه نفر من المؤرخين المحدثين فى هذا الرأى وحاولوا أن يتبنوه ، فعلى سبيل المثال نجد أن المـؤرخ De Ste Croix يعلـى مـن دور الجروسـيا وأهميـتها فى مجال المحاكمات السياسـية ، واقـتراح القوانين والاعتراض على ما تبديه الجمعية الشعبية من تعديلات فى مشـاريع القوانين المقدمة من مجلس الشيوخ ، وأن الاسبرطيين العادين لم يكن لهم سلطة الحديث فى الجمعية سوى الملكين واعضاء مجلس الشيوخ والرقباء ، وأن الجمعية الشعبية لـم يكـن لها سلطة اقتراح القوانين . ويقول موسى فينلى "هل يمكن أن نتصور أن الجنود الاسـبرطيين المطيعيـن والملتزميـن أن يتخلوا عن عاداتهم فى مثل هذه المناسبات عندما يجـتمعون لـيس كجـنود وإنما كمواطنين ، بينما هم يستمعون للمناقشة بين هؤلاء الذين علموهـم أن يأخذوا الأوامر بدون نقد أو تردد" ولذا فهو يقترح أن وظيفة الجمعية الشعبية فى اسبرطة اقرب إلى وظيفة الجمعية الهومرية .

ويعارض هذا الرأى نفر آخر من الباحثين . إذ يرون أن المصادر التاريخيـة ، على العكـس ، لا تقـدم إلا القلـيل حـول الجروسيا ولكنها تحتوى على الكثير من المادة حول الجمعية الشعبية ، فالجمعية هى التى تنتخب هؤلاء الشيوخ والرقباء وتتولى حسم الخلافات حـول وراثـة العرش إن كان هناك خلاف ، كما أن السلطة المخولة لها فى إقرار القوانين تعـنى أنـه لا يمكن أن يصبح هناك قانون سارى المفعول دون أن يلقى القبول والتصديق عليه من قبل الجمعية الشعبية . وإذا كان مجلس الشيوخ هو الذى يدير جانب من السياسة الخارجـية فـإن مخاطبة السفراء للجمعية الشعبية يشير إلى أن رأى الجمعية كان له ثقله ووزنه ، وفى ضوء المادة المتاحة فإن الجمعيـة كان لها سلطة ما فـى التعديل وأخذ زمام المـبادرة . ففى صيف ٤١٨ ق.م عندما كان جيش اسبرطى ، بقيادة الملك أجيس ، ذاهب

لقــتال أرجــوس ، ولكــن الملــك رأى أن يستخدم الدبلوماسية بدلاً من خوض الحرب ضد أرجــوس وذلــك خشية أن يلقى الهزيمة ، وبالفعل قرر الانسحاب ، وعلى الرغم من عدم رضـــا الاسبرطيين وحلفائهم عن قرار الملك إلا أنهم تبعوه إلى الوطن تنفيذاً للقانون إذ أن الملــك كانــت له القــيادة العلــيا والسلطة المطلقة فى ميدان المعركة . وبعد أن عادوا إلى الوطن فإن الاخبار قد وصلت عن أفعال وتصرفات الملك بأنها كانت خاطئة وعلى حد وصف ثيوكيديديس فقد أصبح الاسبرطيون أكثر تقارباً أى اجتمعت كلمتهم ، وقرروا وهم فى حالة غضــب، وهذا ضد طبيعتهم ، أن يدمروا منزل الملك أجيس وأن يغرموه مائة الف دراخمة وطلــب الملك منهم الا ينفذوا ما قرروه الا بعد الاستماع إليه والدفاع عن نفسه وبالفعل فقد عدلــوا عمــا قرروه بشأنه ولكن مرروا قانوناً والذى بمقتضاه قد فرضت بعض القيود على ســلطات الملــك كقائد ، كما أن مجلس الرقباء كان هو المحرك للدولة كلها فكانوا هم الذين يرأســون المجلســين عند انعقادهما . كما أن قصة الملك الذى تزوج بعاقر والتى سبق أن ذكــرناها – أن الرقباء حاولوا اقناعه بتطليقها ثم حاولوا مع الشيوخ مرة أخرى بأن يتزوج علــيها لتمسكه بها وهددوه إذا لم يفعل فسوف يحتكمون للشعب أى الجمعية الشعبية – ما يشــير إلــى سلطة الجمعية الشعبية . وفى النهاية يمكننا القول أن اجهزة الحكم والاجهزة التشــريعية الاســبرطية كان يكمل بعضها بعضاً كما أن السلطات المخولة للأجهزة التنفيذية والتشريعية لم تكن ثابتة ومقصورة على هيئة بل نجد تبدل فى السياسة والسلطات وكل ذلك قــد حــدث لصــالح الدولة وليس لصالح هيئة على هيئة أو مجلس على مجلس . وبعد أن عرضــنا لأركان النظام السياسى الاسبرطى ننتقل الآن للحديث عن ملامح النظام الاقتصادى والاجتماعى الاسبرطى.

النظام الاقتصادى :١ – حيازة الارض

لمّــا كــان الــنظام الاقتصادى والاجتماعى يرتبط بنظام الارض وحيازتها ، فإنه من الضرورى أن نعرض لمشكلة الارض المُحيرة . إن أفضل وأكمل عرض لنظام الاراضى فى اسبرطة قد دوّنه لنا بلوتارخ فى حياة ليكورجوس والذى سنذكره هنا كاملاً إذ يقول "والثانى

مــن انظمــة لــيكورجوس هــو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغاً أشده لا يملك الكثــيرون شــيئاً ولا مورد لهم وهم سواد المواطنين ، بينما أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدى نفر قليل العدد ، عمد ليكورجوس رغبة فى اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والفخفخة وما هو أضر منها بالحكومات أى الغنى والفقر إلى اقناع الاسبرطيين بالنزول عن اراضيهم وتقســيمها مــن جديــد وجعل كل الثروات على قدر واحد ومساواة تامة ، تتولى الفضيلة وحدها توزيعها إذ لافرق بين الناس الا ما يخجل وحبهم للخير ، نفذ المشروع وذلك بتقسيم لــيكورجوس اراضى لاكونيا إلى ثلاثين ألف اقطاع لأهالى الريف (أى الحلفاء) وتسعة آلاف لأهــالى اســبرطة مــراعاة لعــدد الاسبرطيين الداخلين فى القســمة . ويزعم البعض أن لــيكورجوس لــم يــزد عدد أنصبة الاسبرطيين عن ستة آلف اقطاع ثم أضاف اليها الملك بولــيدوروس ثلاثــة آلاف اقطاع ، ويزعم البعض الآخر أنه (أى ليكورجوس) وضع نصف التســعة آلاف اقطاع ، بينما وضع بولبدوروس النصف الثانى من الاقطاعات . وكل اقطاع كــان ينتج سبعين ميدمينوس من الشعير لكل رجل واثنى عشر ميدمينوس لكل امرأة مع ما يماثلهــا مــن الثمار السائلة (أى النبيذ وزيت الزيتون) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنيــنة وصــحة وما يسد حاجتهم ، وحدث بعد ذلك بسنوات أن ليكورجوس مر بلاكونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد وإذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفاً منتظمة ومتســاوية قال لأحد رفاقه "كأن حصاد لاكونيا ميراث يتقاسمه أخوة" ، وسنحاول أن نحلل هذا النص فى ضوء المصادر المتاحة فى النقاط الآتية :

١- يــرى الــبعض أن الدوريــين كانوا رعاة وقت وصولهم إلى بلاد اليونان وعندما غزوا الارض الزراعــية فــى وادى نهر يوروتاس واستولوا عليها ، بعد أن استرقوا أهلها ، قســموها بيــنهم . ويخــتلف الكتاب القدامى حول تقسيم الاراضى الزراعية فى لاكونيا فالــبعض يرى أن التقسيم قد حدث بعد استقرار المهاجرين الدوريين ، وأن هذا التقسيم كــان فى اقطاعات متساوية (Klaroi)، بينما يرى البعض الآخر أن المشرع ليكورجوس هــو الذى قام بهذا العمل وأنه قد قسم الاراضى الزراعية إلى قطع متساوية . وعلى ما يبدو لنا فإن توزيع الاراضى كان قد حدث منذ البداية وإن كنا لا ندرى قد كان بالتساوى

أم لا ! ولعـل نكـر بلوتارخ لحالة عدم الرضى والحسد وانـقد بين السواد الأعظم من الاسـبرطيين والحلفـاء عن تلك الاوضاع مما يهدد بالقلاقل والاضطرابات يشير إلي أن التقسـيم لـم يكـن بالتساوي ، وأنه عندما أتى ليكورجوس كانت الأرض مهيأة لتحقيق الاصـلاح ، ولـذا فقـد قـام بتوزيع الارض ليس في اسبرطة فحسب بل أيضاً فى مدن الحلفاء فى قطع وزعت بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين والحلفاء ، ولكن على ما يـبدو فقد حدثت استثناءات لتلك القاعدة، إذ نجد بعض الملوك والاشراف كان لهم ضياع خاصـة بهـم فى زمام اراضى الحلفاء بجانب الاقطاع الممنوح لهم حيازته فى اسبرطة وهـذا مـا نستخلصـه من قول اكسينيفون أن الملوك الاسبرطيين قد وفروا الارض فى الكثير من مدن الحلفاء ، ولكن العلماء المحدثون لا يتفقون حول معنى هذه العبارة ، إذ مـن المعـروف أنه عندما توسع الاسبرطيون فى المناطق المجاورة للاكونيا لم يضيفوا اراضـى جديدة لاراضى المدينة Politika Chora ، فقد تركوا السكان المحليين احراراً وفـى نفـس الوقـت يبدو أن هناك ضياعاً والتي صارت ممتلكات خاصة بالملوك وربما بعض الاشراف ، وفى رأينا لم يحدد اكسينيفون كيفية توفير الاراضى ، فهل تم الحصول عليها بالاتفاق مع المدن الحليفة بعد تحالفها على سبيل هبة ، أم نزلت عنها تلك المدن طواعية لصالح الاسبرطيين، أم أن هذه المدن قد سمحت للملوك بشراء اراضى بها ؟ لا نستطيع فى ضوء معلوماتنا الحالية أن نرجح احتمال على آخر وأيهما أقرب إلى الصحة . وإن كان الأول قد يكون هو الجائز لأن اراضى الحلفاء قد خضعت هى الأخرى للتقسيم مثلها مثل اراضى اسبرطة ، ولكن على ما يبدو أنه كان من المسموح به فى تلك المدن الحليفة التـنازل عـن الاقطاعات بالبيع والشراء ، ولذا ... استثمر الملوك والاشراف ثـرواتهم الفائضـة فـى شـراء اراضـى فى المدن الحليفة التى كانت قوانينها تسمح بالتصرفات القانونية فى الاراضى .

٢- إن عـدد الاقطاعـات المقسـمة والمذكورة سواء فى لاكونيا (٩ آلاف) أو فى اراضى الحلفـاء والمنسـوبة إلـى ليكورجوس على ما يبدو مبالغاً فيه إذ أن الكاتب قد حسب اراضـى ميسـينيا هنا ولم تكن قد فتحت وضمت بعد . وهذا يكون جلياً من قوله بزعم

البعض أن ليكورجوس كان قد خصص ستة آلاف اقطاع للاسبرطيين وأن الملك بوليدوروس أضاف إليها ثلاثة آلاف ، بينما يزعم البعض الآخر أن الأول وضع نصف التسعة آلاف والثانى النصف الثانى. ولعل ذكره لاضافة الملك بوليدوروس به جانب من الحقيقة . إذ أن فتح ميسينيا والاستيلاء على أراضيها الزراعية لم يتم مرة واحدة ، وإنما بعد حربين طويلتين كما سبق أن ذكرنا ، وأن إضافة هذه الاراضى قد ترتب عليه توزيعها بين الاسبرطيين والحلفاء وأن جملة ما حصل عليه الاسبرطيون بعد غزوهم لاراضى ميسينيا ليس ثلاثة آلاف اقطاع بل أربعة آلاف وخمسمائة اقطاع وأن هذا لم يتم على مرحلة واحدة وإنما على مرحلتين ، فقد حصلوا على حصة منها بعد ضمهم لجانب من اراضى ميسينيا فى الحرب الاولى والحصة الأخرى حصلوا عليها بعد اكمالهم لضم الجزء الثانى من ميسينيا فى الحرب الميسينية الثانية .

٣- يرى البعض أن الملوك والنبلاء فى الحرب الميسينية الأولى هم الذين حصلوا على نصيب الأسد من الاراضى المخصصة كأقطاعات للاسبرطيين فى ميسينيا لأنهم هم الذين تحملوا عبء فتحها لأن الحرب كانت تعتمد على اساليب القتال الفردية والفروسية التي يجيدونها ويرون أنه نتيجة لهذا أن الأشراف قد خصوا انفسهم بنصيب الاسد ومن ثم فقد حدث صراع فى المجتمع الاسبرطى وكان أحد آثاره هو تأسيس مستعمرة تاراس فى نهاية القرن الثامن ، و ربما يؤكد هذا الصراع الملحق الذى اضيف للريترا عندما عدل وحرم الشعب من حق مناقشة وتعديل مشروعات القوانين المقدمة اليه ، كما أن الشاعر تربائدر قد حث الاسبرطيين واقنعهم بأن يسقطوا خلافاتهم ، وعلى الرغم من الجانب الاسطورى لهذه الرواية إلا أنها تظهر النزاعات الداخلية التى حدثت فى اسبرطة ، كما أن الشاعر الكمان قد عبر عن التوتر بين الارستقراطية والناس العاديين بقوله "إن الناس فى اسبرطة يعتمدون على طعام سيئ وبسيط" ، ولعل حالة عدم الرضا يمكن استخلاصها من قول أرسطو "إن بعض الاسبرطيين قد عانوا نتيجة الحرب الثانية ولهذا فقد طالبوا بضرورة اعادة توزيع الاراضى" . ويقولون ان الحرب الثانية قد شارك فيها الجيش الاسبرطى المكون من مشاة ثقيلى العدة وأن الفقراء قد شاركوا فى القتال ونظراً

لذلــك فقــد وافق النبلاء أن يمنحوا نسبة كبيرة من الاراضى المفتوحة للعامة . ولكن لا يمكنـــنا قـــبول هـــذا الرأى إذ أن نظام التربية الاسبرطية العسكرية لم يكن قاصراً على النـــبلاء فحسـب بـــل على جميع الاسبرطيين الخُلّص وهذا يعنى ضمان اقطاع لكل وليد ســـليم الـــبدن ، ولعـــل نقص الاقطاعات هو الذى أدى إلى التوسع خارج لاكونيا وعلى حســـاب المـــناطق المجاورة ، فقد كان حيازة الاقطاع ضرورة من ضرورات المواطنة .

وعلـــى ما يبدو أن عدد المواطنين قد زاد عن عدد الاقطاعات ولذا فقد اقتضت الضرورة توفير اقطاعات لهم وذلك بغزو اراضى ميسينيا ؛ كما أن عدم الرضا من قبل الابناء غير الشـــرعيين مـــن الامهـــات الاسبرطيات قد يكون سببه أن هؤلاء ليسوا ابناء مواطنين اســـبرطيين خُلّـــص ولذا فقد كانوا مواطنين ناقصى الاهلية ولذا لم يحصلوا على جميع الامتـــيازات الممنوحة للمواطنين كاملى الاهلية . ولكى تحل اسبرطة مشكلتهم فقد سعت إلـــى توطينهم فى مستوطنة تارنتوم . أما عن عدم رضا الاسبرطيين الفقراء فيمكن الرد علـــيه أن الحلفـــاء قد حصلوا على حصص فى هذه الاقطاعات فى ميسينيا وايضاً خلق مجـــتمعات حلـــيفة فـــى ميسينيا وكان يمكن أن يسترقوا هذه المجتمعات بدلاً من جعلها حلـــيفة وتوزيع اراضيها على فقراء الاسبرطيين وبذلك تتخلص اسبرطة من القلاقل التى قـــد يثـــيرها فقـــراؤها . ويمكـــن أن نقول أن عدد الاسبرطيين كان قد زاد قبل الحرب الميسينية الثانية واقتضى ذلك كسب اراضى جديدة لتوزيعها عليهم وهذا ما حدث بالفعل بعـــد النصـــر علـــى الميسينيين فى حربهم الثانية . فقد وزعت الاراضى بين المواطنين الاسبرطيين كما نجدها قد خلقت مجتمعات حليفة ايضاً فى بعض مناطق ميسينيا .

٤- إن حـــيازة إقطاع من الارض العامة هو شرط اساسى من شروط المواطنة ، فقد كانت الدولـــة تخصص اقطاعاً لكل مواطن من ابوين اسبرطيين منذ ولادته ، لأن فلسفة الدولة لا تـــدع المواطن يمارس أى نشاط خاص يدر عليه دخلاً أى أن ممارسة أى عمل خاص يحـــرمه القـــانون ، وفى المقابل تقدم الاعاشة الكاملة لكل مواطن منذ ميلاده وحتى بعد تكويـــنه اســـرة ، وفـــى المقـــابل كانت الدولة تطلب من مواطنيها خدمة طويلة ، وهذه الخدمـــة كانـــت تتضمن واجبات وأعمال حكومية ومهام عسكرية ، أي أن المواطن كان

يكـــرس نفســـه فى المقابل فى خدمة الدولة والدفاع عنها . ولما كان محرماً عليه القيام بـــأى عمـــل غير خدمة الدولة فإن الاقطاع المخصص له كان يتم زراعته واستغلاله من قـــبل مزارعين مربوطين بالارض (Helots) والذين كان عليهم أن يسلموا حصة محددة مـــن المحصـــول وهـــى الحصة التى رأت الدولة أنها كافية لحياته ولأسرته . وهى ٨٢ ميدميـــنوس وكمية من الزيت والنبيذ والفاكهة . وكان على المواطن للمحافظة على حق المواطنة أن يتم استغلال اقطاعه والذى يتراوح مساحته ما بين ٧٤ و ٨٠ فدان. وايضاً كـــان ينبغى عليه أن يقدم حصة شهرية من دخل اقطاعه للمشاركة به مع رفاق المائدة مـــن اقـــرانه (Syssition) والـــتى سنتحدث عنها فيما بعد . ويرى البعض أن المواطن الاســـبرطى كـــان يحصل على ثلث غلة اقطاعه فى منطقة لاكونيا بينما فى ميسينيا كان يحصـــل علـــى نصـــف انتاج اقطاعه ولعل السبب فى ذلك حسبما يرى البعض يعود إلى المعاملـــة القاســـية التى تم معاملة الهلوتيس المسينيين معتمدين على وصف تيرتايوس بـــأنهم حملوا أعباءً مثل الحمير وذلك بعد الحرب الميسينية الثانية وقد يكون هذا الرأى جائـــز، ولكن علينا أن نأخذ فى الحسبان أن الدولة كانت قد حددت الحصص المخصصة مـــن الانـــتاج للمواطن الاسبرطى من الاقطاع ومعنى أن تفرض أعباء أعلى على زراع الاقطاعات فى ميسينيا فإنها بذلك قد أخلت بمبدأ التساوى فى الدخل بين المواطنين الذين لديهـــم اقطاعات فى لاكونيا وبين المقطعين فى ميسينيا . ولذا يمكننا افتراض أن التباين فى خصوبة وانتاجية التربة فى كل من لاكونيا وميسينيا فتربة الأولى كانت أكثر خصوبة من الثانية ولذا فقد كانت الحصة المحددة والمقررة ثلث المحصول فى الأولى بينما كانت الحصة المحددة تساوى نصف المحصول فى الثانية .

٥- تشير الروايات القديمة إلى أن عدد المواطنين كان فى تناقص مستمر فكيف كان ذلك ؟ وفقـــاً للـــروايات القديمـــة كان عدد المواطنين الاسبرطيين الذكور يتراوح ما بين تسعة آلاف وعشـــرة آلاف ، وعلـــى ما يبدو أن عدد التسعة آلاف كان بعد أن ضمت اسبرطة اراضى ميسينيا إذ بلغ عدد الاقطاعات تسعة آلاف اقطاع ، ويقول هيرودوت أنه فى سنة ٤٨٠ق.م كـــان عـــدد المواطنين الاسبرطيين ثمانية آلاف مواطن ، وهنا نلاحظ تناقص

العـــدد بشـــكل مضـــطرد وهذا يؤكده حرص الاسبرطيين على عقد الصلح مع أثينا سنة ٤٢٥ حـــتى يستردوا مائة وعشرين اسبرطياً تم اسرهم فى معركة اسفاكيتريا . واستمر هذا العدد فى التناقص إذ يقدر الكتاب أن عدد الاسبرطيين فى عام ٣٧٠ كان يتراوح ما بيـــن ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مواطناً ، وهذا التناقص فى عدد المواطنين يدفعنا للتساؤل حول كيفـــية عمل وتنفيذ نظام منح الاقطاعات عبر الاجيال ؟ يقدم لنا بلوتارخ فى حديثه عن حياة ليكورجوس صورة عن كيفية عمل هذا النظام إذ يقول "إذا ما فحص مواطنو الدولة الطفل الحديث الولادة ووجدوه صحيح البدن يأمرون الأب بأن يرعاه ويخصصون للطفل اقطاع من التسعة آلاف اقطاع . وهذا يعنى أن الدولة كانت تشرف على الاقطاعات التى لـــم يـــتم تخصيصها بعد أو الاقطاعات التى كانت تؤول اليها بعد موت حائزيها . فعندما يمـــوت الأب كان الابن لا يرث اقطاعه بل كان يعاد للدولة لأن هذا الابن كانت الدولة قد خصصـــت له اقطاعـــاً فى حياة ابيه ، و وفقاً لقانون المساواة فلا يفترض أن يحوز أحد علـــى اقطاعيـــن مـــن الأرض العامة فى اسبرطة . أما إذا كان الأب له عدة ابناء ذكور أصـــحاء الـــبدن ، فإنـــه كـــان من حق كل واحد منهم الحصول على اقطاع ولعل نقص الاقطاعـــات فـــى لاكونيا فى القرن السابع هو السبب فى غزو ميسينيا والاستيلاء على اراضـــيها الزراعـــية وتقسيمها بين المواطنين الاسبرطيين الخُلّص والذين لا توجد لهم اقطاعات فى اراضى لاكونيا .

٦- أن نظـــام مـــنح الاقطاعات لم يبق مستقراً وثابتاً بل شهد تطورات وتغيرات ونستخلص هـــذا مـــن بلوتارخ الذى يشير إلى أنه قد سمح للأب أن يترك لابنه اقطاعه أى أن هذا الابـــن أصـــبح يـــرث حيازة اقطاع ابيه ، ومن الواضح هنا أن رب الاقطاع كان لا يملك الاقطـــاع ملكية رقبة ولكن كان له حق الحصول على الحصة المقررة من انتاج الاقطاع وأن مـــا نـــزل عنه لابنه هو أنه نزل عن حقه فى الحصول على هذه الحصة .و حيازة الاقطـــاع ولعـــل السبب فى هذا التطور هو تناقص عدد المواطنين الاسبرطيين على نحو حـــاد ، فقد كان على الدولة ، فى البداية ، عندما كان اعداد مواطنيها كبيرة ، أن تشرف بحـــزم وصـــرامة علـــى عملية توزيع وتخصيص الاقطاعات حتى تضمن الحصول لكل

مواطـــن على حيازة اقطاع ، ولكن ماذا حدث مع النقص الحاد فى عدد السكان فى مقابل مســاحات الاقطاعـــات التى لا حائز لها . إما أنها كانت تتلقى حصة الدخل منها مباشرة وإمـــا أنهـــا لتشـــجيع المواطنين على الانجاب قد منحتهم الحق فى النزول عن الحيازة لابـــنائهم بجانـــب ما تخصصه لهم من اقطاعات ، وهنا على ما يبدو أن قبضة الدولة قد خفت بالنسبة لنقل حيازة الاقطاع . ويقول أرسطو أن ليكورجوس قد جعل من العار بيع الاقطاعـــات بالنســـبة للاسبرطيين ، ويؤكد هذا القول الفيلسوف هيراقليديس بونتيكوس (مـــن القـــرن الـــرابع)بقولـــه "إنه يُعد عاراً للاكيدايمونيين أن يبيعوا الاراضى ولم يكن مسموحاً بيع الجزء القديم "Archaia morira" وقد فسر أحد الباحثين قول هيراقليديس علـــى النحو التالى : أنه من المفترض أن بعض الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا كانوا قد باعوها كما أن المقصود بالارض القديمة هنا اقطاعات الاسبرطيين فى لاكونـــيا . وهـــذا التفســـير قد يكون فيه جانب من الحقيقة خاصة عندما تحدث عن أن الارض القديمة المقصود بها ارض لاكونيا . بينما فيما يخص الاقطاعات فى ميسينيا قد يكـــون قد جانبه الصواب فى اعتبار أن الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا يمكـــنهم التصـــرف بهـــا . ولعـــل المقصود هنا هو أن بعض الاسبرطيين كانوا يملكون اقطاعات فى اراضى الحلفاء وأن بيعهم لاراضيهم فى تلك البقاع كان يُعد عاراً بينما كان الـــتحريم هنا يخص الاقطاعات التى تخصصها الدولة . ولكن هذا التحريم لم يدم إذ حدث تطور فى الاوضاع بالنسبة للاقطاعات فى لاكونيا ذاتها فنجد هناك من يعطون أو ينزلون عـــن اقطاعـــاتهم فى لاكونيا . وعلى حد قول أرسطو كان من نتيجة هذه التطورات أن خمـــس مســـاحة الارض قـــد آل للنساء لأن هناك الكثيرين الوريثات ولأن المهور كانت مـــرتفعة . . . الـــخ . وقد حدث هذا التطور فى مستهل القرن الرابع وهذا ما حدثنا به بلوتارخ فقد روى أن الرقيب ببتاديوس قد شرع قانونا (Rhetra) وبمساعدة الاقوياء ، جعـــل مـــن الممكن للرجل أن ينزل أو أن يعطى منزله ومتعلقاته واقطاعه لمن يريد فى حـــياته وأن يـــنزل عـــنهم بوصية . وكان من نتائج هذا القانون أن الاقوياء الاغنياء قد اســـتفادوا مـــنه واســـتغلوه ، والذى سرعان ما أوضح الابطال الكامل للتقاليد (القوانين والعـــرف) الـــتى تمـــنع النزول عن الاقطاع ورهنه، فقد وسعوا من مساحات اقطاعاتهم

واســتعملوا كل حيلة ممكنة للاستيلاء على الاراضى مثل الهبة والتنازل وبتقديم المهور الكبيرة ، وهكذا كان الرقيب بيتاديوس أداتهم فقد ساعدهم بقانونه والذى جعل تصرفاتهم قانونــية وممـــا زاد من المشكلة أنه بعد سنين أتت كارثة لوكترا ٣٧١ ق.م وبمساعدة طيــبة اســتردت ميســينيا استقلالها وكان لهذا الاستقلال آثاره الاقتصادية والاجتماعية الكبــيرة ، فقــد كان من نتائجه أن فقد الكثير من الاسبرطيين اقطاعاتهم واصبحوا بغير اقطاعات وأصبحوا فى مصاف الوضعاء ، وعلى ما يبدو فإن فئة الاسبرطيين الذين لهم اقطاعــات فــى لاكونــيا لــم تقدم يد العون للفئة الاولى فحسب بل سنجد أنها قد سعت للســيطرة أكــثر فأكثر على الاراضى إلى أن وجدنا فى النهاية حيازة وملكية الارض قد أصــبحت فــى أيدى ٧٠٠ اسبــرطى فقط . ونتيجة لتركيز الارض فى ايدى فئة قليلة ، بعــد أن فقــد الاسبرطيون اصحاب الاقطاعات فى ميسينيا اقطاعاتهم ، أو نتيجة للسماح للفقــراء من الاسبرطيين فى لاكونيا ذاتها بالنزول عن اقطاعاتهم أن تأثرت مكانة هؤلاء القانونــية وأصبحوا غير قادرين على دفع حصة الرفقة ، وقد اختلف الباحثون حول هذا الوضــع ، فهل كان المواطن الذى ينزل عن أرضه سواء بالهبة أو البيع أو أى تصرفات أخرى يفقده المواطنة الكاملة ؟ إن المادة المتاحة لا تمكننا من الاجابة مباشرة على هذا الســؤال ، ولكن إذا ما استخدمنا المادة التي تمدنا بمعلومات عن نظام الرفقة العسكرية (Syssitia) والموائــد المشتركة والتى تعطينا بعض اسباب فقد المواطنة الكاملة ، ففى ظــل هــذا النظام كان على كل مواطن اسبرطى أن يقدم حصة شهرية من انتاج اقطاعه إلــى سريته العسكرية . ويقول أرسطو أنه إذا ما عجز المواطن عن تقديم تلك الحصة ، فــإن ذلك يفقده حق المواطنة ، بيد أن اكسينيفون يخالف ذلك إذ يقول لكل هؤلاء الذين قــنعوا باحتياجات دستوره فإنه (ليكورجوس) قد أعطى حقوقاً متساوية للمواطنة بغض الــنظر عــن العجز البدنى أو الحاجة المادية – نقص المال – ويرى بعض الباحثين أن الحاجــة للمـــال أو العجز المالى تعنى أنها تشتمل على عدم القدرة على مواجهة مطالب الرفقة العسكرية أى دفع الحصة الشهرية ، ومن ثم فإن عدم القدرة المادية لا تؤدى إلى فقــد حــق المواطــنة ، ولكنها تؤدى إلى عدم تساوى بين القادرين وغير القادرين من الاسبرطيين وأنهم ينزلون إلى مرتبة أدنى .

وبعد أن عرضنا لنظام الاراضى فى اسبرطة وأن الاسبرطيين الخُلّص كانوا ممنوعين بالقانون من ممارسة أعمال الزراعة والتجارة والصناعة ، بينما اقتصرت حياتهم وجهودهم على حياة الجندية وخدمة الدولة ، واعتمدوا على ما ينتجه الحلفاء والمزارعون المربطون بالأرض فى تقديم ما يحتاجونه من سلع ومواد مصنعة ، فقد كان الحلفاء مسموحاً لهم العمل بالزراعة والصناعة والتجارة على حد سواء وكان يصدر جانب من انتاجهم الصناعى والجانب الآخر والأكبر منه كان يستهلكه الاسبرطيون . فقد ازدهرت الصناعة والتجارة الخارجية والداخلية قبل اصلاحات ليكورجوس وبعده .

الصناعة :

عُدت اسبرطة من بين المدن الكبيرة المزدهرة الصناعة لفترة طويلة ، ومن المدن التى بها آثار عريقة ، وقد ساعد على ذلك وجود المواد الخام فى أراضيها ، وما كان ينقصها كانت تستورده بحيث راجت صناعة استخراج الحديد (والذى كانت توجد مناجمه فى لاكونيا) ، فقد كان يوجد فى اسبرطة حى للحدادين حيث كانوا يصنعون الاسلحة والأدوات ومفاتيح النصر والتماثيل . وقد عثر فى أطلال أحد المعابد على "٣٥ الف تمثال" والتى تمكننا من تتبع مراحل التطور الصناعى والفنى فى مجال صياغة وسباكة المعادن ابتداءً من العصر الهندسى إلى القرن السابع ، وقد نال العاملون فى تشكيل البرونز شهرة واسعة والتى أكدتها الآثار ، فقد برعوا فى صناعة الكئوس ، وتروى لنا المصادر القديمة عن براعة جيتياداس (Gitiadas) فى صناعة المراجل الثلاثية الأرجل وكل رجل منها هى عبارة عن تمثال وتشير المصادر إلى أنه قام بتزيين معبد أثينا ، كما نعرف أنه قد تم استدعاء ثيودوس من ساموس كى يزين ويزخرف سكياس (Scias) ، ولتكريم الملك كروسيوس ملك ليديا فقد أرسل إليه الاسبرطيون اناء بديع الصنعة من مصنوعات اراضيهم .

وبالنسبة لصناعة الاخشاب فقد ازدهرت تلك الصناعة ومنذ فترة كبيرة كان عند الاسبرطيين ورش نجارة ممتازة صنعت الاثاث الممتاز مثل السرر والمناضد والمقاعد وخاصة المحفات المنحوتة والتى استمرت فى العصر الكلاسيكى تمثل ملمحاً من ملامح الازدهار الصناعى .

وقد روت لنا المصادر أن من أقدم نحاتى لاكونيا هيجيلوس (Hegylos) وثيوكليس (Theocles) ودوتاس (Dutas) ودوريكليداس (Durycleidas) فقد استخدموا العاج وخشب الصفصاف والزيتون والرخام فى تنفيذ منحوتاتهم . ويمكننا أن نحصل على فكرة عن موهبتهم من تلك المنحوتات .

ازدهرت عندهم صناعة المنسوجات الصوفية وصناعة الاحذية وتكشف لنا الاثار عن موهبتهم فى صناعة الخزف والفخار . فقد انتشر الفخار اللاكونى فى الفترة الممتدة ما بين ٦٥٠ـ ٥٥٠ ق.م فى مواقع بعيدة ، إذ تم العثور عليه فى افسوس فى الشرق واتروريا وماساليا فى الغرب ، ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى شمال افريقيا .

ولكن هذه الصناعة قد مرت بفترات ازدهار وفترات اضمحلال ، إذ نجد أنها تأثرت إلى حد ما بتشريع ليكورجوس الذى اراد به أن يقضى على جميع اسباب التفاوت بين الاسبرطيين ، وذلك بتقسيم الممتلكات غير العقارية ، ولكنه وجد أن اصحاب تلك الاموال لا تطيب لهم نفوسهم لذلك ، ولذا فقد سلك طريقاً آخر ، إذ نجده قد هاجم الترف بشكل غير مباشر ، وذلك بإلغاء استخدام النقود الذهبية والفضية وأحل محلها النقود الحديدية الثقيلة الوزن الزهيدة القيمة بحيث أنه كان يلزم لوضع مبلغ عشرة مينات "الف دراخمة" غرفة كاملة ولا يمكن نقلها إلا على عربة يجرها ثوران ، وكان لالغاء العملة الذهبية والفضية وقصر التداول على العملة الحديدية أثره الكبير على صناعة وتجارة سلع الرفاهية . إذ يقول بلوتارخ "لا يستطيع الاسبرطيون شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيداً، ولم ترسل مراكب تجارية فى موانيهم ، ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جواهرى يتجر فى الذهب والفضة" . ونستخلص مما سبق أن اصلاح ليكورجوس النقدى قد أثر بشكل كبير على الصناعة فى إسبرطة و أراضي الحلفاء ،

وخاصـــة صـــناعة سلع الرفاهية واقتصرت الصناعات على الادوات والسلع الضرورية مثل السـرر والمقـاعد والمناضـد والكـئوس . ولكن يبدو أنه بعد فترة قد عادت صناعة سلع الرفاهية إلى اسبرطة وأراضى الحلفاء ، وهذا ما كشفت لنا عنه التنقيبات الاثرية والمصادر الادبـية والـتى قدمـت لـنا قرائن وبراهين من القرنين السابع والسادس والتى تشير إلى اسـتيراد العـاج من مصر والذهب من ليديا وذلك لاستخدامها من قبل صناع لاكونيا ، فقد بـرعوا فى تشكيل العاج وصياغة الذهب والفضة وتشكيل البرونز ، كما نجد أنهم قد برعوا كخزافيـن وصـناع فخار مهرة لدرجة أن فخارهم المصنع فى الفترة ما بين ٦٥٠ – ٥٥٠ ق.م قد وجد طريقه إلى خارج البلوبونيز وتم العثور على البعض منه فى المناطق المختلفة علـى سواحل البحر المتوسط والتى سبق أن ذكرناها . كما نعلم ازدهار صناعة البرونز من الكأس البرنزى الرائع ومن المرجح أنه قد صنع فى النصف الثانى من القرن السادس وعثر علـيه فـى مقـبرة أميرة كلتية فى فيكس (Vix) فى فرنسا . ولكن حدث فى نهاية القرن السـادس تدهـور أو توقف فى الصناعات الاسبرطية . وهذا ما كشفته لنا التنقيبات الأثرية وتذكرنا بما تم فى عهد ليكورجوس ؛ فقد تم الاستغناء عن السلع غير الضرورية الكمالية . فقـد اختفى صانعو الذهب والفضة ، وتم الاهتمام بصناعة السرر والمناضد والمقاعد . فما سـر هـذا الـتدهور مـرة أخـرى ؟ يرى البعض أن الذى قرر هذا النظام أو أعاد النظام اللـيكورجى هو الرقيب خيلون (٥٦٠ ق.م) ونضيف هنا أن هذا النظام التقشفى قد تطورت خشـونته وقسـوته وإن كنا لا نستطيع تتبع هذا التطور بدقة ، ولكن على ما يبدو ، قد بلغ ذروتـه فى بداية القرن الخامس والقرن الرابع ولعل السبب فى ذلك أحداث الزلزال الخطير الذى تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وانتهزه الهلوتيس فرصة للثورة وأن هذه الثورة قـد أنزلت بالبلاد أشر الويلات وعرض المدينة لأشد الاخطار ، وأمام هذا وأمام كثرة أعداد الهلوتـيس ونقـص عـدد الاسبرطيين فى المقابل ، ولكى ينجح الاسبرطيون فى السيطرة علـيهم فـي ظل هذه الظروف فقد كان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بالشدة والصرامة والحياة الخشنة وذلك باحيائهم لشرائع ليكورجوس وتطبيقها بصرامة . وهذا ما سنعود للحديث عنه فيما بعد .

التجارة :

كانت تجارة اسبرطة تجارة نشطة فى بعض الفترات من تاريخها وكان ذلك قبل وبعد اصـــلاح ليكورجوس . وقد سبق أن ذكرنا اصلاحه النقدى والغائه استخدام العملات الذهبية والفضـــية واحـــلال اســـتخدام العملـــة الحديديـــة ، وكان لهذا الاصلاح آثاره على التجارة الخارجية وخاصة استيراد سلع الرفاهية . ويقول بلوتارخ "لم يعد الاسبرطيون قادرون على شـــراء بضـــاعة وســـلع من الخارج مهما كان ثمنها زهيداً ، ولم ترس مراكب تجارية فى موانـــيهم ، ولـــم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا سمسار عاهرات ولا جواهرى يتجر فـــى الذهـــب والفضـــة" . ونفهم من هذا أن الاسبرطيين كانوا يستخدمون العملات الفضية والذهبـــية وأن تجارتهم كانت رابحة مع المدن اليونانية والعالم الخارجى ، ونتيجة لهذا فقد شاع استخدام سلع الرفاهية والفخفخة بين الطبقات العليا من المجتمع الاسبرطى ، واصلاح لـــيكورجوس قد أدى إلى بوار وكساد تجارة سلع الرفاهية . ولكن على ما يبدو ليس بشكل حـــاد ويـــبدو أن بلوتارخ قد بالغ عندما اشار إلى عدم قدرة الاسبرطيين على شراء بضاعة مـــن الخـــارج مهمـــا يكن ثمنها زهيد ، ولم ترس مركب تجارية فى موانيهم . . . ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جواهرى يتجر فى الذهب والفضـــة . فقـــد كشفت لنا التنقيبات الاثرية والمصادر الادبية من القرنين السابع والسادس والـــتى تشـــير إلـــى رواج تجارتهم مع الاقطار الخارجية ، فقد كان هناك واردات من العاج والجعارين من مصر والعنبر من الشمال ، والملابس الغالية والذهب من ليديا . وفى المقابل فقـــد كانت صادراتهم قد عرفت طريقها إلى البلدان الخارجية ، فقد كشفت التنقيبات الاثرية عـــن وجـــود الفخار اللاكونى فى مناطق عديدة من حوض البحر المتوسط . فقد تم العثور عليه فى افسوس فى الشرق واتروريا وماساليا فى الغرب ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى أفريقـــيا ، كما نعرف أنهم قد صدروا مصنوعاتهم البرونزية ، فقد عثر على كأس برونزى رائع ومن المرجح أنه مصنع فى النصف الثانى من القرن السادس ، فى مقبرة أميرة كلتية فـــى فيكس (Vix) فى فرنسا ولكن هذا القول (أى قول بلوتارخ) قد ينطبق إلى حد ما على

القرنيـــن الخـــامس والرابع حيث تكشف الآثار عن توقف تجارة سلع الرفاهية المستوردة ، وأن صـــانعى الذهـــب والفضة قد اختفوا ، ويرجع البعض أن السبب فى ذلك هو أن المدن اليونانـــية الاخرى فى القرن السادس قد استخدمت العملات الفضية والذهبية، بينما استمرت اســبرطة فـــى استعمالها لعملتها الحديدية ، وأن عملتها لم يكن لها قيمة فى اسواق بلدان العـــالم الـــيونانى . وقـــد يحـــتوى هـــذا الـــرأى علـــى جانب من الحقيقة ، ولكن لنا عليه الاعتراضـــات الآتـــية : أولاً أن الـــتجارة اليونانية كانت تقوم على المقايضة . وثانياً على استخدام النقود . وثالثاً ازدهار تجارة وصناعة اسبرطة فى القرنين السابع والسادس . ولذا فقـــد كـــان يمكن لاسبرطة فى ظل ازدهار صناعتها ، أن تبادل منتجاتها مع منتجات البلدان الأخـــرى وإمـــا أن تبيع منتجاتها وتشترى فى مقابلها ما تحتاجه بالعملات الأجنبية الذهبية والفضـــية التى حصلت عليها نتيجة بيع سلعها فى الأسواق الخارجية ، وهذا ما يؤكده قول ديكايـــارخوس (Decaearchus) بـــأن علـــى عضو الرفقة العسكرية أن يقدم بين ما يقدمه للموائد العامة مبلغ عشرة أبولات إيجينية ، وهذا يشير إلى أن اسبرطة قد استخدمت عملة دولة صديقة ، وفى ضوء ما سبق فإن هذا الرأى لا يعد مقبولاً وعلينا أن نبحث عن تفسير آخر أكثر معقولية ، ويرى البعض أن الذى أعاد العمل بالنظام الليكورجى هو الرقيب خيلون ، وهـــذا الـــرأى هو الآخر به جانب من الحقيقة ، فقد يكون هذا الرقيب مسئولاً عن اعادة جانـــب مـــن النظام التقشفى ، ولكن زادت وتطورت قسوته وخشونته فى القرنين الخامس والرابع ، ولعل السبب فى ذلك هو الزلزال المدمر الذى تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م ومـــا خلفـــه من خسائر مادية وبشرية للاسبرطيين ، وزاد الطين بلة أن انتهزه الهيلوتس فرصـــة للـــثورة والـــتى أنزلـــت بالبلاد شراً وبيلاً على الرغم من قهرهم لها، كما أن كثرة الهـــيلوتس وقلـــة عـــدد الاســـبرطيين فى المقابل جعل الاسبرطيين يأخذون أنفسهم بالشدة والصـــرامة وأن يكرســـوا أنفســـهم كلـــية للجندية والعيش الخشن ، وذلك باحيائهم شرائع لـــيكورجوس وتطبيقها بصرامة ، مثل حرمان المواطنين من السفر والطواف فى العالم ، إذ كـــان يخشـــى علـــيهم أن يجلـــبوا معهم عادات البلاد الاجنبية والأمثلة السيئة أو يرون فى الحكومـــة رأيـــاً غـــير رأيه . وكان يتم طرد الاجانب الذين أتوا لغير مصلحة خوفاً من أن

يكونـــوا فـــى اســـبرطة معلمين للرذيلة ، وخوفاً من ادخال آراء جديدة ومع الآراء الجديدة وجهات نظر جديدة، ولا تلبث هذه أن تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب فى النظام .

وهكـــذا من اجل السيطرة على اعداد الهيلوتس الغفيرة فقد كان على الاسبرطيين أن يأخذوا أنفسهم بالشدة وأن يكونوا رجالات حرب وقتال وعزلوا انفسهم عن العالم الخارجى ، واصبحت اسبرطة كمعسكر حربى منغلق على نفسه أمام العالم الخارجى ، وسوف نتحدث عن صرامة النظام الاسبرطى عند الحديث عن النظام الاجتماعى فى اسبرطة .

جملة القول أن اسبرطة لم تفعل شيئاً لتشجيع التجارة الخارجية فى العصر الكلاسيكى لأنهـــا عزمت على أن يكون عندها اكتفاء ذاتى ولا تطلب من الدول الأخرى إلا أقل ما يمكن ، ولفـــترة طويلـــة فقـــد اعتمدت على نظام المقايضة والاسواق الداخلية لم تكن بحاجة إلى عملـــة ذهبية أو فضية بل اكتفت بعملتها . وفى الفترة التى بدأت فيها المدن اليونانية تسك عملاتها من المعادن النفيسة للتجارة الدولية ، فإن اسبرطة كانت قد قررت أن تغلق ابوابها أمـــام الغـــرباء والاجانـــب وكـــان للرقباء الحق فى اصدار القرارات الادارية لطرد الزوار والمقيمين من الاجانب . وبعد أن عرضنا للنظم الاقتصادية ننتقل للحديث عن الحياة والنظم الاجتماعية .

الحياة والنظام الاجتماعى :

كـــان المجـــتمع اللاكـــيدايمونى ينقسم إلى ثلاث طبقات هى : الاسبرطيون والحلفاء والهيلوتس . وكان الاسبرطيون يمثلون قمة السلم الاجتماعى ، بينما كان الهيلوتس يمثلون أدنـــى درج السلم الاجتماعى ، والحلفاء كانوا يقعون موقعاً وسطاً بين الطبقتين ، وسنحاول أن نتحدث عن الطبقة الأولى الآن .

١- الاسبرطيون Spartiatai

كان الاسبرطيون الخُلّص يمثلون الطبقة الحاكمة ، وكانوا خليطاً من العنصر الدورى والعنصر الآخى وإن كان العنصر الدورى هو الغالب عليهم . والعنصر الآخى يتمثل هنا فى سكان أميكلاى الذين انضموا لاتحاد القرى الأربع الدورية . وكان على المواطنين الاسبرطيين الخُلّص العيش فى اسبرطة على الرغم من أن البعض منهم كان له اقطاعاته فى لاكونيا وميسينيا .

كان الاسبرطيون مثل بقية مواطنى المدن اليونانية الأخرى ينقسمون إلى قبائل وعشائر وهذا ما نعرفه من "Rhetra" ومن اشعار تيرتايوس ومن النقوش . فقد ورد فى الريترا التى تلقاها ليكورجوس "بعد أن نظم الناس انفسهم فى قبائل (Phylai) و (Obai) ووفقاً للجذاذة البحرية والتى تحتوى على بعض ابيات تيرتايوس ؛ فقد كان عدد القبائل فى اسبرطة ثلاث قبائل هى هيلليس وديماتيس وبامفيلى وهذه القبائل الثلاث السالفة الذكر قد وجدت أيضاً فى المدن الدورية الأخرى مثل سيكون وأرجوس . ووفقاً لأثينايوس فإن هذه القبائل الاسبرطية كانت تنقسم إلى عشائر (Phratrai) . إذ يقول إن الاسبرطيين كانوا ينقسمون إلى تسع عشائر (Phratrai) عندما شاركوا فى احتفال (Kareneia) . وهذا يشير إلى أن كل قبيلة دورية كانت مكونة من ثلاث عشائر ، ويختلف الباحثون المحدثون فى تقدير عدد القبائل فأحد الباحثين يرى أن الاسبرطيين مكونون من تسع قبائل وهذه القبائل كانت تكون سبعاً وعشرين عشيرة ، بينما يرى باحثون آخرون أنه من المرجح أن عدد القبائل كان خمس قبائل اقليمية ، نعرف أربعاً منها وهى تتطابق مع أربع قرى (Komai) من قرى اسبرطة الخمس ، وأنه شبه مؤكد أن (Phylai) كانت تقسيمات اقليمية أو محلية صرفة.

وبجانب القبائل تم الاعتراف بالـ Obai كتنظيم اجتماعى اقتصر وجوده على اسبرطة وحدها دون المدن اليونانية الأخرى ، ولا يوجد لدينا معلومات عنها فى الفترة المبكرة والمعلومة التى وصلت عنها بعد الريترا ؛ ويرجح أنها من القرن السادس أو

الخـــامس ، نعـــرفها مـــن نقش يشتمل على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة وأغلـــب الـــنص غـــير مؤكـــد ولكـــن احدى فقراته المؤكدة تذكر جماعة (Oba) اركالوى (Arkaloi) . ثم وصلتنا عدة نقوش من العصرين الهلينستى والرومانى والتى ورد بها ذكر كلمـــة "Obai" والـــتى تعـــنى الجماعة التى تحقق الانتصارات فى المنافسات الرياضية ، وتعـــنى أيضاً قرية إذ اطلقت على قريتى ليمناى وأميكلاى . وقد دار جدل كبير بين الباحثين حـــول تعريف ماهية "Obai" . فيرى بعض الباحثين أنه من المحتمل فى فترة كتابة الريترا أن "Obai" كانـــت فعـــلاً هى الوحدات المحلية أو القرى (Komai) والتى تكونت اسبرطة مـــنها والمشـــتملة على قرية أميكلاى . وهذا يعنى أن اسبرطة فى العصور التاريخية كانت تـــتكون من خمس قبائل (Obai) اقليمية وأن عضوية هذه القبائل الاقليمية كانت تعتمد فى الاصـــل على السكنى فى قرية ، ويستخدم أصحاب هذا الرأى الأدلة والبراهين المتاحة حول المؤسســـات والتنظيمات الاسبرطية . فيقولون أنه قد ورد عند هيرودوت أن كل Oba تمثل جماعـــة بشرية ، ومن هذه الجماعات جماعة بيتانى (Pitane) ، ويقول فى موضع آخر أن القـــوات الاســـبرطية شكلت فرقة منفصلة عن الحلفاء والتى بلغ عدد افرادها خمسة آلاف مقـــاتل فـــى معركة بلاتيا وقد يعنى هذا أن كل Oba كانت تقدم ألفاً من المقاتلين ويعتمدون أيضـــاً علـــى مـــا ســـجله أرســـطو إذ يقول أن هناك خمسة تجمعات مثل أدولس (Edols) وســـينيس (Sinis) وأريماس (Arimas) وبلؤس (Ploas) وميسؤجيس (Messoages) ، بيـــنما Obai المســـجة هـــى ميسوا (Mesou) وبيتانى (Pitane) وكونورا وليمناى ومن المـــرجح أميكلاى . كما يقولون أن عدد التنظيمات الخماسية الاسبرطية مثل تنظيم الرقباء وتنظـــيم الرسل (Agathoergoi) وتنظيم الملحقين يعكس عدد Obai وأن المعنى المقصود هنا هو القبائل الاقليمية .

ويعلـــل الـــبعض أن اســـبرطة تبنت هذا التنظيم الاجتماعى رغبة فى توزيع الاعباء بالتســـاوى علـــى المواطنيـــن الاسبرطيين ، فقد كان توزيع الاعباء يتم بين القبائل الدورية الـــثلاث بالتســـاوى ، ولكـــن نظـــراً لتباين عدد افراد تلك القبائل بمرور الزمن فلم يكونوا متســـاويين فـــى تحمل الاعباء ؛ ولذا فإن الاسبرطيين قد أوجدوا التنظيم الاجتماعى الجديد

وأن عضوية هذه الـ Obai كان يعتمد على السكن والاقامة فى القرى الخمس التى تكونـت مـنها اسبرطة ، وهكذا فإن خلق هذا التنظيم كان للرغبة فى توزيع الاعباء بشكل عـادل . وأن كـل Oba يمثل قبيلة إقليمية وبذلك تتكون اسبرطة من خمس قبائل اقليمية ، ولكـن يدحـض هـذا الرأى نقش نشره بياتي (Beattie) ، من الراجح أنه يعود إلى القرن السادس أو القرن الخامس ، ويحتوى على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة ، وأغلـب الـنص غـير مؤكـد ، ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكر تجمع Oba فى اركالوى (Arkaloi) وهذا يعنى أن عدد Obae كانت ست تجمعات وهكذا فإن الرأى القائل بأن عدد Obae كـان خمـس يصعب الدفاع عنه وأن الـ Obae هنا هى القبائل الاقليمية . ويرى هوكسـلى أن هـناك ثلاث قبائل دورية فى اسبرطة ، وأنه نظراً لزيادة الارض التى سكنها الاسـبرطيون فقد تم تقسيمهم إلى عدد أكبر من الـ Obae وفقاً للمناطق . وكان عدد هذه الـ Obae خمس قبل ٦٧٦ ق.م ولكن ابتداء من هذه السنة فقد تم زيادة عدد الـ Obae إلـى تسـع وأن كل Oba كانت تنقسم إلى ثلاث عشائر (Phratriai) وأنه لتحديد عضوية العشـيرة كـان لابـد من تحديد القبيلة . بيد أن النص الذى اعتمد عليه الباحث لا يذكر قط القبائل (Phylai) ولا Obae ولكنه يذكر (Phratra) ، وقد عارض هذا الرأى هوكر ، وفقاً لأثيـنايوس ، بقولـه أن القـبائل الدورية ثلاث وأن كل منها كانت تنقسم إلى ثلاث عشائر (Phratriai) وبيـنما يـرى روفائـيل سيلى (R. Sealey) أن الاسبرطيين فى فترة ما قد انقسـموا إلـى خمس وحدات بغرض الخدمة العسكرية ، وأنه من الممكن أن هذه الوحدات سـميت قبائل (Phylai) وأنها وضعت على اساس التوزيع الاقليمى مع الـ Obai كتقسيم داخلى للقبائل وأن هذا الرأى ربما يلقى بعض التأييد من الريترا ، حتى على الرغم من أنها معدلة ، فإن المؤلف أو المشرع كان يألف أو على دراية بالمؤسسات الاسبرطية ولانه يذكر القـبائل وObae فى نفس اللحظة فمن المرجح أنهم كانوا عناصر متساوية فى نظام واحد، وأن نقوش من العصر الرومانى توضح أن Obae قد وضعت على اساس تقسيمات اقليمية ، ويعلـل اسـباب التعديل بقوله أن هذا التنظيم القبلى الثلاثى قد أبقى عليه لاغراض دينية بيـنما التنظيم الجديد قد استعمل لاغراض عسكرية . وهذا الرأى يؤكد على وجود تغيير فى التنظـيم القبلى وأنه قد أصبح لدينا تنظيمان قبليان أولهما التنظيم القبلى القديم المكون من

ثــلاث قبائل دورية والتنظيم الجديد الذى يعتمد على التوزيع الاقليمى وهو مكون من خمس قبائل وأن هذه القبائل الاقليمية كانت تشتمل على Obae دون أن يحدد عددها . وهذا الرأى ايضــاً يصعب قبوله لما يأتى فمن قرأتنا للريترا نجد أن كل من (Phylai) و Obae قد ذكر بجانــب بعضــهما البعض وهذا يعنى أن هناك تنظيمين أولهما تنظيم القبائل الدورية الثلاث وتنظيم Obai ولما كان ذكر القبائل Phylai أولاً فإن هذا التنظيم هو الأقدم وأن Obae قد تــم ايجــاده بعــده وهنا نتساءل هل وجد لاسباب عسكرية أو بغرض تحقيق المساواة فى الاعــباء أو لظروف نشأة اسبرطة وقيام الاتحاد بين قراها ؟ كما نعلم أن تحقيق الوحدة بين قــرى اســبرطة قــد تم على مراحل وأن الوحدة كانت بين أربع قرى أولاً ثم انضمت قرية أمــيكلاى الآخــية إلــى الاتحــاد فى مرحلة تالية ، وكانت القرى الاربع الأخرى دورية أى يســكنها العنصــر الــدورى، بينما كانت اميكلاى آخية أى يسكنها عنصر غير دورى وهنا أصــبح مواطــنو اسبرطة يتكونون من عناصر دورية وأخرى آخية مؤثرة واصبح التنظيم القبلي القديم لا يفى بالغرض منه ، ولذا فقد ظهرت الحاجة إلى اعادة التنظيم الاجتماعى أو خلــق تنظــيم جديــد وربما حدث تغيير فى النظام السياسى أيضاً فقد ادعى أحد الملوك أنه ينــتمى إلــى العنصر الآخى ، ومن المرجح أن الضرورة قد اقتضت المحافظة على التنظيم القــبلى القديــم مع خلق تنظيم جديد يتلاءم ويتناسب مع انضمام العناصر غير الدورية إلى الاتحاد وحتى يمكن ادماجها فى خدمة الاتحاد وتحقيق أغراضه ، كما قد يكون خلق التنظيم الجديد لتوزيع الاعباء المدنية والعسكرية على اعضاء الاتحاد بالتساوى . وهكذا فقد اصبح لديــنا تنظــيمان اجتماعــيان يعملان جنباً إلى جنب ، وبعبارة أخرى نظاماً جديداً قد فرض لــيعمل بجانــب الــنظام القديــم وأن هــذا النظام الاجتماعى الجديد هو Obae وأن هذين التنظيمــين قــد خدمــا مؤسســات الدولة الاسبرطية المختلفة سواء من الناحية الدينية أو السياســية أو العســكرية ، كمــا أن عدد الــ Obae لا يمكن تحديده فالمعروف منها ست وليس خمس .

إذا كــان المواطــنون الاسبرطيون الكاملو الاهلية اعضاء فى Phylai و Obai فإن عضــويتهم كانــت تتطلــب أن يكونــوا مولودين من أبوين اسبرطيين وأن ينهوا تدريبهم

العسكرى ،وأن يسهموا بخدماتهم فى خدمة الدولة مدنياً وعسكرياً، وأن يشاركوا فى الموائد العامة ، وبهذا يكون الاسبرطى الذى يستوفى الشروط السابقة من المواطنين الكاملى الاهلية المتساوين فى الامتيازات ، وكان يطلق عليهم النبلاء (*ὁμοιοί*) ومن يفشل منهم فى الوفاء بأحد الشروط السالفة فإنه يفقد حقوقه السياسية ويحتفظ فقط بالحقوق المدنية وكان يطلق عليه الوضيع (*ὑπομείονες*) أى أنه مواطن ناقص الاهلية . وعلى الرغم من أن كل المواطنين الاسبرطيين الكاملى الاهلية كانوا نبلاء بالنسبة للعناصر الأخرى (الحلفاء والهيلوتس) ؛ فقد كان يوجد بينهم طبقة نبيلة بأدق معنى للكلمة (*καλοι καγαθοί*) وطبقة فقيرة (*δημος*) ولكن نظراً لنظام الحياة العامة فى اسبرطة ، فقد كانت الفوارق بسيطة بين الفئتين مقارنة بمدن يونانية أخرى حيث كان مستوى الحياة يتسم بالخشونة بشكل عام فى اسبرطة . وهذا يعود إلى النظام الصارم لحياة الاسبرطيين ، وهذا ما نلمسه فى نظام الموائد العامة الذى فرض على جميع المواطنين المشاركة فيه ، ونظام التربية والتدريب الاسبرطى حيث كان الهدف منهما محاربة الترف والقضاء على شهوة المال وتكوين المواطن الاسبرطى الخشن العريكة .

فقد كان ينبغى على المواطنين الاسبرطيين جميعاً والذين بلغوا سن العشرين وأنهوا تعليمهم وتدريبهم ، المشاركة فى نظام الموائد العامة ، ويقول اكسينيفون أن ليكورجوس قد شرع وجوب تناول الطعام جماعة بحيث يراهم الجميع ، وذلك لأنه كان يعرف أن الناس كانوا يتصرفون فى منازلهم باسترخاء تام ، ويضيف إلى ذلك بلوتارخ قائلاً "إن ليكورجوس هو الذى الزم المواطنين أن يأكلوا جميعاً معاً ، وأن يتغذوا لحوماً واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين ، وحرم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة أو الموائد الفخمة، فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهاة وأن تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهمة ، والحقيقة أن فى ذلك فساد العقول والأجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة . ثم إلى الاضطرار إلى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة والتزام عيش المرضى وهذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم ؛ ذلك أنها جعلت الأموال فى أمان من السرقة ، أو كما يقول ثيوفراستوس أقل من أن تشتهى أو كأنها

صـــارت لاشيء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع أحد أن يبذخ أو يباهى بشيء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد .

وكانـــت الـــرقابة شـــديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مع الآخرين ، فكانوا يعيـــبون علـــيه علانية ترفيهه وضعفه عن تناول الاغذية التى يجب أن يتقاسمها الجميع . ويقـــول اكســـينيفون إن ليكورجوس قد طرد من جماعة المواطنين كل فرد لا يقبل التقاليد الاسبرطية الصعبة ، ويخبرنا بلوتارخ أن الاغنياء الاسبرطيين عندما فرض ليكورجوس هذا الـــنظام قد غضبوا غضباً شديداً وطاردوه واضطر إلى اللجوء إلى مذبح للحماية ، ومع ذلك فقـــد تعرض للايذاء وفقد عينه بسبب هذا الاجراء ، ولكنه فى النهاية يقول "أن الاسبرطيين قد قبلوا هذا النظام" .

وإذا كـــان بعـــض المؤرخين يسندون نظام الوجبات العامة إلى ليكورجوس إلا أنه لم يكن قاصراً على اسبرطة ، إذ نجده منتشراً فى المجتمعات الدورية، ومنها على سبيل المثال كريت ، ومن المفترض أنه قد وجد عقب انهيار الحضارة الموكينية . لقد اطلق الاسبرطيون عليه عدة تسميات منها Syssitia وهى بمعنى الوجبة المشتركة و Pheiditia وهى بمعنى الوجـــبة الفقـــيرة والفعل Pheidesthai يعنى أن يكون بخيلاً أو شحيحاً ، والتسمية الثانية أكثر شيوعاً من الأولى .وأسماه الكريتيون Andreia بمعنى تجمعات الرجال .

كان يتم ضم المواطنين الذين بلغوا سن العشرين حيث إنهم كانوا مؤهلين قانوناً لأن يصـــبحوا أعضـــاء ســـرايا ، وكل سرية مكونة من خمسة عشر عضواً، ويرى بلوتارخ أن طـــريقة دخـــول وانضمام الاعضاء الجدد للسرايا كانت تقتضى اجماع اعضاء السرية على قبولـــه زمـــيلاً وعضواً فى سريتهم ، فقد كان الاعتراض من عضو واحد فقط كفيل برفض طالب الانضمام لعضوية السرية ، بيد أن هذا القول يصعب علينا قبوله للاسباب الآتية :

(١) أنـــه مـــن غير المعقول رفض اعضاء خاصة فى الفترات الصعبة والعصيبة من تاريخ اسبرطة حيث كانت الحاجة ماسة للجنود .

(٢) أن بلوتـــارخ نفســه يقــول إن ليكورجوس الزم المواطنين بأن يأكلوا جميعاً معاً وأن يشاركوا فى الولائم العامة .

(٣) إن نقــص الاســبرطيين فـــى بعض الفترات قد اضطرهم إلى الرجوع عن قرارات نزع صــفة المواطــنة عن المواطنين ، وهذا ما حدث مع الاسبرطيين الذين استسلموا فى موقعة اسفاكتيريا (Sphakteria) . إذ ردت الدولة اعتبارهم بإعادة حق المواطنة لهم

وفـــى ضوء ذلك يبدو أن وصف بلوتارخ ينطبق على فترة متأخرة إلى حد ما عندما تفســخت Pheiditra مـــن الناحية العسكرية ، واصبحت تعنى اتحاد ارستقراطى مغلق فى العصـــر الرومانى ، وهذا يشير إلى ما حدث من تطور بالنسبة لهذا النظام ففى الفترات التى انتشرت فيها سلع الرفاهية مال بعض الاسبرطيين إلى حياة الاسترخاء وأن البعض قد حاول الخروج عليه ، وعدم الالتزام بقواعده ، مثلما فعل الملك أجيس عندما كان عائداً من حملة عســكرية، ورغــب فـــى تناول وجبة العشاء مع زوجته ، مما جعل الرقيبان يفرضان عليه غرامة . ومن المرجح أن السلطات الاسبرطية قد مالت إلى الشدة والخشونة فى تطبيق هذا الــنظام كمــا سبق القول لزيادة الشعور بروح الجماعة من جهة ، ومن جهة أخرى فرض حــياة التقشــف والخشــونة على الاسبرطيين حتى يمكنهم أن يخضعوا وأن يسيطروا على الهــيلوتس. وهكذا فقد صار حضور الموائد العامة اجبارياً ، والعضو الجديد كان يستمر فى الجلــوس علــى نفــس المائدة لمدة اربعين عاماً أى عندما يبلغ سن الستين . وحتى سن الثلاثيــن فقــد كان يتناول وجباته وينام فى مأوى مشترك ، وإذا ما تزوج يمكنه أن يزور زوجــته لفــترة قصيرة فى الليل وبعد تناول وجبة العشاء ، وبعد سن الثلاثين يتناول وجبة واحــدة مشــتركة فـــى المساء وبعدها يمكنه أن يمضى الليل فى منزله حيث صار مواطناً اكتملت أهليته . وكان يتغيب عن هذه الوجبات فى فترات الاعياد فقط . وكان على كل عضو أن يقــدم لافــراد ســريته (رفقــاء المائدة) حصة شهرية تتكون من ميدمينوس من الدقيق وثمانــية كونــج مـــن النبــيذ وخمسة ارطال من الجبن ورطلين ونصف الرطل من التين ، وعشــرة أبــولات إيجينية لشراء اللحوم ، كما كان على الاسبرطى أيضاً أن يقدم حصة من لحــوم الحيوانات التى يضحى بها أو يصيدها . وكانت الوجبة الشائعة عند الاسبرطيين هى الشــربة السوداء وهى خلطة معدة من الخنزير المطبوخ فى الدم والمعالج بالخل والملح .

ويـرى الـبعض أن مـا كان يفيض من حصص الاعضاء فى السرايا كان يستخدمه الاولاد الذيـن هـم فـى مـرحلة التدريب ، وفى المناسبات فقد كان هؤلاء الاولاد يحضرون إلى Pheiditra حيـث تسنح لهم الفرصة لمراقبة كبارهم والاستماع إلى مناقشاتهم السياسية ، بـيد أن هذا الرأى يناقضه أن كل طفل اسبرطى سليم البدن واصبح عضواً فى الجماعة كان يخصـص له اقطاع وكان يتم الانفاق من دخله اساساً عليه طوال فترة تعليمه وتدريبه حيث كـان علـيه العـيش فى المعسكر من سن السابعة إلى أن ينهى تدريبه فى سن العشرين ، وكانت الدولة هى المسئولة عن تعليمه وتربيته وتدريبه ، وقد ينطبق هذا الرأى على الفترة المـتأخرة من تاريخ اسبرطة حيث تركزت الملكية فى أيدى فئة قليلة من الاسبرطيين . كما أن بلوتـارخ يقـول فى موضع آخر إن الشباب كجزء من تدريبهم كانوا يسرقون جانباً من طعـامهم وذلـك بتسلقهم أسوار الحدائق أو السلالم إلى أماكن الموائد العامة بمهارة وحذر ومـن أوخـذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحوم ويفتـنون فـى اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة ، ومن يقبض عليه يعاقـب بالجلد والحرمان من الاكل ولا يأكلون عادة الا قليلاً . وهذا يشير إلى أن الشبيبة قد اعتمدوا فى تغذيتهم على السطو والسرقة سواء من الموائد العامة أو الهيلوتس .

طورت اسبرطة نظاماً تعليمياً مفصلاً لمواطنيها يؤدى إلى الانضباط والطاعة العمياء مـن قـبل المواطنيـن ويمكـن بـناء الوصـف الشامل لهذا النظام فى ضوء ما قدمه لنا ثيوكـيديديس واكسينيفون وارسطو وارستوفانيس وبلوتارخ . وقد انقسم هؤلاء الكتاب إلى فريقيـن أولهمـا انتقد النظام ومنهم ارسطو وارستوفانيس ، بينما تحيز كل من اكسينيفون وبلوتارخ لنظام التربية الاسبرطية.

لم يكن الأب حراً فى تربية الابن حسبما يرى ، إذا كان هناك اشراف من الدولة على عملـية التربية ، ولذا فقد كان على الأب أن يقدم وليده إلى شيوخ القبائل لتقرير إذا ما كان صـحيح الـبدن أم لا . والوليد الذى يثبت الفحص أنه ضعيف وذو عاهات كان يلقى به فى مـنطقة مهجـورة بجـبل تايجيتوس ، لأنهم لا يرون فائدة منه لا له ولا للدولة ، إذ خُلق ضـعيفاً مقضياً عليه بالحرمان من الصحة والقوة ، ولكى تضمن الامهات سلامة الاطفال لا

تغســلهن النساء بالمياه بل بالنبيذ لأن المصروعين والمرضى من الأطفال لا يحتملون حمام الخمــر ، بــل يذيلهــم ويميــتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى اعضاءهم ، ثم تتولى المرضــعات الاسبرطيات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم فى قماط بل تدع جميع اعضائهم طلــيقة حرة ، تظهر هيئتها على طبيعتها ، يتعلمون منهن ألا يتأثروا من طعام وأن يقتنعوا بالبســيط منه، وأن لا يهابوا الظلام أو العزلة ، لا صياح ولا تهيج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجبن ، يظل الاطفال فى حجور امهاتهم حتى يبلغوا سن الســابعة ، وهنا يــبدأ دور الدولة التربوى وفى نفس الوقت تبدأ خدمتهم الطويلة للدولة . وكان يشرف على هــذا النظام موظف يسمى "Paedenimos" فكان يتم أخذهم وتقسيمهم صفوفاً تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد يعودونهم العمل واللعب معاً ، ويرأس كل صف أذكاهم وأبسلهم فى القتال ، تتجه إليه انظارهم يطيعون أوامره ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تذمر . كان الشــيوخ يحضــرون العــابهم ويحدثــون بينهم اسباب الخصام والعراك ، ليروا اختلافهم ، ويتبيــنوا أجرأهم وإذا كانوا لا يهربون من القتال ولا يأخذ من العلوم الأدبية إلا الضرورى ومــا بقى فمحصور فى تلقينهم الطاعة واحتمال المتاعب بشجاعة والانتصار فى المعارك ، وكلمــا تقدمــوا فى السن أخذوهم برياضة أشد ، يحلقون رؤوسهم ويعودونهم السير حفاة واللعب معاً اكثر الوقت عراة .

ومــتى بلغــوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلباباً بل يعطى لكل منهم رداءً فى السنة ، ويــبقون قذريــن لا يستحمون ولا يتطيبون إلا فى ايام معدودة يسمح لهم فيها بتذوق هذا النعــيم . ينام كل فريق فى خيمة على فراش من القش الخشن يصنعونه بأيديهم من اطراف العــيدان التى تنمو على شاطئ نهر يوروتاس ، يحصدونها بأيديهم دون أن يستعملوا حديداً . وفــى هــذه الســن تــتطلع أعيــن العاشقين إلى الممتازين ، وقد حاول كل من بلوتارخ واكســينيفون أن يجعــلا هــذه العلاقــة مثالية ، مؤكدين كيف أن الولد الأكبر سوف يكون نموذجاً للأصغر ، وكيف أن هذا الأخير فى المقابل سيحاول أن يعيش كما يعيش خليله وأنه ســيقلده ويسلك مسلكه ، بيد أنه من الواضح أن التدريب القاسى وحياة المعسكرات يؤديان إلــى الشــذوذ . وفــى هــذه المــرحلة تزداد عليهم رقابة الشيوخ فيلازمونهم فى العابهم

ومعـــاركهم ، ويقـــوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين ومهذبـــى جمـــيع الأطفـــال . يضاف إلى ذلك أن معلمى الأطفال يختارون من خيرة الناس ، فكـــانوا يختارون من كل فرقة أوفر شبابها عقلاً وشجاعة على أن يكونوا قد تجاوزوا سن الطفولـــة بسنتين (أى بلغوا سن العشرين) ، يتولى قائد الفريق وهو فى العشرين من عمره قـــيادة فريقه فى القتال ويستعمل أفراده ايام السلم فى خدمة الموائد العامة ، ويكلف الكبار بجمـــع الأخشـــاب والصـــغار باحضـــار الخضروات والبقول . يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم اسوار الحدائق أو انسلالهم إلى اماكن الموائد العامة بمهارة وحذر ومن أخذ منهم عوقـــب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحوم ويفننون فى اغتنام الفـــرص ، يســـرقون الـــنوام والغافليـــن عـــن الحراسة ، يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والحـــرمان مـــن الاكـــل . ويـــرى اكسينيفون أن الاطفال كانوا يسرقون ليكونوا من افضل المحاربيـــن ، وكـــانوا لا يـــأكلون إلا قلـــيـــلا ، ويربونهم على قوة الاحتمال والتستر على ســـرقاتهم . فقد سرق أحدهم ثعلباً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه بأظافـــره وانيابه دون أن يبدو من الولد صيحة ألم ومات فى الساحة العمومية حريصاً على ســـره ، ويقـــول بلوتارخ ولا نرى فى هذه الحادثة شيئاً من الغرابة إذ اعتبرنا حالة شبان اســـبرطة الـــيوم ، فقد رأيت غير مرة شباناً يموتون صامتين تحت سياط الجلاد على مذبح الـــربة أفروديتى ، كما كان الضرب بالسوط من الامور الشائعة التى يفرضها المشرف على التربـــية . ويذكـــر بركليس أن الصبية الاسبرطيين يتعلمون تحمل الالم وهم صامتون وذلك لأن تربيـــتهم تجهـــزهم لاظهـــار شجاعة الرجال ، ويقول أرسطو إن الاسبرطيين يجعلون ابناءهم مثل الوحوش كى يصلوا إلى شجاعة الرجال . . .

وفـــى السنتين الأخيرتين كان يتم تدريب الشباب تدريباً عسكرياً عنيفاً وحاداً. وعندما يصلوا إلى سن العشرين يكونوا قد أنهوا تعليمهم وتدريبهم العسكرى وكان اشدهم وأقواهم ينضم لمدة عام للخدمة فى نظام الشرطة السرية (Krypteia) وهو اكثر التنظيمات المحيرة والشـــريرة فـــى نظام التدريب الاسبرطى وقد كتب عنه بلوتارخ ما يأتى : إن الحكام كانوا يرســـلون اشـــد الشـــبان حذراً وقوة يقطعون الطريق غير مسلحين إلا بالخنجر والمؤنة .

يــتفرق الشبان نهاراً ويختفون فى أماكن بعيدة عن الانظار ، يستريحون فيها حتى إذا جن اللــيل يخرجون وينتشرون فى مفارق الطريق ينبحون من يلاقونه من جماعات المزارعين المربوطيــن بــالأرض وقد يغيرون نهاراً على المزارع يقتلون اشد المزارعين المربوطين بــالأرض بأســاً . . . ويستطرد فى ذكر ما كان يلقاه المزارعون المربوطون بالأرض من اعمــال وحشــية ومن معاملة قاسية بربرية من قبل الاسبرطيين . ويقول أن هذه المعاملة الســيئة لم تكن من عهد ليكورجوس بل تعود إلى فترة متأخرة جداً ، ومن المرجح أنها بعد الفــترة الواقعــة بعد زلزال ٤٨٩ ق.م وانتهازه من قبل الهيلوتس بمساندة الميسينيين فى الــثورة علــى الاسبرطيين الناجين منه . وبهذا التبرير فإن بلوتارخ يعارض أرسطو الذى جعل نظام الشرطة السرية متزامناً مع ليكورجوس ، ويرى أحد المؤرخين المحدثين أن هذا الــنظام كــان قديمــاً جداً وانه مثل موروثات الايام القبلية فإنه كان يخدم وظيفة جديدة فى اسبرطة وإنه يمثل المرحلة الاخيرة فى تدريب الشباب الاسبرطى والتى تستغرق عاماً كاملاً قبل أن يعترف به كرجل ، وأن كل الشباب الاسبرطى كان يشارك فى تنظيم الشرطة السرية . ولكــن هذا الرأى فيه مبالغة وهذا ما نستشفه من قول بلوتارخ السالف الذكر "إن الحكام كــانوا يرسلون أشد الشباب حذراً وقوة" أى أن هذا النظام كانت عضويته قاصرة على نخبة منــتقاة من شباب اسبرطة ، وعلى ما يبدو أن هذا النظام قد مر بتغيرات عبر الاجيال وهذا مــا يؤكده قول بلوتارخ السابق كما أنه يقول إن الشرطة السرية كانت تشكل فرقة طوارئ فى الجيش الاسبرطى ، وكانت مسئولة ، بين واجبات أخرى ، عن القيام بمهام الاستطلاع .

وبعــد أن يــنهى الشــباب تدريباتهم ويصلون إلى سن العشرين كانوا ينضمون إلى Pheiditra والتى سبق الحديث عنها وفى الفترة ما بين سن العشرين والثلاثين كان يقضى أغلــب وقــته فــى المعسكر وخاصة للخدمة العسكرية بشكل دائم وبعد بلوغه سن الثلاثين يكــون لديــه المــزيد من الوقت والحرية ، ولكنه يخصص الجانب الأكبر من وقته للشئون العامــة وصوالح الدولة ويمكن أن يستدعى للخدمة العسكرية إذا ما كان هناك ضرورة لذلك ، ويعفــى مــن الخدمــة العسكرية عندما يصل إلى سن الستين وعلى حد قول ارسطو أن المشرع كان يريد أن تكون المدينة كلها خشنة .

نقطـــة أخـــرى تشـــير إلـــى شدة النظام الاسبرطى وهى الاهتمام بالبنات فقد اعتقد الاســـبرطيون أن المرأة القوية البنية الصحيحة البدن تنجب أطفالاً أصحاء أقوياء ، ولذا فقد مارست المرأة الاسبرطية الجرى ورمى القرص والرمح وذلك بغرض تقوية جسمها ، وذلك كلـــه مـــن أجـــل انجاب الأطفال الاصحاء ليكونوا جنداً للدولة وصمام أمنها فى المستقبل . وسنحاول الآن أن نعرض لدور ومكانة المرأة الاسبرطية .

المرأة الاسبرطية :

كان وضع المرأة الاسبرطية بصفة عامة فى اسبرطة خيراً منه فى أى مجتمع يونانى آخـــر ، فقد احتفظت فيها اكثر من سائر المدن اليونانية بمكانتها العالية وبالمزايا التى بقيت لهـــا مـــن ايام المجتمع القديم الذى كان الابناء ينسبون إلى أمهاتـــهم . ويقول بلوتارخ إن النســـاء الاســـبرطيات كـــن يتميزن بالجرأة والرجولة وبالتشامخ على أزواجهن . . . وكن يتحدثن بصراحة فى أهم الأمور، ويقول إن امرأة اجنبية قالت لزوجة ليونيداس "أنتن نساء اســـبرطة وحدكـــن تسيطرن على الرجال" . فأجابتها "ذلك لأننا وحدنا نلد رجالاً" . ويرى أن ذلـــك جـــاء نتيجة للتربية التى قررها ليكورجوس ، وليس كما يذكر أرسطو أن ليكورجوس فشـــل فـــى اصلاح المرأة الاسبرطية ، ولم يستطع كبح جماحها أو الاقلال من الحرية التى اباحهـــا لهـــن أزواجهن إذ كان هؤلاء ملزمين بالابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب ؛ فـــتركوا ادارتهـــا للنســـاء فاستفحلت سيطرتهن حتى كانوا يدعون "سيدات" . لقد استمدت المـــرأة الاســـبرطية قوة شخصيتها من طريقة تربيتها ، فلم تكن البنت الاسبرطية حرة فى حياتها بل كانت خاضعة لقيود فرضتها الدولة عليها ، فإن كانت الدولة قد تركتها لتربى فى مـــنزل ابـــيها فقد كان يطلب اليها أن تقوم ببعض الالعاب العنيفة مثل الجرى والمصارعة ، ورمى القرص ، وإطلاق السهام من القوس وبذلك كى تقوى البنات عضلاتهن وكى يصبحن قويـــات البنـــية صحيحات الجسم صالحات فى يسر للأمومة الكاملة ، وبذلك يكون أطفالهن أقويـــاء النبت شديدى الاصلاب يشبون شجعاناً . لقد ابعدت البنات عن رخواتهن وتربيتهن فـــى ظلال الحياة الناعمة مما يضعف جنسهن، وقد عودت الدولة ظهور البنات عاريات أمام

الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء فى الحفلات أمامهم وعلى مرأى منهم ، وكان يفرض علـى البـنات مشـاهدة المسابقات وكن يوبخن من لم يفلح ويثنين على من اصاب وحقق الفـلاح . فكـن بذلك يوخذن الشبان بمنجاس ذى حدين يثرن فيهم التنافس فى حب الخير وحـب الفضـيلة ، فمـن نال منهن مديحاً واحس بالشهرة بينهن عاد مفاخراً بثنائهن كذلك كانت وخزاتهن لغير المفلحين أشد آلاماً لنفوسهم من التوبيخات العلنية لأن الحفلات لم تكن قاصـرة على المواطنين بل كان يشهدها الشيوخ والملوك أنفسهم . ويعلل لنا بلوتارخ عرى النسـاء إذ يقول " لم يكن فى تعريهن شيئاً من الخجل إذ كان لهن فى الفضيلة والحياة حمى ولـم يكـن أحد يفكر فى سوء ، بالعكس كان لهن ذلك اعتياد البساطة والعناية باجسامهن وسـمو قلوبهـن إلى ما فوق عواطف جنسهن إذ يرين انفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشـاطرته المجـد والفضـيلة ، كما أنه اعتبر سير البنات عاريات فى المواكب وقيامهن بالتمريـنات الرياضـية تحـت انظار الشبان من مثيرات الشهوة للزواج عند الشبان الذين ينجذبون اليهن بدافع الغرام" .

وقـد كانت قوانين اسبرطة واعرافها تحض على الزواج وانجاب الاطفال ، فقد جعلت العزوبـية عاراً ويحرم على العازب حضور الحفلات التى يرقص فيها الفتيان والفتيات عراة الاجسـام . ويضـطرهم الحكـام أن يطوفوا الساحة عراة ينشدون وهم سائرين اناشيد ضد انفسـهم منها " أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعتهم الشرائع" ، وكثيراً ما كانت جماعات النساء تهـاجم فى شوارع اسبرطة الرجال الذين يعزفون عن الزواج وتمعن فى ضربهم وإيذائهم ، كمـا كان يحرم العزاب من الاحترام الواجب على الشباب للشيوخ ، ولذلك لم يلم أحد ما قيل للأعزب درسيليداس برغم كونه من مشاهير القادة ، ذات يوم دخل على جماعة وكان بينهم شـاباً لم يقف له احتراماً وعلل سبب ذلك بقوله "ليس لك ولد يقف لى احتراماً" حتى الرجال الذيـن يـتزوجون ثم لا يرزقون أولاداً يصبحون أيضاً عرضة للنقمة ، فإن أمثال هؤلاء لا يسـتحقون فى نظر الاسبرطيين شيئاً من الاحترام ، وقد سبق أن ذكرنا قصة الملك الذى لا تنجب زوجته وموقف الرقباء والشيوخ منه واقناعه بالزواج عليها حتى ينجب أطفالاً ، كما

كـــان يطلـــب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريدون أن يتزوجوهم . فقد فرضت على الملك أرخيداموس (Archidamus) غرامة لأنه تزوج بامرأة ضئيلة الجسم .

كـــان الزواج يمهد له عادة من قبل الابوين ، ويرى البعض أن الخطيب كان لا يدفع مهـــراً وذلـــك بالاســـتناد على قول أرسطو يقول بأن مهورهن كانت ملكاً لهن، وبعد اتفاق الاســـرتين كان ينتظر من الشاب أن يخطف خطيبته بالقوة ، وأن تبدى هذه من جهتها أشد المقاومـــة ، وإذا لـــم يـــتم الـــزواج على هذا النحو فإنه جرت العادة أن يتم جمع عدداً من الـــرجال غير المتزوجين ومثلهم من النساء ويتم دفعهم إلى غرفة مظلمة ليخطف كل واحد منهن زوجة له ، ويعتقد الاسبرطيون أن مثل هذا الانتقاء ليس أكثر عمى من الحب . وكان ينـــبغى أن لا تكـــون الـــزوجة طفلـــة دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج وسن الرشد بالنســـبة للفـــتاة عـــندما تبلغ سن العشرين ، ومتى اختطفها الخطيب سلمها إلى القيمة أو المشـــرفة علـــى الأعراس ، فكانت تقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجلها وتنيمها على طـــبقة من أوراق شجر الأسل وتدعها وحدها بلا نور ، يأتى الشباب غير مخمور ولا منهك القـــوى بمـــلاذ ، بـــل فى اعتداله العادى بعد تناول طعامه فى الوليمة المشتركة، ينسل إلى جانـــب عروسه ويحل حزامها ويحملها إلى فراشه ، فإذا ما كان دون سن الثلاثين فإنه كان يقضـــى معهـــا وقـــتاً قصيراً ثم يعدو فى وقار إلى الخيمة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يســـتمر على ذلك زمناً يقضى نهاره وليله مع رفاقه لا يذهب لمشاهدة امرأته إلا حذراً كأنه يخـــتلس ذلـــك لاختلاســـاً يخجل أن يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها على اختلاس الفـــرص المناســـبة لزيارتها سراً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى إنه ليحدث أن يصـــير الازواج آبـــاءً قبل أن يروا نساءهم على ضوء النهار" ، كان من شأن هذه العلاقات مـــران الازواج علـــى القصد والحكمة فقط بل تبقى لاجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ نشاط الحـــدة الاولـــى وتجـــدد الحب وتمنعهما اشباع شهواتهما التى ينهك الافراط فيها الرغبات والقوى ، أما إذا افترق الزوجان على قدر من بقيت فى نفس كل منهما بقية من لهب الغرام ودافـــع الحب والعطف . و يؤكد اكسينيفون ذلك بقوله إن الزوج كان لا يشجع كثيراً فى أن يـــبقى كثـــيراً مع زوجته أثناء فترة زواجه الأولى" ويقول أن السبب هو أن نظرية الاطفال

الذيـــن يولدون لزوجين فى شوق أحدهما للآخر يكونون أفضل من الذين ولدوا بعد معاشرة عاديـــة . ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذه التفسيرات من قبل كتاب العصر القديم غير مقـبولة لأنهـــا لا تفسر التخفى الذكرى للعروسة ولا النقل السرى فى الظلام من مكان إلى آخـــر قـــبل اتمام الزواج ، ويرى أحد الباحثين أن هذا إبقاء لطقس عتيق قبل اتمام الزواج استخدم كحيلة أو خدعة مصممة لخداع يقظة القوى الغيورة التى تحرس العذرية.٠ ولحماية المغتصـــب مـــن نتائج فعلته وأن اتمام الزواج بالنسبة للزوج ، على الأقل نظرياً ، لم يكن دائمـــاً عمـــلاً مأمونـــاً ، ويقـــول إنه ليس من العجيب أن تبقى مثل هذه الطقوس حية فى اســبرطة الـــتى كانت أكثر المدن محافظة على التقاليد . وفى رأينا أن هذا قد يفسر طقوس لـــيلة الـــزفاف ، ولكـــن لا يفسر الغياب عن الزوجة ، ولعل السبب وراء ذلك هو الانضباط العســـكرى خاصة لمن هم أقل من سن الثلاثين من الرجال والذين لم يكن يسمح لهم بشكل شـــائع الذهـــاب إلـــى الســـوق ولكن كان عليهم أن يرسلوا اصدقاءهم لشراء ما يحتاجونه لمنازلهم ، ومن يفعل منهم هذا كان يستحق اللوم ، حتى بالنسبة للرجال الكبار فكان عليهم أن ينشـــغلوا بشئونهم الخاصة بدلاً من توجيه انشطتهم لصالح الدولة . كما أن الاسبرطيين – علـــى مـــا يـــبدو – قـــد قصدوا من ذلك أيضاً الرغبة فى إثارة العواطف وانجاب الاطفال الأصـــحاء هي التي كانت وراء انقطاع الأزواج فى الفترة الأولى من الزواج عن زوجاتهم ، ولعـــل ما كان يحدث من ممارسات وأمور فى اسبرطة من أجل انجاب أبناء أصحاء أقوياء يؤكـــد ذلـــك ، ومـــن هذه الأمور أنه كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريدون أن يتزوجوهم وبأخلاقهم . فقد فرضت غرامة على الملك أرخيداموس لأنه قد تزوج بامـــرأة ضئيلة الجسم ، كما أن ليكورجوس قد عمل على تقليل فكرة الغيرة الكائنة المتخثثة الـــتى تحدث الشجار والاضطراب فى الحياة الزوجية ، فقد اباح الشركة فى الأولاد لمن اراد ، ومـــن آرائه أنه تجب السخرية بمن يريدون جعل الزواج ميزة شخصية لا يشاركهم فيها أحـــد ، ينتقمون ممن يعتدى عليهم فيها بالغدر والحرب ، وقد جعل من المباح لشيخ تزوج مـــن فتاة غضة الشباب أن يدخل إليها فتى شريف يحترمه ويحبـــه ، وأن يعترف بمن يولد له من دم ذكى كابن له ، كذلك يباح للرجل المتأنق الذى يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات أولاد أن يطلـــبها من زوجها ليغرس فى تلك النبتة الخصيبة ويلد أولاداً اقوياء يمنحهم كبار

الـنفوس دمـــاءهم والقـــابهم . لقـــد اعتقد ليكورجوس أن الاولاد ليسوا لآبائهم خاصة بل جمـــيعهم ملـــك للدولة ، ومن ثم أن يكون النسل للأكثر جدارة من المواطنين، ونجده يسخر مـــن حماقة وكبرياء ما سنه المشرعون الآخرون للزواج ، وقال منتقداً اياهم أنهم يبحثون لكلـــباتهم وافراســـهم خـــير الكلاب وأكرم الخيول يتوسلون إلى اصحابها بالرجاء والأموال ويحجـــرون علـــى نســـائهم ويحتمون عليهم ألا يكون لهن أبناء إلا من بعولتهن ولو كانوا اغبـــياء ، عاجزيـــن ، مرضى ، كأن ليس من الخزى للآباء والمربين قبل غيرهم أن يكون لهم ابناء ضعفاء من سلالة آباء ضعفاء ، وكأن ليس من السعادة أن يكون لهم ابناء أقوياء يشـــبهون آباءهم فى القوة وسلامة البنية . وهكذا لقد كان الغرض من هذه الاجراءات وفقاً لاجمـــاع الآدميين هو انجاب الذكور الأقوى اجساماً والأجمل وجوهاً من سائر رجال اليونان وأن تكون نساؤهم أصح وأجمل من سائر نساء اليونان ، ولكن أغلب الظن أن هذه النتيجة يـــرجع أكثرها إلى التدريب لا إلى العناية بالنسل وحدها . وفى ذلك يقول ثيوكيديديس على لســـان الملـــك أرخيداموس "قَـــلَّمَا يكون ثمة فرق بين الرجل والرجل ولكن الذى يتفوق فى آخـــر الأمـــر هـــو الذى ينشأ فى أقسى مدرسة" وهكذا فإن الانضباط العسكرى والرغبة فى انجـــاب اطفال اصحاء كان وراء انقطاع الزوج عن الزوجة. وإن كان انجاب اطفال اصحاء قد أدى إلى الممارسات السالفة الذكر (وغير الشرعية فى رأينا).

لقـــد رأيـــنا أن الزوج قد يختار لزوجته الرجال الاقوياء والنبلاء أو أن النبلاء كانوا يســـألون أزواج النســـاء أن يقيموا علاقات معهن كما نعلم فى بعض الحالات أن هناك تعدد الازواج ويرى البعض أن هذا النظام كان سببه عدم تقسيم الاقطاع وأن الوالد قد استقر فى عـــدة حـــالات بالنســـبة لزوجة الابن الأكبر أن تكون أيضاً زوجة لكل أخوته ، كما أن تعدد الازواج للزوجة الواحدة قد جعلها سيدة الاملاك .

ويقــول بلوتارخ أن نظام ليكورجوس لم يؤد بالاسبرطيات إلى التساهل بأكثر مما كن علــيه ، فقــد قــيل أن الزنا [1] لم يعرف فى اسبرطة . ويستشهد بلوتارخ باجابة قالها أحد الاســبرطيين رداً على سؤال لاجنبى ما هو عقاب الزانى فى بــلادكم ؟ فاجابه الاسبرطى لا زنــا فى بلادنا ، قال الاجنبى وإذا حدث ؟ يلزم الزانى بثور طويل العنق يستطيع أن يشرب مــن نهر يوروتاس وهو فى أعلى جبل تايجيتوس ، قال الاجنبى وكيف يحصل على ثور فى مثل هذا الطول ؟ فاجابه الاسبرطى ضاحكاً وكيف يوجد فى اسبرطة زنا [2].

والطــلاق كان نادراً وغير مستحب ، ولكن كان يتم فى حالة عدم الانجاب وإذا لم يتم طــلاق فى حالة عدم الانجاب كان الزوج يتزوج بامرأة ثانية وهذا ما نعرفه من قصة الملك الاســبرطى الــذى كانت زوجته عاقراً ورفض تطليقها ونصح بالزواج من أخرى عليها من قــبل الرقباء والشيوخ وامتثل للأمر .ولكن على ما يبدو أن هجر الزوجة بدون سبب وجيه والــزواج مــن أخرى كان يعاقب عليه الزوج فقد عوقب القائد الاسبرطى المشهور ليساندر لأنه هجر زوجته واراد الاقتران بامرأة أجمل منها .

وكانت المرأة الاسبرطية ترث وتورث وتوصى بثروتها إلى من تشاء ، وكانت تخرج للأســواق وتشــتغل بالــتجارة ، وكونت ثروات طائلة وقد أتى عهد على اسبرطة كانت فيه نصــف ثروة البلاد فى أيدى النساء بفضل ما كان لهن من سيطرة قوية على الرجال وذلك نظــراً لأن الرجال كانوا ممنوعين من تملك المعادن النفيسة ، كما أن الكثير من الاسبرطيين الذيــن كانوا يحصلون بمختلف الطرق غير المشروعة على ثروات طائلة ويخافون افتضاح امــرهم يسجلون املاكهم فى اراضى الحلفاء باسم الزوجات وكأن النساء هن اللواتى يقمن بشراء هذه الاراضى وبيعها واستثمارها . ويصدق هنا قول أفلاطون أنه قد نظم الرجال فقط

---

(١) إن الحــالات الســالفة الذكــر من اختيار الزوج الشاب القوى لزوجته أليس زنا ؛ كما أن استئذان الشاب الوجــيه القوى للزوج كى يخالط زوجته أليس هذا زنا كما أن تعدد الأزواج للمرأة الواحدة أليس هذا هو الأخر زنا !

(٢) تأثر أفلاطون بهذه الممارسة وقد انعكس ذلك فى كتابه الجمهورية حيث منع الزواج بين طبقة الحكماء .

فـــى اسبرطة بينما تركت النساء حرة وتعيش حياة ثرية . وقد وجدت ثلاث عوامل أدت إلى حرية النساء الاسبرطيات خارج منازلهن أكثر من المدن الأخرى وهى :

(١) وضـــعهن المالى فقد تركزت الثروة فى أيدهن وكلما زادت ثروة المرأة ازدادت سلطتها وقوتها .

(٢) التمرينات الرياضية وظهورها عارية فى شبابها أمام الشباب .

(٣) غـياب الـرجال فـــى المعسكرات وعدم الانتظام فى المبيت فى البيت إذا ما كان الزوج تحـت ســن الثلاثين أو الغياب فى الحرب فى عصر الامبراطورية الاسبرطية إذ يقول أرســـطو نـــاقداً : اثـــناء فترة امبراطورية اسبرطة كانت النساء تدرن عدة اشياء وما الفـــرق هنا بين حكام يحكمهن نساء وحكومة فعلية من النساء ؟ ونستشف من هذا أن اسبرطة كانت محكومة بحكومة النساء (Gynaikakratia) ، وبعد أن عرضنا لاوضاع الاسبرطيين سنحاول أن نلقى الضوء على بعض سماتهم وهى على النحو التالى :

(١) إن نظـــام الوجبات المشترك قد جعل الاسبرطيين الاغنياء والفقراء على السواء يأكلون نفس الطعام وكان طعاماً رديئاً دائماً ، وهذا النظام أزال الاحتكاك بين فئات المواطنين ؛ لأن اخـــتلاف نوعـــية الطعـــام يؤدى إلى التفرقة والثورة ، ويقول أفلاطون على لسان ميجيلـــيس (Megilles) فـــى كـــتاب الجمهوريـــة أنه لا توجد حفلات شرب وسكر فى اســـبرطة ولا فى أى مدينة تابعة لها كما يعاقب كل سكير . ويقول اكسينيفون أن الملك أجيســـلاوس (Agesilaes) كـــان يعتبر السكر والثمالة نوعاً من الجنون ، لأن حالات الـــثمالة الجماعـــية فى مهرجانات أو حفلات يمكن أن تكون فرصة ينتهزها الهيلوتس للـــثورة . ويقـــول كريتاس (Kritas) ، فى نهاية القرن الخامس ، إن الاسبرطيين قد اشـــتهروا بعـــدم رغبـــتهم فى تناول المشروبات الروحية ، ولكن يمكن أن يدل السكر والثمالة على حالة ثراء من يقومون بذلك أمام الفقراء وهذا ما ترفضه اسبرطة .

(٢) كانت ملابس ابناء الاغنياء والفقراء واحدة ولا فرق بينهم ويشيد ثيوكيديديس باعتدال الاســـبرطيين فى الملابس ورغبة الطبقات الثرية فى أن تكون ملابسها مثل المواطنين

العاديين . ومع ذلك فقد ظهر التفاوت على سبيل المثال بالنسبة لسباق المركبات . ففى بدية القرن الرابع للميلاد تدفقت الثروة على اسبرطة من امبراطوريتها وأدى ذلك إلى حدوث التوتر ، ويذكر اكسينيفون أن الملك أجيسلاوس قد ذكر أن صناعة المركبات الفاخرة التى تجرها الجياد لم تكن أبداً من الصفات الحميدة ولكن فقط لاظهار الثروة ومع ذلك نعرف أن شقيقته كينيسكا (Kyniska) كانت تنفق على فريق انتصر فى سباق المركبات . ولا ندرى إذا ما استطاع لجيسلاوس الاقلال من اهتمام الاثرياء بهذه الرياضة . ولكن تكشف المصادر أن هناك سيدات ثريات قد قمن بالانفاق على فرق عربات أخرى والدخول فى سباقات ولا شك أن الغرض من هذه السباقات كان يهدف إلى استعراض الجاه والثراء وليس شيء آخر .

(٣) لجأت اسبرطة إلى اثارة روح التنافس والغيرة والشجاعة فى مواجهة الموت بين الاسبرطيين منذ نعومة اظافر الاطفال ويقول اكسينيفون إن اسبرطة كانت تبث روح المنافسة والاسبقية بين شبابها عمداً ، فكان المتنافسون ينقضون على بعضهم بعضا فى ملاكمة عنيفة حيثما اجتمعوا ، وقد سبق أن تحدثنا عن تشجيع الفتيات للمنتصرين وتوبيخهن للمهزومين وصلابة الشباب والاطفال فى تحمل الآلام . وكان اليونان يؤمنون تماماً بشجاعة الاسبرطيين الاستثنائية ، ويقول ثيوكيديديس إن قرار ١٢٠ مقاتلاً اسبرطياً أن يستسلموا عند محاصرتهم فى اسفاكتيريا بدلاً من الموت اثناء القتال اعظم وأغرب أمر شاهده العالم اليونانى كله أثناء حرب البلوبونيز . وأيضاً نجد أن اسبرطة بعد أن استردتهم قد حاكمتهم ونزعت عنهم صفة المواطنة ولكنها اعادتها اليهم فيما بعد . و عموماً فإن المصادر تكشف لنا عن أن الاسبرطيين كانوا يحترمون ويمجدون الموت فى ميدان المعركة إذ يقول اكسينيفون إن الحزن قد عم اسبرطة بعد الهزيمة الكبيرة فى ليخانيون (Lekhanion) اثناء الحرب الكورينثية . فيما عدا الذين قُتل اباؤهم وأخوتهم هناك ، فكانوا مسرورين كما لو كانوا قد كسبوا المعركة وذلك لأنه قد تم تمجيد عائلاتهم . وفى موقعة لوكترا نجد أن الرقباء قد شعروا ببعض الحزن وأمروا النساء بألا يصرخن ، ولكن فى اليوم التالى خرج الذين فقدوا اقاربهم

فـــى أبهـــى حـــال وسرور بينما أن اقارب الباقين على قيد الحياة كانوا فى حالة كآبة وتعاســـة . لقـــد كانت الوفاة فى ساحة الوغى شرطاً لحفر اسم الرجل على شاهد قبره وأن المـــوت بشـــجاعة كـــان قـــد خـــلا للتكريم وفقاً لتشريع ليكورجوس ، حيث كان الاســـبرطيون يحـــتقرون كل من كان يرفض أن يكون شجاعاً فى المعركة ، ويذكر لنا هـــيرودوت حكاية جنديين من جيش ليونيداس فى موقعة ثيرموبولاى واللذين هربا من المجزرة . ويقال أن أحدهما واسمه بانتيتيس (Pantites) قد تم تخفيضه أو تنزيل فئته الاجتماعـــية بعـــد عودتـــه لاســـبرطة فشـــنق نفســـه ، أما الآخر فهو ارستوديموس (Aristodemos) فلقد أهين كذلك ونعتوه "بالرعاش" ورفض الاسبرطيون الكلام معه ، ولكنه فى موقعة بلاتيا قاتل قتالاً عنيفاً ومات ، ويقول ثيوكيديديس نقلاً عن براسيداس أن الخـــوف مـــن الاهانة أحد علامات الجندية ، وقد عدد لنا اكسينيفون الاهانات التى يلقاهـــا الجبناء فى اسبرطة منها على سبيل المثال : لن يجدوا زوجات ولن تجد نساء عائلـــتهم أزواجـــاً لهـــن ولا يسمح لهم بأن يكونوا سعداء، أى بالظهور فى الاحتفالات العامـــة وإلا ضـــربوا ، كما كان يجب عليهم اخلاء مقاعدهم لرجال أصغر سناً . وكما سبق أن ذكرنا سحب المواطنة أو تنزيل الفئة الاجتماعية للهارب .

(٤) كان الاسبرطيون مقتصدين فى الكلام ويرفضون الكتب . يقول بلوتارخ إن الاسبرطيين كـــانوا يعـــودون الاطفـــال على اسلوب من الكلام الحاد والقارص فى ملاحة ورقة ، و يتضـــمن معـــان كثـــيرة فى كليمات قليلة ، وكانوا يطبعون الطفل على الصمت الطويل ويجعلـــون همهـــم فـــى مناقشـــة وفـــرة المعـــانى فى قليل من الكلام . وكانت خطب الاســـبرطيين موجزة واضحة للغاية أشد الوضوح سريعة النفوذ إلى عقول السامعين ، لقـــد كان ليكورجوس قصير العبارة جلى المعنى . ومن الامثلة : أن اشار البعض عليه باقامـــة الديموقراطـــية فى اسبرطة فأجابه "ابدأ باقامتها فى بيتك . وجوابه على سائل سأله ، كيف نستطيع دفع غارة الاعداء ؟ فكان جوابه متى كنتم فقراء لا يطمع أحد فى نصـــيب أوفـــر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار "ما من مدينة بلا سور متى كان ســـياجها لا الطـــوب بل قلوب الشجعان" . كما نجد رد الملك أجيس على الاثينى الذى

سـخر مـن قصـر سيوف الاسبرطيين بقوله "إن المصارعين يبتلعونها بسهولة على مسـارح اللعب" فأجابه الملك : "بهذه السيوف القصيرة نصيب اعداءنا عن بعد" وسئل خـاريلادس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع ؟ فقال : لأنه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع . ويقول أرخيداميداس "إن من يعرف مواطن الكلام يعرف ايضاً مـتى يجـب الكلام" . وحتى فى هزلهم لم ينطقوا شيئاً أو الكلام على غير هدى ، فقد اقترح على اسبرطى أن يذهب لسماع رجل يقلد البلبل فقال "سمعت البلبل ذاته" .

ونعـرف مـن المصـادر ولعهم بالشعر الغنائى والغناء والموسيقى ، فكان شعرهم الحماسـى يثير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل على جلائل الاعمال فكان يطرى من ماتوا فـى سبيل اسبرطة ويذم من اظهروا الجبن ، يصور حياة هؤلاء بين الاحزان والتعاسة فى اسـلوب بسـيط ، ونعرف من المصادر أن الاسبرطيين كان ولعهم بالغناء ، فكانوا يقسمون أنفسـهم فى ثلاث فرق غنائية حسب الاعمار فى الاحتفالات والمهرجانات ، وكانوا ينشدون الشـعر والغـناء بمرافقة الموسيقى . ويقول تربانذر هناك تزدهر شجاعة الجنود والانغام الشجية والعدالة حامية المدن.

نعـرف تمامـاً أن الاسـبرطيين فى العصر الكلاسيكى لم يتركوا لنا كتباً بالمرة ولم يذكـروا شـيئاً قـد قـرأوه ، ولكـن بقيـت لنا بعض النقوش المكتوبة من العصر العتيق والكلاسـيكى أيضاً وبعض الرسائل التى كتبها القادة العسكريون إلى سلطات مدينتهم وورد ذكـرها فـى المصـادر الأدبـية ومن هذه الرسائل رسالة ارسلها الاسبرطيون بعد هزيمة مـنداروس (Mindaros) ٤١٠ ق.م والـتى اسـتولى عليها الاثينيون وتقول الرسالة "لقد انتهـت الايام المجيدة ، قتل منداروس . لقد جاع الرجال ، لا نعرف ماذا نفعل" . ويقدم لنا الملـك أرخـيداموس سـبب عدم انتشار الثقافة بين الاسبرطيين إذ يقول إن الاسبرطيين لم يكونـوا مثقفيـن لكـى لا ينتقدوا دستورهم ، ونفهم من ذلك أهمية عدم القراءة واستخدام الكتب عندهم فالقراءة قد تؤدى إلى الخلاف السياسى كما أن الكتب من خارج اسبرطة ذاتها سوف تأتى بأفكار غريبة غير مرغوب فيهـا .

وبعد أن عرضنا لفئة الاسبرطيين وأحوالهم ننتقل الآن للحديث عن الفئة الثانية وهى فئة المزارعين المربوطين بالأرض .

(٢) المزارعون المربوطون بالأرض :للهاالهيلوتسىلله

تريـــنا المصادر الأدبية أن الغزاة الدوريين والقبائل الارنية والتسالية قد تصرفوا فى المـــدن الـــتى احتلوها وحلوا بها ، بأن استرقوا الاهالى الباقين فيها ، وصار هؤلاء يمثلون أدنــــى طـــبقة فـــى الســـلم الاجـــتماعى فى تلك المدن . وهذا ما كشفت لنا عنه التنظيمات الاجتماعية فى أرجوس وسيكون وابيداروس وميجارا وفى تساليا ولوكريس وتراخيس وفى المســـتوطنات الـــتى اسستها المدن الدورية فيما بعد في عصر حركة الاستعمار الكبرى فى هيراقلـــيا بونتيكا (Heraclia Pontica) وبيزنطة وسيراكوز . فقد وجد فى أرجوس ، وهى واحدة من أقدم المدن الدورية فى البلوبونيز ، طبقة الـــ (Gymnetes) أو (Gymnesitoi) والكلمـــة تعـــنى "عـــراة" وقد اشار اليهم هيرودوت بقوله "إن كل شىء كان فى أيدى العبيد لـــبعض الوقـــت فى أرجوس" كما قارن كل من يوليوس بوللوكس (J. Pollux) (من نهاية القـــرن الـــثانى م.) واستيفانوس من بيزنطة (من القرن السادس) ، بين هذه الطبقة وطبقة الهـــيلوتس الاسبرطية وقد وجد قسم مماثل فى سيكون أسماه الكتاب القدامى (تيوبومبوس" وبوللوكس واستيفانوس) "الكورينيفوروى (Korynephoroi) ، وفى ابيداروس كان هناك جماعـــة مماثلـــة اطلـــق علـــيها تسمية Komepoks والتى تعنى اصحاب الأقدام المتربة واســـتخدمت لوصـــف ســـكان الريف بالمنطقة ، وفى تساليا نجد جماعة مماثلة هى جماعة "البنستاى (Penestai) وهى الفئة التى كانت تعمل فى الارض المملوكة للسادة التساليين . وفـــى لوكريس وجدت جماعة مماثلة هى الـــ "ويكياتاى (Woikeatai) والتى عاشت تحت نفـــس الظـــروف وأيضاً ربما جماعة (Kyllekranes) التى عاشت فى تراخيس على خليج ماليا . وكانت جماعات الزراع فى سيكون وأرجوس وابيداروس تتمتع بحرية شخصية أكبر من الهيلوتس الاسبرطيين ولم يتم ربطهم بالارض مثل الهيلوتس .

وتقدم لنا المصادر معلومات عن جماعات مماثلة فى بعض المستوطنات التى اسستها المـدن الدوريـة فـى عصر الاستعمار . ويقدم لنا بوللوكس وبعض الكتاب القدامى قائمة لمجموعـة مـن تلـك الجماعـات الخاضـعة ذات الوضـع المـتدنى ومـنها جماعـة "Mariandynoi" وهـم السـكان الاصـليون والذين كانوا يخضعون لمستوطنى هيراقليا بونتـيكا فـى شمال غرب اسيا الصغرى والتى اسسها المستوطنون الميجاريون فى القرن السـادس . وقد وصف الـ "Mariandynoi" بحملة الهباب (Derophorai) لأنهم كانوا يسـلمون حصـة محـددة إلى سادتهم من انتاجهم . وقد قيل أن البيثينيين كان لهم وضع مشابه للهيلوتس وكانوا يخضعون للمستوطنين الميجاريين الذين اسسوا مستوطنة بيزنطة فى بداية القرن السابع ، وفى سيراكوز فقد وجدت جماعة "Kyllyrioi" أو "Killykrioi" وهـم السـكان الاصليون والذين استرقهم المستوطنون الكورينثيون ، ويقول هيرودوت إن الـــ "Kyllyrioi" كـانوا عبيداً لملاك الارض (Gamoroi) فى سيراكوز . أما عن كريت فقـد كانـت تتشـابه فـى نظامها إلى حد كبير مع النظم الاسبرطية فقد وجدت جماعة الـ "Klaratae" والـتى تعنى المقيمين على الاقطاعات وكانوا مناظرين للهيلوتس . وسنعود للحديـث عـنهم عندما ننتهى من الحديث عن الهيلوتس والحلفاء الاسبرطيين . فلماذا وجد الـزراع المـربوطون بـالارض بشكل رئيسى فى المدن الدورية ومستعمراتها ؟ ولمعرفة الاجابة ينبغى أن نبحث الوضع العام الذى ساد بلاد اليونان عند نهاية الالف الثانية وخاصة فى مرحلة تطور القبائل الدورية والقبائل المرتبطة بها ، فمن المرجح أن هؤلاء كانوا رعاة عند وصولهم إلى بلاد اليونان ، وأنهم عندما غزو الارض الزراعية قد استرقوا ما بقى من السكان الاصليين واستخدموهم فى زراعة الارض التى استولوا عليها وفرضوا عليهم تسليم حصص من انتاجها وذلك لعدم درايتهم هم أنفسهم بشئونها وتفرغهم للعمل العسكرى ، وإذا ما عرضنا الآن للهيلوتس الاسبرطيين ، نقول إن الاسبرطيين كانوا قد قسموا أراضى وادى نهـر يوروتـاس إلـى اقطاعـات ووزعوا حيازتها وليس ملكيتها فيما بينهم ، وكان يقوم بزراعـتها جماعـة الهيلوتس ، وهم الآخيين والدوريين وارتبطوا بالارض ولم يكونوا ملكاً لحائـز الاقطـاع ، وقد اختلف الباحثون حول وضعهم القانونى فيرى ثيوكيديديس أن كلمتى "doulos" و"Oiketes" "بمعـنى عـبد" تتطابقان تماماً مع الهيلوتس وهنا فإنه يرى أنهم

عبـيد . وفى نص المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وأثينا عقب صلح نيكاس سنة ٤٢١ ق.م يوجـد بـند يـنص علـى أنـه إذا مـا ثـار "douleia" فإن الاثينيين سوف يساعدون اللاكيدايمونييـن بكـل طاقـتهم . ويصـفهم باوسـانياس بـأنهم عبـيد الجماعة كلها من اللاكيدايمونييـن بينما يصفهم بوللوكس مع جماعة Penestai والجماعات المشابهة السالفة الذكـر من الزراع الخاضعين بأنهم كانوا إلى حد ما فى وضع بين الرجال الاحرار والعبيد . واعـتقد الـبعض فى العصور القديمة أن الهيلوتس كان لهم وضع مختلف عن عبيد باقى المـدن اليونانـية لأن اسبرطة قد رأت أنهم ملك للدولة وليسوا ملكاً لافراد من المواطنين ، ونجد نفس التردد فى تحديد وضعهم بالنسبة للكتاب المحدثين ، فالبعض يصفهم بأنهم عبيد الدولـة والـبعض الآخر يقول أنهم اقنان أو اشباه عبيد والوصف المناسب لهم هو وصف بوللوكـس لهم على الرغم من أنه لا يكون دقيقاً ، ولكنه يكشف على الاقل نقص الوضوح فى مفهوم الحرية والعبودية فى المجتمعات القديمة. فوصفهم بأنهم عبيد الدولة أو الجماعة أى أنهـم كـانوا علـى وجـه الحصر تحت تصرف سلطة الدولة التى تملكهم ، فيمكنها أن تحـررهم متى أرادت ولا يمكنها أن تبيعهم فهم خارج نطاق المبادلات التجارية القانونية أى أنهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشراء . وقد وزعتهم الدولة مع الارض المقطعة للمواطنيين الاسبرطيين ، ومن ثم فإن الحائز على الاقطاع كان بشكل آلى سيد الهيلوتس المقيمين على اقطاعه ولكنه لا يملكهم ولا يمكنه أن يبيعهم ، أو يتصرف فيهم بالاعتاق ولا يمكنه طردهم من الارض ، فهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشراء ، أو لأى شكل من اشكال التصرف، كما أن حائـز الاقطـاع لا يملـك السلطة أو الحق فى زيادة أو طلب زيادة للحصة التى قررتها الدولـة له مـن الاقطـاع تحت عقوبة اللعنة، بل أن الهيلوت لا يدين بشىء للحائز سوى الحصة المفروضة عليه يسلمها له ، والدولة وحدها هى التى لها الاهلية لتغير شروط العقد والـذى فرضته وحدها ، وهكذا فقد كانت حقوق السيد حائز الاقطاع محدودة . وفى المقابل فـإن الهـيلوت لا يمكنه أن يترك الاقطاع بل ينتقل بانتقال الاقطاع لحائز آخر فقط ، وكان للهـيلوت حقـوق مـنها أنه يمكنه أن يزرع نسبة من الارض التى يزرعها بالطريقة التى يرغـبها ، كما أن الاقطاع كان فى انتظار اخلافه وورثته . وفى ضوء ما قدمنا فلا يمكن أن نعتـبرهم عبيد بالمفهوم القانونى . فكانوا يتزاوجون ولا يمكن للمرء أن يشترى هيلوت من

ســوق العبيد . كما أن الزيجات كانت تتم بين النبلاء والهيلوتس وكانت تثمر ذرية ، وهذه الذريــة كــان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . كما أن ملاك الارض فى اسبرطة بعد أن ابــيح اجراء التصرفات القانونية لم يكن لهم الحق فى بيعهم أو التصرف فيهم إنما كان هذا الحــق قاصــراً علـــى الدولة، فتخبرنا المصادر أنه فى القرن الثالث باع الملك كليومينيس الحرية للهيلوتس بخمس مينات للفرد الواحد منهم ، وحصل على مبلغ خمسمائة تالنت من شــراء ســتة آلاف هيلوت لحريتهم ، وبعدها صاروا مواطنين من الدرجة الثانية . كما أن هــناك ســمات تمــيز الهــيلوتس عن العبيد الأثينيين على سبيل المثال . فالهيلوتس كانوا يشكلون مجموعة جنسية واحدة وهم السكان الاصليين ، ويتحدثون نفس اللغة وانزلوا على نحــو مشترك إلى مرتبة الاتباع من خلال الفتح عند وصول الدوريين الذين اصبحوا سادتهم والذيــن كونــوا ارســتقراطية . وعلى العكس فإن العبيد الاثينيين كانوا من أصول مختلطة بشكل كبير ولا يمكن أن يكون لهم اسم جامع لهم كما أنه لا هوية لهم ، وكان يتم شراءهم واســتيرادهم مــثل أى سلعة من الاسواق وكان من النادر استخدامهم فى الخدمة العسكرية والحالات المعروفة قليلة وقد حدثت فى ظروف طارئة ، بينما كان الهيلوتس يخدمون بشكل معــتاد فى الحرب وكانوا يحصلون على حصة من الغنائم، ومن يتحرر منهم كان يعتبر من المواطنين الجدد "Neodamades" ، كما أننا نسمع عن ثورات الهيلوتس ، ولا نسمع عن ثــورات العبــيد . كمــا نسمع عن زيجات بين الهيلوتس وبين الاسبرطيين، وأن ابناء هذه الــزيجات كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . بينما نجد فى أثينا بعد قانون بركليز سنة ٤٥١ – ٤٥٠ ق.م والــذى اعــترف بالــزواج بيــن الاثينيين الخُلّص فقط . ومن قبل كان يعــترف القــانون بذرية الاب الاثينى ولم يكن زواج الاثينى من أمه له صفة شرعية. هذه جملــة الفــروق بين العبيد وبين الهيلوتس . وفى ضوء هذا يمكننا أن نقول إن الهيلوتس كــانوا يمثلون فئة خاصة حرمت من الحقوق السياسية والمدنية فى الدولة واعطيت بعض الحقوق وفرض عليها الكثير من الواجبات والاعباء .

أمــا الرأى القائل بأنهم فى وضع الاقنان ، وأنهم كانوا يتمتعون بجميع الحريات التى يتمتع بها أقنان الاقطاع فى العصور الوسطى ، فكان للواحد منهم أن يتزوج كيف شاء وأن

يكون له ابناء لا يهتم بعددهم أو ما سوف يؤول اليه أمرهم ، ويستغل الارض بطريقته هو ، ويعـيش فـى قريته مع جيرانه ولا يقلقه مالك ارضه الغائب عنها ، مادام يؤدى إلى هذا المـالك بانتظام ايجارها الذى حددته الحكومة وكان هذا القن مرتبطاً بالارض ، ولكن مالكها لم يكن فى مقدوره بيعه أو بيعها ، وكان فى بعض الحالات يؤدى خدمات منزلية فى المدينة ، وكان ينتظر منه أن يقوم على خدمة سيده فى الحرب وأن يحارب دفاعاً عن الدولة إذا ما طلـب إليه أن يحارب من أجلها . وردنا على هذا الرأى أن الاقنان كانوا جزءاً من الامة فى العصور الوسطى ، بينما الهيلوتس ليسوا جزءاً من الأمة ، ولكنهم كانوا أمة مختلفة ، فقد كـانوا من السكان الاصليين اصحاب البلاد فى الغالب استعبدوا من قبل غزاة اجانب سلبوهم جانـباً مـن حريـتهم ، والفـارق الاساسـى بين الاسبرطى والهيلوت هو أن الأول يتمتع بامتـيازات سياسـية ومدنـية ، بينما الثانى لا حقوق له أو حرم منها ، وبهذا المعنى فإن الهـيلوتس كـانوا رجالاً احراراً طالما أنهم لم يكن لهم سيد ولكن القانون وحكام الدولة قد ربطوهم بالارض ، ولم يكن لهم حق اختيار محل اقامتهم أو تركها . ومن ثم يصدق عليهم قـول بوللوكس فإنهم كانوا بين الرجال الاحرار والعبيد ولا يمكنهم أن يتحرروا من ربطهم بـالأرض إلا مـن خـلال الدولة ، وقد يكون ذلك لشجاعة يظهرونها فى الدفاع عن الدولة فينالون حريتهم ، أو يمكنهم دفع مبالغ لتحريرهم من الارتباط بالأرض كما سبق أن ذكرنا ، وإذا ما تحرروا حقاً فإنهم كانوا يعاملون كمواطنين ناقصى الأهلية ويعاملون معاملة الحلفاء .

ولعل اسم "Helots" قد تم اشتقاقه من الجذر اليونانى "Hel" الذى يشير إلى الأسر علـى الرغم من أنه قد يكون قد اشتق من الكلمة "Hele" مستنقعات ويقول استرابون أن كلمـة هيلوت مشتقة من "Helos" وهو اسم بلدة فرض الاسبرطيون على اهلها الاسترقاق وهـى بلـدة قريـبة من مصب نهر يوروتاس . والمرجح أن الاسم كان اسم بلدة هيلوس القريـبة مـن مصب نهر يوروتاس والتى كان بها مستنقعات وتم اسر واسترقاق اهلها ثم امـتد الاسـم ليطلق على تجمعاتهم فى لاكونيا كما اطلق الاسم على المهزومين فى ميسينيا بعد اسرهم .

كـــان الهـــيلوتس فـــى لاكونيا ، على ما يرجح في الغالب الأعم ، من الآخيين الذين انـــزلهم الاســـبرطيون إلـــى مرتبة الهيلوتس ولعل البعض منهم كان من ابناء للاسبرطيين الخُلّـــص ذوى العاهات والذين القوا بهم عند جبل تايجيتوس والتقطهم الهيلوتس للاستفادة بهم ومعاونتهم فى الاعمال الزراعية . وقد زادت أعدادهم زيادة كبيرة بانزال بعض العناصر الدوريـــة والآخـــية فى ميسينيا لمرتبة الهيلوتس ، ويقول هيرودوت أن عدد الهيلوتس كان ســـبعة مقـــابل اســـبرطى واحد فى موقعة بلاتيا حيث كان الجيش الاسبرطى بكامل قوته ، ويقـــول اكسينيفون أن الاسبرطيين فى اسواقهم يكادون يضيعون بين الفئات غير المواطنة والأولى منهم وربما كان معظم هؤلاء من الهيلوتس .

لا نكـــاد نعرف عنهم إلا الشىء القليل ، فلا نعرف اسماً لواحد منهم وربما نصل إلى اســـم احدهـــم ولعـــل الفتاة أولون (Aulon) كانت من الهيلوتس والتى كانت أجمل فتاة فى المدينة وكانت تجذب الاسبرطيين كبارهم وصغارهم هناك .

كـــان على الهيلوت أن يسلم حصة من انتاج الأرض التى يزرعها من الاقطاع وهذه الحصـــة كانـــت تمـــثل ثلـــث المحصول فى لاكونيا ، بينما كانت تمثل نصف المحصول فى ميســـينيا . والمصـــادر لا تحدد لنا مساحة الاقطاع ؛ وكم كان عدد قطع الارض التى يقسم الـــيها ؟ لا يمكن أن نستخدم ما ورد من معلومات فى بداية القرن الخامس بأن نسبة الجنود الاســـبرطيين بالنســـبة للهيلوتيس فى موقعة بلاتيا كانت ١ – ٧ ، أى أن كل اقطاع موزع علـــى سبع اسر ولما كانت كل أسرة تزرع قطعة أرض من الاقطاع فإن الاقطاع كان مقسم إلـــى ســـبع قطع من الارض . ولكن هذا آلافتراض بعيد الاحتمال فنعرف أن الهيلوتس كان علـــيهم أن يقدموا ايجاراً ثابتاً قدره ٨٢ ميدمينى فضلاً عن مدفوعات أخرى ، وأنهم كانوا يســـلمون ثلـــث المحصـــول بلاكونيا أو نصف المحصول فى ميسينيا وأنه مع أخذ متوسط ســـنوات وفيرة الانتاج وأخرى قليلة الغلة ، فإن انتاج الاقطاع يكون ٢٤٦ ميدمينى يحصل مـــنها حائـــز الاقطاع على ٨٢ ميدمينى و ٢٦ ميدمينى للبذور و ٤ ميدمينى للعلف وتغذية الطـــيور الداجنة ، أما المقدار الباقى ١٢٢,٥ ميدمينى فإنه يكفى لعشرين فرداً على اساس

مـــا يستهلكه الفرد يومياً ؛ ولذا فإن الاقطاع كان يزرعه اربع اسر بمتوسط خمسة افراد ، وكــل اسرة كان عليها أن تفلح مساحة تقدر بحوالى ٢٠ فداناً ، والجزء الاكبر منها حوالى ١٧ فدانـــاً كـــان يخصص للقمح والشعير . وكل عام كان يتم بذر نصفها بالحبوب ونصفها الآخـــر يترك مراحاً ، ومن مساحة ٨,٥ فدان فإن الهيلوت يجنى ٦٢ ميديمنى من الحبوب فـــى المتوســـط وثلـــث الكمـــية إلى الحائز وبقية الارض كان يقسم إلى ارض خضراء فى المناطق الرطبة ، وحدائق واعناب وزيتون وتين ، وكان الهيلوت يقدم من محصولها حصة مناسبة لحائز الاقطاع ، وكان الهيلوت يحتاج إلى ثور وربما ثورين لأن الحاجة تكون ملحة الـــيه خاصة إذا كان الجار غير طيب ولا يعيره ثوره فى أوقات الحرث ، ويحتاج إلى حمار لـــنقل الحبوب والنبيذ . . . الخ ، إلى لمدينة ، وعدد قليل من الماعز والاغنام التى يستخدم لبـــنها فـــى صنع الجبن ، وخنزيرة وذريتها ، وعدد من الاوز ، ولا ينبغى أن ننسى وجود خلـــية أو خليـــتى نحل لانتاج العسل المطلوب للتحلية ، وكان الهيلوتس يعيشون فى منازل فقـــيرة مقارنة ببيوت الاسبرطيين . كان وضع الهيلوتس الاقتصادى طيباً ، فقد كان الهلوت ميسوراً أو بعيداً عن الفقر وضامناً بقائه فى الارض وأنه لن يطرد منها ومن ثم فإنه يتمتع بقـــدر مـــن الامان ، وكان يقدم ايجاراً ثابتاً لا يتغير ، ولكن قد يكون الايجار ثقيلاً عليه فى الســـنة الســـيئة المحصـــول ، ومن جهة أخرى فإنه كان يجعل اعتماده على كل الربح فى الســـنوات الوفيرة المحصول ، فكان يحصل على ميزة الزيادة فى الانتاج إذا ما قام باجراء تحســـينات علـــى قطعـــة الارض الـــتى يزرعها والتى تؤول له ولأسرته . وكان يملك كل الممـــتلكات غير العقارية وهذا لا يكون امتيازاً صغيراً ، كما أن الهيلوتس الذين يذهبون مع الجـــيش فى كل حملة كان لهم الحق فى المشاركة فى الغنائم وفى نفس الوقت كان يمكنهم بيع حصصهم فى الغنيمة .

ولـــم يكـــن دور الهـــيلوتس قاصـــراً على الزراعة ، ولا أنشطتهم كانت قاصرة على زراعة قطعة الارض التى كانت صغيرة إذا ما زاد عدد افراد الاسرة عن ستة افراد ، ويرى الـــبعض أنه إذا ما زاد عدد الابناء عند الهيلوت ؛ فإن البعض منهم كانوا يدخلون فى خدمة الارستقراط سادتهم حائزى الاقطاعات ، وأنهم يصيرون "Mothaces" أو "Mothones"

وهم نوع من الخدم والاتباع المنزلين الذين يعيشون مع السيد ،.ويشكلون جزءاً من بطانته وحاشيته فى الاجتماعات والاعياد ويصاحبونه فى الحرب ويشاركون فى التدريب الاسبرطى . بينما يرى البعض أن هؤلاء كانوا رجالاً احراراً وليسو من المواطنين كاملى الاهلية بالميلاد ، وانهم من خلال جدارتهم وقدرتهم يمكنهم الحصول على الامتيازات كاملة ، بينما يرى البعض الآخر انهم على ما يبدو كانوا الابناء غير الشرعيين من الاسبرطيين من نساء الهيلوتس ومن هذه الفئة ليساندر وجيليبوس (Gylippus) وربما (Callicratidas) كالليكراتيداس ، وربما كان من هذه الفئة ايضاً رجال من الهيلوتس تم اختيارهم (واطلق عليهم Epeunactoi) كى يتزوجوا النسوة الاسبرطيات ، وذلك لسد الثغرات بسبب استنزاف ونقص طبقة المقاتلين فى الحروب الميسينية فى القرنيين الثامن والسابع ، ونجدهم قد تبعوا الجيش وقاموا بالخدمات المعاونة ، وكان عددهم فى موقعة بلاتيا سبعة اضعاف الاسبرطيين ، ونجد منهم من خدم كرماة للحجارة بالمقاليع (Ophetai) ، وفئة المجدفين (Desposenautai) فى الاسطول الاسبرطى ، كما كانوا يسلحون تسليحاً خفيفاً ، كما نجد انهم قد خدموا كجنود مشاة ثقيلى العدة مثلهم مثل الاسبرطيين . وتشير المصادر إلى أنه قد تم تسليح ٧٠٠ هيلوت ارسلوا للقتال تحت قيادة براسيداس (Brasidas) بصفة استثنائية وكانت مكافأتهم أن صوت الاسبرطيون بأن الهيلوت الذين حاربوا مع الاسبرطيين يجب أن يكونوا أحراراً وأن يتم اعتاقهم ولهم مطلق الحرية فى أن يعيشوا أينما أرادوا ، كما يخبرنا ثيوكيديديس عن وعد الاسبرطيين لألفين من اشجع الهيلوتس بالحصول على حريتهم وبعد انتهاء المعركة قد منحوهم حريتهم . وهكذا فإن الهيلوت الذى كان يتميز بالشجاعة فى القتال كان يلقى احتراماً ،ويفتح له الطريق للحصول على المواطنة هو وأبناؤه ، ولكن لن تكن المواطنة الكاملة الاهلية ، وإنما يصير واحداً من جماعة المواطنين الجدد (Neodamodae) ، وهذه الفئة ذكرت لأول مرة أثناء حرب البلوبونيز ، ويبدو أنها اختفت بعد عهد اكسينيفون ، وكانت هذه الفئة مساوية لفئة الحلفاء فى الحقوق . ومن المرجح أن افرادها كانوا يتسلمون اقطاعات .

كانـت نسـاء الهـيلوتس تقوم بالخدمة فى منزل حائز الاقطاع وحمل وربما تربية الاطفـال غـير الشـرعيين للاسبرطيين ، ويشير اكسينيفون إلى الاعداد الكبيرة من الاولاد الاسـبرطيين غـير الشـرعيين بوصـفهم شباب حسنى المظهر وأنهم اشتركوا فى حملة عسـكرية اسبرطية فى بداية القرن الرابع ، ومن المحتمل أن امهاتهم كن من الهيلوتس ؛ وهكـذا فقد كانت حياة الهيلوتس محتملة على ضفاف نهر يوروتاس ، ولكن هل كان وضع الهـيلوتس فى ميسينيا مختلفاً عن اقرانهم اللاكونيين ؟ يرى البعض أن وضعهم كان مختلفاً للغايـة ، فـبعد فتح ميسينيا فقد وزعت الارض بين المنتصرين وقد حالفت اسبرطة بعض الـتجمعات فـى ميسينا بينما أنزلت نفراً من الميسينيين إلى مرتبة الهيلوتس ، وكان على هيلوتس ميسينيا أن يقدموا لحائزى الاقطاعات للاسبرطيين نصف المحصول ، وكان عليهم أن يخـزنوا بذورهـم للعام التالى من نصف حصة المحصول التى يحصلون عليها والباقى كـانوا يسـتهلكونه وعلـى العكـس فإن هيلوتس لاكونيا كنوا يقدمون حصة ثابتة المقدار ومعقولـة جـداً ؛ ولـذا فإن حالة هيلوتس ميسينيا كانت أكثر بؤساً . واستند اصحاب هذا الـرأى على قول تيرتايوس الآتى : "هكذا أنزل الميسينيون إلى مستوى العبودية مثل دواب الحمـل وفرضـت عليهم اعباء ثقيلة وارغموا على أن يجلبوا لسادتهم نصف غلة الارض" ولكـن على ما يبدو أن هذا القول به مبالغة فكيف كانت الدولة تسمح لحائز اقطاع على أن يحصـل علـى حصة أكبر من الانتاج عن حصة زميل خصص له اقطاع فى لاكونيا ، وكما سـبق أن قلـنا أن درجة خصوبة الارض كانت هى الفيصل والاساس والتى جعلت الحصة هكـذا كمـا أن الدولة كانت تعرف ما هى الحصة التى يحتاجها المواطن من انتاج الاقطاع وضمنته له للأبد وهذه الحصة كانت توزع هكذا ١٥ ميدمينى للزوج سنوياً أى ٢ خونيتس يومياً ومقدار ١٢ ميدمينى للزوجة والمقدار الباقى هو ٥٥ ميدمينى للأطفال والخدم ، ولهذا فالايجار كان يكفى لأسرة معقولة العدد . وإذا ما قررت الدولة زيادة هذه الحصة فى منطقة عـن مـنطقة أخرى فإن ذلك سيحدث خللاً فى الدخول وبالتالى فلن يثير الاضطراب فقط بل سيؤدى إلى التفاوت المادى بين المواطنين .

جملــة القــول أنــه نتيجة للايجار الثابت ومن مساحة الاقطاع الواسعة كان يحصل الهــيلوتس علــى دخل طيب . إذ أن الايجار قد قدر على أساس معدل انتاج سنة منخفضة الدخــل ، كما أن أية تحسينات يدخلها الهيلوت فى الارض لرفع انتاجها وغلتها فإن الزيادة فى انتاج السنوات الجيدة والزيادة الناتجة عن التحسينات كانت تؤول إلى الهيلوتس . وإنه وبمــرور الزمــن نتــيجة لــتطور الــزراعة ومضاعفة الانتاج فى لاكونيا فقد كون بعض الهــيلوتس ثروات كبيرة مكنتهم من شراء حريته بمبلغ خمسمائة دراخمة لكل واحد منهم . وممــا يــدل علــى ثــرائهم أن ســتة آلاف قد اشتروا حريتهم . وعلى الرغم من رخائهم الاقتصــادى النسبى فإنهم قد حرموا الحقوق السياسية وبعض الحقوق المدنية . فقد عاملهم الاســبرطيون بقســوة وشدة ، وكلما زادت حاجتهم إليهم فقد شعروا أنه من الضرورى أن يحــتفظوا بقبضــتهم قويــة علــيهم. فقد كان عدد الهيلوتس وموقفهم من العمل ورخاؤهم الاقتصــادى وشــجاعتهم كجند يمثل ميزة عظيمة لهم ولكن فى نفس الوقت فقد مثل خطراً شديداً على الاسبرطيين فقد كانوا محاطين بهم وهم أكثر إذ قدر عددهم ٢٢٤ ألفاً ، ومن ثم فقــد لجــأوا إلى الشدة فى معاملتهم . ولم تضمن لهم قوانين اسبرطة أية حماية لهم ، وقد انــتقد بلوتارخ موقف الاسبرطيين ، منهم بقوله "إنه نظام قاسى وإنه غير شرعى" ، ويذكر أن الاســبرطيين كانوا يجبرون الهيلوتس على الافراط فى شرب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم إلــى ســاحة الطعام العمومية ليرى الشباب ما هو السكر ، وكانوا يكرهونهم على أن يغنوا ويرقصــوا أغانى ورقصات وقحة مزرية ويحرمون عليهم كل ما تحتوى عليه هذه الملاهى مــن خــير وشر ، كما أنهم قد أجبروهم على ارتداء ملابس خاصة وأن يجلدوا سنوياً كى يذكــرونهم بأنهم عبيد . وفى النهاية فإنه يصف العلاقة بين الاسبرطيين والهيلوتس بإيجاز شــديد بــالقول "أنه فى اسبرطة أن الأحرار كانوا أكثر حرية وأن العبيد كانوا أكثر استعباداً ويقــول أيضاً نقلاً عن أحد كتب أرسطو التى ضاعت أن الرقباء كانوا يعلنون الحرب سنوياً على الهيلوتس حتى يقننوا قتل الهيلوتس وحتى لا يعد فعل ذلك رجساً ، كما أن هذا الاجراء كــان يمــثل برهاناً على قهر الاسبرطيين للهيلوتس ، وكان اعلان الحرب عليهم مصحوباً بسلسلة من الاجراءات ضدهم مثل استخدام الشرطة السرية بشكل دائم لقتلهم فى الليل وفى وضــح الــنهار وكــأن ذلك يمثل خطة منظمة لقتل الأقوياء منهم لمنعهم من تولى الزعامة

وابقاء الهيلوتس خاضعين ، كما أن قتل كل هيلوت يقابل ليلاً ربما كان لمجرد إثارة الرعب ، ولكـــن مـــن الافضل افتراض أن الهيلوتس كانوا تحت حظر تجول ليلى كوسيلة لمكافحة أعمـــال قطـــع الطريق والحركات الثورية ، وكان أى هيلوت يقوم بالسير ليلاً يخرق قوانين سادته الاسبرطيين ويرجح هذا الرأى قول ثيوكيديديس إن الأثينيين قد استولوا على بيلوس (Pylos) الميســينية بمساعدة اللصوص الميسينيين إذ كانوا متواجدين آنذاك ، ويذكر أيضاً أن الاسبرطيين لم يتدربوا قبل ذلك على أعمال اللصوصية ونوع الحرب، التى حدثت بعد ذلك . ونفهـــم مـــن هذا القول أنه كان هناك حرب غير نظامية استمرت فى الاراضى الاسبرطية أكـــثر ممـــا عـــرف والتى كان يقوم بها الهيلوتس الذين أبوا حياة الذل فى كل من لاكونيا وميسينيا .

كمـــا أن الاســـبرطيين قد عملوا ليس فقط على قتلهم بل على نهب أرزاقهم وأملاكهم مـــن خـــلال إباحة السرقة للشباب المتدرب تحت سن الثانية عشر ، وأيضاً لشباب الشرطة الســـرية ، ويرى البعض أن ذلك كان يمثل نوعاً من التدريب على حرب العصابات وقتل كل مـــن يقـــابلون مـــن الهيلوتس يلقونه ، فقد يكون من العصابات الخارجة عن القانون ، كما كـــانوا يقتلون كل هيلوت يشتبهون فيه دون محاكمة . وفى الواقع فإن الاجراءات قد عبرت عن قلق الاسبرطيين إذ يقول ثيوكيديديس إن الاسبرطيين كانوا قلقين بشكل دائم على أمنهم الداخلـــى ، وبشكل رئيسى من ثورة الهيلوتس ويروى لنا سوء معاملة الاسبرطيين لهم من خـــلال روايته أن الاسبرطيين كانوا قد اختاروا الفى رجل من الهيلوتس الشجعان لتحريرهم وتوجوهـــم بأكالـــيل الزهـــر وساروا بهم إلى الهياكل ليقدموا واجب الشكر للآلهة على ما أصابوا من الحرية وحدث بعد ذلك أن اختفى أولئك المحررون . ووفقاً لبعض الروايات فإن الاسبرطيين كانوا لا يدعوا أسلحتهم جانباً وأنهم كانوا على نحو دائم فى حالة استنفار لمنع وقوعهـــا فـــى أيدى الهيلوتس ، كما أن أبواب منازلهم كانت مزودة بالمزاليج كى تساعدهم فى مقاومة الاعتداءات غير المتوقعة . ويقول أفلاطون أن الاسبرطى كان دمث الاخلاق مع الاحـــرار ولكـــنه متوحشاً مع العبيد douloi ويعتبرهم أدنى منه مثلما يتصرف أى انسان مـــثقف . ويذكـــر أرســـطو أن الهـــيلوتس كـــانوا يعيشـــون حياة عذاب ، وتآمر وكراهية

للاســبرطيين ، وقد قدم لنا بعض المؤرخين معلومات عن كراهية الهيلوتس للاسبرطيين إذ يقــول المؤرخ ثيوبومبوس أن الهيلوتس كانوا متوحشين وعدوانيين فى طرق تعاملهم مع الاسبرطيين ، ويلاحظ اكسينيفون الكراهية الكبيرة التى يكنها الهيلوتس والعناصر المقهورة للاســبرطيين وأن هذه الكراهية كانت كبيرة لدرجة أنهم كانوا يودون أن يأكلوهم حتى وهم أحياء .

وعلــى أى الأحــوال فإنــه علــى الــرغم مــن المعاملة القاسية والشديدة من قبل الاســبرطيين للهــيلوتس وكراهــية الآخريــن لهم فقد حظوا بوضع يقترب أكثر من حالة المواطنيــن الفقراء فى المدن اليونانية الأخرى أكثر من اقترابهم من حالة العبيد ، فقد كانوا من الدوريين والآخيين على السواء ويفوقون سادتهم عدداً .

٣ – الحلفاء :

كان يطلق عليهم مصطلح "Peroikoi" والذى يعنى السكان المحيطين أو الجماعات المحيطة التى تقيم بجوار أو حول اسبرطة . وكانت هذه الجماعات أو المدن لا تشكل ظاهرة فــريدة قاصــرة على اسبرطة بل وجدت قرائن تشير إلى وجودها فى بعض المدن اليونانية الأخــرى مثل تساليا ، وأرجوس ، وإيليس . وكانت لهذه المدن الحليفة حكوماتها الخاصة ، ولكنها كانت موالية لتلك المدن وتتبعها فى سياستها الخارجية وتقدم لها الخدمات العديدة .

كــان حلفــاء الاســبرطيين يسكنون المناطق الجبلية التى تحد وادى نهر يوروتاس والمناطق الساحلية فى لاكونيا . وزادت أعداد المدن الحليفة بعد غزو الاسبرطيين لميسينيا ؛ إذ أنهم قد جعلوا بعض التجمعات السكانية فى ميسينيا من الحلفاء ، أو أقاموا هم تجمعات حلــيفة لهــم كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ عدد المدن الحليفة مائة مدينة ولكنها كانت مدناً صغيرة وبلغ عدد سكانها مائة وعشرين الف نسمة . ويتحدثون اليونانية باللهجة الدورية . وقــد فرضــت اســبرطة على هذه المدن أن تعيش متفرقةً لكل منها حكومة محلية واتبعت سياسة فرق تسد حتى تمنع التوافق والعمل المشترك بينها هذا بالاضافة إلى منع الهيلوتس

مـــن معرفة اعدادهم الحقيقية مثلما فعلت بالنسبة للاسبرطيين ذاتهم حتى يظلوا يجهلون كل شيء عنهم وبذلك يضمنون أن يظلوا على خضوعهم لهم .

إن أصـــل الحلفاء الاسبرطيين يكتنفه الغموض فبعض العلماء يرى أنهم من الدوريين الذيــن أسسوا تجمعات عديدة فى لاكونيا وميسينيا ، وأن البعض منهم كان من الآخيين كما أن الــبعض الآخــر كــان ثمــرة امــتزاج كــلا العنصرين السابقين فى منطقتي اسثموس (Isthmus) وجيثــيوم (Gythium) ، وهــناك رأى آخــر يــرى أن البعض منهم كان من الاسبرطيين الخُلّص الذين أقاموا فى حاميات وعسكروا فى المناطق الاستراتيجية خاصة فى ميسينيا ، وأنهم على الرغم من أنهم اسبرطيون قد نزلوا بالتدريج إلى مرتبة "Peroikoi" بسبب بعدهم وعزلتهم عن اسبرطة ولأنهم أقاموا فى مجتمعات صارت مدناً قائمة بذاتها كما هــو مــرجح ، ومن ثم فقد فقد سكّانها مواطنتهم فى اسبرطة لأن الرجل لا يمكنه أن يكون مواطــناً فــى مدينــته الجديدة وفى اسبرطة فى آن واحد . ومن المرجح أن رأى من قالوا بــأنهم من الدوريين والآخيين ومن اختلاط كلا العنصريين أقرب إلى الحقيقة فبقايا العناصر الآخية كانت ما تزال تعيش بين الحلفاء وخاصة فى جنوب لاكونيا وإن كان العنصر الدورى هــو الغالــب بيــنما الــرأى الأخير والقائل بأن هناك اسبرطيين بينهم فهو غير مقبول لأن الاســبرطى كان لا يقيم إلا لفترة قصيرة خارج اسبرطة ، كما أن جنود الحاميات المتمركزة فى المناطق الاستراتيجية كانوا يخدمون لسن معينة يرجعون بعدها إلى اسبرطة .

وتُريــنا المصــادر أن هــذه المدن الحليفة قد شكّلت مع اسبرطة اتحاداً فيدرالياً كان لاسبرطة فيه الكلمة العليا إذ كان من حقها رسم السياسة الخارجية لهذا الاتحاد بينما تركت اســبرطة لحكومات تلك المدن الحليفة تنظيم شئونها الداخلية ولكنها كانت تحرص أن تكون تلك الحكومات أرستقراطية كما نجدها تتدخل فى شئونها الداخلية فى بعض الاحوال إذ يوجد فــى المصــادر ما يشير إلى وجود الحكام والقضاة الاسبرطيين فى المدن الحليفة ، ولكن لا يمكننا القول أن هذا الوجود كان بشكل دائم ولكنه حدث فى ظروف استثنائية كما تكشف لنا المصــادر عــن أنــه كان من حق الرقباء القبض على الحلفاء واحضارهم إلى اسبرطة فى القضــايا التى تخص اسبرطة . أما القضايا التى تخص الحلفاء وحدهم ، فإنه من المؤكد أن

الحكام المحليين هم الذين ينظرونها . ويرى البعض أنهم كانوا يدفعون ضرائب للاسبرطيين ، ويقـــول البعض الآخر أنهم كانوا يدفعونها بشكل غير منتظم والبعض الآخر يقول لا ندرى إن كانوا يدفعون الضرائب لاسبرطة . ولكن المعلوم أن جانباً من دخل الملكين كان يأتى من اقطاعهما (Temenas) فى اراضى الحلفاء ، وفى الغالب فإنهم لم يدفعوا الضرائب لاسبرطة لأنهـــم كـــانوا يقدمـــون لاسبرطة العون العسكرى عند الحاجة . هذا من جهة ، ومن جهة أخـــرى فـــإن مواطـــنى هـــذه المـــدن قـــد وصفوا بأنهم لاكيدايمونيون مثلهم فى ذلك مثل الاســـبرطيين. وعلـــى الـــرغم مـــن أنهم كانوا خاضعين سياسياً للاسبرطيين إلا أنهم كانوا متساوين معهم مدنياً .

كـــان الحلفـــاء ملزميـــن بالخدمـــة العسكرية فى الجيش والاسطول ، وكان يمكنهم الوصـــول إلـــى المراتب العسكرية العليا . وكانوا فى البداية يخدمون فى قوات منفصلة عن الاســـبرطيين وكـــان تســـليحهم مثل تسليح الاسبرطيين ، فقد خدموا كمشاة ثقيلى العدة مع الاسبرطيين فى موقعة بلاتيا سنة ٤٧٩ ق.م وكانت قواتهم تساوى قوات اسبرطة فى العدد ، إذ نجدهـــم قد قدموا خمسة آلاف مقاتل . وفى السنوات التالية فقد قدموا أعداداً كبيرة من القـــوات وصـــاروا عماد الجيش وذلك نتيجة لتناقص أعداد الاسبرطيين كما نجدهم يخدمون مع الاسبرطيين فى وحدات مختلطة ولعل هذا التغير قد حدث بعد الزلزال المروع سنة ٤٦٥ ق.م والـــذى انـــزل خســـائر كبـــيرة فـــى اسبرطة وكانت اسبرطة تثق فى ولائهم إذ يشير اكســـينيفون إلـــى حملـــة اسبرطية فى بداية القرن الرابع والتى اشترك بها متطوعون من الحلفـــاء ارســـتقراط أو سادة الريفkaloi kagathoi كما نجد أن السلطات الاسبرطية فى سنة ٤١٣ / ٤١٢ ق.م قد كلفت أحد الـــ Peroikoi ويدعى فيرنيس (Phyrnes) أن يقدر الوضع العسكرى فى جزيرة خيوس ، وبناء على تقريره ارسلت اسبرطة اسطولاً .

وتريـــنا المصـــادر أنهم كانوا يخدمون فى الاسطول وأنهم كانوا جنوداً مهرة وشكلوا عمـــاد الاســـطول الاسبرطى فى جيثيوم ، كما وصل بعضهم إلى قيادة الاسطول ومن هؤلاء ديمايداس Deimaidas الذى قاد اسطولاً اسبرطياً فى فترة الحروب البلوبونيزية .

وعلـــى الرغم من اشتراكهم فى الجيش والاسطول ، فإننا لا نعرف شيئاً عن تعليمهم وتدريبهم العسكرى . ويبدو أنهم لم يتبعوا النسق الاسبرطى فى حياتهم فقد عرفناهم زراعاً وصناعاً وتجاراً .

قـــدم الحلفاء ايضاً خدمات كثيرة لاسبرطة فى المجال الاقتصادى فقد اعتمدت عليهم فـــى الصناعة والتجارة ، لأن الاسبرطيين قد حرموا بالقانون من القيام بأى أنشطة تجارية أو صناعية ، ولذا فقد امسك الحلفاء بزمام التجارة والصناعة فى لاكونيا وميسينيا . وبذلك كانوا الفئة الوحيدة فى اسبرطة التى مارست نشاطات متعددة من تجارة وصناعة وزراعة .

كـــان الحلفاء مثل مواطنى المدن اليونانية الأخرى زراعاً ، ويرى البعض أن زراعة الارض لـــم تجذب البعض منهم لأن أفضل الأودية كانت موقوفة على الآلهة وعلى الدولة . وأن الفـــئة التى كانت تشتغل بالزراعة تمثل الفئة الأكثر فقراً، كما أن بعض الحلفاء عملوا بالرعى وكانوا أكثر ثراءً من الزراع لكثرة ارباحهم ، ولكن فى بعض الأماكن ، على الأقل ، فـــإن الغالبـــية العظمـــى قد اشتغلت بالأعمال المحرمة على الاسبرطيين وغير مسموح بها للهـــيلوتس ، ومـــن المـــرجح أن الغالبـــية العظمـــى من المواد والسلع التى ذكرها الكتاب الكلاسيكيون على أنها صنعت فى لاكونيا مثل الاسلحة والملابس الصوفية والاحذية والأثاث قـــد قـــام بصـــنعها حرفيون من الحلفاء . وهذه السلع قد وجدت سوقاً رائجة فى اسبرطة وخارجها .

وتكشـــف لـــنا المصادر عن أن بعض الحلفاء قد عملوا بالتجارة وهذا ما نفهمه من عـــبارات اكســـينيفون فـــى دستور اللاكيدايمونيين التى يقول فيها "إن ليكورجوس قد منع الحلفـــاء من اكتساب الثروة بصورة خاطئة" وقد كانت جيثيوم ميناء اسبرطة الرئيسى نظراً لموقعهـــا الجـــيد كمـــا كانت كوثيرا مركزاً لتجارة لاكونيا ويرى البعض أن ازدهار التجارة والصـــناعة فـــى هـــذه المناطق يعود إلى امتزاج الدماء الدورية بالآخية مما جعل الدوريين يتحولون إلى الصناعة والتجارة.

تباينـــت ثـــروات الحلفاء وذلك لتعدد الحرف التى مارسوها ولذا فقد انقسموا إلى فئة ارستقراطية ثرية (kaloi kagathoi) وفئة أخرى فقيرة وضيعة .

حـــافظ الحلفـــاء على ولائهم ووفائهم لاسبرطة فى أحلك الظروف ، ولكن ليس هذا غريـــباً إذا ما نظرنا إلى سياسة اسبرطة تجاه الحلفاء فقد كانوا حوالى ١٠٠ مدينة صغيرة لكل منها حكومتها المستقلة عن الأخرى ولذا لم تكن هناك فرصة لتوحدهم ضدها ، كما أن الحـــرية الـــتى منحت لهم فى مجال التجارة والصناعة قد جعلت البعض منهم يحقق ثروات كبـــيرة ، فقد كان تجار الحلفاء آمنين على أنفسهم وبضاعتهم من السلب ، كما أن شعورهم بالـــتفوق علـــى الهـــيلوتس - والبعض منهم كان لديه هيلوتس - قد عوضا استياءهم من وضعهم الأدنى مرتبة بالنسبة للاسبرطيين ، ومع ذلك نجد هناك استثناءات إذ شارك بعضهم فـــى الـــثورة علـــى اسبرطة فعندما اندلعت ثورة الهيلوتس الكبرى فى الستينات من القرن الخـــامس فقـــد أيدتهـــم مدينتان حليفتان فى ثورتهم ضد اسبرطة ، ومن المرجح أن بعض الحلفـــاء كـــان سيساند كونادون (Konadon) فى مؤامرته الفاشلة فى بواكير القرن الرابع وهـــذا مـــا نلمســـه مـــن رواية اكسينيفون عن هذه المؤامرة . فقد قدم لنا وصفاً لتفاصيل المؤامـــرة وكـــيف نجحت السلطات فى مواجهتها والقضاء عليها قبل اشتعالها ونوجز هنا وصـــفه لهـــذه المؤامرة إذ يقول "فعندما كان الملك يقدم الأضاحى نيابة عن المدينة قال له عـــراف أن الآلهة كشفت له عن مؤامرة مخيفة ، وعندما قدم الاضاحى للمرة الثانية وللمرة الثالثة أكد العراف أن اسبرطة تتعرض للخطر لأن العلامات المقدسة تظهر له وكأنهم وسط أعـــداء . وبعـــد خمســـة أيام من تقديم الاضاحى وقراءة العراف أتى شخص إلى السلطات وكشـــف عـــن تفاصيل المؤامرة وقائدها كونادون ويقول الواشى إن كونادون طلب منه أن يحصـــى الاسبرطيين الموجودين فى السوق وبعد أن عدهم وحسب الملك والرقباء واعضاء مجلس الشيوخ وآخرين وصل عددهم اربعين رجلاً . وبعد أن أتم العدد والاحصاء سأله عن ســـبب هذا فرد عليه كونادون أنه يعتبر كل هؤلاء الاسبرطيين كأعداء ، أما بقية من كانوا فى السوق فإنهم حلفاء. وكان هناك ما يزيد على أربعة آلاف . . . كما كشف الواشى عمن سيناصـــرون المتآمريـــن فقال إن التأييد سياتى من المواطنين والحلفاء والهيلوتس ، وأن الـــبعض من هؤلاء كان عنده الاسلحة وأنهم يمكنهم شراء الاسلحة مثل السيوف والمناجل والـــبلط والخناجر . . . الخ . وعندما سمع الرقباء لكل تفاصيل المؤامرة، لم ينتظروا عقد الجمعـــية الخاصـــة بل جمعوا نفراً قليلاً من الجروسيا لتقرير ما ينبغى عمله لمواجهة هذه

المؤامــرة ، واســتقر الرأى على استخدام الحيلة فى القضاء على مخططى المؤامرة وعلى رأسهم كونادون ، وقد بنوا خطتهم على أن يتم ابعاد كونادون عن اسبرطة بالحيلة وأن يتم القبض عليه خارجها حتى لا يثور الآخرون ، ويتم استجوابه وهو خارجها لمعرفة الشركاء فى المؤامرة وقد بدأ تنفيذ الخطة بأن طلب الرقباء من كونادون أن يذهب إلى ميسينيا ومعه نفــر من الاسبرطيين لاحضار عدد من الهيلوتس واحضار الفتاة بديعة الحسن والجمال التى ســحرت الشيوخ والشباب على حد سواء . وبالفعل نجحت الخطة وتم اخراجه من اسبرطة وتــم القــبض علــيه خارجها وتم أخذ اعترافاته وتم القبض على شركائه وبعدها اعيد إلى اسبرطة ونال الجزاء والعقاب المناسب .

ونستخلص من هذه القصة أن هناك تأييد من المواطنين ناقصى الأهلية ومن الحلفاء ومن الهيلوتس للثورة على الاسبرطيين الخُلّص .

النظم الاسبرطية وشبيهتها الكريتية :

وبعــد أن عرضــنا للنظم الاسبرطية سنعرض بإيجاز للنظم الكريتية الدورية الشبيهة وليست المتطابقة مع النظم الاسبرطية . وردت اشارة عن الدوريين فى كريت فى الاوديسة ، ومــع ذلك لا يمكن الاعتداد بها كدليل على استقرار الدوريين فى كريت قبل وصولهم إلى البلوبونيز . وقد عرفت كريت القبائل الدورية الثلاث هيلليس وديمانيس وبامفيلى مثلها مثل المناطق الدورية فى بلاد اليونان . ومن الواضح أن العناصر الدورية قد توافقت مع السكان الأصــليين فــى بعــض مناطق الجزيرة على نحو أكبر مما حدث فى بلاد اليونان القارية . وتكشــف لــنا المصادر أن الهيمنة الدورية كانت قوية فى مدن وسط كريت مثل كنوسوس وأكوس (Akos) وليثوس (Lythos) وجورتن .

قام أرسطو بعقد مقارنة بين كل من النظم الاسبرطية والنظم الكريتية وكان من نتائج هــذه المقارنــة أن الاســبرطيين قد اقتبسوا الكثير من سمات نظامهم من النظم الكريتية . ويؤكــد ذلك أيضاً بلوتارخ فى روايته عن زيارة ليكورجوس لكريت ومعرفته للنظم الكريتية

ورغبته فى الاستفادة منها واصطحابه لأحد الشعراء الكريتيين إلى وطنه للمساعدة فى تطبيق ما رآه فى كريت من نظم . وكان النظام الاسبرطى نظاماً فريداً مقارنة بنظم الجزيرة . فقد وجد النظام الملكى فى الجزيرة ولكنه ألغى وحل محله مجلس "Kosmoi" بينما بقى النظام الملكى فى اسبرطة راسخ الأركان . كان يتم انتخاب أعضاء مجلس "Kosmoi" من الأسر النبيلة والثرية فى الجزيرة بينما كان مجلس الرقباء الاسبرطى يتم انتخابه من كل الشعب . كما عرفت مدن الجزيرة مجلساً للشيوخ وكان يتكون من الرجال الذين تولوا منصب الحكام "Kosmoi" ووفقاً لأرسطو فإن عدد اعضاء هذا المجلس كان مساوياً لعدد أعضاء مجلس الجروسيا فى اسبرطة . والفرق بين المجلسين أن مجلس الجروسيا يتكون من شيوخ تعدوا سن الستين بالإضافة للملكين بينما كان مجلس الشيوخ فى المدن الكريتية يتكون من الحكام السابقين .

كما نود أن ننوه إلى أن نظم المدن الكريتية لم تكن متطابقة فى جميع الوجوه فى الجزيرة وهذا ما يؤكده نقش رسمى فى دريروس (Dreros) بشرق كريت ويعود تاريخه إلى نهاية القرن السابع ، ويلقى هذا النقش بعض الضوء على نظام الحكم ، إذ يكشف عن أن المواطن الذى شغل وظيفة (kosmos) لا يمكن أن يعاد انتخابه قبل عشر سنوات ، وأن هناك عقوبات لخرق القانون ، ويشير النقش أيضاً إلى مجلس العشرين ومن المرجح أنه مجلس الشيوخ . كما وجدت اختلافات أيضاً بين النظم الاسبرطية والنظم الكريتية . فقد عرفت المدن الكريتية واسبرطة نظام الموائد العامة ولكن نجد أن حكومات المدن الكريتية هى المتكفلة بالانفاق على هذه الموائد وليس المواطنون كما هو الحال فى اسبرطة ، إذ أن المواطنين كما سبق أن ذكرنا هم الذين يدفعون حصصهم فى الموائد العامة، وإذا ما فشل واحد منهم فإنه يصبح مواطناً من الدرجة الثانية . وعرفت المدن الكريتية نظاماً تربوياً شبيهاً بالنظام الاسبرطى . فقد تم العناية بالاطفال وتدريبهم على الخشونة ولم يخدموا أنفسهم فحسب بل كانوا يخدمون الرجال البالغين أيضاً . وكان الأولاد الأكبر سناً ينظمون فى مجموعات للتدريب البدنى ولتعلم القراءة والكتابة والأغانى والموسيقى ، وكانت مجموعاتهم تشترك فى منافسات عسكرية بمصاحبة القيثارة والمزامير .

أما بالنسبة لحيازة الأرض ، فقد كان لتنوع الأجناس والاختلافات بين المدن الكريتية أثـره الواضـح فـى اختلاف أشكال حيازة الأرض فقد انقسمت الأرض إلى قسمين أولهما الأرض العامـة وثانـيهما الاقطاعـات الممنوحة للمواطنين . وكان يقوم بزراعتها السكان الأصـليون بعـد أن اخضـعهم الغزاة الدوريون . وكان يطلق على مزارعى الأرض العامة "mnoitai" وعلـى مـزارعى الاقطاعـات الممـنوحة (klaroi) يطلـق علـيهم أيضاً "klaeiotai" وأحـياناً "aphemestai" وأحياناً "woikees" . وقد أدرجهم بوللوكس مثل helots مـع الجماعـات الأخـرى الـتى سبق الحديث عنها فى العناصر شبه المسترقة و المربوطة بالأرض ووصفهم بأنهم يقعون موقعاً وسطاً بين الأحرار والعبيد .

أمـا فـيما يـتعلق بالتركيبة الاجتماعية فإن مدونة جورتن القانونية تقدم لنا ملامح غريـبة : والقسـم الأول منها يسجل الغرامات على مرتكبى الاعتداءات والمخالفات . وهذه الغرامات كانت تختلف باختلاف مرتبة مرتكبها ومرتبة الضحية ، فكانت أشد العقوبات تلحق بالفـئات الدنـيا وأخفها يوقع على الفئات العليا . ونعرف من المدونة أن المجتمع بالمدينة ينقسم إلى ثلاث طبقات هى :

١ - طـبقة المواطنيـن كـاملى الأهلية وهى الطبقة صاحبة الامتيازات السياسية والمدنية وكانت تدفع أدنى الغرامات فى حالة ارتكاب المخالفات .

٢ - طـبقة "apetairoi" وتـتكون مـن الـرجال الاحـرار الذين لم يكونوا اعضاء فى "hetaireiai" والتى لعلها تناظر (phratries) الاسبرطية .

٣ - طبقة الزراع (woikees) وبجانب هذا المصطلح فقد وجد مصطلح (dola) بمعنى العبد ومـن الواضح فإن المصطلحين قد استخدما بنفس المعنى ولكن المصطلح الثانى على ما يبدو كان يشير إلى عبيد المنزل .

وتشير المدونة إلى أنه كان هناك تداخل بين هذه الطبقات وأن الزواج كان ممكناً بين الاحرار والمزارعين المربوطين بالارض إذ تنص على أنه إذا ما انتقل عبد للعيش مع امرأة حـرة وتزوجها فإن أطفالهما يكونون من الاحرار ، أما إذا ما انتقلت امرأة حرة للعيش مع

عــبد ، مع ذلك ، فإن أطفالهم كانوا يولدون عبيداً ، كما تشير المدونة إلى أن المجتمع كان يســمح بالعلاقات غير الشرعية وقد حدد الوضع القانونى للاطفال خاصة اطفال السيدات من طــبقة المزارعيــن المربوطيــن بــالأرض ، فكان أطفال نساء طبقة المزارعين المربوطين بالأرض غير المتزوجات يتبعون سادة آبائهم أو أخوتهم إذا ما كان الآباء قد ماتوا ، وطفل المــرأة المطلقة كان يتبع سيد زوجها السابق إذا ما كان يرغب فى ذلك وإذا لم يرغب فإن الطفــل يتــبع سيدهــا . كما تحتوى المدونة على بنود خاصة بالميراث والتبنى والتى كانت تهــدف دائماً للمحافظة على ممتلكات الاسرة غير مقسمة ، وإذا ما كانت المرأة هى الوريثة الوحــيدة لممتلكات اسرتها فكان عليها أن تتزوج من اقارب والدها . كما تشير المدونة إلى حالــة المــرأة التى كان لها ابناء أحرار وعبيد وأن القانون أباح أن يرثها الأبناء الأحرار ، بيــنما حرم أبناءها العبيد من الميراث وإذا لم يكن لها ابناء احرار فإن الورثة كانوا يرثونها . ويــبدو أن هــناك تشــابه بين وضع الابناء من زيجات غير متكافئة فى كل من اسبرطة وجورتن .

السياسة الخارجية:

وبعــد أن عرضــنا بايجــاز للنظم الاسبرطية سنحاول أن نعرض فى عجالة الخطوط العامــة لسياســة اســبرطة الخارجية . ذكرنا من قبل محاولة اسبرطة حل مشكلة الزيادة الســكانية بها على حساب المناطق المجاورة لها وأنها ضمت لاكونيا وميسينيا كلها وأمنت حدودها فى القرنيين الثامن والسابع بأن أبقت على العديد من المدن حليفة لها ، وفى نفس الوقت إسترقت مجموعات كبيرة من المواطنين فى تلك المناطق وكان من نتائج ضم لاكونيا وميسينيا أيضاً أن صارت اسبرطة أقوى الدول اليونانية .

وكــان على اسبرطة بعد ذلك أن تؤمن حدودها الشمالية ؛ ولذا نجدها قد اشتبكت فى سلسلة من الحروب مع الاركاديين والأرجوسيين . . ووفقاً لهيرودوت لم يمنع الاسبرطيون مــن غزو أركاديا إلا نبوءة دلفية تلقوها والتى حذرتهم من غزوها ، ولكن النبوءة الدلفية

فـــى نفس الوقت قد شجعتهم على مهاجمة مدينة تيجيا الواقعة فى القسم الجنوبى من سهل أركاديـــا ووفقـــاً لهـــذه النـــبوءة فقـــد سار الاسبرطيون اليها بقيادة الملكين ليون (leon) واجيســـيكليس (Agesicles) وهـــم يحملـــون الأغلال التى سيسترقون بها التيجيين ، ولكن الدائـــرة دارت عليهم وتم تقييدهم فى الأغلال التى أحضروها معهم . ويروى هيرودوت أن التيجيين أهـــدوا بعـــض هـــذه الأغـــلال لمعبد الربة أرتيميس فى تيجيا كتقدمة شكر على انتصـــارهم علـــى الاسبرطيين ، ومن المرجح أن هذه الهزيمة قد حدثت فى مستهل القرن السادس ، بيد أن هذه الهزيمة لم تمنع الاسبرطيين من ارسال الحملات العسكرية إلى تيجيا فـــى عهـــد الملكيـــن اناكساندريديس وأرسنون ؛ وعلى الرغم من أن اسبرطة كان لها اليد الطولـــى والمـــبادأة فى الحرب إلا أن الفشل كان من نصيبها فى مواجهتها مع تيجيا ؛ ولذا نجد أن الاسبرطيين اضطروا أمام منعة وصلابة التيجيين على ما يبدو أن يسألوا الوحى فى دلفـــى عـــن الســـبيل لنجاح خططهم فى مواجهة تيجيا وأتتهم النبوءة التى وعدتهم بالنصر ودلتهم على مفتاحه وهو أن ينقلوا عظام أوريستيس بن أجاممنون من تيجيا إلى اسبرطة ، ووفقـــاً لهـــيرودوت فقد نجح رجل اسبرطى فى زمن الهدنة بين كل من اسبرطة وتيجيا فى حمـــل عظام رجل ضخم كانت موجودة فى ورشة حداد تيجى إلى اسبرطة ؛ حيث دفن فيها مـــع تقديم التكريم المناسب له ، وقد قدم لنا باوسانياس وصفاً لمقبرة البطل أوريستيس فى اســـبرطة . ويبدو أن اسبرطة قد غيرت من سياستها العدوانية تجاه تيجيا فبدلاً من محاولة ضـــمها والاســـتيلاء علـــيها واســـترقاق أهلهـــا فقد عملت على محالفتها والتصالح معها ومعاملـــتها علـــى أنها دولة مستقلة . ونجدها قد عقدت معها معاهدة بالفعل والتى التزمت تيجـــيا بتقديم العون العسكرى لاسبرطة عند الضرورة وهذا ما حدث بالفعل فى موقعة بلاتيا إذ شارك التيجيون فى المعركة . أما عن النبوءة السالفة الذكر فعلى ما يبدو أن الاسبرطيين قـــد اســـتغلوها أفضل استغلال ، فقد رموا من ورائها ضمان ولاء العناصر غير الدورية فى البلوبونـــيز ، وأن تظهـــر اسبرطة ، على الرغم من أنها دورية ، كحامية للعناصر السكانية الأصـــلية . وبذلك تضمن ولاء العناصر غير الدورية فى صراعها مع أرجوس القوية والذى امـــتد لأجـــيال كـــان النصر النهائى فيها حليفاً للاسبرطيين . وعلى ما يبدو فإن الحرب قد اشتعلت سنة ٥٤٤ ق.م بين الأرجوسيين والاسبرطيين ، فقد هاجم الاسبرطيون سهل ثيريا

(Thyria) وكـــان محل نزاع بين كل من اسبرطة وأرجوس ، وقد قدم لنا هيرودوت وصفاً للمعـــركة والـــتى يمكن أن نسميها معركة البطولة . فقد اقترب الجيشان وبدلاً من التحمهما فـــى القتال ، فقد خرج من كل جيش ثلاثمائة مقاتل واحتفظ كل طرف بباقى قواته . واتفق الطـــرفان علـــى أن من يكسب فى القتال يكون له الهيمنة والسيطرة على السهل ، ولكن لم يتفق الذين بقوا على قيد الحياة من المقاتلين من كسب الجولة ؛ ولذا فقد دخل الجيشان فى القتال لتقرير من هو المنتصر وانتصر الاسبرطيون . ولكن ليس واضحاً إذا ما كان الطرفان قـــد عقـــدوا اتفاقـــية سلام ، فالمسألة غير معروفة ولا نعرف شيئاً عن القتال بين كل من أرجـــوس واســـبرطة حتى عام ٤٩٤ ق.م ، وما نعرفه أن اسبرطة قد نجحت فى ضم ثيريا وسهلها إلى أملاكها هذا فضلاً عن السهل الساحلى الطويل الضيق الواقع جنوب ثيريا وعلى المـــنحدرات الشرقية لجبل بارنون وجزيرة كوثيـــرا . وهكذا اصبحت اسبرطة تهيمن على خمس مساحة البلوبونيز ، وكان من جراء ذلك أيضاً أن تمتعت بشهرة كبيرة ونالت احتراماً عظـــيماً بيـــن العديد من المدن اليونانية ، وصار لها لواء القيادة على أغلب الدول اليونانية من خلال المحالفات .

ويـــبدو أن اســـبرطة كانـــت قد غيرت من سياستها التوسعية والعدوانية ولجأت إلى سياسة التحالف وتوسيع دائرة نفوذها بالوسائل السياسية ، وكان الرقيب خيلون هو صاحب هذه السياسة إذ رأى أن قلة عدد الاسبرطيين لا تسمح لهم بالتوسع والغزو ، كما لاحظ فى الوقت نفسه أن الحكم الارستقراطى أخذ ينهار فى أكثر المدن اليونانية وفى المدن المجاورة لاســـبرطة ليقوم مكانه حكم الطغاة ، وأن الطغاة يسعون إلى تأسيس حلف بينهم والذى كان غايته أولاً : أن يساعد الطغاة بعضهم بعضا على دعم نظم حكمهم ، ثانياً : توحيد جهودهم لـــدرء الخطـــر الفارسى الذى كان يهدد بلاد اليونان كلها . ولذا فقد وقف موقفاً عدائياً من حكـــم الطغـــاة وعارض سياسة الاحلاف بينهم وقد عمل على أن تبقى اسبرطة بعيدة عنها وفى نفس الوقت محاطة بحكومات ارستقراطية حليفة . ولهذه الغاية فقد أسس خيلون حلف البلوبونـــيز ولتشجيع هذه المدن للانضمام لهذا الحلف فقد جعله يستند على مبادئ واهداف تؤكد على مصلحة الدول والحلف ومن هذه المبادئ والاهداف ما يلى :

١ - الاســتقلال المطلــق للدول الداخلة فى الحلف ، فهى ليست مكلفة بدفع أية ضريبة أو عســكرة قــوات اســبرطية فــى أراضيها ، بل يترك لكل واحدة منها الحرية التامة فى علاقاتها الخارجية مع جميع الدول الاخرى شريطة الا يكون فى ذلك ما يهدد الحلف .

٢ - إذا مــا نشــبت حــرب بين الحلف ودول أخرى ، فإن القيادة تكون لاسبرطة ، ويتعهد جمــيع اعضاء الحلف بتقديم الفرق العسكرية التى تطلب منهم عند الحاجة ؛ أى أن هذا الحلف كان حلفاً دفاعياً هجومياً .

٣- تعضيد الحكومات الارستقراطية والأوليجرخية وفى نفس الوقت العمل على اضعاف بل القضــاء علــى حكومات الطغاة كلما سنحت لها الفرصة ، والمثال على ذلك مساعدتها للارستقراطية الأثينية للقضاء على حكم الطاغية هيبياس .

٤ - لقد رغبت اسبرطة أن تضمن مناصرة الحلفاء لها ضد الهيلوتس وثوراتهم وخير مثال على ذلك موقف تيجيا من قضية الهيلوتس إذ أغلقت حدودها فى وجه الآبقين منهم .

لقد حرصت اسبرطة أن يكون لها دور القيادة والرياسة بالنسبة لهذا الحلف إذ كانت هــى التى تدعو الحلف للاجتماع وترأس جلساته ، وكانت القرارات تتخذ فى الاجتماع وفقاً لنظام الأغلبية .

وفــى ضوء هذه المبادئ والأهداف فقد عقدت العديد من المدن الدول معاهدات بينها وبيــن اسبرطة على نسق المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وتيجيا . ومن دول الحلف العديد مــن المدن فى أركاديا وايليس وسيكيون وبعض المدن الواقعة غرب أرجوس مثل ميكيناى وترينس وهيرميونى (Hermione) وتروتزون (Trozen) وابيداروس وربما جزيرة ايجينا وكورينثة وميجارا . ودليلنا على ذلك أن الجيش الاسبرطى عبر اراضى الدولتين فى طريقه إلــى أتــيكا للقضاء على الطاغية هيبياس وهذا يعنى أن اسبرطة كان لها نفوذها وعلاقاتها الوديــة مع كل من كورينثة وميجارا . وربما حاولت اسبرطة كسب حلفاء جدد فى آخايا إذ ســعت لــنقل عظــام البطل تيسامينوس (Teesamenus) بن أوريستيس من مدينة هيلكى

(Helice) إلى اسبرطة ، ولكن هذه المدينة رفضت الطلب الاسبرطى بل رفضت عقد معاهدة معها .

كــان هــذا الحلف يسمى حلف البلوبونيز والاسم القديم له هو حلف اللاكيدايمونيين وحلفــائهم . ففــى وقــت ما فإن المعاهدات الثنائية بين اسبرطة من جهة والمدن الأخرى الحلــيفة مــن جهة أخرى قد حل محلها معاهدة متعددة الأطراف وهذه المعاهدة ربطت كل الاعضاء فى المجلس الفيدرالى والذى كانت ترسل اليه المدن الأعضاء مندوبيها ، ومن هنا تغــيرت الالــتزامات الثنائــية إلــى الالتزامات المتعددة المتبادلة بين اعضاء الحلف ، ومن المــرجح أن هذا التغيير قد حدث فى مؤتمر عقد فى فترة متأخرة من القرن السادس . وأن هذا الحلف قد استند على ما يأتى : أن الدول المشتركة فيه كان لها جانب من الحرية ، كما كــان يحــق لاســبرطة ممــثلة فــى الملكين مطالبة الحلفاء بتقديم بعض المطالب والوفاء بالالتزامات . وإن حدث تعديل فيما يخص وجوب حضور أو طلب الملكين معاً لهذه المطالب . ونستخلص هذا من رواية لهيرودوت على الرغم من أنها تثير الكثير من القضايا إذ يقول "بوقــت كثــير قبل أن يعبئ الملك كليومينيس قوات حلف البلوبونيز ضد أثينا ، لكن تمردت القــوات الكورينثــية فــى اليوسيس وعادت إلى وطنها ، ثم بعد ذلك فإن الملك الاسبرطى دمــاراتوس انســحب من الحملة ، ونتيجة لهذه الاحداث انسحب الملك كليومينيس وسرح القــوات ، وبسبب الخلاف بين الملكين فقد سن الاسبرطيون قانوناً نص على أن يخرج ملك واحــد فى أية حملة عسكرية ، ويقرر أن مؤتمراً قد عقد فى اسبرطة حيث أن الاسبرطيين قــد عرضوا سياسة جديدة نحو اثينا والتى رفضها الحلفاء . ويذكر هيرودوت أيضاً أنه بعد عشر سنوات أى ٤٩١ ق.م ذهب الملك كليومينيس إلى أيجينا وحاول الحصول على رهائن ولكــن القــائد الأيجيــنى تحداه وزعم أن الأيجينيين لم يرتبطوا ليطيعوا" كما رفض تسليمه الرهائــن لأن الأمــر قد صدر من قبل ملك واحد فقط ، وليس من الملكين ، ولهذا فقد عاد كليومينــيس إلــى اسبرطة ، وبعد مشاورات واستخدام الحيل فقد نجح فى أن يرافقه الملك الــثانى إلــى أيجينا وبالفعل حصل على الرهائن حينئذ من أيجينا . وهذه الواقعة ربما تشير إلــى وجود قاعدة فى الحلف وهى ينبغى طاعة الحلفاء للامر الصادر من قبل الملكين ، كما

أن انسـحاب الملـك دمـاراتوس قـد ترتب عليه أن الحلفاء لم يعودوا مرتبطين وملتزمين بالطاعـة للملـك كليومينـيس ولذا فقد أجبر هذا الملك على تسريح القوات ، كما أن حادثة أيجيـنا تؤكد هذا الامر وأن الامر ينبغى أن يكون من الملكين وليس من ملك واحد . وأمام اصـرار ايجيـنا فقـد خرقت اسبرطة قانونها الذى اتخذته من قبل والذى لا يسمح إلا لملك واحـد بقيادة الحملات العسكرية وخرج الملك الثانى بصحبة كليومينيس كى تحصل اسبرطة على الرهائن .

أقامـت اسـبرطة أيضاً علاقات وصلات خارج بلاد اليونان مثل مملكة ليديا ، ويقول هيرودوت أن الملك كروسيوس قد جهز حملة لحرب الملك قورش الفارسى سنة ٥٤٤ ق.م وقـد ارسل مبعوثيه لعقد محالفة مع اسبرطة ، وأرسل كروسيوس إلى أسبرطة ذهباً لصنع تمـثال للالـه أبوللو ، ووافق الاسبرطيون على التحالف معه وأرسلوا من جانبهم هدية له عـبارة عـن انـاء برونـزى مزخرف ، وعندما بدأت الحرب بين الفرس والليديين ، طلب اللـيديون العون من حلفائهم الاسبرطيين ، الذين كانوا متورطين فى صراع فى هذا الوقت مـع أرجـوس ، ويقال أن الاسبرطيين كانوا قد أعدوا اسطولاً من السفن لارساله إلى ليديا وقبل أن يبحر هذا الاسطول وردت الاخبار عن سقوط سارديس وأسر كروسيوس .

كمـا أقامـت اسـبرطة علاقات مع مصر ، فقد أرسل الفرعون امازيس للاسبرطيين هدية من الكتان المطرز بالذهب .

أثينا الباكرة

كانت دولة المدنية أثينا مع أراضيها "أتيكا" واحدة من ضربات المدن الدول في بلاد اليونان مثل إسبرطة و بؤوتيا ، وتكون شبه جزيرة أتيكا هضبة مثلثة الشكل وتقدر مساحتها بأكثر من ألف ميل مربع ، وهي توازي في مساحتها مساحة لوكسمبرج تقريباً . وأكبر بقليل من مساحة جزيرة رودوس ، وتمثل شبه جزيرة أتيكا أقصي الطرف الشرقي من قلب بلاد اليونان ، ويفصلها عن ميجارا (Megara) جبل كيراتا (Cerata) ، وعن بؤدتيا من الشمال جبلي بارنس (Barnes) و كيثاريون (Cethaeson) ، ويمثل البحر الأيجي حدودها الجنوبية الشرقية وقناة أيوربوس من الشرق ، و الخيج الشاروني من الجنوب ، و في أقصى الجنوب يوجد رأس سونيوم (Sunium) ، وعموماً فأن أتيكا ما هي الاذراع من الأرض ممتد في قلب البحر ، ويخترقها سلسلة من الجبال وبشكل أدق التلال من الغرب إلي الشرق و هي : إيجاليوس (Aegaleas) وهيميتاوس (Hymettus) وبنتكيلوس (Pentelicus) ، ولوريوم ، وهذه التلال أدت إلي تقسيم أتيكا إلي أربعة سهول أولها : بيديا (Pedia) ومركزه أثينا ، وسهل ميسوجيا Mesogia الأوسط ، وسهل تريا ومركزه اليوسيس ، و سهل ماراثون ، هذا فضلاً عن الشريط الساحلي ، وتمثل هذه السهول ربع مساحة أتيكا فقط و هنا يصدق قول أفلاطون ووصفه لأتيكا بأنها "هيكل بلا لحم و تظهر عظامه من خلال الكتل الصخرية" .

و كان يتم زراعة سهول أتيكا وسفوح تلالها بالحبوب و الكروم و الزيتون و غيرها من أشجار الفاكهة ، كما امتلكت أتيكا مناجم الفضة في لوريوم ومحاجر الرخام في جبل بيتكيلوس ، وحصلت على الطين و الصلصال لصناعة الفخار من نهر كيفيسوس (Cephesus) .

وتقدم لنا المصادر لحسن الحظ معلومات عن مدينة أثينا أكثر من أية مدينة يونانية أخرى ، فيمكن رسم صورة جلية إلي حد ما للحياة الأثينية في نهاية القرن الخامس و القرن الرابع وذلك بفضل ما سجله لنا المؤرخون اليونان و الأثينيون و الخطباء و الفلاسفة عن تاريخ أثينا هذا فضلاً عن النقوش علي الرغم من شذريتها .

ولكـــن مـــا هو الوضع بالنسبة للتاريخ الباكر و فجر تاريخها ؟ إن الغموض يلف تـــاريخ أثيـــنا الـــباكر و غيرها من المدن الدول اليونانية ، و السبب في هذا يعود إلي عدم معـــرفة الكـــتابة ، فقـــد بدأت الكتابة في الانتشار في العالم اليوناني في النصف الثاني من القـــرن الثامن و أنه مع منتصف القرن السابع فقد شاعت الكتابة في المدن حيث بدأ تسجيل القوانيـــن و الأعـــراف و سجلت على الأحجار و الخشب و بمرور الزمن فإن الكتابة قد زاد اســـتخدامها في تسجيل الأعمال الحكومية و المعاملات التجارية ، وتسجيل الشعر والنثر ، ولكـــن فـــي الواقع فأن الغالبية العظمى من هذه المادة المكتوبة قد ضاعت فيما عدا الشعر وإلـــي حـــد مـــا القوانين ، كما أنه لم يكن من المحتمل أن الكثير من الوثائق المكتوبة من القرنيـــن الســـابع و الســـادس متاحة للكتاب اليونان أنفسهم أبان القرنين الخامس و الرابع عندما بدأوا في الاهتمام بكتابة تاريخهم .

ويمكـــن للمؤرخ و الدارس الحديث أن يستقي مادته العلمية عن تلك الفترة الباكرة من تاريخ أثينا من معطيات التنقيبات الأثرية وما تقدمه من مخلفات أثرية سواء أكانت أبنية أو منـــتجات مصنعة وخاصة المنتجات الفخارية . و من القليل المسجل من أشعار صولون من بداية القرن السادس ، وقليل من قوانينه و التي نقلها الكتاب المتأخرون هذا فضلاً عما ســـجلوه عن قوانين داركون عن القتل العمد و غير العمد و الذي أعيد نقشه على حجر في عـــام ٤٠٩/٤٠٨ ق.م و الذي حفظ لحسن الحظ . و يكمل المؤرخ مادته من الكتاب اليونان مـــن القرن الخامس و ما يليه من قرون ، فقد كتب هيرودوت في النصف الثاني من القرن الخامس ، ومن الجلي أن مادته قد أحتوت على أحداث و مادة تاريخية عن القرون السابقة للقرن السادس و التي دون عنها مادة كافية ، على سبيل المثال ، عن توحيد أتيكا ، و عن كـــل من كيلون و أسرة بيزاستراتو س ...... الخ . ويروي هيرودوت عن كيفية قيام نظام بيزاســـتراتوس ، كما يزودنا ثيوكيديديس بمعلومات قليلة عن الفترة الباكرة ، ومن الصعب علينا تصديق كل ما أورده الكتاب القدامى من معلومات فقد اعتمدوا على الروايات الشفوية و ربمـــا ، خاصـــة ، روايـــات الأسر و التي كان أسلافها من الأشراف الأقوياء إبان القرن الســـادس ، ولكـــن هـــذه الـــروايات هي محل شك أحياناً ، فعلى سبيل المثال عندما يصف

هيرودوت ظهور بيزاستراتوس ويفرد إليه القيام بثلاث محاولات لقيام حكم الطغيان ، ومع ذلك فإن ما ضمنه كل من هيرودوت وثيوكيديديس يعد من أفضل القرائن عن أثينا الباكرة .

و من بين المصادر بلوتارخ (١٢٠ ق.م_٤٦ م) فقد قدم لنا مادة عن حياة كل من ثيسيوس و صولون، حيث أنه استقى معلوماته من الكتاب القدامى ، و يجدر الإشارة هنا أن بلوتارخ في مقدمة حديثه عن ثيسيوس ينوه بأن الأحداث في بداية التاريخ الأثيني ليست جديرة بالثقة ، و ليست مؤكدة ، و ينوه إلي قرائه بأن يتقبلوا هذه القصة باحتراس ، إذ يقول " لاح لي أن مؤسس مدينة أثينا الجميلة الشهيرة حقيق بأن يكون له قرنا وأن لا بأس بالموازنة بينه و بين منشئ روما المجيدة ، راجياً أن أوفق إلي إخراج الخرافي من تلك الحياة و أميز جوانب الحقيقة و أن أفرغ عليها الصبغة التاريخية فإذا جاءت بعد ذلك غير موضع للتصديق أو خانتني الحقيقة فرجائي إلي القراء أن يشملوني بصفحهم و أن يقابلوا هذه الرواية العتيقة بتسامحهم .

و يستقي الباحث معلوماته أيضاً مما ساقه الخطباء الأثينيون من معلومات عن الفترة الباكرة والماضي الغابر لأغراضهم السياسية و الأيديولوجية ، و من ثم يكون الاحتراس في قبول ما أورده الخطباء من حقائق وأحداث.

ويقدم لنا كل من أفلاطون و أرسطو بعض المعلومات عن أثينا الباكرة ، إذ يذكر أفلاطون أنه من السهل إعطاء أسماء الحكام ابتداء من صولون (٥٩٤-٥٩٣ ق.م) ، و لكن لغته لا تؤكد إذا ما كان يمكن للباحث أن يحصي أسماء الحكام من قبل ذلك ، كما أن أرسطو في دستور الأثينين قد استطاع أن يثبت الفترات بين الأحداث المتعاقبة المذكورة ما بين عام ٥٩٤_٥٩٣ و عام ٤٠١_٤٠٠ ق.م عندما تنتهي الرواية .

و هنا قد يتعجب الباحث المعاصر و يتسأل لماذا لم يستخدم كل من أفلاطون و أرسطو قوائم الحكام المنقوشة و منها نقش يعود تاريخه إلي عام ٤٢٥ ق.م ،و عثر على أربعة شذرات منه ، وهذا النقش يبدأ التاريخ بعهد كريون (Creon ٦٨٢ / ٦٧١ ق.م) و الذي اعتبرته الروايات القديمة اقدم الحكام السنويين فهل لم تكن تلك القوائم متاحة لهما أم أن الفيلسوفين قد اعتبراها غير واقعية و من ثم لا يمكن الاعتماد عليها ؟! .

و استقى الخطباء و الفلاسفة معلوماتهم و رواياتهم من كتاب الحوليات (Atthidographers) و هم من كتبوا حوليات (Atthes) حول أتيكا ، و أول من كتب من هؤلاء هو هيللانيكوس (Hellanicus) من لسبوس في الجزء الأخير من القرن الخامس ، و هذا الكاتب جمع تقارير تاريخية لعدة مدن واحد شذراته عن أثينا ، و من الواضح أنه قد كتب تاريخه حتى تاريخ متأخر من القرن الخامس ، و لكن يصعب قول أي شئ عن طبيعة هذا العمل . وتبع هذا الكاتب نفر من الكتاب الأثينين أبان القرنين الرابع و الثالث ، و اهتموا بشكل كبير بالمؤسسات السياسية و الاجتماعية و الدينية ، وحيث أن الدليل المباشر كان ينقصهم فإنهم كانوا يصلون إلي نتائجهم عموماً بالمماثلة و بالاستدلال من الأشياء القديمة الموجودة في المؤسسات المعاصرة لهم ، و مثلهم مثل الخطباء فإنهم عادة قد انشغلوا في الحروب المعاصرة ، و بالتالي فإن تفسيراتهم قد تلونت وفقاً لمواقفهم و آرائهم سواء أكانت أوليجرخية أو ديمقراطية معتدلة أو متطرفة . وأول هؤلاء الكتاب من الأثنين و إن كان أسمه غير مؤكد هو كليديموس (Cleidemus) أو كليتوديموس (Cleitademus) فقد ظهر عمله في منتصف القرن الرابع ، وثاني هؤلاء الكتاب هو أندروتيون Andration و الذي كان رجل دولة ، وآخر أعماله السياسية كان في عام ٣٤٤/٣٤٣ق.م . و بعدها أنسحب من أثينا إلي ميجارا و كتب تاريخه الحولي (Atthis) في المنفى ، و لا نعرف إلا القليل عن الكتاب الثلاثة التاليين وهم فانوديموس (Phanademus) و ديمون (Demun) و ميلانثيوس (Melanthuis) وبقيت لنا شذرات من حولية (Atthis) فيلوخوروس (Philochius) الذي عاش في القرن الثالث و كتب حوليته (Atthis) حتى عام ٢٦٣/٢٦٢ ق.م حتى نهاية الحرب الخرمونديه ، وأصبحت كتاباته مرجعاً أساسياً لأعمال القدماء و غالباً ما كان يتم الاقتباس منه من قبل الكتاب المتأخرين ، وعن الأحداث في القرن الرابع و أن الشذرات الباقية تعد مصدراً قيماً أما الشذرات الأخرى عن الفترة الباكرة فإنها لا تقدم إلا معلومات قليلة . وعموماً فإن أغلب كتابات و أعمال هؤلاء الكتاب قد فقدت لسوء الحظ ما عدا ما بقى من شذرات يمكن استخراجها من الكتاب المتأخرين مثل بلوتارخ و من Scholia للمؤلفين القدامى و من الكتاب الموسوعيين .

و أرسطو يعد قريباً لروايات هؤلاء النفر من الكتاب ، و نقل عنهم ففي خلال دراسته السياسية جمع ، ربما بمساعدة تلامذته معلومات عن دساتير ١٥٨ مدينة دولة . وقد تم العثور على أجزاء كثيرة من دستور الأثينين حيث حفظ على ثلاث لفافات بردية عثر عليها في عام ١٨٩٠ و تم نشرها في عام ١٨٩١ ، وكان أرسطو قد كتبه في عام ٣٣٠ ق.م و تم مراجعته في الفترة ما بين عام ٣٢٩_٣٢٢ ق.م . وينقسم هذا الدستور إلى قسمين أولهما يكون روائي في قيمته . و ثانيهما يكون وصفاً للدستور الأثيني كما هو في زمن أرسطو حيث شمل الجزء الأخير الفصول ٤٢-٦٩ على وصف رائع و قيم للديمقراطية المعاصرة له المتطرفة ، بينما الفصول الأولى حتى الفصل الحادي والأربعين فهي تقدم تاريخياً لتطور النظام والدستور الأثيني ، و من الواضح أن أرسطو قد استقى أغلب مادته من كتاب الحوليات (Atthidographers)خاصة الأوليجركي المعتدل أندروتيون و الذي ظهر عمق في عام ٣٤٠ ق.م ولكن بالطبع فإنه قد أبدى رأيه و الذي تأثر بنظرياته السياسية المتطورة و أنه أتبع طريقة غائية في الاختيار والإهمال للمادة في تعليلاته . و لقد ترتب على كشف دستور الأثينين أن شأت نظرية بين الباحثين المحدثين فحواها أنه في العصور الباكرة قد تم حفظ حولية رسمية من قبل الموظفين الدينيين في أثينا . وأن هذا المصدر كان هو المصدر الذي اعتمد عليه أرسطو ، وعموماً سواء اعتمد عليه مباشرة أو اعتمد على روايات هيلانيكوس كليديموس أو اندروتيون فإن الدليل الإيجابي على وجود تاريخ رسمي ينقصنا ، وقد هاجم العلامة جاكوبي نظرية وجود تاريخ رسمي بشكل جزئي ، فقد أوضح بشكل دقيق أن اختلاف الروايات حول سقوط أسرة بيزاستراتوس يدل على عدم وجود تاريخ رسمي ، كما أن هؤلاء الكتاب يخالفهم أرسطو الرأي أفقياً ، ففي وصفه لإصلاحات صولون الاقتصادية يخالف ما ذكره اندروتيون، ويخالف كليديموس فيما يتعلق بالعدوان الفارسي على أثينا و إخلائها ، إذ يقول أرسطو أنه في عام ٤٨٠ ق.م عندما كان الأثينيون يستعدون لإخلاء أثينا في مواجهة العدوان الفارسي فأن مجلس الأريوباجوس قد قدم و وزع الأموال حتى يمكن جعل الإخلاء ممكناً ، بينما يقول كليديموس أن ثيموستكليس هو الذي قدم الأموال بالحيلة ، و لعل سبب هذا الاختلاف هو

أن هــؤلاء الكتاب الجوليين (Atthidographers) من الراجح قد تأثرت أعمالهم بما كان يجري من أحداث في القرن الرابع من حولهم .

و فــي ضــوء مــا سبق عرضه عن المادة المتاحة عن الفترة الباكرة سنحاول أن نرســم صورة على قدر المستطاع وهي صورة في الواقع غير كاملة لأحوال أثينا السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية .

إن تــاريخ أثيــنا يخــتلف بشكل كبير عن تاريخ إسبرطة المغلقة و الذي سبق أن عرضــنا لجانب منه ، فقد صارت أثينا إبان القرن الخامس مدينة دولة تمسك بزمام القيادة السياســية و الاقتصــادية و الفكــرية بين العديد من المدن الدول اليونانية ، و لعل أصدق وصــف للأثينيــن في هذه الحقبة وصف ثيوكيديديس "لا راحة للعقل و الجسد عندهم و لا يعطونهما للآخرين كما صورهم أعداؤهم" .

و ســوف نتتبع في هذا الفصل تطور الأحوال السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية فــي أثيــنا مــن بدايتها غير المعروفة حتى نهاية القرن السادس عندما كانت بلاد اليونان تواجه خطر العدوان الفارسي .

كشفت لنا التنقيبات الأثرية عن أن أتيكا قد عرفت سكنى الإنسان قبل آلاف السنين مــن معــرفة الكــتابة ، فقــد تم العثور على مخلفات و بقايا من فخار من العصر الحجري الحديــث علــى المنحدرات الشمالية و الجنوبية للأكروبول وأيضاً في المنطقة التي صارت ســاحة للســوق فــي أثينا في العصور التاريخية. وأكدت لنا الدلائل و القرائن أن المنطقة شــهدت هجــرة فــي العصر الهيلادي "البرونزي" وفدوا من آسيا الصغرى فمن الراجح أن المهاجريــن من صناع المعادن في الفترة الباكرة من الألف الثالث قبل الميلاد و الذين يعتقد أنهــم و أنهــم قد امتزجوا مع سكان العصر الحجري الحديث ، من عملية الامتزاج هذه من المــرجح أنهــا اســتمرت في القرون الأولى من الألف الثانية قبل الميلاد حيث يعتقد أغلب الباحثين أن المهاجرين عندما دخلوا شبه جزيرة اليونان في نهاية العصر البرونزي (الفترة الموكينــية) كانت أثينا مركزاً لإحدى الممالك الكثيرة التي ازدهرت في تلك الفترة الرائعة و لكن الغامضة . وفي هذه العصور يمكن تتبع التأثير الكريتي ، على منطقة أتيكا ولعل رواية ثيســويس هي خير شاهد على ذلك وعلى كيفية انحصار هذا النفوذ، كما تشير الروايات إلى

مشـــاركة أثيـــنا فـــي حرب طروادة بخمسين سفينة . وبعد انتهاء تلك الحرب فقد تم تقوية الاســـتحكامات فـــي نهاية القرن الثاني عشر وذلك لمواجهة أخطار متوقعة ، و لم تتعرض أثيـــنا للتدمـــير سواء نتيجة للثورة التي عمت العالم الموكيني في السنوات التي أعقبت عام ١٢٠٠ ق.م . أو نتـــيجة لعـــدم تعرضها للغزو الدوري ، ولعل السبب في ذلك يعود إلي أن الدوريـــين تجنبوا غزوها لأنها لم تكن في طرقهم المباشر إلي البلوبونيز أو لأن ثروتها لم تكـــن تشـــجعهم مثل موكيناي و ترينس أو لأن الكثافة البشرية بها و التي زادت على نحو كبـــير نتيجة موجات الهجرة إليها فراراً من الدوريين، وبفضل شجاعة الأثينين أيضاً فقد تم وقف زحف الدوريين على بلادهم ، و لعل تباهي الأثينيين في العصور المتأخرة بأنهم ردوا الدوريـــين علـــى أعقـــابهم خاسرين على نحو بطولي يحتوي على جانب من الحقيقة حيث كشـــفت التنقيبات الأثرية عن وجود دوري في غربي أتيكا و هذا ما نعرفه من انتشار أنماط جديـــدة مـــن المقابـــر الفـــردية غـــير العميقة . وأيضاً المنازل المهجورة على منحدرات الأكـــروبول ، بيـــنما أن قلعة نفسها قد تم تقويتها من خلال القيام بتحصينات جديدة و من خلال الدرجات المنحدرة و ذلك لتقديم مدخل آمن لإمدادات المياه في حالة الحصار .

و علـــى أية حال فإن الأثنيين كانوا فخورين بأنهم ليسوا مهاجرين جدد حلوا ببلاد الـــيونان مـــثل الدوريـــين في البلوبونيز ، وهذا ما أثبتته الحفائر الأثرية . ونظراً لأن أثينا حفظـــت مـــن الغزو الدوري ، فقد صارت أثينا المدنية الرئيسية في بلاد اليونان على الرغم مـــن التأثيرات السلبية للغزو ، و أن الأدلة والقرائن المعاصرة و الدالة على تطور أثينا في هـــذه الفـــترة يكـــون مقصـــوراً على الفخار تقريباً . و يكشف لنا تردي صناعة الفخار من القرنيـــن الثانـــي والحادي عشر عن أن أثينا قد تأثرت بكارثة الغزو الدوري ، وهذه الفترة هـــي الفـــترة التي هرب فيها الكثير من اللاجئين أمام جحافل الغزاة من الدوريين ، و لجأوا إلـــي أتـــيكا و هناك قصص حول هؤلاء اللاجئين من بيلوس في البلوبونيز ، فوفقاً للشاعر ميمـــنوموس الذي يدعى فأنهم تصاهروا مع الأسرة الملكية الأثينية . وأنه هو نفسه واحد من سلالتهم .

غـــير أن صـــناعة الفخار الأثيني بدأت في الازدهار في الفترة الواقعة ما بين عام ١٠٥٠ و ٧٠٠ ق.م وكـــان الفخـــار مـــا قـــبل الهندسي (١٠٥٠/١٠٢٥-٩٠٠ ق.م) و

الهندسي (٩٠٠-٧٠٠ ق.م) هو الأوفر انتشاراً في العالم اليوناني حيث أن الفخار الهندسي الوسيط (٨٥٠-٧٧٠ / ٧٥٠ ق.م) قد تم تصديره على نطاق واسع ، فنجده في قبرص وسوريا كما تكشف لنا مقبرة (Ceranicus) في أثينا عن ثراء الفخار الهندسي، و لعل السبب في هذا هو إنتاج الفضة من لوريوم ، و الذي أدي إلي زيادة الازدهار ، ونجد أن زخرفة الفخار الهندسي تكشف لنا عن تأثيرات شرقية استوعبها الأثينيون ، هذا فضلاً عن أحيانهم لصور من عصر الأبطال ، كما تكشف لنا عن رواج تجاري و الاهتمام بالطرق التجارية بما أوردته من رسوم للسفن .

وتقدم لنا المصادر روايات عن توحيد أتيكا تحت قيادة أثينا إبان العصر الموكيني . فعلى سبيل المثال يرى أرسطو أن الأثينين كان يحكمهم ملوك بعد أن وحدهم أيون في دولة واحدة و أنهم سموا بالأيونيين ، و أن باندیون (Pandion) و الذي حكم بعد اريختيوس Eichtheus قسم الحكم بين أبنائه و إنتهاء الأمر بنزاعهم ، و أن ثيسيوس أعاد توحيد الناس على أساس المساواة بينهم . ويقول ثيوكيديديس فتحت حكم كيكروبوس و الملوك الأوائل و حتى عهد ثيسيوس فإن أتيكا كانت دائماً تتكون من عدد من المدن المستقلة وكل واحدة منها كان لها مركز للحكم بها و لها حكامها ، فيما عدا أوقات الخطر ، كما أن الحروب كانت تدور بين البعض منها و أن ثسيوس ألغي المجالس و الوظائف في المدن الأخرى و نقلها جميعاً إلي المدينة الحالية "أثينا" . و التي أنشأ فيها مجلساً تشريعياً واحداً (Piytanion) . ويقول بلوتارخ " نهض ثيسيوس بمشروع خطير مدهش و هو جمع أهالي أتيكا جميعاً في مكان واحد ليجعل منهم شعباً واحداً في مدينة واحدة ، كانوا قبل ذلك متفرقين في بلدات متباعدة فيصعب جمعهم للمداولة في الشئون العامة ، عدا أنهم متنافرين يكثر وقوع الحرب بينهم ، طاف ثيسيوس بنفسه بكل بلدة و جاءت كل عائلة يقنعها بقبول مشروعه فلم يتردد متوسطو الحال والفقراء في قبوله ، ولكي يستميل كبار القوم وعدهم بإنشاء حكومة بلا ملك ، تكون فيها الكلمة للشعب و ألا يبغي لنفسه سوى قيادة الجيش و صيانة القوانين ، و أن يتمتع كل مواطن بما يتمتع به هو من الحقوق فيما عدا ذلك. فاقتنع البعض و خشي البعض سلطانه الذي استفحل أمره و داخله الخوف من جرأته فآثر العقول

راضـياً خشـية أن يكسره على ذلك ، فهدم أماكن الاجتماع و المجالس في كل بلدة و ألغى محاكمها ، ...... الخ .

و لكـن هذه الروايات لا تحتوى على قدر كبير من الحقيقة و غير مقنعة ، فعلى ما يـبدو لـم تكن سيطرة أثينا شاملة على أتيكا لا في عصر الأبطال و لا في العصر المظلم و حـتى في جانب من العصر الأرخي، و دليلنا على ذلك وجود مراكز مستقلة عنها مثل قلعة اليوسـيس إلـى الغـرب مـن أثيـنا و ثوركوس (Thorcus) وبراورون (Briauron) وماراثون (Marathon) و إلى الغرب أخارناي (Acharnae) و على رأسها أمراء كانوا مـن الممكـن أن يكونـوا مستقلين بشكل كبير عن أثينا . ولعل الظروف التي أعقبت حرب طـروادة مـن انتشار الثورة في بلاد اليونان و شعور الجميع بالخطر هو الذي جعل لأثينا الريادة .

مـع بقـاء واحتفاظ كل مدينة من المدن السابقة باستقلالها حتى مع وجود الخطر الـدوري و لعـل الخطـر الـدوري هو الأخر قد ألف بين مدن و بلدات اتيكا و جمعها في مواجهـة الخطـر ، ولكـن مع انتهائه عادوا إلى الانفصالية مرة أخرى في بدايات العصر الأرخي ، فالقصيدة الهومرية للربة ديميتر و هي القصيدة المؤكدة التاريخ تخبرنا باستفاضة حول إقامة البربة ديمتير في اليوسيس ، ولا تعطي أية إشارة إلى خضوعها إلى أثينا ، كما أن بعـض التنظـيمات الباقية في العصور الأرخية تعكس حالة الاستقلال السابقة ، فيلاحظ بلوتـارخ في حديثه عن سيرة ثيسويس أنه لم يكن هناك زواج متبادل بين مواطني كل من باللبنـي (Pallene) و هاجـنوس (Hagnous) و كلتهما كانت في السهل المركزي و أن عادة عدم الزواج بينهما يشير إلى الفترة التي لم يتحد فيها السهل تحت قيادة أثينا ، كما أن إرسـال كـل مـن أثينا الرسل إلى دلفي كمندوبين (Qythais) و أيضاً القرى الأربع التي تتكون منها تيرابوليس في ماراثون يشير إلى انفصال و استقلال كل منهما عن الأخرى . و فـي ضوء ما سبق فإن الوحدة الشاملة لأتيكا بقيادة أثينا لم تتم إلا في العصر الأرخي وأنها لم تتم دفعة واحدة ولكن على مراحل نجملها على النحو الآتي :

أولاً : افـــتراض أن أثينا قد وحدت قرى السهل المركزي الأوسط حوالي عام ٩٠٠ ق.م ، بينما كان لمدينة اليوسيس السيطرة المماثلة في الغرب في سهل ثريا وأن مدنية أو مدينين كانتا في الشرق .

ثانـــياً : أن أثيـــنا قد وضعت السهول الخارجية تحت سيطرتها و بشكل تدريجي ، وهذا ما كشـــفت لنا عنه الحفائر الأثرية ، إذ تؤكد لنا القبور و الآنية الفخارية من العصر الهندسي في اليوسيس أنه لا يوجد شئ منها يشابه الجرار الكبيرة (Depylan) المستعملة كعلامات للقـــبور فـــي نهاية العصر الهندسي في أثينا ، وهذا يشير إلي عدم وجود صلة بين أثينا و اليوســـيس أبـــان القرن الثامن ، كما أن التنقيبات الأثرية كشفت عن بناء يعود تاريخه إلي أواخـــر العصر الهندسي وقد تم التعرف عليه على أنه بيت مقدس لعبادة الأسلاف ، وأنه قد تـــم تدمـــيره فـــي فترة مبكرة من القرن السابع ، و أنه في بداية القرن السادس قد تم بناء غرفة صغيرة مع مذبح في واجهة جدار فناء هذا البيت المقدس ، ولعل هذا التدمير و إعادة البناء يعكس القضاء على الأسرة القوية في اليوسيس ، وربما كان ذلك في عام ٦٧٥ ق.م وبالنســـبة لتوحيد وضم السهل الشرقي فأن بعض الأسطر الآتية من قائمة الحكام في القرن الســـابع تشـــير إلـــي تواريـــخ ضـــمه وهـــي في خلال عشر سنوات : ٦٦٩_٦٦٨ ق.م بيزاستراتوس Peioiatretus.

٦٦٤_٦٦٣ ق.م ميلتياديس Miltiades.

٦٥٩_٦٥٨ ق.م ميلتياديس .

خلاصـــة القول أن دمج كل من سهل اليوسيس و السهل الشرقي قد حدث ليس بعد النصـــف الأول مـــن القـــرن السابع وربما ليس في فترة باكرة عن هذا ، وحتى في القرن الســـادس كان حدود السلطة والهيمنة الأثينية على أتيكا و حدودها فقد كان هناك صراع من الـــراجح ، مـــتأخر زمنياً مع ميجارا للسيطرة على سلاميس ، وربما ينظر إليه بأنه حركة التوســـع الأثيني التي ضمت اليوسيس ، كما كان هناك صراع مع المدن البؤوتية في منطقة الحدود الشمالية خاصة حول مدينة أُروبرس (Oropus) والذي ظل لقرون .

و هكـــذا فـــأن الروايات القائلة بأن ثيسيوس موحد أتيكا قد خالفت الحقيقة ، وأن الوحدة قد حدثت في وقت متأخر إلي حد ما في العصر الأرخي و حتى أنه مع تحقق الوحدة

و الاندماج بين مدن و قرى أتيكا مع أثينا ، فقد بقيت بعض الذكريات و الروايات الأسطورية تردد أن قرية ديكليليا (Deceleia) في شمال أتيكا قد قاومت الملك ثيسيوس الأثيني ، ووفقا لذلك فأنه عندما أحضر التنداراداي (Tynderidae) جيشاً إلي أتيكا فقد رحب بهم أهل ديكيليا وقادوهم إلي قرية أفيدنا (Aphidna) التي خانتهم . وهذه الأسطورة تم إعادة ترديدها في زمن الحروب البلوبونيزية بعد أن استولت إسبرطة عليها و أعادت تحصينها ، و تبرز بعض الأساطير قوة بعض الأسر و العشائر فأن عشيرة الجيفيراي (Gephiruei) قد عاشت في شمال أتيكا و أحد فروعها أو كلها ربما ينتمي إلي أفيدنا (Aphidna) الواقعة شرق ديكيليا بقليل وقد ادعت هذه العشيرة أنها أتت من أرتريا في يوبويا، وعباداتها تشير إلي وجود صلات مع تاناجرا (Tangra) في بؤوتيا ، ففي عام ٥١٤ ق.م نجد أن عضوين من هذه العشيرة هما هارموديوس (Harmoduis) و اريستوجيتيون (Arstogeteon) كانا من القوة و الطموح لقتال هيبارخوس بن بيزاستراتوس و أخ هيباس الطاعته و اغتياله .

ويمكننا القول أنه في كل مرحلة من مراحل الوحدة وضم مدن جديدة كان يتم إلغاء مجالس وهيئات هذه المدن و إنزالها إلي مرتبة القرى و أصبح مواطنوها مواطنين أثنينين كاملو الأهلية مع بقائهم في بلداتهم .

جمل القول أنه بجانب الولاء لأثينا من قبل السكان الأحرار بأتيكا إلا أننا وجدنا هناك ولاء من قبل سكان بعض المناطق لها ، و نجد أسر قوية و عبادات محلية ، وأن ولاء من هذا النوع يؤدي إلي الولاء الأول للمحلية والإقليمية ، و وفقاً للقوى السياسية فأن الروابط المحلية كان لها الأثر الأكبر على مختلف الأسر القوية و المسيطرة على أجزاء أتيكا ، و أنها ادعت سيطرتها على الأسر البسيطة و الضعيفة و على الأفراد في مناطقها في صراعها مع بعضها البعض في العصر الأرخي على وجه الخصوص .

الدستور الأثيني الملكي و التحول نحو الحكم الأرستقراطي :

كان نظام الحكم في أثينا نظاماً ملكياً مثلها مثل غيرها من المدن اليونانية الأخرى و أن هذا النظام قد شهد تدهوراً تدريجياً في سلطته إلي أن وصل في نهاية الأمر إلي النظام

الأرستقراطي . وكان الحكم الملكي في أثينا وراثياً ومن الممكن أن طراز الملوك الوكيني (Winax) قد بقي لبعض الوقت في أثينا ، ووفقاً للأسطورة فأن آخر الملوك الكاملي السلطة هو كادروس الذي ضحى بحياته من أجل وطنه في مواجهته للغزو البلوبونيزي ، و أنه بعد وفاته قرر الأثينيون ألا يحكم عليهم ملك . و لكن في الواقع فإن الملكية لم تلغ مرة واحدة و إنما انتقلت أو انتزعت السلطة تلو السلطة منها إلي أفراد آخرين من الارستقراط .

فبعد توحيد جانب كبير من أتيكا تحت السلطة الملكية و بعد توسيع مجلس الملك الاستشاري بعد إضافة النبلاء من المدن و البلدات التي دمجت مع أثينا ، فقد زادت سلطة هذا المجلس على حساب الملك وبدأ الملك يفقد وضعه المميز و صار فقط الأول بين الأقران ، وفي نهاية القرن الثامن فأن النبلاء مثلهم مثل أقرانهم في جل العالم اليوناني قد قلصوا أو حدوا بشكل كبير من سلطة الملوك إذ نجدهم قد وضعوا بجانب الملك الوراثي حاكمين و هما الحاكم المدني (Aichon) و القائد العسكري (Polemarch)، و لكن أيا من الوظيفتين ظهرت أولاً . بسبب نقص المصادر فأنه من غير الممكن أن نكون متأكدين من ظهور أي من هاتين الوظيفتين أولاً ، وإن كان بعض الباحثين المحدثين يرون أن وظيفة الأرضون المدني هي التي ظهرت و انتقصت من سلطة الملك أولاً و أن من تولى شغلها أيضاً كان ينتمي غلي الأسرة الملكية و ذلك وفقاً للروايات حوالي بداية القرن الحادي عشر ق.م و أن شغلها لم يكن محدد المدة مثلها في ذلك مثل شغل الوظيفة الملكية ، وأن النبلاء هم الذين كانوا يختارون شاغلها من بين أفراد الأسرة الملكية ، وأن وظيفة الحاكم العسكري (Polemarch) تلت الوظيفة السابقة و بها تم انتقاص السلطة الملكية و قصرها على الشئون الدينية فقط ، و أن مدة شغل الوظيفة العسكرية كانت عشر سنوات ومن كان يشغلها من النبلاء وتم اختياره من بينهم ، و لا نعرف إذا ما كان يتم اختيار بالقرعة أم بالتصويت أو من قبل كل جماعة النبلاء أو من قبل مجلس النبلاء أو أخيراً من قبل كل المواطنين الذين لهم حق التصويت في الجمعية الشعبية . ونظراً لازدياد أهمية الآرخون المدني وزيادة سلطته التنفيذية و المدنية فقد تم تحديد مدة شغلها بعشر سنوات ابتداء من منتصف القرن الثامن ، وأن الوظيفة لم تعد قاصرة على الأسرة الملكية فحسب بل أصبحت

مفـــتوحة للنـــبلاء ويشغلونها حسب الثروة و المنبت وأن شاغل المنصب الملكي صار يتم انتخابه أيضاً و لمدة محدودة .

وحـــدث تطور آخر في عام ٦٨٢/٦٨٣ أو ٦٨١/٦٨٢ في جعل الوظيفة سنوية . عـــندما أصبح التأريخ بسنوات توالي الحاكم المدني و يشكك بعض الكتاب المحدثين في هذه الروايات و فيما ذكره أرسطو . ويرون أن انتخاب هؤلاء الآراضنة كان لمدة عام في الأصل . و لكـــن هـــذا الـــرأي غير مقبول فالروايات قد تعكس لنا الأحوال بصورة فيها جانب من الحقـــيقة . وإذا ما قبلنا هذا التشكك فإن ذلك معناه أما أن هناك ثورة أطاحت بالحكم الملكي أو أن هذا التقسيم للسلطة قد تم برضاء الملك بمعنى انتهاء النظام الملكي المطلق السلطة .

كانـــت وظـــيفة الأرخون المدني أهم الوظائف الثلاث ، فقد حل الأرضنة المدنيون محـــل الملـــوك فـــي الـــتأريخ بسنوات حكمهم ، وكانوا الحكام الفعليين في الدولة ، فكانوا يرأســـون المجلس و الجمعية ، وكانوا لهم سلطة الاختصاص في كل مسائل وشئون الأسرة مـــثل حقـــوق التبني و زواج الورثيات و ما شابه ذلك كما كانوا يشرفون على تنفيذ بعض الاحـــتفالات و خاصـــة حفلة عيد الإله ديونيسيوس الكبير و التي تم القيام فيه بمس حيات تراجيدية في عصر لاحق . وكان للقائد العسكري بجانب سلطته العسكرية الأهلية و السلطة فـــي الفصـــل فـــي القضايا التي تخص الأجانب المقيمين في أتيكا أو يكون أحد أطرافها من الغرباء .

وصار الأرخون الملك (Atchon Baeleus) يتولى الأشراف على الشئون الدينية فـــي الدولة مثل إقامة الشعائر و الطقوس الخاصة بعبادة الأسلاف و تقديم الأضاحي ، كما كان الأرضون الملك يرأس المجلس عندما يعقد كهينة قضائية لبحث القضايا الدينية .

و في خلال القرن السابع ظهر ستة أراخنة جدد حملوا تسمية (Theomthetae) و تعني اللفظة هنا "القضاة" أو "المشرعين" ، ومن ثم فقد كانت واجباتهم و مهامهم قضائية ، إذ كـــانوا يقومـــون بتسجيل الأحكام القضائية ، ويتولون الفصل في القضايا التي لا تدخل تحـــت ســـلطة الآراخنة الثلاثة ، والتفسير في وجودهم هو أن الحكومة الأرستقراطية كانت تحـــاول أكـــثر فأكثر أن تغير إدارة العدالة من النظام الأسري الخطير إلى وظيفة حكومية و هـــذا يعني أضعاف النظام الأسري و العشائري وذلك بغرض تقوية سلطة الحكومة المركزية

، ولعــل الســبب أيضاً هو نمو وزيادة السكان و من ثم ازدياد عدد القضايا مما كان يؤخر إقرار العدالة .

و مـــا يمكنـــنا تأكيده بشأن تاريخ وجودهم هو أنهم وجدوا قبل عام ٦٣٢ق.م فقد حدثـــنا ثيوكـــيديدس عـــن تسعة آراخنة في الفترة المعاصرة لمحاولة كيلون السيطرة على الحكـــم في عام ٦٣٢ ق.م و هذا يشير إلي أنهم كانوا موجودين قبل هذا التأريخ . ولكن لا نـــدري هـــل كـــان عددهـــم ستة في البداية أم أن هذا العدد زيد بالتدريج و وصل إلي ستة آراخنة .

مجلس الاريوباجوس :

سرت مزاعم بأن الآلهة هي التي أسسته ، وكان أعضاؤه يتمتعون بالعضوية مدى الحـــياة ، و كانوا أيضاً من الطبقة الأرستقراطية (Eupatredai) و رؤوساء الأسر النبيلة ، ويـــرجح أن الآراخـــنة السابقين كانوا يصيرون أعضاء فيه بمجرد إنتهاء وظيفتهم ، هذا فضـــلاً عن الآراخنة الذين يخدمون . و كان لهذا المجلس نفوذه و تأثيره بالنسبة للآرخنة . ويقـــول أرســـطو أن هذا المجلس هو الذي كان يقوم بتعيين الآرخنة و لكن هذا القول محل نقاش حيث أن الروايات تقترح أن الشعب هو الذي عين صولون ، وهذا يعني على ما يبدو جمعـــية ملاك الأرض ، و من الممكن أفتراض ، مع ذلك أن المجلس قد مارس على الأقل ســـيطرة غـــير مباشرة على عملية الاختيار من خلال الحق في تعيين المرشحين ، وعموماً فـــأن هذا المجلس لا ندري عنه إلا القليل ، و من ثم فأن أحواله ما تزال غامضة حتى الآن فـــامل الملك كان يلتمس النصح فيه، و من الممكن أن نصحه و الاسترشاد برأيه قد استمر في زمن للحكومة الأرستقراطية ...

الجمعية الشعبية :(Eclesia)

لا نـــدري مـــتى وجـــدت تلـــك الجمعية التي كانت تضم كل المواطنين من أعضاء الطـــبقات الـــثلاث النبلاء و الزراع و الحرفيين ، ولكن لا نعرف شيئاً عن اجتماعاتها و لا

طـريقة التصـويت أو أهليتها . وما يمكننا قوله أنها كانت ظلاً باهتاً ولا تشارك في اتخاذ القـرار ، و نسـمع عـنها عندما تجمع جموع الأثينين لمواجهة كيلون وعهدوا للآراخنة التسـعة بالقـاتل مـع قواتـه ، وهذا من المرجح أن ينظر إليه كفعل غير منتظم للجمعية الشعبية . ومن ثم يمكننا القول أن قرار الحرب و السلام كان من اختصاص هذه الجمعية.

و عـلاوة علـى ذلك فمن المحتمل أيضاً أن هذه الجمعية هي التي اختارت الحكام التسـعة إذ يقـول أرسـطو في كتابه السياسة أن الآراضنة التسعة قد تم اختيارهم من قبل الجمعـية الشـعبية و أن صولون لم يغير شيئاً من هذا . وهذا يبدو معقولاً إذ يذكر أرسطو أيضاً في دستور الأثينين أنه في البداية كان مجلس الأريوباجوس هو الذي يختار الآراضنة و أن صـولون قـد أحل هذا الإجراء مع الاختيار بالقرعة من بين المرشحين الذين وافقت عليهم القبائل الأربع .

النظام الاجتماعي* و الطبقي ذات الصفة شبه السياسية :

اعـتمد البـناء السياسـي و الاجتماعي في أثينا على النظام القبلي و العشائري و الأسري في هذه الفترة، فتشير المصادر إلي وجود أربع قبائل عاشت في أتيكا و منها هاجر نفـر مـنها إلـي أيونـيا فـي العصور المظلمة و العتيقة ، وهذه القبائل هي جيليونتيس (Geleuntes) و هوبليتـيس (Hopletes) وايجـيكوريس(Aigkreis) وارجـاديس (Argadeis) وأصـل هذه القبائل غير معروف ، على الرغم أن هيرودوت يزعم بأن هذه التسميات مشتقة من أسماء أبناء أيون الأسطوري و جماعته بعد استقرارها في أتيكا .

ويـرى بعض الكتاب القدامى وتبعهم نفر من الباحثين المحدثين أن القبائل كانت ، مـن الممكـن ، في الأصل طوائف مغلقة : النبلاء و المقاتلين و الرعاة و الفلاحين . ولكن هـذا الـرأي غـير محتمل قبوله لأنه لا يوجد أثر لهذه الطوائف في العصور التاريخية ، و فضـلاً عـن ذلـك فأن كل قبيلة اعتمدت على أواصر الدم و القربى في تكوينها فكان على رأسـها ذلـك الـذي هـو نفسه من نبلائها ، و كانت الأقسام الرئيسية للقبيلة من البطون

* أنظر حديثنا عن النظم القبلية : ص ١٧٢ .

(Phretia) و العشــائر (gene) و الأســر (okol) وكانت العشائر وفروعها من الناحية النظرية قد اعتمدت على أواصر القربى و الدم . و كان على رأس كل قبيلة ملك و لا ندري عــن ماهــية العلاقة بين الملوك للقبائل الأربعة و الأسرة الملكية قبل زوال الحكم الملكي ، وما نعرفه أن ملوك القبائل ظلوا على رأس قبائلهم بعد انتهاء الحكم الملكي ، وحتى بعد أن أعاد كلشنيس تقسيم القبائل، في إصلاحه (٥٠٨_٥٠٧ ق.م) إلي عشر قبائل . واستمر بعد ذلــك في القرن الرابع و ربما لفترة أطول ، فكانوا يتعاونون مع الملك الأرخون في محكمة القــتل و التــي كان يعرض فيها وفقاً للطقوس العنيفة قضايا القتل والتي يكون القاتل فيها غير معروف أو القتل بسبب الحيوانات و الأشياء .

ولســوء الحظ ليس لدينا معلومات محددة حول الأدوار التي كانت تلعبها القبائل في مجال السياسية والشئون العسكرية في الدولة سوى القول أنه من الراجح أن كل قبيلة كان علــيها أن تقــدم فــرقة للجــيش ، ولعل وجهاء كل قبيلة هم الذين كانوا يشكلون مجلس الأريوباجوس . كما أن كل قبيلة كانت ترشح مائة عضو لمجلس الأربعمائة .

وكــل قبــيلة كانت تتكون من عدد من البطون و العشائر ولا يوجد لدينا معلومات كبــيرة من الفترة الباكرة ولكن لدينا معلومات طيبة عنهما من القرنين الخامس و الرابع . ويمكــن للباحــث فــي ضوء ما يستمده من معلومات متناثرة في المصادر و من معلومات القرنيــن الخــامس و الــرابع أن يكــون صــورة تقريبية عنهما . فقد حفظ لنا أحد الكتاب الموســوعيين جزءاً مما فقد من دستور الأثنين و يشير هذا الجزء إلي أن الأثنين قد نظموا أنفســهم في أربع قبائل تقليداً للفصول السنوية الأربعة ، و كل قبيلة أنقسمت إلي ثلاثة بطون حــتى يكونــوا أثني عشر بطناً مثل شهور السنة و أطلق عليهم trittyes و phratria ، وقســم كــل بطــن منها إلي ثلاثين عشيرة مثل أيام الشهر ، وكل عشيرة كانت تتكون من ثلاثين رجلاً .

وهــنا يصــور أرســطو أن هذا التقسيم قد وجد من البداية فمن غير المحتمل أن الــبطون كانت تسمي trittyes وهو المصطلح الذي أوجدته إصلاحات كليشنيس فيما بعد ، وأن العــدد المنــتظم يكــون مــن الواضح بناء خيالي اعتمد على تقسيم السنة إلي فصول وشــهور و أيام ، و في ضوء ذلك فأن تصور أرسطو مخالف للحقيقة فلعل المهاجرين ، ما

قــبل الإغــريق عــندما هاجروا إلي أتيكا ، قد نظموا أنفسهم في مجموعات تربطها صلات القــربى مثل phratria إلا أن القرائن اللغوية تشير إلي أن المهاجرين من اليونان الأول في بداية الألف الثانية عرفوها عندما رحلوا البلاد ٢٠٠٠ق.م وقد وجدت كلمة phiatry فــي الإلــياذة كما سبق و أشرنا . ولعل هوميروس يشير إلي فترة القرن التاسع عندما بدأ الأرستقراط يجمعون حولهم مجموعات من ذوي القربى و يجمعها أواصر الدم (phiatry) جنباً إلي جنب التي تكون البطون ويشير إلي ذلك مجموعة من القرائن من العصر المظلم إذ تظهر الطبقة العليا متحكمة في كل مناحي الحياة الاجتماعية و السياسية الاقتصادية .

وعلــى الرغم من عدم وجود معلومات عن (phratras) من العصرين (الموكيني و المظلــم)* . و مــا بقى لدينا من الأدلة الوثائقية هونتش من عام ٤٠٩/٤٠٨ ق.م وهو إعــادة كــتابة قــانون داركون (٦٢١ ق.م) فيما يخص القتل . وذكره أيضاً ديموشنيس و يســجل القانون أن محاسبة القاتل إذا كان غير متعمد يمكنه العودة و العفو عنه إذا لم يكن له أقارب مقربين فأن ذلك يكون من حق بطنه المنتمي إليه و الذي يمثله عشرة من أخيار رجاله

ولعــل الأخيار من الرجال كانوا ينتمون إلي عشرية أو أكثر من عشيرة من عشائر البطن . والبطن كانت تضم أغنياء و فقراء على حد سواء و كانت عضوية هذه البطون وراثية .

كانــت الــبطون (phratria) تنقسم إلي عشائر orgenoes (gene) و لا نعرف عــن الأولــى معلومات من العصور الباكرة (الموكينيي العصر المظلم) و كانت العشائر في العصــور التاريخــية و التــي نعــرف مــنها ٦٠ عشــيرة مــثل عشــيرة أبو مبوليداي (Eumpolidae) و كيركــيس (Ceryies) وايتوبوتاراي (Eteoboutae) و بوزيجيس (Bougyges) و ليكوميداي (Lycomidae) . وهذه العشائر كانت تتكون بدروها من أسر أو بــيوت (oikoi) التي تعتقد أنها تنحدر من جد مشترك أو تكونت من مجموعة العائلات الــثرية أبــان القرنين العاشر و التاسع والتي كان يجمعها المصلحة المشتركة. و المحافظة على امتيازاتها .

* انظر مناقشتنا عن نشأة العشائر : وسلطات أربابها و أرباب الأسر أنظر سابقاً .ص ١٧٣ .

و يعتقد أن أفراد هذه العشائر أو على الأقل بعضهم أو بعض ثرائهم هم الذين أضعفوا أو حطموا الملكية الوراثية و أسسوا الجمهورية الأرستقراطية في نهاية القرن الثامن أو بداية القرن السابع ويفترض أن الأفراد من الأشراف و الأقوياء في العشائر قد ادعوا لأنفسهم لقب Eupatrids قبل توحيد أتيكا وبعد أن اتحدت مدنهم مع أتيكا أو فرضته أثينا عليهم ، فقد صاروا هم الأشراف الأثينيون و مثل ذلك عشيرة Ceryes و عشيرة أخرى كانتا ترأسان طقوس عبادة الوسيس السرية ، و كانوا من نبلاء اليوسيس قبل أن تتحد اليوسيس مع أثينا . و كانوا من القادة الأثينين بعد اتحادهم مع أثينا . ويمكننا القول أن قوة العشائر قد تباينت و ذلك لتباينها في الثروة والعدد ، فبعض العشائر قد قويت على حساب الآخرين و أمسكوا بصولجان الهيبة ، وهكذا فأن أكثرهم نجاحاً صاروا من الأشراف (Eupatridai) . و أيضاً لعل هذا اللقب حازه بيت أو أسرة في كل عشيرة . وهكذا فأن لقب الأشراف صار يخص الأسر القائدة في العشائر و أيضاً أسر العشائر القوية قد سيطرت على مقاليد الأمر في البطون والقبائل و في الأمور في الدولة الأثينية في فترة الجمهورية الأرستقراطية .

و كانت البطون تضم رجالات العشائر و أفراد لا ينتمون إلي تلك العشائر ، و في عام ٦٢١ ق.م على الأقل فأن عضوية البطون لم تكن قاصرة على أفراد العشائر فحسب بل ضمت أيضاً أتباع رجالات العشائر هذا فضلاً عن orgeones فمن شذرة من حولية فيلورخورس و هي تعالج تاريخ أثينا من عام ٣٠٠ق.م نعلم أن البطن كانت تتكون من رجالات العشيرة و orgeones . و الفرق بين الجماعتين ليس واضحاً ، فالبعض يرى أن العشيرة تعد وحدة في النظام القبلي و هي جزء من البطن و أن رجالاتها تمتعوا بالامتيازات ، بينما يكون orgeones هم من الرجال الأحرار الأتيكين و الذين ليسوا أعضاء في البطون و لعلهم أبعدوا عن عضوية البطون عندما تولى السلطة السادة الأرستقراط .

ويرى نفر أخر من الباحثين أن Orgeones لم يكونوا أعضاء في البطون لأنهم أبناء المهاجرين إلي أتيكا من القبائل الأيونية ، ويرى نفر ثالث من العلماء أنهم كانوا من أخلاف السكان الأصليين قبل الأيونيين في أتيكا . و يرى هموند أن Orgeones كانوا من الحرفيين و كونوا روابط فيما بينهم ، بينما رجالات العشائر كانوا ملاكاً للأرض وزراعها .

و الحرفــيون مــا هم إلا مهاجرين جاءوا إلي أتيكا لاجئين فقد منحوا حق المواطنة ، و في الـبداية كان يتم ضمهم في العشائر ، و لكن بعد ذلك ، ومن الراجح في الفترة قبل الهجرة الأيونية ، فقد شكلوا روابط و التي يتم دمجها بتسجيل جديد . ويرى البعض أنهم كمجموعة قــد يــتم دمجهــم في البطون بقانون يختلف الباحثون المحدثون في نسبه إلي صولون أو كليشــنيس أو بركليز و الذي ألزم البطون بقبول Orgeones بجانب homogalektes و هــم الذيــن أي (gennetai) . وبمقتضــي هذا القانون صار Orgeones مواطنين أثنيين ، و لكن لا ينتمون للأرستقراطية . بل كانوا من البسطاء و التجار و الأتباع و الزراع و الحرفيين .

و عموماً كانت العشائر(gene) تتكون من مجموعة من الأسر و التي تمثل الوحدة الأولية في التنظيم القبلي . ونقصت سلطة أرباب الأسر و شيوخ العشيرة و القبيلة ، و لكن كان ذلك بشكل تدريجي ، أمام سلطة الدولة .

وبعــد أن عرضــنا للتنظــيم القبلي بإيجاز ، نحاول الآن أن نعرض لتطور الأحوال الاقتصــادية و ما صاحبها وتبعها من تغييرات اجتماعية نتجت على تباين ثروات الأفراد و تغير مفاهيمهم .

الأحوال الاقتصادية :

كانــت الأرض الزراعية هي المصدر الرئيسي للإنتاج في أثينا ، وتشير القرائن إلي تحــول كبار الملاك و الثراة من ملاك الأراضي في استغلال أراضيهم على نحو اقتصادي ، فقــد فضلوا غرس أشجار الزيتون والأعناب بدلاً من زراعة الحبوب ، وكان غرس أشجار الزيــتون يحتاج لاستثمار الثروات في فترة انتظار الإنتاج و التي لا تتم إلا بعد فترة تمتد ما بيــن ١٥ و ٢٠ عامــاً مــن الغــرس ، بينما استمر صغار الزراع ومتوسطيهم في زراعة أراضــيهم بالحــبوب وذلك لعدم قدرتهم على تحويلها إلي حدائق و بساتين فكان ذلك تحتاج إلي الأموال هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت حاجة أسرهم لإمدادات الغذاء . تمنعهم من تحويل أرضهم من أرض حبوب إلي حدائق و بساتين .

و ترتـــب علـــى هذا التحول في الزراعة إلي نقص في الحبوب وزيادة في منتجات زيـــت الزيتون والنبيذ، وأدى هذا إلي ازدهار صناعة الآنية الفخارية ، كما أن هذا قد خلق الحاجة إلي فتح أو البحث عن أسواق سواء لتصريف منتجات الزيتون و النبيذ أو لاستيراد الحـــبوب . بيـــنما كـــان تصدير منتجات الزيتون والنبيذ يعني تحقيق الأرباح الطائلة لكبار المـــلاك ، كان استيراد الحبوب يعني ارتفاع أسعارها بالنسبة للبسطاء من السكان . خاصة بعد زيادة أعدادهم نتيجة زيادة السكان .

و تكشـــف لـــنا التنقيبات الأثرية عن أن الحرف الصناعية كان لها تقاليدها الطويلة فـــي أتيكا فقد ازدهار صناعة الفخار في أثينا إبان القرنين التاسع و الثامن ، وأن أثينا كانت الأولى في تصديره و خاصة الفخار الهندسي ، فقد وجد في مختلف مناطق بلاد اليونان ، و جـــزر الكوكلاديس وكريت و قبرص وسوريا . وفي داخل أتيكا ذاتها، فالمزهريات المسماة "مزهـــريات دبلون Depylon" و التي تم العثور عليها بالقرب من بوابة دبلون المؤدية إلي الجـــبانة الخارجـــية في كيرمايكوس (Ceranicus) و هذه المزهريات الكبرى و التي يبلغ ارتفاعهـــا خمـــس أقدام كانت تستخدم أحياناً لحفظ رفات الموتى و أحياناً كانت توضع على القبور بعد فتح قاعها حتى يصب منها التقديمات للموتى .

و الرســـومات و التصاوير على هذه المزهريات ، على الرغم من أنها تعكس بعض المـــناظر مـــن الملاحـــم، فإنهـــا تكون بعض الأفكار حول الحياة و العادات الطبقة العليا ، الممـــتلكات الخيالزية و الألعاب والمعارك الحربية بالخيول و العربات ، و مناظر القتال بين الـــرجال علـــى الســـفن و الـــرجال على الأرض كما لو كانوا في منافسة ، وفي ضوء هذه الرسومات و التصاوير فمن المرجح أن أثينا كان لها أسطولها في هذا العصر .

تكشـــف لـــنا اللقـــى الأثـــرية أنه في الجزء الأخير من القرن الثامن وأغلب القرن السابع ، قد حدث تفوق في صناعة الفخار الكورنيثي على الفخار الأثيني ، والسبب في ذلك يعـــود إلي الدور الذي لعبته كورنثينة في حركة الاستعمار و تأسيسها للمستعمرات بينما لم تشـــارك فيها أثينا ، و لعل السبب في ذلك هو مساحة أتيكا الكبيرة وعدم نقص الأرض بها مقارنـــة بـــالمدن اليونانية الأخرى ، و على الرغم من عدم مشاركة أثينا بشكل مباشر في حركة الاستعمار ، فقد استفادت من الازدهار الاقتصادي الذي صاحبها فقد استعادت مكانتها

السامية في صناعة الآنية الفخارية في الربع الأخير من القرن السابع إذ أنتجت الآنية و المزهريات ذات الأشكال السوداء و التي وجدت سوقاً رائجاً لها في حوض البحر المتوسط و بلاد اليونان فنجدها في نقراطيس بمصر وفي ماساليا بفرنسا و في خلال القرن السادس فأن صناعة المزهريات الأثينية تقدمت على الآنية الكورينثية و نتيجة لهذا فقد شاركت ازدهار في الحركة التجارية إذ كان عليها أن تعترف منتجاتها من النبيذ و الزيتون و الفخار واستيراد احتياجاتها المتزايدة من الحبوب ، ومع الزيادة المضطردة في عدد سكانها وهو ما سيدفعها إلي خوض الحروب سواء مع ميجارا أو ميتدليني بغرض تأمين الطريق البحري و لتأمين إمداداتها بالحبوب . وعموماً فقد أدت مساهمة الأثينين في الحرف الصناعية و الأعمال التجارية إلي زيادة الثروات المنقولة ليس عند النبلاء فحسب بل عند أفراد من الطبقات الأخرى مما سيؤدي إلي تغير في التركيبة الاجتماعية و بالتالي تغير بطئ في الدستور الأثيني إبان القرن السابع ، وتحول نظام الحكم من حكم أرستقراطي إلي حكم أرستقراطي تيموقراطي . و حتى وقت قريب ساد الرأي القائل بأن تبني نظام العملة في العقود المتأخرة من القرن السابع من قبل ثراة الأثينين ملاك الأراضي قد سبب العديد من المشاكل الاقتصادية ، خاصة أنه سبب المصاعب للزراع الفقراء، غير أن علماء النقود قد ناقشوا و على نحو مقنع أن اختراع العملة لا يمكن أن يكون قد حدث في فترة باكرة عن الربع الأخير من القرن السابع ، وأن أول عملة سكها الأثينيون ينبغي أن تؤرخ بحوالي عام ٥٦٠ق.م ، ومن ثم فأن إدخال العملة لا يمكن أن يستخدم لتفسير الأحوال السيئة في أتيكا في خواتيم القرن السابع ، وقبل الظهور الحقيقي للعملة فمن المرجح أن المعادن النفيسة و خاصة سبائك الفضة قد وزنت لكل عملية تبادل ، وقد زاد استخدامها بشكل مضطرد كوسيط في التبادل ، ودلالة على ذلك تكون واضحة ، ففي الأيام التي كانت التجارة تعتمد أساساً فيها على المقايضة العينية للسلع ، فأن الثروة التي كان يمكن للفرد أن يجمعها من هذه السلع محدودة بينما لا يكون اختزان الفضة و اكتنازها غير قابل للفساد، وأن المزيد منها تكسب حائزها الهيبة و القوة و المكانة السامية .

التركيبة الاجتماعية :

يقول بلوتارخ عند حديثه عن حياة ثيسيوس الأسطوري أن تيسيوس قد قسم المجتمع الأثيني بعد توحيد أتيكا إلي ثلاثة أقسام وهي : ١-الأشراف(Euptaridai) و ملاك الأرض Geeomori، Giorgai ، والحرفيين (demiourgoi) ، و لكن في رأينا أن هذا التقسيم قد حدث نتيجة لتطور الأوضاع ولم يتم دفعة واحدة ، ويمكن إضافة فئة رابعة لهذا التقسيم و هي فئة العمال thetes الإجراء، و هي الفئة التي ضمت كل الفئات الفقيرة في المجتمع ، وأيا كان مصدر دخلها للعيش من زراعة ، أعمال حرفية ، و ما يمكننا قوله أن هذه الفئات هي فئات المواطنين الأثينيين ، ولم يكن هناك فئة من السكان في أتيكا خاضعة كما هو الحال في لاكونيا على الرغم من أن أصحاب الأعمال وما قدموه من قروض أدت إلي ربط الفئة المدينة من الأثنيين بروابط التبعية للمقرضين .

و في ضوء ما لدينا من مادة يمكننا أن نقسم المجتمع الأثيني من الناحية القانونية إلي قسمين رئيسيين أولهما : هو طبقة الأحرار . وثانيهما هو طبقة العبيد .

ولم يكن المجتمع الأثيني مجتمعاً جامداً بل شهد تداخل بين الطبقات أو الانتقال من طبقة إلي طبقة نتيجة لنمو و ازدهار كل من الصناعة و التجارة مما سيؤدي إلي تغيير في المفاهيم الطبقية ، ومحاولة الفئات من كبار الصناع و التجار الولوج في الطبقة العليا من الأشراف من أصحاب الأراضي الزراعية و مشاركتها في إدارة دفة الدولة طلب للمجد و المهابة ، كما أن الطبقة الوسطى من الصناع و التجار كان لديها القدرة على الإنفاق على تسليح نفسها كجنود مشاة ثقيلي العدة و المشاركة في الدفاع عن الدولة في صداماتها مع القوى المجاورة كان له أثره في إقرار المجتمع التيموقراطي الجديد .

و يمكن أن نصنفه وفقاً للمصادر المتاحة لنا على النحو الآتي :

١-طبقة الأشراف : و هي الطبقة التي تميز ظهورها من العصر الملكي في مناطق أتيكا المختلفة ، وبعد تحقيق الوحدة لأتيكا بزعامة أثينا نجدها قد سيطرت على مقاليد الحكم و شكلت الجمهورية الأرستقراطية ، وتم إقرار الثروة و الأصل كمؤهل لشغل الوظائف في الحكومة الأرستقراطية الباكرة ، وكان يطلق عليهم أبناء الأشراف (Euptaridai) .

ولكــن حدث تطور في القرن السابع ، و لعل ذلك في زمن صولون أو قبله أن أصبح معيار الـثروة هــو الأســاس لتولــي المناصــب العليا و أصبح من يكون دخله خمسمائة معيار (Pakosiomedemnoi) فأكــثر هــو الذي يشغلها . و يمكن القول بأنهم كانوا من ملاك الأرض ، فقط و من ثم يقدر العالم جلوتز الأرض التي كان على أصحاب هذه الطبقة ملكيتها بمســاحة تــتراوح مــا بين ٢٠و٢٥ فداناً من أرض الكروم أو ما بين ٧٥و١٢٥ فداناً من أرض الجــنوب أو مساحة ٥٠_٧٥ فداناً من الأرض المغروسة بالكروم و الحبوب . ولكن يمكنــنا قبول بل كانوا من كبار الصناع والتجار في هذه الطبقة فقد كانت ثرواتهم تدر داخلاً يــوازي هذه الكمية و المقدار سواء أكان من الحبوب أو الزيت أو النبيذ . و أن هذا الدخل قــد حســب بالحبوب أو الزيت أو النبيذ ، و ذلك بسبب أن العملة لم تكن قد أدخلت بعد إلي أثيــنا و لــم يتم اعتبارها بعد كمعيار للدخل . و لا يمكننا قبول قول أرسطو بأن كل الأرض كانت في أيدي قلة من الرجال في زمن صولون على علاته فمن الجلي لم يكن هناك مساواة في ملكية الأرض كما أن التصرف في ملكية الأرض كان ممنوعاً في أثينا وحيث أن ملكيتها كانت للأسرة جميعاً ، ويري نفر من الباحثين أن نوعاً رئيسياً من الأرض في أتيكا بقي غير قــابل للتــبادل حتى حرب البلوبونيز في نهاية القرن الخامس حيث لا يوجد شك بالمرة بأن الــيونان قد طوروا جيداً الشعور بأن ملكية الأرض ينبغي أن تبقى في الأسرة ، وأن هذا ما تؤكــده المرافعات ي قضايا الملكية في المحاكم الأثينية في القرن الرابع حيث يتضح بها أن الرغــبة فــي ترك الأرض للذرية قد قوى بالحاجة الدينية إلي المحافظة على مذابح الأسرة والإبقــاء علــى مقابر الأجداد ، و كان الأثينيون يسألون المرشحين للأرخونين حول مذابح ومقابر الأسرة و عن مدى الرعاية للأباء ، و لعلهم كان عليهم أن يقدموا الشهود على هذه الأمــور ، كمــا أن قــانون المــيراث الأثيني يظهر مرة أخرى الرغبة القوية في الاحتفاظ بــالأرض فــي الأســرة هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أورد لنا ثلاثة فئات بجانب الفئة الســابقة و أولهــا : طبقة الفرسان و دخلها يتراوح ما بين ٣٠٠ و أقل من ٥٠٠ معيار و بهــذا علــيهم تقديم حصاناً للدولة . وقدر العالم جلوتنز ما كان ينبغي أن تملكه هذه الطبقة مــن أرض فقدر ملكيتها لمساحة تتراوح ما بين ١٢و١٥ فداناً من أرض الكروم ، ومساحة تــتراوح مــا بين ٤٥و٧٥ فداناً من أرض الحبوب أو مساحة من أرض الحدائق الأعناب و

أرض الحبوب تتراوح ما بين ٣٠و٤٥ فداناً . و يمكننا قبول هذا بالنسبة لملاك الأرض لكن ما هو الوضع بالنسبة لصناع و رجال الأعمال ؟ يمكننا القول بأن من كان يحقق دخلاً يتراوح أكثر من ٣٠٠ وأقل من ٥٠٠ معيار سواء من حرفته الصناعية أو من تجارته . كان يعد من بين أعضائها و تشير المصادر إلي انتقال أحد الأفراد من طبقة الأجراء (thetes) إلي طبقة الفرسان نظراً لأنه قد حقق دخلاً يؤهله ليكون عضواً في طبقة الفرسان . ويرجح أن هذه الطبقة كانت موجودة قبل صولون .

و ثانيهما : طبقة أصحاب زوج من الثيران (Zeugitai) ؛ و المستخدم في حرث أرضهم ، و كان يقدر دخلهم ما بين ٢٠٠ معيار وأقل من ٣٠٠ معيار . و يقدر العالم جلوتنز ثروة و حيازة الشخص منهم من الأرض بمساحة تتراوح ما بين ٧و١٠ أفدنة من أرض الكروم ، ومساحة تتراوح ما بيمن ٣٠و٥ فداناً من أرض الحبوب . وبمساحة من الأرض المختلطة كروم و حبوب قدرها أكثر من ٢٥ فداناً . ونجد أن هذه الفئة من أصحاب الأرض بجانب الحرفين و الصناع و التجار الذين كانوا يحققون دخلاً يضعهم في هذه الفئة كانوا ممن يخدمون في المشاة ثقلي العدة . ولعل هؤلاء النفر من الحرفيين و التجار تم ضمهم في هذه الفئة و أصبح لهم دور فاعل في الحياة السياسية و ذلك للحاجة إلي جهودهم في الدفاع عن الدولة ، وثالث الطبقات : هي طبقة مكونة من الملاك الصغار ، ومن الحرفيين و التجار و العمال الأجراء . وكان دخلها أقل من ٢٠٠ معيار سواء أكان من الحبوب أو النبيذ أو الزيت .

و يوجد فئة (hektemoroi) في قاع التنظيم الاجتماعي اختلف الباحثون حول تحديد وضعها فنفر من الباحثين رأي أنهم عمال أجراء عملوا في أراضي الأشراف ، ونفر آخر يرى أنهم مستأجرو أرض الأشراف و يرى فريق ثالث أنهم من ملاك الأرض المعسرين و الذين اقترضوا من الأشراف قروضاً من الحبوب و احتياجاتهم الضرورية فلم تكن العملة قد تم سكها بعد و أنهم بأملاكهم و بأشخاصهم وأسرهم قد ضمنوا سدادها أو بعبارة أخرى رهنوا أملاكهم و أنفسهم و لم يستطيعوا الوفاء بردها في الموعد المضروب بينهم ، و من ثم فقد عمل الأشراف على ربطهم بالأرض و الحصول منهم على حصة من محصول أرضهم . و يختلف الكتاب القدامى حول الحقيقة أو النصيب الذي كان يسلمه

هــؤلاء الــزراع للأغنــياء إذ يذكــر كل من أرسطو و بلوتارخ من جهة ، أن هؤلاء كانوا يعطــون ســدس محصولهم و أن أرسطو استخدم مصطلح إيجار بينما يذكر الكتاب القدامى المتأخريــن من جهة أخرى، أن هؤلاء الزراع كانوا يحتفظون بسدس محصولهم فقط ... و يسلمون باقي المحصول للأغنياء و السبب في هذا الاختلاف أن كلا الفريقين قد أعتمد على التفسير اللغوي لأصل الكلمة غير الواضح .

كمــا أن نفراً من الباحثين المحدثين شايع كل من أرسطو و بلوتارخ ، بينما شايع فريق آخر الكتاب القدامى المتأخرين في رأيهم . واختلفوا أيضاً في إذا ما كانت الحصة ـو هــي السدس من المحصول_ ثقيلة العبئ على الزراع بينما رأى نفر آخر أن نسبة السدس لــم يكــن عبئاً ثقيلاً كما تصور أرسطو و كتاب آخرون . فمن الواضح أن الحصة المسلمة تعــتمد علــى حجــم و خصــوبة الأرض ، ولهذا فيمكن أن يكون هناك اختلافات كبيرة في الوضع الذي يجد فيه الزراع أنفسهم .

و أمــام هــذا الخــلاف يقــدم أحد الباحثين المحدثين رأياً و تفسيراً آخر يقوله أن المكــيال (Medimnus) كان ينقسم إلي ستة حصص و كل حصة تكون (hekteus) ، و أنــه من الممكن أن الحصص التي كان على الزراع (hektemoroi) تسليمها تحسب على أســداس الميدمــنوس (Medimnus) ، وأن عــدد الحصص (hekteis) في الميدمنوس الواجب تسليمها من قبل الزراع يمكن أن تختلف .

ويوجد تفسير آخر فحواه أن الزراع (hektemoroi) قد رهنوا أنفسهم بالتخلص من حصتهم بالعمل في أرض السيد لمدة ست أقساط عادة لست سنوات متتالية .

و يوجــد رأي آخــر و القائل بأن صولون قد أبقى للزراع (hektemoroi) ملكية الأراضــي التــي يزرعونها من أرض الأغنياء و هو بهذا الأجراء قد قام بإصلاح خطير في نظــام (الملكية) فقد كان من أثره خلق طبقة كبيرة من الملاك الأحرار ، وأنه لا يوجد سبب ضد هذا الاعتقاد بأن هذا لم يحدث .

و فــي الواقــع فأن هذه الآراء الصادرة عن الباحثين المحدثين هي كلها مثل آراء الكــتاب القدامــى حيث أنها اعتمدت على التفسير لمصطلح (hektemoroi) ، و إن كان بعــض الكتاب قد حاول أن يجد تشابه بين الزراع (hetklemoroi) وبين نظام التبعية في

روما ، وافترض هذا النفر من الباحثين أن هؤلاء الزراع قد قبلوا بشكل حر سلطة الملاك الأغنياء كي يحموا أنفسهم من البيع كعبيد في الدين .

جملة القول أن المجتمع الأثيني و الأتيكي قد شاهد احتقان بين رجالات القبائل و فروعها الذين حاولوا الحفاظ على امتيازاتهم و قصرها عليهم دون غيرهم ممن لم يسجلوا في القبائل من O rgeones كما أن هناك احتقان و تنافر اجتماعي بين الأغنياء و الأشراف بالمولد و الثروة و بين الأغنياء الجدد ومحدثي النعمة من رجالات الصناع و الأعمال في أتيكا و الذين حققوا ثروات منقولة قد تفوق ثروات الأشراف بالمولد و الثروة المعتمدة على الأرض الزراعية . وتحت الضغط الشديد وجدنا إعادة تصنيف المجتمع القبلي إذ تم قبول Orgeones في البطون (Phratria) و تصنيف المجتمع وفقاً للثروة فقط لا للثروة و المولد . مع ازدياد أحوال بعض الطبقات والفئات سوءاً و خاصة الفئات من صغار الملاك والأجراء و تعرضهم للاقتراض و الاستدانة ثم عدم قدرتهم على سداد ما عليهم من ديون مما ترتب عليه أن تم استغلالهم بأشخاصهم و أملاكهم من قبل دائنيهم ، بل كان يحق لدائنيهم بيعهم في سوق النخاسة متى شاءوا . كما أن المدنية قد عانت من الزيادة السكانية كما أن استمساك الأشراف بالسلطة و السياسية والدينية و معرفتهم بالقانون دون غيرهم جعل الفئات الأخرى تطالب بحقوقها وأن يكون لها دورها هذا فضلاً عن تسجيل القوانين حتى لا يكونوا تحت رحمة الأشراف و الذين هم الآخرين لم يكونوا يداً واحدة بل كان الصراع بينهم يضعفهم .

محاولة إقامة حكم الطغيان الأولى :

شهد النصف الثاني من القرن السابع قيام حكم الطغاة في العديد من المدن اليونانية كما شهد المحاولة الأولى لإقامة حكم الطغيان في أثينا و التي لا يوجد اتفاق على تاريخها فقد كسب كيلون في دورة الألعاب الأوليمبية في عام ٦٤٠ ق.م ويقال أنه قام بمحاولته في أثناء دورة الألعاب الأوليمبية ولا ندري إن كانت الدورة التالية مباشرة أم في الدورة التالية عليها ويرجح البعض أن محاولته لإقامة حكم الطغيان كانت في عام ٦٣٢ ق.م و بتعضيد من ميجارا فقد حاول كيلون أن تغضيد حماه ثيوخيس طاغية ميجارا في

الإمســـاك بمقالـــيد الأمـــور في أثينا بالقوة و دون اللجوء للأساليب الدستورية ، ويختلف المؤرخـــون القدامـــى فـــي سردهم تفاصيل الحادثة إذ يقول هيرودت أن كيلون و أتباعه لم يـــنجحوا في السيطرة على الأكروبول ودفع حياته ثمناً لمحاولته هذه بينما يقدم ثيوركيديس معلومات أكثر تفصيلاً عن محاولة كيلون فيذكر أنه استشار وحي دلفي قبل قيامه بمحاولته الـــثورية فأجابـــه الوحي بأنه يجب عليه الهجوم مع انصاره على الأكروبول و احتلاله أيام العـــيد وقـــد اعتقد كيلون بأن المقصود بالعيد هي الاحتفالات الأوليمبية التي كان قد قرب موعدهـــا ، فـــي حيـــن أن كهنة الوحي قصدوا حسب زعمهم فيما بعد عيداً أخر يخرج فيه الســـكان من أثينا إلي خارجها . وهو عيد (D usia) و في ضوء هذا الوحي قام كيلون و نفر من الشباب مثله و بعض الجنود الذين أرسلهم حماه ثيوجيس . ويذكر أن المتآمرين قد اســـتولوا على الأكروبول أثناء الحفلات و لكنهم لم يسيطروا عليه لفترة طويلة ، إذ عندما ســـمع الأثينـــيون بذلك جاءوا من الريف مسلحين و حاصروا المتآمرين على الأكروبول ، ولكـــن تعب الأثينيون من الحصار ورحل أغلبهم تاركاً مهمة الأشراف على الحصار للحكام التســـعة المسئولين في المدينة مع منحهم كامل السلطة في اتخاذ ما يلزم، وفي نفس الوقت فـــأن كـــيلون و معاونـــيه قد عانوا من نقص الطعام و الماء نتيجة للحصار و نجح كيلون وأخـــوه فـــي الهرب ، ولكن البقية الذين كانوا في وضع سيئ إذ مات بعضهم من الجوع ، لجـــأو بقيـــتهم إلي المذابح و تم وعدهم بالأمان و العفو عنهم أو وعدهم بمحاكمة عادلة و لكـــن بعد أن استسلموا قبض عليهم وقتلوا جميعاً غدراً و أن الزعماء و الرجال الذين قاموا بهذا العمل قد نفوا جميعاً و كان الأرستقراطي ميجاكليس بن الكميون مسئولاً عن هذا العمل .

ولا تقـــدم لنا المصادر أسباب الفشل الحقيقية لمحاولة كيلون . فهل كان راجع إلي شخصـــه وقدراتـــه أو بسبب موقف الأثنيين المعادي للمساعدة التي تلقاها من الخارج من مـــيجارا عدوة أثينا ، و التي أرادت أن يكون لها النفوذ في أثينا و ذلك بإقامة حكم الطغيان بهـــا . وهـــذا مـــا حدث بالفعل على ما يبدو فقد هب الأثينيون لمحاصرته ، ثم تركوا الأمر للمســـئولين للتصـــرف فيه وهذا يشير إلي عدم تأييد الأثينين من أرستقراط وعامة لكيلون علـــى الرغم من أن الصراع كان موجوداً في جماعات الأشراف في أقاليم أتيكا المختلفة . و

هذا ما نستخلصه من التنافس بين العشائر النبيلة الذي كان قائماً فقد تبع قتل أنصار كيلون اجـتماع الأشراف حيث اجتمع ٣٠٠ عضو من بينهم و عندما وجدوا أن ميجاكليس الحاكم المدنـي مداناً و قرروا طرد أسرته و عشيرته و ذلك لتدنيس المقدسات ، واشتمل النفي كل العشـيرة و لم يتم الاكتفاء بطرد الأحياء بل نبشت قبورهم و أخرجت جثث موتاهم و ألقيت خـارج حـدود أتـيكا ، وعلى الرغم من المبالغة في الرواية إلا أنه من الواضح أن أسرة الكمـالون قد عوقبت . ولكنها عادت في النصف الأول من القرن السادس و لم تكن العقوبة كما صورتها الروايات إذ نجدهم قد احتفظوا بأملاكهم .

و نـتج عن هذه المحاولة أيضاً قيام الحرب بين ميجارا و أثينا ولما كان الأسطول المـيجارى أقـوى من الأسطول الأثيني فقد كانت الغلبة للأول ، و من ثم كان النصر حليفاً لميجارا ، و تعرضت سواحل أثينا للغزو و تضررت أثينا من هذه الحرب فقد أغلقت أسواق مـيجارا فـي وجـه الأثينين حيث توقف تصدير الزيت الأثيني و أدي هذا إلي اضطراب في الأحوال الاقتصادية و تذمر العامة على الأشراف .

<u>دراكون و تشريعاته :</u>

لقـد كشـف محاولـة كيلون الفاشلة عن الصراع بين الأشراف و الأشراف ، فقد طالـب أقارب اتباع كيلون الذين قتلوا بعقاب مرتكبي جريمة الاعتداء على اللجوء المقدس مـن قـبل ميجاكلـيس و أتباعه ، كما زاد من التوتر بين الأشراف و العامة سوء الأحوال الاقتصـادية من جهة و احتكار الأشراف للقضاء والحكم في القضايا من جهة أخرى ، وإذا كـان مـن مهـام القضاة الستة (themothctai) تسجيل الأحكام الصادرة في القضايا و إصـدار الأحكام وكان هذا التسجيل لا يعني تشريعاً و إنما يعني أنهم كانوا يسجلون الأحكام بغرض الاهتداء و الإقتداء في قضايا تالية تعرض عليهم .

لقـد كان دراكون المشرع الأول في أثينا وفقاً للمصادر و أن كنا لا نعرف عنه إلا القلـيل و أن كـان البعض قد اعتبره أسطورة و لكن هذا الرأي يجانبه الصواب إذ لا يوجد شـك في وجوده التاريخي و أنه قام بتسجيل و وضع القوانين و ما تم تكليفه به منها إبان الدورة الأوليمبية ما بين ٦٢٤_٦٢١ / ٦٢٠ ق.م وعموماً فقد تم تكليفه ٦٢١/٦٢٠ ق.م

بكـتابة القوانيـن الأثينية ، وليس بالضرورة افتراض أنه تم اختياره كحاكم ، ولعله قد تم تعيينـه كمشـرع كمـا حدث في لوكري و كاتانا (Catana) و في أماكن أخرى . وهذا ما يؤكـده قول أرسطو أنه قد صاغ تشريعاته في عهد الحاكم Aristechmus و كتاب العصر اليوناني الروماني يجعلون حدوث هذا في عام ٦٢١/٦٢٠ ق.م و يقول أسترود (Stroud) أن السـبب فـي هـذا الخلاف يعود إلي خطأ في نسخ المخطوطات ، فالروايات في الواقع واحدة ، وأنه يحدد ٦٢١/٦٢٠ ق.م كتاريخ لوضع جزء كبير من قوانين القتل . ويقال أنه أسـتعان في تدوينه بعدد من القضاة (themothetae) ، واستخدم دراكون كأساس لقانونه مـا كـان مسـجلاً من أحكام قضائية . ولا يمكننا أن نقبل كل ما كتب عنه و عن تشريعاته كحقـائق مسـلم بها ، فعلى سبيل المثال يذكر أرسطو في الفصل الرابع من دستور الأثنيين إجـراءات دسـتورية منسـوبة لدراكون و لكنها في الواقع لا تتطابق مع الأحوال في بلاد اليونان في العصر الأرخي ، ولكنها تتطابق مع الإجراءات المعروفة في العصر الكلاسيكي . و يقـول في موضع آخر أنه دون القوانين للدستور الذي كان موجوداً بالفعل و على الرغم مـن أن هـناك محـاولات للبرهنة على وجود دستور لدراكون و لكن هذا الأمر لا نستطيع تأكـيده و مـا يمكنـنا قوله أنه كان مشرعاً وساناً للقانون و لكن ليس لدستور . و لقد تم تفسـير تدوين القوانين على أنه محاولة من الأشراف للتخفيف من حالة عدم الرضا الشعبي إذ كـان المواطـنون الأثينيون مدركين للقوانين المكتوبة في مدن يونانية أخرى و أنهم لم يعودوا راغبين في قبول أحكام الأسر الشريفة و قضاتها الذين كانوا يعتمدون على الوساطة و الأحكام الشفوية و كانوا معارضين لأي تشريع مكتوب .

لقـد أكـد الكتاب الكلاسيكيون على قسوة قوانينه فينسب الخطيب الأثيني ديماديس (Demades) مـن القرن الرابع القول بأن دراكون قد كتب قوانينه بالدم و ليس بالحبر فلم يكـن في شرائع دراكون سوى عقاب واحد لجميع الأخطاء وهو الموت فمن سرق كرنبة أو بقـولاً أو فاكهـة كـان عقابه عقاب من أرتكب رجساً أو قتل أنساناً . وقيل لدراكون لماذا جعلـت المـوت عقـاب كل خطأ فقال لأني و حدت أقل خطأ يستحق الموت و لم أجد غيره للجـرائم الكبرى . كما أن قوانينه الخاصة بالقروض قد ميزت بين الأثرياء من الأشراف و بين الضعفاء و بين رجال العشائر من جهة وبين Orgeones من جهة أخرى إذا ما وقعوا

فـــي ضـــائقة الدين ، وإذا ما وقع الأول في دين كانوا على الأقل لا يتم بيعهم كعبيد ، وأن المصـــير الـــذي كان ينتظر الفقير طبقاً لبلوتارخ الاسترقاق و البيع في سوق النخاسة ، و هكذا لم يفعل شيئاً لإنقاذ المدنيين من الاسترقاق . والحقيقة أن دراكون جمع في شرائعه ما كان قبله من عادات و أعراف قاسية . وكان من الشائع أن يطلق على الإجراءات القانونية الصارمة بالإجراءات الدراكونية .

و لا نعـــرف إلا القليل حول قوانينه و تشريعاته فيما عدا قانون القتل و السبب في ذلـــك كمـــا يقـــول بلوتارخ أن صولون ألغى جميع شرائع دراكون لصرامتها و عدم تناسب العقـــاب و لـــم يشـــتمن مـــنها سوى عقوبة القتل . وينسب إليه أيضاً أنه سن قانوناً وسع بمقتضـــاه إلـــي حـــد ما دائرة من لهم الحق في أن يختاروا أراخنة حتى شملت كثيرين من الأغنياء الجدد .

و لديـــنا مصادر جيدة عن قانون القتل الدراكوني الباكر ، فلدينا فقرات و اقتباسات مـــنه ضمنتها لنا الخطباء و الكتاب الموسوعيون و نقش يعود تاريخه إلي الفترة الكلاسيكية من عام ٤٠٩_٤٠٨ ق.م أعيد فيه نقش قانون دراكون بشأن القتل و نعرف منه أنه قد تم تكلـــيف لجـــنة بإعادة نشر القانون ، و إن كان النقش قد أصاب بعض أجزاؤه التلف إلا أن الباحثيـــن المحدثين أكملوا ما نقص منه من معلومات بشكل كبير من خطب ديموشونيس ، ومـــن خطباء آخرين و من الكاتب الموسوعي بولاكس و الذي كان مطلعاً بشكل واسع على الكثـــير مـــن الخطـــب، كما أن كل من أرسطو و دثيمونيس يقدمان لنا معلومات عن محاكم الجـــنايات ، على الرغم من أنه ليس من الواضح لنا كم يكون العدد الذي أقره دراكون من هذه المحاكم .

و فـــي الـــنقش الـــذي أعيد فيه تسجيل قانون القتل لدراكون ، وأن ephetai ، وعددهـــم واحد وخمسون عضواً هم الذين يفصلون في قضايا القتل العمد و غير العمد ، و أن العقوبـــة تباينت وفقاً لظروف جريمة القتل . فالقتل غير العمد كانت عقوبته النفي خارج الحـــدود ، كما أن النقش يشير إلي قيام ملوك القبائل في إصدار الحكم في هذه القضايا أيضاً .

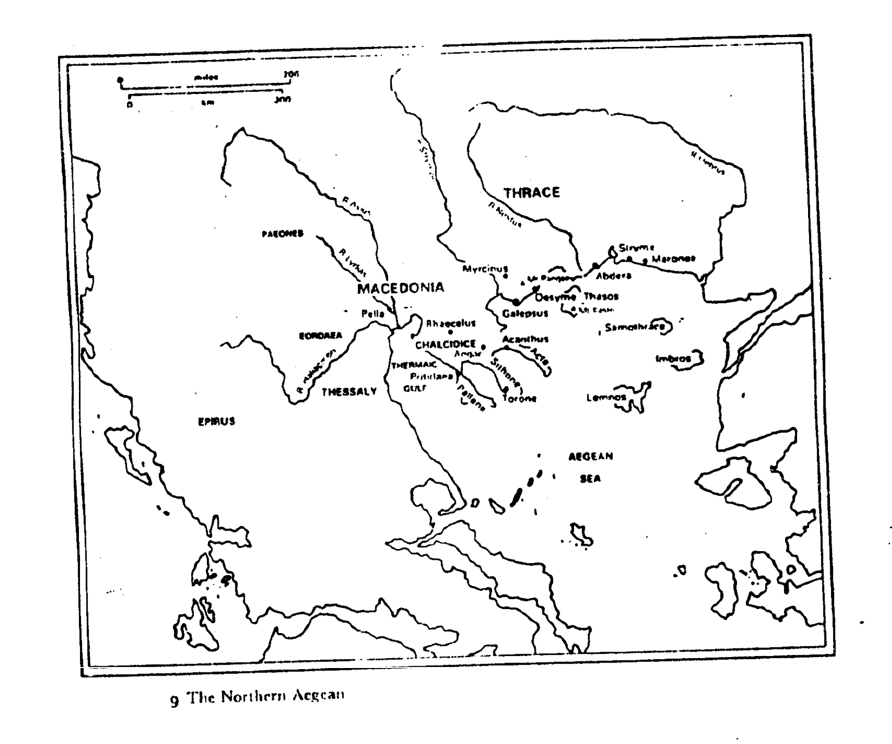
ويقــدم لــنا ديموثنــيس قانوناً مبكراً حول القتل غير العمد و بدون أن ينسبه إلى دراكــون علــى الرغم من تطابقه مع قانونه إذ ينص على أن الرجل الذي أرتكب القتل غير العمــد ينبغــي أن يترك أتيكا عبر طريق محددة و في فترة ز منية محددة و ينبغي أن يبقى فــي المنفــي حتى يمنحه أقارب القتيل العفو ، كما نجد أن دراكون قد حدد التعويض الذي يدفعــه الجانــي لأقــارب الضحية و ذلك بغرض وقف إراقة الدماء ، وهذه الممارسة كانت معــروفة فــي العقــائد الهومرية حيث تكون معنى لفظة (Poine) الدية . وقد ذكر كاتبان موسوعيان هما فوتيوس (Photius) من بيزنطة و صودا suda المصطلحات apoenan poinan,apoina , بمعــنى الديــة مــن قانون صولون . و يذكر يوليويس بوللاكس أن الغرامة للقتل العمد أو ألحاق الأذى البدني و الجروح .

ووفقاً لهذه الاعتبارات يمكننا القول أن العقوبات و الأخذ بالثأر كان من حق أهالي القتــيل ســواء كان القتل متعمداً أو غير متعمد . ولهم أن يحصلوا على الدية و العفو عن القاتل أو الانتقام منه إذا لم يدفع الديه و كان ذلك قبل تشريع دراكون ، وهذا يشير إلى قوة الأســر و العشــائر في مقابل ضعف سلطة الدولة في هذا المجال ، ولكن ما شرعه دراكون بشــأن الانــتقام و الأخــذ بالثأر قد فرق بين القتل العمد وغير العمد و أنه قد أوجد محكمة epheti لــتقرر إذا ما كان القتل عمداً أو غير عمد ، فإذا ما كان القتل عمداً كان من حق الأهل الانتقام و الدية وهذا ما مكان سابقاً على زمن دراكون ، قبل تشريعه ، و لكن الجديد الــذي أوجــده دراكــون هو أنه زاد من سلطة وقوة الدولة في جريمة القتل غير العمد إذ أصبحت الدولة هي التي تقرر العقوبة و هي نفي القاتل خارج البلاد .

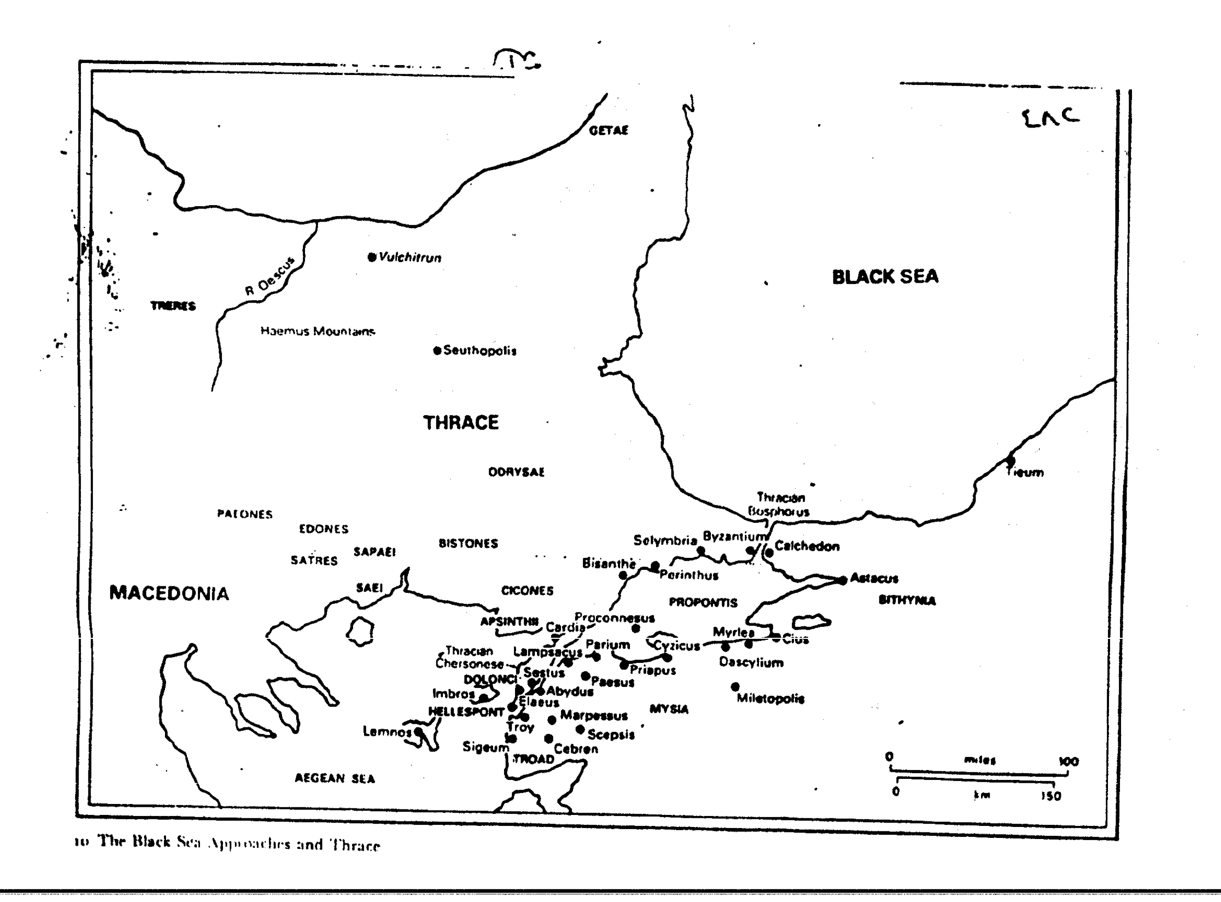
جملــة القول أن مناقشة قانون دراكون تكون مخيبة للآمال و ذلك لتغييرها من قبل صــولون نتيجة لقسوتها و شدتها و لم يبق لنا منها إلا قانون القتل ، و الذي كشف لنا عن تعديــلات أدخلهــا دراكون زادت من خلالها سلطة الدولة على حساب قوة الأسر و العشائر فقــد أكد في قانونه على حق الدولة في التدخل للحد من الخلافات الأسرية و إملاء إرادتها علــى الرعية لإنه لا يسر الآلهة إراقة الدماء فظلال الدماء يمكن أن تجلب الدنس على كل الجماعة .

المحتويات

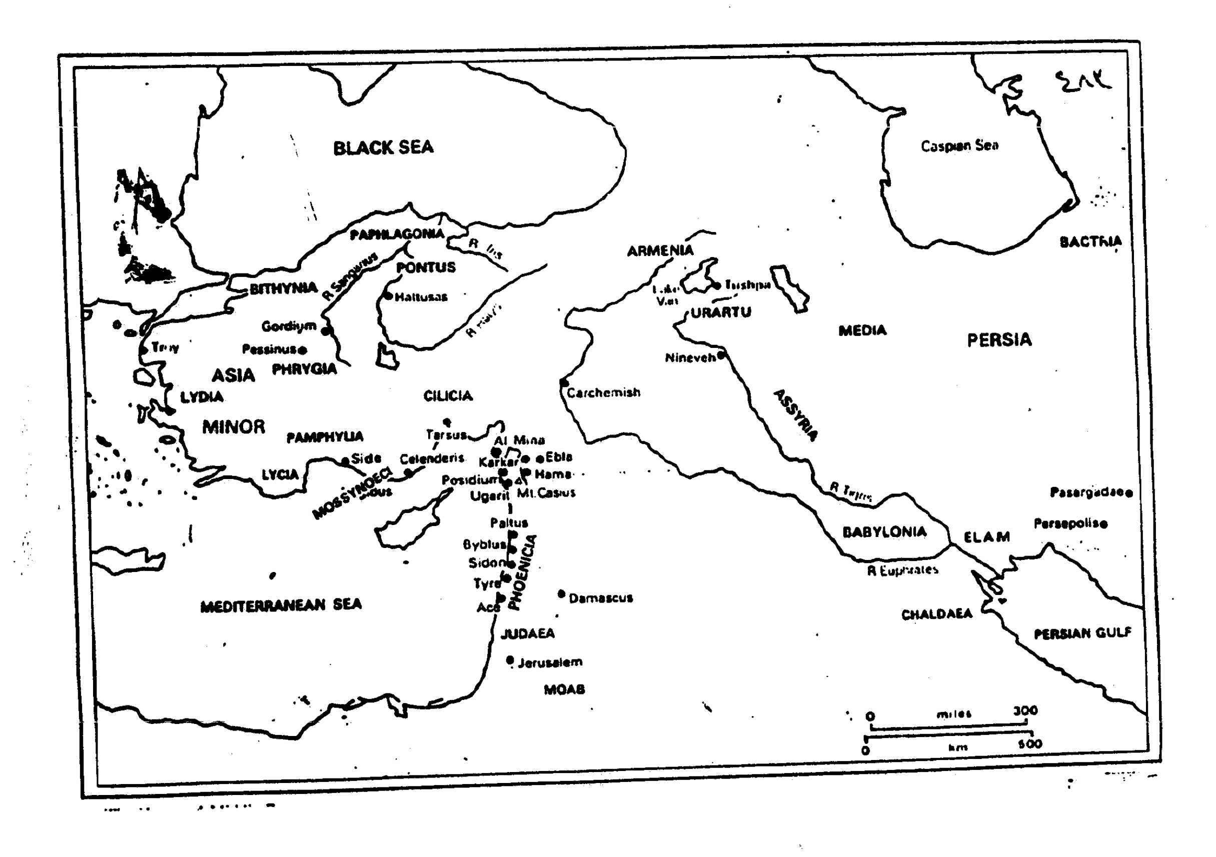
تم بحمد الله

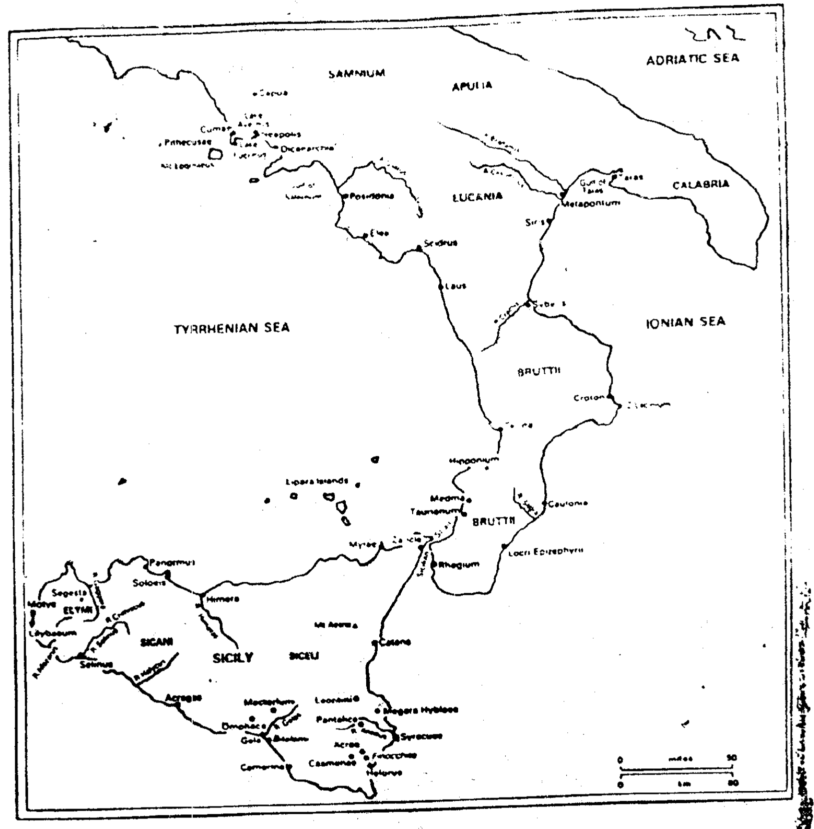


9 The Northern Aegean



10 The Black Sea Approaches and Thrace

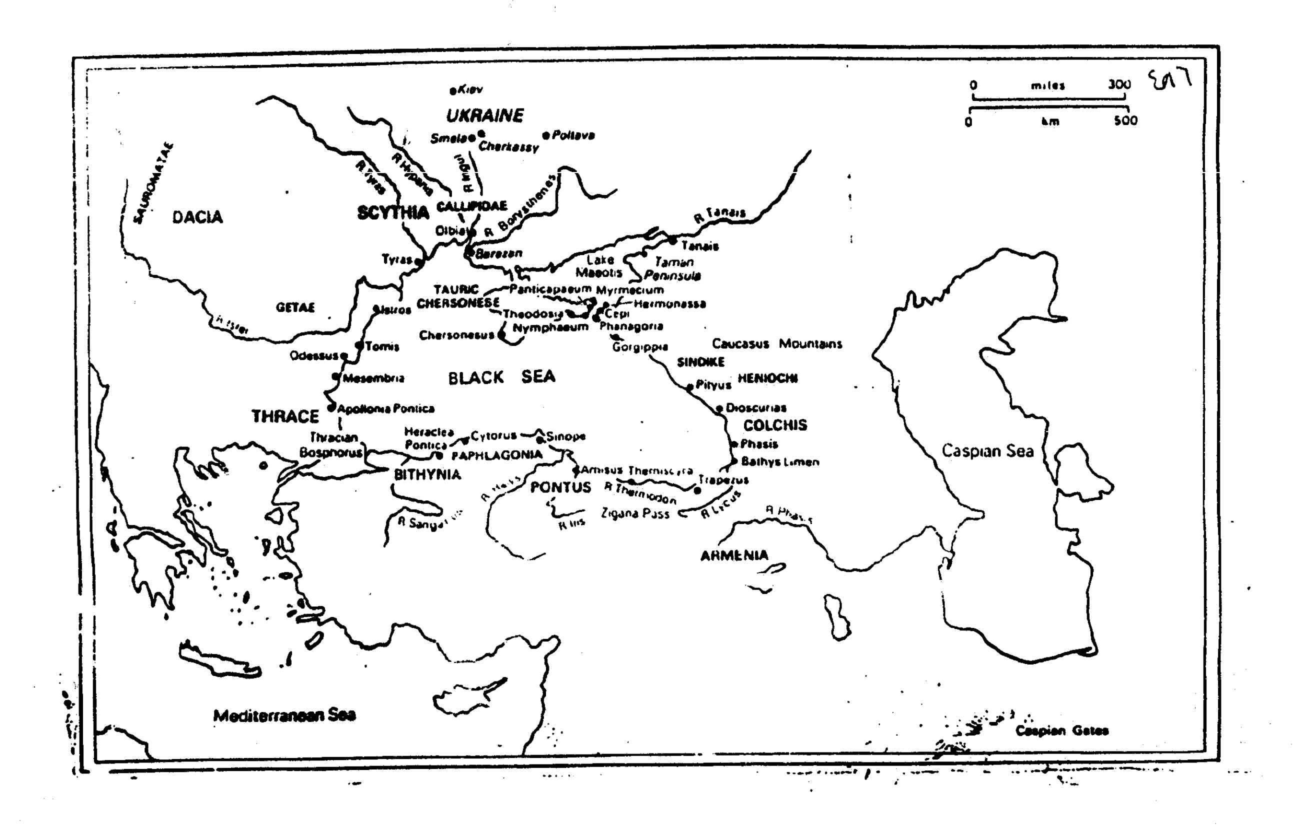

BLACK SEA
Caspian Sea
BACTRIA
PAPHLAGONIA
PONTUS
R. Iris
R. Sangarius
Hattusas
BITHYNIA
Gordium
Pessinus
Troy
ASIA
PHRYGIA
LYDIA
MINOR
PAMPHYLIA
LYCIA
Side
MOSSYNOECI
CILICIA
Tarsus
Celenderis
Al Mina
Karkar
Ebla
Hama
Posidium
Ugarit
Mt. Casius
Paltus
Byblus
Sidon
Tyre
Aco
PHOENICIA
Damascus
JUDAEA
Jerusalem
MOAB
MEDITERRANEAN SEA
ARMENIA
Tushpa
URARTU
Nineveh
Carchemish
MEDIA
PERSIA
ASSYRIA
R. Tigris
BABYLONIA
ELAM
Pasargadae
Persepolis
R. Euphrates
CHALDAEA
PERSIAN GULF
0 miles 300
0 km 500



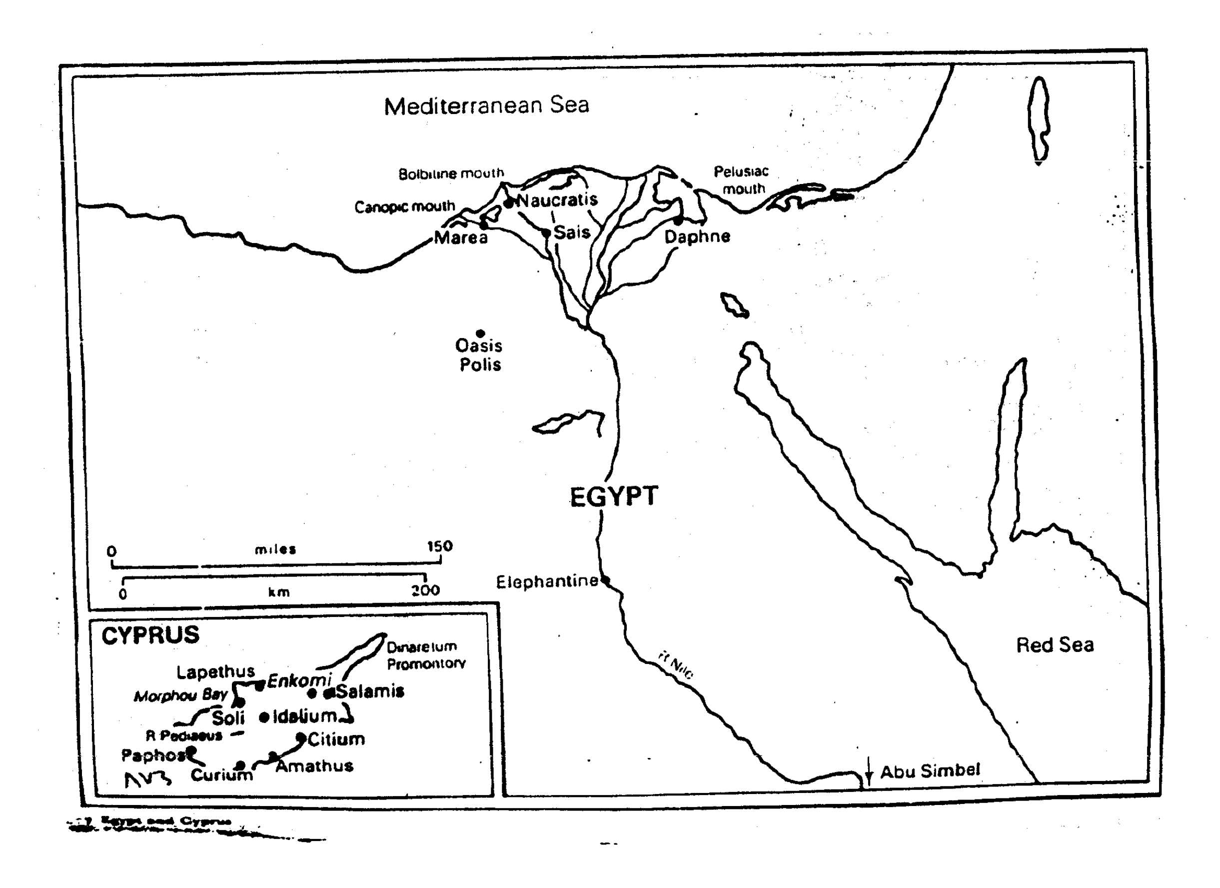
13 The Etruscan City-States

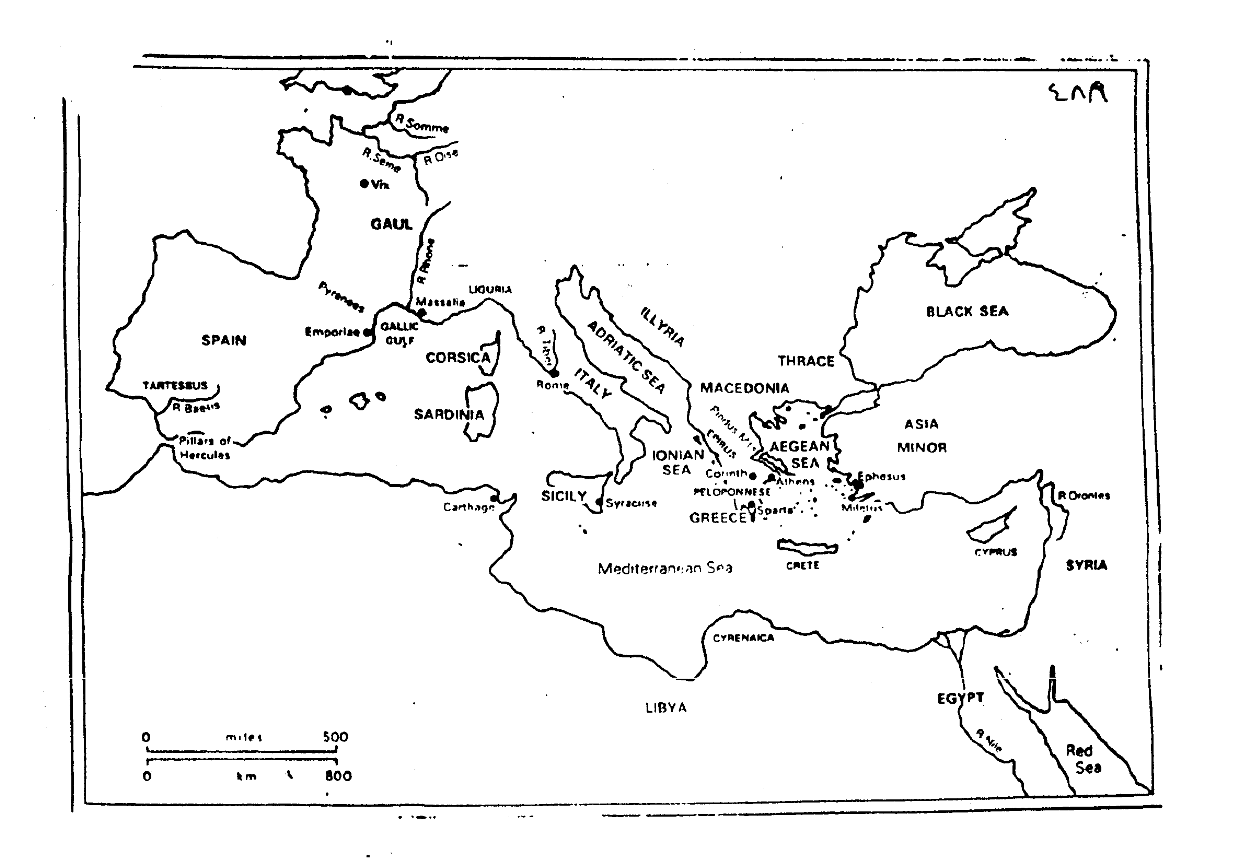


8 Southern Italy and Sicily



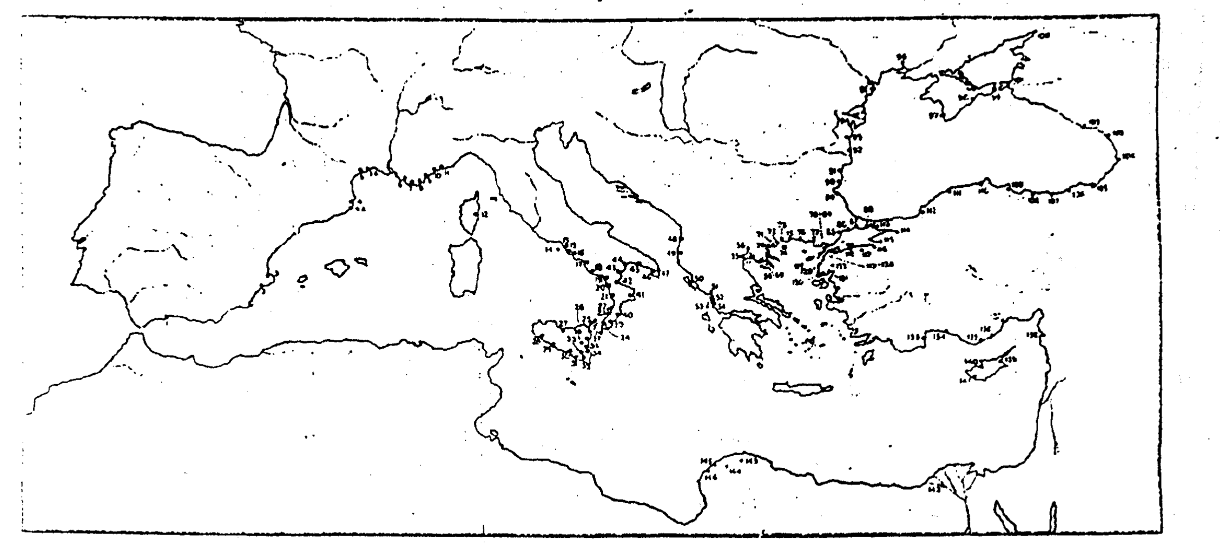
0 miles 300
0 km 500
Kiev
UKRAINE
Smela
Cherkassy
Poltava
R Tyras
R Hypanis
R Ingul
R Borysthenes
SAUROMATAE
DACIA
SCYTHIA
CALLIPIDAE
Olbia
Berezan
R Tanais
Tanais
Taman Peninsula
Lake Maeotis
Tyras
TAURIC CHERSONESE
Panticapaeum
Myrmecium
Hermonassa
Theodosia
Cepi
Nymphaeum
Phanagoria
Chersonesus
Gorgippia
Caucasus Mountains
GETAE
Istros
Tomis
Odessus
Mesembria
BLACK SEA
SINDIKE
Pityus
HENIOCHI
Dioscurias
COLCHIS
Phasis
Bathys Limen
THRACE
Apollonia Pontica
Thracian Bosphorus
Heraclea Pontica
Cytorus
Sinope
PAPHLAGONIA
BITHYNIA
Amisus
PONTUS
R Thermodon
Trapezus
Zigana Pass
R Lycus
ARMENIA
Caspian Sea
Mediterranean Sea
Caspian Gates


Mediterranean Sea
Bolbitine mouth
Canopic mouth
Naucratis
Sais
Marea
Pelusiac mouth
Daphne
Oasis Polis
EGYPT
Elephantine
R Nile
Abu Simbel
Red Sea
0
miles
150
0
km
200
CYPRUS
Dinaretum Promontory
Lapethus
Enkomi
Morphou Bay
Salamis
Soli
Idalium
R Pediaeus
Citium
Paphos
Curium
Amathus

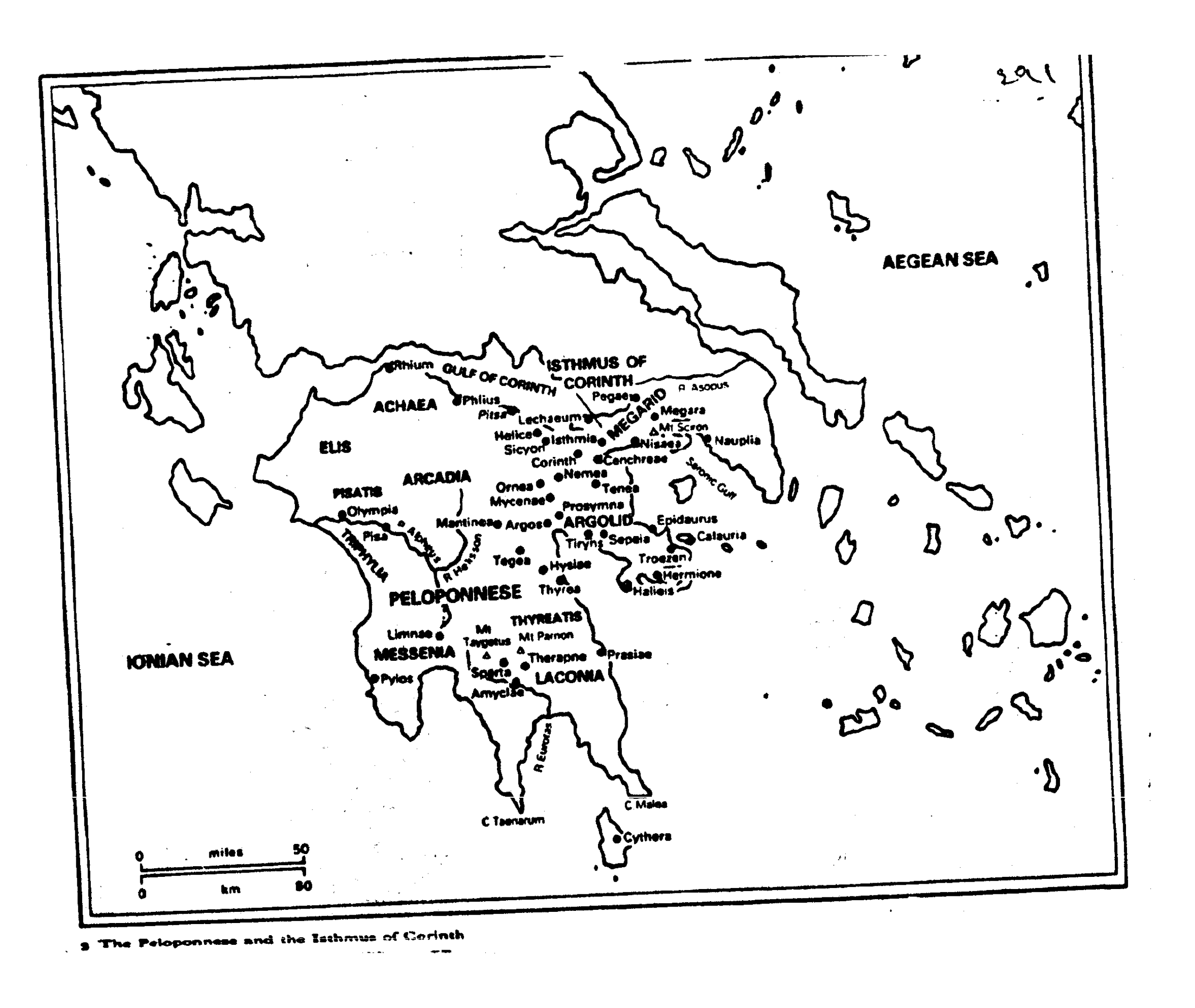

GAUL
R Somme
R Seine
R Oise
Vix
R Rhone
Pyrenees
Massalia
LIGURIA
SPAIN
Emporiae
GALLIC GULF
CORSICA
SARDINIA
TARTESSUS
R Baetis
Pillars of Hercules
Carthage
R Tiber
Rome
ITALY
ADRIATIC SEA
ILLYRIA
SICILY
Syracuse
IONIAN SEA
MACEDONIA
THRACE
EPIRUS
AEGEAN SEA
Corinth
Athens
PELOPONNESE
Sparta
GREECE
Ephesus
Miletus
BLACK SEA
ASIA MINOR
CRETE
CYPRUS
R Orontes
SYRIA
Mediterranean Sea
CYRENAICA
LIBYA
EGYPT
Red Sea
0 miles 500
0 km 800



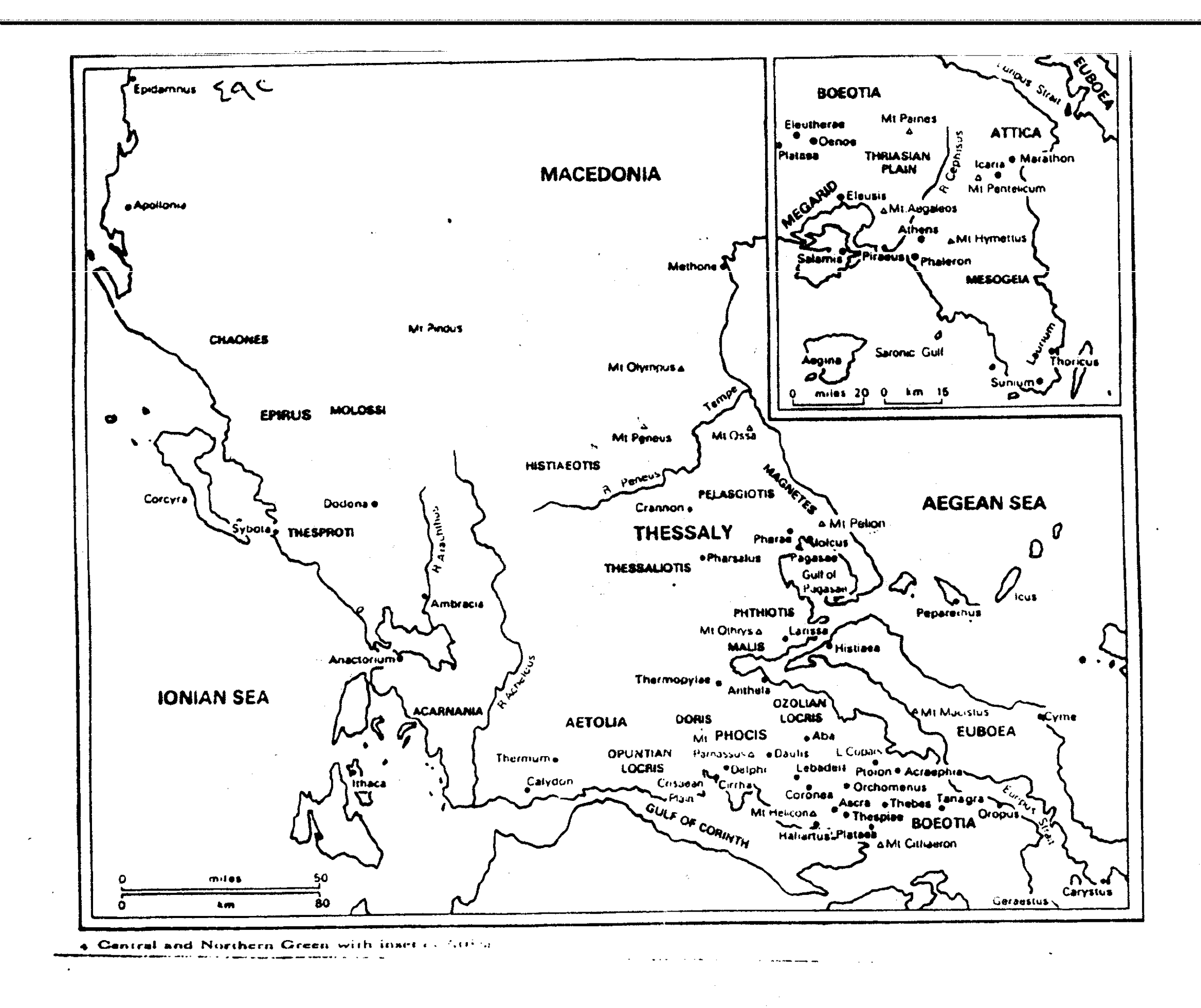
5 The Eastern and Central Aegean



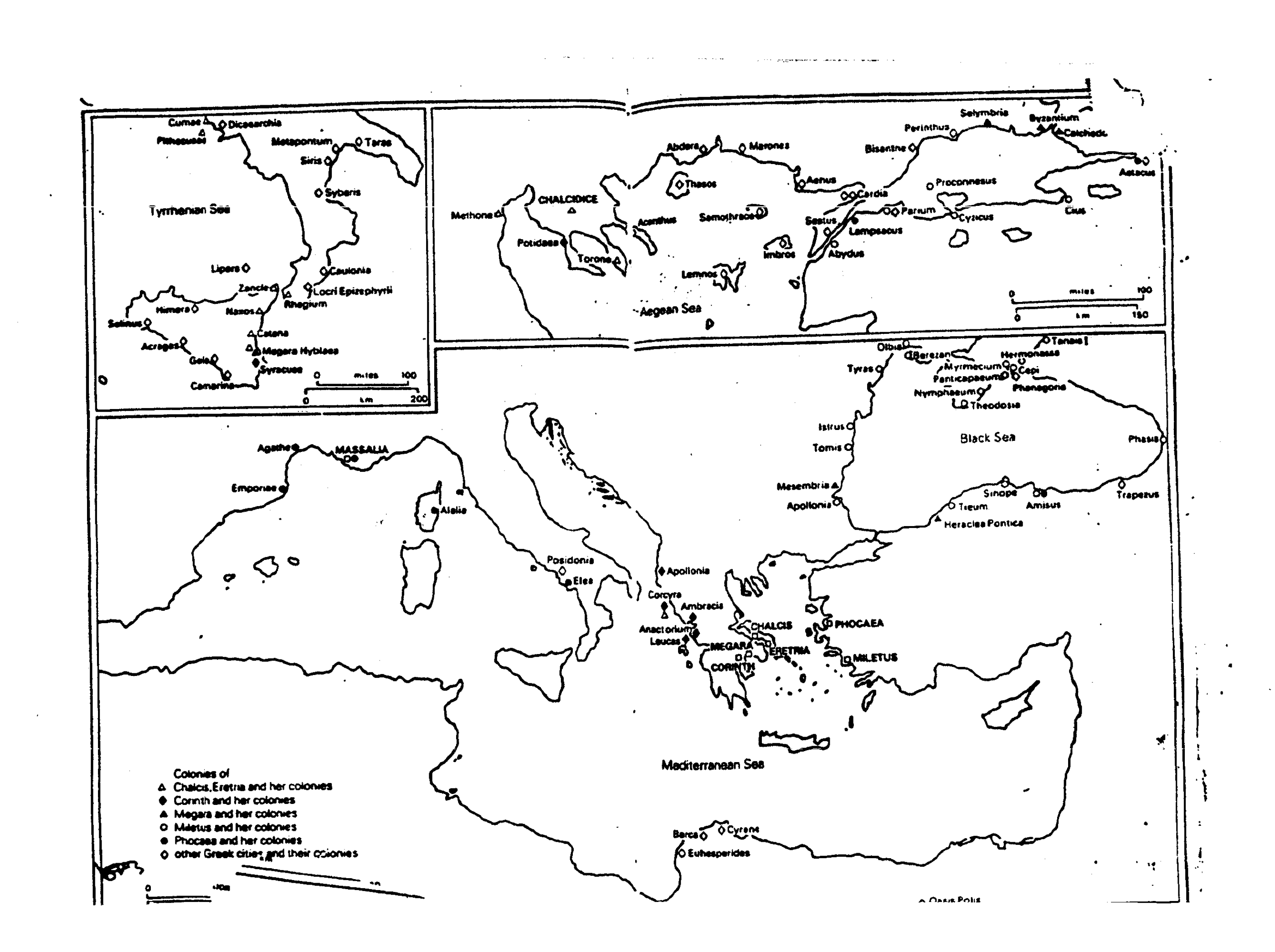
GREEK COLONISATION : only colonies founded between 800 and 500 B.C., and the earlier settlements in Cyprus, are shown.



3 The Peloponnese and the Isthmus of Corinth



4 Central and Northern Greece with inset of Attica


Tyrrhenian Sea
Aegean Sea
Black Sea
Mediterranean Sea
CHALCIDICE
MASSALIA
CHALCIS
ERETRIA
MEGARA
CORINTH
PHOCAEA
MILETUS
Cumae
Pithecusae
Dicaearchia
Metapontum
Taras
Siris
Sybaris
Lipara
Caulonia
Zancle
Locri Epizephyrii
Rhegium
Himera
Naxos
Selinus
Catana
Acragas
Megara Hyblaea
Gela
Syracuse
Camarina
Methone
Potidaea
Torone
Acanthus
Abdera
Thasos
Maronea
Samothrace
Aenus
Cardia
Sestus
Lampsacus
Abydus
Imbros
Lemnos
Parium
Cyzicus
Proconnesus
Bisanthe
Perinthus
Selymbria
Byzantium
Calchedon
Astacus
Cius
Olbia
Berezan
Tyras
Tanais
Hermonassa
Myrmecium
Cepi
Panticapaeum
Phanagoria
Nymphaeum
Theodosia
Istrus
Tomis
Phasis
Mesembria
Apollonia
Sinope
Amisus
Trapezus
Tieum
Heraclea Pontica
Agathe
Emporiae
Alalia
Posidonia
Elea
Apollonia
Corcyra
Ambracia
Anactorium
Leucas
Barca
Cyrene
Euhesperides
Colonies of
Chalcis, Eretria and her colonies
Corinth and her colonies
Megara and her colonies
Miletus and her colonies
Phocaea and her colonies
other Greek cities and their colonies
miles
km
0
100
150
200